

الجيش العربي الهاشمي

١٩٠٨ - ١٩٧٩

تقويم وتحليل للعمليات العسكرية

تأليف العميد الركن سيد علي العدروس (الجيش الباكستاني)

ترجمة العقيد الركن عبد العزيز سليمان المعايطه

يترابط تاريخ الهاشميين وتاريخ الجيش العربي الهاشمي ترابطاً وثيقاً ولا يمكن الحديث عن أحدهما دون التطرق للحديث عن الآخر. وقد قام العميد الركن المتقاعد علي العدروس من الجيش الباكستاني، والذي كان مستشاراً لدى القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية لعدة سنوات، بجهد ضخم في تدوين هذا السفر النفيس عن الجيش العربي الهاشمي بين عامي ١٩٠٨ و ١٩٧٩ أي منذ أيام الحسين بن علي باعث النهضة العربية الحديثة وقائد الثورة العربية الكبرى إلى أيام حفيده الحسين بن طلال وارث هذه الثورة. ويبين المؤلف الدور الكبير الذي لعبه الجيش العربي الهاشمي في فترة هامة في تاريخ العرب الحديث تزيد عن سبعة عقود من السنين مع تحليل دقيق للعمليات العسكرية منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى وإلى حرب رمضان سنة ١٩٧٣. ومع هذا لم يغفل المؤلف الجانب السياسي فأعطاه قسطاً لا يستهان به من الاهتمام.

ورغم ما كتب بالعربية عن هذه الفترة في تاريخ الهاشميين والجيش العربي إلا أن هذا الكتاب يجيء اضافة جيدة ونافعة للمكتبة العربية والتاريخ العسكري العربي. ونظراً لأن الأحداث السياسية لهذه الفترة مألوفة لدى القارىء العربي فقد رؤى التركيز في الترجمة على الناحية العسكرية وعلى ما قام به الجيش العربي الهاشمي بالذات، مع المحافظة على أكبر قدر من الخرائط والصور الموجودة في الأصل الانجليزي.

والله الموفق والمستعان

الجيش العربـي
الهاشمـي
١٩٠٨ - ١٩٧٩

الجيش العربي الهاشمي
١٩٠٨-١٩٧٩

تقويم وتحليل للعمليات العسكرية

تأليـف

العميد الركن (المتقاعد)

سيد علي العدروس (الجيش الباكستاني)

ترجمـة

العقيد الركن (المتقاعد)

عبد العزيز سليمان المعايطه

الجمعية العلمية الملكية

مراجعة

صادق ابراهيم عودة (جامعة اليرموك)

لجنة النشر

عمـان ـ الأردن

١٩٨٣

الطبعة الأولى باللغة العربية ١٩٨٣
الطبعة الأولى بالانجليزية ١٩٨٠

وضع التصاميم هربرت سبنسر
مستشارو الانتاج
دار لند همفريز المحدودة للنشر ـ لندن .

أعد الخرائط محمود آدم محمود الجامعة الأردنية ـ عمان
تنضيد شركة تيك للترجمة والطباعة الدولية المحدودة ـ لندن
طبع الخرائط ـ لند همفريز المحدودة ـ برادفورد يوركشاير
صنع وطباعة بريطانيا
مطبعة كاميلوت المحدودة سوثمبتن

الإهـداء

إلى ذكرى الحسين بن علي ١٨٥٥-١٩٣١ ، شريف مكة وابي النهضة العربية والقوة الدافعة وراء حرب تحرير العرب ١٩١٦-١٩١٨ : وإلى مؤسسي الجمعية العربية الفتاة وجمعية العهد وأحرار العرب الذين تصدوا فرادى ومجتمعين للكفاح من أجل الشرف العربي واستقلال العرب بعد اربعمائة عام من الحكم العثماني .

وإلى الشهداء العرب الذين علقوا على مشانق بيروت ودمشق خلال عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ :

١ يوسف الحايك من متصرفية جبل لبنان .

٢ جوزيف هاني أحد الزعماء البارزين من ولاية بيروت .

٣ العين عبد الحميد الزهراوي من حمص وعضو المؤتمر العربي في باريس سنة ١٩١٣ .

٤ شفيق المؤيد } نائبي دمشق

٥ رشدي الشمعة

٦ شكري العسلي عضو مؤسس في الجمعية القحطانية السرية سنة (١٩٠٩) ونائب دمشق.

٧ سليم الجزائري ضابط في الجيش العثماني من دمشق وأحد مؤسسي الجمعية القحطانية السرية سنة (١٩٠٩).

٨ علي عمر النشاشيبي ضابط في الجيش العثماني من القدس وأحد مؤسسي الجمعية القحطانية السرية سنة (١٩٠٩) .

١٠ أحمد طبارة ، صاحب جريدة من بيروت وأحد مندوبي المؤتمر العربي في باريس سنة (١٩١٣) .

١١ محمد الشنطي من يافا متصرفية القدس .

١٢ جورج حداد من متصرفية جبل لبنان .

١٣ الأمير عمر الجزائري وطني بارز من دمشق وسليل الوطني الجزائري الشهير الأمير عبد القادر .

أعضاء المنتدى العربي الأدبي سنة (١٩٠٩) :

١٤ عبد الكريم الخليل من متصرفية جبل لبنان .

١٥ صالح حيدر مواطن من بعلبك.

١٦ رفيق سلوم من حمص.

١٧ سيف الدين الخطيب مواطن من حيفا.

الأعضاء المؤسسون لحزب اللامركزية العثماني سنة (١٩١٢).

١٨ سليم عبد الهادي ، من جنين.

١٩ حافظ السعيد من يافا .

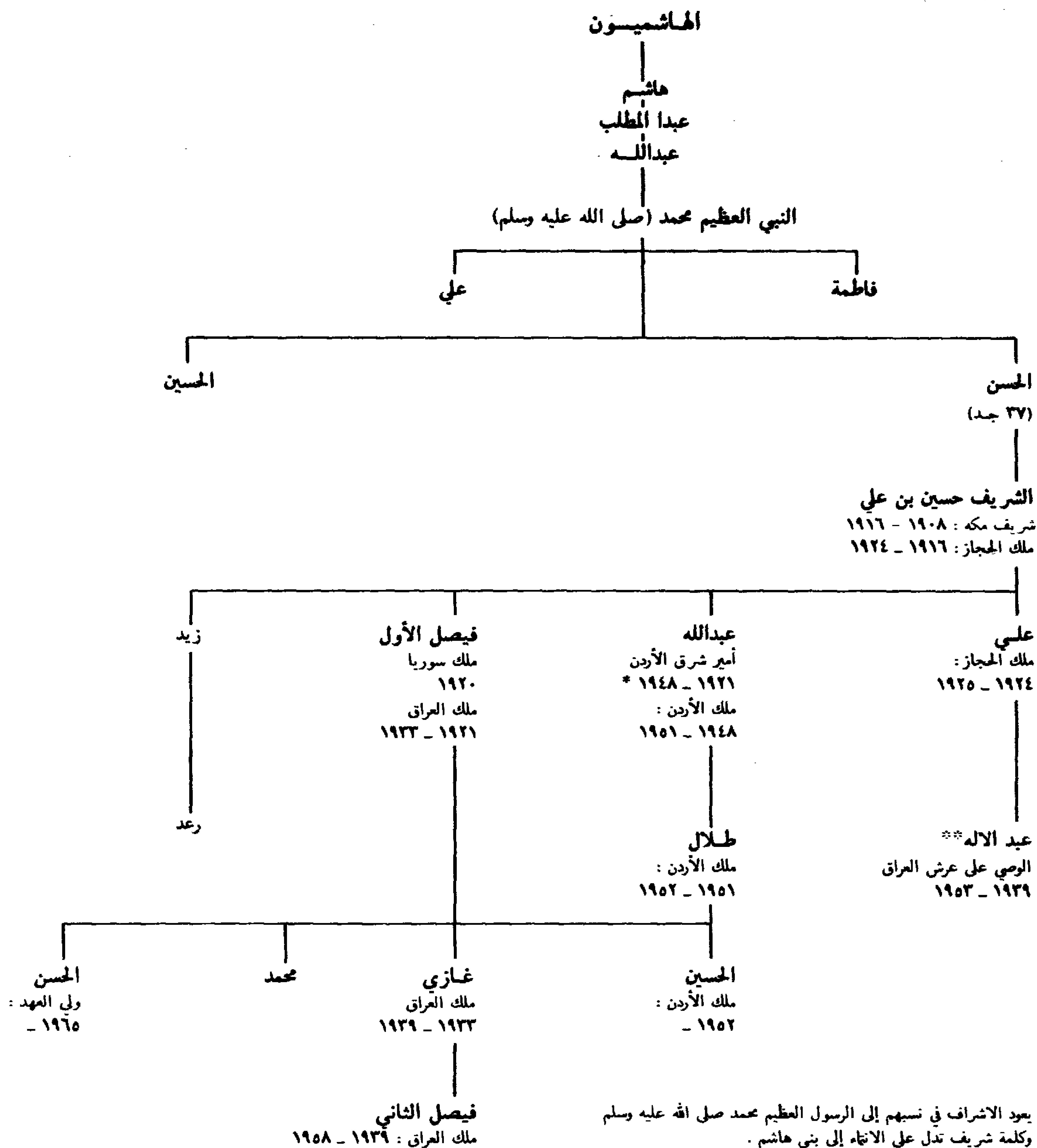
٢٠ نايف تللو من دمشق .

الأعضاء المؤسسون للجمعية العربية الفتاة سنة ١٩١١.

٢١ محمد المحمصاني من بيروت.

٢٢ توفيق الناطور من بيروت .

٢٣ عبد الغني العريسي من بيروت .



أ	الشريف حسين بن علي	١٨٥٥ ـ ١٩٣١	تنازل عن العرش عام ١٩٢٤ وتوفي في المنفى عام ١٩٣١
ب	الملك علي بن الحسين	١٨٧٩ ـ ١٩٣٥	توفي في المنفى عام ١٩٣٥
جـ	الملك عبدالله بن الحسين	١٨٨٢ ـ ١٩٥١	اغتيل على باب المسجد الأقصى في القدس عام ١٩٥١
د	الملك فيصل بن الحسين	١٨٨٣ ـ ١٩٣٣	
هـ	الأمير زيد بن الحسين	١٨٩٨ ـ ١٩٧٠	
و	الأمير عبدالاله بن علي	١٩١٣ ـ ١٩٥٨	اغتيل في بغداد عام ١٩٥٨
ز	الملك طلال بن عبدالله	١٩٠٩ ـ ١٩٧٢	تنازل عن العرش عام ١٩٥٢
ح	الملك غازي بن فيصل	١٩١٤ ـ ١٩٣٩	قتل في حادث عام ١٩٣٩
ط	الملك فيصل بن غازي	١٩٣٥ ـ ١٩٥٨	اغتيل في بغداد عام ١٩٥٨

* ملك شرق الأردن : ١٩٤٦ ـ ٤٨

** بقي عبد الاله وصيا على عرش العراق حتى سنة ١٩٥٨ ـ المترجم .

تقديم

لم يقم أحد من سلالة الحسن والحسين ، بيت رسول الله ، بالسعي وراء إقامة امبراطورية دنيوية ، بل كانوا جميعاً يدعون كلما رأوا صدعا في جدار الاسلام إلى رأبه وإعلاء شأنه .

يأتي فهم الثورة العربية بشكل أفضل من خلال إدراك ذلك الالهام الذي تميز به الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية في التأييد الذي اجتذبه والإجماع الذي حاز عليه في سعيه من أجل استقلال العرب وكرامتهم . فهو بلا شك من تجسدت فيه معاني روح القومية العربية السائدة إلى يومنا هذا . وهو أول صوت للعرب طالب بممارسة حق تقرير المصير في فلسطين « وترك اختيار مصيرها لأهلها » .

إن التزام الشريف حسين بمبدئه كان بالنسبة للحلفاء في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد خيانتهم للأماني العربية في فلسطين عقبة لابد لهم من تجاوزها . ولم تكن القومية العربية المحرك للثورة فحسب بل إن الاهتمام بسلامة مكة المكرمة والمدينة المنورة قلب الاسلام كان له الاعتبار الرئيسي كما يظهر بجلاء في هذا الكتاب .

لقد فرض الانفصال على قادة المسلمين نظراً لسياسة الأفق الضيق والتحزب الأعمى لما هو تركي التي اتبعتها جماعة تركيا الفتاة .

ولتوطيد الاستقلال السياسي العربي كتب الأمير فيصل « إن هدف الحركات القومية العربية والتي أصبح والدي قائدها في الحرب بعد تلبية نداءات مشتركة من فروع تلك الحركات في كل من سوريا والعراق هو لتوطيد العرب في أمة واحدة في نهاية المطاف » .

إن العميد الركن سيد علي العدروس قد ساهم في مساعدة القارىء لفهم الشرق الأوسط وفي إعطائه خبرة لم تكن لتتوفر إلاّ من خلال الإدراك النسبي للمفاهيم العملية للسياسة الراهنة .

وأود بهذه المناسبة أن أعبر عن تقديري للتحليل العسكري الذي أعتقد أنه سيكون ذا قيمة لا تقدر بثمن سواء أكان ذلك بالنسبة للاختصاصي أو للرجل العادي وفي العالمين العربي والاسلامي بشكل خاص .

أما بالنسبة لوضع العالم العربي والاسلامي اليوم فان القيود التي يعاني منها ذات ارتباط مباشر بالارتباطات التي رافقت بدايات البحث المعاصر عن الذات الوطنية .

والاسئلة التي تساور الفرد هي : من أنا ؟ وإلى من أنتمي ؟ وما هو تصوري للمستقبل ؟

وضمن هذا المعنى فإن أهداف الثورة في سعيها عن الاستقرار يمكن تحريكها من خلال شعور الجماعة الذي يوفر الحماية والدفاع المتبادل ودعم المطالب وأي نشاط اجتماعي آخر .

وإنني كشاب هاشمي أستمد عزيمتي من مبادىء القضية العربية الواردة هنا وأوصي بهذا

الكتاب لكل من يعي الصعوبات التي تواجه شعوب هذه المنطقة المثيرة من العالم التي نعيش فيها .

إن الأردن ومن خلال ما أوجده المنقذ الأعظم من توعية وفداء وإحساس وطني بناء ومن خلال الايمان باستمرارية ذلك ليشعر باعتزاز عظيم تجاه تراثه هذا .

وكما جاء في كلمات مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية المغفور له الملك عبد الله بن الحسين : « يجب أن يتذكر المرء أن اختلاف الآراء الذي ساد منذ الثورة العربية هو داء قديم نعاني منه وليس بالشيء الجديد . ومع ذلك ، فعين الله ترعانا . » .

الحسن بن طلال
ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية

المؤلف والمترجم في سطور

المـؤلـف :

العميد الركن (المتقاعد) سيد علي العدروس . ولد المؤلف في حيدر أباد في الهند سنة **١٩٢٥** ودرس في مدرسة الأسقف (كتن) في بنغالور وتلقى علومه العسكرية في الكلية العسكرية الملكية في الهند .

التحق بالجيش البريطاني الهندي سنة **١٩٤٤** . وعندما نالت باكستان استقلالها خدم في فرقة المشاة الباكستانية السابعة في كشمير .

وفي عامي **١٩٥٠** و **١٩٥١** عمل مدرباً في الكلية العسكرية الباكستانية وفي سنة **١٩٥٤** حصل على شهادة كلية الاركان في كندا . في سنة **١٩٥٥** ـ سنة **١٩٥٦** عمل ركنا عسكرياً لأحد ألوية المشاة . وفي سنة **١٩٦٣** عين معلماً بكلية القيادة والأركان الباكستانية في كويتا .

وفي سنة **١٩٦٤** تولى قيادة كتيبة المشاة/١٤ الباكستانية واشترك في الحرب الهندية الباكستانية الأولى سنة **١٩٦٥** .

ثم عين في سنة **١٩٦٧** رئيس هيئة أركان فرقة مشاة ، وفي سنة **١٩٦٨** تولى قيادة لواء مشاة . وفي سنة **١٩٧٠** نقل إلى باكستان الشرقية (بنغلاديش) رئيساً لأركان القيادة الشرقية .

وفي سنة **١٩٧١** عين مديراً للتدريب العسكري في باكستان . وفي سنة **١٩٧٢** وحتى سنة **١٩٧٦** كان مستشاراً للقيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية .

خدم في مصر وفلسطين أبان الحرب العالمية الثانية وقام بجولة ميدانية واسعة من غاليبولي على مضيق الدردنيل بتركيا حتى الحجاز في الجنوب .

المترجـــم :

العقيد الركن عبد العزيز المعايطه التحق ضابطاً في سلاح المدفعية الملكي عام **١٩٥٦** وتدرج في الجيش إلى أن أحيل على التقاعد برتبة عقيد ومديراً لسلاح المدفعية الملكي عام **١٩٧٩** ، حيث عمل في الجمعية العلمية الملكية منذ ذلك الحين .

حاصل على شهادة ركن من الباكستان وعدد من الدورات في أمريكا وبكالوريوس حقوق/ الجامعة الأردنية .

مقدمة المترجـم

كان لي شرف ترجمة هذا السفر العظيم الذي يعتبر بحق أول كتاب يتعرض بالدرس والتحليل للعمليات العسكرية التي قام بها الجيش العربي الهاشمي منذ اطلاق الرصاصة الأولى في العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩٧٩ ومنذ عهد الشريف حسين بن علي إلى أن تسلم الراية جلالة الملك الحسين بن طلال .

وأود أن اغتنم الفرصة لاشكر كل من ساعد وساهم من مؤسسات وأشخاص في اخراج هذه الترجمة إلى النور ، وأخص بالذكر الجمعية العلمية الملكية وموظفي المركز الأردني للدراسات والمعلومات وكل من الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس مؤسسة آل البيت والقاضي حسين عبد العزيز والاستاذ ابراهيم الجراح والسيد صادق ابراهيم عودة من جامعة اليرموك لجهودهم الطيبة في مراجعة الكتاب ، وأخص بالشكر الآنسة ياسمين محي الدين بدر التي أمضت الساعات والشهور الطويلة في طباعة مسودة الكتاب ، كما أشكر زوجتي التي سهرت الليالي تراجع معي البروفات . وأشكر السيد رفيق اللحام الذي صمم الغلاف .

وفي الختام اتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لسمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال على اهتمامه الشخصي وملاحظاته القيمة حول الترجمة .

المترجـــم

مقدمة المؤلف

كنا على متن طائرة «عالية» الخطوط الجوية الملكية الاردنية التي كانت تقل سمو ولي العهد الامير حسن بن طلال (حفيد الشريف العظيم الحسين بن علي) ، والوفد المرافق له في زيارته الرسمية إلى باكستان في تشرين الثاني ١٩٧٥ ، عندما أثار سمو الامير فكرة كتابة تاريخ الجيش العربي الهاشمي . تلك الفكرة التي راودتني منذ أن وصلت إلى الاردن عضواً في البعثة العسكرية الباكستانية عام ١٩٧٢ .

وقد تبلورت هذه الفكرة بعد المحاضرة التي ألقاها سمو ولي العهد الهاشمي في ضباط كلية القيادة والاركان في كويتا (باكستان) موضحاً الدور الذي لعبه الهاشميون في يقظة الامة العربية والثورة العربية الكبرى ، وما تلاها من كفاح مرير من أجل الحرية والوحدة والاستقلال . وكنت أحس اهتمام سموه بايجاد سجل دائم لاعمال الهاشميين الخالدة وتاريخ الجيش العربي الذي قاد حرب التحرير من بطاح مكة والمدينة إلى مشارف حلب والمسلمية على حدود الاناضول .

أثرت الموضوع مع سمو الامير حسن وما أن أخذت الطائرة تحلّق في سماء البحرين حتى كنت قد نلت موافقته على كتابة تاريخ الهاشميين والجيش العربي الهاشمي .

وشجعني على الاضطلاع بهذه المهمة الجليلة صلتي الوثيقة بالجيش العربي الاردني ـ من خلال عملي عضواً في البعثة الاستشارية في القيادة العامة الاردنية منذ عام ١٩٧٢ وبالاردن أرضاً وشعباً ، كما أن خدمتي كضابط في الكتيبة الخامسة الهندية من قوة البنادق ١٣ في مصر ـ كجزء من الجيش البريطاني ـ وزيارتي لفلسطين وسوريا وشرق الاردن عام ١٩٤٥ بعد أن نقلت كتيبتي من ايطاليا إلى الهند ، وعملي في الفرقة الهندية العاشرة ، كل ذلك اتاح لي التعرف على المنطقة وأثر في نفسي تأثيراً عظيماً .

ولما وقفت على جسر اللنبي (الملك حسين حالياً) لم أكن اتوقع أن أقف في المكان نفسه بعد ثمانية وعشرين عاماً أنظر من مركز المراقبة الاردني إلى جنود العدو الاسرائيلي وهم يقفون على الطرف الآخر من الجسر الخشبي بعد أن تهدم الجسر القديم .

وكان علي قبل البدء بمهمتي الطموحة ان أحل معضلات رئيسية ، وإذا ما حققت حلّها مضيت في وضع دراسة موضوعية ، وتقدير متوازن ، وتحليل فني لعمليات الجيش العربي الهاشمي من لحظة انطلاق الرصاصة الاولى في حزيران ١٩١٦ إلى الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة في تشرين الاول ١٩٧٣ .

كانت المعضلة الرئيسية الاولى ، الحصول على معرفة واقعية لشخصية المقاتل التركي والعربي والبريطاني والاسرائيلي ، ومعرفةً أقلّ بالمقاتل الالماني والفرنسي ، فان هذه المعرفة تمكنني من تحليل عمليات تلك الجيوش جيشاً جيشاً .

وأما المعضلة الثانية التي لاغنى لأي باحث عن حلّها فكانت الحاجة إلى معرفة دقيقة ومفصلة لارض العمليات التي خاض فيها الجيش العربي الهاشمي معاركه العديدة وهي أراضي ممتدة من عسير والحجاز في الجنوب إلى مرتفعات الجولان في الشمال . لذلك كانت الحاجة ضرورية إلى مشاهدة ارض العمليات حتى أقوى على تحليل موقف الجيش العربي وموقف اي جيش آخر قاتل في المنطقة .

ولعل المشكلة الثالثة كانت أكثر المشكلات صعوبة وهي الحاجة إلى فهم العوامل السياسية والنفسية والتاريخية التي دفعت بالهاشميين إلى الانطلاق من الحجاز إلى الشمال حيث شرق الاردن وسوريا والعراق بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى . كما نجدهم بعد الثورة العربية الكبرى بستين عاما ونيف مازالوا الطليعة بين دول المواجهة في البحث عن حل عادل ومشرف ودائم لقضية فلسطين والشرق الاوسط .

وقد ابدى الهاشميون مقدرة عظيمة على الثبات والتغلب على جميع التحديات التي واجهتهم سواء من الاتراك العنيدين ، أو الحلفاء (البريطانيين والفرنسيين) المراوغين ، إلى الصهاينة الغادرين ، بالاضافة إلى من اساء فهمهم والخلافات العربية المستمرة . وقد دلت ارادة الهاشميين على أن السلطة ممارسة وعمل وان الشعارات والادعاءات لاتصنع الاحداث .

لقد خدمت في ثلاثة من الجيوش التي ورد ذكرها في هذا الكتاب ولدي معرفة متواضعة باثنين منها : الجيش البريطاني ، وتابعه (سابقاً) الجيش الهندي : عرفتهما منذ كنت طالبا في مدرسة المطران كوتون (Cotton) في بانقلور عام ١٩٣٠ ، وكلية أمير ويلز العسكرية (الهندية) الملكية في (دهرادون) واخيراً اثناء خدمتي ملازماً في الكتيبة ٥ من قوة البنادق ١٣ (حدود) من الجيش الهندي عام ١٩٤٤ . وكنت أدرك تماماً صورة الوجود العسكري البريطاني في الهند والخارج .

من بين الاسماء العديدة المكتوبة على لوحات الشرف المعلقة على جدران القاعة العامة في مدرسة المطران (كوتون) كانت اسماء المواقع لاشهر معارك الحرب العالمية الاولى مثل : مونز ، باسكنديل ، كامبري ، أميينز ، غاليبولي ، غزة ، القدس ، مجدو ، ودمشق ، والتي كان ينظر اليها طلاّب المدرسة بالاعجاب والتقدير .

وفي غرفة أخرى علقت لوحات شرف تحمل اسماء بعض مشاهير القادة مثل : فون كلك ، فولكنهاين ، لودندورف ، أنور ، مصطفى كمال اتورك ، هيغ ، اللنبي وفوش . ونجد صور القادة واسماءهم ـ وخاصة من الانجليز ـ تتكرر في قاعات الكلية العسكرية في (دهرادون) في الهند وأبرزها الجنرالات كتشنر ، روبرتس ، ويفل ورولينسون ، وعندما كنا في الكلية العسكرية غمرتنا

روح الاعتزاز لاول مرة عندما منح وسام صليب فكتوريا في الحرب العالمية الثانية لاول ضابط هندي هو الملازم الثاني (الفريق فيا بعد) بهاغات من قسم رولينسون .

وعلى بعد بضعة أميال من قاعة (تشيت وود) في الكلية العسكرية التي تقع على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم عند سفوح الهملايا الدنيا كان يجري استعراض طابور الكلية من قبل نائب الملك أو القائد العام للجيش الهندي كذكرى لقيادة الفيلق ٢٠ الذي قاتل تحت امرة الجنرال اللنبي في فلسطين .

ولتأكيد اهتمام طلاّب الكلية العسكرية في الهند بسير الحرب (العالمية الثانية) كانت تجري امتحانات فجائية لتلك الغاية . وكان يطلب من الضباط الاحداث معرفة اسماء قادة الفيالق البريطانية وأشهر المعارك وتواريخها . ولكن الجيش البريطاني تلقى ضربات عديدة ، فغرقت السفينة الحربية (امير ويلز) وسقطت سنغافورة عام ١٩٤٢ ولم تفلح الامتحانات ولا غيرها في استعادة مجد الامبراطورية المتهاوية .

وعلى الرغم من المحاولات اليائسة في توطيد العلاقة بين قوات صاحب الجلالة البريطانية والقوات الهندية فان الهوّة بقيت كبيرة بينهما ، وثبت أن الامبراطورية البريطانية لم تكن إلا نمراً من ورق . فشلت كل المحاولات لكسب ولاء الهنود إلى بريطانيا على رغم الرأي السائد لدى الكثيرين في ذلك الوقت بأن السيطرة البريطانية لن تزول في المدى المنظور ، ورغم هتافنا بحياة صاحب الجلالة في المناسبات الخاصة .

وإذا ما بدا لبعض القراء أن في وصفي للقادة البريطانيين شيئاً من القسوة ، فليس ذلك تحاملاً عليهم وانما نتيجة خيبة الامل التي اصابتني بعد أن عرفت كفايتهم ومعنوياتهم العالية ، وان ماتحلت به القوات البريطانية والهندية ـ على حد سواء ـ من شجاعة وتحمل يدعو للاعجاب ، حتى كان اى جندي لايتردد في اتباع الجنرال اوكنلك أو سلم أو الكسندر إلى نهاية المعمورة ، ومع ذلك فقد بدا أن معظم القادة البريطانيين الذين شاركوا في الحربين العالميتين كانوا مجرد هواة امام قادة الجيشين الالماني والعثماني في الحرب العالمية الاولى ، والجيشين الالماني والياباني في الحرب العالمية الثانية .

اذا ليس غريبا أن يبدأ الجيش البريطاني معاركه بالفشل في : مونز وغاليبولي وكوت العمارة ودنكرك وطبرق وسنغافورة . ولم تستعد القوات البريطانية توازنها إلا في الجولة الثانية بفضل تدخل الولايات المتحدة الامريكية في الحرب إلى جانب الامبراطورية العجوز .

اما الجيش العثماني ، فلم تكن ثمة صعوبة في معرفة خلفيته التاريخية بسبب وجود العديد من المحاربين القدماء من العرب والشركس الذين سبق أن خدموا في صفوفه وقد شارفوا الآن على الثمانين من العمر . ومجرد ذكر جمال باشا أو مصطفى كمال أو فخر الدين باشا كان يثير اعجابهم بصلابة الاتراك وشجاعتهم . وعلى رغم ان الكثيرين منهم خدموا في الجيش البريطاني او الفرنسي

ابان الانتداب إلا أن أغلى الذكريات لديهم تلك التي تتحدث عن خدمتهم في صفوف الجيش العثماني ، وكانوا يصفون الجيش التركي بكلمة : « ابو الشجاعة » بينما يطلقون على الجيش البريطاني كلمة : « ابو الف مدفع » .

وليست شهادة العرب أو الشركس وحدها التي تصف الجيش العثماني بالصفات الحميدة بل أن الباكستانيين والهنود الذين شاركوا في الحرب في سوريا والعراق وفلسطين ينظرون إلى الاتراك نظرة تقدير واحترام ، ويتذكرون صمودهم الرائع في غاليبولي وكوت العمارة ، ويتحدثون عن الخسائر الجسيمة التي الحقوها بالحلفاء . ولا يغير الحقيقة وصف التاريخ الرسمي البريطاني للاتراك بانهم قوة هزيلة ، أو وصف لورنس لهم بأنهم خاملون وعاجزون . وخير شاهد على قوة الجيش العثماني ـ الذي كان يتألف من العرب والاتراك ـ الخسائر البريطانية التي بلغت مايزيد على ربع مليون جندي في معركة غاليبولي وحدها عام ١٩١٥ ، وقد لمست شخصياً الشجاعة والقدرة والتصميم التي يتحلى بها الاتراك في أثناء زيارتي لبعض الوحدات التركية .

ومن الجيوش العربية التي اتيح لي مراقبتها عن كثب الجيش السوري والفرقة المدرعة الثالثة العراقية في معارك الجولان في حرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ والزيارات المتكررة للمنطقة بعد ذلك . وكان انطباعي الشخصي أن الجندي العربي السوري أو العراقي أو الاردني أو المصري محارب شجاع ومقاتل عنيد كأي جندي في جيش آخر ان لم يكن افضل منه اذا ما توافرت له القيادة الجيدة ، وخاصة القيادة على مستوى الفرقة فصاعدا .

كما أن الجندي العربي ذكيّ وصبور وواثق من نفسه ، ويتفوق على الجندي الاسرائيلي في الصفات الذاتية ، واثبت في مناسبات كثيرة انه قادر على تحقيق النصر اذا ما توفر له التدريب الجيد والقيادة المناسبة . كما اثبت الجنود والضباط العرب الذين خدموا في صفوف الجيش العثماني (من قبل) في غاليبولي وسوريا والعراق وفلسطين شجاعة فائقة وعزما لايلين . ولاتحتاج الجيوش العربية عموماً إلا إلى التخطيط السليم والقيادة العسكرية المحترفة والمتحررة من الضغوط السياسية والاهواء الشخصية .

اما تحليلي للجيش الاسرائيلي فقد بني على المعارك التي خاضها ضد الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ . وكما اسلفنا اثبت الجندي الاسرائيلي في كثير من الحالات انه ليس بأفضل من الجندي العربي اذا ما اعتبرنا الصفات الذاتية لكل منهما ، ولكن مرد تفوق الجندي الاسرائيلي إلى عوامل كثيرة منها التدريب ووحدة القيادة . وقد برهنت اشتباكات الحدود بين الحرس الوطني الاردني والعدو الاسرائيلي ومعركة الكرامة عام ١٩٦٨ وسيناء والجولان في حرب تشرين ١٩٧٣ صدق هذا التحليل . اننا لاننكر تفوق الجيش الاسرائيلي في نواحي الكفاءة الفنية والتدريب والتسليح من ترسانة الاسلحة الامريكية ، ولكننا ننكر عليه التفوق الاسطوري الذي يدعيه لنفسه .

ولما كان تحيز كتاب الغرب وتاريخهم الرسمي واضحاً في سرد معارك الحرب العالمية الاولى والثانية ، فقد قمت بتقص شخصي على الطبيعة لمناطق العمليات من غاليبولي في أقصى الشمال إلى قرية (أبها) في مقاطعة عسير في الجنوب مجتازا نحو ٢٥٠٠ ميل سلكت خلالها طرقا معبدة وطرقا وعرة ، وتتبعت سكة حديد الحجاز من الاراضي التركية حتى نهايتها في الاراضي السعودية . وعبرت الوديان السحيقة وتسلقت الجبال الشاهقة لاقف على بوابة كليكيا وممري طوروس والامانوس وخليج الاسكندرونه ، حيث طلب الشريف حسين بن علي من الحلفاء انزال قواتهم على الشاطيء السوري في توقيت واحد مع الثورة العربية .

ولدى مشاهدتي المناطق القاحلة الجرداء والمواقع المنعزلة الممتدة على طول سكة حديد الحجاز وجبال عسير واليمن ادركت قدرة الاتراك على القتال والصمود في تلك المواقع ؛ فعندما تم عزل الفيلق التركي السابع في اليمن من قبل الجيش العربي الهاشمي من الشمال لم يمنع ذلك قائد الفيلق علي سعيد باشا من محاصرة القوات البريطانية في عدن والشيخ سعد طوال مدة الحرب العالمية الاولى .

وفي تحليلي للحروب العربية الاسرائيلية المتتالية في : ٤٨ ، ٥٦ و ٦٧ اعتمدت على معرفتي السابقة بمنطقة قناة السويس وفلسطين عام ١٩٤٥ ، كما اعتمدت في تحليل حرب (رمضان) تشرين الاول ١٩٧٣ على زياراتي المتكررة خلال الحرب حتى عام ١٩٧٤ ، وعلى الكشف المفصل لجبهة الجولان بمساعدة الجيش السوري عام ١٩٧٦ ، وكان لهذه الزيارات والكشف الدقيق اثر كبير في تحليل المعارك التي جرت على الجبهة السورية .

ولعل اصعب معضلة واجهتني ـ على رغم الدوافع التاريخية والنفسية ـ كانت محاولة وضع تقدير سليم وتحليل منطقي يبرز دور الهاشميين بشكل موضوعي في يقظة الامة العربية السياسية وثورتها الكبرى التي قادت حرب التحرير في المشرق العربي . وعلى الرغم من ان بعض الكتاب والمؤرخين العرب قد تحاملوا على الهاشميين وحاولوا انكار دورهم في الثورة العربية والكفاح الذي تلاها فان دور الشريف حسين بن علي وأنجاله في قيادة الثورة العربية والسعي لتحرير المشرق العربي من الحكم العثماني المستبد في البداية ، ثم الاستعمار الغربي فيما بعد ، واضح وجلي .

شهدت الفترة ما بين التسعينات من القرن الماضي والعشرينات من القرن الحالي زوال الحكم العثماني وتأسيس دولتين هاشميتين في الأردن والعراق . وفي تلك المرحلة الحرجة كان الهاشميون في طليعة المدافعين عن شرف الامة العربية وحقها في الحرية والاستقلال . وما أن انهار الحكم العثماني حتى تكشف وجه الاستعمار (البريطاني والفرنسي) البشع ، فنكث الحلفاء وعودهم وأعطوا أرض فلسطين العربية التي لا يملكونها ـ للصهيونية وغدروا بالشريف حسين والامة العربية التي وثقت بهم وحاربت إلى جانبهم .

استمر نضال الهاشميين ضد الصهيونية والاستعمار ، فمنهم من قضى في المنفى ، ومنهم من سقط شهيداً برصاص الغدر على باب المسجد الاقصى . ومازال أحفاد بني هاشم يواصلون كفاحهم من أجل حرية الانسان العربي واستقلاله .

وإذا كان الجيش العربي الهاشمي قد قاتل الاتراك في عسير والحجاز ، وحرر الاردن وسوريا حتى دخل دمشق وحلب ، ووصل المسلمية على الحدود التركية شمالا فان الجيش العربي الاردني قد دخل فلسطين عام ١٩٤٨ بقوة لاتزيد على ٤٥٠٠ جندي وضابط فحرر القدس واللطرون وشارك في حروب متتالية ضد العدو الصهيوني المدعم من امريكا والدول الغربية ، ومازال ذاك الجيش رأس الرمح الموجه إلى قلب العدو ، وقلعة الصمود على بوابة المشرق العربي الغربية . وقد شهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بتضحيات الملك حسين والجيش العربي عندما انضم إلى أشقائه العرب في معركة حزيران غير المتكافئة .

ومما زاد من هموم الملك حسين وجود المتطرفين العرب في بعض الدول العربية وحركة المقاومة والتناقضات العربية التي أدت إلى الحرب الاهلية المحزنة في الاردن عام ١٩٧٠ . ومرة اخرى حاول الرئيس عبد الناصر ـ قبل يوم وفاته ـ أن يجمع الصف العربي ويحل مشاكل أمته ولكنه قضى ـ كما قضى المناضلون العرب من قبله ـ وهو يحاول التوفيق بين حركة المقاومة ومؤيديها من جهة ، والاردن من جهة ثانية .

ومن سوء حظ الامة العربية أن الصراع الاقليمي قد ظل زمناً طويلاً مستحكماً بين الدول العربية ولم يتوقف إلا في عام ١٩٧٣ (خلال حرب رمضان) ، وعادت الدول العربية بعد تلك الحرب سيرتها الأولى في الخلاف والمهاترات .

ان غاية هذا الكتاب هي محاولة كشف المشكلات التي واجهت الملوك الهاشميين الاربعة : الشريف حسين والملك عبدالله والملك طلال ، واخيراً جلالة الملك حسين بن طلال ، وتحليل القرارات التي اتخذوها في المجالات السياسية والعسكرية طوال فترة الكفاح المرير وغير المعترف به ـ من البعض ـ من أجل عزة العرب وشرفهم . وسوف يرى القارىء في الاجزاء الاخيرة من هذا الكتاب تطور الجيش العربي ودوره في الحروب العربية الاسرائيلية منذ أن انطلق من بطاح مكة بالسيف والبندقية إلى أن تسلح في السنوات الاخيرة بأحدث الطائرات والدبابات والمدافع .

وفي تحليلي لدور الجيش العربي ركزت على التخطيط الاستراتيجي للحرب وتحليل العمليات التعبوية (التكتيكية) ولم أطرق الجانب السياسي الا بالقدر الذي يساعد على اكمال الصورة العامة لمسيرته الطويلة .

اما مصادر هذا الكتاب فقد اعتمدت فيها بشكل رئيسي على السجلات الرسمية في القيادة العامة للقوات المسلحة الاردنية ، وعلى المذاكرات والمعلومات التي استقيتها من الضباط العرب الذين خدموا في الجيش العثماني والجيش العربي الهاشمي ابان الحرب العالمية الاولى وما تلاها من

حروب ومعارك متتالية . واما المعلومات الواردة عن الحرب العربية اليهـودية الاولى عام ١٩٤٨ والثالثة عام ١٩٦٧ وحرب (رمضان) ١٩٧٣ فقد استندت إلى الوثائق الرسمية وتقارير المعـارك والمقابلات الشخصية مع الضباط الذين شاركوا في تلك المعارك والحروب .

وقد استقيت معلوماتي عن معارك الجيش البريطاني في الحرب العـالمية الاولى من التـاريخ الرسمي البريطاني لتلك الحرب ، وتتعلق في معظمها بمعارك فلسطين ومصر والعراق . ولا أخفي انني قد وجدت قدراً كبيراً من الخطأ والتحريف في ذلك التاريخ حيث تصرف المؤرخ بحرية في تسجيل نتائج العمليات التي قامت بها جيوش الامبراطورية البريطانية . ومن الاخطاء التي وردت في التاريخ البريطاني وصفه للعمليات التعرضية الرئيسية التي قام بها فيلقان مؤلفان من الفرقة البريطانية ٦٠ والفرقة الاسترالية النيوزلندية الراكبة ولواء الهجانة الامبراطوري ، وفرقة استرالية أخرى ومجموعة من الألوية الهندية في ٢١ آذار إلى ٢ نيسان بقيادة (أوشي) ، وفيلق الصحراء الراكب بقيادة شوفيل من ٣٠ نيسان إلى ٤ أيار ١٩١٨ بأنها : « غارتان صغيرتـان على شرق الاردن » . وقد فشل هذان الهجومان اللذان كان هدفهما احتلال مشارف عمان الغربية من ناعور إلى صويلح والسلط . والمثال الثاني على تلك الاخطاء هو ادعاء المؤرخ البريطاني بفشل قوات الامير فيصل في الاتصال بالفيلق البريطاني ٢٠ في وادي الاردن في ربيع عام ١٩١٨ ، على رغم بعد المسافة وانشغال الجيش العربي الشمالي بحصار القوات التركية في معان والمنطقة الجنوبية . ومن يجد الوقت لقراءة التاريخ الرسمي البريطاني يجد العديد من الاخطاء الفاحشة التي لاتتفق مع الواقع والحقيقة .

وفي تحليلي لدور الجيش العربي في الحرب العالمية الاولى حاولت مخلصاً أن اكشف حقيقـة لورنس الذي سمى نفسه (لورنس العرب) ، والذي ادعى أنه جاء يخلصهم من الظلم والحكم التركي المستبد ويقودهم إلى الحرية والاستقلال . ولم يكن لورنس أكثر من مثقف عادي استغل طيبة العرب وصدقهم ليرسم لنفسه صورة اسطورية ترسخت في أذهان الكثيرين عقوداً من الزمن حتى سماه رونالد ستورز السكرتير الشرقي في القاهرة « صانع الملوك » ، وقد حاول لورنس أن يسرق أفكار الشريف حسين واستراتيجية المقدم عزيز علي المصري وجعفر باشـا العسـكري ويدعيها لنفسه حتى اعتبره الكتاب الغربيون ملهم الثورة العربية الكبرى .

وتؤكد كثرة الاخطاء وتزييف الحقائق في التاريخ البريطاني وكتابات الغرب ان الذين قاموا بتدوينه ـ أمثال سيريل فولز والجنرال بليفيرز ـ لم يكلفوا انفسهم عناء زيارة الاردن والمواقـع الأخرى ليتحققوا مما يكتبون . كما أن تقارير البعثة البريطانية (في القاهرة) التي كانت تكتبها عن معارك الجيش العربي الشمالي غير دقيقة ، ناهيك عن التحامل الواضح على العرب والاتراك على حد سواء .

ولم انس في تقييمي لعمليات الجيش العربي الشمالي أن اذكر الدور الذي لعبه المقدم عزيز علي

المصري وجعفر باشا العسكري ومولود مخلص ونوري السعيد وغيرهم من الضباط العرب الذين هجروا صفوف الجيش العثماني والتحقوا بركب الثورة العربية الكبرى . فكان عزيز علي المصري يتمتع بكفاءة عسكرية عالية ، فقد شارك في حروب البلقان ، وتقلد مناصب رفيعة في الجيش العثماني كما كان وطنياً متحمساً ، ومن أبرز المؤسسين للجمعية القحطانية ، وجمعية العهد السريتين ، وتخرج في أعلى المدارس العسكرية في اسطنبول . ومثله رفاقه الآخرون الذين اكتسبوا الخبرة في صفوف الجيش العثماني ، ودرسوا في المدارس الحربية في ألمانيا والعراق واسطنبول ، والتحقوا بالثورة العربية ، فطبقوا خبراتهم وعلومهم في معاركها ضد القوات التركية ، وانشأوا جيشاً عربياً صغيراً في العدد قوياً في الارادة والقتال .

وسيجد القارىء أن جيش الثورة العربية لم يكن بحاجة إلى خبراء عسكريين في الاستراتيجية أو التخطيط كما ادعى لورنس وغيره من البريطانيين ، ولكنه كان في أمس الحاجة إلى الاسلحة والمعدات والمساعدات المادية والتي لم تقدم منها بريطانيا سوى النزر اليسير . وما من شك في أن القادة البريطانيين كانوا يخشون ازدياد قوة الثورة العربية وخروجها من تحت سيطرتهم .

وعندما اخذت الغشاوة تنقشع عن عيون العرب في كل مكان وطفق نور فجر الحرية يتسرب إلى النفوس الظامئة إلى الحرية والاستقلال انطلقت الجمعيات العربية السرية وأحرار العرب يبحثون عن رجل تتوافر فيه الوطنية والحكمة ، والاخلاص للأمة العربية ، ويكون اهلا لثقة العرب والمسلمين في الوطن العربي ، فوجدت ضالتها في الشريف حسين بن علي الذي فجر الثورة العربية ودفع بجيش التحرير العربي إلى دقّ أبواب دمشق وحلب حتى توقف عند الحدود العربية الطبيعية في نهاية الحرب العالمية الاولى .

ومن هنا فان القصد من هذا الكتاب هو هدم الاساطير والخرافات التي نسجها لورنس وكتاب الغرب حول الثورة العربية ـ حتى كادوا يطمسون معالمها ـ وتحليل دور الهاشميين والجيش العربي الهاشمي في مسيرة التحرر العربي وتقييمه منذ أن انطلقت الرصاصة الاولى في بطاح مكة في حزيران ١٩١٦ إلى يومنا هذا ، بمعنى آخر منذ عهد المنقذ الاعظم الشريف حسين بن علي وحتى عهد حفيده الملك حسين بن طلال الباني . ولاشك أن تاريخ الجيش العربي مقترن بتاريخ الهاشميين على مدى الخمسة والستّين عاما الماضية .

ويبين هذا الكتاب دور الجيش العربي منذ ولادته عام ١٩١٦ إلى الثمانينيات من هذا القرن التي يتوقع ان تنشب فيها الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة . وفي اعتقادي ـ الذي قد يخالفه البعض ـ انه حق للهاشميين أن يفخروا بما حققوه على مدى العقود الستة الاخيرة ، وما قام به الجيش العربي الذي ولد في بطاح مكة ونضج في معارك الجولان وفلسطين . ويعترف الكثيرون الآن أن الهاشميين هم الذين حملوا مشعل الحرية وقادوا مسيرة الامة العربية صوب مستقبل أفضل ، ولازالوا ماضين على درب الكفاح الطويل حتى يتحقق الامل بالوحدة والحرية والحياة الفضلى .

العميد الركن (المتقاعد)
سيد علي العدروس
الجيش الباكستاني

عمان المملكة الاردنية الهاشمية
١٩٧٧/١١/١

قسم الثورة العربية الكبرى

«أقسم بالله العظيم أن ننتظر حين ننتظر وأن نسير حين نسير وأن لا نذعن للترك بطاعة وأن نحسن معاملة كل من يتكلم العربية وأن نجعل الاستقلال فوق حياتنا وأهلنا وأموالنا»[1].

(١) الثورة العربية الكبرى ، العماد مصطفى طلاس (ص ٧)

استدراك ومعذرة

ظهرت أخطاء مطبعية لا يخلو منها كل كتاب مما لا تخفي على فطنة القارىء فمعذرة .

التسلسل Ser. No.	الصفحة Page	السطر Line	الخطأ Incorrect	الصواب Correct
١	٥٢	٢١	القوة العربية الراكبة	خيالة البدو
٢	٦٥	١٨	قبائل عنزه	عشائر الدولة
٣	١٠٧	٢٦ و ٢٧	الأول بأربع وعشرين ساعة قبل الفرقة الهندية الخامسة	الأول قبل الفرقة الهندية الخامسة بأربع وعشرين ساعة
٤	١٣٧	٥	ايغال يادين الاركان	ايغال يادين
٥	١٦٤	٧	بين	بيت
٦	١٧٥	١٩	الحسين	عبد الله
٧	٢٢٨	٥	دامية الأمير محمد	دامية «الأمير محمد»
٨	٢٥٣	٢٦ و ٢٧	ولكن كان من السهل على دبابات الباتون الأردنية التغلب على دبابات العقيد موشى الشيرمان	ومع ذلك أوشكت دبابات العقيد (الشيرمان) اختراق المواقع الأردنية
٩	٣٤٣	١٩	عصرها	عنصرها
١٠	٨	٤ و ٥	لمدفعية الفرقة الأولى وقائد لفرقة المشاة الآلية الرابعة بالأنابة بين سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٧٨	لمدفعية الفرقة الآلية الرابعة (الأولى سابقاً) من ١٩٧٦-١٩٧٨ وقائد فرقة بالانابة خلال عام ١٩٧٨
١١	الرموز		الار غون	الارغون

١ - « المغفور له الشريف حسين بن علي »
عام ١٨٥٥ - عام ١٩٣١



الجـزء الأول

الشريف حسين بن علي : باعث النهضة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤

الفصـل الأول

العهد العثماني واليقظة العربية : ١٨٤٧ ـ ١٩١٦

١ - الخطـوات الأولى : ١٨٤٧ - ١٩٠٨

ينحدر الأشراف من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء زوجة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عم الرسول ، ويدعى الأشراف أيضاً بالهاشميين نسبة إلى هاشم أحد أجداد الرسول الكريم . وانتشر الأشراف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، إلا أن قسما منهم بقي في الحجاز ، وتولى منصب الإمارة أو الشرافة في مكة والمدينة وحماية الأماكن المقدسة .

وفي سنة ١٥١٧ عندما قضى الأتراك العثمانيون على المماليك خلفوهم في سيطرتهم على بلاد الشام ومصر وشبه جزيرة العرب ، واستدعي شريف مكة إلى القاهرة للمثول أمام السلطان سليم الأول العثماني الذي أبقاه متمتعاً بسلطاته التقليدية في الحجاز .

وبقي العثمانيون يحكمون المنطقة أربعمائة عام حتى هزيمتهم النهائية وتفكك امبراطوريتهم في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ . وعرف حكم العثمانين الطويل بالركود والتخلف الذي عانت منه مختلف شعوب امبراطوريتهم بما فيها العرب .

غير أن القرن التاسع عشر شهد تغييرات كثيرة في الدولة العثمانية والأقطار الخاضعة لها وبدأت هذه التغيرات بالحملة الفرنسية على مصر والتي انتهت بالفشل وخـروج الفرنسـيين من مصر سنة ١٨٠٢ . ثم ظهر محمد علي الضابط الألباني الذي جاء قائداً لإحدى كتائب الجيش العثماني القادمة لإخراج الفرنسيين من مصر . وكان يتمتع بالطموح والمقدرة ، فأقام نفسه واليا على مصر يحكم باسم السلطان العثماني ، وفي ذات الوقت أخذ يدخـل في مصر إصلاحـات على كافـة الأصعدة ، وكون جيشاً عصرياً ممتاز التدريب جيد القيادة كبير الحجم نسبياً . ونجح هذا الجيش في الحد من نشاط الحركة الوهابية في نجد والحجاز عندما كلف السلطان العثماني محمد علي بإخمادها بعد أن ظهر خطرها على السلطة .

وكان محمد علي يطمح في تكوين دولة قوية على أنقاض الدولة العثمانية فوجه جيشه بقيادة ابنه ابراهيم باشا إلى بلاد الشام وافتتحها وتوغل شمالا حتى اقترب من القسطنطينية ، فقاومته الدول وعلى رأسها بريطانيا لأنها رأت أن قيام دولة عربية موحدة قوية مع حاكم قوي يحكمها من طراز محمد علي ، يهدد أطماع بريطانيا في المنطقة . ويعتبر البعض أن حملة محمد علي ضد الدولة العثمانية واستيلاءه على بلاد الشام بداية للحركة القومية العربية رغم فشل هذه الحملة .

الجيش العربي الهاشمي

وعلى أي حال فبعد انسحاب محمد علي من بلاد الشام سنة ١٨٤٠ بسنوات قليلة ظهرت حركة القومية العربية ممثلة في الجمعية السورية سنة ١٨٤٧ . وكانت تسعى وراء إحياء التراث العربي . وأعيد تأسيس هذه الجمعية سنة ١٨٥٧ باسم الجمعية العلمية السورية وكان اعضاؤها من المسلمين والمسيحيين . وفي عهدها ازداد الاهتمام بالثقافة العربية .

أما الدولة العثمانية التي كانت تحكم الأقطار العربية في آسيا وافريقيا فقد كانت تعاني من الضعف والتفسخ بحيث فقدت كثيرا من ولاياتها العربية للدول الأوربية الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وقد بدأت هذه الدولة محاولات إصلاح ولكنها كانت متأخرة وغير فعالة بالقدر الكافي .

وفي سنة ١٨٧٦ تولى السلطان عبد الحميد الثاني حكم الدولة العثمانية وامتاز بالدهاء وحب السيطرة . وصدر في عهده الدستور . لكنه لم يلبث أن علق هذا الدستور واتجه للحكم الفردي . وفي عهده تزايد الوعي القومي العربي ، وكان ينحو منحى إسلاميا في سياسته في إدارة الدولة دون التعصب لفريق ضد آخر وقام بإصلاح الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والقدس .

ومن أبرز أحداث عهده مد خط سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة . وقد بدأ العمل فيه سنة ١٩٠١ وانتهى سنة ١٩٠٨ . ولقي تأييدا من العالم الاسلامي في مد هذا الخط الذي كان ذا فائدة دينية واقتصادية لانه ساعد في نقل الحجاج بسهولة إلى ديار الحجاز المقدسة ، كما كانت له أهمية عسكرية كبيرة لأنه كان وسيلة فعالة لنقل الجنود بسرعة إلى الحجاز ومن ثم إلى اليمن ، ولتوطيد أركان السلطة العثمانية في تلك البلاد .

كذلك فقد نشط النفوذ الألماني في الدولة العثمانية في عهد عبد الحميد وذلك بمبادأة من القيصر ولهلم (غليوم) الثاني الذي أراد منافسة بريطانيا في منطقة الشرقين الأدنى والأوسط وذلك بتقوية نفوذ ألمانيا في الدولة العثمانية من خلال المشاريع الاقتصادية ومد الطرق والسكك الحديدية وتدريب الجيش العثماني وفق الأصول الحديثة . وبالفعل أسس الخبراء العسكريون الألمان معاهد عسكرية رفيعة المستوى لتحسين نوعية القيادات في الجيش العثماني وظهر من خريجي هذه المعاهد مجموعة من الضباط الذين لم يرق لهم انفراد السلطان بالحكم ، فأسسوا جمعية تركيا الفتاة أو جمعية الاتحاد والترقي . وكان هدفهم تقليص سلطات عبد الحميد أو التخلص منه إذا رفض ذلك . ورغم وجود بعض الأعضاء العرب في هذه الجمعية السرية إلا أن غالبية أعضائها كانوا من الأتراك المتعصبين لعنصرهم التركي الطوراني والذين أرادوا تتريك الدولة شعوباً ونظاما .

وفي سنة ١٩٠٨ نجح أعضاء جمعية تركيا الفتاة في انقلاب عسكري ضد السلطان عبد الحميد وأرغموه على إعلان الدستور الذي كان قد علقه قبل ثلث قرن تقريباً . لكن الصراع على الحكم بين السلطان والاتحاديين (أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي هي جمعية تركيا الفتاة) استمر حتى خلعوا السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ .

وفي سنة ١٩٠٩ انتخب برلمان تركي افترض أنه يمثل الدولة العثمانية بكاملها . وكان مجموع أعضائه ٢٤٥ عضوا منهم ١٥٠ تركيا مع أن الأتراك كانوا ٧,٥ مليون من ٢٠ مليونا يكونون مجموع سكان الامبراطورية . وكان هناك ٦٠ عضواً عربياً فقط يمثلون ١٠,٥ مليون عربي أو نصف سكان الدولة بكاملها . فاتضحت نوايا الاتحاديين العنصرية لا سيما بعد أن منعوا تكوين الجمعيات غير التركية وأخذوا يرغمون رعاياها على الاندماج في العنصر التركي .

وكان العرب قد قاموا بتأسيس عدة جمعيات للدفاع عن حقوقهم بعضها علني مثل المنتدى الأدبي في اسطنبول وحزب اللامركزية العثماني ، لكن تطرف الاتحاديين أدى إلى نشوء جمعيات عربية سرية كان أعضاؤها من المثقفين المدنيين والعسكريين . ومن أبرزها الجمعية القحطانية التي كانت تهدف إلى تأسيس دولة عربية إلى جانب الدولة التركية على أن تخضع الدولتان لحكم السلطان العثماني على غرار حكومة النمسا والمجر أنئذ . وكان مؤسسها عزيز علي المصري من مصر . ولكنها حلت سنة ١٩١٣ خوفاً من إفشاء أسرارها والتنكيل بأعضائها إلا أنها أُنشئت من جديد بإسم جمعية العهد سنة ١٩١٤ . وهي جمعية سرية مؤلفة من الضباط فقط ، وغايتها الانفصال الكامل عن الدولة العثمانية . كما قامت في باريس (جمعية العربية الفتاة) من الشباب العرب المدنيين الذين كانوا يتابعون دراستهم في فرنسا واحتفظت بسريتها عندما انتقلت إلى بيروت سنة ١٩١٣ ثم إلى دمشق سنة ١٩١٤

كانت الحرب العالمية الأولى قد اندلعت سنة ١٩١٤ ودخلتها الدولة العثمانية ضد الحلفاء وإلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) .

في سنة ١٩١٥ وحدت جمعيتا العهد والفتاة جهودهما ، وربما رأى بعض أعضائهما أن الظرف مناسب للحصول على ما يريدون من حقوق للعرب بسبب انهماك الدولة العثمانية في الحرب وحاجتها للتماسك والهدوء والتعاون من كافة شعوبها بما فيهم العرب .

ولكن الدولة العثمانية بزعامة الاتحاديين كانت ضد كل حركة تحررية وضد كل ما هو غير تركي . وعندما شعرت بتحركات سرية قامت بالتصدي لها عن طريق الإصرار على سياسة التتريك ، وفي ذات الوقت قامت بنقل الضباط العرب إلى وحدات غير عربية ونقلت بعض التشكيلات العربية في الجيش العثماني إلى أماكن بعيدة عن وطنها .

وعندئذ رأت الجمعيات العربية خاصة العهد والفتاة أن لا مناص من الثورة . غير أن الثورة كانت بحاجة إلى دعم وقيادة وتنسيق للجهود ، وقد وجدت ضالتها في الشريف حسين بن علي امير مكة .

٢ - الشريف حسين بن علي والنهضة العربية : سنة ١٩٠٨ - سنة ١٩١٦

ينحدر الشريف حسين من السلالة النبوية ، وكان أجداده يتمتعون بمركز الشرافة أو إمارة مكة

والحجاز ويعاملون باحترام شديد . وكان شريف مكة يأتي في البروتوكول بعد السلطان مباشرة . وقد لاحظ السلطان عبد الحميد عن طريق رجاله في الحجاز أن الشريف حسين يتمتع بقدرة على التفكير المستقل ويتصف بالطموح وبُعد النظر . فوجه له الدعوة للقدوم مع عائلته إلى اسطنبول وعين عمه عبدالله بن محمد شريفا على مكة . ولدى وصول الشريف حسين إلى العاصمة التركية عين في مجلس شورى الدولة رغم أن الهدف الحقيقي من إبقائه في اسطنبول هو التخلص من أية متاعب قد يسببها للدولة ، إلا أنه عاد إلى الحجاز سنة ١٩٠٨ بعد أن عين شريفا على مكة والحجاز إثر وفاة عمه ، غير أنه اصطدم مع الاتحاديين الذي أرادوا تطبيق قانون الولايات على الحجاز والقضاء على امتيازات الشرافة . كذلك فقد اشترك الشريف حسين مع الأتراك العثمانين في قمع ثورة عسير لكن الفظائع التي ارتكبها الأتراك ضد الثوار العرب خلال تلك الحملة أغضبت الحسين الذي رأى أن لا خير يرجى منهم للعرب . وأراد الاتحاديون تنفيذ خططهم ضد الشريف فأرسلوا وهيب بك واليا على الحجاز وهو معروف بتعصبه التركي الطوراني واستعداده لظلم العرب واضطهادهم في الحجاز .

لم يقبل الشريف بتصرفات الوالي الجديد وأرسل ابنه عبدالله إلى القسطنطنية لشرح موقف الوالي الجديد المعادي للسياسة العربية في الحجاز ، وفي طريقه إلى القسطنطنية نزل الأمير عبدالله في مصر وقابل الخديوي عباس حلمي واجتمع بكتشنر المندوب السامي البريطاني في مصر أنئذ .

وفي ذات الوقت قابل أهل الحجاز الإجراءات التركية الجديدة الرامية إلى تقليص سلطات الشريف وزيادة تدخل الدولة في الحجاز بالاستنكار والتمرد . وعندئذ حاول الأتراك استرضاء الشريف الحسين فكلفوا وهيب بك بالاعتذار له .

لكن الأتراك حاولوا مد خط سكة حديد الحجاز من المدينة إلى مكة . ورفض الشريف ذلك في البداية لأن مد الخط يحول دون ارتزاق كثير من البدو بتأجير جمالهم للحجاج القادمين إلى مكة والمدينة . وأصر الأتراك على موقفهم وهددوا بعزل الشريف الذي اقترح إجراء مفاوضات حول ذلك الموضوع . إلا أن اندلاع الحرب العالمية الاولى في أواخر سنة ١٩١٤ سبب وضع المشروع على الرف .

٣ - تطور الخلاف بين الشريف حسين بن علي والدولة العثمانية وأثره على تفكير الشريف في الثورة ضد الأتراك .

خارطة ١

نصح الشريف الدولة العثمانية بعدم دخول الحرب بسبب ضعفها وفقرها الاقتصادي وكونها تحت رحمة أساطيل الحلفاء في البحر . فلم يقبل المسؤولون الاتحاديون في الدولة العثمانية نصيحة الشريف بل أنهم كلفوه بإعلان الجهاد وجمع المتطوعين . وتخلص بصعوبة وبمهارة من إعلان الجهاد

بحجة أن ذلك قد يثير الأنجليز في البحر الاحمر ويجعلهم يحاصرون شواطىء الحجاز. أما بالنسبة لدعوة الجهاد فقال إن ذلك مشروط بإعطاء الأتراك استقلالاً ذاتياً للأقطار العربية التي تقع شرقي البحر الابيض المتوسط وتضم العراق وسوريا الكبرى وشبه جزيرة العرب. فرفضوا شروطه وأصروا على أعلان الجهاد. كما أنهم أهملوا الدفاع عن الأقطار العربية بأن ركزوا معظم قواتهم في جبهة القفقاس والجبهة الغربية على الحدود بين تركيا وجيرانها في أوروبا. وقد شجع تقلص الوجود العسكري التركي العرب على الثورة.

وبدأت بريطانيا اتصالاتها مع الشريف من خلال ما يعرف بمراسلات الحسين مكماهون وفيها اشترط الحسين على الحلفاء أن يساعدوا العرب في تحقيق الحرية والاستقلال ضمن حدود واضحة تشمل بلاد الشام والعراق وشبه جزيرة العرب وذلك مقابل أن يعلن الشريف الثورة على الأتراك.

وكان جمال باشا حاكم سوريا وقائد الجيش العثماني الرابع قد قام بهجوم فاشل ضد البريطانيين في مصر، وسبب له فشله حقدا جديدا على العرب فعقد العزم على الانتقام منهم والتنكيل بهم وأخذ في إعدام رجالاتهم الوطنيين البارزين دون أن يلتفت لأثار أعماله هذه أو يعير أي اهتام لمساعي الشريف في التوسط.

وعقد الشريف حسين وأولاده مؤتمرا في الطائف في ربيع سنة ١٩١٦ لتدارس الأوضاع واتخاذ الترتيبات للقيام بالثورة، وبدأ اتصالاته عن طريق ابنه فيصل مع الوطنيين في سوريا ولا سيما أعضاء جمعيتي العهد والفتاة. وكان الاتفاق في وجهات النظر مشجعا ورأى فيه أعضاء الجمعيات العربية القائد الملائم للثورة العربية المقبلة.

في شهر أيار سنة ١٩١٦ بلغت قسوة إجراءات جمال باشا ذروتها بإعدام عدد كبير من الزعماء الوطنيين العرب في دمشق وبيروت ولم يكترث بمحاولات الشريف للتوسط. كما قام الأتراك بإرسال حملة عسكرية من ٣٥٠٠ جندي إلى الحجاز بقيادة خيري بك وشتوت زينجن بهدف الوصول إلى اليمن. لكن الشريف رأى في الحملة محاولة لتدعيم موقف الأتراك في الحجاز، فاضطر لإعلان الثورة في ٩ شعبان الموافق ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ وبدت العمليات العسكرية ضد الأتراك كما سيأتي ذكره تفصيلا.

الفصل الثاني

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها سنة ١٩١٤ - سنة ١٩١٧

٤ - الموقف السياسي وقرار إعلان الثورة العربية : سنة ١٩١٤ - سنة ١٩١٦

كان اندلاع الحرب في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٤ بين الحلفاء من جهة وألمانيا وتركيا من جهة أخرى ، عاملا مهما في إشعال الثورة العربية الكبرى ونجاحها ، حيث بدأت المنظمات العربية السرية والعلنية اتصالاتها وتوحيد جهودها من أجل استقلال الأمة العربية في سوريا والعراق وفلسطين والجزيرة العربية وضمها في دولة عربية واحدة وفي ظل حاكم عربي واحد ، وكان الأمل معقودا على الشريف حسين بن علي في الحجاز.

وفي كانون الثاني سنة ١٩١٥ بدأت المنظمات العربية في سوريا ـ كجمعيتي العربية الفتاة و العهد ـ اتصالاتها الأولية بالشريف حسين عن طريق الضابط العربي في الجيش التركي فوزي البكري الذي عين في حرس الشريف الشخصي ، وكان مطلب الزعماء العرب مدنيين وعسكريين في الجيش العثماني هو استقلال الوطن العربي في المشرق وتكوين دولة عربية واحدة تحت قيادة شريف مكة والحجاز.

ولم تسمح الظروف السياسية والتطورات العسكرية في المنطقة للشريف حسين بإعطاء رد مباشر . وبغض النظر عن تشجيع بريطانيا الخفي للشريف إلا أنه كان واقعا تحت الضغط التركي لإعلان الجهاد المقدس ضد المعتدين (الحلفاء) .

وقد ازداد إلحاح القادة الأتراك أنور باشا ، وطلعت بك وجمال باشا السفاح ـ الذي عين حاكماً عاماً لسوريا والجزيرة العربية ـ على الشريف حسين بتأييد فتوى شيخ الاسلام الصادرة في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بإعلان الجهاد من قبل السلطان خليفة المسلمين .

وأصر جمال باشا ـ بصفته قائدا للجيش التركي الرابع في دمشق ـ على تجنيد متطوعين وتكوين قوة قتال من قبائل الحجاز لتشارك في الهجوم على قناة السويس ومصر ، لكن الشريف استطاع بحنكته المعروفة التخلص من الطلب بدعوى الخوف من إثارة الأنجليز في البحر الأحمر ضد الحجاز بدون مبرر ، بينما كان الشريف في الحقيقة يقوم باتصالات سرية لجس النبض مع الإدريسي في عسير والإمام يحيى في اليمن وابن سعود وابن رشيد لمعرفة مواقفهم من الدولة التركية .

ورداً على رفض الشريف التعاون مع الأتراك وإعلان الجهاد قام الأتراك بوضع الخطط لاغتياله وإنهاء عهد الشرافة في الحجاز ، فأوكلت المهمة إلى وهيب بك وإلى الحجاز .

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

أرسل الشريف ابنه فيصل ألى القسطنطينية للاحتجاج ثانية على تصرفات الوالي التركي في الحجاز لدى الحكومة التركية في الأستانة بينما كانت المهمة الحقيقية الموكولة إليه هي الاتصال بالزعماء العرب في سوريا . وعندما وصل الأمير فيصل دمشق في ٢٦ آذار سنة ١٩١٥ استقبله جمال باشا استقبالاً حاراً . وفي هذه الرحلة أجرى أول اتصال مع جمعيتي العربية الفتاة والعهد حيث اطلع على خططهما وأهدافهما السرية التي وضعت قبل أشهر وتتلخص في القرار التالي : « نتيجة لاشتراك تركيا في الحرب ، أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرضاً لمخاطر شديدة ، والواجب هو بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها . كما تقرر أنه إذا تحقق أن للدول الأوروبية مطامع في هذه البلاد فإن الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركيا من أجل مقاومة التدخل الأجنبي مهما تكن صورته » .

وقد وجد الأمير فيصل في دمشق وجهات نظر مؤيدة لوجهة نظر الشريف حسين في الخلاص من تركيا وايجاد دولة عربية مستقلة ، مع تخوف الكل من خطط الحلفاء فيما يخص الولايات العربية الخاضعة لتركيا خاصة في المشرق العربي ، هذا التخوف الذي أثبت التاريخ صحته بعد انتهاء الحرب وهزيمة تركيا .

وصل الأمير فيصل اسطنبول في ٢٣ نيسان سنة ١٩١٥ واستقبله الصدر الأعظم والوزراء طلعت بك وأنور باشا كما استقبله السلطان أيضاً ، وبدوا متعاطفين مع شكوى الشريف ضد الوالي في الحجاز وأبلغوا فيصل أن تأييد والده لدعوى الجهاد سيكون له آثار طيبة . وبالمقابل فإن وهيب بك لن يعود للحجاز وسيعين وال جديد من أول واجباته التعاون مع الشريف ، وأن جميع القضايا ستحل حسب رغبته إذا ما أرسل المتطوعين وشارك في الحرب لجانب تركيا .

عاد الأمير فيصل الى دمشق في ٢٣ أيار سنة ١٩١٥ حيث التقى ثانية ببعض أعضاء جمعيتي العربية الفتاة والعهد واطلع على نص القرارات التي اتخذوها وطلبوا منه تقديمها لوالده ليقدمها كشروط للعرب من أجل التعاون مع بريطانيا ودخول الحرب إلى جانبها ضد تركيا ، ونصت على ما يلي :

أولاً : اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية :

شمالاً خط مرسين ـ اضنة ـ إلى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالا ثم على امتداد خط بيريجيك ـ اورفة ـ ماردين ـ مديات ـ جزيرة بن عمرو ـ العمادية إلى حدود ايران ،

شرقاً على امتداد حدود ايران إلى الخليج العربي جنوباً .

جنوباً المحيط الهندي (باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو) .

غرباً على امتداد البحر الأحمر ـ البحر الأبيض المتوسط إلى مرسين .

ثانياً : إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية .

ثالثاً : عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة .

رابعاً : تقديم بريطانيا العظمى وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية[1] .

كانت الفرقة العربية ٢٥ المتمركزة في سوريا من ضمن القوة التي أسند لها دور في الخطة عند إعلان الثورة في سوريا ، إلا أن جمال باشا السفاح أرسلها إلى غاليبولي لقتال الحلفاء وجلب بدلاً منها قوات تركية كجزء من خطته في إبعاد القوات العربية عن الأرض العربية وتشتيت شمل الضباط العرب خشية الثورة .

خلال هذه الفترة بدأت الحكومة البريطانية محاولاتها في إبطال دعوى الجهاد التي أعلنت من قبل الحكومة التركية بكسب الشريف حسين إلى جانب الحلفاء . وأُنيطت المهمة بالمندوب السامي البريطاني في مصر (هنري مكماهون) .

وفي حزيران سنة ١٩١٥ بدأت المعلومات تتسرب إلى جمال باشا ، عن الجمعيات العربية والاتصالات العربية ببعض قناصل الدول المعادية (فرنسا وبريطانيا) فقام بحملة غاضبة ضد المواطنين العرب أعدم نتيجتها ١١ عربيا في ١١ آب سنة ١٩١٥ ، ونقل القوات التي تضم في غالبيتها ضباطا عربا ـ معظمهم أعضاء في جمعية العهد ـ إلى خارج سوريا .

وفي كانون الثاني سنة ١٩١٦ قام الأمير فيصل بزيارة إلى دمشق ، ظاهريا لبحث خطط إرسال المتطوعين من الحجاز في حملة جمال باشا السفاح على مصر ، وسريا لبحث التفاصيل الأخيرة لإعلان الثورة مع أعضاء الجمعيات العربية هناك .

فوجد الأمير فيصل أن الامور في سوريا قد تغيرت كثيراً ، إذ تم نقل الفرقة العربية ـ عماد الخطة ـ من سوريا ، وأعدم جمال باشا السفاح الكثيرين من أحرار العرب دون روية ، ونكل بالمواطنين دون التحقق من الجرائم التي نسبت اليهم ، مما أثار الرعب والتشاؤم في كل مكان ، وحتى تدخل الشريف حسين لدى السلطان ووزرائه للعفو عن المحكومين لم يجد نفعاً مع جمال باشا السفاح .

نزعت تلك الأعمال الوحشية والفظائع التي ارتكبها السفاح بقية الإخلاص والولاء الذي كان يكنه بعض العرب للأتراك . بل جعلت كل رجل وامرأة وطفل عربي ينظر إليهم نظرة الحقد والاشمئزاز ، وكانت صيحة الأمير فيصل المشهورة عندما علم بإعدام الأحرار وهو في منزل آل البكري حيث ألقى عقاله على الأرض وصاح قائلاً « طاب الموت يا عرب » ، مثالاً على رفض الأمة العربية لتلك الأعمال .

كان لأعمال الشنق التي ارتكبها جمال باشا ووصول القوة التي بلغت ٣٥٠٠ جندي بقيادة خيري بك ترافقه بعثة ألمانية يقودها البارون (اوثيارفون ستوتزنجن) إلى الحجاز ، أثر كبير على قرار الشريف حسين في بدء الثورة . فلو قدّر لهذه القوة التركية المنتقاة أن تتجاوز المدينة لكانت

(١) « يقظة العرب » تأليف جورج انطونيوس ، ترجمة د . ناصر الدين الاسد ـ د . إحسان عباس ص . طبعة لندن سنة ١٩٣٨ باللغة الانجليزية .

قادرة على إجهاض الثورة العربية والقضاء عليها في مهدها . لهذا أصدر الشريف حسين أمرا لنجله الأمير علي الذي كان يقود القوات العربية في المدينة أن يراقب خيري بك ويمنع حركته خارج المدينة مستخدما القوة إذا دعت الضرورة . وفي تلك الأثناء في ١٢ شباط سنة ١٩١٦ تسلم الشريف حسين آخر رسالة من السير هنري مكماهون يعد فيها بتأييد استقلال العرب والثورة العربية . وبناء على طلب الشريف حسين أرسلت شحنة ضئيلة من الأسلحة والذخيرة القديمة من قبل الجنرال السير ريجنالد وينجيت من السودان إلى الحجاز . وفي ١٦ أيار سنة ١٩١٦ عاد فيصل من سوريا بحجة مرافقة المتطوعين للحرب في الجبهة المصرية مع جمال باشا ، وبعد أن وصل الحجاز في ٢٤ أيار أصدر الشريف حسين تعليماته النهائية للثورة .

وفي ٥ حزيران سنة ١٩١٦ ركب الأمير علي والأمير فيصل إلى قبر حمزة (رضي الله عنه) قرب المدينة حيث كان ١٥٠٠ من نواة الجيش العربي الهاشمي يرفعون علم الثورة في المعسكر .

٥ - مفهوم الشريف حسين الاستراتيجي للثورة العربية

اعتمد الشريف حسين على استراتيجية «الهجوم غير المباشر» التي تتناسب مع أساليب المقاتل العربي والنفسية العربية آنذاك ، حيث أن معظم قواته كانت غير نظامية والحرب أشبه بالحرب الشعبية . كما أن مفهومه يتناسب مع نفسية الأتراك وقوتهم أيضا ، فالجندي التركي شجاع ومدافع عنيد وأفضل سبيل لدحره ايقاعه في حيرة وتخبط وإبقائه جاهلاً لجهة الخطر وقوة التهديد ، لذلك لجأ الشريف إلى استخدام العمل السياسي إلى جانب القوة المسلحة المحدودة .

ونظرا لقلة قوات الثورة النظامية ، اعتمدت في قتالها على الغارات المفاجئة وتدمير خطوط العدو والعمل بمبدأ حرب العصابات الذي يشبه المقاتل بالسمكة ، والمساندة الشعبية بالماء ، فطالما لقي المقاتل الدعم من الشعب يبقى حيا «كالسمكة في الماء» . ومن تجربة الشريف حسين العملية وصلته الوثيقة بالسلطان عبد الحميد وتعامله مع الأتراك من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩٠٨ عرف كيف يقدر خطر الأتراك الحقيقي ويقرر المفهوم الاستراتيجي لقتالهم آخذا بعين الاعتبار نوعية المقاتل العربي في سوريا والعراق وبطاح مكة وجبال اليمن وعسير .

وقد وضح الشريف مفهومه الاستراتيجي الذي وضعه من أجل الثورة العربية الكبرى ، إلى جورج انطونيوس في غور نمرين في وادي الأردن عام ١٩٢٤ فأورده الأخير في كتابه قائلا : « كانت استراتيجية الشريف مبنية على العامل النفسي الذي يشمل الأخلاق والمعنويات والعقيدة، وكان لها كلها دور فعال في نفسية المقاتل ، بينما اعتبر عامل المعدات الذي يشمل السلاح والعتاد وغيره عاملا ثابتا إذا امتلكه الطرفان بنفس الكمية والكيفية تقريبا اختزل نفسه ولم يعد مهما إلى جانب الإرادة والتصميم على القتال والايمان بالهدف . بالإضافة إلى أنه يعرف حقيقة الجندي

التركي الذي يخشى المغامرة والمجهول ، وتشله المفاجأة والأعمال غير المتوقعة . والحرب الشعبية خير وسيلة لشل قواه العقلية وإرباكه والقضاء عليه . لذلك كان من الصعب مهاجمة الأتراك وجاهيا فهم صامدون كالسد المنيع ، ولكنهم لايتحملون المفاجأة والأساليب غير المتوقعة بعد أن اعتادوا قرونا طويلة على الحرب التقليدية » . ولهذا طلب الشريف حسين من الحلفاء إنزال قواتهم على شواطىء سوريا في خليج الاسكندورنة ليوقع الأتراك بين فكي الكماشة المكونة من قوات الحلفاء في الشمال والقوات العربية في الجنوب والشرق .

ولكن الحلفاء لم يأخذوا بنصيحة الشريف حسين ، فبدلاً من النزول على سواحل سوريا نزلت قواتهم في غاليبولي عام ١٩١٥ فهزمت وتكبدوا خسائر فادحة بالإضافة لخسائرهم في العراق وفلسطين . ولولا تفوق اللنبي الساحق بنسبة ٨ : ١ تقريباً في معركة (مجدو) عام ١٩١٨ لما استطاعت قوات الحلفاء أن تفعل شيئاً ضد صمود الأتراك وعنادهم » .

وبصرف النظر عن الاختلاف الواضح بين استراتيجية الثورة العربية والاستراتيجية البريطانية وسوء التخطيط الذي رافقها ، فقد وضع الشريف حسين الأساس المتين لمفهوم الحرب الشعبية التي أصبحت مبدأ من مبادىء ماوتسي تونغ في الحرب الشعبية التي تعتبر العوامل النفسية والفكرية والتصميم والإرادة اهم من الأسلحة والمعدات ، وقد اعتمدت حركات التحرير في آسيا وافريقيا هذا المفهوم في حروبها التحريرية . وعندما طلب الشريف حسين من الحلفاء إنزالاً بحريا على شواطىء سوريا كان يهدف إلى توقيت الإنزال مع ثورة الشعب العربي في سوريا والعراق والجزيرة العربية إلا أن الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) لم يفعلوا ذلك لاختلاف الأهداف فيما بينهم من جهة ، واختلاف أهدافهم عن أهداف الثورة العربية الكبرى من جهة اخرى .

كان الوضع مناسبا للثورة في نيسان ١٩١٥ ، حيث كانت الفرق العسكرية التركية المؤلفة في معظمها من العرب ترابط في سوريا . وكان قسم كبير من ضباطها أعضاء في جمعية العهد ينتظرون الإشارة من قادتهم لبدء الثورة . ولكن تردد الحلفاء وتشككهم في مدى نجاح الثورة والخوف من تطويرها في غير صالحهم ـ إذا نجحت ـ حال دون اغتنام الفرصة السانحة .

في تلك الفترة كانت بريطانيا لا تزال مترددة في إعلان مساندتها للثورة العربية مع أن ميثاق دمشق الذي وضعته جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد كان يؤيد عقد معاهدة دفاعية مع بريطانيا مقابل تعهدها بمساعدة الثورة وضمان استقلال الوطن العربي . وخلافا لنصيحة الشريف حسين نزلت قوات الحلفاء في غاليبولي في ٢٥ نيسان ١٩١٥ بنحو نصف مليون جندي حيث انتهت المعركة بالهزيمة وخسائر تزيد على ربع مليون نسمة وإخلاء الدردنيل من قوات ايان هملتون خبير حرب البوير المشهور .

رفض مشروع غزو خليج الاسكندرونة الذي قدمه الشريف حسين رغم أنه نوقش من قبل الجنرال مكسويل واللورد كيتشنر في كانون اول ١٩١٤ . وعشية إخلاء قوات الحلفاء من غاليبولي

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

في ١٨ كانون الاول سنة ١٩١٥ ، وأثناء زيارة وزير الحربية اللورد كيتشنر للموقع أثير موضوع الإنزال في خليج الاسكندرونة إلا أن لجنة الحرب عارضته ووضعته على الرف حتى انتهاء الحرب رغم مساندة السير شارلز مونرو والجنرال مكسويل والسير هنري مكماهون له .

وقد كرر الأتراك أنفسهم القول : بأنه لو جرى الإنزال في الاسكندرونة لفصلت الولايات العربية عن جسم الامبراطورية العثمانية وأصبح موقف الجيوش العثمانية التي تقاتل في البلاد العربية حرجا جدا . ونتيجة لرفض استراتيجية الشريف حسين كان على القوات العربية أن تنسق خططها لتتلاءم مع استراتيجية القوات البريطانية في العمليات والإدارة لمدة ثلاث سنوات من القتال المستمر فتحرر دمشق وحلب في الشمال .

بالنسبة للمفهوم السياسي لاستراتيجية تحرير الأرض العربية من الدولة العثمانية برز اتجاهان مختلفان . وكان الاختلاف في المراحل الأولى فقط كما يتضح من المبررات التالية :

الاتجاه الأول : كان يتبناه الأمير فيصل بن الحسين ويتلخص في الوقوف إلى جانب الأتراك في الحرب والطلب إليهم الاعتراف بحق العرب في الاستقلال . وحجة الأمير فيصل في ذلك أن الحلفاء لايرغبون في مساعدة العرب في الاستقلال بل أنهم يسعون لتحقيق أطماع كل من فرنسا في سوريا وبريطانيا في فلسطين والعراق ، كما أن وعد بريطانيا باستقلال العرب بعد هزيمة تركيا غير كاف ولم يتضمن تأكيدا بتحقيق ميثاق دمشق ، يضاف إلى ذلك إلى أن العرب لم يكونوا مستعدين للثورة بعد ، وفي حال فشل الثورة سيكون انتقام الاتراك وحشياً وسريعاً كما حدث للثورة في اليمن وعسير .

الاتجاه الثاني : الذي يدعو الثورة العربية إلى التفاوض مع بريطانيا ويتبناه الأمير عبدالله بن الحسين الذي كان عضواً في مجلس المبعوثان التركي وعلى اطلاع شخصي على أسرار الجمعيات السرية ومتفهماً للمحاور السياسية ودهاليزها المختلفة . وكان واثقاً من استجابة دمشق وبغداد لنداء الثورة . كما كان الامير مؤمناً بأن الاستقلال عن تركيا لن يتحقق إلا بحد السيف ، سواء بمساعدة بريطانيا أو بدونها .

وعندما درس الشريف حسين كلا الاحتمالين وحللهما تحليلا جيداً قرر أن يأخذ حلاً وسطاً بينهما ، أي احتمالاً ثالثاً ؛ فأرسل البعثات إلى سوريا والعراق ومختلف المناطق العربية المتأثرة ليستطلع رأيها في الثورة ، وأبقى الباب مفتوحا مع البريطانيين حيث أعطى اللورد كيتشنر أملاً بالتعاون ، أي أن الشريف حسين تبنى الدبلوماسية والحرب معاً .

لم يكن القرار سهلا على الشريف لأنه يثير غضب الشعوب المسلمة من غير العرب ضد الثورة ويزج بالعرب غير المدربين وغير المسلحين تسليحا جيدا ضد القوات التركية المنظمة والمسلحة بالأسلحة الحديثة فيسفح الدم العربي من أجل مصالح الحلفاء أو في ثورة غير مدروسة لايكتب لها

النجاح ، فيزيد الأمة العربية ألماً ومعاناة وسوء مصير . لذلك درس كل الاحتمالات دراسة تحليلية وافية واستطلع رأي كل حصيف ، ثم اتخذ القرار بإعلان الثورة .

قبل دراسة سير العمليات التي قام بها الجيش العربي الهاشمي في الحجاز وشرق الأردن وسوريا من حزيران سنة ١٩١٦ إلى تشرين الثاني سنة ١٩١٨ يجدر بنا إلقاء نظرة فاحصة على تأثير الثورة العربية على استراتيجية الحلفاء في مسرح العمليات . ومع أن الولايات العربية كانت في المرتبة الثانية بالنسبة لاهتمامات شباب الترك إلا أن الثورة العربية حرمت الأتراك وحلفاءهم الألمان من الوصول إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي . وبعد توقيع الاتفاقيات بين حكومة الهند وابن سعود والادريسي أصبحت الطرق البحرية من البحر الاحمر عبر المحيط الهندي وإلى الخليج العربي بعيدة عن تدخل الأتراك والألمان .

وكان الدفاع عن قناة السويس والطرق البحرية عبر المحيط الهندي إلى الهند يشكل حجر الزاوية في السياسة البريطانية لجنوب آسيا ، تلك الحقيقة التي غابت عن أذهان مخططي السياسة التركية . فقد استولت الفكرة الطورانية على شباب الترك وطغت عملية الاستيلاء عل القفقاس على تفكيرهم . فضيعوا فرصة ذهبية في ضرب مصالح بريطانيا والسيطرة على الجسر الذي يربطها بامبراطوريتها في الهند ومستعمراتها في الشرق .

في البر نجحت الثورة العربية في إبطال مفعول ما يقارب ٤٠,٠٠٠ جندي من خيرة القوات التركية ، الذين لولا الثورة العربية لقاتلوا في فلسطين أو سيناء ولغير وجودهم هناك سير العمليات الحربية وشكل تهديدا خطيرا لقناة السويس مقارنة مع ما قدمته القوات التركية التي تزيد عن ٣٥٠٠ جندي بقيادة فون كرسنشتين في إعاقة القوات البريطانية الشرقية بقيادة موري من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٦ .

ومع أن الشريف حسين لم يكن خبيرا عسكريا أو صاحب نظريات في الحرب إلا أن تقديره لمتطلبات المعركة ومفهومه الاستراتيجي لها وتحليله لمسرح العمليات كان منطقيا وواقعيا أيدته الأحداث فيما بعد .

بنى الشريف مفهومه الاستراتيجي للثورة على نفسية الجيش التركي ، وعلى نقاط القوة والضعف فيه وفي الجانب العربي ، وعلى الظروف المحلية والدولية والبيئة التي ستقاتل فيها قوات الثورة والقوات التركية . ولم يهمل عوامل الطقس والمناخ ، ودعم الحلفاء ، حتى أن الوقت الذي اختاره لبدء الثورة (الصيف الحار) حيث تكون القوات التركية في مصيفها في الطائف ـ كما اعتادت أن تفعل كل سنة ـ وقدرة القوات العربية الخفيفة التي تعتمد على الكمائن والإغارة والمفاجأة في الزمان والمكان تم حسابها بدقة . كذلك ركز على حصار القوات التركية المعزولة أحيانا وضرب سكة الحديد وتعطيلها في النقاط الحرجة مما يعيق عمل القوات التركية ويبطل مفعولها ويتركها عرضة للفوضى والقلق والترقب مشلولة بخوف من هجوم مباغت يأخذها على حين غرة .

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

في التحليل النهائي للعمليات أثبتت الأحداث أن الخط الحديدي الحجازي كان بمثابة منطقة تقتيل لقوات القتال التركية في الحجاز وللجيش التركي الرابع في شرق الأردن . فقد التصقت به كالذباب في المصيدة حيث تحددت مناورتها بسكة الحديد ، فأصبحت فريسة للقوات الهاشمية طيلة مدة الحرب . وكان البرهان على استراتيجية الشريف حسين الناجحة هو استسلام القوات التركية التي تزيد على ٢٠,٠٠٠ في المدينة المنورة والعلا وتبوك لجيش الأمير عبدالله الشرقي في كانون الثاني سنة ١٩١٩ ، يضاف اليهم ٤٠٠٠ جندي من الفيلق الثاني التابع لقيادة معان ـ القطرانة التي تعرضت لحرب الاستنزاف والإنهاك من قبل الجيش الهاشمي بقيادة الأمير فيصل من صيف عام ١٩١٧ إلى شتاء عام ١٩١٨ ، واستسلمت إلى قوات تشيتور في الجيزة ـ ١٨ ميلا جنوب عمان ـ في ٢٩ أيلول سنة ١٩١٨ . كما أنهك الجيش العربي الهاشمي بقايا الجيش التركي الرابع بقيادة جمال باشا الذي كان في عمان يحاول ـ عبثا ـ حماية انسحاب الفيلق التركي الثاني من معان وقد طاردته طلائع الجيش الهاشمي بقيادة الأمير فيصل وقطعت عليه طريق التراجع إلى دمشق .

٦ - مرحلة الحرب المتحركة ، عمليات الجيش العربي الهاشمي في الحجاز من حزيران سنة ١٩١٦ إلى تموز سنة ١٩١٧

مواقع الجيش التركي من الربيع حتى الصيف سنة ١٩١٦ — خارطه ٢

كان الموقف الاستراتيجي في ربيع عام ١٩١٦ يميل بشكل عام لصالح الأتراك باستثناء جبهة القفقاس الحرجة ، فقد ألحقت القوات التركية هزيمة ساحقة بقوات الحلفاء المسماة بحملة البحر الأبيض المتوسط والتي أنزلت في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٥ وفقد الحلفاء هيبتهم واضطروا إلى التراجع إلى مصر في ١٨ كانون الأول سنة ١٩١٥ . وفي مصر ورغم دحر قوات جمال باشا على قناة السويس في شباط سنة ١٩١٥ بقيت القوات البريطانية متخاذلة في مواقعها الدفاعية إلى أن زحفت ببطء مجتازة قناة السويس إلى الضفة الشرقية في نيسان سنة ١٩١٦ واحتلت واحة « قاطية » على بعد عشرة أميال فقط من القناة ، ولم تجر تماسا مع القوات التركية في غزة إلا عندما تقدمت قوات « دوبل » الحذرة في شباط سنة ١٩١٧ . فقد فشلت القوات البريطانية في الاستيلاء على غزة في آذار سنة ١٩١٧ رغم أن صغر حجم القوة التركية التي تدافع عنها . كما فشل الجنرال دوبل في معركة غزة الثانية التي جرت تحت توجيه القائد العام للقوات البريطانية في مصر الجنرال السير ارشيبالد موري في نيسان سنة ١٩١٧ رغم تفوق الأنجليز على الأتراك بنسبة ٢ إلى ١ . وقد شهدت المعركة الثانية فشل الجنرال دوبل ورحيله عن مصر . وبقي الأتراك في غزة إلى أن تسلم قيادة القوات البريطانية الجنرال اللنبي واستولى عليها في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ .

أما في العراق فقد استسلم الجنرال تاونسند بالفرقة البريطانية ٦ عند كوت العمارة في ٢٩ نيسان ١٩١٦ رغم المحاولات اليائسة التي بذلتها القوات البريطانية (فيلق دجلة) بقيادة ايلمر وجورنغ لفك الحصار عنها .

كما كانت قوة بريطانية أخرى تقدر بفرقة ونصف مشتبكة في قتال لا جدوى منه ضد « السنوسي » في الواحات الغربية قرب سيرنايكا (Cyrenaica) وضد سلطان دارفور في وسط السودان . أما في الجنوب فقد اندفعت القوات التركية من اليمن واحتلت مشارف محمية عدن والشيخ سعد وبقيت تحاصر عدن حتى إعلان الهدنة في نهاية الحرب .

كان عام ١٩١٦ عاما سيئا للحلفاء حيث لحقت بهم هزائم منكرة على معظم الجبهات وهبطت سمعتهم إلى الحضيض ، إلا أن الأتراك أيضا عانوا نكسات خطيرة في جبهة القفقاس مع روسيا .

وفي صيف ١٩١٦ أعيد تجميع ثلاثة من الجيوش التركية الثمانية تحت اسم «مجموعة جيوش القفقاس» بعد أن عززت بالجيش التركي الثاني ، ولم يبق في تراقيا سوى الجيشين الأول والخامس ، أما الجيش التركي السادس فقد كان يدافع في العراق في مواجهة قوة القتال البريطانية (MEF) ، والجيش التركي الرابع في سوريا والأردن وقيادته في دمشق ، والفيلق التركي الثامن في بئر السبع بالإضافة إلى مفرزة متقدمة في سيناء ، وكان الفيلق التركي السادس متمركزاً في الاسكندرونة لمنع الحلفاء من النزول في خليج الاسكندرونة . أما في الجزيرة العربية فقد تمركزت أربع فرق تركية : الفرقة ٢٢ في الحجاز وقيادتها في المدينة المنورة ، والفرقة ٢١ في عسير وقيادتها في « أبها » ، والفيلق التركي السابع في « اليمن » ويتألف من الفرقة ٣٩ والفرقة ٤٠ وقيادته في صنعاء . وفي أواخر نيسان ١٩١٦ وصلت قوة تزيد على ٣٥٠٠ من خيرة القوات التركية بقيادة خيري بك إلى المدينة المنورة ترافقها بعثة ألمانية بقيادة شتوتزنجن معززة الحامية بما يعادل ثلث قوتها السابقة تقريباً .

وفي ربيع ١٩١٦ كانت القوات التركية الموزعة جنوب جبال طوروس في البلاد العربية تبلغ حسب تقديرات الحلفاء ما بين ٤٠,٠٠٠-٦٠,٠٠٠ منها ١٥,٠٠٠-٢٠,٠٠٠ في اليمن وعسير والحجاز . ولحسن حظ الثورة العربية أن اهتمام الأتراك كان موجها نحو جبهة القفقاس عند بداية الثورة لذلك لم يرسلوا خلال ربيع وصيف ١٩١٦ أية تعزيزات لسوريا أو الجزيرة العربية .

في نيسان ١٩١٦ كانت قوات القتال البريطانية في مصر (EEF) بما فيها الاحتياط الاستراتيجي تقارب ٢٧٥,٠٠٠ . وعندما بدأت الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ كانت القوات التركية المؤلفة من الفرقتين ٢١ و٢٢ في الحجاز وعسير تزيد على ١٥,٠٠٠ ، بينما بلغت قوات الشريف حسين المسلحة بالبنادق نحو ٦٠٠٠ مقاتل يدعمهم ما بين ٣٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠ من رجال القبائل غير المدربين وغير المسلحين تسليحا جيداً . كذلك لم يكن لدى الشريف حسين مدفعية أو أسلحة رشاشة ، بل أن معظم أسلحة القبائل من البنادق القديمة التي لا تتوافر لها الذخيرة الكافية . وكان

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

قسم كبير من جيش الشريف حسين قد حارب مع الجيش العثماني في إخماد الثورات في عسير والحجاز .

مفهـوم العمليـات

عند صياغة المفهوم الاستراتيجي للثورة الذي وضعه الشريف حسين بن علي لتحقيق الهـدف السياسي الأعلى من خلال عمليات الجيش الهاشمي وضع في حسابه الأمور التالية : بالإضافة للأهمية الدينية والسياسية للمدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، فقد درس العوامل التي تؤثر على سير العمليات في منطقة الحجاز وهي : (١) منطقة العمليات (الارض) وطبيعتها التي تناسب عمل القوات العربية اكثر من القوات التركية في اساليب الحرب الشعبية . (٢) طرق المواصلات والمناطق الحيوية في مسرح العمليات . (٣) وسائل المواصلات والاتصـالات وأهمية السيطرة عليها . (٤) حالة الجيش العثماني النفسية . (٥) القوات العربية النظامية وغير النظامية من حيث تدريبها وتسليحها واستعدادها للقتال .

أما منطقة العمليات في الحجاز فتقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية : الأولى ساحل البحر الاحمر الضيق . والثانية شرقي الساحل مباشرة وهي سلسلة الجبال البركانية (الحرة) الجرداء الممتدة من مرتفعات العقبة في الشمال على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم وتستمر جنوبا إلى أن تبلغ ١٢,٠٠٠ قدما في جبال عسير واليمن في الجزء الجنوبي والشرقي للهضبة . وإلى الشرق منها تقع المنطقة الثالثة وهي سلسلة الجبال التي تنحدر سفوحها إلى وسط الجزيرة العربية ، حيث صحـراء النفـود في نجـد الوسطى . ويبلغ اتساع الساحل ما بين ٥-١٥ ميلا ويتخلله بعض الواحات التي تقع على جوانب الأودية التي تتجمع من سلسلة جبال الشفا وحرّة العُويرض وتصب في البحر الأحمر . وتكمن أهمية سلسلة الجبال في سيطرتها على الساحل وتحديد الممرات المتجهة من داخل الجزيرة إلى البحـر الاحمر .

ويمتاز ساحل البحر الاحمر الشرقي بكثرة موانىء الصيد التي تمتد من المويلح وضبا في الشمال إلى الوجه وأملج وينبع البحر ورابغ وجدة في الحجاز ، ثم الليث والقنفذة في تهامة في الجنوب وتسيطر عليها سلسلة جبال عسير الممتدة شرقا بطول ٦٠ ميلا وعلى ارتفاع ٨٠٠٠ قدم . وتبلغ المسافة بواسطة البحر من ميناء جدة الرئيسي في وسط الحجاز إلى رابغ ١٠٠ ميل ، وينبع البحر ٢٠٠ ميل ، وأملج ٣٠٠ ميل ، والوجه ٤٠٠ ميل ، وضبا ٤٨٠ ميلا ثم المويلح في الشمال ٥٠٠ ميل . أما ميناء العقبة على رأس الخليج فيبعد ٦٠٠ ميل إلى الشمال من جدة ، وفي الجنوب يقع ميناء الليث وميناء القنفذة في تهامة على بعد ١٠٠ و ٢٠٠ ميل على التوالي من جدة .

وإذا قيست المسافة بين جدة والعقبة (البوابة البحرية إلى شرق الأردن وسوريا) فإنها تقدر بأربعة أيام إبحار من جدة .

وإلى الشرق من الساحل الضيق في مدين تمتد سلسلة جبال الشفا ، وإلى الجنوب من خليج العقبة وغرب تبوك ترتفع السلسلة إلى ٧٠٠٠ قدم وتنحدر شرقا إلى أن تصل إلى ٢٥٠٠ قدم في منطقة تبوك . وفي الحجاز ـ حيث حرة العويرض ـ تنتشر الحرة السوداء والتلال البركانية على منطقة عرضها حوالي ٨٠ ميلا وتمتد جنوبا إلى المدينة ومكة قبل أن ترتفع تدريجيا إلى ٨٠٠٠ قدم أو أكثر في جبال عسير شرق مكة . ومن بطاح مكة الحارة ترتفع سلسلة جبال عسير عموديا إلى ٧٠٠٠ قدم عن سطح البحر حيث تتربع على سطحها العاصمة الصيفية (الطائف) .

وتكمن أهمية سلسلة الجبال الغربية الممتدة من الشمال إلى الجنوب في أنها تفصل بين السهل الساحلي والداخل وتحدد جميع المحاور (المقتربات) القادمة من وإلى البحر الاحمر والمدن المقدسة مكة والمدينة وكذلك إلى مقاطعة نجد في وسط الجزيرة .

جميع المقتربات (المحاور) التي تربط مكة بجدة ورابغ بالمدينة وينبع البحر بالمدينة تمر عبر سلسلة التلال عند بدر حنين على بعد ٦٥ ميلا من رابغ ، و ٦٠ ميلا من ينبع البحر ، وحوالي ٢٠ ميلا من الرأس الأبيض على الساحل بعد اجتياز ما يقارب ٨٠ ميلا من الأرض الجبلية الصعبة حيث يدخل الطريق الرئيسي وادي الواحات مارا بالعليا ووسطى ووسيطى والحمراء والصفراء والمسيجيد إلى بيار علي ثم يتفرع منه طريق فرعي يتجه إلى حفرة الماء عند بئر الماشي . ثم يستمر في ظل القمم الجبلية التي ترتفع حوالي ٦٠٠٠ قدم عند ينبع النخل وجبل الصبح ، وبعدها يسير الطريق حوالي خمسة أميال متحررا من التلال حيث يدخل أرض المدينة المنورة التي ترتفع حوالي ٢٠٠٠ قدم .

لابد لأية قوة متقدمة على المدينة من ينبع أو مكة أو جدة أو رابغ أن تجتاز حوال ٨٠ ميلا من المنطقة الجبلية من واحة بدر حنين على الطرف الغربي ، إلى هضبة المدينة عند مضائق بدر ـ المدينة في الطرف الشرقي . وليس مستغربا أن تكون بدر موقعا لأولى المعارك الاسلامية عندما حاولت قوة المسلمين وتقدر بنحو ٣١٤ مجاهدا اعتراض قافلة لقريش كانت قادمة من الشام بزعامة أبي سفيان ، فجهز كفار قريش ١٠٠٠ مقاتل لقتال المسلمين حيث استطاع أبو سفيان التسلل من بدر حنين سالكا طريق الساحل ، الأمر الذي لم يمنع المسلمين من تحقيق أول انتصار على جيش الكفار في معركة بدر المشهورة .

كذلك فإن الحرة وسلسلة التلال الصخرية تحد من أي حركة بين ساحل البحر والهضبة الداخلية ماعدا بعض الوديان والواحات التي تشكل بعض الطرق المتشعبة بين الصخور البركانية ، وهناك ثلاثة ممرات رئيسية عرضانية تجتاز سلسلة التلال الصخرية هي :

(١) طريق الوجه ـ جيدة ـ العلا وطولها ١٢٠ ميلا .

(٢) طريق ينبع البحر ـ المدرج ـ خيبر وطولها ١٠٠ ميل .

(٣) الطريق الرئيسي العرضاني ينبع البحر ـ بدر حنين ـ المدينة وطولها ١٤٠ ميلا .

أما سلسلة الجبال التي تمتد شمالا ـ جنوبا باتساع ١٠٠ ميل عبر مدين ـ الحجاز ومنطقة عسير ، فتنحدر تدريجيا نحو الشرق تغطيها الشجيرات الشوكية والأحجار الصوانية مكونة هضبة الجزيرة الوسطى التي تنتشر في أرض الجزيرة فوق صحراء رملية تعرف في بعض أجزائها بصحراء النفود .

خارطة ٣

كان خط سكة حديد الحجاز يسير من معان إلى المدينة على الطرف الغربي للهضبة في ظل سلسلة الجبال الممتدة من الشمال حتى الجنوب مكونا خطا فاصلا بين الجبال والهضاب من جهة والصحراء من جهة اخرى . وتكون سكة حديد الحجاز حدا فاصلا بين الصحراء والمناطق الزراعية من حلب إلى معان ، كما أن المحطات الرئيسية على طول الخط مثل تبوك ـ مداين صالح ـ العلا تلتزم جانب الوديان التي تجري مع الطرف الشرقي لسلسلة الجبال الغربية وفي هذه المحطات التي يتزود القطار منها بالماء تمركزت القوات التركية للدفاع عن الخط من معان إلى المدينة المنورة .

وهكذا فإن أرض العمليات في منطقة الحجاز تحد من أية حركة عبر سلسلة الجبال الممتدة من العقبة إلى عسير بالطرق العرضية من موانىء البحر الأحمر وإلى الداخل ، ولا يوجد طرق أخرى تتوفر لها مصادر ماء كافية لتستوعب عمليات عسكرية كبيرة حيث أن قدرة الخط الحديدي الحجازي على الاستيعاب تحددها عوامل كثيرة ، كما أن موانىء الصيد الساحلية التي كانت تقع على الخط من معان للمدينة كانت إذا دعت الحاجة تستعمل كقواعد إدارية للتزويد ومواطىء قدم لعمليات تعبوية كبيرة الحجم نسبيا ضد الخط الحديدي الحجازي وإلى مسافة ١٠٠ ميل شرقا في الداخل .

كانت خطوط المواصلات ذات أهمية استراتيجية وتعبوية كبيرة في مسرح العمليات في الحجاز بحيث تركزت العمليات حول الطريق البري وخط سكة حديد الحجاز الذي كان عصب النقل بالنسبة للقوات التركية منذ الإنتهاء من مده عام ١٩٠٨ ، إذ قصرت سكة الحديد مدة السفر بين دمشق والمدينة من ستة أشهر مضنية إلى يومين فقط . واستطاعت الدولة العثمانية بواسطة هذا الخط أن تسيطر على الولايات العربية البعيدة المهمة في الحجاز وعسير واليمن ، ولولا إندلاع الحرب العالمية لوصل الخط مسافة ٣٠٠ ميل من المدينة إلى مكة المكرمة جنوبا . ولم يكن ايصال الخط إلى مكة ليشدد قبضة الأتراك على المدن المقدسة فحسب ، بل كان سيجعلهم مسيطرين على الطريق البري من عسير واليمن إلى داخل الحجاز عن طريق البحر الأحمر بين الليث في الجنوب والوجه في الشمال .

وعلى أي حال كان هناك نقطة ضعف استراتيجية خطيرة في سكة حديد الحجاز وهو طولها البالغ ١٠٠٠ ميل تقريباً والذي يجعلها معرضة للهجوم عليها خاصة في المنطقة المكشوفة التي تمتد أكثر من ٤٥٠ ميلا بين معان والمدينة عبر المنطقة الصوانية والبراري المقفرة ، حيث يفتقر هذا القطاع إلى قوات كبيرة تستطيع صد أية حملة بحرية تتمتع بالمرونة وحرية المناورة على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي .

كانت المسافة بالقطار من المدينة المنورة في الجنوب إلى العلا ١٨٠ ميلا ، فتبوك ٣٨٠ ميلا فمعان ٤٥٠ ميلا ، فعمان ٦٠٠ ميل ، فدمشق ٧٥٠ ميلا وحلب على حدود الأناضول ١٠٠٠ ميل شمالا . وقصّرت مدة السفر بين دمشق والمدينة بالقطار إلى يومين . أي أن سكة حديد الحجاز كانت بمثابة الشريط الفضي الذي يبقى العنكبوت التركي معلقا بأطراف النسيج الواهي في الجزيرة العربية ، والذي إذا قطع سيترك العنكبوت يتدبر أمره في محيط من العداء والكراهية .

وبالإضافة لمركز المدينة المنورة الديني والسياسي الكبير وكونها نهاية الخط الحجازي فهي تشكل عقدة مواصلات هامة حيث تتشعب منها الطرق إلى معظم المناطق الحيوية الأخرى مثل الطرق المتجهة غربا إلى موانىء البحر الأحمر: ينبع البحر ورابغ وجدة ، وإلى الداخل باتجاه مكة ، والطائف وعسير ، ثم إلى الشمال الشرقي إلى أن تصل « حايل » عاصمة ابن رشيد في الطرف الجنوبي لصحراء النفود ، وإلى الشرق والجنوب الشرقي إلى أن تصل « الرياض » عاصمة ابن سعود ، ومن ينبع البحر يتجه طريق ساحلي إلى أملج ثم يستمر إلى الوجه ٢٠٠ ميل شمالا. والمسافات من المدينة إلى المناطق الرئيسية هي : ينبع البحر ١٤٠ ميلا ، فرابغ ١٤٠ ميلا ، فجدة ٢٤٠ ميلا ، فمكة ٢٨٥ ميلا ، فالطائف ٣٢٥ ميلا ، فحايل ٣٢٥ ميلا ثم الرياض ٦٥٠ ميلا في وسط الصحراء العربية .

كانت أهمية طبيعة الأرض ونظام المواصلات في مسرح عمليات الحجاز بارزة في التحليل والتخطيط الاستراتيجي للثورة العربية ، فقد ركزت الخطط على السيطرة على سكة حديد الحجاز وتدميرها في المناطق الحساسة فإذا ما تم ذلك يتحقق عزل القوات التركية في الولايات العربية عن الرأس المدبر في اسطنبول وتنعدم سيطرة القيادة العليا على الحجاز وعسير واليمن . يضاف إلى ذلك توفّر حرية الأسطول البريطاني في العمل من سواحل البحر الأحمر ، وتأمين المساندة الفعالة لقوات الثورة من هذه الموانىء من القنفذة جنوبا حتى العقبة شمالا مما يساعد على التقدم وتأسيس رأس جسر في العقبة لتطوير العمليات داخل سوريا .

وبما أن الخط الحديدي الحجازي يقطع مسافة ١٠٠ ميل تقريبا في الداخل عبر منطقة جبلية وعرة ومعزولة ، فقد كان من السهل على قوات عربية خفيفة مؤلفة من الهجانة أو المشاة ـ الذين يحملون معداتهم على البغال ـ أن تقوم بغارات وهجمات محدودة في أماكن منتخبة على خط السكة ، كما كانت لديهم القدرة ـ بمساعدة الأسطول البريطاني ـ على التنقل من ميناء لآخر بأقل صعوبة ممكنة أيضا . كانت الموانىء البحرية تشكل خطا برمائيا موازيا لسكة الحديد وقواعد انطلاق تعبوية للعمليات العسكرية ، وكما كان الخط البحري (خط الموانىء) يربط جيش الثورة بالقوات البريطانية وقاعدتها في مصر ، فقد كان خط سكة الحديد يربط الولايات العربية بقيادتها في الأناضول . وبينما كانت حركات الجيش التركي محددة بخط سكة حديد الحجاز ، كانت القوات

العربية والبريطانية تتمتع بحرية المناورة بين البحر وخط السكة ، كما أن وجود الأسطول البريطاني المتفوق في البحر الأحمر والموانىء التي تنتشر على ساحل الجزيرة الغربي وتقع تحت حمايته أعطى حرية استراتيجية للقوات المشتركة وضاعف من تفوق القوات العربية التعبوي على قوة القتال التركية في الحجاز (T.H.E.F.) التي بقيت ملتصقة بخط السكة غير قادرة على الحركة الواسعة بعيدا عنه .

ومع أن القوات العربية تتمتع بحرية المناورة إلى درجة كبيرة فقد بقيت المدينة المنورة مفتاح الدفاع عن الحجاز (المنطقة الحيوية) فمن يسيطر عليها يسيطر على الحجاز ، وكانت المدينة هي المحور الذي تدور حوله العجلة ، لذلك ركز الأتراك ما يزيد على ١٤٠٠٠ من خيرة قواتهم المقاتلة فيها وتضم عناصر من الفرقة التركية ٢٢ والفرقة التركية ٥٨ ـ تحت قيادة القائد العنيد فخر الدين بك ـ للدفاع عن المدينة ، وصارت تشكل تهديدا دائما لمكة وجدة . ونتيجة فشل القوات العربية في الاستيلاء على المدينة المنورة في بداية الثورة أحس الشريف حسين بالقلق في صيف وشتاء سنة ١٩١٦ عندما حاول فخر الدين بك التوجه إلى مكة عن طريق ينبع ورابغ بعد أن تحرر من المفاجأة التي سببتها له الثورة .

سبب الفشل في احتلال المدينة المنورة القلق المستمر لجيش الثورة العربية ، فمع أن الجيش الشمالي (بقيادة الامير فيصل) تجاهل حامية المدينة واتجه شمالا إلى دمشق وحلب ، إلا أن بقاء القوات التركية في المدينة ـ وان كانت محاصرة لمدة ٣٠ شهرا ـ أثار مخاوف قادة الثورة العربية إلى أن استسلمت حامية المدينة بقيادة فخر الدين بك للأمير عبدالله بن الحسين قائد الجيش الشرقي في كانون الثاني ١٩١٩ .

أما العامل الأخير الذي درس بعناية قبل تحضير الخطة فكان مقارنة القوى : أي قوة القتال التركية النظامية في الحجاز والقوات العربية التي تتألف في معظمها من رجال القبائل المسلحين ببنادق قديمة وأثرية . فبالنسبة للقوة التركية ـ المؤلفة من الفرقة ٢٢ والتي عززت في أيار ١٩١٦ بقوات منتخبة بقيادة خيري بك ، فقد أصبح عددها الإجمالي نحو ١٥٠٠٠ مقاتل ، وسميت فيما بعد بالفرقة ٥٨ وتضم الكتائب ٤١ ، ٥٥ ، ١٦٢ و ١٧٨ ، وكانت تتخذ مواقع دفاعية حول المدينة المنورة .

لايوجد إذن وجه للمقارنة بين قوات نظامية مدربة ومسلحة بأسلحة متطورة وبين قوة (عربية) قليلة العدد ضعيفة التسليح ولا تتوفر لها وحدات مدفعية تساندها . لذلك كانت قوات الثورة تعتمد على أسلوب « اضرب واهرب » أسلوب حرب التحرير الشعبية ، وكانت محاولة صدها من قبل القوات التركية كمن يحاول أن يصيد سمكة سريعة برمح .

كان مفهوم العمليات بالنسبة لقوات الثورة يعتمد في نجاحه على احتلال المدن الرئيسية مكة والمدينة والموانىء البحرية من القنفذة في الجنوب إلى الوجه في الشمال ، ومن ثم التقدم شمالا إلى

سوريا إمّا على محور خط سكة حديد الحجاز أو بقفزات برمائية من خلال الموانىء البحرية وبمساعدة أسطول البحر الأحمر البريطاني وحتى العقبة ، ومن هناك تواصل التقدم - بالتنسيق مع القوات البريطانية في مصر (EEF) للوصول إلى دمشق وحلب شمالاً عند أقصى الحدود العربية التركية الأصلية .

كانت إمكانية تنفيذ هذه العمليات تعتمد إلى حد كبير على قدرة القوات البريطانية في الضغط على الجيش التركي في سوريا وعزل بقية القوات في الحجاز .

خلال سير العمليات عدلت المهمة فأصبحت تثبيت القوات التركية في الحجاز وإجبار قسم منها على الدفاع على طول سكة الحديد من المدينة إلى معان وقدرت هذه القوات بنحو ٢٥٠٠٠ مقاتل تركي منعوا من تعزيز القوات التركية في سيناء وفلسطين . وكانت القوات العربية تتبع أسلوب الهجوم والدفاع المتحرك مجبرة القوات التركية على تبني الدفاع الثابت . وكان عليها تثبيت القوات التركية في الحجاز وخاصة في قطاع المدينة بالجيشين الجنوبي والشرقي وإعطاء الفرصة للجيش الشمالي لشن حرب متحركة على بعد ٧٠٠ ميل شمالي مكة وفي منطقة معان والعقبة .

مجرى العمليات : حزيران ١٩١٦- تموز ١٩١٧

نفذت العمليات الحربية في الحجاز على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : استمرت من حزيران إلى أيلول ١٩١٦ وفيها تم احتلال مكة والطائف وموانىء . البحر الأحمر : القنفذة والليث وجدة ورابغ وأملج . إلا أن المحاولات فشلت في احتلال المدينة المنورة بالقوات العربية لأنها لم تكن تملك المدافع أو الأسلحة الرشاشة .

المرحلة الثانية : استمرت من تشرين الأول ١٩١٦ إلى كانون الثاني ١٩١٧ ، وفيها شن الأتراك هجومهم المعاكس بالفرقة التركية ٢٢ (الموجودة في المدينة) بقصد استرجاع مكة المكرمة ، وتمكن فخري بك من التقدم حوالي ١٤٠ ميلا ودفع القوات العربية بقيادة الأمير علي والأمير فيصل إلى رابغ وينبع ، إلا أن غارات البدو غير النظاميين أجبرت الأتراك على اتخاذ خط دفاعي بطول ٦٠ ميلا حول المدينة المنورة .

خـارطة ٤

ولما تكاملت القوات العربية ، بجلب مزيد من الجنود النظاميين والمتطوعين ، قامت بالضغط على الأتراك وأجبرتهم على اتخاذ مواقع دفاعية في محيط المدينة الداخلي وفشل تهديدهم لينبع ورابغ وجدة ، وبالتالي انتهى أملهم في احتلال مكة . وبقيت قوات فخري بك محاصرة في المدينة بقوات عربية مدة ٣ سنوات تقريبا إلى أن استسلمت في كانون الثاني ١٩١٩ .

المرحلة الثالثة والأخيرة : استمرت العمليات الحربية في الحجاز من كانون الثاني إلى تموز ١٩١٧ . وفي هذه المرحلة تقدمت قوة المناورة التابعة للجيش العربي الشمالي بقيادة الأمير فيصل على طول

الساحل مسافة ٢٠٠ ميل باتجاه الشمال حسب الخطة الاستراتيجية التي وضعها الشريف حسين بن علي .

بدأ التقدم من ينبع إلى الوجه ثم إلى بئر جيدة على بعد ٥٠ ميلا غرب العلا ، وفي هذه المرحلة أسست القوات العربية قاعدة عمليات في بئر جيدة ومنها انطلقت غارات منظمة على طول خط سكة الحديد بين معان والمدينة المنورة مطبقة مبدأ الهجوم المفاجىء بمجموعات صغيرة تقوم بالضرب والاختفاء بسرعة .

بالإضافة لعمليات الإغارة المتكررة على خط السكة ، فقد تقدم رتل من الجيش العربي الشمالي مجتازا صحراء النفود بقيادة الشريف ناصر بن علي وعوده أبو تايه الذي كان يقود بدو الحويطات ، وبعد اجتياز ٦٥٠ ميلا تقريبا ، استطاعت هذه القوة احتلال العقبة على رأس البحر الأحمر الشمالي في تموز ١٩١٧ . وباحتلال الميناء انتهت مرحلة التعرض الاستراتيجي في الحجاز وبدأت مرحلة جديدة في سوريا الطبيعية .

أما القوات التركية في الحجاز فقد بقيت كبقع الزيت ، محصورة هنا وهناك في محطات سكة الحديد من تبوك وحتى المدينة المنورة . وبعد أن ازداد نشاط الهجمات العربية أصبحت هذه القوات مشلولة وعاجزة عن العمل بحرية أو حتى عن الاتصال مع بعضها البعض . وهكذا كانت قوات الجيشين الشرقي والجنوبي تقوم بعمليات تثبيت (حصار) وهجوم في مسرح عمليات الحجاز بينما تقوم قوات الجيش العربي الهاشمي الشمالي بالتعرض داخل سوريا وشرق الأردن .

٧ - إعلان الثورة العربية الكبرى وبدء العمليات العسكرية في مسرح عمليات الحجاز : من ١٠ حزيران ١٩١٦ إلى ١٠ تموز ١٩١٧

المرحلة التمهيدية ٥ حزيران - أيلول ١٩١٦

في يوم ٥ حزيران (٤ شعبان) أعلنت الثورة العربية من قبل الشريف حسين قبل موعدها المقرر في ١٠ حزيران رغم عدم كفاية الأسلحة والذخيرة وعدم وجود مدفعية ، وأدى وصول نحو ٣٥٠٠ جندي تركي - ينوون التوجه إلى مكة - بقيادة خيري بك مع عوامل أخرى إلى تقديم موعد الثورة بالرغم من نقص الاستعداد لها .

قامت القوات الهاشمية المؤلفة من ٦٠٠٠ متطوع معظمهم من القبائل البدوية بأول عملياتها حيث هاجمت محطتي سكة حديد المهيد والحسا إلى الشمال من المدينة المنورة ، وكان يقود هذه القوات الأميران فيصل وعلي . إلا أن القوات التركية صدت هذين الهجومين بسهولة فتراجعا إلى بئر الماشي ووادي العقيق (٤٠ ميلا) جنوب المدينة .

أما في مكة فقد قامت الثورة في ١٠ حزيران عندما أطلق الشريف حسين الرصاصة الأولى على

القلعة التركية واحتلت القوات العربية مكة بتاريخ ٩ تموز ١٩١٦ ، واستسلمت القوات التركية للشريف حسين ، وكانت في جملتها ١١٥٠ جنديا وضابطا تركيا بأسلحتهم و ٥ مدافع . وسقطت قلعة جرول في آب ١٩١٦ ، وقد بلغت خسائر الأتراك في معارك مكة ٢٥٠ بين قتيل وجريح و ٨ شهداء في الجانب العربي .

أوردت صحيفة « القبلة » التي صدرت بعد فتح مكة في أعدادها الصادرة من ١٤-١٨ آب ١٩١٦ الحديث التالي :

في الساعة ٣,٣٠ صباحا أطلق وابل من الرصاص على ثكنات الجيش التركي في مكة وعمارة الحميدية وتم حصار القلاع التركية من كل جهة ، فقامت المدفعية التركية في قلعة جياد بقصف مواقع القوات العربية . وخلال المعركة أتصل الضابط التركي الذي كان مسؤولا عن ثكنات جرول بالشريف حسين الذي كان قصره يتعرض لنار المدفعية التركية آنذاك وسأله قائلا : « أتعلم أن العرب ثاروا ويدعون أنهم يطالبون بالاستقلال ؟ هل من الممكن أن تفعل شيئا حيال ذلك ؟ » فأجابه الشريف حسين : « نعم سمعت بذلك وسأفعل كل ما بوسعي » .

استمر القتال حتى المساء ثم استؤنف بعد فجر ١١ حزيران حيث هاجمت القوات العربية مركز الحرس الرئيسي (باش قرقول) الذي يقع إلى الجنوب الشرقي من الحرم الشريف واستولت عليه . وفي ١٢ حزيران استولت قوات الشريف على (الحميدية) رغم أن القوات التركية واصلت إطلاق النار على المصلين في الحرم محاولة الدخول إلى المسجد ولكنها فشلت وبقيت متحصنة في قلعة جياد إلى أن وصلت بعض المدافع المصرية إلى مكة فسقطت القلعة في ٤ تموز كما استسلمت القوات التي في جرول في ٩ تموز ١٩١٦ .

كانت لحظة رائعة تلك التي أنزل فيها علم الدولة العثمانية عن ساريته فوق دار الحكومة ورفع محله العلم الهاشمي ، علم الثورة العربية الكبرى . وكانت المرة الأولى منذ عام ١٥١٧ التي ينزل فيها العلم التركي عن ساريته في المدينة المقدسة .

وفي ١٦ حزيران ١٩١٦ قام ٤٠٠٠ مقاتل من قبيلة حرب برئاسة الشيخ حسين منصور بمهاجمة جدة فاحتلوها بمساندة الأسطول البريطاني في البحر الأحمر ، واستسلمت القوات التركية المؤلفة من ٤٥ ضابطا و ٢٤٥٥ جنديا ومعهم ١٥ رشاشاً و ٢٠ مدفعاً بالإضافة لكميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة . وفي ١٧ تموز احتلت قوات الرائد نوري السعيد مينائي رابغ وينبع ، حيث أصبحت رابغ قاعدة تموين وإدارة للقوات العربية ومركز تدريب وإعادة تنظيم للجيش العربي النظامي ، خاصة الأسرى العرب من جنود الجيش التركي الذين كانوا يرسلون لجيش الثورة بعد الأسر .

أما ميناء الليث والقنفذة جنوب جدة (١٠٠ و ٢٠٠ ميل) فقد احتلتها القوات العربية في ١٥ آب ١٩١٦ وفي نفس اليوم احتل الشريف ناصر بن علي ميناء أملج (٣٠٠ ميل شمال جدة) ، وبعد احتلال الشريف ناصر بن علي ميناء أملج التحق بالأمير فيصل في ميناء الوجه وشارك في

الغارات على سكة الحديد بين المدينة المنورة ومدائن صالح بمساعدة الكابتن « نيوكمب » خبير المتفجرات من سلاح الهندسة الملكي البريطاني .

وفي ١٧ أيار ١٩١٧ بدأ الشريف ناصر بن علي تقدمه برتل من الجيش العربي الشمالي عبر صحراء النفود مجتازا الجوف ثم وادي السرحان حيث وصل في حركة التفاف إلى الشمال الشرقي من ميناء العقبة ، وبعد سلسلة من الغارات على خط السكة بمساعدة عرب الحويطات بزعامة عوده أبو تايه احتل ميناء العقبة في ٦ تموز ١٩١٧ .

وفي التعرض النهائي داخل سوريا كُلف الشريف ناصر بن علي بقيادة القوات غير النظامية التي تعمل ظهيرا للقوات النظامية من الجيش العربي الشمالي بقيادة نوري سعيد . هذا وقد دخلت طليعة الجيش الهاشمي العربي دمشق في ٣٠ أيلول ١٩١٨ . وقد وصل الشريف ناصر بن علي إلى المسلمية التي تقع على بعد ٤٠ ميلا جنوب الحدود التركية حيث ينفصل خط السكة المتجه إلى بغداد عن الخط المتجه جنوباً إلى دمشق ، وكان قد قطع مع قواته ما يزيد على ألف ميل من المدينة المنورة إلى الحدود الشمالية للدولة العربية .

بعد احتلال موانيء البحر الأحمر (الشرقية) وحصار ٥٠٠٠ مقاتل تركي في الطائف اتجهت أنظار القوات العربية في الحجاز إلى حامية المدينة المنورة المؤلفة من : الفرقة التركية ٥٨ وعناصر من فرقة الحجاز ٢٢ وقوات خيري بك البالغة ٣٥٠٠ مقاتل بقيادة فخر الدين بك الذي تمكن من صد المحاولات العربية الأولى لاحتلال المدينة المنورة .

في حزيران ١٩١٦ وعند بداية الثورة العربية كان توزيع حامية المدينة التركية كما يلي :
القائد العام للقوات التركية في الحجاز وقائد حامية المدينة : فخر الدين بـك .

حامية المدينة	بير الدراويش	بير ريحانة
كتيبتا مشاة	خمس كتائب مشاة	كتيبة هجانة
ثلاثة وحدات الهندسة	سريتا خيالة	سرية بغال
بعض قطع المدفعية	كتيبة هجانة	٥ مدافع
	وحدة مدفعية (تحمل على الجمال)	متطوعون من القبائل
	٤ طائرات حربية	

في ١٠ حزيران ١٩١٦ قامت قوات الأمير عبدالله بمحاصرة حامية الطائف (٥٠٠٠ مقاتل) بقيادة غالب باشا الذي كان واليا وقائدا عاما للقوات التركية في الحجاز ، ودام الحصار حتى ٢٢ أيلول ١٩١٦ عندما استسلم غالب باشا إلى الأمير عبدالله ، ومعه ٨٣ ضابطا و ١٩٨٢ جنديا تطوع العرب منهم في الجيش الهاشمي . وقد دار القتال بين الطرفين إلى أن تعززت قوة الجيش العربي الشرقي بالمدفعية الجبلية من مكة وبطاريتي مدفعية جبلية مصريتين وتم تزويد رجال القبائل بالسلاح والذخيرة .

أما حامية المدينة بقيادة فخري بك فقد قامت بمحاولات عدة للتقدم على الطريق الساحلي والوصول إلى مكة ، ورغم أن هذه المحاولات نجحت في دحر قوات الأمير فيصل والأمير علي وصد الهجمات العربية الأولية إلا أنها لم تستطع تحقيق هدفها الرئيسي وهو الوصول إلى مكة ، بل ارتدت إلى وضعية الدفاع الثابت حول المدينة المنورة .

وفي آخر حزيران ١٩١٦ كانت قوات الجيش العربي الشمالي بقيادة الأمير فيصل ونائبه الأمير زيد بن الحسين تتمركز في ينبع النخل على بعد حوالي ٦٠ ميلا شمال غرب المدينة بينما أجبر الجيش الجنوبي بقيادة الأمير علي على التراجع إلى رابغ مسافة حوالي ١٢٠ ميلا جنوب غرب المدينة ، تاركين مكة معرضة للهجوم التركي .

كان فخري بك ينتظر التعزيزات من الجيش التركي الرابع لسحق الثورة وإعادة احتلال مكة . وقد وصف الملك عبدالله وضع الثورة الحرج في مذكراته قائلا :

« كانت وضعية جيش الثورة في غاية الحرج حيث أن فخر الدين باشا قائد القوى السفرية التركية قد دفع بالأميرين فيصل وزيد إلى ينبع البحر ، بعد أن هزم زيدا في بئر سعيد وهزم فيصلا في ينبع النخل ودفع بالأمير علي إلى رابغ ، فأصبح الطريق إلى مكة مفتوحاً . وكان فيصل يشكو من تأثير الطائرات الألمانية التي كانت تغير على قوات الجيش العربي الشمالي .

كان الأمير فيصل يشدد على ضرورة توفير مدفعية وطيران لمساندة الثورة ورد الغارات الألمانية التركية على قواته، أما الأمير علي فقد كان في رابغ يعيد تنظيم الجنود العرب النظاميين الذين تمرنوا على الأصول العسكرية وحاربوا وأسروا من قبل قوات الحلفاء ثم نقلوا مع الضباط العرب الذين هجروا القوات التركية إلى صفوف الثورة العربية وتكونت قوة نظامية عربية ذات حجم لا يستهان به ومؤلفة من وحدات من المشاة والمدفعية والرشاشات والهندسة ولم ينقصها سوى الفرسان النظاميون الذين عوض عن غيابهم وجود القوة العربية الراكبة . وكان حجم هذه القوة بين ٣-٤ آلاف نسمة . كما بدأت قوة مشابهة تتشكل في ينبع تحت قيادة فيصل وزيد وأصبحت هاتان القوتان جاهزتين لصد أي هجوم تركي على مكة . لذلك كان لابد لفخري بك إذا أراد مهاجمة مكة من أن يخصص جزءاً من قواته لمحاصرة ينبع ورابغ لمنع تدخل القوات العربية» .

بلغت القوات العربية في ذلك الوقت نحو ٢٠,٠٠٠ بين نظامي ومتطوع موزعين كما يلي : ٨٠٠٠ بقيادة الأمير علي ، ٤٠٠٠ بقيادة الأمير عبدالله و ٨٠٠٠ بقيادة الأمير فيصل . ورغم أن الأتراك كانوا يحتفظون بالمبادأة التعبوية واستقرار الجبهة إلا أن الثورة العربية حتى أيلول ١٩١٦ حققت إنجازات ملحوظة ، كان منها ما يلي :

(١) أسر ما يقارب ٦٠٠٠ جندي تركي بكامل أسلحتهم ومعداتهم .

(٢) تثبيت ما يقارب ١٤٠٠٠ جندي تركي وشل حركتهم ومنعهم من الانتقال للميادين الأخرى وهم الذين حوصروا في المدينة المنورة وضواحيها .

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

(٣) حصر قوة القتال التركية في الحجاز وجعل مهمتها تقتصر على حماية خط سكة حديد الحجاز من معان للمدينة وعددها ٥٠٠٠ جندي في تبوك و ٧٠٠٠ في معان .

(٤) كما أن عمليات القوات الهاشمية في الحجاز قد عزلت الفرق التركية ٢١ في عسير و ٣٩ ، و ٤٠ اللتين تؤلفان الفيلق التركي السابع في اليمن .

وهكذا ساعدت القوات العربية بريطانيا والحلفاء في تثبيت ما يزيد على ٤٠,٠٠٠ جندي تركي وحالت دون سحق قوات الأدريسي في عسير والقوات البريطانية في عدن وأفشلت خطة خيري بك التي كانت تقضي الوصول بقوته المدربة إلى مكة المكرمة.

وكما قال القائد « ديفيد هوجارث » رئيس المكتب العربي عن الثورة العربية :

« إن بريطانيا تحمل دينا كبيرا للشريف حسين بن علي ، حتى لو لم تقم الثورة بأي شيء سوى منع التحالف التركي الألماني من الوصول إلى جنوب الجزيرة العربية ، الأمر الذي لو تم لكان ضربة قاصمة للاستراتيجية البريطانية في الجزيرة العربية والهند » . لهذا ألح بعض البريطانيين العارفين بدور الشريف في مساعدة الحلفاء على تقديم العون العاجل للثورة العربية لتبقى قائمة .

إعادة تنظيم القوات البريطانية والجيش العربي الهاشمي في شرق البحر الأبيض المتوسط

في عام ١٩١٦ بدأ موقف البريطانيين سلبيا ومترددا تجاه الثورة العربية في الحجاز ، وتجلى هذا الموقف في المحادثات التي دارت بين الأمير عبدالله والسير رونالد ستورز سكرتير الشؤون الشرقية البريطانية في مصر . بل إن بعض القادة البريطانيين أمثال السير أرشبالد موري قائد القوات البريطانية في مصر قد وقف موقفا معاديا للثورة .

واستجابة لإلحاح الشريف حسين وبعض البريطانيين الذين أدركوا أهمية الثورة العربية للحلفاء ، فوضت بريطانيا المندوب السامي (في مصر) السير هنري مكماهون لينسق الجوانب السياسية مع الشريف حسين ، كما أوكلت أمر تنسيق الجوانب العسكرية إلى حاكم السودان العام الجنرال السير ريجنالد وينجيت الذي عين بدوره الكولونيل « ولسن » ممثلا شخصيا له لدى الشريف حسين ومقره في جدة .

كان الجنرال موري يقف موقف العداء من الثورة العربية لعدم ثقته في قدرة اولئك البدو على الوقوف ضد الجيش التركي النظامي ، إلا أن قوات الثورة في أشهر الشتاء عام ١٩١٦ أوقعت خسائر في الأتراك في معارك غير نظامية (غارات) أكثر مما أوقعته قوة القتال البريطانية الضخمة في الأتراك في سيناء خلال ٢٠ شهراً .

عقد اجتماع في لندن بوزارة الحرب البريطانية قبل أسبوع من نزول أول قوة نظامية عربية بقيادة نوري السعيد في جدة ، وكان بعض من حضره رئيس أركان القوات البريطانية والسير مارك سايكس ممثل المندوب السامي في مصر واتخذ المجتمعون القرارات التالية :

الجيش العربي الهاشمي

أ - القائد العـام (مصـر)

(١) يستعد لاحتلال مدينة العريش والعقبة لتهديد خطوط المواصلات التركية في سوريا والحجاز، ويخطط للدفاع عن مصر بكفاءة .

(٢) يوصل سكة الحديد من الطرف الشرقي للقناة إلى العريش .

(٣) ينسق القائد العام في مصر مع القائد العام لأسطول جزر الهند الشرقية خططهما لاحتلال العقبة .

(٤) يحرم الأتراك من استخدام البحر الأحمر من الحديدة إلى الليث .

ب - مكتب الهند (حكومة الهند)

(١) التعاون مع الإمام يحيى إمام اليمن لمنع انسحاب الفيلق التركي من اليمن وعسير .

(٢) تأمين مساعدة الشريف الادريسي في عسير ضد الأتراك .

(٣) طرد الجيش التركي ومنعه من تهديد عدن .

جـ - الأدميرالية (البحرية) وهيئة الأركان العامة

القيام بأعمال برية وبحرية لإقناع الأتراك باحتمال عملية إنزال للحلفاء في منطقة خليج الأسكندرونة أو إزمير .

د - وزارة الحرب البريطانية

لاتخاذ التدابير اللازمة لإجابة طلبات الشريف حسين والشريف الادريسي المحتملة للسلاح والذخيرة والتموين .

نزلت في جدة أول قوة عربية مؤلفة من حوالي ٧٠٠ جندي وضابط نظامي ، كانوا يقاتلون في صفوف الأتراك ، بقيادة الرائد نوري السعيد الذي ساهم مع رفاقه الآخرين عزيز علي المصري وجعفر باشا العسكري ومولود مخلص في تدريب القوات العربية ووضع الخطط العسكرية لمعارك الثورة . كان لمشاركة قوات عربية نظامية ذات خبرة عسكرية في الجيش الهاشمي ، واستمرار تزايدها من الأسرى العرب ، أثر كبير على الدعم البريطاني لجيش الثورة العربية فقد وصلت أول دفعة من المساعدات المؤلفة من سرية مدفعية هاوزر ٤,٥ بوصة (٤ مدافع جبلية) و ٨ رشاشات و ٤٠٠٠ بندقية قديمة أخذت من حرب البوير ، وساهم وصول القوة النظامية والأسلحة في رفع معنويات المتطوعين البدو غير النظاميين وجدد عزيمتهم .

وفي أيلول ١٩١٦ التحق المقدم عزيز علي المصري ومولود مخلص بالقوة النظامية التي يقودها نوري السعيد ، وبعد شهر التحق جعفر باشا العسكري . وقد لعب نوري السعيد فيما بعد دوراً

بارزاً في خدمة الثورة العربية والهاشميين إلى أن اختفى عن مسرح الحياة الساسية عندما قامت الثورة العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨ .

كانت القوة النظامية العربية تمثل العمود الفقري للجيش الهاشمي وكان من السهل على الأتراك صد غارات القوات غير النظامية ، ولكن لم يكن سهلاً عليهم دفع الهجمات العربية من القوة النظامية أو الغارات المشتركة التي تشنها مجموعات غير نظامية مطعمة بعناصر نظامية .

وتنفيذا لسياسة الشريف حسين القائمة على تشكيل قوة قتال من الجنود النظاميين العرب ، والتي كانت تمثل رأس الرمح للجيش العربي الهاشمي، فقد أعيد تنظيم وتجميع قوات التحرير على أساس جغرافي وكما يلي :

القائد الأعلى :	الشريف حسين بن علي/مكة	
القائد العام/رئيس الأركان :	(١) المقدم عزيز علي المصري	(أيلول ١٩١٦)
	(٢) الرائد جعفر باشا العسكري	(كانون الأول ١٩١٦)
الجيش الشمالي	ينبع	القائد الأمير فيصل بن الحسين
لواء مشاة نظامي		الرائد مولود مخلص (فرسان)
القوة الشريفية		ملازم راسم سردست (مشاة)
أربع سرايا مدفعية		ملازم احمد مصلح (مدفعية)
قوات قبلية		
الجيش الجنوبي	رابغ	القائد الأمير علي بن الحسين
كتيبتا مشاة		الرائد نوري السعيد
كتيبة راكبي البغال		
كتيبة هجانة		
أربع سرايا مدفعية		
سرية هندسة		
قوات قبلية		
الجيش الشرقي	وادي العيص	القائد الأمير عبدالله بن الحسين
كتيبتا هجانة	(بعد عمليات الطائف)	الشريف شاكر بن زيد
سرية خيالة		
سرية مدفعية جبلية		
قوة هاشمية		
قوات قبلية		

أوكلت مهمة التدريب للأمير زيد وكان يساعده ضابط عربي نظامي هو الملازم شكري الشوراني الذي عين أيضاً قائداً للكلية العسكرية الناشئة للإشراف على تدريب الضباط الذين سيلتحقون بالجيش الهاشمي .

عين الشريف حسين عزيز علي المصري قائد عاما ورئيس أركان للقوات العربية النظامية وكان

ضابطا محترفا يتميز بكفاءة نادرة وشجاعة فائقة ، ومثله نوري السعيد وجعفر العسكري . سبق أن تخرج عزيز علي المصري من الأكاديمية العسكرية في الأستانة ، وكان يكن كرها شديدا للأنجليز . وقد تجلى هذا الكره عندما كان رئيسا لأركان الجيش المصري عام ١٩٤٠ . وشارك في حرب البلقان واليونان عندما كان ضابطا في الجيش العثماني . وعمل فترة رئيسا لأركان الجيش التركي الثالث في « مقدونيا » وكان من الذين زحفوا على العاصمة اسطنبول عند خلع السلطان عن الحكم ، ولكنه انضم للثورة العربية بعد أن اتضح له ميل الأتراك لتحقيق الفكرة الطورانية وخلق دولة تركية تضم شعوب الامبراطورية العثمانية ويسودها العنصر التركي وتكون اللغة التركية هي اللغة السائدة فيها .

وعندما عين الشريف حسين عزيز علي المصري قائدا عاما للجيش العربي الهاشمي كان الأخير ينوي خلق قوة مدربة تدريبا مثاليا ومتمتّعة بالكفاءة القتالية والضبط والربط والتحمل والصبر ، رغم أنه كان يصطدم مع بعض الضباط الأنجليز الذين كانوا في نظره مجرد هواة . ولذلك حل محله في القيادة العامة للجيش جعفر باشا العسكري في كانون الأول ١٩١٦ وأبعده الأنجليز إلى اسبانيا طيلة مدة الحرب لأنهم كرهوا فيه ايمانه العميق بفكرة استقلال الأمة العربية . وقد توفي هذا الجندي المحترف العنيد المخلص لأهداف الأمة العربية في عام ١٩٦٥ .

أما جعفر باشا العسكري فقد تخرج من أعلى المعاهد العسكرية في تركيا وألمانيا ودرس الحقوق ، وكان يتمتع بشخصية عسكرية قوية ، وقد ساهم في خدمة العراق فيما بعد كما ساهم في الثورة العربية الكبرى من قبل .

وأما الشخصية الثالثة التي ساهمت مساهمة فعالة في الثورة العربية الكبرى وشاركت في معارك الحجاز وسوريا فهو الضابط العربي « مولود مخلص » المولود في الموصل عام ١٨٨٥ . وكان قد تخرج من المدرسة العسكرية في العراق والكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩١٠ . وعندما كان يقاتل في صفوف الجيش التركي في العراق أسر ونقل للهند ولما علم بالثورة العربية تطوع للقتال إلى جانب الشريف حسين وقد جرح وأرسل إلى مصر للمعالجة وعلم وقتها بمعاهدة سايكس ـ بيكو ووعد بلفور فأدرك غدر البريطانيين وخيانتهم كما لاحظ أن « ت . ئي . لورنس » لم يطلق طلقة واحدة في الحرب ولم يعمل سوى تسجيل المذكرات الزائفة من أجل كتاب ما بعد الحرب ، أما القتال الحقيقي فلم يقم به أحد سوى السواعد العربية .

وهكذا عشية الحملة العربية ، في تشرين الأول سنة ١٩١٦ كان التخطيط الاستراتيجي والإدارة التعبوية لأمور العمليات في الجيش العربي الهاشمي الذي أعيد تنظيمه ، موجودة في أيدي أمينة قديرة لضباط عرب محترفين توجههم زعامة وذكاء سياسي لا يبارى من الشريف حسين وأبنائه .

كان الأنجال الثلاثة الأمراء علي وفيصل وعبدالله على اطلاع واسع بأساليب الأتراك ونفسياتهم مما ساعد على تحقيق النصر من البداية . وإذا ما قورن الضباط العرب الذين خدموا في صفوف الجيش العثماني وخبرتهم في أساليب القتال التي اكتسبوها في حروب البلقان وغيرها مع ضباط

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

البعثة العسكرية البريطانية التي جاءت في كانون ثاني ١٩١٧ أدركنا كم كان الأنجليز يتمتعون بعقلية استعمارية مغرورة لا تعلم عن حقيقة الأتراك أكثر مما تعرفه مجموعة من الهواة القليلي الخبرة. ولو تمت مقارنة اثنين من الضباط الأنجليز مثل اللفتنانت كولونيل « بيرس جويس » وزميله « آلن داوني » مع بعض الضباط العرب الذين سبق ذكرهم لوجد أن الأنجليزيين رغم تميزهما بالشجاعة التقليدية وحب النظام والطاعة والإخلاص، إلا أن ذكاءهما محدود ويتميزان بضيق الأفق وعدم الخبرة. أما بقية الضباط البريطانيين الذين عملوا مع الثورة مثل: ونترتون وبيك وكيركبرايد فقد كانوا صغار أو أحداثا بحيث لم يكن لهم دور بارز في الثورة.

والحديث عن الأنجليز يوصلنا إلى المكتب العربي في القاهرة الذي كان يعمل تحت إشراف الكولونيل « جلبرت كلايتون » ومدير الاستخبارات العسكرية دكتور « ديفيد هوجارث » الذي استلم هذا المنصب فيما بعد لكونه عالم آثار قام بعدة حفريات في المنطقة العربية في سوريا والعراق، ولذلك اعتبرته وزارة الحرب البريطانية خبيرا في الشؤون العربية. إلا أن دور « هوجارث » لم يتعدّ أصدار نشرة غير دقيقة عن عمليات الجيش العربي الهاشمي في الحجاز وسوريا.

وهناك ضابطان آخران عملا بجانب الثورة العربية يجدر ذكرهما: حاكم السودان العام الجنرال السير ريجنالد وينجيت وضابط القسم السياسي في السودان الكولونيل « س. ئي. ولسن » فقد عين الأول قائدا عاما في الحجاز (نظريا فقط) في حزيران ١٩١٦ لكي يشرف وينسق المساعدات التي تقدم للثورة العربية وعين الثاني ممثلا له في جدة لينسق عن كثب خطط الثورة العربية مع الخطة العامة البريطانية. وقد كان الضباط العرب في جيش الثورة غير مرتاحين لكفاءة الضباط البريطانيين ويشكون في قدرتهم على إسداء أي مشورة ذات قيمة للشريف حسين وقواته العربية. ومن دلائل ذلك وصول المدافع القديمة التي شاركت في حرب البوير بدون الموجهات (أجهزة التسديد) وقطع الاحتياط اللازمة.

وثمة دليل آخر على الفوضى البريطانية وعدم التنسيق بين مختلف الأجهزة والمصادر، وهو وصول السير رونالد ستورز والطامع في الشهرة « ت. ئي لورنس » إلى جدة في أيلول ١٩١٦. والجدير بالذكر أن العرب خدعوا بلورنس الذي اعتبر نفسه ملهم الثورة العربية وسر نجاحها وقد نسجت حوله الأساطير أكثر من أية شخصية في جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.

لم يخدم « ت. ئي. لورنس » في الجيش ولم يعرف قيادة الرجال، وكان عمره ٢٨ عاما عندما ألحق بالثورة بعد إعلانها بستة أشهر تقريبا وهو عالم آثار تحول إلى مترجم ثم قرر فجأة أن يدعي أنه نبي الثورة العربية وقائدها الفعلي الذي حقق النصر لها على الامبراطورية العثمانية. فسمي « لورنس العرب ». وما كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » إلا إحدى قصصه الخيالية الزائفة. ولدراسة أبطال الثورة العربية ومستشاريهم من الأنجليز لابد من العودة قليلا إلى معرفة دور كل جانب منهم.

نجد على الجانب العربي أن الشريف حسين مفجر الثورة وأنجاله الأربعة الأمراء علي وفيصل وعبدالله وزيد ، كانوا على معرفة وثيقة بالأهداف السياسية التركية وخفاياها ، ويعرفون النفسية التركية وكيفية التعامل معها . فالشريف حسين الذي كانت له المكانة العليا الثانية بعد السلطان وعضوا في مجلس شورى الدولة ، وعاش في العاصمة نحو ١٦ عاما ثم صار حاكما للحجاز فيما بعد ، أصبح خبيرا في شؤون السياسة التركية وأقدر من غيره ـ مع أنجاله ـ على إصدار القرار المناسب فيما يخص الثورة العربية .

أما في الجانب العسكري فقد كان لدى الثورة خيرة الضباط العرب الذين تخرجوا من أرقى وأكفأ المدارس العسكرية وخاضوا غمار الحروب في آسيا وافريقيا وأوروبا وخبروا الحرب النظامية وحرب العصابات في ألبانيا وبلغاريا واليونان ، وليسوا بحاجة لشخص مثل لورنس أو غيره ينصحهم بأفضل الأساليب العسكرية للهجوم على محطة سكة حديد أو موقع عسكري ، وتشهد على خبرتهم حروب البلقان والقفقاس وجبال اليمن .

لقد كانت الثورة بحاجة إلى أسلحة ومعدات ومدفعية وطائرات ولم تكن بحاجة إلى لورنس الذي جاء ـ حسب ادعائه ـ ليخلص الأمة العربية من الاستعباد التركي ، ولكنه سرعان ما سقط طريح الفراش في معسكر الأمير عبدالله بوادي العيص . ومن على فراش المرض بدأ يستوحي فنون القيادة والاستراتيجية والتعبئة العظمى ، وبعد أن عرف كلا منها قال : « واجبي الشخصي هو القيادة » وبدأ يحلل كقائد القصد من الثورة حتى يحدد أهداف الحرب والمبادىء التي عليه أن يسترشد بها والعوامل المادية والنفسية التي يتوجب دراستها في كلا الطرفين العرب والأتراك . وخرج بعد هذا التحليل المبدع بأن على الثورة أن تتبنى أسلوب حرب العصابات ضد الجيوش التركية النظامية . في مفهوم لورنس : كان الطريق إلى دمشق يبدأ من الحجاز ـ العقبة ـ الطفيلة ـ درعا ثم عبر سهل حوران ومن هناك إلى عاصمة الأمويين الفيحاء . وقد أضاف قائلا : « لم يكن رؤسائي موافقين على مفهومي وخططي للحرب لكنهم تركوا لي حرية التصرف بأسلوبي الخاص » ، هذا ما ذكره المخلص الجديد ومسيح الثورة « ت . ئي . لورنس » .

إلا أن الشريف حسين والأمير عبدالله كانا قد بينا منذ البداية أنه لاسبيل لاستراتيجية الهجوم المباشر على الأتراك ، فقد عرف الاثنان وشاهدا قتال الأتراك في عسير واليمن وقسوتهم على أعدائهم ، وهما أقدر من لورنس ورؤسائه على أخذ الاعتبارات النفسية والمادية في الحُسْبَان . ولم يكن هدف الثورة الاستراتيجي الذي وضعه الشريف حسين مجرد تدمير الجيش التركي في الحجاز فحسب ، بل تحرير الوطن العربي من جبال طوروس شمالا وحتى بحر العرب جنوبا ومن البحر المتوسط والاحمر غرباً وحتى الخليج العربي شرقاً ، وخلق دولة عربية مستقلة في المشرق العربي تحت حكم عربي واحد .

وقد ساهمت عوامل كثيرة في خلق خرافة « لورنس الأسطورة » فبعد الحرب العالمية الأولى بادر

المنتصرون فيها إلى إغراق الأسواق بعشرات المؤلفات والمذكرات ، وكلها تدعي النصر وتمجد البطولة وتشوه واقع المهزوم ، ولكن الغاية الأساسية هي الربح المادي ، كما كان شأن المؤلف الأمريكي لويل توماس مع « ت . ئي . لورنس » .

وللحقيقة والتاريخ لم يكن لورنس إلا دعيا مشعوذا وافاقا سرق بطولات شعب وكفاح أمة وأمجاد قادة ونسبها لنفسه مستغلا ثقافته الأكاديمية ومعرفته بالنفسية الغربية ، معتمدا على عدم اطلاع القارىء العربي على هذه الكتب الفاسدة أو عدم قدرته على الرد عليها ، وقد لمس القارىء العربي هذا السيل الجارف من كتب البطولة والأبطال الذي أغرق الأسواق العالمية بعد كل حرب من الحروب التي خاضتها الأمة العربية ضد الصهيونية والاستعمار .

وهكذا نجد أن لورنس قد سرق وادعى لنفسه بعض أفكار الشريف حسين ونجله الأمير عبدالله في المفهوم الاستراتيجي للثورة العربية ، كما سرق أفكار ومفهوم عزيز علي المصري وجعفر العسكري في التعبئة الكبرى . وما فكرة لورنس (حرب الشعب أو حرب العصابات) إلا المفهوم الذي وضعه عزيز علي المصري لحرب التحرير العربية لتسير على نهجه الثورة العربية الكبرى .

صحيح أن الثورة كان ينقصها بعض خبراء المتفجرات من أجل تخريب سكة حديد الحجاز رغم أنه استغني عن معظمهم في مراحل الثورة الأخيرة نتيجة التحاق الكثيرين من الجنود العرب المدربين الذين خدموا في صفوف الجيش العثماني ، وصحيح أنه كان ينقص الثورة الطائرات والمدفعية والأسلحة والذخيرة والتموين وكذلك الدعم السياسي ، ولكن لم يكن ينقصها خبراء في الاستراتيجية أو إدارة العمليات في أرض هي أعرف بها من غيرها ، وعدو هي أعلم بنفسيته من الآخرين ، وليس أدل على ذلك من فكرة الشريف حسين التي طلب من الحلفاء تنفيذها وهي النزول في خليج الأسكندرونة وقد أثبت التاريخ أنه أنسب وأصح من النزول في غاليبولي حيث فشل الحلفاء في تحقيق هدفهم وارتدوا خاسرين .

وعندما دخل العرب الحرب ضد تركيا كانوا يتمتعون بوعي سياسي وخبرة عسكرية وثقافة عامة على مستوى لابأس به ، فقد كانت هناك مدرسة عسكرية في العراق بالإضافة إلى المدارس العادية في سوريا وبيروت وفلسطين ومصر ، وكانت نسبة التعليم والثقافة بشكل عام في الوطن العربي أعلى منها بين الأتراك ، لذلك كانت الثورة كما سبق تعتمد على بريطانيا في المادة وليس الفكر . وذلك كما اعتمدت بريطانيا على أمريكا في الحرب العالمية الثانية وكما اعتمدت كل الثورات في العالم على الدعم السياسي والمادي من دول أخرى تؤيدها .

مؤتمر رابغ ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٦

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٦ عقد رجال الثورة مؤتمرا على جانب كبير من الأهمية في رابغ ، لوضع مفهوم استراتيجي وتحديد أسلوب إدارة العمليات في حرب التحرير العربية في الجزيرة العربية

وسوريا . ومن الذين حضروا المؤتمر : الأمير علي قائد الجيش الجنوبي والأمير فيصل قائد الجيش الشمالي والمقدم عزيز علي المصري رئيس الأركان ونائبه الرائد نوري السعيد وممثلون عن الحكومة البريطانية والفرنسية . وكان من نتائج المؤتمر مايلي :

أ - اتخاذ رابغ ـ كمنطقة حيوية ـ قاعدة لعمليات الجيوش العربية لأن الدفاع عنها يمنع الجيش التركي في المدينة من شن هجوم معاكس على محور بدر حنين ـ رابغ ـ مكة هدفه احتلال مكة ، وتقرر ـ بشكل مبدئي ـ أن تقوم الجيوش العربية الثلاثة بمناورة احتواء وتهديد للقوات التركية في المدينة ومحاولة عزلها تماما ، وبذلك يقل خطر الهجوم التركي على مكة .

ب - ولإجبار فخر الدين بك (قائد القوات التركية في المدينة) على سحب قواته المتقدمة على طريق ينبع البحر باتجاه رابغ ـ مكة ، طلب الأمير عبدالله ـ بعد انتصاره على غالب باشا في الطائف ـ أن يتخذ الحناكية (٦٠ ميلا شرق المدينة) قاعدة للجيش الشرقي ، بحيث يمنع الاتصال بين فخري بك وابن رشيد في حايل التي تقع على بعد ٢٩٠ ميلا شرق المدينة .

جـ - وكلف الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل بالدفاع عن ينبع البحر بمساندة الأسطول البريطاني والتقدم ٢٠٠ ميل باتجاه الشمال لاحتلال وتأمين ميناء الوجه وأن يتقدم بعد ذلك للداخل ويؤسس قاعدة عمليات في بئر جيدة على بعد حوالي ٦٠ ميلا شرق الساحل . ومن بئر جيدة التي تبعد ٦٠ ميلا أيضا عن سكة حديد الحجاز يستعد لشن هجماته على سكة الحديد والحاميات التركية المتمركزة في قطاع العلا ـ مداين صالح الواقعة على بعد حوالي ١٨٠ ميلا شمال المدينة . أما الجيش الجنوبي بقيادة الأمير علي فكانت مهمته التقدم من رابغ على محور بدر حنين ـ بئر الدراويش ـ المدينة والاشتباك مع العدو في القطاع الغربي . ولتنفيذ مهمته أسند الجيش الجنوبي بمدافع مصرية وعزز بمجموعة من الجيش الشرقي في الطائف .

كان الهدف التعبوي من حركة الجيوش الثلاثة من الشمال والشرق والغرب هو تطوير الحرب المتحركة إلى عمليات هجومية تخفف ضغط الجيش التركي عن مكة وتشدد الحصار على حامية المدينة وتجبرها على الاستسلام .

خلال المؤتمر وضع عزيز علي المصري (كرئيس أركان) المفهوم الاستراتيجي للحرب العربية وأورد نوري السعيد هذا المفهوم كما سمعه في المؤتمر قائلاً : « اقترح عزيز علي المصري تقسيم القوات العربية إلى قسمين (فيلقين) : الفيلق الأول والأهم القوات النظامية التي تخوض المعارك المنظمة مستخدمة الأساليب العسكرية المعروفة . والفيلق الثاني قوات مؤلفة في معظمها من القبائل والمتطوعين وبعض النظاميين يعملون بإرشاد ضباط خبراء في حرب العصابات وتكون هذه القوات مجهزة بأسلحة خفيفة وسريعة الحركة ، وتعمل بشكل رئيسي خلف خطوط الأتراك ، وتقوم بغارات مفاجئة وسريعة على المفارز التركية الصغيرة المنعزلة مع تخريب خط سكة الحديد . كما طلب تأسيس قواعد متقدمة للعمليات تنطلق منها هذه القوات وتعود إليها للاستراحة والتعزيز والتزويد .

حالة المشرق العربي عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها

أعجب الأمير فيصل بفكرة عزيز علي المصري وطلب أن يكون الجيش النظامي بقيادة أخيه الأمير علي والقوات المتحركة بقيادته شخصيا واتخذ الضابط مولود مستشارا عسكريا له . »

وقد راعى رئيس الأركان عزيز علي المصري في مفهومه الاستراتيجي في تقسيم القوة إلى : قوة تثبيت وقوة مناورة ، أن يعمل ضمن الإطار الاستراتيجي الذي حدده الشريف حسين للثورة . ولذلك طبق هذا المفهوم بتثبيت الأتراك بالجيشين الشرقي والجنوبي واستخدام المناورة بالجيش الشمالي في معظم العمليات الحربية .

وقد حاولت الجيوش العربية في الحجاز استخدام أسلوب الهجوم المباشر على المواقع التركية المحصنة في بداية الثورة ، ولكنها كانت إما تفشل أو تحقق نجاحاً محدوداً بخسائر جسيمة ، لذلك عادت هذه الجيوش تعمل ضمن المفهوم الاستراتيجي والتعبوي الذي وضعه عزيز علي المصري .

وفي كانون الثاني ١٩١٧ سقط ميناء الوجه بيد الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل الذي بدأ ـ بعد ذلك ـ بشن هجمات عنيفة على قطاع سكة حديد الحجاز من العلا إلى معان مجبرا الأتراك على التحول إلى الدفاع مما أدى إلى انتزاع المبادأة الاستراتيجية من الجيش التركي طيلة سنوات الحرب ، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على عمليات القوات البريطانية في فلسطين .

قام الجيش العربي الشمالي بهجمات شديدة على حامية معان وشتت القوات التركية في حرب استنزاف بين معان وعمان ، مخففاً الضغط عن القوات البريطانية التي كانت تواجه الأتراك على الضفة الغربية لنهر الأردن .

وقد نجحت قوات الجيش الشمالي بمطاردة فلول الجيش التركي الرابع حتى دمشق ودخولها في ٣٠ أيلول ١٩١٨ . وبحلول الهدنة في ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ كانت القوات العربية وعلى رأسها الشريف ناصر بن علي تقف على سفوح جبال الأمانوس والمسلمية شمال حلب . وفي نفس الوقت استسلمت حامية المدينة وبقية القوات التركية في أنحاء الجزيرة العربية إلى الجيشين الشرقي والجنوبي وأخذ الجنود والضباط الأتراك أسرى حرب بالآلاف .

إنه فخر كبير للثورة العربية وللضباط العرب أمثال عزيز علي المصري ورفاقه ولكل المقاتلين العرب أن تستطيع قوة عربية نظامية لاتزيد عن بضعة آلاف مقاتل ممن كانوا يقاتلون في صفوف الجيوش التركية في الماضي وقوات بدوية مسلحة بأسلحة قديمة ومساعدات بريطانية إدارية ومادية متواضعة ، أن تضع حدا لعظمة الجيوش التركية على أرض المشرق العربي .

التقدم التركي على مكة وحصار المدينة تشرين الأول ١٩١٦ ـ كانون الثاني ١٩١٧ خارطه ٥

كانت الأشهر الثلاث الأخيرة من عام ١٩١٦ فترة حرجة للثورة العربية الفتية . فقد قرر فخر الدين بك الهجوم على مكة وطرد العرب من ينبع ورابغ بعد خلع الشريف حسين بن علي

رسميا وتعيين بن عمه الشريف علي حيدر محله من قبل الدولة العثمانية وتعزيز القوات التركية في الحجاز بقوات إضافية من الجيش الرابع في سوريا . وتقدمت القوات التركية بثلاثة أرتال على ثلاث طرق وعلى النحو التالي :

الرتل الأول تقدم على طريق المدينة ـ ينبع النخل باتجاه ينبع البحر ، والرتل الثاني على الطريق التاريخي المدينة ـ بدر حنين ـ رابغ ، والرتل الثالث وهو الأكبر تقدم على مكة سالكا طريق المدينة ـ رابغ (١٠-١٥ ميلا شرق المحور الساحلي) متجها إلى هجر التي تبعد ٦٠ ميلا شمال غرب مكة .

ورغم تفوق الجيش التركي بالعدد والعدة والأسلحة والتدريب ، فقد فشل في الوصول إلى مكة لاتباعه أساليب الحرب التقليدية ضد قوات عربية متحركة سريعة ، لها معرفة جيدة بطبيعة الأرض ومستخدمة أساليب الغارات البدوية الخاطفة .

وفي تشرين الثاني ١٩١٦ احتل الأتراك بئر السعيد والصفرا على بعد ٧٠ ميلا جنوب ينبع وأرغموا الأمير زيد على أن يتراجع إلى ينبع الواقعة تحت حماية مدافع الأسطول البريطاني . كان تراجع الأمير زيد تحت ضغط القوات التركية أقرب إلى الهزيمة حيث دبت الفوضى في صفوف القوات العربية ، وكادت القوات التركية أن تصل الساحل ، مما جعل القيادة البريطانية العليا تفكر في إرسال لواء هندي (مسلم) للدفاع عن طريق رابغ ـ مكة إلا أن الأتراك لم يستطيعوا مواصلة تقدمهم ، إذ كانوا يبعدون عن قاعدتهم في المدينة ١٤٠ ميلا مما جعل قواتهم معرضة لغارات قوات الثورة غير النظامية (القبائل البدوية) ، فاضطروا بالتالي للتراجع لتقصير خطوط مواصلاتهم وحمايتها . وهكذا عدل الأتراك عن التقدم على المحور الجنوبي . وتحسبا لأي تقدم تركي جديد على هذا المحور ، عزز البريطانيون ميناء رابغ بقوة ٦٠٠ جندي من المشاة المصريين وإسناد مدفعي ورف طيران بريطاني .

في كانون الأول ١٩١٦ بدأ الأمير علي هجومه ـ حسب الخطة في مؤتمر رابغ ـ لاحتلال المناطق المهمة القريبة من المدينة بالتنسيق مع الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبدالله ، فقامت قوة تقدر بأربع كتائب نظامية و ٣٠٠٠ من المتطوعين البدو تساندهم سرية مدفعية جبلية من عيار ثمانية عشر رطلاً بقيادة الأمير علي شخصياً ، بالإشتباك مع قوة تركية تقدر بثلاث كتائب نظامية في بئر درويش ، وقد قتل وجرح وأسر حوالي ٥٠٠ مقاتل تركي . وكان للنصر الذي حققته القوة العربية في بئر درويش أثر بارز في مجرى الحرب في الحجاز وكان سببا في رفع معنويات العرب وثقتهم بالثورة العربية .

وبعد ثلاثة أسابيع من معركة بئر درويش واصل الجيش الجنوبي تقدمه بقيادة الأمير علي وشن هجومه المدبر على المواقع التركية المحصنة في بئر الماشي التي تقع على بعد ٤٠ ميلا جنوب المدينة التي كان يدافع عنها ثلاث كتائب تركية . ورغم النجاح الأولي الذي حققته القوات النظامية وغير

النظامية العربية إلا أن الهجمات المشتركة فشلت في احتلال المواقع الدفاعية التركية فانسحبت إلى بئر درويش مكان النصر الأول .

أما الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل فقد تعرض للضغط التركي في أيلول وتشرين الأول ١٩١٦ وأجبر على الانسحاب إلى ينبع إلا أنه استطاع في ٣ كانون الثاني ١٩١٧ أن يواصل تقدمه شمالا حتى أملج ومواصلة الزحف شمالا واحتلال ميناء الوجه في ٢٥ كانون الثاني مع أن قوات الشريف ناصر بن علي قد دحرت الأتراك في منطقة الميناء في ٢٣ كانون الثاني قبل وصول الأمير فيصل بيومين .

وفي كانون الثاني ١٩١٧ تم تشديد الحصار على المدينة ، وبقيت القوة التركية التي تقدر بنحو ١٤٠٠٠ جندي بقيادة فخري بك محاصرة إلى أن استسلمت للأمير عبدالله في كانون الثاني ١٩١٩ .

وفي كانون الثاني ١٩١٧ أيضا وصلت بعثة عسكرية بريطانية إلى جدة حيث عين اللفتنانت كولونيل « س . ف . نيوكمب » مساعدا للكولونيل ولسن ، كما وصل الميجر دافنبورت والميجر جويس والملازم « ت . ئي . لورنس » أيضا .

حتى هذا التاريخ كانت المساعدة البريطانية للثورة غير مرضية ؛ فالأسلحة قديمة وغير صالحة ومثار للتعليقات العربية ، ورغم إلحاح الشريف حسين في طلب المدفعية والأسلحة الرشاشة وخبراء وطيران ، إلا أنه لم يكن هناك تجاوب من الحلفاء لمطالب الثورة وقد علق لورنس على ذلك قائلاً : « كانت الحالة في الحجاز تسير من سيء إلى أسوأ ، ولا يوجد ارتباط وتنسيق مناسب مع القوات العربية في الميدان . ولم تعط المعلومات العسكرية الضرورية للشريف حسين ولم تقدم أي توصيات استراتيجية أو مقترحات تعبوية أو أية دراسة بخصوص الاستفادة من المصادر المحلية » . وخلاصة القول أن المساعدة البريطانية في الأشهر السبعة الأولى للثورة اقتصرت على الحوار السياسي وبعض الأسلحة القديمة التي لم تسهم كثيرا في فعالية الثورة .

وهكذا في الوقت الذي استقرت فيه البعثة البريطانية في جدة في كانون الثاني ١٩١٧ كانت موانيء البحر الأحمر من القنفذة إلى الوجه قد تحررت وتم حصار المدينة وإبعاد الخطر عن مكة وزحف الجيش الشمالي إلى الشمال دون مساعدة تذكر من الحلفاء . ويدرك المتتبع لكتابات لورنس والضباط البريطانيين الذين عايشوا الثورة العربية أن القادة البريطانيين والمستشارين لم يتعلموا الدرس من قتال الأتراك في العراق وغاليبولي وسيناء . ومن حسن حظ البعثة العسكرية البريطانية أن العرب لم يكونوا يعرفون المستوى الذي انحدرت إليه الكفاءة القيادية البريطانية آنئذ .

التقدم على الوجه والهجوم على سكة الحديد والتمهيد لاحتلال العقبة : كانون الثاني ـ تموز ١٩١٧

بتاريخ ٣ كانون الثاني ١٩١٧ تقدم الأمير فيصل بقوات الجيش الشمالي البالغة نحو ١٠,٠٠٠ محارب من البدو وقوة نظامية بقيادة مولود مخلص وسرية مدفعية مصرية يديرها جنود عرب على طول الساحل باتجاه الشمال . وكان الشريف ناصر بن علي يقود قوات البدو فاحتل أملج في ١٥ كانون الثاني والوجه في ٢٣ منه ، ثم لحق به الأمير فيصل في الوجه في ٢٥ من الشهر نفسه . وتكمن أهمية احتلال الوجه في انتزاع العرب ، ولأول مرة ، زمام المبادرة الاستراتيجية من الأتراك في الحجاز .

بعد احتلال الوجه أعاد الأتراك توزيع قواتهم بين معان والمدينة لمواجهة تهديد العرب ضد الخط الحديدي في هذا القطاع ، وقسمت القوة التركية حسب المناطق لتدافع في ثلاثة قطاعات كما يلي :

(١) حامية المدينة	قيادة قوة قتال الحجاز التركية (١٤٠٠٠)	القائد فخري بك عناصر من الفرقتين ٢٢ و ٥٨
(٢) حامية تبوك (٣٢٠ ميلا شمال المدينة)	القوة التركية المختلطة ٢ (٥٠٠٠)	محمد جمال باشا الثالث
(٣) حامية معان (٤٥٠ ميلا شمال المدينة)	القوة التركية المختلطة ١ (٧٠٠٠) معان ـ درعا (قيادة الفيلق ٢ في معان فيما بعد)	محمد جمال باشا الثاني (الصغير)

كانت خطة الأتراك الجديدة تقضي باتخاذ مبدأ الدفاع كأساس ، والاحتفاظ بمراكز حصينة على طول سكة الحديد وتحضير قوات صغيرة (مجحفلة) مسندة بمدفعية لتقوم بنجدة النقاط التي تتعرض للهجوم العربي . ورغم عزل القوات التركية في اليمن والحجاز إلا أن معنوياتها بقيت عالية ، فلم تتوقف قوات اليمن عن مهاجمة عدن ولم يستسلم قائد حامية المدينة (فخر الدين بك) إلا بعد نهاية الحرب .


١

١ - مراسم تعيين المغفور له الشريف حسين بن علي شريفاً على مكة عام ١٩٠٨ ويقف الشريف حسين على يمين الواقف على المنصة والوالي العثماني القائد العام في الحجاز منير باشا على يساره .

٢ - الشريف حسين بن علي في جولة تفقدية في مكة .


٢

٣ - المغفور له الشريف ناصر بن علي شقيق المغفور له الشريف حسين بن علي .

٤ - جمال باشا (السفاح) على اليسار يتحدث مع رئيس هيئة أركانه القائمقام علي بك فؤاد في قيادته الحربية على الجبهة الفلسطينية .

٥ - فخري بك قائد قوة الحجاز التركية مع ابن رشيد زعيم عشائر شمر في حايل عام ١٩١٦ .

٦ - الأمير علي بن الحسين أكبر الانجال وقائد الجيش العربي الهاشمي الجنوبي عامي ١٩١٦ و ١٩١٨ وملك الحجاز عام ١٩٢٤ .

٧ - دمشق عام ١٩١٩ : الأمير زيد بن الحسين وإلى يمينه الشريف ناصر بن علي وإلى يساره ياسين الهاشمي وخلفهما صبحي الخضرا وعبد الله الدليمي في الوسط .


٣

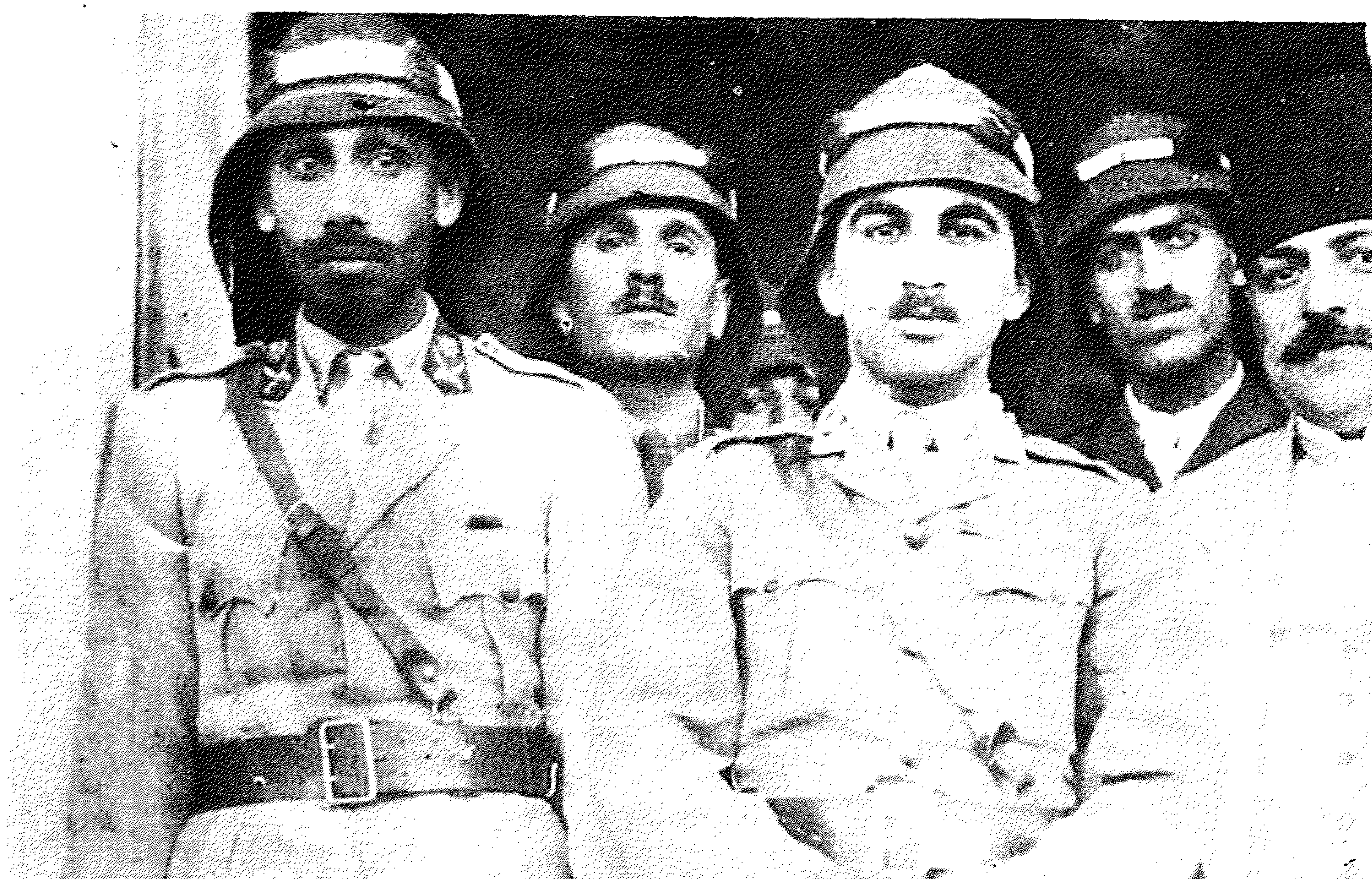

٤



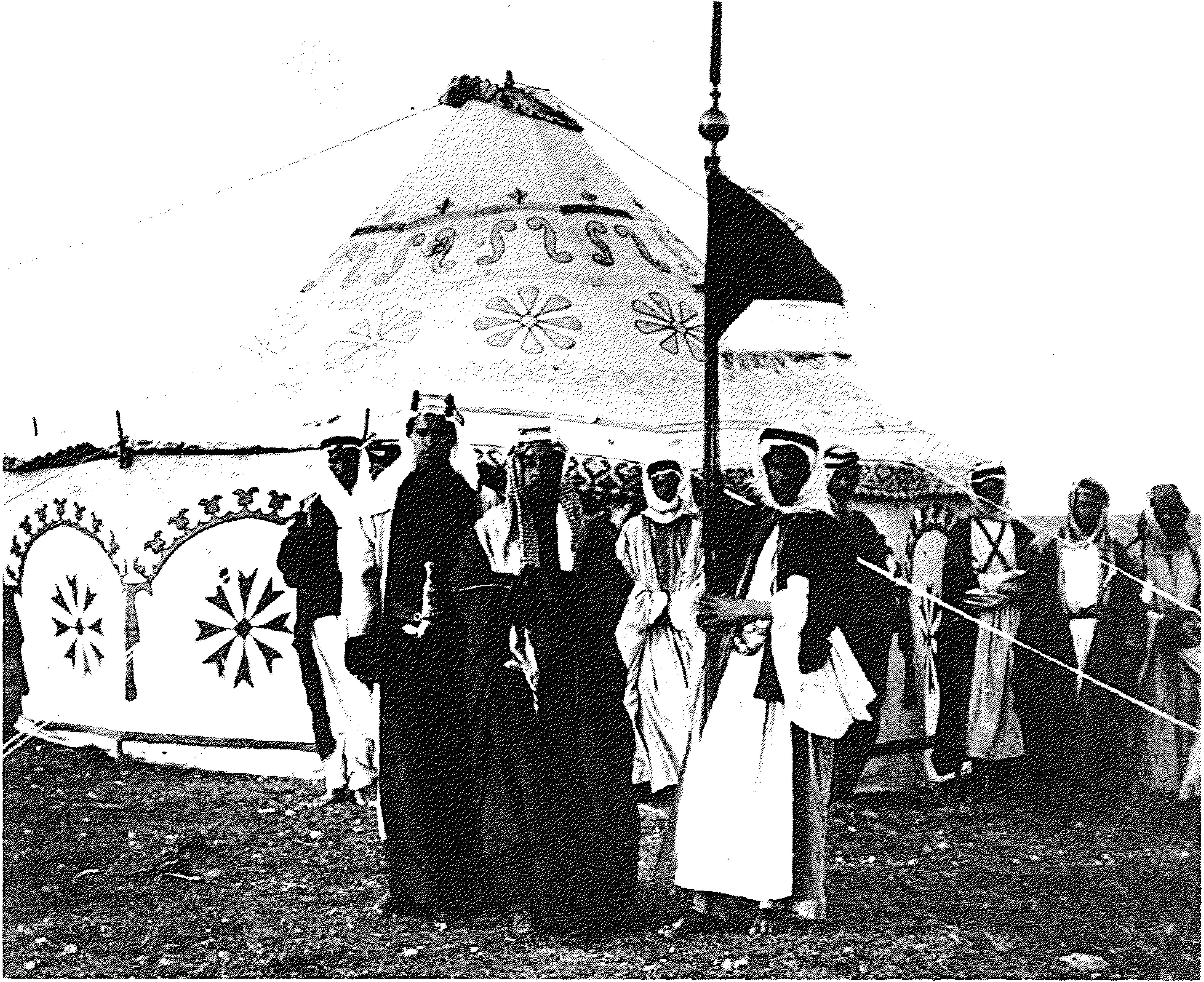
٥



٦



٧



٨

٨ - الأمير عبدالله بن الحسين قائد الجيش العربي الهاشمي الشرقي في قيادته أثناء حصار الحامية التركية في الطائف الذي استمر من حزيران إلى أيلول عام ١٩١٦ .

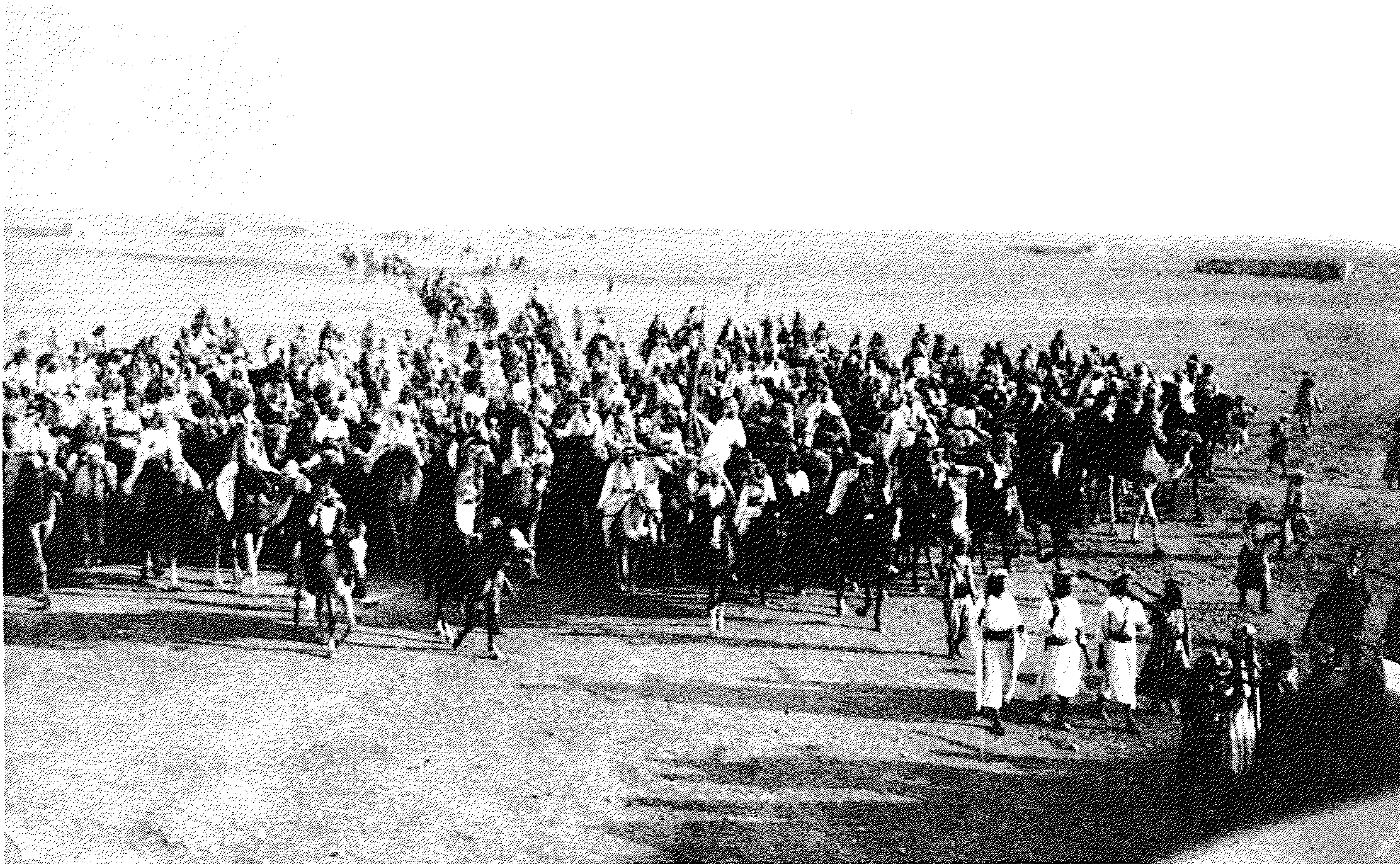
٩ - الأمير فيصل بن الحسين قائد الجيش العربي الهاشمي الشمالي بعد احتلال ميناء الوجه في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩١٧ .

١٠- الأمير فيصل يتقدم قوات الجيش الشمالي إلى ينبع البحر في كانون الأول عام ١٩١٦ .

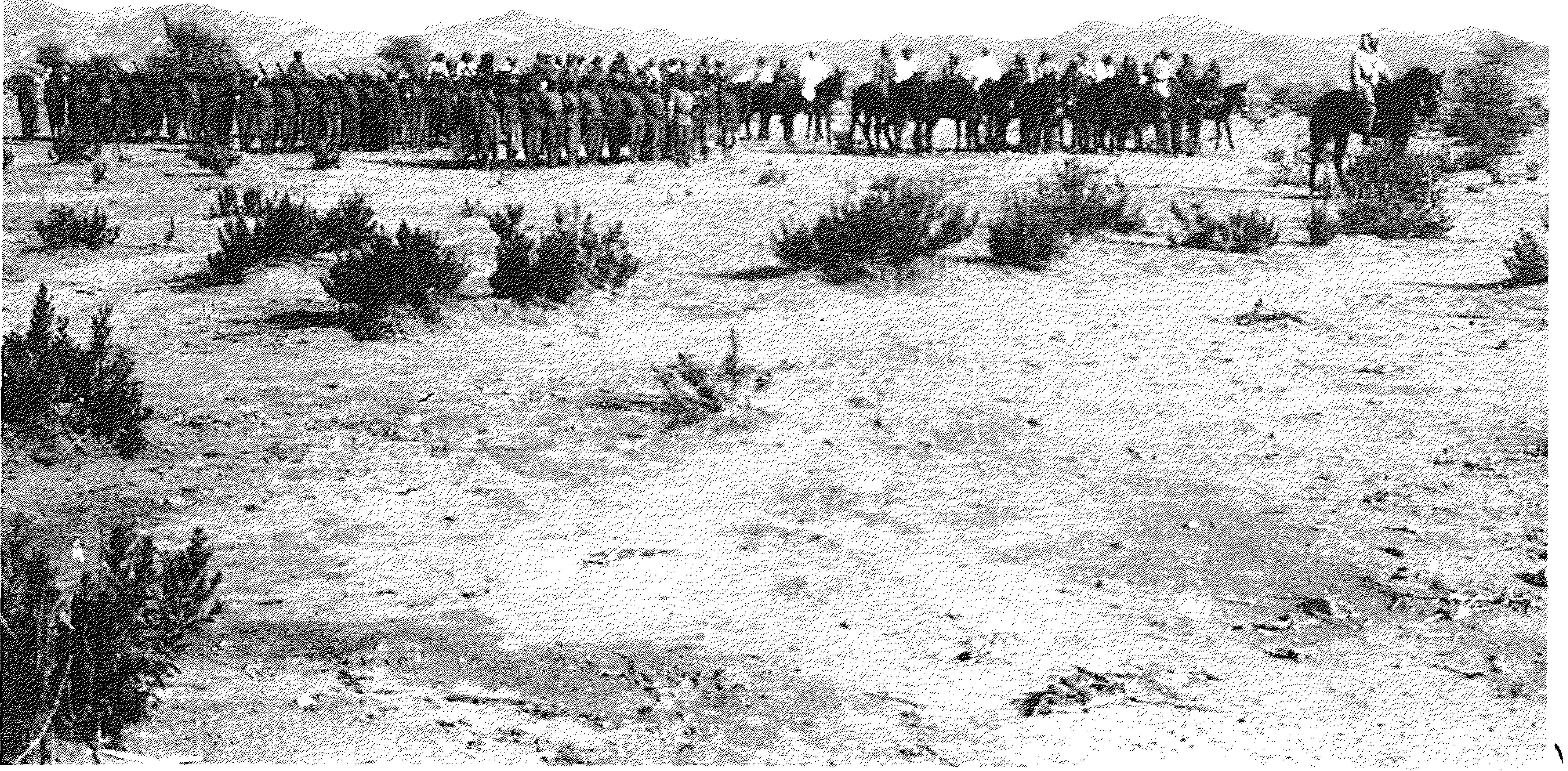
١١- الأمير فيصل مع حرسه الشخصي من البدو أثناء التقدم ، ينبع في كانون الثاني عام ١٩١٧ .



٩







١٢



١٣

١٢- الرائد مولود مخلص (ضابط من الجيش التركي) التحق بجيش الثورة ، على رأس مجموعة مختلطة من القوات العربية النظامية والقوات الشريفية غير النظامية . وقد قاد مولود مخلص اللواء الهاشمي النظامي خلال الحرب في الحجاز وشرق الأردن وسوريا من عام ١٩١٦ إلى عام ١٩١٨ .

١٣- الشريف شاكر بن زيد (والد الفريق الركن الشريف زيد بن شاكر القائد العام للقوات الأردنية المسلحة عام ١٩٧٨) في قيادة الجيش الشرقي بوادي العيص وقد كان نائب الأمير عبدالله بن الحسين .

١٤- فخر الدين بك القائد العام للقوات التركية في الحجاز قرب المدينة يستسلم إلى الأمير عبدالله قائد الجيش الشرقي في بير الدراويش في كانون الثاني عام ١٩١٩ .

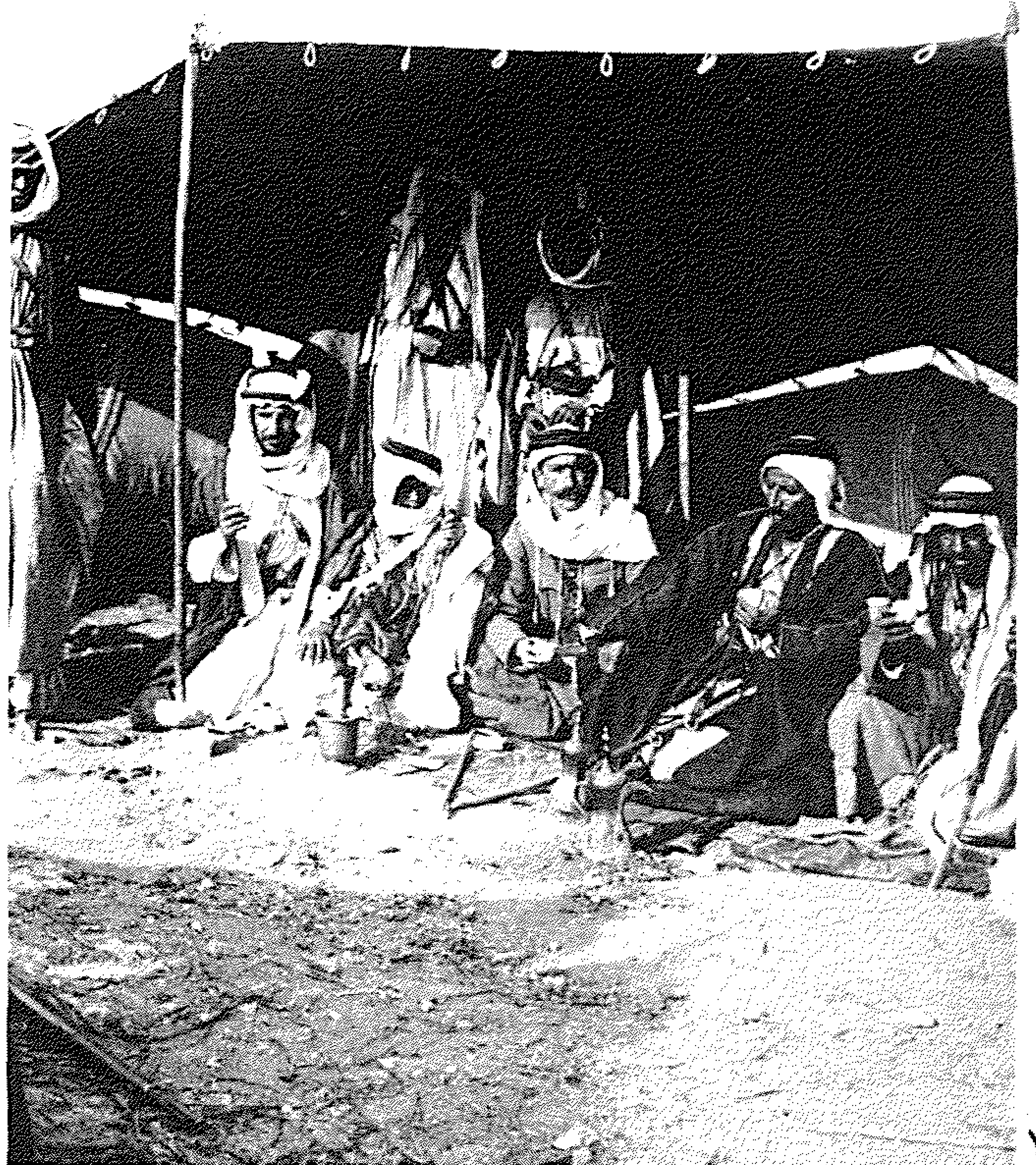
١٥- دخول العقبة من قبل القوات العربية غير النظامية ـ المنتصرة بقيادة الشريف ناصر بن علي في ٦ تموز عام ١٩١٧ .


١٤


١٥

العمليات في شرق الأردن وفلسطين (عامي ١٩١٧ و ١٩١٨)


١٦


١٧

١٦- الرائد نوري السعيد ضابط عربي في الجيش التركي التحق بالجيش العربي الشمالي من عام ١٩١٦ إلى عام ١٩١٨ وشارك في عمليات الحجاز وشرق الأردن وسوريا . رئيس وزراء العراق حتى عام ١٩٥٨ .

١٧- من اليسار لليمين : عودة ابن زعل ، محمد دحيلان أبو تايه ، عوده أبو تايه ، وزعل بن مطلق من عشيرة الحويطات الذين لعبوا دوراً حيوياً وفعالاً في حرب التحرير العربية .

١٨- الأمير زيد بن الحسين (نائب قائد الجيش العربي الشمالي) والضباط العرب النظاميين : عبدالله الدليمي ، راسم سردست ، اسماعيل نامق وصبحي العمري مع بعض المدافع النمساوية التي استولوا عليها في معركة الطفيلة الأولى في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩١٨ .

١٩- مجموعة من ضباط وضباط صف وحدة تركية متمركزة في درعا عام ١٩١٨ ويظهر بينهم الملازم راضي عناب (الواقف الثالث من اليمين) ، الذي رفع إلى رتبة لواء وخلف الفريق جلوب باشا في آذار عام ١٩٥٦ كرئيس أركان للجيش العربي الأردني .



١٨



١٩

٢٠



٢١

العمليات في سوريا (عام ١٩١٨)



٢٢

٢٠- احتلال دمشق ودخولها يوم ١ تشرين الأول عام ١٩١٨ ، وقوات الهجانة الشريفية أثناء مرورها بمجموعة من أسرى الحرب الاتراك .

٢١- الأمير فيصل (قائد الجيش العربي الشمالي) يغادر فندق فكتوريا بدمشق يوم ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨ بعد لقائه مع الجنرال اللنبي .

٢٢- قوة عربية نظامية بقيادة الشريف ناصر بن علي تمثل حرس المقدمة للجيش العربي الشمالي مع مجموعة « شيرود » من لواء الخيالة الهندي ١٤ في محطة المسلميه التي احتلتها القوات العربية بقيادة الشريف ناصر بن علي ونوري السعيد يوم ٢٦ تشرين الأول عام ١٩١٨ .

٢٣- قوات من لواء الخيالة الهندي ١٥ (فرقة الخيالة الهندية ٥) أثناء مرورها بشوارع حيفا بعد احتلالها في ٢٣ أيلول عام ١٩١٨ .



٢٣

٢٤- الجنرال اللنبي (الجالس الثالث من اليسار) في حفل استقبال صهيوني في القدس يوم ٢٤ آيار عام ١٩١٨ وعلى يمينه الدكتور حايم وايزمن .



٢٥- مجموعة من الوطنيين السوريين مع ضباط من الجيش العربي الهاشمي إبان الحكم الفيصلي في دمشق عام ١٩١٩ وهم من اليمين إلى اليسار (جالسون) مرزوق التخيمي ، الشريف علي الحارثي ، اليوزباشي (نقيب) عبدالله الدليمي ، ومن اليمين : يوسف شريم ، سليم الاطرش ثم شريف (لم يعرف اسمه) ، جعفر باشا العسكري ، الأمير زيد بن الحسين ، اللواء رضا الركابي ، الشريف ناصر بن علي ، فوزي البكري ، عبدالله الجزائري ، ويقف من اليمين : فرحان بن معجل ، نسيب الاطرش ، نسيب البكري ، حسين الاطرش ، تحسين العسكري وسامي البكري .





٢٥ أ

٢٥ أ - الأمير عبد الله بن الحسين (جالسا) ويبدو معه في الصورة من اليمين يونج ورونالد ستور من موظفي دار الاعتماد البريطانية في القاهرة ثم اللواء عزيز علي المصري المؤشر فوقه بعلامة (×) وزير الحربية في الحجاز، والكولونيل ولسون المعتمد البريطاني في القاهرة واللواء سيد علي باشا قائد بطارية المدافع المصرية . تشرين الأول ١٩١٦ .

٢٥ ب - الأمير فيصل بن الحسين جالسا في الوسط بين الكولونيل جويس (بريطاني) على اليمين وجعفر باشا العسكري على اليسار وادي القنفذة سنة ١٩١٧ .

٢٥ ج - الجيش الهاشمي الشرقي بقيادة الأمير عبد الله بن الحسين في وادي العيص ، نيسان ١٩١٧ .



٢٥ب



٢٥ ج

الفصل الثالث

تحرير سوريا الكبرى : شرق الأردن ، فلسطين ، سوريا ولبنان

٨ - عمليات الجيش العربي الهاشمي وتنسيقها مع عمليات القوات البريطانية في المسرح الشمالي : ١٩١٧ - ١٩١٨

خطط المستقبل

بعد الاستيلاء على ميناء الوجه وتأسيس قاعدة عمليات متقدمة في بئر جيدة في منتصف كانون الثاني ١٩١٧ قام الأمير فيصل بتقدير للموقف وتحليل مهمة جيش الثورة ، وخرج باستنتاج يبين أن هناك عملين يمكن اتخاذهما لهزيمة الأتراك في الحجاز وتحرير شرق الأردن وسوريا . ورفع تقدير الموقف إلى القائد الأعلى الشريف حسين مبينا فيه هذين العملين :

(١) الهجوم المشترك بالجيوش الثلاثة على المدينة وتدمير القوات التركية المرابطة هناك في معركة حاسمة أو

(٢) تخريب خط سكة الحديد بين مداين صالح وتبوك لدرجة تجبر الأتراك إما على إخلاء المدينة ، أو التخلي عن مواقعهم الحصينة للقيام بعمل تعرضي ضد القوات العربية في الصحراء معرضين أنفسهم للهجوم والهزيمة . وعندما تنهي قوات الثورة مهمتها الأولى تتقدم إلى سوريا شمالا . ولكن الأمير فيصل كان يحبذ الإسراع في التقدم شمالا بالجيش العربي الشمالي (بقيادته) وإبقاء الجيشين الشرقي والجنوبي للقتال في مسرح عمليات الحجاز .

ولكي يسهل الأمير فيصل تقدمه عبر سوريا قرر الاتصال بعشائر الرولة والحويطات وبني عطية والشيخ نوري الشعلان شيخ قبائل عنزة التي تسيطر على محور التقدم إلى سوريا عبر وادي السرحان ويعتبر تعاونها ضروريًا لنجاح العمليات في القطاع الشمالي . كما عاد وأكد على ضرورة احتلال العقبة وأهميتها للقوات البريطانية في سيناء .

في ٩ كانون الثاني ١٩١٧ احتلت القوات البريطانية رفح ووصلت إلى أبواب غزة ، وبذلك أصبحت سيناء تحت سيطرتها . وعلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر أصبحت السيطرة للقوات العربية من القنفذة حتى المويلح قرب مضايق تيران .

تقدم الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبدالله بين محطتي « ابي النعم » و« هدية » متجها إلى وادي العيص ، فاصطدمت مقدمة الجيش بقوة تركية واشتبكت معها وهزمتها بعد أن أسرت قائدها أشرف بك ، فأرسل الأمير عبدالله خبرا لفخري بك في المدينة يعلمه بهزيمة القوة التركية وأسر قائدها الذي كان لأسره أثر كبير على القوات العربية والأنجليز أيضا .

الجيش العربي الهاشمي

كان للأمير عبدالله مفهوم آخر بالنسبة للعمليات الحربية التي تنفذها قوات الثورة العربية . وقد بينه بالشكل التالي بعد أن علق على استئثار الأميرين فيصل وعلي بالأسلحة والمعدات :

(١) تقوم الجيوش العربية الثلاثة بالهجوم على المدينة وتدمير القوات التركية فيها .

(٢) بعد ذلك تتقدم الجيوش العربية الثلاثة الى سوريا والعراق لتحريرها وطرد القوات التركية خارجها .

ومن حسنات هذه الخطة انها لو نفذت لما بقيت القوات التركية في المدينة حتى نهاية الحرب ، ولساعد الجيشان الشرقي والجنوبي الجيش الشمالي في سرعة تحرير سوريا والمشاركة في تحرير العراق . ويمكن ان تكون هناك سيئة واحدة في الهجوم على المدينة بثلاثة جيوش مؤلفة من النظاميين والمتطوعين من القبائل ، وهي الخسائر الفادحة التي ستلحق بالقوات العربية وخاصة غير النظامية .

درس القائد الأعلى الشريف حسين افكار الاميرين فيصل وعبدالله آخذا بعين الاعتبار أهمية احتلال قاعدة انطلاق للعمليات في سوريا وسرعة بدء العمليات في الشمال . وقارن بين وجهة نظر فيصل التي تركز على سرعة التقدم واحتلال العقبة ووجهة نظر عبدالله التي تركز على تحطيم دفاعات الأتراك في المدينة ومن ثم التقدم بالجيوش الثلاثة شمالا واعتبار عامل الزمن والتوافق مع خطط البريطانيين في تقدمهم إلى فلسطين ، بالإضافة لكسب عشائر بلاد الشام إلى جانب الثورة ، واتخذ القرارات التالية :

(١) نظرا للأهمية السياسية والاستراتيجية لبدء العمليات في سوريا يتقدم الجيش الشمالي لاحتلال العقبة وتأسيس قاعدة عمليات متقدمة .

(٢) الاستعداد لتطوير العمليات الحربية في سوريا وشرق الأردن .

(٣) تعطى الأولوية الأولى في التجهيز والإمداد والإسناد المدفعي والجوي للجيش الشمالي .

(٤) يستمر الجيشان الشرقي والجنوبي في حصار المدينة ويقوم كل منهما بعمليات محدودة ضمن منطقة مسؤوليته .

وهكذا كان قرار الشريف حسين بالنسبة لمفهوم العمليات وخطط الحرب لعام ١٩١٧ متأثرا بالاعتبارات السياسية والاستراتيجية العليا المرتبطة بتحرير المشرق العربي وتاسيس الدولة العربية المستقلة . .

الهجوم على خط سكة حديد الحجاز شباط ـ تشرين الاول ١٩١٧

للمطابقة مع توجيهات القائد الأعلى للثورة (الشريف حسين بن علي) تم إعادة تنظيم الجيوش العربية الثلاثة وتوزيعها في اوائل عام ١٩١٧ على النحو التالي :

أ - الجيش الجنوبي بقيادة الأمير علي يساعده الامير زيد في رابغ .

ب - الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبدالله في وادي العيص على بعد ٦٠ ميلا شمال المدينة .

جـ -الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل في الوجه ويفرز مجموعة متقدمة تتألف من قوة نظامية رئيسية وقوات متطوعة (غير نظامية) تحتل قاعدة أمامية في جيدة .

في ٢٧ شباط ١٩١٧ تقدم الأمير علي يساعده الأمير زيد من رابغ بقوة من النظاميين والمتطوعين غير النظاميين تقدر بخمسة آلاف مقاتل يسندهم سبعة مدافع وأربع طائرات بريطانية على طريق السلطاني واحتلوا بئر عباس في ١٠ آذار ١٩١٧ . وقد خسر الأتراك في هذه المعركة حوالي ١٥٠ مقاتلا ، وأجبر الأمير زيد على التراجع إلى « مجز » بينما قاتل الأمير علي قتالا تراجعيا إلى الطريق السلطاني ، وكان الهجوم تضليليا قصد منه جر جزء من القوة التي تواجه الجيش الشمالي ، وهي المحاولة الأخيرة من الجيش الجنوبي لتخفيف الضغط عن الجيش الشمالي . وقد نجح فيها إلى حد ما .

وفي ١٢ شباط ١٩١٧ قامت قوة من البدو من الجيش الشمالي ومعها الكابتن « جارلند » بغارات متعددة على خط سكة الحديد فهاجمت محطة الطويرة ومحطات أخرى فخربت عدة أجزاء من السكة وأوقعت بعض الخسائر في القوات التركية المدافعة . وفي آذار قامت قوة أخرى بقيادة الشريف شرف ومولود مخلص بمهاجمة موقع تركي على سكة الحديد تدافع عنه كتيبة مشاة وأوقعت خسائر فادحة في القوة التركية وتكبدت القوات العربية ١٢٥ بين قتيل وجريح ، كما قامت قوة أخرى من الجيش الشمالي بغارة على محطة الدار الحمراء شمال مداين صالح وعلى سكة الحديد ودمرت ثلاثة جسور جنوب محطة العلا . وفي نهاية تموز ١٩١٧ شنت القوات العربية بقيادة جعفر العسكري غارات واسعة على محطة قلعة الزمرد والمدرج وأبو النعم ، وشارك في هذه الغارات الشريف شاكر بن زيد والشيخ فوزان الحارثي والكابتن لورنس .

وفي نيسان ١٩١٧ هاجمت قوة عربية بقيادة الأمير زيد قافلة إمداد تركية متوجهة إلى حايل عاصمة ابن رشيد في منطقة الحناكيه واستولت على ٣٠٠٠ جمل محملة بالكساء والأطعمة و ٢٥٠ أسيرا . ومما جعل النصر مثمرا القطيعة التي حدثت بين ابن رشيد والأتراك بعد هذه المعركة ، حيث رفض الأتراك طلب ابن رشيد المتكرر في تعويض الخسائر وأمروه أن يتوجه إلى تبوك حيث احتجز رهينة لضمان حسن تصرف عشيرته القوية (شمر) .

أوقعت الغارات العربية على طول خط سكة حديد الحجاز وعلى المواقع التركية خسائر لا بأس بها ، وقد أبلغ الجنرال كلايتون العرب في آذار ١٩١٧ باحتمال انسحاب قوات فخري بك من المدينة بناء على طلب من القيادة التركية العليا ، إلا أن فخري بك فضل البقاء والدفاع عن المدينة حتى نهاية الحرب مضيعا على الأتراك فرصة استخدام قوة الحجاز في مسرح عمليات آخر ، لكنه أجبر الشريف حسين على تخصيص قوة الجيشين الشرقي والجنوبي لحصار المدينة أيضا .

ولمواجهة الهجمات العربية المتكررة على خط سكة الحديد بين معان والمدينة أعاد الأتراك النظر في توزيع قواتهم في ذلك القطاع وقسموا المنطقة كما يلي :

الجيش العربي الهاشمي

القطـاع	القائـد	منطقة المسؤولية (عمليات)
(١) قطاع العلا	بصرى باشا (٢٠٠٠)	من المدينة إلى العلا
(٢) قطاع تبوك	عاطف بك (٥٠٠٠)	من العلا إلى تبوك
(٣) قطاع معان	محمد جمال باشا الثالث	من تبوك إلى معان
(٤) الفيلق ٧ (قطاع معان ـ درعا)	محمد جمال باشا الثاني (الصغير)	من معان إلى درعا

كان عدم التأثير على القوات التركية في الحجاز بشكل فعال يعود إلى عدم الأخذ بمفهوم الأمير عبدالله وهو أن الهجمات المتفرقة وغير المنسقة على الخط الحديد الحجازي تسبب إضاعة وهدر جهود الجيوش الثلاثة وطاقاتها . وكان ذلك يعني إطالة أمد حصار المدينة المنورة إلى نهاية الحرب . لذلك قام الشريف بإعادة ترتيب الأولويات فأعطى الأولوية الأولى لمسرح العمليات في شرق الأردن وسوريا وأصبح مسرح عمليات الحجاز في المرتبة الثانية .

بعد احتلال الوجه في كانون ثاني ١٩١٧ أصبح الجهد الرئيسي موجها لمسرح العمليات في سوريا وشرق الأردن ، وأعطيت المهمة الأولى للأمير فيصل وهي احتلال ميناء العقبة وتأمين قاعدة عمليات متقدمة .

بدأ الأمير فيصل تخطيطه لنقل الحرب إلى القطاع الشمالي بدعوة القبائل للانضمام إليه وتوحيد صفوفها في سبيل تحرير الأرض العربية من الحكم التركي . وقد تجلت النخوة العربية والحمية التي أثارتها شجاعة وشهامة قادة الثورة في نفوس القبائل فتناست الخلافات وأيام الغزو الدائرة بينها ولبت نداء الشريف حسين وأنجاله ، وتوافدت العشائر بشيوخها وزعمائها على معسكر الأمير فيصل تعلن ولاءها للثورة واستعدادها للتضحية في سبيلها .

وقد أبلغ الأمير فيصل والده ان ٢٤٢ شيخا وزعيم قبيلة قد لبوا نداء الثورة ، ومنهم الشيخ عودة أبو تايه أحد شيوخ عشائر الحويطات (٥٥ سنة) وهو ذو شخصية قوية ومحارب عنيد ، كان له دور بارز في الثورة . وقد برز هذا الدور في احتلال العقبة واستمر حتى احتلال دمشق . كما أرسله الأمير فيصل مع الشريف ناصر بن علي ونسيب البكري ليتصلوا بالشيخ نوري الشعلان وقادة سوريا وجبل الدروز . ورافقهم في هذه الرحلة الضابط العربي زكي الدروبي والكابتن لورنس الذي كان ينشد المغامرة كما جرى اتصال بمشايخ الكرك وحوران وغيرها من مناطق سوريا وشرق الأردن فجاء الكل يسهمون بثورة العرب الكبرى . واتصل الشريف ناصر بالشيخ نوري الشعلان الذي وافق على تأييد الثورة ثم التقى بعودة أبو تايه ومعه بعض خيالة الرولة في وادي السرحان ، بينما كان نسيب البكري يلتقي بالشيخ حسين الأطرش زعيم جبل الدروز .

الاستيلاء على العقبة في ٦ تموز سنة ١٩١٧

في ١٩ حزيران غادر الشريف ناصر بن علي وعوده أبو تايه النبك على رأس قوة مؤلفة من ٥٠٠

تحرير سوريا الكبرى

مقاتل متوجهين إلى باير على بعد ٩٠ ميلا شمال شرق معان مجتازين الجفر وسكة الحديد عند محطة غدير الحج حيث فاجأوا قوة تركية تقدر بكتيبة مشاة عند أبو اللسن بقيادة نيازي بك ، فهزموا القوة التركية وقتلوا وجرحوا ٣٠٠ جندي وأخذوا ١٦٠ أسيرا وخسرت القوة العربية رجلين فقط . وفي ٤ تموز استسلمت حامية القويرة وتقدر بنحو ١٢٠ جنديا . ولاشك أن انتصار القوة العربية غير النظامية في معركة أبو اللسن دل على قدرة العرب ونجاحهم في حرب العصابات .

وفي ٦ تموز هاجمت القوة العربية بقيادة الشريف ناصر بن علي وعوده أبو تايه ثغر العقبة فاحتلته وأخذت ٧٠٠ أسير منهم ٤٢ ضابطا ، وبلغت خسائر الأتراك حوالي ٦٠٠ قتيل .

كان احتلال العقبة نقطة انعطاف في عمليات الثورة العربية حيث بدأت عمليات الجيش الشمالي في سوريا وشرق الأردن ، ومنها بدأ التنسيق بين القوات العربية والقوات البريطانية في مصر وسيناء . وأصبحت عملياته ضمن مسؤولية الجنرال اللنبي .

وفي ٢٨ تموز استجاب الشريف حسين لطلب الجنرال السير « ريجنالد وينجيت » فوضع الجيش العربي الشمالي تحت قيادة الجنرال اللنبي الذي وصل مصر ، واستلم قيادة القوات البريطانية في نهاية حزيران ١٩١٧ ليقود الهجوم البريطاني في سيناء وفلسطين . ولتنفيذ ذلك تم في ٧ تموز نقل ٥٠٠ جندي بقيادة الشريف شرف والضابط العربي رشيد المدفعي على سفينة بريطانية إلى العقبة ، واحتلت القوة مواقع دفاعية متقدمة في مرتفعات النقب قرب القويرة . ثم انتقلت بقية الجيش الشمالي إلى العقبة برا وبحرا ، حيث وصلت مجموعة (١٥٠٠ مقاتل) وعلى رأسها جعفر العسكري ثم وصل بعدها الأمير فيصل وقيادته في ٢٣ آب ١٩١٧ . كما وصل الميجر « جويس » وأسس قاعدة تموين في العقبة بمساعدة باخرة بريطانية رست في الميناء .

وقبل أيام من احتلال العقبة كانت القيادة التركية الألمانية تعد الخطط لعملية (يلدرم) لإعادة احتلال بغداد وطرد الأنجليز من العراق ، هذه الخطة التي كانت من أفكار أنور باشا وزير الحرب التركي الذي كان يحلم بتحقيق الأمبراطورية الطورانية .

٩ - خطط الحرب الألمانية والبريطانية : ١٩١٧ - ١٩١٨

الخطة التركية الألمانية لعملية يلدرم آب ١٩١٧ م

(١) كان هدف الأتراك استعادة بغداد وطرد البريطانيين من العراق والوصول إلى حقول نفط الخليج العربي . ولتحقيق الهدف تقرر تكليف الجيش التركي السادس بالتحرك جنوبا مع نهر دجلة والجيش التركي السابع بالتحرك جنوب شرق مع نهر الفرات وبعد استرداد بغداد التوجه إلى الاستيلاء على البصرة والكويت .

(٢) لما بدأ التهديد البريطاني يتبلور في جنوب فلسطين فضل الأتراك إعطاء الأولوية لجبهة

فلسطين بدل العراق فتحول الجيش وفيلق ألمانيا الأسيوي إلى فلسطين وكان الجيش موجوداً هناك من قبل . ولكن فشلت محاولات الأتراك ضد الأنجليز الذين استولوا على القدس في ٩ كانون الأول ١٩١٧ . خـارطـة ٦

(٣) كان لذلك اثر كبير على عمليات الجيش العربي الشمالي إذ قرر الأتراك الدفاع عن شرق الأردن بالجيش الرابع المؤلف من الفيلق الثاني والفيلق الثامن وفرقة الخيالة الثالثة ومجموعة القتال الألمانية ١٤٦ ، وتعزيز قوة قتال الحجاز التي تدافع عن سكة الحديد هذا جعل أمام الجيش العربي الشمالي مهام ثقيلة لكنه تصدى لها بنجاح كما سيأتي .

خطة الحرب البريطانية ١٩١٨

تقرر في أوائل سنة ١٩١٨ أن يقوم الحلفاء بالدفاع في ساحة العمليات الأوروبية والتعرض في ساحة الشرق الأدنى وإرغام تركيا على الاستسلام . إلا أن هجوم الألمان في آذار سنة ١٩١٨ في أوروبا أدّى إلى تأخير التعرض البريطاني ضد الجيوش التركية في فلسطين ، إلا أن الجنرال اللنبي قرر بعد التشاور مع الجنرال سمتس القيام بالتعرّض في موعده وحدد الخطوط العريضة لخطته كما يلي :

أ . التقدم إلى نهر الأردن وتدمير الخط الحديدي الحجازي حول عمان وعزل القوات التركية في قطاع معان ـ المدينة المنورة .

ب . التقدم على الخط العام الممتد من ميناء حيفا على البحر الأبيض المتوسط ـ عبر سلسلة الجبال إلى شاطىء بحيرة طبريا الجنوبي في الشرق .

ج . بناء خط سكة الحديد ليصل حيفا ويستمر مع الساحل حتى بيروت ليستوعب عمليات القوات البريطانية الرئيسية المقبلة .

د . القيام بهجمات على خط سكة الحديد بين حيفا ودرعا ودمشق بالتنسيق مع قوات الجيش العربي الشمالي .

ورغم أن التعرض الألماني في فرنسا قد أثر على التعرض العام في فلسطين إلا أن خطة اللنبي التعرضية ومعركة مجدو بدتا أكثر طموحا وتصورا وأكثر شمولا ووضوحا ، كما لو وضعتا من قبل القيادة الألمانية ، وأبعد قليلا من تصور العقلية البريطانية الحذرة .

أما خطة ليمان فون ساندرس القائد الأعلى للقوات التركية الألمانية في فلسطين فقد قامت على الأسس التالية :

١ - الدفاع الثابت .

٢ - منع الانسحاب التعبوي .

٣ - عدم وجود قوة احتياط كافية لديه .

وقد نجح الجنرال اللنبي في تدمير الجيشين التركيين السابع والثامن بعد معركة مجدو الشهيرة وطرد فلولهما خارج فلسطين وقد سارت عمليات الجيش العربي الشمالي في شرقي الأردن جنباً إلى جنب مع القوات البريطانية بعد أن انطلقت من العقبة باتجاه الشمال وهي تضغط على القوات التركية التي تحتل محطات سكة الحديد بين المدوّرة وعمان. ففي تلك الفترة استطاع الجيش العربي الشمالي أن يشدد حصاره على حامية معان باحتلال مدينة الطفيلة والقيام بعدة هجمات مباشرة على المناطق المحيطة بمعان ومنها محطة المدورة وخط سكة الحديد شمال معان. وفي الوقت الذي كانت القوات العربية (الجيش العربي الشمالي) تحاصر الفيلق التركي الثاني في معان وتنتظر الفرصة للتقدم شمالا عبر الأردن وسوريا إلى دمشق، كانت القوات البريطانية قد حطمت الجيوش التركية في فلسطين وأسست رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الأردن لتلتقي مع القوات العربية في تقدمها نحو الهدف النهائي دمشق.

١٠ - حرب الاستنزاف: عمليات الجيش العربي الهاشمي في شرق الأردن والحجاز: تموز ١٩١٧- تشرين الأول ١٩١٨.

خطة الحرب

حسب التوجيهات الاستراتيجية التي أصدرها الشريف حسين في رابع في تشرين الثاني ١٩١٦، والتي طلبت من الجيوش العربية أن تضغط على القوات التركية في الحجاز وشرق الأردن جنوب عمان، وبعد احتلال الجيش الشمالي للعقبة، أعيد توزيع واجبات الجيوش العربية الثلاثة كما يلي: **خارطة ٧**

أ - الجيش العربي الشمالي

يقوم الجيش العربي الشمالي بعمليات إزعاجية للقوات التركية وتخريب خط سكة حديد الحجاز في القطاع الممتد بين تبوك وعمان لمنع نقل أية قوات تركية من الحجاز إلى الأردن وفلسطين وسوريا، كما يقوم الجيش العربي الشمالي بحرب استنزاف ضد الفيلق التركي الثاني في معان وإنهاك القوات التركية وإجبارها على الانسحاب من المدينة وتبوك ومعان.

ب - الجيشان الجنوبي والشرقي

يستمر الجيشان في الضغط على قوات فخري بك في المدينة ومنع انسحابها للشمال وإزعاج خطوط المواصلات التركية ومنع الاتصال بين القوات التركية وابن رشيد في حايل ومحاولة إجبار الحامية على الاستسلام.

ومن الجدير بالذكر أن الامير فيصل عندما وضع خطته لحرب الاستنزاف ضد القوات التركية في شرق الأردن ـ مسترشدا بتوجيهات القائد الأعلى الشريف حسين ـ راعى الاعتبارات التالية التي ارتكز عليها مفهوم العمليات: توزيع القوات التركية في معان وتبوك ووضعيتها الدفاعية على طول السكة من القطرانة إلى محطة تبوك، وطبيعة أرض العمليات ومدى ملاءمتها لعمليات القوات العربية، ثم وضع القوات البريطانية في خط غزة ـ بئر السبع واستعدادها للتقدم إلى القدس.

كان الهدف الأول في الأهمية تدمير القوات التركية (٨٠٠٠ مقاتل) في معان بقيادة محمد جمال باشا (الثالث) واحتلال المدينة باعتبار أنها تمثل عقدة المواصلات الحيوية بين جنوب الأردن والشمال والواحات الواقعة إلى الشرق من سكة الحديد ، مثل الجفر وباير ، ونظراً لقربها من وادي عربة . وبصرف النظر عن أن احتلال معان يوفر على الجيش الشمال حركة التفاف كبيرة عبر الصحراء للوصول إلى عمان ودمشق فإن نجاح العملية يشل القوات التركية في الحجاز واليمن ويجعلها غير قادرة على المشاركة في مسرح عمليات فلسطين وشرق الأردن .

أما بالنسبة لطبيعة المنطقة في الأردن من عمان إلى معان فإنها تبدأ من نهر الأردن غربا حيث يتكون غور الأردن الذي يبلغ أقصى انخفاض في البحر الميت (٣٩٢ م تحت سطح البحر) ويمتد من الشمال إلى الجنوب إلى أن يصل خليج العقبة ، وتليه إلى الشرق سلسلة الجبال الشرقية التي تبدأ بسلسلة جبال عجلون في الشمال ثم جبال البلقاء ومؤاب حيث تقع مدينة الكرك وجبال الشراة الممتدة حتى خليج العقبة . على هذه السلسلة تقع مدينة الطفيلة وقلعة الشوبك وقرية وادي موسى ، ويتراوح ارتفاع السلسلة الجبلية داخل شرق الأردن بين ٣٠٠٠ و ٤٥٠٠ قدم تقريبا ، كما يقع في نهاية السلسلة من الجنوب رأس النقب وعاصمة الانباط مدينة البتراء وبئر اللسن الذي يبعد عنها حوالي ١٠ أميال . بعد سلسلة الجبال وإلى الشرق تنفتح الأرض مكونة الصحراء الأردنية ، وهي امتداد لبادية الشام وتحاذي السلسلة الجبلية من الشمال إلى الجنوب ، وعلى الحد الفاصل بين المرتفعات والصحراء ما بين عمان والعقبة تقع محطات الجيزة ، فالقطرانة على طريق الكرك ، وجرف الدراويش ثم معان نقطة تجمع المواصلات البرية وسكة الحديد .

وقد كانت المناطق الجبلية مغطاة بالإحراج إلا أنها تضاءلت إلى حد كبير بفعل الأتراك الذين كانوا يستخدمونها وقوداً للقطارات ، ماعدا ذلك فالمناطق السهلية شبه جرداء قليلة المطر حارة صيفا باردة شتاء لاتزال شبه عارية من كل أثر للنبات باستثناء البري منه الذي تتغذى عليه قطعان الماشية في الربيع .

ونتيجة لعوامل المناخ وطبيعة الأرض امتد العمران ما بين خط سكة حديد الحجاز وغور الأردن على الشريط الجبلي الضيق الممتد من الشمال إلى الجنوب كما حدث في العصر الروماني والحروب الصليبية حيث بنيت المدن والقلاع مثل أم قيس ، وجرش والبتراء والكرك والشوبك والطريق الروماني القديم الذي ربط جرش بعمان ومادبا ومدن الجنوب القديمة .

لم تكن قوات الجيش الشمالي المؤلفة من ٢٠٠٠ جندي نظامي و ٣٠٠٠-٦٠٠٠ متطوع ، قادرة على شن هجوم رئيسي ضد القوات التركية في معان ، لذلك كان الأسلوب الأفضل هو القيام بعمليات إغارة على القوات التركية التي تحرس محطات السكة المهمة وتدميرها .

ولتنفيذ ذلك تم تقسيم العمليات إلى مرحلتين : المرحلة الأولى الغارات المستمرة واستنزاف القوات التركية المدافعة في قطاع معان ـ تبوك ، وقد بدأت في أيلول ١٩١٧ وانتهت في

أيار ١٩١٨ ، وخلالها جرت معركة معان الأولى . ثم المرحلة الثانية : وتبدأ بعد أيار ١٩١٨ لمهاجمة القوات التركية على طول سكة الحديد في قطاع معان ـ القطرانة . وفي ٨ آب ١٩١٨ تم تدمير محطة المدورة والقضاء على ٢٠٠ جندي تركي وأصبح نشاط الجيش الشمالي ممتدا من المدورة إلى عمان والسلط في الشمال .

لقد تاثرت عمليات الجيش العربي الشمالي بتقدم القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي بعد معركة غزة ودحر الجيش التركي الثامن والتقدم في فلسطين واحتلال القدس في ٩ كانون الأول ١٩١٧ ، واختراق خط الدفاع التركي الممتد بين يافا على ساحل البحر الأبيض المتوسط وأريحا في غور الأردن وتدمير الجيوش التركية في فلسطين . وبعد أن سقطت أريحا في ٢١ شباط ١٩١٨ وتم تأسيس رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الأردن تقدمت قوات تشيتور فاستطاعت دخول عمان في ٢٥ أيلول ١٩١٨ بعد انسحاب قيادة الجيش التركي الرابع وحامية عمان باتجاه درعا قبل عزلها من قبل القوات البريطانية والجيش العربي الشمالي .

لم تفلح محاولات الجنرال اللنبي في التنسيق بين خطط القوات البريطانية في هجومها على السلط وعمان مع الجيش العربي الشمالي بسبب قلة القوات النظامية في جيش فيصل وكبر حجم القوات التركية وبعد المسافة التي تفصل الجيش العربي الشمالي عن القوات البريطانية ، حيث كان الجسم الرئيسي للجيش الشمالي حول معان وشرق سكة حديد الحجاز .

وقد برزت هذه الصعوبة عندما أرسل فولكنهاين قوة تركية من عمان في ٦ آذار ١٩١٨ لاستعادة الطفيلة حيث دفعت القوة العربية (١٠٠ جندي نظامي) إلى الرشادية . كما أن إرسال جزء كبير من قوة الأمير فيصل التي تحاصر معان للتنسيق مع الفيلق البريطاني ٢٠ كان سيخفف الضغط عن حامية معان التركية ويجعلها قادرة على شن هجمات معاكسة على الجيش الشمالي .

ومع أن الهجوم على معان فشل إلا أنه حقق تدمير الخط الحديدي بين معان والمدورة . بما فيه نزع ٣٠٠٠ قضيب من السكة وتدمير ٥٠ جسرا بالإضافة إلى أخذ ٤٥٠ أسيراً تركياً . وفي الوقت الذي كان الأمير فيصل يحاول احتلال معان في ١٩ نيسان ١٩١٨ كانت قوات الفيلق الراكب الصحراوي تحاول التوسع في رأس الجسر على الضفة الشرقية لنهر الأردن ولكنها فشلت في الوصول إلى أهدافها .

ومن الأسباب التي قللت من التعاون والتنسيق بين الجيش الشمالي بقيادة فيصل والقوات البريطانية بقيادة اللنبي عدم تقديم الدعم اللازم للثورة ، مما اضطر الأمير فيصل أن يبعث بطلبات متكررة كانت تقابل بالبرود لأنها ـ في مفهوم القيادة البريطانية ـ تقوي الثورة وتجعلها خارج نطاق سيطرتها .

بعد أن أسس الأمير فيصل قاعدة عمليات متقدمة في القويرة وحقق التماسّ مع القوات التركية في دلاغة ووادي موسى ورأس النقب بدأ بعمليات إغارة واسعة على المواقع التركية في ذلك القطاع .

وفي أيار ١٩١٨ نقلت قاعدة القوة التي يقودها الأمير زيد إلى الفجيج شمال غرب معان ومنها بدأت القوات العربية تعمل على تدمير القوات التركية في القطاع الشمالي (معان ـ القطرانة) فاستعادت القوات العربية الطفيلة في ١٨ أيار ١٩١٨ ووصلت طلائعها وادي الحسا على طريق الكرك .

وفي الوقت الذي بدأ فيه الهجوم البريطاني النهائي في أيلول ١٩١٨ كان الجيش العربي الشمالي بقيادة الأمير فيصل قد حقق المهمة التي أسندت إليه من اللنبي وهي عزل القوات التركية في الحجاز عن شرق الأردن .

وحسب المصادر التركية بلغ عدد القوات التركية الإجمالي في أيلول ١٩١٨ في قطاع المدينة ـ القطرانة حوالي ٤٠,٠٠٠ جندي منهم ٢٢,٠٠٠ في منطقة عمليات الجيش العربي الشمالي .

رغم أن الإهتمام الاستراتيجي كان موجها إلى مسرح العمليات في شرق الأردن ، إلا أن الجيشين الشرقي بقيادة الأمير عبدالله والجنوبي بقيادة الأمير علي كان لهما دور كبير في مجرى العمليات العام ، فبالإضافة لحصار المدينة من جميع الجهات ومنع انسحاب القوات التركية وابن رشيد ، أسهما في عمليات متعددة في الحجاز وساعدا الجيش الشمالي على العمل في شرق الأردن وسوريا بحرية تامة .

لم تكن الآثار السياسية لاندفاع الجيش العربي شمالا في شرق الأردن وسوريا خافية على القيادة التركية الألمانية ، ولم تكن قوة الجيش العربي هي التي تقلقهم ، بل الخوف من الثورة العربية والتفاف عشرة ملايين عربي من أصل سكان الأمبراطورية العثمانية (٢٠ مليون) حول قادة الثورة ، وخطر ذلك على عمليات الجيوش التركية الألمانية الذي كان يثير هواجسهم . ولذلك ظهر تصميم القيادة التركية الألمانية على منع قوات التحرير العربية من العمل في البحر العربي والتقليل من أثرها النفسي والمعنوي على الشعوب العربية .

بعد احتلال العقبة أنشأت القيادة التركية الألمانية وكالة عربية في دمشق لمقاومة الآثار النفسية والمادية للدعاية العربية البريطانية في الولايات العربية ، وانتخب لها أفضل الخبراء الألمان في الشؤون العربية إلا أن كل هذه المحاولات فشلت في إزالة الخوف وعدم الرضى من نفوس الجماهير العربية عن الحكومة التركية الظالمة .

وقد ذكر الجنرال ليمان فون ساندرز ذلك التأثير قائلاً : « أن الجيوش التركية الألمانية كانت وهي تقاتل في الولايات العربية تشعر أنها في محيط معاد تماما لكل ما هو تركي » ، كما أكد ذلك جمال باشا الذي ذكر : « أن الدعاية العربية البريطانية قد أثرت في النفوس العربية وعلى الحكم التركي في البلاد العربية أكثر من الخسائر العسكرية في الجيوش التركية » .

ومهما كانت استراتيجية الأتراك أو تحولاتهم الفكرية تجاه العرب خلال الحرب إلا أنه كان على الثورة العربية أن تقاتل قتالا شرسا مريرا نحو سنتين ونصف قبل أن تخرج الأتراك نهائيا من شبه جزيرة العرب وفلسطين وسوريا .

مجرى العمليات : آب ١٩١٧- أيلول ١٩١٨

بعد اندلاع الثورة العربية في حزيران ١٩١٦ قررت القيادة التركية إرسال تعزيزات إلى فخري بك في الحجاز للقضاء على الثورة واحتلال مكة . فقام أنور باشا وزير الحربية التركي بإعداد قوة مؤلفة من كتيبتي مشاة انضمتا إلى القوة المختلطة في معان والتي أعيدت تسميتها باسم « الفيلق الثاني » وكان باسنادها ستة عشر مدفعاً وبلغ تعدادها ستة آلاف جندي انضم اليهم فيما بعد فوج الخيالة التركي السابع . وقد عين ضابط تركي كفء هو محمد جمال باشا الثالث قائداً لهذا الفيلق . وكان مركز قيادته في معان .

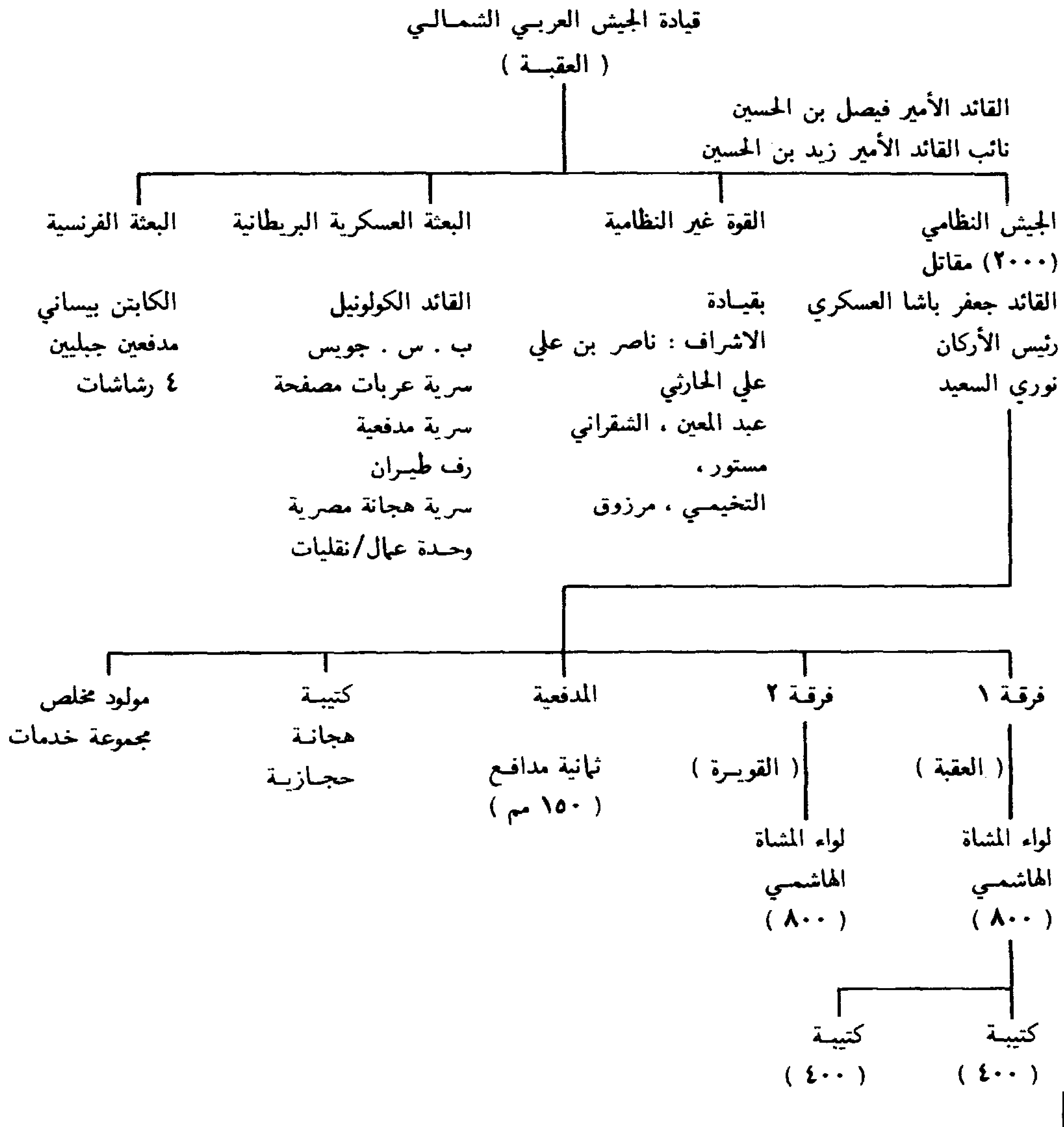
وبعد احتلال العقبة في ٦ تموز ١٩١٧ أرسل جمال باشا قوة تقدر بكتيبتين لاحتلال بئر اللسن ورأس النقب ثم دفع بعناصر استطلاع إلى بئر دلاغة في جبل مبرك الذي يسيطر على طريق وادي عربة ـ غرندل ـ معان . وباحتلال مرتفعات بئر اللسن ـ جبل الفويلة ـ دلاغة أغلق محمد جمال باشا محورين من محاور التقدم الثلاثة بين العقبة ومعان . أما المحور الثالث الذي يبدأ بين وادي موسى ومرتفعات البتراء ويتجه شمالا إلى الشوبك ومنها إلى أذرح ومعان فقد بقي مفتوحا .

بقي الأتراك محتفظين ببئر اللسن ودلاغة إلى أن استعادتها القوات العربية في تشرين الأول ١٩١٧ . ونتيجة ضغط القوات البريطانية في فلسطين اضطر محمد جمال باشا أن يقصر خطوطه الدفاعية حول معان ، وبالرغم من تكرار الهجمات العربية إلا أن القوات التركية بقيت صامدة فيها إلى أن انسحبت منها كجزء من الجيش التركي الرابع في ٢٤ أيلول ١٩١٨ .

وقبل أن يبدأ الأمير فيصل قتال الاستنزاف في شرق الأردن نظم الجيش العربي في قوتين وهما : « القوة النظامية » ، و« القوة غير النظامية » المؤلفة من القبائل ومتطوعي العشائر في الأردن وسوريا والحجاز .

الجيش العربي الهاشمي

المخطط التالي يبين تنظيم الجيش العربي الشمالي



للوهلة الأولى يبدو أنه لا مجال لمقارنة الجيش العربي الشمالي المؤلف من ٨٠٠٠ مقاتل منهم ٢٠٠٠ نظامي مع الجيش البريطاني الذي بلغ ٩٥,٠٠٠ مقاتل ، إلا أن هذا الجيش العربي الصغير العدد استطاع أن يثبت القوات التركية ، ويدمر ويأسر منها الكثير ، رغم تفوقها في العدد والعدة . فقد بلغت القوات التركية في الأردن والجزيرة العربية ما يزيد على ٤٠,٠٠٠ مقاتل . بينما لم تتمكن القوات البريطانية الهائلة من التقدم عبر سيناء واحتلال غزة حتى معركتها الثالثة من ٢٧ تشرين الأول إلى ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧ رغم قلة عدد القوات التركية (٣٠,٠٠٠) في سيناء ، وسوء

حالتها الإدارية . وتتضح هذه المقارنة إذ ما عرفنا أن مجموع الجيوش العربية النظامية لم يزد على ٦٠٠٠ مقاتل بالإضافة إلى ٣٠,٠٠٠ متطوع غير نظامي .

من ذلك نستخلص أن الإرادة والتصميم على التحرير من الظلم والاستعباد كانا أقوى من الجيوش البريطانية المتفوقة في الإعداد والتسليح والتدريب والإدارة . أما مساندة بريطانيا المادية للثورة فلم تكن ذات قيمة تذكر بل كان المكتب العربي في مصر يهتم بالنشرة العربية من أجل التاريخ البريطاني الرسمي أكثر من اهتمامه الفعلي بالثورة .

في تشرين الأول ١٩١٧ كانت قوات الجيش العربي الشمالي تحتل قطاعا شبه دائري يمتد من العقبة ـ القويرة ـ غرندل ـ دلاغة وحتى وادي موسى ، حيث احتلت كتيبة مشاة بقيادة رشيد المدفعي القويرة والكتيبة الهاشمية بقيادة مولود مخلص وادي موسى بينما احتلت القوات التركية خط الجبهة بين جبل الفويلة ـ بئر اللسن وحتى عين بسطة .

معركة وادي موسى : ٢١ تشرين الاول ١٩١٧

في ٢١ تشرين الأول ١٩١٧ شن محمد جمال باشا هجوما معاكسا لطرد القوة العربية من وادي موسى وكانت قوة الهجوم التركي مؤلفة من ثلاث كتائب مشاة وكتيبة خيالة شركسية وثمانية مدافع بقيادة كمال بك ، بينما بلغت القوة العربية المدافعة ٣٥٠ جنديا نظاميا بقيادة مولود مخلص و ١٨٠ متطوعاً بقيادة الشريف عبد المعين . وقد جاءت القوات التركية من الشوبك ومعان وعين بسطة ، وبعد اشتباك سريع أظهر فيه الطرفان شجاعة فائقة أجبر الأتراك على الانسحاب مخلفين وراءهم ٢٠٠ قتيل وجريح بما فيهم كمال بك الذي أخلي إلى معان ، وبلغت الخسائر العربية في هذه المعركة أربعين ما بين شهيد وجريح .

كما فقد محمد جمال باشا السيطرة على محور معان ـ وادي موسى ـ وادي عربة ، وتراجع إلى وضعية الدفاع الثابت في معان ، بعد الضغط المستمر على طريق عين وهيدة ، والهجمات المستمرة على سكة الحديد من قبل القوات العربية . ومما زاد في سوء الموقف التركي إرسال كتيبتين تركيتين من قوة معان إلى القدس ، بحيث أصبح محمد جمال باشا يتوقع الهجوم العربي النهائي في كل لحظة .

معركة غزة الثالثة : ٢٧ تشرين الاول ـ ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧

بينما كان الجيش العربي الشمالي يحقق نجاحا ملحوظا في عملياته ضد الفيلق التركي الثاني في قطاع العقبة ـ معان كان الجنرال اللنبي يشن هجومه المدبر ـ بعد انتظار طويل ـ ضد الجيش التركي الثامن في قطاع غزة ـ بئر السبع ، مستخدما ما يزيد على ١٠ فرق مسندة ، وبعد قتال عنيف استطاع اختراق جبهة الجيش التركي الثامن والتقدم داخل فلسطين . وفي ٩ كانون الأول ١٩١٧.

الجيش العربي الهاشمي

احتلت القوات البريطانية القدس ، وكان سقوط المدينة المقدسة يوما أسود على العالم الاسلامي ، لأنه بعد حكم إسلامي دام ٧٠٠ سنة تقريبا سقطت المدينة بيد الصليبية التي كان يمثلها اللنبي ، الذي دخل على صهوة جوادة وهو يقول : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

وفي تشرين الثاني حاول الأتراك التقدم ثانية على القويرة ، لكن مولود مخلص أجبرهم على التراجع من المريغة إلى عين وهيدة . وفي كانون الأول وبعد سلسلة من الهجمات المتكررة من الطرفين أجبر الأتراك على التراجع إلى تلال سمنة على بعد ٣ أميال من معان . وفي نفس الشهر انتقلت قيادة الجيش العربي الشمالي من العقبة إلى القويرة . وفي كانون الثاني ١٩١٨ أجبر الأتراك على الانسحاب من بئر اللسن . وهكذا فبالإضافة للضغط المستمر على الأتراك فقد كانت المناطق المحررة تشكل قاعدة للقوات غير النظامية للإغارة على سكة حديد الحجاز بالتنسيق مع تقدم القوات النظامية .

الغارات على سكة حديد الحجاز : أيلول ١٩١٧- تشرين الأول ١٩١٨

كانت الغارات على خط السكة الحديدية مستمرة من المدينة المنورة إلى عمان ، فبينما كانت قوات الجيش الشرقي والجنوبي تحاصر المدينة ، كانت هذه القوات تقوم بغارات متكررة على خط السكة جنوب تبوك . أما قطاع الأردن فقد تولت عشائر عقيل والتوايهة والرولة وبني عطية الإغارة على خط السكة بين تبوك ومعان ، وقبائل الحويطات وعشائر الكرك وبني صخر مهاجمته شمال معان ، ونتج عن هذه الغارات خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات في الجانب التركي كما أصبح الخط بين معان والمدورة في أيار ١٩١٨ غير قابل للإصلاح ، وتم تدمير ما يزيد على ٣٠ جسرا ونزع ١٠,٠٠٠ قضيب حديد . ومن أهم النتائج تدمير فرع الخط الذي يربط محطة عنيزة بالخط الفرعي الممتد داخل احراج الشوبك من أجل تزويد القطارات بالوقود . وقد قام بهذه العملية مولود مخلص على رأس سريتين نظاميتين و ٢٠٠ متطوع بقيادة الشريف عبد المعين حيث احتلت القوة الشوبك ودمرت الخط وأسرت ٢٠ جنديا تركيا .

ومن الغارات المهمة ، تلك التي قام بها الشريف مرزوق التخيمي على راس ٤٠٠ متطوع من عشائر الجنوب على محطة تركية بين تبوك وبئر بن هرماس حيث احتلت القوة المركز وقتلت وأسرت ١٠٣ جنود من مجموع عدد الحامية البالغ ١٨٠ جنديا .

وقد تكررت الغارات على محطات السكة بين معان وتبوك ، ونتج عنها قتل ما يزيد على ٢٥٠ تركيا ـ بما فيها المدورة التي هوجمت أكثر من ٤ مرات كان آخرها قوة بقيادة الأمير فيصل ونوري السعيد في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ وفيلق الهجانة بقيادة الميجر بكستون الذي سدد إليها الضربة القاضية .

العمليات المقررة في شرق الأردن : ربيع ١٩١٨

بعد سقوط القدس في ٩ كانون الأول ١٩١٧ بيد القوات البريطانية وفشل الهجوم المعاكس التركي اندفع البريطانيون نحو غور الأردن فاحتلوا أريحا وبدأ فيلق الصحراء الراكب تأسيس رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الأردن بين مخاضتي الغورانية وحجلة .

طلب الجنرال اللنبي من الأمير فيصل التقدم شرق البحر الميت لمساعدة القوات البريطانية في الوصول إلى عمان ، وقطع خط سكة الحديد فيها ، والالتقاء مع القوات البريطانية في غور الأردن . ولتنفيذ ذلك كان عليه احتلال مرتفعات الطفيلة والكرك حتى مأدبا .

كانت خطة اللنبي للاتصال بين القوتين طموحة أكثر من اللازم بل وغير عملية ؛ فقوة الجيش العربي الشمالي غير كافية لدحر القوات التركية عبر محاور التقدم إلى الشمال ، لتفوق الأخيرة العددي وتشبثها بالمناطق الحيوية أولا ، وثانيا لبعد المسافة بين قاعدة الجيش الشمالي في منطقة معان ومأدبا التي تزيد على ٢٠٠ ميل ، إذ لا يسمح الوقت بتقدم قتالي على طول سكة الحديد أو عبر المرتفعات أو وادي عربة ـ الغور الجنوبي ـ الكرك والاتجاه شمالا إلى مأدبا ، ثم وادي الأردن ، بصرف النظر عن انتشار القوات التركية على طول هذه المحاور . وكان أقل وقت لقطع المسافة المطلوبة اسبوعين أو نحو ذلك تقريبا . ولكن التصور البريطاني كان مغرقا في الخيال .

بالرغم من نجاح القوة التي يقودها مولود مخلص في صد الهجوم المعاكس التركي على وادي موسى في تشرين الأول ١٩١٧ إلا أن الأتراك لم يجدوا صعوبة تذكر في استعادة الطفيلة والزحف على الشوبك في أول آذار ١٩١٨ بقوة من القوات التركية الألمانية التي تدافع عن الضفة الشرقية لنهر الأردن في مواجهة الفيلق البريطاني العشرين . وما أن تأكد الأتراك من تحشد القوات البريطانية في أريحا للهجوم على عمان ، حتى أمروا القوة التي احتلت الطفيلة بسرعة العودة إلى مواقعها السابقة ، فقامت قوة خفيفة من الجيش الشمالي باستعادة الطفيلة مرة أخرى في ١٨ آذار ١٩١٨ .

لم يوافق الأمير فيصل على طلب الجنرال غير الواقعي التقدم شرق البحر الميت إلى عمان ، وحدد عملياته بمهاجمة الأهداف الواقعة ضمن منطقة مسؤوليته ، والتي يستطيع الجيش الشمالي معالجتها . وفي المؤتمر الذي عقد في الرملة في ٢٨ شباط ١٩١٨ عدل اللنبي مهمة الجيش العربي الشمالي وجعلها احتلال معان بالتنسيق مع قوات (أوشى) التي كانت ستهاجم السلط وتدمر سكة الحديد جنوب عمان ، ولكن هذا التنسيق لم يحدث ، فقد عبرت القوة البريطانية النهر وهاجمت السلط قبل الهجوم على معان بثلاثة أسابيع ، ورغم تفوق القوة البريطانية على الأتراك بنسبة ٦ إلى ١ فقد فشل الهجوم البريطاني وعادت القوة الى راس الجسر قرب دير حجلة والغورانية .

كما أن الهجوم على معان في ١١ نيسان قد صدته القوات التركية بقيادة وحيد بك الذي ذكر أن الهجوم العربي كاد ينجح ، حتى أنه أمر جنوده أن يركبوا الحراب وينتظروا العرب . وكان سبب فشل الهجوم العربي أن الضابط الفرنسي (بيساني) انسحب فجأة بعد أن أطلق من مدافعه عدة طلقات

ثم عاد وحزم مدافعه وامتعته وغادر أرض المعركة لأسباب غير معروفة . وبقي الأتراك مسيطرين على شرق الأردن حتى نيسان ١٩١٨ .

ورغم فشل الهجوم العربي على معان إلا أن عمليات الإزعاج والإغارة على الحاميات التركية كانت مستمرة . وفي نهاية أيار ١٩١٨ نقل الجيش العربي عملياته الرئيسية إلى شمال معان ، فهاجم محطة أبو الجرذان وعنيزة وجرف الدراويش والمنزل والقطرانة ، مما اضطر الأتراك أن يعززوا قواتهم في قطاع معان ـ القطرانة بكتائب مشاة ومدفعية المانية ثقيلة سحبوها من قطاع نابلس .

وبالإضافة لعمليات الإغارة الصغيرة المتكررة على سكة الحديد ، قام الجيش العربي الشمالي بمعارك رئيسية مثل معارك معان الأربع التي جرت ما بين نيسان وتموز ١٩١٨ ومعركة الطفيلة الأولى والثانية من كانون الثاني إلى آذار ١٩١٨ وتدمير محطة المدورة في ٨ آب ١٩١٨ . بينما خسر (أوشي وشوفل) معركتيها الأولى والثانية لاحتلال السلط وعمان إلى أن استطاع فيلق الصحراء الراكب دخول عمان في ٢٥ أيلول ١٩١٨ . وفي ٢٩ أيلول ١٩١٨ استسلم الفيلق التركي الثاني عند الجيزة لقوات تشيتور نتيجة ضغط الجيش الشمالي عليه ومطاردته له من معان إلى الجيزة .

احتلال الطفيلة ١٥ كانون الثاني ١٩١٨

بعد دحر الأتراك في وادي موسى واحتلال الطفيلة من قبل الشريف ناصر بن علي ، أرسلت قوة تركية لاستعادتها بقيادة حامد بك الذي أقسم أن يحتلها ويلقن السكان درساً قاسياً .

بعد معركة الشوبك في ٢١ أيلول ١٩١٧ ، تقدمت ثلاثة أرتال من القوات العربية لاحتلال منطقة الطفيلة : الرتل الأول بقيادة الشريف مستور تساعده عشائر الحويطات بقيادة حمد بن جازي وتقدم على الطفيلة عن طريق وادي عربة ووصل إليها من الغرب ، بينما تقدم الرتل الثاني بقيادة الشريف ناصر بن علي وعوده أبو تايه من الشرق ، أما الرتل الثالث بقيادة الشريف عبد المعين ، فقد تقدم إلى الشوبك فاستعادها للمرة الثانية دون مقاومة تذكر .

سار الشريف ناصر بن علي وعوده أبو تايه على رأس القوات غير النظامية يساعدهم نوري السعيد بقوة نظامية صغيرة فهاجموا محطة جرف الدراويش شرق الطفيلة في ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ ، وقتلوا ٨٠ جنديا وأسروا ٢٠٠ جندياً ، واستولوا على المحطة . ثم تابع الرتل الثاني تقدمه من الشرق على الطفيلة ، وكانت حاميتها لا تزيد على ١٥٠ جنديا معظمهم من العرب ، حيث استسلمت الحامية للشريف ناصر في ١٥ كانون الثاني ١٩١٨ ، وأعلن الشيخ ذياب العوران ولاءه للشريف حسين والثورة العربية . وفي ١٦ كانون الثاني وصل الأمير زيد إلى الطفيلة على رأس قوة نظامية تقدر بمئة مقاتل . خارطه ٨

معركة الطفيلة الاولى : ٢٣-٢٥ كانون الثاني ١٩١٨

سبّب احتلال الطفيلة والتهديد المحتمل للكرك القلق للقيادة التركية التي أرسلت قوة من ٦٠٠

جندي من الفرقة ٤٨ و ١٠٠ خيال ومدفعي هاون بقيادة المقدم حامد فخري لاستعادة الطفيلة . غادرت قوة حامد بك الكرك في ٢٣ كانون الثاني ، وفي اليوم الثاني تمكنت من دحر القوات العربية في وادي الحسا السحيق الذي يقع بين الكرك والطفيلة ، ويمتد من محطة الحسا في الشرق إلى أن يصل غور الصافي في منخفض البحر الميت غربا ، ويتقاطع مع طريق الكرك ـ الطفيلة .

ورغم اعتداد حامد بك وثقته المطلقة بقوته ، إلا أنه كان جاهلا بطبيعة المنطقة الجغرافية ، فبدلا من أن يسلك الطريق الصحراوي السهل إلى جرف الدراويش ومنها إلى الطفيلة ، ألقى بقواته في ذلك الوادي العميق ذي المسالك الوعرة ، الذي يضيع جيوشا بأكملها حيث يصعب على الماشي اجتيازه بسهولة .

وفي ليلة ٢٤-٢٥ عسكر حامد بك بقوته في وادي الحسا ، ومن حسن حظ العرب أن مجموعة من البدو ـ كانت تخيم في نفس الوادي اتقاء للبرد ـ تنبهت للوجود التركي ، فقامت بازعاج القوة في تلك الليلة وطيلة اليوم الثاني . ثم واصل حامد تقدمه واحتلت طلائع قوته التلال المطلة على المدينة من الشمال مع ظهر اليوم التالي .

كانت القوة العربية التي في الطفيلة لا تزيد على ٦٠ جنديا نظاميا بقيادة النقيب عبدالله الدليمي ، ولديه ٤ رشاشات فكرز بقيادة النقيب صبحي العمري ، ومدفعان جبليان و ١٢ خيالا . كان صبحي العمري ضابطا في الجيش التركي ثم فر من الخدمة والتحق بجيش الثورة العربية ، وقد اتصف بالشجاعة والحماس للثورة . وكان له دور بارز في احتلال المسلمية شمال حلب وعمل بعد انتهاء الثورة العربية ضابطا في الجيش العربي الأردني إلى أن تقاعد برتبة عقيد .

وصلت إلى الطفيلة تقارير مبالغ فيها عن القوة التركية القادمة ، لدرجة أن الأمير زيد فكر بالانسحاب إلى وادي موسى (٧٠ ميلا الى الجنوب) . أما القوة التركية فقد تعرضت لإزعاج وغارات القرويين من القرى المحيطة بالطفيلة طيلة ليلة ٢٥/٢٤ كانون الثاني .

وفي صباح اليوم التالي أرسل الأمير زيد خيالته بقيادة عبدالله الدليمي للاشتباك مع طلائع القوة التركية ، وبعد اشتباك سريع قتل فيه عدد من رجاله وتعطل المدفع الجبلي فعاد الدليمي إلى الأمير زيد واقترح أن يتقدم الجنود النظاميون (وعددهم ٦٠) مع مفرزة الرشاشات إلى خربة (نوخا) ، وأثار تقدمهم حماس القرويين والبدو الذين يعرفون كل شبر من الأرض ، وشجع ذلك صبحي العمري على التقدم بالرشاشات إلى خربة نوخا والتلال المجاورة ، وفتح نارها على القوات التركية التي دب الذعر والفوضى في صفوفها .

وقدر حامد بك أنه لايستطيع الوصول إلى خربة نوخا واحتلال الطفيلة قبل الغروب ، لذلك قرر البقاء في رأس اللعبان حتى صباح اليوم التالي ، واستدعى ضباطه للخلف لإبلاغهم بقراره الأخير . وللمصادفة فقد هجم القرويون والبدو مع القوة العربية النظامية على الأتراك بينما كان ضباطهم في الخلف ، فدبت الفوضى في صفوفهم وهزموا شر هزيمة وقتل قائد القوة حامد بك ،

وبلغت الخسائر في الجانب التركي ٤٠٠ قتيل و٢١٨ أسيرا بالإضافة إلى مدفعين و٢٣ رشاشا و٣٥٠ حصانا وبغلا .

التقرير الوحيد الذي صدر عن الجانب التركي حول المعركة جاء على لسان حسين حسني الضابط العربي في هيئة الأركان التركية الذي أورد ما يلي : « في ٢٥ كانون الثاني هزمت قوة تركية مؤلفة من ٦٠٠ جندي بقيادة المقدم حامد بك على طريق الكرك ـ الطفيلة وقتل قائدها . وفي ٢٧ كانون الثاني وصلت أخبار تفيد أن ٢١ ضابطا و٤٢٠ جنديا قد تراجعوا إلى الكرك » .

كما أن الكابتن الألماني ستوبر ذكر أن القوات التركية المتقدمة إلى الطفيلة في كانون الثاني ١٩١٨ ، اشتبكت مع القوات العربية في تلك المنطقة ، ونتج عن ذلك خسائر كبيرة في الجانب التركي ، كما وقع العديد من الأسرى في أيدي العرب . ويقول الجانب التركي أن الخسائر لم تزد على ١٥٩ ، وهناك بعد كبير بينها وبين التقديرات العربية . ولابد أن الرقم الصحيح يقع بين تقدير الطرفين ، أما الخسائر العربية (في القوة النظامية والقرويين والبدو) فكانت ٢٠ شهيدا و ٤٠ جريحا ، وهي خسارة لا تقارن مع النصر الرائع الذي حققته قوة صغيرة بقيادة الأمير زيد ضد قوة كبيرة يقودها ضابط مغرور ومتعجرف قاده جهله الى الهزيمة . وقد تجلت شجاعة القرويين من عيمة ، والطفيلة والقرى المجاورة ، وبسالة حامد بن عرار وحمد بن جازي والقوات النظامية وغير النظامية . وكانت معركة الطفيلة الأولى نصرا ماديا ومعنويا كبيرا للثورة العربية .

من الضباط العرب الذين اشتركوا في معركة الطفيلة الأولى عبدالله الدليمي وصبحي العمري واسماعيل نامق الذي أصبح رئيسا لأركان الجيش العراقي فيما بعد ومحمد علي العجلوني الذي وصل إلى رتبة لواء في الجيش العربي الأردني ، وقد شارك في معركة معان وجرح ونقل للقاهرة ثم عاد ورافق الأمير زيد وجعفر باشا العسكري أثناء دخولهما دمشق ، وكان من الذين استقبلوا الأمير عبدالله عند قدومه إلى شرق الأردن مع فؤاد سليم وعبد القادر الجندي .

كان دور لورنس في معركة الطفيلة ، أنه رافق الأمير زيد إلى خربة نوخا وكتب تقريرا إلى هيئة الأركان البريطانية في فلسطين التي أوصت بمنحه وسام الخدمة المميزة (DSO) وقد كتب عن ذلك قائلاً : « عندما وصل تقريري إلى القيادة العامة ـ والذي لم أقصد منه سوى تسجيل المعركة في السجلات الرسمية ـ ظنوا أني متواضع لدرجة إغفال ذكر دوري في المعركة وهكذا منحوني وسام الخدمة الخاصة » .

من المعجبين الذين كتبوا عن « ت . ئي . لورنس » ، جفري مايرز ، الذي ذكر أن لورنس قد تخلى عن المفهوم التقليدي للحرب في خطته الرائعة لمعركة الطفيلة ، ولم يتبع مفهوم كلوزفتز أو فوش للهجوم المباشر ، بل عمد إلى الالتفاف على الجناح التركي الأيمن وضرب العدو من الخلف فسحق القوة التركية وقتل قائدها المقدم حامد باقل الخسائر في الجانب العربي .

لقد صدق السير اليك كيركبرايد إلى حد ما ، عندما قال أن أصداء شهرة لورنس تتردد في العالم

العربي . وليس ثمة من شك في أن شهرة لورنس ستظل حيّة بين العرب ما بقيت دولة اسرائيل ، لأن كل عربي من حلب إلى عدن يعرف أن اللورد بلفور كان المبشر بالدولة اليهودية وأن معاهدة سايكس ـ بيكو والعملاء البريطانيين بمن فيهم لورنس قد خانوا قضية العرب وكفاحهم من أجل الاستقلال .

الغارة على غور المزرعة ومحطة المدورة : كانون الثاني ١٩١٨

في **٢٨** كانون الثاني **١٩١٨** جرت محاولة من قبل الشريف عبدالله بن حمزة لقطع طريق المواصلات بين الكرك وجبال القدس والخليل وبئر السبع في منطقة قرب لسان البحر الميت تدعى « غور المزرعة » وقد انطلق الشريف عبدالله من قاعدته في وادي عربة بمساعدة عشيرة الطرابين من بئر السبع ، وهاجم الميناء الصغير فدمر سبعة زوارق واستولى على كمية كبيرة من المؤن وأخذ ٦٠ أسيرا .

وفي **٢٣** كانون الثاني **١٩١٨** قامت قوة من الجيش الشمالي بمهاجمة محطة المدورة ، لكنها فشلت في احتلالها ، وفي اليوم التالي وصلت تعزيزات تركية فانسحبت القوة العربية . وكان شتاء ذلك العام باردا جدا ، وسقطت الثلوج والأمطار بشكل كثيف ، وعانت القوات العربية من رداءة الطقس ، وسوء الاحوال الجوية ، خاصة في مرتفعات النقب والطفيلة والشوبك حيث لم يكن لديها من الملابس والمواد ما تتقي به سوء الحالة التي قللت من عملياتها إلى أدنى حد . وكان منظر الجنود العرب النظاميين وهم يرتدون الخاكي البريطاني الصيفي في فصل الشتاء القارس يدعو للرثاء ، بينما كانت القوات البريطانية تنعم بأفضل المعدات والمهمات والملابس الصوفية والمواد الغذائية . وحتى البعثة البريطانية الموجودة مع الجيش العربي الشمالي لم تفعل شيئا حيال ذلك . وأثناء مرور لورنس على اللواء الهاشمي بقيادة مولود مخلص في بئر اللسن علق على الوضع قائلاً : « ما أروع هؤلاء الرجال الذين يدافعون في مكان يرتفع حوالي ٤٠٠٠ قدم في خنادق مكشوفة وينامون دون أغطية كافية تقيهم برد الشتاء القارس ، ولايستر أجسامهم سوى الخاكي الصيفي ، ولا يجدون ما يدفئون به أنفسهم سوى بعض الشجيرات المبتلة التي لا تكاد تسري النار فيها ، أو تكفي لأن يطبخوا عليها طعامهم يوما بعد يوم . ولولا عزم الضابط الشجاع مولود مخلص وايمان جنوده بهدفهم ، لما تحملوا هذه الأوضاع القاسية التي مات بسببها الكثيرون » . وهذا دليل آخر على أن الجيش العثماني ـ بما فيه من أتراك وعرب ـ ضباطاً وجنوداً ـ يستطيع أن يقاتل بعناد وتصميم تحت أقسى الظروف متحليا بالصبر والشجاعة والقدرة على التحمل .

معركة الطفيلة الثانية : ٢٥ شباط ـ ٦ آذار ١٩١٨ خارطه ٩

بعد هزيمة القوة التركية ومقتل قائدها حامد بك وتهديد الأمير زيد لمدينة الكرك المهمة في خط

الدفاع التركي ، أرسلت القيادة التركية قوة جديدة من حامية عمان لاستعادة الطفيلة وطرد العرب جنوبا إلى الشوبك . تألفت هذه القوة بقيادة نيد ماير من مجموعة قتال ثلاث كتائب مشاة وسريتي راكبي بغال ومفرزة ألمانية وسريتي رشاشات و ٨ مدافع وقد تعلمت الدرس من هزيمة القوة التركية الأولى التي قادها حامد فخري وتقدمه المباشر من الكرك إلى الطفيلة عبر وادي الحسا الوعر المسالك متبعا الطريق الروماني القديم ، ولتجنب خطأ حامد فخري ، ركبت القوة القطار من عمان ونزلت في محطة الحسا وجرف الدراويش (التي تبعد نحو ٢٠ ميلا شرق الطفيلة) ، وتقدمت على الطريق المسمى « درب السلطاني » الصاعد عبر أرض منفتحة لايوجد بها وديان عميقة كوادي الحسا . كانت قوة الأمير زيد التي تدافع عن الطفيلة مؤلفة من النظاميين والمتطوعين من عشائر بني صخر والمناعين والحجايا بالإضافة لسكان البلدة نفسها ، وقد حدث أول اشتباك بين الطرفين قرب خربة التوانا بين الطفيلة والجرف .

وفي هذا الاشتباك قتل ٢٥ خيالا ألمانيا مما دعا محمد جمال باشا أن يقود القوة التركية بنفسه . وبعد سلسلة من الاشتباكات تراجعت القوة العربية إلى جبل المصلّى ثم إلى خربة (عبور) ، وقد تثبت الأمير زيد في خربة (العيص) التي تشرف على الطفيلة ، وقاتل طوال اليوم معطيا الفرصة للسكان لإخلاء البلدة . وفي ٦ آذار ١٩١٨ دخل الأتراك الطفيلة ونهبوها بينما أجبر الأمير زيد على الانسحاب إلى الجبال . ومن ثم التراجع إلى الرشادية ، التي تقع على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم وتطل على وادي عربة عند سفح جبل العطاعطة .

وفي ١٨ آذار ١٩١٨ انسحب الأتراك من منطقة الطفيلة مسرعين لتعزيز الحامية التركية في عمان ضد الهجوم المتوقع من قبل الفيلق البريطاني ٢٠ . وقد ذكر الأمير زيد أن إخلاء الطفيلة تم بناء على قرار اتخذته قيادة الجيش العربي الشمالي وليس بناء على رغبته الشخصية . وقد وصف الجنرال ليمان فون ساندرز المعركة بأنها كانت عنيفة ولكنها ناجحة .

الغارة على قلعة فصوعة

في آذار ١٩١٨ بدأ القلق والاضطراب ينتشران في صفوف الجيش العربي الشمالي لدى تسرب الأخبار إلى المعسكر حول اتفاقيات الحلفاء السرية التي تقسم الوطن العربي وتجعل سكانه خاضعين لدول أجنبية ، كاتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ حدث أن أرسل وزير خارجية روسيا نسخة من اتفاقية سايكس ـ بيكو إلى تركيا التي بدورها أبلغت الشريف حسين بمضمونها ، الأمر الذي أقلق الشريف والقادة العرب الذين لم يقوموا بالثورة ليغيروا سيدا بسيد أو تعطى أوطانهم للغرباء .

كان من نتيجة ذلك حدوث البلبلة وعدم الرضى والشك في نوايا البعثة البريطانية التي ترافق

الجيش الشمالي عندما أصدرت أوامرها بمهاجمة قلعة الفصوعة (غربي محطة فصوعة) على رأس النقب وجنوب معان بدلا من مهاجمة معان التي تبدو أكثر أهمية . وعندما رفض مولود مخلص قائد قوة القتال العربية تنفيذ الأمر عزل من القيادة وعين محله جعفر العسكري ولم تنفذ المهمة على أية حال بسبب العواصف الرعدية والأمطار الشديدة ، وأعيد مولود مخلص لقيادته . وكان لقلق العرب ما يبرره حقا ، فقد تكشفت خيانة الحلفاء وغدرهم في السنة التالية وما بعدها ، ورغم التصريحات المطمئنة الصادرة عن حكومة صاحب الجلالة البريطانية للعرب فقد ارتكب الحلفاء أحط أنواع الخيانة في حق امة وثقت بهم وحاربت معهم جنبا إلى جنب .

خـارطـة ١٠

معارك عمـان ومعـان ٢١ آذار ـ ٣ ايار ١٩١٨

في المؤتمر الذي عقده اللنبي في قيادته في الرملة التي تقع على بعد ١٥ ميلا جنوب شرق يافا ، عدل خطته التي كانت تقضي بأن يقوم الفيلق ٢٠ بالتنسيق مع الجيش الهاشمي الشمالي باحتلال عمان ومادبا رغم وجود الجيش الهاشمي على بعد ١٥٠ ميلا جنوب عمان وقرر أن يجتاز الفيلق ٢٠ نهر الأردن ويحتل السلط ثم يتقدم لاحتلال عمان في الوقت الذي يشن الجيش الهاشمي فيه هجومه على معان . وباحتلال عمان ومعان يصبح خط سكة الحديد بينهما غير عامل لفترة معقولة .

وعندما بدأ الفيلق البريطاني ٢٠ بالعبور تصدى له الفيلق التركي الثامن ولم يستطع احتلال أهدافه وفشل أوشي في الوصول إلى السلط كما فشلت قوات الجيش الشمالي في احتلال معان .

خـارطـة ١١

معركة عمان الأولى ٢١ آذار ـ ٢ نيسان ١٩١٨

أسندت مهمة احتلال عمان وتدمير خط سكة الحديد جنوبها لمنع انسحاب القوات التركية من الجنوب إلى الشمال ، إلى الفيلق البريطاني ٢٠ بقيادة أوشي . وقد وضع بإمرته الفرقة البريطانية والفرقة الاسترالية النيوزلندية (الراكبة) بالإضافة لبعض الألوية الخفيفة والمدفعية . أما القوات العثمانية شرقي نهر الأردن فلم تزد على ٤٠٠٠ جندي مشاة وخيال . وتقرر بدء الهجوم عبر النهر واحتلال السلط ثم التقدم لاحتلال عمان يوم ٢١ آذار إلا أنه تأجل ـ بسبب سوء الأحوال الجوية ـ إلى ٢٣ آذار ١٩١٨ بعد أن اجتازت الفرقة البريطانية ٦٠ النهر وأسست رأس جسر على الضفة الشرقية للنهر عند مخاضتي الغورانية وحجلة . وفي ليلة ٢٤/٢٣ آذار تقدمت الفرقة الأسترالية النيوزلندية الراكبة من رأس الجسر على محور ناعور ـ وادي السير ـ عمان بينما تقدمت الفرقة ٦٠ على محور وادي شعيب ـ السلط فاحتلت جسر وادي شعيب يوم ٢٤ آذار ، وبعد توقف غير ضروري استطاعت الفرقة البريطانية باللوائين (١٧٩ ، ١٨٠) الوصول إلى السلط يوم ٢٦ آذار حيث وجدت أن الفرقة الاسترالية النيوزلندية قد احتلت البلدة من الشرق يوم ٢٥ آذار . وفي يوم

٢٧ احتلت الفرقة الاسترالية النيوزلندية مشارف عمان الغربية حيث امتد خط القوات البريطانية يوم ٢٨ من (القصر) جنوب غرب عمان إلى مرتفعات وادي السير ثم إلى شمال غرب عمان بحوالي ميل (أي من مثلث ناعور الاذاعة إلى مثلث وادي السير إلى صويلح حاليا) . وفي ٢٩ آذار قام أسعد بك بفرقة الخيالة التركية الثالثة بهجوم معاكس من داميا واستطاع دحر لوائي الخيالة الأستراليين الخفيفين الثاني والثالث واحتلال منطقة كفر هودا غرب السلط في نفس الوقت الذي وصلت فيه تعزيزات إلى حامية عمان من الشمال .

وفي ٣٠ آذار شن الفيلق ٢٠ الهجوم الرئيسي على عمان باللواء النيوزلندي ولواء هجانة ولواء من الفرقة ٦٠ ولكن الهجوم فشل وبدأت قوات الفيلق تتراجع إلى النهر حيث أخلت القوات البريطانية السلط يوم ١ و ٢ نيسان واستعاد أسعد بك المدينة يوم ٣ نيسان . وكان أول فشل للجيش البريطاني منذ معركة غزة الثانية ، وبالمقابل حقق ذلك نجاحا للقوات التركية ورفع معنوياتها بعد النكسات الخطيرة التي أصابتها .

وبينما كانت معركة عمان الأولى على أشدها شن الألمان هجومهم العام الهائل في فرنسا يوم ٢١ آذار ١٩١٨ . وكان تأثير هذا الهجوم الألماني على القوات البريطانية في فلسطين فوريا ، إذ نقلت بعض الفرق بحرا إلى فرنسا مما أثر على خطط اللنبي التعرضية في فلسطين .

معركة معان الأولى ١١-١٩ نيسان ١٩١٨ .

بعد فشل هجوم الفيلق ٢٠ على عمان والهجوم التركي المعاكس يوم ١١ نيسان، طلبت القيادة البريطانية العليا من الجيش العربي الشمالي أن يهاجم معان لتخفيف الضغط عن القوات البريطانية في وادي الأردن ، وبعد محادثات طويلة تقرر تنفيذ الهجوم . لقد كانت القيادة التركية العليا تفكر جديا في ترك الحجاز وإخلاء المدينة وسحب قواتها البالغة ١٥,٠٠٠-٢٠,٠٠٠ جندي لتعزيز الجبهات في سوريا وفلسطين . ولإحباط المخطط التركي قرر الأمير فيصل الاستجابة لطلب اللنبي وشن الهجوم لعزل معان وقطع خطوط المواصلات بين الحجاز والشمال .

وفي ٨ نيسان عقد الأمير فيصل مؤتمرا حربيا حضره جعفر العسكري ونوري السعيد والكولونيل داوني (البريطاني) الذي عين في هيئة أركان الجيش الشمالي حديثا ، والذي كان عليه أن يوافق على خطة الهجوم على معان حتى يمكن تنفيذها .

كان مفهوم العمليات يتلخص في الهجوم بثلاثة أرتال متوازنة بهدف عزل معان من الشمال والجنوب قبل شن الهجوم الرئيسي على الحامية التي تدافع في المحطة وقد قسمت المنطقة إلى ثلاثة محاور : الوسط والشمال والجنوب ، وتم تجميع القوات وتخصيص المراحل والأهداف كما يلي :

المرحلة الأولى	: المحور الأوسط (الفرقة ١)
الهدف (أ)	: غدير الحج : ١١ نيسان
القائد	: نوري السعيد
القوات	: لواء المشاة الهاشمي ١
	عربات مصفحة
	سرية مدفعية فرنسية (بقيادة كابتن بيساني)
الهدف (ب)	: جبل سمنة ١٣ نيسان
القائد	: مولود مخلص
القوات	: القوات غير النظامية (بقيادة عودة أبو تايه)
	سرية مدفعية فرنسية
المرحلة الثانية	: المحور الشمالي (الفرقة ٢)
الهدف (أ)	: أبو الجرذان ١٣ نيسان
القائد	: جعفر باشا العسكري
القوات	: لواء المشاة الهاشمي ٢
	المتطوعون البدو
	سرية مدفعية جبلية
الهدف (ب)	: معان : ١٦ نيسان
المرحلة الثالثة	: المحور الجنوبي (الرتل المتحرك)
الهدف	: تلول الشحم ١٩ نيسان
القائد	: الكولونيل داوني
القوات	: المتطوعون البدو بقيادة الشريف هزاع
	مجموعة عربات مصفحة
	سرية هجانة مصرية بقيادة (بيك)

مع فجر يوم ١١ نيسان هاجم نوري السعيد الهدف (غدير الحج) واحتله ودمر ١٠٠٠ قضيب من خط السكة وأسرت قواته ٢٧ أسيراً ، وفي ١٣ نيسان هاجمت قوات المحور الشمالي بقيادة جعفر العسكري محطة الجرذان ودمرتها مع ٣٠٠٠ قضيب حديد بين معان والمحطة ، وأسرت ٢٠٠ أسير . وفي ١٣ نيسان أيضاً هاجمت قوات مولود مخلص جبل سمنة الذي يسيطر على معان من الجنوب الغربي واحتلته وأخذت ٣٠ أسيراً ، ثم شن جعفر العسكري هجومه النهائي في ١٧ نيسان فاحتل محطة معان وأخذ ٧٠ أسيراً . وخلال المعركة الأخيرة ودون سبب واضح أوقف كابتن بيساني الرمي وسحب سرية المدفعية من العمل وعاد للقاعدة . وقد أكد نوري السعيد ذلك قائلاً : « لم تشارك سرية المدفعية إلا في مجموعة قذائف لايجاد المسافة والاتجاه » ، وفجأة قطعت الرمي وعادت مع قائدها إلى المعسكر مما سهل على الأتراك اليائسين أن يشنوا هجومهم المعاكس ويستعيدوا محطة

معان حيث تراجع العرب إلى جبل سمنة . كما قامت التعزيزات التركية القادمة من الشمال باستعادة محطة الجرذان وإمداد حامية معان التي كانت تعاني الجوع ، بالتموين .

وفي ١٩ نيسان قام الكولونيل داوني والشريف هزاع على رأس القوات المتحركة ومتطوعي البدو بالتقدم على المحور الجنوبي واحتلال محطة تلول الشحم وأسر ٤٥ جندياً تركياً ، وفي ٢٠ نيسان واصلوا التقدم جنوباً ودمروا سبع محطات وقسماً من الخط بين المدورة وتلول الشحم . وفي نفس التاريخ قامت قوة من قبيلة التوايهة بقيادة الشيخ محمد دحيلان بتخريب حوالي ٦٠ ميلاً من الخط بين معان وغدير الحج بما فيه المحطات : شديا ، بطن الغول ووادي الرتم .

وقد أفادت المصادر التركية أن محمد جمال باشا الثالث (قائد الفيلق الثاني) كان يدرك نوايا العرب بالهجوم على سكة الحديد جنوب وشمال معان لعزلها وتدمير حاميتها ، ولذلك طلب تعزيزات من دمشق لمواجهة الهجوم العربي الرئيسي المتوقع ولكنها لم تأتِ .

وخلال معركة معان ذكر قائد الحامية وحيد بك أن الحامية كانت في وضع يائس ، وقد أمر قواته أن تستعد للانسحاب إلى خط الدفاع الثاني إلا أن رماية المدفعية العربية توقفت فجأة ولم يستمر جعفر العسكري بالهجوم ، مما أعطى القوة التركية فرصة شن هجومها المعاكس بمساعدة بعض المتطوعين من معان .

اشترك من القوات العربية في معركة معان حوالي ٣٠٠٠ نظامي وبضعة آلاف من غير النظاميين ، ورغم فشل القوة في احتلال معان إلا أن الجنود أثبتوا أنهم على مستوى ممتاز من التدريب والضبط والتحمل ، وقد دمروا خلال الغارات التي شنوها على سكة الحديد ، ما يزيد على ٥٠ جسراً و ٢٠٠٠ قضيب حديد وأخذوا أكثر من ٤٥٠ أسيراً وقطعوا الاتصال بين معان والمدينة المنورة .

بعد تدمير الخط وقطع الاتصال بين المدورة ومعان نقل الجيش الشمالي عملياته إلى شمال معان ، وجمع جزءاً من القوة النظامية (حوالي ١٢٠٠ جندي نظامي) يساندهم مدفعية ميدان (١٨ رطلاً) ومدفعان جبليان وسريتا رشاشات بقيادة نوري السعيد حيث كانت هذه القوة تحت قيادة الأمير زيد الذي أسس قاعدته في الفجيج ـ ١٠ أميال شمال غرب معان ـ . وكان واجب قوة الأمير زيد توجيه عملياتها إلى خط سكة الحديد شمال معان لتمنع أي تعزيزات للحامية التركية هناك . وكان أول عمل قامت به القوة هو الهجوم على محطة الجرذان في ١١ أيار ١٩١٨ بلواء نظامي يقوده نوري السعيد ، وقبل الهجوم على محطة الجرذان وبدء معركة معان الثانية كان فيلق الصحراء الراكب بقيادة (تشيتور) قد شن هجومه الثاني على عمان في ٢٩ نيسان ١٩١٨ .

معركة عمان الثانية : ٢٩ نيسان ـ ٤ أيار ١٩١٨

١٢ في أول نيسان سنة ١٩١٨ قرر اللنبي أن يكلف فيلق الصحراء الراكب بقيادة شوفيل بمهاجمة وتدمير

العدو في غور نمرين وبعد ذلك احتلال السلط والتثبت بها حتى يتمكن الجيش العربي الشمالي من التقدم شمالا لتخفيف الضغط عن شوفيل . ولما كان الجيش العربي الشمالي مشغولا مع الأتراك في معارك معان فإن طلب اللنبي كان غير معقول . وقد فشل الهجوم البريطاني ثانية نتيجة مقاومة القوات التركية في منطقة السلط وعمان .

معركة معان (الجرذان) الثانية : ١١ - ١٤ أيار ١٩١٨

في ١١ أيار بدأت القوة العربية المؤلفة من كتيبتي مشاة نظاميين وكتيبة خيالة بقيادة نوري السعيد الهجوم على محطة الجرذان (أبو جرذان) لمنع الأتراك من تعزيز حامية معان ، لكي تضطر الحامية التركية للخروج ومهاجمة القوات العربية في جبل سمنة وبئر اللسن . وكان الهجوم على محطة الجرذان يشكل جزءاً من الخطة العامة لاستنزاف الفيلق التركي الثاني في معان .

وقد بدأت القوة العربية هجومها بمساندة المدفعية وثلاث طائرات بريطانية وبعد قتال شديد استسلم الأتراك في المحطة ، وبلغت خسائرهم ٣٠ قتيلا و ١٥٠ أسيراً واستولت القوة العربية على مدفع جبلي وعدد من الرشاشات ومهمات أخرى ثم انسحبت من المحطة بعد تدمير قسم من قضبان السكة ، فعاد الأتراك لاحتلالها في ١٤ أيار بعد إخلائها وأصلحوا خط سكة الحديد .

معركة معان (الجرذان) الثالثة : ١٧ أيار ١٩١٨ .

في ١٧ أيار هاجمت كتيبة نظامية محطة الجرذان ورغم بسالة القوات العربية إلا أن التعزيزات التي وصلت الجرذان من محطة عنيزة (١٠ أميال شمالا) مكنت الأتراك من صد الهجوم وايقاع خسائر كبيرة في الكتيبة ، بلغت ٢٩ شهيداً (منهم ٦ ضباط أحدهم قائد الكتيبة و ٢٣ جندياً) و ١٠١ جريح ، وبلغت خسائر الأتراك ٤٠ قتيلاً و ١٨ أسيراً . وقد قطعت الكتيبة التماس مع العدو وانسحبت إلى قاعدتها في الفجيج دون أن تحقق هدفها .

الغارات على خط سكة حديد الحجاز : أيار ـ آب ١٩١٨ .

في أول أيار استمرت حرب الاستنزاف ضد القوات التركية في قطاع معان ـ القطرانة إلى آب ١٩١٨ ؛ ففي الفترة ما بين ٨ و ١٢ أيار هاجم الشريف ناصر بن علي محطة القطرانة وأوقع خسائر في حاميتها وأخذ بعض الأسرى ، وفي ٢٣ أيار تقدم بقوة من المتطوعين ومعه سرية هجانة مصرية ومجموعة نظاميين واحتل محطة الحسا . وفي الأيام التالية احتل محطات : فريفرا ، المنزل (سلطاني) وجرف الدراويش ودمر قسما كبيرا من الخط وأسر ١٢٥ أسيراً .

نتيجة لهذه الغارات العربية المتكررة ، وصل للقوات التركية تعزيزات من الجيش التركي السابع في نابلس لتقوية المفارز التركية في محطات السكة بين معان والقطرانة . كما استمرت الطائرات

الألمانية بالإغارة على قوات الجيش العربي الشمالي وأوقعت به خسائر كبيرة ، كان أكثرها لعدم توفر الخدمات الطبية الكافية لإسعاف الجرحى الذين مات أكثرهم دون أن يلقى العناية اللازمة ، وقد أثرت تلك الخسائر على مهمة القوات البريطانية والقوات العربية التي حددها اللنبي ، كما عانى الجيش العربي من أحوال الطقس ، حتى أن قسما كبيرا من أفراد القوات التي كانت تحتل مرتفعات النقب وجبل سمنة مات من البرد . وهنا يأتي السؤال : لماذا لم يتوفر للجيش العربي ـ الذي كان يتحمل عبء القتال في أسوأ الظروف لمدة سنتين ـ عناية طبية ومهمات وملابس كما توفر للقوات البريطانية ، لاسيا وهم حلفاء ويقاتلون عدواً واحدا ؟ نترك الإجابة على هذا السؤال للتاريخ الرسمي البريطاني .

وتلخصت الصعوبات التي واجهها الجيش العربي في البرقية التالية التي أرسلها الأمير فيصل إلى الجنرال اللنبي : « عند قيام الأتراك بأي تعرض جديد لن يكون الجيش العربي بوضعه الراهن قادرا على التصدي لهم ، إننا في أمس الحاجة إلى متطوعين من مصر والعراق وفلسطين . كما وأرجو تجنيد المتطوعين من أسرى الحرب في المعسكرات البريطانية وتوفير إسناد إداري لقواتنا وإلا فإنني غير متأكد من أنني سأكون قادرا على الإيفاء بالتزاماتي نحوكم » .

ورغم أن اللنبي كان لازال يعاني مرارة الهزيمة التي لحقت بالفيلق الصحراوي الراكب على يد جمال باشا (الصغير) إلا أنه بقي مصمما على الوصول إلى دمشق ، لذلك بعث برده إلى الأمير فيصل يطمئنه على تلبية احتياجات الجيش الهاشمي الشمالي وفي تلك البرقية ، نوه ببسالة القوات العربية ومن ضمن ما قال : « إنني اقدر الجهد العظيم الذي بذلته قواتكم والتضحيات الجسام في مواجهة العدو المصمم على الاحتفاظ بمواقعه سالمة ، ولكن الخسائر الجسيمة التي لحقت بالقوات التركية وقطع المواصلات لم تتحقق لولا تفاني قواتكم الشجاعة ، وإنني آمل أن تستمروا بالضغط على العدو بحيث تُفشِلوا خططه وإني واثق بالنصر القريب الذي سيكون لقواتكم فيه الحظ الوفير » .

بعد ذلك (وربما مصادفة) وصل إلى الجيش الشمالي ٢٠٠٠ جمل من قوة فيلق الهجانة الأمبراطوري الذي سرح ، وكان وصول هذا العدد من الجمال يشبه وصول دبابات الشيرمان إلى اللواء المدرع البريطاني في الصحراء الغربية عام ١٩٤٢ ، حيث ساعدت الجمال العرب على سرعة التقدم شمالا إلى سوريا .

استمرت عمليات الاستنزاف ضد الجيش التركي طيلة شهر حزيران ، كما قام الأتراك بعدة هجمات على المواقع العربية ومنها الهجوم على وادي الحسا في ٢٢ حزيران ، وفي ٢٤ هاجم العرب قافلة تركية بين عنيزة والجرذان واستولوا عليها ، وفي ٢٨ حزيران هاجم المتطوعون من بني عطية خلّة عمار واستولوا على كمية من المهمات وأسروا ٦٠ أسيراً .

وفي تموز استمر المتطوعون العرب (غير النظاميين) بالهجوم على محطات سكة الحديد والقطارات التركية فقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة .

معركة معان (الجرذان) الرابعة : ٢١ تموز ١٩١٨ .

في أواخر أيار نقلت تعزيزات إلى شرق الأردن فأصبح من المحتمل أن تقوم القوات التركية بهجوم على القوات العربية في وهيدة وبئر اللسن وتدمرها ، لذلك قرر الأمير فيصل شن هجوم للمرة الرابعة على محطة الجرذان .

وشكلت قوة الهجوم من ثلاث كتائب مشاة وكتيبة خيالة ومجموعة من المتطوعين (غير النظاميين) وعين نوري السعيد قائداً للهجوم الذي أسند بعدد محدود من المدافع والطائرات .

ولعدم وجود التنسيق الجيد ، فشل الهجوم وتكبدت القوات العربية خسائر جسيمة ، مما دعا الأمير فيصل إلى إلغاء العملية والانسحاب إلى وهيدة . وقد وصف الكولونيل « ب . إس . جويس » أسباب الفشل قائلاً : « إن البدو حضروا كمتفرجين ولم يشاركوا جديا في المعركة ، بينما اندفعت قوات المشاة العربية إلى أن وصلت مسافة ٣٠٠ ياردة من دفاعات العدو الذي فتح عليها نار الرشاشات الكثيفة ، ورغم النقص في الإسناد المدفعي والاحتياط فقد احتفظت بمواقعها مدة ٦ ساعات إلى أن أصدر الأمير فيصل إليها أمرا بالانسحاب » .

ورغم محاولات الجيش العربي المتكررة لاحتلال محطة الجرذان لعزل معان نهائيا إلا أنها بقيت في يد الأتراك إلى أن انسحب الفيلق التركي الثاني منها في ١٤ أيلول ١٩١٨ .

تقدم الجسم الرئيسي للجيش الشمالي إلى الأزرق ، بينما بقيت قوة صغيرة بقيادة الأمير زيد وجعفر العسكري في بئر اللسن والطفيلة ، وكان الفيلق التركي الثاني يعد الخطة للهجوم على القوة العربية وتدميرها في وهيدة ورأس النقب وبئر اللسن ، ولحسن حظ الأمير زيد وجعفر العسكري أن انهيار الجيوش التركية في فلسطين جعل الفيلق التركي الثاني يلغي الهجوم ويستعد للانسحاب شمالا إلى عمان . ونتيجة ضغط القوات العربية على الفيلق التركي الثاني أثناء تراجعه فقد استسلم في الجيزة إلى قوات تشيتور في ٢٩ أيلول ١٩١٨ .

وقد قاتل الفيلق التركي في معان قتالا شديدا ولم ييأس ولم يستسلم بل صمم على القتال التراجعي إلى أن وصل مشارف عمان ، ومن الجدير بالذكر أن ٢٥٪ من ضباط وجنود الفيلق التركي كانوا عرباً .

تدمير محطة المدورة : ٨ آب ١٩١٨

رغم الهجمات المتكررة على محطة المدورة إلا أنها بقيت صالحة للعمل ، مما استدعى إرسال سريتي هجانة بقيادة الميجر بكستن من السويس إلى العقبة في ٣٠ تموز ١٩١٨ وكانت الأسلحة والمهمات التي حملتها القوة مثار حسد وتعليق القوات العربية التي شاهدت رشاش الهوشكس لأول مرة .

وفي ٢ آب تقدمت قوة بكستن من وادي اليتم يصحبها الشريف هزاع و« ت . ي . لورنس » . وفي ٨ آب بدأ الهجوم على المدورة . وبعد قتال عنيف احتلت القوة المحطة ودمرتها

كلية ، وتكبد الأتراك ٣٥ قتيلا و ١٥٢ أسيرا ، وبعد انتهاء العمليات تقدمت قوة بكستن ٢٠٠ ميل شمالا إلى الموقر لتدمير نفق السكة جنوب عمان ، ولكن القوة كشفت من قبل طائرة تركية فانسحبت إلى الأزرق ، وفي ٢٠ آب انسحبت القوة من الأزرق عائدة إلى بئر السبع مروراً بباير والعقبة ، وبعد تدمير محطة المدورة عزلت القوات التركية في قطاع الحجاز نهائيا . في تلك الفترة وضعت الخطوط العريضة للتعرض الاستراتيجي الذي يهدف إلى تدمير القوات التركية في فلسطين وسوريا ، وكان متوقعا أن يبدأ في شهر أيلول ١٩١٨ بالقوات البريطانية والجيش العربي الهاشمي الشمالي .

الجيشان الجنوبي والشرقي ٨ أيار ـ حزيران ١٩١٨

خلال عمليات الجيش الشمالي في شرق الأردن كان الجيشان الشرقي والجنوبي مستمرين في حصار المدينة ، وينفذان عمليات تخريب ضد الخط الحديدي الحجازي في قطاع الحجاز بين المدينة وتبوك ، فقد قام الجيش الشرقي بقيادة الأمير عبدالله بغارات على خط سكة الحديد بين محطتي بواتا ووادي حمده الواقعتين على بعد ١٥ و ٨٥ ميلا شمال المدينة على التوالي . وفي ربيع ١٩١٨ هزم الأمير عبدالله قوة تركية أرسلت لتعزيز ابن رشيد على بعد ١٢٥ ميلا جنوب شرق تبوك . وفي تموز استولى الجيش الشرقي أيضاً على قافلة تموين تركية مرسلة إلى ابن رشيد . وفي هذا الوقت تقريباً وقع اشتباك بين قوات الأمير عبدالله واتباع الحركة الوهابية من السعوديين في الخرما ـ وهي واحة تقع على طرف صحراء النفوذ وتبعد حوالي ١٥٠ ميلا عن مكة . وكان الحادث أول تصادم يقع بين الهاشميين والسعوديين وكان الأمير عبدالله يقود القوات الهاشمية في هذه المعركة التي استشهد فيها عدد كبير من الأشراف والتي نصح الأمير عبدالله بعدم تنفيذها من البداية .

الأتراك يعرضون الصلح : تموز ١٩١٨

عندما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ كشفت النقاب عن الاتفاقية السرية التي عقدها الحلفاء بينهم لتقسيم أراضي الامبراطورية العثمانية والتي سميت اتفاقية (سايكس ـ بيكو) حيث أبلغت تركيا بمضمونها ، والتي أرسلتها بدورها للشريف حسين بن علي ، الأمر الذي أقلق السياسيين والوطنيين والضباط العرب في الجيش التركي وأدركوا الخداع البريطاني الفرنسي وغدر الحلفاء بهم وكان ذلك سببا في أحجام كثيرين من الضباط والجنود العرب عن الانضمام للثورة العربية .

حاول القادة الأتراك استغلال الوثيقة لإقناع الشريف حسين بسوء نية الحلفاء وعرضوا عليه الصلح والسلام معترفين بحق الوطن العربي بالاستقلال ، إلا أن الحكومة البريطانية أنكرت وجود مثل هذه الاتفاقية ، وطمأنت الشريف حسين ، مؤكدة وعودها السابقة ، مما دعا الشريف إلى إصدار الأمر للأمير فيصل بمتابعة الحرب في سوريا وشرق الأردن . ولم تكن بريطانيا تقصد من تأكيدها للشريف حسين التزامها الجدي بالتنفيذ .

مستوى العمليات العربية ١٩١٧-١٩١٨

قبل الدخول في بحث التعرض النهائي في فلسطين وسوريا وشرق الأردن والمطاردة النهائية إلى حلب والمسلمية من قبل قوات اللنبي وجيش الأمير فيصل لابد من إلقاء نظرة على حجم القوات البريطانية والعربية من جهة والقوات العثمانية من جهة ثانية .

وفيما يلي مقارنة بين القوات البريطانية والتركية والعربية (الجيش العربي الشمالي) من تاريخ معركة غزة الأولى في آذار ١٩١٧ إلى معركة مجدو في أيلول ١٩١٨ :

المعركة	قوات تركية	قوات بريطانية	قوات تركية في الجزيرة العربية ١٩١٦-١٩١٨
(١) معركة غزة الأولى آذار ١٩١٧	١٨٠٠٠ مشاة ١٥٠٠ خيالة	٢٥٠٠٠ مشاة ٨٥٠٠ خيالة	أ . قوة قتال الحجاز ب . الفرقة (٢١) عسير (٣٠,٠٠٠) ج . الفيلق اليمني ٧ ١٩١٧-١٩١٨
(٢) معركة غزة الثانية نيسان ١٩١٧	١٨٠٠٠ مشاة ١٥٠٠ خيالة	٢٤٠٠٠ مشاة ١١٠٠٠ خيالة	
(٣) معركة غزة الثالثة تشرين الأول ١٩١٧	٣٠,٠٠٠ مشاة ١٤٠٠ خيالة	٨٠,٠٠٠ مشاة ١٥٠٠٠ خيالة	١٩١٧-١٩١٨ الجيش العربي نظاميون ٨٠٠٠ غير نظاميين ٢٠,٠٠٠-٣٠,٠٠٠ القوات التركية (اليمن ، عسير ، الحجاز ، شرق الأردن ، سوريا)

أما القوات التركية في سوريا وشرق الأردن والحجاز وعسير واليمن فقد بلغت ٤٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ ضابط وجندي .

وهكذا كانت القوات التركية في نهاية تشرين الأول ١٩١٧ ضد كل من القوات البريطانية في فلسطين والقوات العربية في شرق الأردن والحجاز متعادلة تقريبا ولكن القوات البريطانية تزايدت مقابل القوات التركية التي حافظت على نفس المستوى تقريبا . وفي عشية معركة مجدو كانت القوات التركية حسب تقدير اللنبي في فلسطين ١٧,٠٠٠ جندي في الضفة الغربية و ١٤,٠٠٠ جندي في الضفة الشرقية ، بالإضافة للقوة التركية في الحجاز البالغة ١٢,٠٠٠ جندي محاصرين في المدينة .

وبغض النظر عن تقدير البريطانيين (المبالغ فيه) للقوات التركية في فلسطين فإن ٤٠٪ منها كان مكلفا بالدفاع عن سكة حديد الحجاز ، وحسب ما ورد في التاريخ البريطاني الرسمي فإن القوات

العربية قد قتلت وجرحت وأسرت وثبتت ما يقارب ٣٥٠٠٠ جندي وضابط خلال سنوات الحرب وأسهمت مساهمة فعالة في مساندة وحماية جناح القوات البريطانية الأيمن أثناء عملياتها في فلسطين وسوريا .

١١ - حـرب الإبـادة

التعرض النهائي : معارك مجـدو وعمليات الجيش العربـي الهاشمـي في شرق الأردن وسـوريا والحجاز : ١ أيلول ـ ٣١ تشرين الأول ١٩١٨

خطة الجنرال اللنبي للحرب

خـارطـة ١٣ بعد معركة غزة الثالثة واحتلال القدس في ٩ كانون الأول ١٩١٧ وفشل الهجوم المعاكس الذي شنه فولكنهاين لاستعادة المدينة المقدسة في كانون الثاني ١٩١٨ عمد الجيشان البريطاني والتركي لفترة قصيرة إلى الدفاع المستكن (الثابت) . وفي آذار ونيسان ١٩١٨ قام الجيش البريطاني بمحاولتين فاشلتين لاحتلال عمان والسلط على التوالي ولكنه في أول أيار استطاع تأسيس رأس جسر شرقي النهر قرب مخاضتي الغورانية وحجلة .

بدأ اللنبي استعداداته للتعرض النهائي في فلسطين بعد وصول الفرق الهندية مع أنه كان حذرا أكثر من اللازم في رأي فولكنهاين فلو شن الهجوم البريطاني في ١٨ آذار ١٩١٨ لما واجه صعوبة تذكر في كسر خط الدفاع التركي الضعيف ، ويتفق مع فولكنهاين في التردد البريطاني ، الجنرال ليمان فون ساندرز وبعض الجنرالات الأتراك حيث يعتقدون أن اللبني قد ضيع فرصة ستة أشهر سدى ، ولو تعرض في آذار ١٩١٨ بقواته المتحركة في غالبيتها ـ وعمادها فيلق الصحراء الراكب (DMC) لحقق النجاح المطلوب في نيسان أو أيار ١٩١٨ ولانهـارت القـوات التـركية في الضفـة الشرقية ، ولما كان هناك ما يدعو لقيام قوات تشيتور بعملياتها في شهر أيلول سنة ١٩١٨ ولسقطت عمان بيد الجيش العربي الشمالي المتقدم مع سكة حديد الحجاز من معان في نهاية أيلول من العام نفسه .

كانت الجبهة البريطانية التركية في فلسطين خلال شهر أيلول ١٩١٨ تمتد حوالي ٥٠ ميلا من ساحل البحر الأبيض المتوسط ١٠ أميال شمال يافا إلى وادي دير بلوط وتستمر ٥ أميال جنوب عزون ثم إلى بير زيت قرب رام الله وتبدأ بالانحدار شرقا إلى وادي العوجا ونهر الأردن شمال مخاضة الغورانية ببضعة أميال . كانت الضفة الغربية لنهر الأردن من وادي العوجا إلى البحر الميت بأيدي القوات البريطانية بما فيها منطقتي رأس الجسر على الضفة الشرقية للنهر في منطقة الغورانية (جسر الملك حسين حاليا) ومنطقة حجلة (قرب المغطس حاليا) .

تحرير سوريا الكبرى

أما القوات التركية والألمانية التي تقابل قوة القتال البريطانية (EEF) فقد كانت موزعة من الغرب للشرق كما يلي : الجيش التركي الثامن بقيادة جواد باشا وقيادته في طولكرم ، والجيش التركي السابع بقيادة مصطفى كمال باشا وقيادته في نابلس ، والجيش التركي الرابع بقيادة جمال باشا (الصغير) في السلط ، والقيادة التركية الألمانية العليا في الناصرة وفيها الجنرال ليمان فون ساندرز .

كانت قوة الجيش التركي الثامن المؤلف من الفيلق ٢٢ والفيلق الألماني الأسيوي (فون أوين) تقدر بنحو ٦٠٠٠ مقاتل والجيش السابع المؤلف من الفيلقين (٣ و ٢٠) نحو ٧٠٠٠ مقاتل والجيش التركي الرابع المؤلف من الفيلق ٢ في معان نحو ٧٠٠٠ مقاتل حيث بلغ عدد القوات المقاتلة (التركية الألمانية) التي تقابل قوات اللنبي نحو ٢٠,٠٠٠ مقاتل تقريبا ، أي ما يعادل الفرقة البريطانية ٥٤ . ولمجابهة القوات التركية الهيكلية التي لا تكاد تصل إلى قوة فيلق ، حشد البريطانيون قوة القتال البريطانية الهائلة التي تألفت من ثماني فرق مشاة كاملة العدد والعدة ، وثلاث فرق خيالة بالإضافة إلى ٨٠٠٠ من الجيش النظامي العربي الشمالي ومن يساندهم من القبائل . وهكذا كان تفوق اللنبي ساحقا في جميع المجالات بحيث أصبح هجوم القوات البريطانية ضد القوات العثمانية أشبه بمن يحاول قتل برغوث بمطرقة ثقيلة .

أما بالنسبة للجيوش التركية فقد كانت حسب رواية التاريخ البريطاني الرسمي ـ في حالة يرثى لها إذ كانت تفتقر إلى الإسناد الإداري مما جعلها فريسة للجوع والمرض ونقص شديد في المؤن والذخيرة وانخفاض في معنوياتها . ورغم ذلك فقد أبدت معظم التشكيلات جدارة في الدفاع عن مواقعها وبسالة في القتال منقطعة النظير .

مفهـــوم العمليـات

تمشياً مع تفوق الجنرال اللنبي الساحق في الجانبين المعنوي والمادي على الجيوش التركية الألمانية ، فقد حدد مفهومه للعمليات كما يلي : « تدمير الجيوش التركية الألمانية وإخراجها من المعركة نهائياً » . وكانت خطته التعبوية رائعة وتتمشى مع المفهوم العام ، والأهم من ذلك أنها نفذت بكفاءة عالية من قواته المتشوقة للقتال ، والمدربة والمجهزة أحسن تجهيز . كما أن التسلسل القيادي التقليدي وتقاليد الفروسية المعهودة في القوات البريطانية ، ساعدت على حسن تنفيذ الخطة .

ولتكامل بناء الخطة ، وضع اللنبي تقدير موقف دقيقاً وتحليلاً مفصلاً لجغرافية المنطقة ، مع التركيز على المناطق الحيوية والحرجة ، والنقاط المهمة في نظام المواصلات التركي في : درعا ، بيسان ، العفولة ، جنين ، سبسطية ، نابلس ، طولكرم ، وقلقيلية ، وكانت خطة اللنبي تتضمن الاستيلاء على تلك النقاط والتأكيد على احتواء الجيوش التركية وتدميرها .

ويتلخص جوهر الخطة في استخدام الفيلق البريطاني ٢١ المؤلف من خمس فرق مشاة لاختراق

جبهة الجيش التركي الثامن (التي تبلغ ثمانية أميال عرضاً) في السهل الساحلي ثم الاندفاع في حركة التفاف بزاوية تسعين درجة إلى الشرق مع الخط العام قلقيلية ـ طولكرم في سفوح جبال نابلس الغربية ، ولاكمال حركة الالتفاف إلى اليمين كان على فرق المشاة أن تركز هجومها على (رافات) التي تقع على بعد بضعة أميال شرق سكة الحديد، وبعد تأمين خط قلقيلية ـ فرعون ـ طولكرم تنحرف الفرق شرقا إلى الداخل باتجاه سبسطية ونابلس . عندئذ يقوم الفيلق البريطاني ٢٠ بفرقتي مشاة بهجوم مساعد (ثانوي) على طول الطريق المتجه إلى نابلس . لتثبيت الجيش التركي السابع ومنعه من الانسحاب إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن .

أما فيلق الصحراء الراكب فمهمته التقدم باتجاه الشمال لاحتلال مجدو في سهل مرج بن عامر والعفولة وبيسان . وكان هدف الفيلق الحيوي العفولة مع محطة سكة الحديد التي تشكل مفترق طرق على بعد (٤٠) ميلاً من خط الجبهة البريطاني على الساحل . ومن العفولة يستمر التقدم لاحتلال قيادة الجنرال ليمان فون ساندرز في الناصرة .

أما قوات تشيتور في وادي الأردن فواجبها أن تضغط على الجيش التركي الرابع وتجبره على التراجع ليقع في قبضة الجيش العربي الشمالي الذي يتخذ مواقع على خط التراجع التركي في قطاع الأزرق ـ درعا .

وقد كلف الجيش العربي الشمالي الذي يعمل من قاعدته المتقدمة في الأزرق ، أن يحاصر درعا يوم (ي -٣) قبل الهجوم بثلاثة أيام ويعزلها عن بقية المناطق ، باعتبارها مركزاً حيوياً في نظام المواصلات التركي في الطرق البرية وسكة الحديد بين سوريا وفلسطين والحجاز في الجزيرة العربية . واحتلال درعا يمنع التعزيزات التركية لهذه المناطق ويسد الطريق أمام القوات التركية المتراجعة في وجه القوات البريطانية من فلسطين وشرق الأردن .

اعتمد نجاح الخطة على تحقيق المفاجأة الكاملة واختراق السهل الساحلي بواسطة الفيلق ٢١ ، والفشل في تحقيق أي منهما يشكل إجهاضا للعملية ويساعد الأتراك على الانسحاب المبكر والإفلات من مصيدة القوات البريطانية والعربية . وقد تحققت المفاجأة التعبوية بخدعة الجيوش التركية وجعلها تعتقد أن الجهد الرئيسي للهجوم البريطاني سيكون موجها لجبهة الجيشين السابع والرابع ، بينما أنجز فيلق الصحراء الراكب خطة التسلل بنجاح عبر الجبهة ، من وادي الأردن وحتى الساحل دون أن يشك الأتراك ولو لحظة بأن هذه الخطة قد نفذت .

وعندما حلت الضربة بالجيوش التركية في ١٩ أيلول ، فوجىء الجنرال ليمان فون ساندرز تماما بحيث لم يكن قادرا على أي رد فعل أمام الهجوم الذي قامت به خمس فرق مشاة وثلاث فرق خيالة مسندة بنحو (٣٠٠) مدفع ترمي ١٠٠٠ طلقة بالدقيقه ، فتشتت شمل الجيشين التركيين السابع والثامن ولم تقم لهما قائمة ـ كما حدث للجيش البريطاني الخامس بقيادة جوف (Gough) في السوم ـ وهكذا أصبحت الطريق إلى دمشق مفتوحة أمام القوات البريطانية .

تحرير سوريا الكبرى

عمليات الجيش العربي الهاشمي : ١٦ أيلول ـ ١ تشرين الثاني ١٩١٨ .

ضمن الإطار العام لخطة اللنبي الحربية لتدمير مجموعة الجيوش التركية في فلسطين وشرق الأردن كان مقرراً أن تضغط قوات تشيتور على الجيش الرابع التركي في شرق الأردن لحمله على التراجع ليقع في قبضة الجيش العربي الشمالي المتمركز على خط التراجع التركي بين الأزرق ودرعا ، كما أسند للجيش العربي الهاشمي الشمالي واجب تعبوي مهم ، هو احتواء وعزل منطقة درعا اعتبارا من يوم ١٦ ايلول (ي ـ ٣) ، بما فيها محطة سكة الحديد في درعا التي تشكل عقدة المواصلات المهمة ، حيث يتفرع الخط المتجه إلى الحجاز مرورا بعمان والخط الآخر المتجه إلى فلسطين عبر وادي اليرموك ـ بيسان ـ العفولة ـ حيفا . ومع أنها موقع حيوي استراتيجي في خطة الجيوش التركية ، إلا أنها كانت بعيدة عن مجال عمل الخيالة البريطانيين الاستراتيجي ، لذلك فإن عزل درعا لايمنع التعزيزات للجيوش التركية في فلسطين وشرق الأردن والحجاز فحسب بل يشل جميع خدمات الأتراك الخلفية أيضا ، ويسد أقصر طريق أمام تراجع الجيوش التركية الثلاثة . كما أن تحويل قوات من الناصرة إلى درعا ، قد يضعف موقف القوات التركية في فلسطين . لهذه الأسباب النفسية والعملية طلب اللنبي من الأمير فيصل أن يتعاون مع القوات البريطانية في تعرض منسق ويحتل فيه درعا ، ويقطع الاتصالات التركية المتجهة شمالا وجنوبا وغربا من المحطة .

وبعد أن طلب القائد العام البريطاني من الأمير فيصل تولي المهمة الجديدة ، عقد اجتماع برئاسة الأمير فيصل في قيادته في بير اللسن حضره الضباط العرب (القادة) وبعثة الارتباط البريطانية ، وبعد تحليل المهمة قرر اعادة تجميع الجيش الشمالي وتقسيمه إلى مجموعتين : المجموعة الرئيسية (جسم الجيش) تبقى بقيادة الأمير زيد وجعفر العسكري في اللسن وسمنة ، والمجموعة الثانية (قوات متحركة) تضم نظاميين وغير نظاميين تتقدم إلى منطقة حشد في الأزرق ، ومن هناك تؤسس قواعد متقدمة (أمامية) لشن الغارات على خط سكة حديد الحجاز . بينا يستمر الجسم الرئيسي بقيادة الامير زيد في الضغط على الفيلق التركي الثاني في معان وعلى طول سكة حديد الحجاز من معان الى عمان ، في الوقت الذي تقوم فيه قوة المتطوعين غير النظاميين بقيادة بعض الأشراف ومساعدة خبراء في المتفجرات برئاسة الرائد هورنبي بالإغارة على سكة الحديد في منطقة الحسا . كما أسند للأمير زيد واجب إرسال رتل مقاتل باتجاه مأدبا ، ولكنه لم يستطع القيام بذلك لأن الأتراك أرسلوا قوة لإعادة احتلال الطفيلة في أول أيلول ١٩١٨ ومنع تقدم القوات العربية شمالا .

أما الرتل المتحرك الذي اتجه برفقة الأمير فيصل إلى الأزرق ـ شمالا ـ فقد جمع على النحو التالي :

القوات النظامية بقيادة الضابط نوري السعيد : ٥٠٠ مقاتل مجهزين بالأسلحة التالية :
٢٨ رشاش هوتشكس و ٤ رشاشات فكرز ثقيلة .
بطارية مدفعية جبلية فرنسية بقيادة الكابتن بيساني .
سرية هجانة من فيلق الهجانة المصري بقيادة الكابتن بيك .
ثلاث سيارات مدرعة بالإضافة إلى طائرتين حربيتين .
القوات غير النظامية (١٠٠٠-٣٠٠٠) بقيادة الشريف ناصر بن علي ونوري الشعلان وعوده أبو تايه .

وقد رافق الأمير فيصل عدد من الضباط العرب والأنجليز منهم : تحسين علي وجميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وعبدالحميد الشالجي ، والكولونيل « ب . إس . جويس » و« ت . ئي . لورنس » .

كان الشريف ناصر بن علي يقود فرسان البدو الذين بدأوا بالتجمع في الأزرق بعد أن غادرت القوة النظامية أبو اللسن في ٢١ آب ، وقد مرت بالجفر وباير قبل وصولها إلى الأزرق في ٦ أيلول ، أي قبل موعد الهجوم المقرر شنه على سكة حديد الحجاز بعشرة أيام .

ثم غادر الأمير فيصل ومعه نوري السعيد بئر اللسن بالسيارة في ٤ أيلول متجهاً إلى الأزرق ، وكان عليه أن يؤمن التعاون السياسي من قبل عشائر الرولة وحوران وجبل الدروز الذين يقطنون في منطقة العمليات المتوقعة ، وقبل حركته إلى الأزرق أرسل كتابا مع الشريف ناصر بن علي ونسيب البكري يعلن فيه أنهما يمثلانه ويطلب من القبائل أن تتعاون معهما من أجل تحرير بلادهم من نير الاستعباد التركي ، « هيا إلى العمل » كان هذا أمر الأمير فيصل للناس ، ومما جاء في كتابه : « إن تحرير سوريا أصبح قريبا وسنشن هجومنا خلال بضعة أيام ، لذلك عليكم التجمع مع كافة القبائل في الأزرق ، أما الجيش النظامي فسوف يتبع وسأكون معكم خلال أيام ، أعلنوا الثورة في جميع أنحاء سوريا » . وكان لنداء الأمير فيصل صدى واسع تجاوبت له القبائل من خليج العقبة حتى نهر الفرات ، فبادر نوري الشعلان شيخ عشائر الرولة إلى حشد قواته ، وكذلك فعل شيخ حوران طلال حريثان كما تم توقيت ثورة جبل الدروز مع الهجوم النهائي . وبالإضافة لتأييد القبائل العربية لجيش الثورة ، فقد هبت لمساندته الجمعيات العربية السرية ـ العربية الفتاة والعهد ـ التي أرسلت مبعوثيها مثل الدكتور أحمد قدري ورستم حيدر وتحسين قدري وخليل السكاكيني وسليم عبد الرحمن وغيرهم للانضمام للأمير فيصل في قيادته في ابي اللسن .

انطلقت الثورة العربية من الحجاز وقطعت شوطا بعيدا على درب التحرير كما كان المقاتلون العرب يتمتعون بروح وثابة عالية وخبرة قتالية جيدة وهمة لاتعرف الكلل ، واكتسبوا خبرة في فنون القتال بفضل الجهود المستمرة والقيادة الشخصية العالية للضباط العرب المحترفين مثل عزيز علي

المصري وجعفر العسكري ونوري السعيد ومولود مخلص وغيرهم . أما القبائل البدوية والمتطوعون العرب غير النظاميين بقيادة الأمراء والأشراف وشيوخ القبائل فقد أبلوا بلاء حسنا وقاتلوا قتال الأبطال .

العمليات في منطقة درعا من ١٣-٢٨ أيلول ١٩١٨

في ١٢ أيلول أتمت قوة القتال العربية المتحركة حشدها في الأزرق وبلغ القسم المقاتل من القوة غير النظامية حوالي ١٣٠٠ مقاتل ، وفي فجر يوم ١٤ أيلول تحرك هذا القسم إلى قاعدة أمامية قرب قرية الامتاعية ـ ١٥ ميلاً جنوب شرق درعا ـ بجانب جسر السكة القريب من محطة جابر .

وفي ١٣ أيلول فشلت محاولة قامت بها سرية الكابتن بيك لتدمير جسر السكة قرب المفرق بهدف قطع الاتصال بين درعا وعمان ، ولكنه نجح ليلة ١٥/١٤ أيلول بنسف جسر بثلاث فتحات بين المفرق ومحطة نصيب فحقق قطع الاتصال بين درعا وعمان ، وفي ١٦ أيلول قامت مجموعة بقيادة الكولونيل جويس ولورنس بتدمير جسر قرب محطة جابر .

وفي ١٧ أيلول قامت القوات النظامية يساندها ١٠٠٠ مقاتل من البدو الخيالة وقرى حوران ومتطوعي الحجاز بقيادة نوري السعيد بمهاجمة واحتلال محطة سكة الحديد في تل العرعر التي تبعد حوالي ٥ أميال شمال درعا كما قامت مجموعات التدمير خلال الهجوم بنزع أقسام من الخط أيضا . وبعد ذلك بوقت قصير قدمت ثماني طائرات تركية من جهة درعا وقصفت القوات العربية ، ونتج عن ذلك تفرق القوات غير النظامية . ومن تل العرعر تحرك نوري السعيد بقوة نظامية ، تقدر بنحو ٣٥٠ مقاتلاً ومجموعة من البدو بقيادة الشريف ناصر بن علي ، مع سرية هجانة ، ومدفعين فرنسيين إلى قرية المزيريب ، لقطع فرع سكة الحديد جنوب درعا والمتجه إلى فلسطين ، حيث أتلف ما يزيد على ٣ كم من الخط ، ولم يستطع الأتراك إصلاحه إلا في ٢٤ أيلول ، وقبل انسحابهم من درعا بوقت قليل جدا . وفي الهجوم على المحطة ، تم أسر ٤٠ أسيراً ونسفت المحطة ، وفي ١٨ أيلول ألغي الهجوم الذي كان مقررا على محطة تل شهاب بعد وصول قوات ألمانية تركية لتعزيز حامية درعا .

في ١٨ أيلول غادر نوري السعيد والشريف ناصر بن علي المزيريب لمهاجمة محطة السكة في نصيب ـ على بُعد ١٠ أميال جنوب درعا ـ وخلال الاشتباك تم تدمير الجسر ذي الثلاث فتحات الواقع شمال القرية ، وعادت القوة إلى قاعدتها الأولية قرب جابر . وفي ١٩ أيلول قام الكابتن بيك بقطع الخط شمال المفرق في المنتصف بين درعا وعمان .

وهكذا بحلول مساء ١٨ أيلول تم عزل درعا من الشمال والجنوب والغرب دون أن تتمكن القوات العربية من احتلال درعا بسبب وصول كتيبة المانية من الفيلق الأسيوي الألماني (فون اوبن) من

الناصرة لنجدتها في ١٧ أيلول . ولكثرة الغارات التركية بالطائرات نقل نوري السعيد قاعدته الأمامية إلى قرية أم السرب التي تقع جنوب محطة جابر .

وهكذا حقق الجيش العربي الشمالي كل ما طلبه الجنرال اللنبي منه ، بعد أن أتم تنفيذ العمليات الحربية ضد عقدة المواصلات وسكة الحديد في منطقة درعا بمهارة فائقة وشجاعة نادرة ، وكانت درعا تعتبر منطقة حيوية استراتيجية بالنسبة للأتراك ، لكونها مركز عصب المواصلات التركية . كما أن محاولة احتلال درعا ربما أدت إلى رد تركي عنيف قد يقضي على قوات نوري السعيد الصغيرة الحجم ، علماً أن الهجوم العربي على درعا قد نفذ بعد أربعة أيام من وصول الرتل المتحرك إلى قاعدته في الأزرق وبعد مسيرة ٢٠٠ ميل عبر الصحراء من بئر اللسن .

ولصد غارات الطيران التركي ، قام الجنرال سولموند قائد القوات الجوية البريطانية في الشرق الأوسط بإرسال طائرتين حربيتين من نوع بريستول وقاذفة هاندلي بيج إلى قاعدة أم السرب لتقديم الحماية الجوية للقوات العربية وكان قائد القاذفة الكابتن روس سميث من السرب الاسترالي الملكي (الذي حقق فيما بعد شهرة عالمية بطيرانه الأول من بريطانيا إلى استراليا عام ١٩١٩) .

في مساء ١٨ أيلول وقبل ١٠ ساعات من ساعة الصفر لهجوم اللنبي الكبير على مجموعة الجيوش التركية في فلسطين كان الجيش العربي الشمالي قد أنجز مهمته في عزل عقدة مواصلات درعا عن عمان ودمشق وبيسان .

معركة مجدو من ١٩-٢٥ أيلول ١٩١٨

في الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٩ أيلول فتح ٥٠٠ مدفع النار على المواقع التركية بمعدل ١٠٠٠ طلقة في الدقيقة الواحدة ، ثم اندفعت فرق اللنبي السبع من الفيلقين (٢٠ و ٢١) كالسيل العرم تنشر الموت والدمار في صفوف الجيوش التركية ، وما أن حل منتصف ليلة ١٩/٢٠ أيلول حتى كانت قوة الجيش التركي الثامن قد أبيد معظمها وتم دحرها للخلف في فوضى متناهية .

ومع غروب شمس يوم ٢٠ أيلول كانت قوات اللنبي تحتل جوانب المثلث الذي يحتوي الجيشين التركيين السابع والثامن ولم يبق لهما طريق للهرب إلا من جهة الشرق بين جسر داميا (الأمير محمد) وبيسان التي سرعان ما أغلقت بواسطة الفيلق ٢٠ وقوات تشيتور .

أما شرق النهر فقد قام الجيش العربي الشمالي بقيادة الأمير فيصل بعزل عقدة مواصلات درعا ، كلية ، وإلى الجنوب كانت القوات العربية بقيادة الأمير زيد تطبق على مؤخرة الفيلق التركي الثاني في معان ، وقد ازداد الأمر سوءاً بالنسبة للقوات التركية التي أصبحت معنوياتها في الحضيض عندما ثار العرب في قراهم ومضاربهم ضد الأتراك بناء على نداء الأمير فيصل .

في الساعة ٢١,٠٠ يوم ٢١ أيلول كانت فرقة الخيالة الرابعة (الهندية) تشدد قبضتها على بيسان وتطور عملياتها إلى الجنوب على الضفة الغربية لنهر الأردن لتغلق الطريق أمام تراجع الجيش

التركي السابع على محور طوباس ـ بيسان ، كذلك احتل لواء الخيالة ١٣ من فرقة الخيالة الخامسة (الهندية) مدينة الناصرة ، واتخذ مواقع في منطقة العفولة على الطريق المؤدى إلى طبريا (شرق الناصرة) .

أما فرقة الخيالة الاسترالية فقد كانت محتشدة في جنين ، بينما كانت قيادة فيلق الصحراء الراكب في منطقة اللجون قرب مجدو . وفي ٢١ أيلول تم احتلال نابلس بلواء الخيالة الخفيف الخامس من الفيلق ٢١ . وانهارت بذلك المقاومة العثمانية وكان النصر عظيما وتاما ؛ فالجيش التركي الثامن الهيكلي لم يعد له وجود ، وأما الجيش التركي السابع فأصبح شراذم قليلة تحاول التراجع باتجاه درعا ، وعلى الضفة الشرقية لنهر الأردن كان الجيش الرابع المؤلف من الفيلق الثاني يدافع في معان ، والجيش الثاني ـ وقوته القتالية تقدر بفرقة ـ يدافع في الشمال وقد واجهت هذه القوات التي تدافع شرقي النهر نفس المصير ، بعد أيام من هزيمة الجيشين السابع والثامن في فلسطين » .

وفي ٢٢ أيلول بدأ الجيش التركي الرابع يتراجع من مواقعه في السلط مع الفيلق التركي الثاني المدافع في معان في الوقت الذي اندفعت فيه قوات تشيتور تعبر النهر لاحتلال عمان ، فتم لها ذلك يوم ٢٥ أيلول ، وكانت قوات تشيتور بطيئة لدرجة أنها قضت يوما كاملا في السلط وأوقف تقدمها لفترة ٢٤ ساعة ، من قبل حامية عمان المكونة من كتيبة أناضولية يقودها الضابط العربي في الجيش التركي ياسين الهاشمي .

عمليات الجيش العربي الشمالي وقوات الجنرال تشيتور في شرق الأردن : ١٩-٢٩ أيلول ١٩١٨

بالإضافة لجعل قوات تشيتور محورا تدور حوله عمليات الفيلقين ٢٠ و ٢١ ، فقد كانت تشكل قوات ساترة لحجب العمليات الرئيسية عن الجيش التركي الرابع الذي لم يكتشف الخطة إلا بعد هزيمة الجيشين السابع والثامن في فلسطين ، حيث بدأ انسحابه للشمال مع الخط الحديدي الحجازي كما كان متوقعا للمطابقة مع تراجع بقية القوات التركية باتجاه درعا ـ دمشق . لذلك أسند لقوات تشيتور واجب تأمين منطقة عبور على جسر داميا (الأمير محمد) ، وعندما يبدأ الجيش التركي الرابع انسحابه يقوم تشيتور بالضغط على مؤخرته وإزعاجه ويحتل عمان ليعترض طريق انسحاب الفيلق التركي الثاني من معان باتجاه عمان ـ درعا .

كانت مهمة تشيتور صعبة إلى حد ما ، فقد كان واجبه يعتمد على انسحاب العدو وترك الكثير لحسه وحكمته التعبوية ، ولكنه كان محظوظا بوجود الفرقة الاسترالية النيوزلندية الراكبة ضمن قواته لتنفذ العمليات السريعة المتحركة المتوقعة . كما كان لديه اللواء الهندي ٢٠ وبعض الكتائب المختلطة .

منذ معركة عمان الثانية في نيسان/أيار ١٩١٨ حسن الأتراك مواقعهم الدفاعية في وادي الأردن

وعلى طول الخط الممتد من البحر الميت حتى جسر داميا . فقد كانت قيادة الجيش التركي الرابع في السلط ومعها الفيلق التركي الثامن الذي يضم الفرقة ٤٨ والفرقة المختلطة يتخذ مواقع دفاعية على طول طريق أريحا ـ السلط .

أما لواء الخيالة القفقاسي وكتيبة مشاة من راكبي البغال فكانا يدافعان عن الجناح الشمالي الشرقي للبحر الميت ، وعلى يمين القوات التركية كانت فرقة الخيالة الثالثة والفرقة ٢٤ تتخذ مواقع على طول النهر ـ على بُعد ستة أميال غرب وشمال غرب أم مخاضة الشرط ـ أما احتياط الجيش التركي الرابع فكان يتألف من الكتيبتين الألمانيتين (١٢ و ١٤٦) في السلط .

اما القوات التي تدافع عن خط سكة حديد الحجاز من معان إلى درعا ، فكانت تحت قيادة الفيلق الثاني في معان ، وكانت مؤلفة من ١٥ كتيبة : سبع منها تشكل حامية معان والعقبة منتشرة على السكة (من معان إلى عمان) ، وكتيبة من قوات حوران بإمرة الفيلق الثاني تدافع ما بين درعا ودمشق ، وبالإضافة لذلك كان يوجد لواء من الخيالة غير النظاميين الشركس يدافعون عن عمان .

بدأ تشيتور سلسلة عملياته يوم ١٩ أيلول بلواء الخيالة الأول من الفرقة الاسترالية النيوزلندية الراكبة مسندا بعناصر من اللواء الهندي العشرين حيث نجح في ٢٢ أيلول في احتلال جسر داميا مغلقا الطريق أمام تراجع بقايا الجيش التركي السابع كما تم أسر ٧٨٦ تركيا معظمهم من الفرقة ٥٣ بما فيهم قائدها . وفي نفس التاريخ بدأ الجيش التركي الرابع انسحابه إلى الشمال ، وفي مساء ذلك اليوم كانت فرقة الخيالة الهندية الرابعة تتحفز في بيسان وجسر المجامع استعداداً للتقدم باتجاه أربد ودرعا . كما بدأ الجيش العربي الشمالي تعقبه لانسحاب الجيش التركي الرابع بعد أن أتم عزل منطقة درعا .

احتلال عمـان ـ ٢٥ أيلول ١٩١٨

خـارطـة ١٤ كان يوم ٢٣ أيلول يوما ملهما لقوات تشيتور . فما أن ارتفعت شمس ذلك اليوم حتى كان قد اتضح أن العدو لن يصمد في وادي الأردن . وقبل أن يخيم الظلام ثبت أن العدو لم يفكر حتى بالصمود على المنحدرات الشرقية للنهر ، فتقدمت قوات تشيتور بأربعة أرتال : لواء البنادق النيوزلندي الراكب يتقدم على طريق داميا السلط ، واللواء الهندي ٢٠ يتقدم مباشرة على خط غور نمرين (وادي شعيب) السلط ، ولواء الخيالة الخفيف الأول يسلك طريق وادي الطورة الترابي ، ولواء الخيالة الخفيف الثاني يتقدم على طريق قبر سعيد وقبر مجاهد ، وفي الساعة ١٦,٢٠ يوم ٢٣ أيلول سقطت السلط للمرة الثالثة خلال ستة أشهر في يد القوات البريطانية . وتم أسر ٥٠٠ جندي وضابط تركي معظمهم من وحدات إدارية .

وخلال ليلة ٢٣ أيلول وردت أوامر من القيادة العامة إلى تشيتور تطلب منه أن يواصل الضغط على العدو ويحاول قطع خط انسحابه شمال عمان . وفي الساعة ٠٦,٠٠ صباح يوم ٢٥ أيلول بعد

تأخير ٣٨ ساعة تقدمت الفرقة الاسترالية النيوزلندية الراكبة إلى عمان بلواء الخيالة الخفيف الثاني على اليمين واللواء النيوزلندي على اليسار ولواء الخيالة الخفيف الأول احتياط .

وفي الساعة ١٠,٤٠ أسقطت طائرة رسالة للقوات البريطانية تقول أن القوات التركية بدأت بإخلاء عمان ، إلا أن حرس المؤخرة للقوات التركية ويقدر بكتيبة يقاوم تقدم فرقة الخيالة الاسترالية النيوزلندية ، معطيا الفرصة لبقية الحامية كي تنسحب .

وفي الساعة ١٣,٣٠ يوم ٢٥ أيلول دخل لواء الخيالة الخفيف الاسترالي الأول عمان ، وأسر ٢٥٦٣ جندي تركي وعشرة مدافع . وقد أفلت الجيش التركي الرابع من المصيدة ، ولكن ليلاقي مصيره إلى الشمال ، حيث أجبر الجيش العربي القوات التركية على الترجل من القطار محاولة شق طريقها الى درعا مشياً . وكانت القوات العربية النظامية وغير النظامية تطاردها من مكان لآخر ، وتوقع بها خسائر جسيمة .

اعتراض الفيلق التركي الثاني (المتراجع من معان) في الجيزة في ٢٩ أيلول

بما أن واجب تشيتور الرئيسي كان اعتراض تراجع الفيلق التركي الثاني من معان وليس مطاردة بقايا الجيش الرابع المتجه شمالا ، لذلك دفع بلواء الخيالة الخفيف الثاني باتجاه الجنوب مع الخط الحديدي الحجازي . وجرى التماس مع الجسم الرئيسي للفيلق التركي الثاني على محور التراجع في الجيزة في صباح ٢٩ أيلول وكان الموقع محاطاً بمئات المقاتلين العرب الذين يمتطون الخيل والجمال والـذين استمروا بمهاجمة القوات التركية وازعاجها .

بدأ الفيلق التركي الثاني تراجعه من معان في ٢٢ أيلول بعد أن ألغى هجوما قام به رتل تركي على القوات العربية في وهيدة . ونتيجة للهجوم المستمر والإزعاج الذي تعرض له الفيلق من القوات العربية بقيادة الأمير زيد وجعفر العسكري ، فقد وصل الجيزة في ٢٨ أيلول متأخراً عن اللحاق بالجيش التركي الرابع رغم أن جمال باشا (الصغير) انتظره فتـرة أطـول مما ينبغـي في عمان والسلط .

وفي الساعة ١٠,٣٠ يوم ٢٩ أيلول استسلم الفيلق بقيادة العقيد علي بيك بقواته البالغة ٤٦٠٢ ضابط وجندي الى قائد لواء الخيالة الخفيف الثاني العميد ريري (Ryrie) .

وفي الحقيقة فشلت قوات تشيتور في مهمتها الأساسية وهي منع انسحاب الجيش الرابع إلى درعا في الشمال ، لأنه مهما تفاخر القادة البريطانيون فإن تقدم الفرقة الأسترالية النيوزلندية الراكبة من السلط إلى عمان كان بطيئا وحذرا دون مبرر . ومع أنه لم تكن هناك مقاومة للتقدم يوم ٢٣ أيلول ـ حيث انسحب الأتراك قبل ذلك بيوم ـ إلا أن التقدم إلى عمان مسافة ١٨ ميلاً في أرض صالحة للخيالة لم يتم إلا في ٢٥ أيلول . وعندما اجتازت الفرقة الأسترالية النيوزلندية خط البدء كان الجيش التركي الرابع قد غادر المنطقة مخلفا وراءه قوة حرس تقدر بكتيبة بقيادة الضابط العربي

ياسين الهاشمي الذي لم يجد صعوبة تذكر في وقف تقدم ثلاث ألوية خيالة لمدة (٦-٨ ساعات) كانت كافيه لبقية الحامية للانسحاب شمال الزرقاء والمفرق .

بعد مقاومة قوات تشيتور ، تراجع ياسين الهاشمي مع جنوده البواسل على الأقدام في قتال مستمر ضد القوات العربية النظامية وغير النظامية إلى درعا . واستمر تراجع الجيش التركي الرابع ـ أحيانا بالقطار ومعظم الأحيان على الأقدام ـ بينما كان سلاح الجو البريطاني يوالي قصفه من جهة والقوات العربية تهاجمه من جهة أخرى ، ولما وصل جمال باشا (الصغير) مشارف دمشق أقام خطا دفاعيا مؤقتا على المحور الجنوبي بين الكسوة وقطنة ، ولكنه انهار أمام ضربات قوات الفيلق الصحراوي الراكب والجيش العربي الشمالي الذي دخل دمشق بين ٣٠ أيلول و ١ تشرين الأول ١٩١٨ . ثم وصل الأمير فيصل على رأس القوات النظامية ودخل المدينة رسمياً يوم ٣ تشرين الأول ١٩١٨ .

وكان تأخر الفيلق التركي الثاني في انسحابه من معان فرصة لتدميره من قبل قوات تشيتور بعد أن تعرض للإنهاك من قبل القوات العربية بقيادة الأمير زيد وجعفر العسكري ، كما أن سلاح الجو البريطاني قد أوقع به خسائر كبيرة ، وحتى لو استطاع اجتياز عمان شمالا فإنه لم يكن قادراً على إكمال تراجعه بنجاح إلى دمشق .

التقدم نحو دمشق ٢٥ أيلول ـ ١ تشرين الأول ١٩١٨

في ٢٦ أيلول ١٩١٨ أصدر الجنرال اللنبي أوامره إلى الفيلق الصحراوي الراكب بقيادة (شوفيل) والفيلق ٢١ بقيادة (بلفن) للتقدم نحو دمشق وبيروت على التوالي : يتقدم فيلق الصحراء الراكب على دمشق في الحال على محورين . تتقدم فرقة الخيالة الاسترالية وفرقة الخيالة الخامسة (الهندية) على محور أربد الغربي ، إلى الغرب والشمال من بحيرة طبريا ، كما تتقدم فرقة الخيالة الرابعة (الهندية) على محور أربد درعا ، وعليها أن تنسق تقدمها مع تقدم الجيش العربي الشمالي لكي يكملا تدمير بقية الجيش التركي الرابع الذي يحاول شق طريقه من عمان إلى الشمال ، وبعد أن تنهي الفرقة مهمتها تلتحق بفيلق الصحراء الراكب في دمشق .

تتقدم الفرقة الهندية السابعة من الفيلق ٢١ يوم ٣ تشرين الأول من حيفا وعكا اللّتين احتلتهما فرقة الخيالة الهندية الخامسة يومي ٢٣ و ٢٤ أيلول باتجاه بيروت وتتبعها الفرقة البريطانية ٥٤ بقدر ما يسمح به الإسناد الإداري . كما تتقدم فرقة الخيالة الهندية الرابعة من بيسان إلى درعا بالتنسيق مع الجيش العربي الشمالي على طريق الحج (الصنمين ـ الكسوة ـ دمشق) . أما الفرقة الاسترالية والفرقة الهندية الخامسة فتتقدمان من منطقة حشدهما في قطاع طبريا ـ الناصرة على محور جسر بنات يعقوب وتنفتحان في منطقة القنيطرة صباح يوم ٢٨ أيلول .

في ٢٧ أيلول كانت بقية الجيوش التركية (٤ و ٧ و ٨) المنهكة قد تراجعت شمال خط درعا ـ المزيريب . ونتيجة تدخل القوات العربية وهجومها على سكة الحديد فقد تأخر انسحاب هذه

الجيوش لا سيما الجيش الرابع ، مما مكن فرق الفيلق الصحراوي والجيش العربي الشمالي من تدميرها على الطريق إلى دمشق . في ذلك الوقت كان الجيش العربي الشمالي يعد الخطط (في الاجتماع الذي عقد في ٢٣ أيلول برئاسة الأمير فيصل) للهجوم على محطة السكة في المفرق ، ومن ثم التقدم باتجاه قرية الشيخ سعد (التي تبعد ٢٠ ميلا شمال غرب درعا) وتأسيس قاعدة لعمليات الجيش العربي القادمة .

وفي ٢٦/٢٥ أيلول غادرت قوة مؤلفة من ١٠٠٠ مقاتل نظامي و ٣٠٠٠ متطوع غير نظامي قرية النعيمة جنوب شرق درعا برئاسة نوري السعيد ومعه الشريف ناصر بن علي ونوري الشعلان قاصدة قرية الشيخ سعد ، وفي تل العرعر ، دمر العرب سكة الحديد ثانية وبذلك منعوا القوات التركية في درعا من الانسحاب إلى دمشق . وفي فجر يوم ٢٧ أيلول عسكر الجيش العربي الشمالي في قرية الشيخ سعد بعد أن طرد حاميتها .

كما هاجم عودة أبو تايه قرية الغزالة وعاد ومعه ٢٠٠ أسير ، وفي نفس الوقت اتجه نوري الشعلان جنوبا باتجاه درعا ومعه ٤٠٠ أسير ، وعند ظهر يوم ٢٧ أيلول كانت القوات العربية قد تمكنت من أخذ ٢٠٠٠ أسير .

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٦ أيلول وصل لواء الخيانة الهندي من الفرقة (الهندية) الرابعة ، الرمثا بعد معركة قصيرة في أربد .

وفي صباح ٢٧ أيلول أسقطت طائرة بريطانية رسالة تفيد أن فرقة الخيالة الهندية الرابعة تقترب من الرمثا وأن رتلين تركيين : الأول ٤٠٠٠ والثاني ٢٠٠٠ جندي يتراجعان من درعا والمزيريب باتجاه المعسكر العربي في قرية الشيخ سعد .

وفي يوم ٢٨ أيلول احتل اللواء الهندي التلال الجنوبية المحيطة بدرعا حيث أمر الجنرال (بارو) قائد فرقة الخيالة الهندية الرابعة قواته أن تتقدم إلى درعا فوجد أن القوات العربية قد احتلتها في اليوم السابق .

وفي ٢٧ أيلول اشتبكت قوات نوري السعيد مع قوة تركية متراجعة في منطقة طفس التي تبعد ١٠ أميال شمال غرب درعا . وذكر نوري السعيد هذا الاشتباك قائلا : « وصلنا خبر أن قوات تركية كبيرة دخلت طفس وبدأت بقتل[١] السكان دون تمييز بين الرجال والأطفال والنساء ، فأرسلنا قوة لحماية القرية ومهاجمة القوة التركية ، وبينما كانت القوة التركية تستريح خارج طفس هاجمتها القوة العربية ، واستمر الاشتباك عنيفا ولكن لفترة قصيرة ، حيث استخدم الأتراك القنابل اليدوية ، فاستشهد الشيخ طلال (شيخ طفس) وعدد من الأهالي وبعض البدو ، وقصفناهم بالمدفعية الجبلية فأصيب الأتراك بالدهشة والمفاجأة وتبعثروا في كل ناحية ووقع قسم كبير منهم أسرى في أيدينا » .

(١) يورد المؤلف ملاحظة على لسان المرحوم ناصر الفواز (الرمثا) ينفي فيها قصة ذبح الأطفال والنساء في طفس من قبل الأتراك ، ويذكر ناصر الحادثة على أن الأهالي هم الذين أطلقوا النار على الأتراك وعندما رد هؤلاء عليهم قتل وجرح بعض الأشخاص ومنهم الشيخ طلال .

عند غروب شمس ٢٧ أيلول سقطت درعا بيد فرسان عشيرة الرولة بقيادة طراد الشعلان الذي أسر ٥٠٠ مقاتل تركي في العملية ، وقام الشريف ناصر بن علي برفع علم الشريف حسين على دار الحكومة صباح يوم ٢٨ أيلول قبل بضع ساعات من دخول قوات الجنرال (بارو) درعا من الجنوب .

وفي ٢٩ أيلول أسس الأمير فيصل قيادته في درعا وأصدر أوامره بالتقدم النهائي على دمشق ، وفي نفس اليوم استأنفت الفرقة الهندية الرابعة تقدمها باتجاه دمشق أيضا بالتعاون مع القوات العربية بقيادة نوري السعيد حيث تقدمت فرقة الخيالة الهندية ـ عدا لواء الخيالة الهندي العاشر ـ على طريق الحج (المزيريب ـ طفس ـ الشيخ مسكين) ، فوصلت دلي ـ شمال الشيخ مسكين بخمسة أميال ـ ليلة ٢٩/٣٠ أيلول ، وبينما كانت قوات نوري السعيد النظامية تتقدم باتجاه الشمال استطاعت القوات غير النظامية بقيادة الشريف ناصر بن علي ونوري الشعلان وعوده أبو تايه ، يوم ٢٩ أيلول أن تطارد الفلول التركية وتوقع فيها خسائر فادحة وتأسر عددا منها .

وفي ٣٠ أيلول تقدمت فرقة الخيالة الهندية الرابعة بلواء الخيالة الحادي عشر كحرس مقدمة ، وبعد أن تجاوز قرية الزراقية في الساعة ١٦٤٥ أبلغ عن وجود رتل تركي يزيد على ٤٠٠٠ مقاتل على الطريق العام ، وكانت القوات العربية غير النظامية تطاردهم وتضغط عليهم ، فاستدعت لواء الخيالة ١١ للمساعدة ، حيث قامت كتيبة اللانسر (أو الرمّاحة) باعتراض تقدمهم مما جعلهم يتجهون إلى المرتفعات جبل معني . وحسب رواية لورنس فقد قُضي على الرتل من قبل قوات عوده أبو تايه قبل فجر اليوم التالي .

وفي منتصف ليلة ٣٠ أيلول كان فيلق الصحراء الراكب المتقدم على محور القنيطرة ـ سعسع ، قد وصل أبواب دمشق مسيطرا على مرتفعات بردى . حيث تمركزت الفرقة الاسترالية الراكبة في منطقة المزه ، وفرقة الخيالة الهندية الخامسة في كوكب ، وفرقة الخيالة الهندية الرابعة في الزراقية ؛ على طريق الحج ، بينما تمركز الجيش العربي الشمالي على التلال الواقعة شمال شرق الأشرفية .

وفي تلك الليلة أرسل الشريف ناصر بن علي رسولا لرجالات دمشق يعلمهم بوصوله في اليوم التالي . وعندما دخلت القوات العربية (غير النظامية) دمشق .

كانت بقايا القوات التركية والألمانية تخلي المدينة ، فقام قادة دمشق والمتطوعون العرب برفع الراية الهاشمية فوق دار الحكومة ابتهاجاً بتحرير دمشق من نير الاستعباد التركي الذي دام أربعة قرون .

وفي صباح ١ تشرين الأول ١٩١٨ تقدم الشريف ناصر بن علي مصحوبا بنوري الشعلان وعوده أبو تايه فدخل دمشق على رأس القوات العربية باسم الملك حسين بن علي . ودخلت الفرقة الاسترالية الراكبة دمشق من الجهة الغربية بعد أن مشطت مرتفعات بردى من بقايا الأتراك ، بينما دخلت فرقة الخيالة الهندية الخامسة دمشق من الجنوب ، وكانت المدينة في ذلك اليوم تلبس حلة من

الزينة والفرح ابتهاجا بيوم التحرير العظيم وزوال الكابوس التركي الذي كان يمثله الطاغية جمال باشا الملقب عند العرب (بالسفاح) . وتوجت هذه الاحتفالات بدخول الأمير فيصل في اليوم الثالث من تشرين الأول الذي أكد معنى الحرية والخلاص ، الحرية التي كانت حلم الجماهير العربية وأملها المنتظر .

حقاً لقد قطع جيش التحرير العربي مسافة ١٠٠٠ ميل من مكة إلى دمشق ، وبعد قتال دام ٢٨ شهراً استطاعت الفيحاء أن ترفع علم الحرية ، بعد هزيمة الجيوش التركية في سوريا وأسر ما يقارب ٢٠,٠٠٠ جندي وضابط تركي .

وبعد انسحاب الأتراك أقيمت حكومة مؤقتة برئاسة الأمير سعيد الجزائري إلى أن دخل الأمير فيصل المدينة ، فشكلت حكومة عسكرية برئاسة أحد أعضاء جمعية العهد اللواء علي رضا الركابي . وبناء على رغبة وجهاء بيروت أرسلت قوة رمزية برئاسة اللواء شكري الأيوبي الذي أعلن قيام حكومة عربية تحت حكم الملك حسين بن علي بعد أن دخل بيروت في ٦ تشرين الأول ١٩١٨ .

المطاردة والتقدم إلى حلب : ١-٣١ تشرين الأول ١٩١٨

بعد احتلال دمشق وبناء على إلحاح الأمير فيصل ، وضع اللنبي الخطط لمطاردة الفلول التركية إلى حلب وطرابلس . وفي البداية كان اللنبي ينوي أن يوقف تقدمه على خط بيروت ـ رياق ـ دمشق ، لكي تتمكن فرق المشاة البريطانية وقاعدته الإدارية من اللحاق بفيلق الصحراء الراكب في دمشق : ولكن بناء على طلب الأمير فيصل ، السماحَ للجيش العربي الشمالي بالتقدم حتى حلب ، قرر اللنبي متابعة التقدم على محورين بحيث يتقدم الفيلق ٢١ بقيادة (بلفن) على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط باتجاه الشمال ويؤمن موانىء صور ، صيدا ، بيروت وطرابلس . وفي الداخل يتقدم (شوفيل) بفيلق الصحراء الراكب والجيش العربي الشمالي على محور دمشق ـ رياق ـ حمص ـ حماه ـ حلب ، ومحور دمشق ـ حمص ـ حلب على التوالي .

تقدم الجيش العربي الشمالي إلى حلب ١١-٣١ تشرين الأول ١٩١٨

في صباح يوم ١١ تشرين الأول بدأ الجيش الشمالي تقدمه من دمشق إلى حلب حيث قطع مسافة ٢٢٠ ميلا في ٢٠ يوما ، سابقا فرقة الخيالة الهندية الخامسة بمدة ٤٨ ساعة .

وكان يقود اللواء الهاشمي النظامي الضابط علي جودت الأيوبي ، ويقود القوات غير النظامية والمتطوعين الشريف ناصر بن علي . دخلت القوة العربية حمص في ١٥ تشرين الأول بأربع وعشرين ساعة قبل الفرقة الهندية الخامسة ، وفي ١٧ تشرين الأول استولى الجيش العربي على حماه ، ثم لحق به لواء الخيالة الهندي ١٥ في ٢١ تشرين الأول .

الجيش العربي الهاشمي

كانت القوات العربية تتقدم بحماس وجرأة يدفعها الشوق لتحرير الأرض العربية من نير الاستعباد التركي ، بينما كان البريطانيون يتقدمون ببطء وحذر متأخرين عن مؤخرة الجيش العربي نحو ٣٠ ميلا .

وفي ٢٥ تشرين الأول اصطدم لواء الخيالة الهندي ١٥ بالفيلق التركي ٢٠ في مفترق الطرق جنوب غرب حلب . ولما طلب من القوات التركية في حلب أن تستسلم رفض الطلب . وكانت خطة الهجوم على المدينة قد وضعت لينفذها الجيش العربي الشمالي والفرقة الهندية الخامسة يوم ٢٦ تشرين الأول ، إلا أن مجموعة من قبيلة عنيزة بقيادة الشريف ناصر بن علي اقتحمت المدينة في ٢٥ تشرين الأول من الجانب الشرقي وكادت تستولي على القلعة ، ورغم أن القوة التركية قامت بهجوم معاكس وطردت قوة الشريف ناصر من القلعة ، إلا أن الفيلق ٢٠ انسحب في الحال من المدينة واتخذ مواقع دفاعية خارجها على طريق حلب الأسكندرونة .

في صباح ٢٦ تشرين الأول قام لواء الخيالة الهندي ١٥ بالهجوم على المواقع التركية الأمامية وبعد قتال شديد صد اللواء متكبدا ٨٠ قتيلا وجريحا .

وفي ٢٩ تشرين الأول ١٩١٨ احتلت القوة العربية (غير النظامية) بقيادة الشريف ناصر بن علي محطة المسلمية التي تربط خط بغداد بخط الحجاز . وهكذا قطع رجال الجيش العربي الهاشمي الشمالي آلاف الأميال من مكة إلى حدود الأناضول يقاتلون عدوا عنيدا . ويساندهم حلفاء غير متحمسين ونقص شديد في السلاح والمهمات والمؤن . يحفزهم التحرر والاستقلال ويقودهم المنقذ الأعظم الشريف حسين بن علي وأنجاله الذين أيقظوا روح القومية في الأمة العربية .

وقعت اتفاقية الهدنة مع تركيا في (مودروس) على جزيرة ليمنوس في الساعة ٢١,٣٠ مساء يوم ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ مسجلة هزيمة الجيوش التركية الساحقة والكاملة . وقد بلغ عدد الأسرى الأتراك ٧٥,٠٠٠ ، بينما بلغت خسائر القوات البريطانية في معركة مجدو وحلب من ١٩ أيلول ـ ٢١ تشرين الأول نحو ٥٦٦٦ منهم ٨٥٣ قتيلا ، أما خسائر الجيش العربي الشمالي في نفس الفترة فكانت ٥٠٠ بين شهيد وجريح ومفقود .

عمليات الجيشين الجنوبي والشرقي في الحجاز ١٩١٨ ـ كانون الثاني ١٩١٩

رغم قلة الإمداد من القوات البريطانية للجيش الهاشمي والنقص الشديد في الجنود النظاميين والأسلحة الرشاشة والمدفعية ، إلا أن الجيشين الجنوبي والشرقي شددا الحصار على القوات التركية في المدينة وقطعا خط المواصلات بين بن رشيد والأتراك وواصلا مهاجمة خط سكة الحديد في قطاع المدينة ـ تبوك . وقد بقي خط المواصلات التركي بين معان والمدينة مستعملا إلى أن سقطت محطة المدورة بعد تدميرها من قبل قوة الهجانة التي يقودها بكستن . ورغم إعلان الهدنة بين تركيا والحلفاء

إلا أن قائد الحامية التركية في المدينة فخري بك رفض الاستسلام إلا في كانون الثاني سنة ١٩١٩ أي بعد توقيع الهدنة بشهرين . وقد أورد الملك عبدالله هذه الحادثة في مذاكراته قائلا :

« بقي فخري باشا في المدينة يدافع عنها بإصرار ، وبعد المخابرة مع الأمير علي تحركت بالجيش الشرقي إلى الجفر (١) ـ وهو موقع شمال غرب المدينة بحوالي ٢٠ كم ، وبعد التضييق عليه ابتدأت الحركات الدالة على عدم الطاقة في المحصورين . وقد ورد كتاب من السير ريجنالد وينجيت إلى فخري باشا يخبره أن تركيا هزمت ، وأن دمشق قد احتلت وأن مسؤولية سفك الدماء من بعد ذلك تقع عليه إذا لم يسلم . فأجابه فخري باشا بالتركية : « أنا عثماني ، محمدي وابن بالي بك ، وأنا جندي » . ولكنه (فخري باشا) عاد وأرسل كتابا للأمير علي يخبره أنه بعد هذا الجدال لم يعد هناك سبب للاستمرار بالدفاع وأنه أرسل ضباطه علي نجيب وصبري بك وكمال بك للمذاكرة في كيفية إخلاء المدينة » .

التقى الأميران علي وعبدالله بعلي نجيب الذي طلب أن يسمح للقوات التركية بأن تخرج بأسلحتها إلى ينبع البحر والوجه ، فتقرر رفض طلبه والتسليم على أساس الشروط التالية التي وضعها الملك عبدالله (الامير انئذ) :

١ - يستسلم فخري باشا نفسه .

٢ - تستسلم كل وحدة (خارج المدينة) في موقعها في الجبهة ثم ينقل الجنود إلى الساحل تحت حراسة الجيش العربي .

٣ - كذلك تستسلم حامية المدينة المنورة وتخرج دون أسلحتها .

٤ - القوات التي في العلا وتبوك تسلم هناك وتؤخذ بقوافل إلى الوجه وظبا . وأما الأمتعة الخاصة بالضباط فتكون تحت تصرفهم إذا أرادوا بيعها أو أخذها معهم .

٥ - يجرى تسليم الأسلحة العسكرية الخفيفة والثقيلة بموجب الدفاتر والسجلات المحفوظة .

٦ - يجرى التسليم فورا ،

بعد ٣١ شهرا من بدء الثورة العربية استسلمت حامية المدينة المؤلفة من ٤٩١ ضابطا و ٧٥٤٥ جنديا نقلوا جميعا إلى معسكرات الأسرى في مصر . أما فخري باشا فقد رفض في البداية شروط التسليم وتحصن في الحجرة النبوية وهدد بنسفها إذا أجبر على الاستسلام ، ولكنه أقنع أخيرا من قبل الأمير عبدالله ، الذي أورد ملاحظته عن فخري باشا في مذكراته مبينا صلابة القادة الأتراك وعنادهم ومنوها بالنهاية السعيدة قائلا :

« انفجر أحد إطارات السيارات فوقفنا لإصلاحه ، وإذا ببدويين يمران ومعهما بعض ما اشترياه من السوق ببئر درويش ، فسأل أحدهما الآخر من هذا ؟ هذا عبدالله بن سيدنا ، ولعل هذا فخري

(١) موقع غير الجفر الذي يقع على بعد ٦٠ كم شرق معان في الأردن ـ المعرب .

باشا ، فتقدما مسرعين نحونا وبعد أن حيياني قالا عن فم واحد : هذا فخري باشا ؟ فقلت أنه هو ، فتقدم إليه أحدهما وقال : أأنت فخري باشا ؟ قال نعم ، قال : امدد يدك أصافحك ، فأنت الشجاع الباسل الذي صدنا عن المدينة المنورة شهورا عديدة ، فصافحهما ثم قال لي : إن هذه لأكبر مكافأة لي من رجلين لا يؤملان مني أية صلة أو جاه فإذا هي الحقيقة وبها الشرف لي ، وامتلاءت عيناه بالدمع ، فقلت إنهما من العرب ، والعرب أمة شريفة تقدر الرجال حق قدرهم » .

بهذه الملاحظة العظيمة من مذكرات الملك عبدالله ينتهي وصف صفحة من صفحات التاريخ العربي المشرقة ، التي بدأت بمرحلة التحرر من الجهل والفساد والاستعباد التركي الذي دام أربعة قرون . وذلك بانطلاق الثورة العربية من الحجاز بقيادة المنقذ الأعظم الشريف حسين بن علي وأنجاله (علي وفيصل وعبدالله وزيد) ، الذين حملوا راية القومية العربية وناضلوا من أجل الوحدة والحرية والاستقلال التي صارت هدفا تسعى إليه الأمة العربية في كافة أقطارها .

١٢ - تحليل العمليات العسكرية للثورة العربية الكبرى

المفهوم الاستراتيجي للشريف حسين بن علي

تأثر المفهوم الاستراتيجي للشريف حسين بن علي في إدارة الحرب بعاملين أساسيين هما : أولا الوسيلة السياسية الواجب إتباعها لتحقيق الاستقلال العربي ، وثانيا الأسلوب النفسي أو السيكلوجي الذي يستخدم في التغلب على العناد وضيق الأفق التركيين . أما المجابهة العسكرية المباشرة فقد استبعدها الشريف حسين في البداية لأنها غير عملية ، وكان لابد من تناول الأمر بطريقة حاذقة تتسم بالدهاء والحيلة ، وقال إن من الواجب الاعتماد على الناحية المعنوية والروحية والنفسية لأن هذه متغيرات هامة أما المدافع والقنابل فكانت مجرد ثوابت موجودة لدى الطرفين ولذلك فإنها تختزل تأثير بعضها البعض . ولابد من إخضاع الأتراك وترويضهم بوسائل غير مباشرة لا سيما وأنه كان قد خبرهم خلال وجوده خمس عشرة سنة في إسطنبول عضوا في مجلس شورى الدولة .

وفي سنة ١٩٠٨ تلقت حركة الكفاح العربية من أجل التحرر السياسي ضربة قاسية نتيجة للسياسات الطورانية المتعصبة التي اتبعها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية والذين وصلوا إلى السلطة في ذلك العام وأطاحوا بالسلطان عبدالحميد الثاني في العام التالي . وبعد فترة قصيرة من المودة بين العرب والأتراك كشف الاتحاديون عن نواياهم ضد العرب وغيرهم ، فانصرف العرب إلى العمل السري وتشكيل الجمعيات وعلى رأسها الفتاة والعهد ، للحصول على حقوقهم . ولكن لم يتم التنسيق بين جهود هذه الجمعيات ومساعي الهاشميين حتى سنة ١٩١٥ .

وعندما قام الاتحاديون بتعيين الشريف حسين شريفا على مكة والمدينة استمر في التخطيط

بمنتهى السرية للتخلص من الأتراك . ولم يطلع أحدا على أفكاره وخططه للمستقبل سوى أبنائه الأمراء علي وفيصل وعبدالله . وكان ابنه الأمير عبدالله بمثابة وزير خارجيته « في حكومة الظل » ومستشاره السياسي .

ولما كان لابد لنجاح أية حركة سياسية من دعم إحدى القوى العظمى ، ولأن بريطانيا كانت أكثر هذه الدول العظمى نفوذا آنئذ في الشرق الأدنى والأوسط بسبب وجودها في وادي النيل وعدن وعمان ومنطقة الخليج إضافة إلى علاقاتها مع الإمام يحيى في اليمن والشريف الإدريسي في عسير وعبد العزيز السعود في نجد ، فقد رأى الشريف حسين أن يتصل بالبريطانيين ويستمزج رأيهم حول إمكانية مساعدتهم له إذا ما ثار ضد الأتراك . وتم الاتفاق كما هو معروف بعد مراسلات الحسين ـ مكماهون على تأييد البريطانيين لثورة الشريف حسين لا سيما وأنها تعود على بريطانيا بفوائد كبيرة إذ أن الثورة العربية تبطل مفعول دعوة الجهاد التي أعلنها الخليفة السلطان العثماني ضد الأنجليز وحلفائهم وكذلك تضمن لبريطانيا تأييد ملايين المسلمين في الهند والمستعمرات البريطانية الأخرى ، وتشل جزءا كبيرا من القوات التركية وتمنع الألمان والأتراك من الوصول إلى البحار الجنوبية لتهديد مصالح بريطانيا في عدن وما جاورها .

أما ما قدمته بريطانيا للشريف حسين وثورته فلم يتعد إرسال جنود نظاميين من العرب الأسرى الذين كانوا يحاربون في صفوف القوات التركية قبل أسرهم وذلك لتكوين نواة للقوات النظامية للثورة العربية وكذلك إرسال بعض الأسلحة القديمة مع مساندة من الأسطول البريطاني في البحر الأحمر لعمليات الجيش العربي الهاشمي ، يضاف إلى ذلك تقديم مقادير محدودة من الأموال .

بدأت الثورة في حزيران سنة ١٩١٦ وهو وقت لم يكن ملائما لأن يلقي الشريف حسين واتباعه بثقلهم إلى جانب بريطانيا وإعلانهم للثورة ضد الأتراك ، ذلك لأن الوضع العسكري البريطاني في المنطقة لم يكن جيدا سواء في جبهة سيناء أو جبهة العراق ، خاصة بعد الفشل العسكري المروع لحملة الحلفاء في غاليبولي . غير أن عاملين جعلا الشريف يسرع في إشعال الثورة وهما إعدام عدد من أحرار العرب على يد جمال باشا في دمشق وبيروت في شهر أيار سنة ١٩١٦ ، ومجيء قوة تركية بقيادة خيري بك إلى الحجاز في طريقها إلى اليمن في الظاهر ولكن الشريف رأى أنها جاءت لتدعيم القوات التركية في الحجاز .

أعلن الشريف الثورة قاصداً أن تكون شاملة الحجاز وسوريا والعراق ومتوافقة في توقيتها مع نزول الحلفاء في خليج الأسكندرونة ، إلا أن الحلفاء لم ينفذوا الجزء الخاص بهم من الاقتراح . ولو قبل الحلفاء باستراتيجية الشريف هذه وعملوا باقتراحه لتمكنوا بفضل تفوقهم في العدد والعدة من القضاء على الجيوش التركية في كافة الأقطار العربية وعزلها عن قيادتها الرئيسية في العاصمة اسطنبول ويوفّروا بذلك على أنفسهم الوقت والجهود التالية . لم يقبل الحلفاء بوجهة نظر الشريف

ولعل سبب ذلك ضيق الأفق العسكري للقيادة البريطانية في مصر وقلقها على سلامة قناة السويس فقط كشريان للمواصلات الأمبراطورية ولا سيما في وقت الحرب ، ربما يضاف إلى ذلك أن الحلفاء كانوا قد اتفقوا فيما بينهم على تقسيم البلاد العربية حسب اتفاقية سايكس بيكو ، ولذلك لم يكن في وسع القادة العسكريين البريطانيين التصرف بمرونة بسبب القيود السياسية المفروضة عليهم .

المفهوم التعبوي العربي للعمليات

أما وقد أعلن الشريف الثورة فقد أصبح تنفيذ العمليات التعبوية العسكرية من اختصاص أبنائه الأربعة وهم علي وعبدالله وفيصل وزيد . وقد ساعدتهم هيئة أركان عربية مؤلفة من ضباط عرب امتازوا بالثقافة العسكرية العالية والخبرة القتالية الواسعة والعقيدة القومية السليمة والاستعداد الكامل للتضحية . وكان أبرز هؤلاء الضباط عزيز علي المصري ونوري السعيد وجعفر باشا العسكري ومولود مخلص .

وفي مؤتمر رابغ الذي عقد في تشرين الثاني سنة ١٩١٦ أي بعد إعلان الثورة بأشهر قليلة طرح عزيز علي المصري مفهومه للحرب والذي يسمى الآن بالحرب الشعبية ، وذلك بعد تحليل أهداف الثورة وكيفية تحقيقها . وتقوم الحرب الشعبية حسب مفهوم عزيز علي المصري على تشكيل نواة صلبة من الجنود النظاميين كان معظمهم من أسرى الحرب العرب الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش التركي تدعمهم قوات غير نظامية من متطوعي البدو . وكانوا كالسمكة في البحر والبحر هو الشعب الذي يحميهم ويدعمهم ويزودهم بكلّ ما يريدون ، وأن تقوم القوات النظامية بتثبيت أو محاصرة أو احتواء القوات التركية ، بينما تقوم القوات غير النظامية بشن غارات متواصلة على الأتراك وتقطع خطوط مواصلاتهم وتشل حركاتهم من المدينة إلى حلب ولا سيما حول الخط الحديدي الحجازي الذي يكون عصب المجهود الحربي التركي من حلب وحتى أقاصي الحجاز .

ولابد لنجاح الحرب الشعبية من كسب التأييد الشعبي لها عن طريق كسب ود مختلف القبائل من أهل البادية والفلاحين وأهل المدن . ونجح الأمير فيصل في هذه المهمة التي أسندت اليه ولا سيما في المناطق التي تحاذي الخط الحجازي إذ انضمت للثورة قبائل حرب ، وعتيبة وجهينة وبلي في الحجاز ، وبني عطية والحويطات وبني صخر وبني خالد وعنيزة في شرق الأردن وقبائل جبل الدروز والرولة في سوريا . ومما اكسب نجاح فيصل مزيدا من البريق هو تمكنه من تحويل مشاعر القبائل وجهودها إلى الصف الوطني وجعلها تتناسى ما بينها من عداوات وخصومات وثارات وتبتعد عن غزو بعضها بعضا .

نجحت استراتيجية الحسين بن علي في إدارة الثورة بجهود لا يمكن تجاهلها في إنجاح حملة الحلفاء ضد تركيا . وجاء نجاح العرب ، رغم قلة عددهم ومواردهم وقدم الأسلحة القليلة التي

أرسلها لهم حلفاؤهم ، مثالا يحتذى للثورات الشعبية الناجحة التي تقوم بها الأمم الصغيرة القليلة الموارد إذا ما اقترنت بالعزيمة والتصميم مهما كان عليه خصومها من قوة وإمكانات . ومن أبرز الأمثلة على ذلك ثورة الجزائر ضد فرنسا وكفاح فيتنام ضد فرنسا أولا ثم ضد الولايات المتحدة ثانيا .

المجهود الحربي العربي

هناك مفهوم خاطىء عند كثير من الغربيين عندما يكتبون عن الثورة العربية فهم يرون فيها أعمالا صغيرة قامت بها جماعات بدوية يدفعها حب الغزو والمغامرة ، ويقودها لورنس ومجموعة من الضباط البريطانيين وقد جعلوا من لورنس أسطورة في التنظيم والجرأة والابتكار مع أنه لم يقم بدور يذكر كما أثبتت الدراسات والأبحاث . وحتى زملاؤه الآخرون من الضباط البريطانيين وغيرهم لم يكونوا على المستوى المهني الرفيع الذي بلغه الضباط العرب الذين أداروا دفة الثورة وما تحلوا به من خبرة قتالية وسلامة تفكير واستعداد مستمر للتضحية .

لذلك لا عجب أن حققت الثورة العربية الشيء الكثير بقيادة الشريف حسين وأبنائه وقيادة الضباط العرب وتضحيات جنودهم النظامين وغير النظاميين ومثابرتهم وإصرارهم على تحقيق الهدف وصبرهم على المكاره وقلة الزاد ورثاثة الملبس ونقص السلاح وندرة الأموال .

استطاعت الثورة العربية أن تنجز أكثر مما أنجزته قوات الحلفاء في غاليبولي والعراق وغزة في السنة الأولى للحرب . وعند اندلاع الحرب مع تركيا في شهر تشرين الأول سنة ١٩١٤ قدرت القوات التركية جنوب جبال طوروس بنحو ستين ألف مقاتل بينما بلغت القوات البريطانية المقاتلة في مصر وحدها أكثر من سبعين الف مقاتل .

وخلال الحرب قامت قوات الثورة العربية التي قدرت بنحو ٨٠٠٠ مقاتل نظامي بالإضافة إلى مابين ٢٠ و ٣٠ ألف مقاتل غير نظامي (من رجال القبائل) بتطويق وتحييد حوالي ٤٠ ألف جندي تركي في الحجاز واليمن وعسير . وفي نهاية الحرب كان العرب قد قتلوا حوالي عشرة آلاف جندي تركي وأسروا نحو خمسة وعشرين ألفا ، مقابل ألفي شهيد وحوالي خمسة آلاف جريح في قوات الثورة العربية .

ولولا المجهود الحربي العربي لكان البريطانيون في وضع صعب جدا في مصر وفلسطين وشبه جزيرة العرب من ١٩١٦-١٩١٨ . ولو لم يشارك العرب في القتال ضد تركيا لتمكنت تركيا من زج قوات أكثر في مصر وفلسطين ولاستطاعت تجنيد قوات إضافية من الاحتياط العربي ، هذا بالإضافة إلى دعم المواطنين العرب للجيوش البريطانية في فلسطين وسوريا وشرق الأردن ووقوفهم من الجنود الأتراك موقفا عدائيا أثناء العمليات العسكرية وذلك بناء على النداء الذي وجهه الشريف حسين لهم .

الجيش العربي الهاشمي

ولعل أهم عامل في الكفاح من أجل الاستقلال هو ظهور الروح القومية لدى العرب واعتزازهم بأنفسهم . ومن حق الجيش العربي الهاشمي أن يفخر أنه كان حامل مشعل النهضة العربية . كما أنه أثبت حقيقة أساسية وهي أن الإرادة القومية القوية والتصميم على النصر هي التي تحسم الأمور في النهاية مهما كانت الصعوبات المادية او المعنوية التي تواجهها ومهما كانت الاستراتيجية والتكتيك التي يستخدمها الطغاة .

ومما لا ريب فيه أن الإرادة التي لا تلين والتصميم والشجاعة والحكمة التي أظهرها الشريف حسين منذ توليه منصبه في مكة وحتى انتهاء الحرب وما إلى ذلك من متاعب ومصائب واجهها هو والثورة العربية نتيجة غدر الحلفاء ، كانت سببا رئيسيا في قيام الثورة واستمرارها بنجاح باهر إلى أن انتهت العمليات العسكرية باستسلام الأتراك . وقد أثبت الحسين بن علي بسلوكه الشخصي أنه لابد لامتلاك زمام عقول الرجال وقلوبهم من أن يتحلى الزعيم المنقذ والقائد الطموح لأية ثورة وطنية بصفات الشجاعة الأدبية والجسدية والإرادة الحديدية ونكران الذات .

ومن حسن حظ العالم العربي أن تحلى أبناء الحسين وأحفاده بصفاته هذه بدرجة غير عادية . وجاء الاحتلال الفرنسي لسوريا والحركات الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية في مختلف أقطار بلاد الشام والعراق ، والحرب العالمية الثانية ، ونشوء اسرائيل وما تلا ذلك من حروب ضدها واضطرابات داخل المنطقة العربية ـ جاءت هذه كلها بمثابة تحديات صمد أمامها أبناء الحسين بن علي ولم يتهاونوا في إبداء حسهم بالواجب وشعورهم بالمسؤولية وقيادتهم للشعب وهم يتقدمون صفوفه .

لقد خط موقظ الأمة العربية الطريق بعد أربعة قرون من الحكم العثماني ، وسار ابنه عبدالله على نهجه فأسس المملكة الأردنية الهاشمية وجاء حفيده الحسين بن طلال ليعلي البناء ويوطد أساسه وأركانه .

٢ - « جلالة المغفول له الملك عبد الله بن الحسين »
عام ١٨٨٢ - عام ١٩٥١



الجزء الثاني

عبدالله بن الحسين المؤسس سنة ١٩٢٠ - سنة ١٩٥١

الفصل الرابع :

الأردن إمارة ومملكة

١٣ - تأسيس إمارة شرق الأردن

انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ بانتصار الحلفاء وهزيمة دول الوسط ـ المانيا والنمسا وتركيا ـ وقد مر بنا الدور الكبير الذي لعبته الثورة العربية بقيادة الشريف حسين بن علي وأنجاله في تحقيق النصر للحلفاء وفي إسهامها الفعال في تحرير المشرق العربي من السيطرة التركية وقد توقع العرب أن يفي الحلفاء بوعودهم فيحصلون على الحرية والاستقلال الذي دفعوا ثمنه غالياً من دمائهم .

ولكن العرب بقيادة الشريف حسين بن علي قوبلوا بخيانة وغدر وتنكر للوعود قل أن مر مثيلها في التاريخ ؛ إذ كان الحلفاء البريطانيون والفرنسيون قد اتفقوا فيما بينهم على اقتسام بلاد العراق والشام بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو . كما كانت بريطانيا قد اتفقت مع الصهيونية العالمية على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وتسهيل هجرة اليهود إليها بموجب وعد بلفور الذي صدر في نهاية عام ١٩١٧ .

حاول العرب مواجهة هذه الاتفاقيات الغادرة بأن اعلنوا فيصل بن الحسين ملكاً على بلاد الشام بكاملها بما فيها فلسطين كما نادوا بشقيقه عبدالله ملكاً على العراق . وبذل العرب بقيادة الملك فيصل جهوداً مضنية في مؤتمر الصلح للحصول على حقوقهم وتأييد إجراءاتهم .

بيد أن التآمر الاستعماري الصهيوني حال بينهم وبين ما يطلبون . فلم يعترف الحلفاء إلا بكون الملك حسين بن علي ملكاً على الحجاز فقط . وطالبوه بإقرار اقتسامهم لبلاد الشام والعراق وإعطاء فلسطين للصهاينة مقابل اعترافهم هذا . لكن الملك حسين رفض هذه العروض بعناد وتصميم ، فتركه الحلفاء ليواجه الوهابيين بقيادة عبد العزيز آل سعود أمير نجد الذي كان يريد الاستيلاء على الحجاز . وبالفعل تمكن الوهابيون من إلحاق هزيمة قاسية بقوات الشريف حسين في معركة تربة (التي تبعد نحو ١٣٠ ميلاً شرق مكة) سنة ١٩١٩ ، مما جعل الحجاز مهدداً بالغزو الوهابي الذي تحقق وقضي على مملكة الأشراف في جزيرة العرب سنة ١٩٢٥ .

وفي ٥ نيسان سنة ١٩٢٠ قرر مؤتمر سان ريمو إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الأردن والعراق ، والانتداب الفرنسي على سوريا الشمالية (سوريا ولبنان الحاليتين) وكان طبيعياً أن

يرفض العرب هذه العملية الغادرة وقرروا مقاومتها بكل ما وسعهم . وبالفعل تصدوا بإمكاناتهم الضئيلة للقرارات الاستعمارية . ففي سوريا واجهت قوات مملكة فيصل الناشئة التي لم يزد عددها عن ٥٠٠ جندي نظامي و ١٥٠٠ متطوع تنقصهم الأسلحة ، قوات فرنسية تفوقها أضعافاً مضاعفة في معركة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وانهارت أمام الفرنسيين بعد دفاع مستميت . وخرج الملك فيصل من سوريا وبدأ فيها الاستعمار الفرنسي تحت اسم الانتداب وما رافقه من بطش وتمزيق لأوصال القسم الشمالي من بلاد الشام وما تبع ذلك من ثورات وانتفاضات استمرت حتى خروج الفرنسيين نهائياً منها سنة ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية .

أما في العراق فقد قامت ثورة عارمة ضد البريطانيين سنة ١٩٢٠ ودفع العراقيون الثمن بسخاء متمثلاً في آلاف الشهداء كما قتل مئات وجرح آلاف من البريطانيين وتكلفت الخزينة البريطانية أربعين مليوناً من الجنيهات للقضاء على هذه الثورة . واضطرت بريطانيا لمسايرة الشعور الوطني فاعترفت من حيث المبدأ باستقلال العراق واستدعى العراقيون فيصل بن الحسين ليحكم العراق من سنة ١٩٢١ حتى وفاته المبكرة عام ١٩٣٣ . وتمكن خلال هذه المدة من الحصول على استقلال العراق ودخوله عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ .

رغم ما أحاط بالشريف حسين وأبنائه من كوارث فلم يجد الاستسلام سبيله إلى نفسه بل كلف ابنه عبدالله بالتوجه إلى شرق الأردن والاستعداد للثأر من الفرنسيين في سوريا فتحرك عبدالله ووصل إلى معان في ١٩٢٠/١٠/٢١ . واستقبله بالترحاب زعماء ووجوه عشائر شرق الأردن وكذلك بعض الموظفين والضباط العرب ممن غادروا سوريا على اثر القضاء على مملكة فيصل في دمشق . وفي ١٩٢١/٣/١ تحرك الأمير عبدالله بالقطار من معان إلى عمان واستقبلته هناك أيضاً عشائر الأردن وأهلها بالترحيب ، وتحدى بعمله هذا السلطة البريطانية التي حاولت إعادة عبدالله إلى الحجاز وأصر على البقاء في شرق الأردن واستئناف الإعداد للثأر من الفرنسيين .

في هذه الأثناء كان البريطانيون يعملون على توطيد نفوذهم في مناطق انتدابهم الجديدة وفي ١٢ آذار سنة ١٩٢١ عقد مؤتمر سياسي في القاهرة برئاسة ونستن تشرتشل وزير المستعمرات البريطاني وهربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين وبرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق والكولونيل لورنس مستشاراً لتشرتشل . وكان وصول الأمير عبدالله إلى عمان أحد المواضيع التي ناقشها المؤتمر . وكان وجود الأمير عبدالله في شرق الأردن وتهديده بغزو سوريا يثير قلق الحكومة البريطانية وإمكانية إساءة العلاقات مع حليفتها فرنسا . لذلك تقرر دعوة الأمير عبدالله للقاء وزير المستعمرات البريطاني في القدس في ٢٦ آذار سنة ١٩٢١ وفي اليوم التالي عقد اجتماع عربي بريطاني في دار المندوب السامي حضره عن الجانب البريطاني ونستن تشرتشل وهربرت صموئيل وسكرتير عام حكومة فلسطين ولورنس ومن الجانب العربي الأمير عبدالله ومعه عوني عبد الهادي وتقرر أن يتولى الملك فيصل عرش العراق وأن يتولى الأمير عبدالله إمارة شرق

الأردن شريطة أن يكف عن التحرش بفرنسا مقابل وعد من تشرتشل أن المشكلة مع الفرنسيين ستحل وسيعود الحق إلى نصابه خلال أشهر قليلة . ورغم إلحاح الأمير عبدالله على احترام مطالب عرب فلسطين إلا أن تشرتشل تملص من الالتزام بذلك بحجة أنه لا يدخل ضمن صلاحياته .

وفي أول نيسان سنة ١٩٢١ تشكلت أول حكومة في شرق الأردن وفي ٢٥ أيار سنة ١٩٢٣ أعلنت شرق الأردن إمارة مستقلة تحت الانتداب البريطاني ويحكمها الأمير عبدالله . وفي سنة ١٩٢٥ ضمت العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن حتى لا تقع تحت السيطرة الوهابية بعد وقوع الحجاز في قبضة عبد العزيز آل سعود وإخراج الإشراف منه .

انصرف عبدالله بن الحسين بعد تأسيس إمارة شرق الأردن إلى بناء الإمارة وذلك بتوطيد الأمن ، والقضاء على الغزوات والغارات التي كانت تشنها القبائل ضد بعضها والسير في طريق تطوير البلاد اقتصادياً وتعليمياً وإدارياً . وسار ذلك بخطى وئيدة لكنها ثابتة . وتوج ذلك بحصول الاردن على قسط أوفر من الاستقلال وإعلانها مملكة مستقلة في ٢٥ أيار سنة ١٩٤٦ .

كما أولى الأمير عبدالله ومن ورائه الشعب الأردني قضية فلسطين اهتماماً كبيراً واستثني شرق الأردن من تطبيق نصوص وعد بلفور عليه ، مما دفع الصهيونيين لإظهار غضبهم من ذلك الإجراء .

١٤- الجيش العربي : سنوات التشكيل : ١٩٢٠ - ١٩٤٠

تأسيس الجيش العربي (Arab Legion) : تشرين الأول سنة ١٩٢٠

عندما تشكلت الإدارة في شرق الأردن ، جرى حديث بين الكاتب الإداري رشيد بك طليع والسكرتير العام لحكومة فلسطين السير وندهام ديدس حول تأسيس قوه لحماية الأمن والنظام في البلاد والدفاع عن حدود الإمارة . وقد رأى الأمير عبدالله تشكيل فرقة نظامية بما تحتاجه من مشاة وفرسان ومدفعية ، على ان تكون الفرقة مكونة من ثلاثة ألوية أو أفواج (Regiments) وكل لواء أو فوج يتألف من ٣ كتائب في كل كتيبة ٨٠٠ رجل . ويجب تجهيز الفرقة بالمدافع الجبلية ومدافع الميدان والرشاشات يضاف إليها لواء فرسان مكون من ١٥٠٠ فارس مسلحين بالبنادق الصغيرة ، والسيوف أو الرماح .

أبدى البريطانيون عدم قدرتهم على دعم المشروع من الناحية المالية وربما كان في أذهانهم الخطر الذي ستمثله القوة الجديدة ـ المؤلفة من خيرة الجنود العرب في الجيش التركي سابقاً ـ تجاه جيرانهم الفرنسيين . إلا أنه تمت الموافقة على ضم القوة النظامية التي جاءت مع الأمير عبدالله إلى قوة الخيالة التي كانت موجودة في شرق الأردن بقيادة الكابتن بيك وأن يضاف إليها سرية مدفعية جبلية على ان يعاد تشكيل المجموعة كقوة درك مع توزيعها في المناطق الثلاثة : الكرك والبلقاء وعجلون ، عدا عن قوة الشرطة المحلية .

الجيش العربي الهاشمي

فشلت القوة التي شكلت طبقاً لرغبات الانتداب في حفظ النظام وحماية الحدود في سنوات الإمارة الأولى ، لذلك أعيد توحيدها في نيسان سنة ١٩٢١ وإخضاعها لسلطة أمير شرق الأردن وتم تشكيلها كما هو مبين تالياً :

١ - قوة الدرك ٤٠٠ جندي (راجلين)
٢ - كتيبة الاحتياط (معظمهم فرسان) ١٥٠ جندياً وقد أسسها في البداية الكابتن برنتون في تشرين الأول سنة ١٩٢٠ .
٣ - كتيبة نظامية ٢٠٠ جندي بقيادة المقدم أحمد اسطنبولي .
٤ - قوة الهجانة ١٠٠ هجان بقيادة بن رميح وكانت تشكّل حرس الأمير الشخصي .

في البداية كان الأمير عبدالله شخصياً هو القائد العام لهذه القوات وقد أسندت إدارتها والإشراف على تدريبها وتجهيزها إلى وزير الأمن (مشاور الانضباط والأمن) العقيد على خلقي . أما الكابتن بيك الذي كان يعمل مستشاراً للأمير فقد عين مفتشاً عاماً للقوات . وقد ذكر الملك عبدالله في مذكراته تلك القوة قائلاً : « كانت هذه القوة جديرة بالإعجاب في سرعة تنظيمها وتدريبها ولباسها وسائر مقتضياتها . وقد قامت بواجبها أثناء حركة الكورة بسير إجباري من الكرك إلى عجلون فوصلت سيراً على الأقدام في ٤٠ ساعة وتمكنت من فرض النظام والقانون كما كانت موفقة في حركة البلقاء وما بعدها » .
بعد فترة وجيزة أسندت قيادة القوات إلى الكابتن بيك وأعيد تنظيمها على النحو التالي :

ثلاث سرايا خيالة
سريتا مشاة
بطارية مدفعية جبلية
سرية رشاشات
سرية لاسلكي

وقد استطاعت هذه القوة فيما بعد أن تفرض الأمن والنظام في كافة أنحاء إمارة شرق الأردن وتأسست أول قيادة للجيش العربي لتشرف على هذه القوة من قبل الكابتن بيك ، الذي تخرج من ساندهرست عام ١٩٠٦ ثم خدم مع القوات البريطانية في الهند ثم نقل إلى مصر ومع بداية الحرب العالمية الأولى نقل إلى الكتيبة ٤ في الخرطوم . وفي ٩ نيسان عام ١٩١٨ التحق بجيش الأمير فيصل في العقبة على رأس سرية هجانة مصرية . وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٩ عاد بيك إلى رفح

في جنوب فلسطين وتسلم قيادة سلاح الهجانة المصري الذي كان مسؤولا عن فرض الأمن والنظام في سيناء . وبعد تسريح فيلق الهجانة المصري نقل إلى قوة بوليس فلسطين ومنها أرسل إلى شرق الأردن لدراسة حالة الأمن هناك . وقد استقبل من قبل سعيد خير رئيس بلدية عمان ومثقال الفايز استقبالاً حسناً عاد بعدها إلى القدس وأبلغ المندوب السامي أن حالة الأمن غير مرضية . وطلب تشكيل قوة متحركة من ٥ ضباط و ١٠٠ جندي خيال للحفاظ على الأمن . وبعد الموافقه عاد إلى عمان وشكل القوة المتحركة (قوة خيالة) قبل وصول الأمير عبدالله إلى شرق الأردن .

حادثتا الكورة عام ١٩٢١ والعدوان عام ١٩٢٣

كانت حادثتا تمرد أهالي الكورة وثورة العدوان عامي ١٩٢١ و ١٩٢٣ أول تجربة تدخلها قوات الإمارة الناشئة منذ تأسيسها حيث تمكنت القوة المتحركة من القضاء على ثورة كليب الشريدة في الكورة في أيار سنة ١٩٢١ وإخماد ثورة سلطان العدوان في البلقاء في أيلول سنة ١٩٢٣ . وأثبتت جدارتها وقدرتها على فرض الأمن والنظام داخل البلاد فأصبحت بذلك محل ثقة الأمير واهتمامه .

ونتيجة للثورات الداخلية واحتمال تكرارها من عشائر أخرى أصدر الأمير عبدالله أمراً بتوحيد قوات الأمن في قوة احتياط متحركة مركزية بقيادة الكابتن ف . ج . بيك وأعطيت اسم الجيش العربي . وفي تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ منح الأمير عبدالله الكابتن بيك رتبة عميد وأصبح ضابطاً في جيش إمارة شرق الأردن .

غارات الوهابيين : حزيران سنة ١٩٢٤

في عام ١٩٢٠ قام الوهابيون بغارتين عنيفتين على شرق الأردن ، وفي حزيران عام ١٩٢٤ قاموا ثانية ـ وبدون علم بن سعود ـ بالتقدم من الشقراء ، بين الرياض وحايل مجتازين ١٠٠٠ ميل عبر صحراء نجد باتجاه الشمال ، وبعد أن اجتازوا وادي السرحان إلى الجوف ، انحرفوا غرباً إلى شرق الأردن عند الكاف ثم إلى الطنيب حيث هاجموا أرضا لبني صخر فقتلوا ٥٥ رجلاً وامرأة ، واتجهوا إلى زيزيا حيث اشتبكوا مع قوة الجيش العربي وفرسان بني صخر وانتهت المعركة بمقتل ٥٠٠ رجل من الوهابيين المغيرين وأسر ٦٠٠ آخرين . وقد وضعت هذه المعركة حداً لغارات الوهابيين داخل شرق الأردن وأصبحت حدود الإمارة أكثر أماناً .

بعد ضم معان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن تم تجنيد ٣٠٠ رجل كقوة هجانة لحفظ الأمن في منطقة معان الصحراوية . وفي نيسان عام ١٩٢٦ (يوم ثورة الدروز) شكلت قوة حدود شرق الأردن واختصر من الجيش العربي قسم المدفعية وخفضت قوته إلى ١٠٠٠ جندي كان ذلك خلافاً لما اقترحه الأمير عبدالله عام ١٩٢١ . ولكن يبدوا أن ما كان يشغل بال البريطانيين يختلف عما يدور في ذهن الأمير .

وبسبب الثورة على الفرنسيين في سوريا كانت العلاقة بين المندوب السامي البريطاني وإمارة شرق الأردن تفتقر إلى الثقة المتبادلة ، والتفسير الرسمي الذي أعطاه المندوب السامي في فلسطين (اللورد بلومر) لتشكيل قوة حدود شرق الأردن وتخفيض قوة الجيش العربي هو المصاعب الاقتصادية التي كانت تواجهها الحكومة البريطانية ، ومن الواضح أنه سبب غير مقنع ، لأن الأموال التي ستصرف على الجيش آنئذ هي أقل بكثير من المبلغ الذي سينفق على قوة حدود شرق الأردن . وقد أثبتت أحداث العراق أبان ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ فشل هذه القوة ، حيث رفض الضباط والجنود العرب القتال ضد الجيش العراقي . فقد تألفت قوة الحدود من حوالي ٧٠٠ جندي وكانت قيادتها في معسكر الزرقاء التي تبعد ١٥ ميلاً شمال شرق عمان . وبقيت قوة الحدود تعمل إلى أن حلت عندما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٤٨ .

في نهاية عام ١٩٣٠ عين الميجر جون باجت جلوب ـ الذي كان ضابطاً في إدارة الصحراء العراقية ـ مساعداً لقائد الجيش العربي في الأردن وكلف بقيادة قوة الهجانة المؤلفة من نحو ٩٠ هجاناً وتقوم بأعمال الدورية في البادية الأردنية بمساعدة مفرزة آلية «مجموعة سيارات» . نشأت فكرة قوة البادية (الأردنية) نتيجة لفشل قوة حدود شرق الأردن في منع غارات البدو ، لذلك كانت قوة البادية تأخذ مجنديها من أبناء البادية فقط .

كانت القوة تركب الجمال وتستعمل أساليب الحرب البدوية نفسها ، وباختصار نجحت قوة البادية بالقضاء على الغارات البدوية لأنها عبارة عن فرسان بدو يأتمرون بأمر الحكومة ويتفوقون على القبائل بالنظام والإدارة الحسنة . كان الفضل في تجنيد أبناء البادية في الجيش العربي وخاصة قوة البادية الأردنية يعود لجلوب باشا الذي استطاع ان يشكل في النهاية قوة الصحراء السيارة (DMF) التي شاركت في الحرب العالمية الثانية في سوريا والعراق عام ١٩٤١ . وقد كانت محاولته التفرقة بين البدو والحضر في الجيش العربي غير ناجحة وموضع شك بعد أن أدرك الضباط والجنود العرب أنها في غير صالح القوات المسلحة والبلاد .

عندما طرد الضباط الأنجليز من الأردن عام ١٩٥٦ كانت الكتائب البدوية تشكل نصف الجيش وكان الجيش العربي الأردني مفتوحاً لكل العرب من الجزيرة والعراق وسوريا وفلسطين ، وكان جميع أعضائه (ضباطاً وجنوداً) متساوين في الحقوق والواجبات لايفرقهم إلا رتبهم وعملهم . وما ذلك إلا امتداد لجيش الثورة الكبرى الذي ضم عزيز علي المصري ، وجعفر العسكري ومولود مخلص وضباطاً آخرين من مصر والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز ، خلافاً لما فعلته بريطانيا في الهند وباكستان حيث شكلت كتائب معينة تعتمد على الطبقة والثقافة والعشيرة مثل : البتان والبنجاب وغيرها ، مع أنه حتى الأتراك لم يهتموا بتقسيم الجيش حسب طبقات المجتمع . وقد أثبت التاريخ أن الجيش الذي ينتمي لطبقة معينة هو جيش غير فعال ، لأنه سرعان ما ينحاز للطبقة التي ينتمي إليها بغض النظر عن جانب الحق والخطأ ، والحروب الأهلية خير دليل على ذلك . وحتى القوات

الاسرائيلية التي جاء منتسبوها من كافة الطبقات في كافة الأقطار أثبتت نجاحها كقوة عسكرية (صهيونية) واحدة رغم تعدد الجنسيات التي جاءت منها لأنها لم تتبع طبقة معينة .

نتيجة وعد بلفور المشؤوم تدفق آلاف المهاجرين اليهود على فلسطين فارين من الاضطهاد النازي ، وفي الثلاثينات وصلت الهجرة اليهودية من ٣٠,٠٠٠-٤٠,٠٠٠ ثم إلى ٦٢,٠٠٠ سنوياً وخلافاً لوعد بلفور في تخليص اليهود من الاضطهاد ، فإن ٥٠٠٠ يهودي فقط من أصل ٣٠,٠٠٠ مهاجر دخلوا فلسطين عام ١٩٣٤ كانوا مهاجرين ألمان .

ولما اشتدت المقاومة العربية ضد الهجرة اليهودية واستيلاء اليهود على الأراضي العربية أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الذي حددت بموجبه الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وفي الفترة بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٣٩ ازدادت قوة الجيش العربي حتى وصلت عام ١٩٣٩ إلى ١٦٠٠ جندي وضابط وفي عام ١٩٤٠ كان الضباط في الجيش كلهم عرب ما عدا جلوب باشا ونورمان لاش ، وقد جاء معظم الضباط العرب من الجيش التركي ومنهم عبد القادر الجندي ومحمد علي العجلوني وصبحي العمري وصدقي القاسم وبهجت طبارة وأحمد رمزي وراضي عناب الذي أصبح في عام ١٩٥٦ أول رئيس أركان بعد إعفاء جلوب باشا من منصبه .

وفي الفترة بين ١٩٢٦ و ١٩٤٥ كانت مهمة الجيش الرئيسية حفظ الأمن والنظام في الداخل وحماية الحدود من غارات البدو . وفي أيار ١٩٤٨ عشية الحرب العربية ـ اليهودية كانت قوة الجيش نحو ٦٠٠٠ جندي وضابط من المشاة والمدرعات وبعض وحدات المدفعية .

وفي نيسان ١٩٣٩ وعلى إثر استقالة بيك باشا عين الأمير عبدالله اللواء (جلوب باشا) رئيساً لأركان الجيش العربي ، وهو المنصب الذي احتفظ به حتى تم طرده من قبل جلالة الملك حسين بن طلال عام ١٩٥٦ .

الفصل الخامس

الجيش العربي في الحرب العالمية الثانية

١٥- الموقف العسكري في الشرق الأوسط : حزيران سنة ١٩٤٠ - سنة ١٩٤١

خـارطة ١٥ كانت العراق مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة سنة ١٩٣٠ التي كان من نصوصها أن تضع العراق قواعد عسكرية تحت تصرف بريطانيا وتقدم لها المساعدات اللازمة وكافة المرافق الضرورية في حالة الحرب .

في أوائل الحرب العالمية الثانية كان موقف البريطانيين وحلفائهم رديئاً من الناحية العسكرية ، فقد انهارت الجيوش البريطانية الفرنسية سنة ١٩٤٠ واستسلمت فرنسا للألمان . ووقعت سوريا ولبنان تحت سيطرة حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة للألمان . كما تراجع الأنجليز في مصر أمام ضغط الألمان في جبهة ليبيا وانسحبوا من جزيرة كريت واستسلمت اليونان ويوغسلافيا للمحور وأخذ الألمان وحلفاؤهم الايطاليون يبثون الدعاية ضد بريطانيا وحلفائها بين العرب الذين خبروا خيانة بريطانيا وغدر فرنسا .

وجدت دعايتهم أذنا صاغية في العراق فقامت حكومة رشيد عالي الكيلاني بإعلان الحرب على بريطانيا وحاصرت القوات البريطانية في العراق . وكادت حركة رشيد عالي الكيلاني تنجح في تحقيق هدفها لولا أن اتخذ البريطانيون خطوات سريعة وحاسمة وجردوا حملة تنزل في البصرة جنوب العراق وأخرى تهاجم العراق من الغرب وقد وضع الأمير عبدالله قواته بتصرف البريطانيين لإعادة احتلال العراق وإعادة الشرعية إليه .

خـارطه ١٦ ونجح الجيش العربي بالتعاون مع الأنجليز نجاحاً باهراً في مهمته وإلحاق الهزيمة بالجيش العراقي الذي كان متردداً في دعم الحركة . ووصف الملازم (اللواء فيما بعد) الشريف محمد هاشم الذي رافق قوة الجيش العربي مساعداً لجلوب باشا دور الجيش الأردني قائلاً :

« في نيسان سنة ١٩٤١ تحركنا من معسكرنا في الأزرق إلى (H3) على بعد ٤٠ ميلاً داخل العراق على الطريق العام (عمان ـ بغداد) . وهناك التقينا بقوة بريطانية قادمة من فلسطين وسرية من قوة حدود شرق الأردن التي رفضت أن تقاتل أبناء العروبة في العراق ـ إلا أنها تطوعت للقتال في سوريا ضد الفرنسيين ـ أما قواتنا البالغة ٣٥٠ ضابطاً وجندياً فقد تقدمت إلى الرطبة على بعد ١٠٠ ميل من الحدود الأردنية .

وبعد اشتباك قصير مع القوة العراقية في حصن الرطبة المؤلفة من سرية نظامية و ٤٠-٥٠ متطوعاً ، استسلمت القوة العراقية لنا ورغب المتطوعون في الانضمام لقوة الجيش العربي وقد تم لهم ذلك ، وخلال وجودنا في الرطبة زارنا الوصي على عرش العراق الأمير عبدالاله ورئيس وزرائه نوري السعيد ، وأكد لنا مساندة الشعب العراقي والجيش للملك عدا قلة فقط تساند رشيد عالي الكيلاني ، وقد أثبتت الأحداث صحة ذلك ، واستسلام الجيش العراقي البالغ حوالي ٢٠,٠٠٠ خير دليل على أن الجيش لم يكن يؤيد الانقلاب باستثناء قلة من الضباط والجنود المخدوعين . هذا وقد قامت قوة الجيش العربي بغارات كثيرة داخل العراق نصبت في إحداها كميناً لقطار قادم من الموصل إلى بغداد فقتل حاكم الموصل وأسر مدير الشرطة » .

في هذه الحرب غير الطبيعية كان للشجاعة والطاعة والتحلي بالصبر من قبل جميع المشاركين أثر كبير في النجاح ، كما أن مارشال الجو (سمارت) وقائد قوة الحبانية قد بذلا جهوداً لا تنسى .

كانت العملية تجربة رائعة تفتخر بها قوة الجيش العربي المتحركة التي احتلت الرطبة وأدت إلى استسلام بغداد رغم أنها قوة صغيرة تستخدم سيارات نقل عادية ، وكانت مساهمتها في إعادة الشرعية إلى عرش العراق عملاً بطولياً يسجله التاريخ بالفخر والاعتزاز .

كانت حرب العراق ميدان اختبار للقوات العربية المحاربة وخاصة قوة الجيش العربي الباسلة التي ساهم بها الأمير عبدالله وهو واثق أنها ستحقق الهدف وتنجز المهمة ، وكل ذلك بفضل عمق تفكيره وبعد نظره وإصراره على بريطانيا بمعالجة الموقف . والجدير بالذكر أن جلوب باشا كان يثق بكفاءة هذه القوة الصغيرة في حجمها الكبيرة في إنجازاتها وقد أثبتت أنها أهل لثقته ومحبته .

وفي ١٥ أيار عام ١٩٤١ أذاع المارشال بيتان بياناً أعلن فيه تعاونه الوثيق مع ألمانيا وأصدر تعليمات لوزير الحربية في حكومة فيشي الجنرال هنتزيغر تسمح باستخدام القواعد الفرنسية في سوريا ولبنان من قبل سلاح الجو الألماني ، وحرمان سلاح الجو البريطاني منها نهائياً .

وقد وجدت بريطانيا أن وضعها العام أصبح حرجاً بعد نجاح التعرض الألماني في شمال افريقيا (ليبيا) واقتحام جزيرة كريت واستسلامها في حزيران سنة ١٩٤١ وكذلك الثورة في العراق . وازداد الوضع خطورة بدخول القوات الألمانية سوريا ولبنان واستخدامها القواعد الجوية فيها لذلك سارعت بريطانيا لغزو سوريا ولبنان لإبعاد خطر المحور عنها واشتركت قوة من الجيش العربي مع قوات الحلفاء في هذا الغزو .

ففي ١٩٤١/٦/٢٦ احتلت قوات الجيش العربي (٣٥٠ جندياً وتسمى قوة الصحراء الميكانيكية) سد بيار على بعد ٦٠ ميلاً جنوب تدمر . وفي ١٩٤١/٧/١ انتصرت في معركة السخنة شمال شرق تدمر على قوات حكومة فيشي الفرنسية الموالية للألمان . وكذلك احتلت القامشلي على بعد ١٥٠ ميلاً شمال شرق دير الزور إثر اشتباك مع رتل فرنسي قتل فيه ١١ وأسر ٧٠-٨٠ فرنسياً مقابل شهيد واحد وجريح في قوتنا . كما دمرت ٦ سيارات مدرعة و ١١ رشاشاً للعدو الفرنسي . وقد خارطه ٧

الجيش العربي الهاشمي

كان أثر المعركة سيئاً على حكومة فيشي الفرنسية في سوريا . هذا وقد ورد ذكر هذه المعركة البطولية في التاريخ الرسمي البريطاني عن الحرب العالمية الثانية .

ويقول الشريف محمد هاشم أن الأمير عبدالله زار الجيش العربي وشرح له أسباب التعاون مع البريطانيين ضد حكومة فيشي المتعاونة مع الألمان وقال إن الفرنسيين الأحرار والبريطانيين وعدوا بمنح الاستقلال لسوريا ولبنان بعد انتصارهم على المحور . ولكن لا غرابة في أن ينكثوا بوعدهم مرة أخرى وعندما خرجوا من سوريا ولبنان سنة ١٩٤٥ مرغمين أوقعوا دمشق في حمام من الدم بقتل حوالي ٥٠٠ مدني وجرح ١٠٠٠ .

١٦- تحليل دور الجيش العربي في الحرب العالمية الثانية

ساهم الجيش العربي إلى جانب الحلفاء في القتال الذي دار في العراق وسوريا وحراسة خطوط المواصلات في فلسطين وتحررت أقطار المشرق العربي ثانية ولكن لتقع من جديد تحت نير الاستعمار الفرنسي والبريطاني البشع بعد أن تنكر هؤلاء الحلفاء للوعود التي قطعوها على أنفسهم للعرب .

وقد كانت مساهمة الجيش العربي موضع إعجاب وتقدير القادة العسكريين من الحلفاء كما كانت موضع إعزاز وتقدير من سمو الأمير عبدالله وجلوب باشا رئيس الأركان آنذاك .

الجيش العربي والجندي العربي

لقد حاربت قوة الصحراء السيارة (الفيلق العربي) إلى جانب القوات البريطانية في معارك العراق وسوريا عام ١٩٤١ وأثبتت إخلاصها وتفانيها في سبيل الواجب . كما أظهرت هذه القوة الفتية أعلى درجات الانضباط وحسن المعشر والتصرف والكفاءة القتالية العالية طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ، بفضل توجيهات سمو الأمير عبدالله والقيادة الجيدة التي وفرت لها التدريب والتنظيم الأفضل وقد أثنى عليها معظم القادة الأنجليز الذين خدموا في الشرق الأوسط ومنهم الجنرال برنارد باجت قائد قوات الشرق الأوسط الذي بعث بالرسالة التالية إلى سمو الأمير عبدالله في ٨ أيار سنة ١٩٤٥ :

« صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن :

يا صاحب السمو

بمناسبة الإنتهاء الظافر للحرب في أوروبا ، أشعر بأنه من واجبي أن أقدم إلى سموكم بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن القوات البريطانية في الشرق الاوسط خالص الشكر على الخدمات الجلى التي


٢٦


٢٧

٢٦- الملك الحسين بن علي أثناء زيارته إلى عمان عام ١٩٢٤ ، على يمينه يقف حسن خالد أبو الهدى (رئيس الوزراء) ، الشريف حسين بن ناصر ، وقائد الجيش العربي بيك باشا . وفي أقصى اليسار يشاهد الأمير عبدالله بن الحسين .

٢٧- الأمير عبدالله بن الحسين يستعرض بعض القوات الأردنية في عمان أوائل عام ١٩٣٠ وفي أقصى الصورة من اليسار الأمير طلال يمتطي جواداً ويلبس الكلبك .



٢٨

٢٨- بعض ضباط الجيش العربي عام ١٩٢٩ :
الجالسين من اليسار لليمين : محمد جان بك ، عبد القادر الجندي وصدقي القاسم .

٢٩- سمو الأمير عبد الله بن الحسين أثناء افتتاح المجلس التشريعي يوم ١٩٤٠/١١/٢٣ وإلى يمينه النقيب (اللواء فيما بعد) أحمد صدقي الجندي وخلفه العقيد (اللواء فيما بعد) عبد القادر الجندي .

٣٠- مفرزة من قوات البادية قرب قصر الخرانة في الصحراء الأردنية (بناه الامويون في القرن الثاني عشر الميلادي) .

٣١- رشاش مع حضيرته في سيارة من قوة البادية .



٢٩



٣٠



٣١



٣٢



٣٣

٣٢- سرية خيالة (فرسان) أثناء خروجها من المعسكر للقيام بأعمال الدورية في الصحراء عام ١٩٤٠ .

٣٣- سيارة مدرعة تتقدم مجموعة من دورية الصحراء .

٣٤- مجموعة من ضباط الجيش العربي في عمان عام ١٩٤١ : اللواء جلوب باشا يجلس في الوسط ونائبه اللواء عبد القادر الجندي على يمينه والعميد برود هرست (رئيس فرع الادارة) على يساره .

٣٥ - الأمير عبد الله بن الحسين في أقصى اليسار وعلى يساره المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل ثم الشريف شاكر بن زيد ، عمان سنة ١٩٢١ .



٣٤



٣٥


٣٦



٣٦- الأمير عبدالله يستعرض بعض القوات العراقية أثناء زيارته للعراق عام ١٩٤١ وبصحبته من اليسار لليمين : رئيس وزراء العراق ، اللواء نوري السعيد ، الأمير عبدالاله (الوصي على عرش العراق) .

٣٧- بعض المجاهدين الفلسطينين في مدينة القدس أثناء معركة أيار عام ١٩٤٨ وبرفقتهم جندي من الجيش الأردني يلبس الخوذه الفولاذية .

٣٨- بعض ضباط وأفراد الكتيبة ٥ من الجيش العربي في القدس في تموز عام ١٩٤٨ المرشح (اللواء فيما بعد) ماجد الحاج حسن الواقف .

٣٩- منظر بعد معركة اللطرون الثانية في تموز عام ١٩٤٨ حيث تصدت الكتيبة الرابعة بقيادة المقدم (المشير فيما بعد) حابس المجالي للقوات اليهودية وأوقعت بها ما يزيد على ٧٠٠ قتيل وجريح .



٣٨



٣٩



٤٠



٤٠

٤٠- الأمير عبدالله بن الحسين أثناء زيارته للقدس عام ١٩٤٨ .

٤٠ أ - الأمير عبد الله بن الحسين ومعه جلوب باشا رئيس أركان الجيش العربي الأردني سنة ١٩٤٤ .

الجيش العربي في الحرب العالمية الثانية

قدمتها إمارة شرق الأردن والجيش العربي للقضية المشتركة . إن العزم والثبات اللذين أبديتموهما سموكم في السراء والضراء طيلة سنوات الحرب كانا محل إعجاب القادة البريطانيين في الشرق الأوسط ، وإن موقف سموكم كان بدون شك الملهم لجنودكم . وعندما كانت بريطانيا عام ١٩٤١ في موقفها الحرج ، وقف الجيش العربي وقفة صادقة بجانبها دون تردد وقد قام جنودكم بدور هام في عمليات العراق وسوريا ، ولولا مساعدتكم الفعالة في تلك العمليات لكان من الممكن أن تتخذ العمليات شكلاً آخر .

وإنه مما يؤسفني ويؤسف سموكم أيضاً (كما أنا متأكد) أن الفرصة لم تتح لجنود سموكم بالاشتراك في العمليات الحربية في أوروبا . ولكن بقاء قواعد الشرق الأوسط في قبضة الحلفاء كان على كل حال عاملاً رئيسياً في كسب الحرب . وأن جنود سموكم في هذه السنوات الخمس قد أدوا دوراً هاماً في هذا الواجب الحيوي . إن نظام الجيش العربي قد استوجب احترام القادة البريطانيين الذي كان هذا الجيش يعمل تحت أمرتهم وقد كانت علاقتهم بالجيوش البريطانية دائماً علاقات الزمالة العسكرية المخلصة » .

كما أرسل قائد قوات الحبانية الجنرال جورج كلارك رسالة مماثلة إلى سمو الأمير عبدالله بعد انتهاء العمليات في العراق قال فيها :

يا صاحب السمو

« أجد لزاماً على أن أسجل الشرف العظيم الذي تولاني بانضمامي إلى رجالكم البواسل في المعركة ، وليس ذلك فحسب بل وإنما أسجل تقديري الشديد لعملهم الباهر كجنود . إن أعمال قوة الجيش العربي الناجحة في اجتياز الصحراء في مقدمة خطوطنا الميكانيكية وتدميرها لمواصلات العدو وقطعها خطوط سكة الحديد ، وحمايتها لبعض خطوط مواصلاتنا من هجمات العدو الخلفية جعلني أكن لها كل تقدير واحترام .

فاسمحوا لي يا صاحب السمو أن أهنىء سموكم على الفعالية التي قامت بها هذه القوة الممتازة ، وأملي الوحيد ان يسعدني الحظ فانضم إليها وإلى قائدها الشهير ، في الأعمال الحربية المقبلة » .

١ حزيران سنة ١٩٤١ جورج كلارك

مهمة الجيش العربي في حماية خطوط المواصلات البريطانية في الشرق الأوسط : عام ١٩٤١ - عام ١٩٤٥

بعد النجاح الذي حققته قوة الجيش العربي في معارك سوريا والعراق قررت الحكومة البريطانية الموافقة على طلب الأمير عبدالله أن تزيد القوة إلى لواء آلي ليعمل في الصحراء الغربية على أن

يكون ضباط وجنود اللواء كلهم عرباً (من البدو والحضر) ، إلا أن هذه المهمة عدلت بعد معارك الجيش البريطاني الثامن في العلمين لتصبح حماية خطوط المواصلات في الشرق الأوسط . ورغم تشوق الجيش العربي إلى ساحة النضال إلا أنه قبل المهمة الجديدة ونفذها على أكمل وجه .

في حزيران سنة ١٩٤١ قامت المانيا بتعرض عام على الجبهة الروسية حيث قامت قوات الجيش الألماني المتحركة (Wehrmacht) بتوجيه ضرباتها القاصمة للقوات الروسية . وفي ذلك العام خشي الحلفاء انهيار الجبهة الروسية وإمكانية نجاح الألمان في اختراق القفقاس وتركيا والوصول إلى الخليج العربي واحتلال سوريا والعراق . وفي شتاء عام ١٩٤١ شن الروس تعرضاً معاكساً في منطقة موسكو أجبر مجموعة الجيوش الألمانية على التوقف في مسالك موسكو الثلجية والقيام بعمليات تراجع استراتيجي محدود على طول الجبهة الروسية الألمانية . ولا شك في أن الطقس ساعد الروس على الاحتفاظ بموسكو وزال التهديد الألماني للشرق الأوسط .

ولدعم الجبهة الروسية ، أنشأ الحلفاء خط تموين ومواصلات عبر الشرق الأوسط وايران لايصال مواد الحرب إلى روسيا . ويمتد الخط الرئيسي من ميناء حيفا في فلسطين على البحر الأبيض المتوسط ، براً إلى بغداد ثم ايران . ولحماية هذا الخط من التخريب كلف الجيش العربي الذي زيدت قوته إلى ١٦ سرية مشاة مستقلة بهذه المهمة . وكانت المهمة تشمل حماية المستودعات ونقاط تكديس الذخائر والتموين المنتشرة في جميع أنحاء فلسطين والأردن . ورغم رتابة المهمة وما تولده في النفس من ملل إلا أن الجيش العربي قام بها على أكمل وجه بما عرف عنه من التحلي بالضبط والتحمل والشجاعة وروح الجماعة التي هي من سماته الطبيعية .

الجيش العربي : عام ١٩٤٥

في ٨ أيار سنة ١٩٤٥ وصل عدد الجيش العربي إلى ٨٠٠٠ جندي وضابط ، وكان منظماً في ١٦ سرية مستقلة (حاميات) وقوة شرطة مؤلفة من ٢٠٠٠ جندي وضابط واللواء الآلي المؤلف من قيادة اللواء وثلاث كتائب ولكن بدون أسلحة إسناد أو خدمات إدارية . وكانت قيادة قوات الشرق الأوسط البريطانية هي التي تزوده بما يلزم .

كانت قيادة الجيش العربي في عمان وهي أشبه بمكتب لإدارة الحرب أكثر منها قيادة حربية تخطط لعمليات عسكرية . وبالإضافة لمسؤولياتها التدريبية والإدارية فقد كانت تنظم ميزانية الجيش وتشتري الأسلحة والمعدات وتشرف على قوة البادية وحماية الحدود الصحراوية . كانت أقرب إلى قيادة قوات شبه عسكرية كما هي الحال مع قوات الحدود في شمال غرب الهند .

نتيجة لوقوف إمارة شرق الأردن وعلى رأسها سمو الأمير عبدالله إلى جانب بريطانيا في الحرب ومساهمة الجيش العربي في معارك العراق وسوريا وحماية خطوط مواصلات البريطانيين وقواعدهم في

الشرق الأوسط واعترافاً بذلك الدور العظيم قررت بريطانيا في ربيع سنة ١٩٤٦ إنهاء انتدابها على شرق الأردن واعتبارها مملكة مستقلة يحكمها الأمير عبدالله باسم ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

فلسطين : عام ١٩٤٧

قبل صدور قرار التقسيم من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ كانت سرايا الحاميات الأردنية ماتزال تحرس مستودعات الجيش البريطاني ومنشآته في غزة وصرفند وعاقر ويافا وحيفا . وبناءً على قرار الأمم المتحدة أعلنت بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ .

وبانسحاب بريطانيا وقيام «دولة اسرائيل» أصبح الجيش العربي الهاشمي وجهاً لوجه مع القوات الصهيونية المعتدية . ولقد مرت القوات الهاشمية الفتية في مراحل طويلة من الكفاح والمعارك المستمرة منذ فجَّر الشريف حسين الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ وحتى تاريخ انسحاب بريطانيا من فلسطين . وكان قدرها أن تستمر في مواجهة العدوان الصهيوني المستمر على الأراضي العربية وتقاتل ـ بإمكانياتها المحدودة ـ القوات الاسرائيلية التي تتزود بأحدث الأسلحة والمعدات من ترسانة الأسلحة الأمريكية ودول أوروبا الغربية . وقد بدأت المواجهة في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ وتوقفت ـ ولا أقول انتهت ـ بعد حرب تشرين سنة ١٩٧٣ . خلال هذه الفترة تطورت قوة الجيش العربي الهاشمي واكتسبت خبرة قتالية تفوق قوتها العددية ، نتيجة مرور أربعة حروب متتالية سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ وجاء هذا التطور في ظل وقيادة ثلاثة ملوك : عبدالله ، وطلال والحسين ، ولولا القيادة الهاشمية الحازمة المتطلعة للمستقبل لما وصلت قوات الجيش العربي الهاشمي إلى ما وصلت إليه الآن من كفاءة في السلم والحرب .

الفصل السادس

الحـرب في فلسطين : سنة ١٩٤٧ - سنة ١٩٤٩

١٧- القوات الاسرائيلية المسلحة : نشأتها وتطورها في السنوات ١٩٠٩ - ١٩٤٨

البذور الأولى

أطلق المهاجرون اليهود الأوائل على حكومتهم غير الرسمية كلمة اليشوف (Yishuv) ورغم أن الكلمة تعني الشعب اليهودي في فلسطين لكن كان يقصد بها حكومة الظل أو الهيئة الموجهة وقد دعت الحاجة في ذلك الوقت لايجاد من يقوم بالحراسة الليلية في المستعمرات الزراعية ، وبدأت فكرة ايجاد حرس مسلح متطوع (أول مرة) بين سكان مستعمرة (بتاح تكفا) عام **١٨٧٨** الذين أطلقوا على الحراس المسلحين اسم الطليعة المسلحة . ولم تنظم عملية الحراسة إلا بعد تدفق أفواج كبيرة من المهاجرين اليهود من روسيا وأوروبا بين عامي **١٩٠٥** و **١٩٠٧** فانضموا بالآلاف إلى منظمة « الحارس » التي كان من أهم واجباتها الدفاع عن المستعمـرات القديمـة والمساعـدة في بنـاء مستعمرات جديدة . وكان لمنظمة الحارس شعارات متعددة منها « يد على المحراث ويد تحمـل البندقية » و « سقط يهودا بالدم والنار وسيبعث بالدم والنار » .

بعد صدور وعد بلفور عام **١٩١٧** القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وتدفق اللاجئين من أوروبا قررت الوكالة اليهودية وقادة «الهاشومير» تطوير عملية الدفاع عن أرض الاستيطان فأنشأت منظمة تشرف على تسليح كافة القادرين من الشعب ، وجعل الدفاع عن أمن المستعمرات وبنائها مسؤولية مشتركة . هذه المنظمة هي :

الهاغـانـا

الهاغانا أو المجتمع المسلح أو منظمة الدفاع أوزحال كلها أسماء لمسمى واحد . وقد تطورت منظمة الحارس (هاشومير) إلى قوات شبه عسكرية منظمة تنظماً جيداً وانخرط في صفوفها عشرات الآلاف من المهاجرين . ولم يكن دور الهاغانا حراسة المستعمرات وإنشاءها فحسب بل شمـل إقامـة المصانع الحربية السرية في البلاد وفتح مكاتب لها في الخارج لمساعدة اليهود على الهجـرة إلى فلسطين . وقد نشطت في بناء المستعمرات الجماعية (الكيبوتزات) والمستعمرات الزراعية (الموشاف) ونظمت قواتها في مناطق جغرافية يرتبط بعضها ببعض على غرار الوحدات العسكرية . وبتطور قوة

الهاغانا الكبيرة اضطرت الوكالة اليهودية إلى فرض التجنيد الإلزامي على كل رجل وامرأة من اليهود وأصبحت الهاغانا حقيقة تمثل المجتمع المسلح المتأهب للغزو والعدوان وسلب الأرض التي يملكها شعب آخر بمساعدة الدول الأوروبية التي نكثت وعودا قطعتها للعرب بالحرية والاستقلال قبل أن يصدر وعد بلفور سنة ١٩١٧ . وفي عام ١٩٢٩ وعلى إثر قيام الثورة الفلسطينية والصدامات الدامية مع اليهود طورت الوكالة اليهودية منظمة الهاغانا وأصبحت لها ميزانية خاصة لشراء السلاح والمعدات وتوفير التدريب اللازم . وفي عام ١٩٣١ حصل نزاع بين المجموعات المتطرفة والوكالة إذ كانت المجموعات المتطرفة تصر على أن الإرهاب ضد العرب والبريطانيين هو السبيل الوحيد لتثبيت الأمن وحماية المستعمرات في اسرائيل . وفي عام ١٩٣٧ تشكلت منظمة الأرغون زفاي لئومي (المنظمة العسكرية القومية) التي تعتمد القتل والارهاب أسلوباً لتنفيذ مخططات الصهيونية في فلسطين .

في عام ١٩٣٦ شكلت قوات متحركة قوامها ١٠٠٠ متطوع بقيادة الضابط الروسي السابق (إسحق صاده) للرد على الهجمات العربية بأسلوب حرب العصابات . ولما لم تكن بريطانيا قادرة على حماية المستعمرات المتفرقة والبعيدة فقد وافقت على تشكيل قوة شرطة يهودية لحماية المستعمرات تحت إشراف حكومة الانتداب . وكان قسم كبير من شرطة المستعمرات أعضاء في الهاغانا . في ذلك الوقت استطاع الضابط البريطاني الكابتن أورد شارلز وينجيت ضابط الاستخبارات في قيادة فلسطين عام ١٩٣٧ ـ المتحمس للصهيونية أكثر من اليهود ـ أن يشكل فرق إغارة يهودية سميت فرق الليل الخاصة (SNS) تقوم بمهاجمة القرى العربية ليلاً وتقتل كل من تجده دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل وقد تفوق وينجيت على إسحق صاده في حرب العصابات واعتبره اليهود من أخلص أصدقائهم . ورغم أن بريطانيا كانت تعطف على فرق الليل الخاصة التي شكلها وينجيت وتعترف بحق الوكالة اليهودية في ايجاد قوة تدافع عن المستعمرات إلا أن الهاغانا بقيت منظمة غير شرعية .

وفي عام ١٩٣٨ ازداد نشاط فرق الليل الخاصة وازداد الإرهاب اليهودي حدة وعنفاً ، وفي هذا الوقت التحق الضابطان موشي ديان وايغال آلون بالهاغانا . وفي عام ١٩٣٩ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض وقد أعلنت فيه عدم إمكانية قيام دولة يهودية أو عربية وأن فلسطين ستكون دولة واحدة مكونة من العرب واليهود . كما حددت الهجرة إلى فلسطين ، وحلت قوة حرس المستعمرات (الشرطة) ومنعت بيع الأراضي لليهود في بعض المناطق وسمح بها في بعض آخر .

وكما قال اليهود : جاء الكتاب الأبيض بعد ثورة عربية ولابد أن يلغى بثورة يهودية ومن أجل ايجاد القوة القادرة على حماية الثورة اليهودية تم تشكيل قوة ميدان أخذت اسمها من هال ـ ساده (HISH) نسبة إلى الضابط إسحق صاده وكانت هذه القوة مؤلفة من مجموعة متحركة تعمل متفرغة في المجال العسكري ومجموعات احتياط لخط الدفاع الأول والثاني تعمل نصف الوقت .

ولتنسيق فعاليات الهاغانا وأعمالها العسكرية شكلت قيادة عامة في تل أبيب وعين ياكوف دوزي

الجيش العربي الهاشمي
أول رئيس أركان للهاغانا . وهكذا (لأول مرة) اتخذت الهاغانا شكل القوات النظامية وصار لها قيادة مركزية وهيئة أركان توجهها وقوات احتياط كبيرة تدعمها .

ومع أن الوكالة اليهودية بقيت مسيطرة على الهاغانا إلا أنها لم تستطع فرض سيطرتها على المجموعات المتطرفة المنافسة ، مثل الأرغون ومجموعة (المدافعين عن حرية اسرائيل) المعروفة باسم عصابة شتيرن نسبة إلى ابراهام شتيرن الذي انفصل عن الأرغون بعد أن أصبحت في نظره منظمة معتدلة . ولم يكن الاختلاف بين الهاغانا والمنظمات المتطرفة الأخرى في الايديولوجية أو العقيدة . بل كان الاختلاف حول أساليب تحقيق هذه العقيدة والأهداف الصهيونية وإدارة العمليات الحربية ضد العرب والبريطانيين . وقد استطاعت الهاغانا أخيراً أن تحتوي المجموعات الأخرى في عام ١٩٤٨ .

الحرب العالمية الثانية وقوات البالماخ (السرايا الضاربة)

رفضت بريطانيا تشكيل جيش يهودي ـ فرقة على الأقل ـ يقاتل ضد ألمانيا إلى جانب الحلفاء ولكنها سمحت لليهود بالتطوع في صفوف القوات البريطانية وهكذا وصل عدد المتطوعين اليهود من الرجال والنساء في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية نحو ٢٧,٠٠٠ . وقد شجعت الوكالة اليهودية أعضاء الهاغانا على الالتحاق بصفوف الحلفاء وبذلك حصلوا على تدريب أفضل على الأسلحة والمعدات الحديثة . وتشكلت القيادة القومية لتشرف على الهاغانا والمليشيا الاسرائيلية .

في أيار عام ١٩٤١ وصل رومل في تعرضه في شمال افريقيا إلى الحدود المصرية وبدأ يهدد بالتقدم إلى فلسطين والأهم من ذلك كان الخطر الذي يفرضه التقدم الألماني على الوجود الصهيوني فيها . وفي ١٥ أيار عام ١٩٤١ شكلت قيادة جديدة كما تقرر تشكيل قوات متحركة تتألف من الجنود العاملين المتفرغين للدفاع عن اليهود في فلسطين إذا ما دخلتها القوات الألمانية ، وسميت هذه القوات البالماخ (السرايا الضارية) .

تخرج من البالماخ أفضل القادة الاسرائيليين وإليها يرجع الفضل في وضع الصيغ الأساسية للعقيدة القتالية للجيش الاسرائيلي ، وفي صيف سنة ١٩٤١ انتهى تشكيل وتدريب تسع سرايا ضاربة تحت قيادة إسحق صاده ، حيث اشتركت سريتان منها مع قوات الحلفاء في غزو سوريا ولبنان . وكان دورهما قوات كشف ودلالة للتشكيلات الاسترالية والهندية العاملة مع القوات البريطانية والفرنسية .

وفي صيف سنة ١٩٤٢ ، عندما زحف رومل على مصر وبدأ يدق أبواب القاهرة في العلمين وكانت الهزيمة البريطانية متوقعة وافقت (البيشوف) على بقاء قوات البالماخ خلف خطوط العدو لتقوم بأعمال التخريب لخطوط المواصلات ، لذلك أخضعت القوة لتدريب مكثف من قبل المدربين

الأنجليز واليهود على استخدام أسلوب حرب العصابات ، وبعد هزيمة رومل في العلمين تخلت بريطانيا عن دعمها للبالماخ ، إلا أن مئات الضباط والجنود اكتسبوا تدريباً جيداً في الاستخبارات وحرب العصابات لتنفيذ المهمة التي كانت متوقعة في ذلك الوقت . وبقيت البالماخ تحت قيادة الهاغانا ومنفصلة كلية عن الجيش البريطاني .

في عام ١٩٤٥ عين ايغال آلون (٢٨ سنة) قائداً لقوات البالماخ خلفاً للضابط الروسي السابق إسحق صاده ، وتحت قيادة هذا الضابط المتحمس ، استطاعت البالماخ أن تدخل في تدريبها عقيدة قتالية محلية تأخذ بعين الاعتبار القوى المتصارعة وظروف العمليات في فلسطين . وقد تم التركيز على القيادة في الميدان في كافة مراحل التدريب (الفردي والجماعي) . كما تم الاهتمام الشديد بالتدريب على القدرة على التصرف في المواقف الحرجة (الإبداع) والاهتمام بروح الفريق والمعنويات . ورغم أن البالماخ هي قوات مشاة في الأساس إلا أنه عهد إليها بتشكيل نواة للبحرية وسلاح الجو .

الحرب في فلسطين : سنة ١٩٤٥ - سنة ١٩٤٨

في عام ١٩٤٥ وصل حزب العمال البريطاني إلى الحكم وقرر تنفيذ مضمون الكتاب الأبيض الذي أصدرته حكومة المحافظين عام ١٩٣٩ ، فحددت الحكومة الهجرة اليهودية بمعدل ١٥٠٠ فرد بالشهر ، إلا أن الوكالة اليهودية والقوات اليهودية رفضت الكتاب الأبيض ، عندها فرضت الحكومة البريطانية الرقابة على الموانيء ومنع التجول في الأحياء اليهودية وقامت بأعمال التفتيش فردت الهاغانا على ذلك ليلة ١٧ حزيران سنة ١٩٤٦ بتخريب ١٠ جسور على الطرق وسكة الحديد التي تربط فلسطين بالبلاد العربية المجاورة . ولأول مرة بدأت الهاغانا تتعاون مع عصابتي الأرغون وشتيرن .

وفي ٢٢ تموز عام ١٩٤٦ قامت عصابة الأرغون بالتعاون مع الهاغانا بنسف فندق الملك داوود وقتل ٩٥ شخصاً . وقد اتخذ الإرهاب الصهيوني طابعاً وحشياً بعيداً عن الجوانب الإنسانية ، مما دعا الحكومة البريطانية في عام ١٩٤٦ إلى جلب ما يقارب ١٠٠,٠٠٠ جندي بريطاني ليقوموا بأعمال الدورية والحراسة في فلسطين .

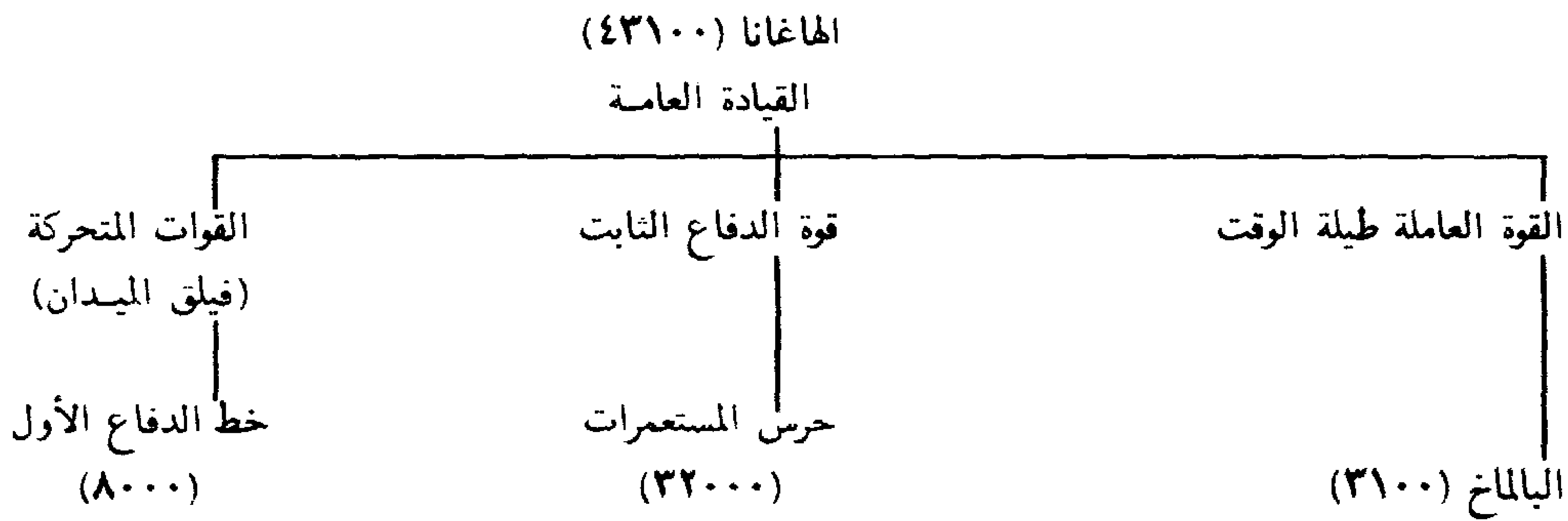
ورغم العنف الإسرائيلي فقد حافظ الجيش البريطاني على ضبط النفس والتقيد بالأوامر والنظام «ومن حسن حظ اليهود أنهم كانوا يتعاملون مع القوات البريطانية وليس مع الألمان أو الأتراك .» فلو كان الأتراك وظهرت أقل بادرة عنف من اليهود لما تردد جمال باشا (السفاح) في شنق مجموعة من قادتهم على أبواب القدس .

بعد أن ازداد الموقف توتراً «ويئست» بريطانيا من إمكانية فرض سيطرتها في فلسطين طلبت من الأمم المتحدة أن تتولى القضية بنفسها . فاجتمعت الجمعية العامة في الأمم المتحدة وأصدرت قرار

التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ . عندها قررت بريطانيا إنهاء انتدابها والانسحاب من فلسطين في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ .

نظام معركة الهاغانا : حزيران سنة ١٩٤٧

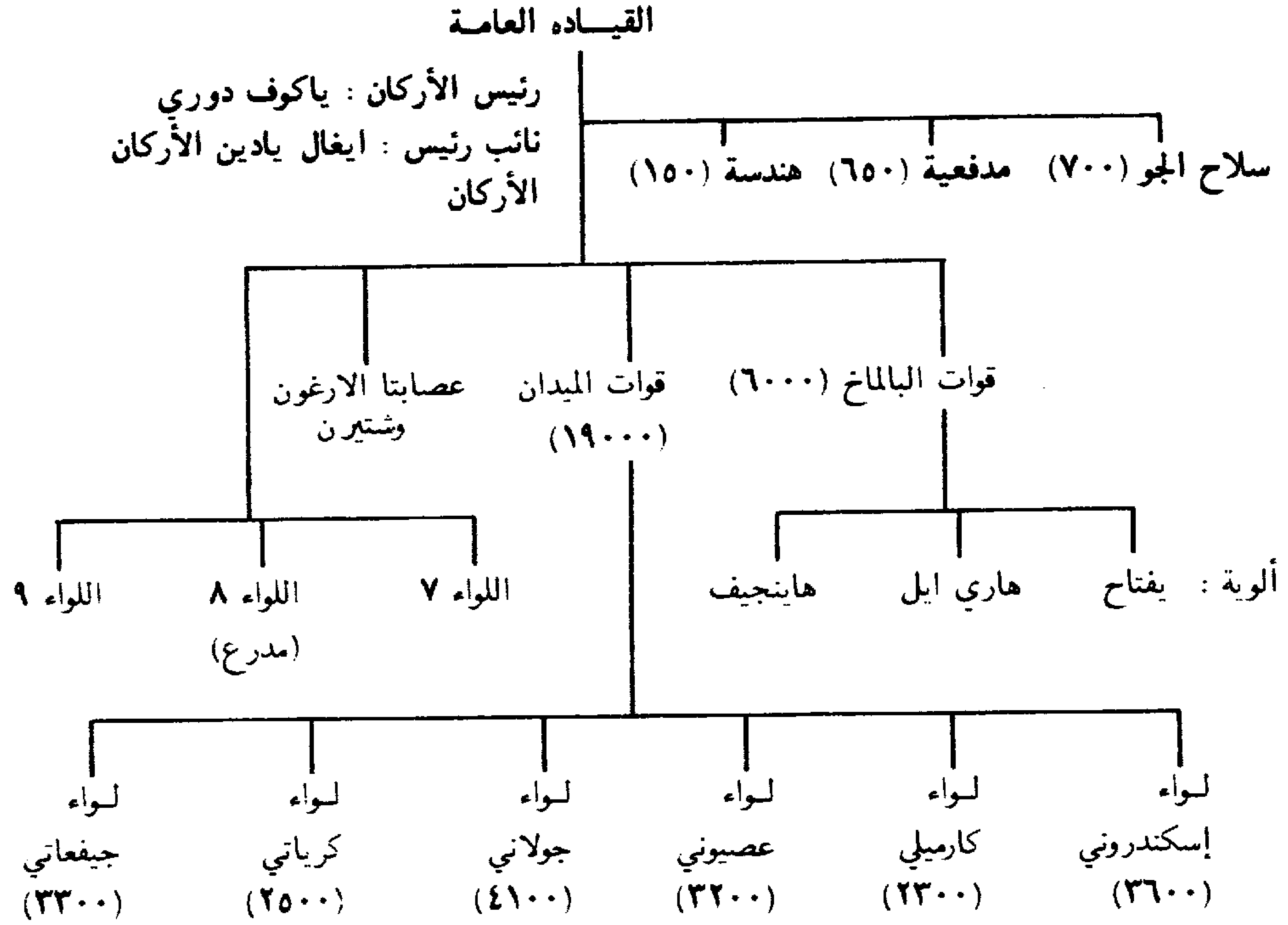
في منتصف سنة ١٩٤٧ كانت قوة الهاغانا تتألف من ٤٣,١٠٠ رجل وامرأة منهم ٣٢,٠٠٠ حرس مستعمرات . بالإضافة لقوة الهاغانا فقد تم إعداد كل رجل وامرأة قادرين على حمل السلاح في الكيبوتزات والموشاف (المستعمرات الزراعية) للدفاع عن أرض اسرائيل على حد تعبيرها وقد نظمت قوة الهاغانا التي تضم القيادة العامة والقوات المتفرغة والحرس الثابت والقوة المتحركة كما يلي :



كانت البالماخ تمثل القوة الهجومية في الهاغانا ومنها يؤخذ الضباط وضباط الصف لتدريب القوات الأخرى . كما كانت مجموعة اللواء اليهودي ـ الذي شكل عام ١٩٤٤ ليحارب إلى جانب الجيش البريطاني في ايطاليا ـ تشكل مصدراً ثانياً لتدريب وقيادة الوحدات وأعمال الإدارة رغم عدم تمتعه بخبرة قتالية تذكر . وفي كانون الأول سنة ١٩٤٧ كانت الهاغانا تملك نحو ١٧٦٠٠ بندقية و ١٠٠٠ رشاش ولكن بدون دروع أو مدفعية أو طائرات .

نتيجة تزايد أعمال الإرهاب والتخريب والاغتيال التي قام بها اليهود قررت بريطانيا الانسحاب من فلسطين قبل حلول موعد قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة . وفي ١ شباط سنة ١٩٤٨ أعلنت اسرائيل التعبئة العامة ، واستدعت البالماخ احتياطها وأعادت تجميع قواتها في ثلاثة ألوية . كما تم إعادة تجميع بعض قوات الدفاع الثابت (الحرس الوطني اليهودي) وتشكيل ٦ ألوية ، بمعدل ٣٠٠٠-٤٠٠٠ رجل في كل لواء ووضعت تحت إمرة القيادة العامة المباشرة لقوة الهاغانا وكان عدد اليهود الذين يعتمد مصير اسرائيل عليهم في فلسطين في ذلك التاريخ ٦٥٠,٠٠٠ ، منهم ٨٥,٠٠٠ في سن الجندية (١٨-٣٢ سنة) .

عشية أول حرب عربية اسرائيلية في أيار عام ١٩٤٨ كان تنظيم الهاغانا كما يلي :



كان موجود القوات اليهودية المقاتلة تحت قيادة الهاغانا يوم ١٤ أيار سنة ١٩٤٨ قد بلغ ٣٥,٠٠٠ بالإضافة إلى حرس المستعمرات . وقد قدرت الأسلحة التي بحوزة القوات كما يلي :

٢٢٠٠٠ بندقيـة
١٥٥٠ رشاشاً
١١٠٠ رشاش شبه اتوماتيكي
٦٨٢ هاون ٢ بوصة (انش)
١٩٥ هاون ٣ بوصة (انش)
٨٦ قاذف (قنبلة) ضد الدبابات
٥ مدافع ميدان ٦٥ ملم
عدد محدود من الدبابات وبعض الطائرات المقاتلة .

كانت هذه القوة اليهودية المسلحة والمنظمة والمدربـة أفضـل تدريب ، وتحـت قيادة موحـدة (الهاغانا) ومتمتعة بإسناد إداري مناسب وتخطيط عسكري مسبق وإشراف حكومة الظل أو القيادة القومية اليهودية تقابل في الجانب الآخر الجيوش العربية التي رغم أنها جيوش نظامية ـ كان ينقصها التنظيم والتسليح والتدريب والأهم من ذلك لم يكن لديها خطط استـراتيجية وتعبـوية مسبقـة ولا قيادة موحدة ولا حتى الإسناد الإداري المناسب . لهذا قامت القوات اليهودية باحتلال المراكز

الحيوية والمدن المهمة في فلسطين في الوقت الذي فكرت فيه بريطانيا في الانسحاب وقبل أن تدخل الجيوش العربية رسمياً في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ .

١٨ - الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى : تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ - نيسان سنة ١٩٤٩

العمليات الأولية : تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ - ١٤ أيار سنة ١٩٤٨

خارطه ١٨ في الفترة مابين كانون الأول سنة ١٩٤٧ وأيار سنة ١٩٤٨ اشتدت الاشتباكات في فلسطين حيث انقسمت بشكل واضح إلى مناطق عربية وأخرى يهودية . وفي الوقت الذي ازدادت فيه أعمال القنص والاغتيال والتخريب وحرب الشوارع استمرت القوات البريطانية في الانسحاب من فلسطين وإنهاء مسؤولياتها قبل ١٥ أيار عام ١٩٤٨ .

ومع حلول موعد انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ كانت القوات اليهودية قد سيطرت على مناطق السهل الساحلي والجليل الشرقي بينما بقي العرب محتفظين بمعظم مناطق القدس والخليل ورام الله ونابلس شمالاً . أما القدس فقد كانت مجزأة ، وبما أن ١/٦ اليهود يسكنون في القدس فقد قامت الهاغانا بمحاولات يائسة لرفع الحصار الذي فرضه جيش الإنقاذ العربي (البالغ ٤,٠٠٠) بقيادة فوزي القاوقجي الذي سبق أن حارب في صفوف الجيش التركي في الحرب العالمية الأولى .

حرب الطرق (عقد المواصلات)

ابتداءً من شتاء عام ١٩٤٧ وحتى ربيع عام ١٩٤٨ حاول اليهود ايصال قوافل الإمداد والتموين القادمة من تل أبيب إلى القدس المحاصرة ورغم أن قوات الهاغانا كانت تحرس هذه القوافل إلا أنها لم تتمكن من الوصول وتكبدت القوات اليهودية خسائر فادحة بواسطة جيش الإنقاذ الذي تسلل من سوريا إلى فلسطين وكلف بقطع خطوط المواصلات بين القدس وتل أبيب .

لما أدرك اليهود عدم قدرة بريطانيا ـ وعدم رغبتها ـ على التدخل في القتال الدائر في فلسطين قاموا في نيسان سنة ١٩٤٨ بشن أول هجوم واسع النطاق لاحتلال المناطق الحيوية المسيطرة على طريق القدس ـ تل أبيب . وقد أطلق اليهود على هذه العملية اسم «نخشون» ومن أهدافها : السيطرة على المناطق المخصصة للدولة اليهودية والدفاع عنها ، بما فيها المستعمرات اليهودية الواقعة ضمن المناطق التي خصصت للعرب . ومع أن الهاغانا نجحوا بالتعاون مع عصابة الأرجون في تأمين القدس الجديدة (القسم الواقع خارج وغربي سور القدس القديمة) إلا أنهم لم يستطيعوا دخول القدس القديمة حتى بمساعدة قوة البالماخ بسبب وجود قوة من الجيش العربي الأردني الذي كان يهب لنجدة السكان العرب كلما طلبوا ذلك .

الحرب في فلسطين : سنة ١٩٤٧ ـ سنة ١٩٤٩

في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ أعلن تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة وأعطي اليهود حوالي ٥٦٪ من أرض فلسطين بما فيها النقب وأعطي الباقي للعرب .

وقد حاول العرب إفشال مشروع التقسيم بالقوة ولكن بريطانيا منعت دخول أية قوات نظامية عربية إلى فلسطين قبل إنهاء الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥ .

لذلك كانت الفترة من ١٩٤٧/١١/٢٩ - ١٩٤٧/٥/١٥ فترة قتال غير متكافىء بين عرب فلسطين ومن ساعدهم من المتطوعين العرب الآخرين ، وبين اليهود الذين كانوا أفضل تنظياً وأكثر جنوداً وأحسن تسليحاً وأقوى تدريباً . ورغم الكثير من المواقف العربية الباسلة إلا أن الصهاينة تمكنوا من احتلال مدن رئيسية مثل حيفا ويافا وعكا وطبريا وبيسان وصفد وهددوا الناصرة وذلك قبل انتهاء الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥ .

ورغم فشل اليهود في احتلال مدينة القدس القديمة إلا أنهم نجحوا تقريبا في تنفيذ الخطة (د) التي تقضي باحتلال وتأمين المنطقة المخصصة لهم في قرار التقسيم . فقد أصبح شمال النقب والسهل الساحلي والجليل في أيديهم بما فيه الطرق الموصلة بين هذه المناطق بينما احتفظت الجيوش العربية بقسم من الجليل والقدس القديمة والمرتفعات الحيوية المحيطة بها وكذلك منطقة نابلس وطولكرم وجنين .

في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ أعلن قيام دولة اسرائيل وتعيين دافيد بن غوريون رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع . وفي نفس اليوم دخلت الجيوش العربية البالغة ٢١,٠٠٠ مقاتل تقريباً إلى فلسطين لتحريرها من العدوان الاسرائيلي ومساعدة الفلسطينيين على استعادة حقوقهم المشروعة . وقد كانت هذه الجيوش من البلدان العربية التالية : الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق والسعودية .

الجولة الأولى سنة ١٥ أيار ـ ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ :

تختلف التقديرات الرسمية لعدد القوات المتحاربة في الجولة الأولى . فالقوات العربية التي دخلت الحرب في فلسطين في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ كانت حوالي ٢١,٠٠٠ جندي وضابط مقابل قوات الهاغانا التي أصبحت تكون الجيش الاسرائيلي وتصل إلى ٦٥,٠٠٠ جندي وضابط . كما كانت القوات العربية حديثة التكوين كالجيش السوري واللبناني وغير مدربة ، ومعظم قادة الجيش العربي الأردني من الضباط البريطانيين . وكان توزيع الجيوش العربية التي شاركت في الحرب كما يلي :

مصر : ١٠٠٠٠
الأردن : ٤٥٠٠
سوريا : ٣٠٠٠

الجيش العربي الهاشمي

العـراق : ٣٠٠٠

لبنـان : كتيبة مدرعـة

السعودية : كتيبتان ألحقتا بالجيش المصري

أما الأسلحة التي تمتلكها القوات العربية فكانت أقل من الأسلحة اليهودية ومعظمها غير صالح وذخيرتها فاسدة كأسلحة الجيش المصري . من هذه الأسلحة كان لدى الجيوش العربية ١٥٠ سيارة مدرعة و٢٠ دبابة وبعض قطع المدفعية . وبالإضافة للنقص في العدة والعدد وقلة الاستعداد كان العرب يعانون من بعد خطوط مواصلاتهم وانتشار قواعدهم الإدارية التي تمتد على مسافة ٧٠٠ ميل إلى بغداد ، ٢٥٠ ميلاً من سيناء إلى مصر ، و ٨٠ ميل إلى الزرقاء . أما اليهود فقد كانوا يتمتعون بطرق مواصلات قصيرة وجيدة . ويقاتلون على الخطوط الداخلية التي توفر لهـم المناورة الاستراتيجية المناسبة ، تحت قيادة مركزية واحدة . ولديهم الخبرة القتالية في مجالات متعددة خارج فلسطين وداخلها بعكس الجيوش العربية ، باستثناء الجيش العربي الأردني ، الذي استفاد من تجربته في معارك العراق وسوريا وعمل في فلسطين أبان الحرب العالمية الثانية .

مفهوم العمليات للقوات العربية المشتركة

لم يكن هناك تخطيط مسبق لدخول الجيوش العربية إلى فلسطين ولم توضع خطة عربية مشتركة للحرب . حتى ولم يكن هناك قيادة عربية موحدة لتقوم بوضـع مفهـوم استراتيجـي للعمليات العسكرية في فلسطين . كان هناك اجتماعات على مستويات مختلفة ومناقشات غير جدية أو واقعية تمت قبل دخول الجيوش العربية أرض المعركة ، كالمناقشات السياسية والعسكرية التي حدثت بين سوريا ومصر ، وغيرها من دول الجامعة العربية . وقد يكون أهم اجتماع حدث على مستوى الجامعة العربية وحضره خبراء عسكريون عرب ذاك الـذي عقـد في عالية ـ لبنـان في تشرين الأول سنة ١٩٤٧ وكان من نتيجته تأليف هيئة عربية عليا وإنشاء ما يسمى جيش الجهاد المقدس الذي كان من أبرز قادته الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في ٨ نيسان عام ١٩٤٨ في معركة القسطل بعد عودته من دمشق بدون السلاح المطلوب .

وقد توالت الاجتماعات فكان منها اجتماع عقد في عمان ـ الأردن في ٣ نيسان سنة ١٩٤٨ حضره رؤساء أركان الجيوش العربية لكل من العراق ومصر وسوريا ولبنان والأردن لوضع الخطة العسكرية العربية للتدخل في فلسطين . وقد كانت الخطة مرتجلة لم توضع على أساس تقدير موقف استراتيجي سليم . فلم يكن هناك معلومات عن القوات الاسرائيلية أو خططها ولـم يجـر تحليل للمفهـوم الصهيوني في الحرب أو دراسة أرض العمليات دراسة وافية .

الخلاصة أن الخطة كانت بدائية ومرتجلة ومبنية على افتراضات غير صحيحة . ورغم كل الحقائق

التي تشير إلى عدم نجاحها فقد اجتمع مجلس الجامعة العربية في ١٠ أيار سنة ١٩٤٨ في دمشق وأقرها وعين الملك عبدالله بن الحسين قائداً للجيوش العربية المشتركة في القتال واللواء الركن نور الدين محمود وكيلاً للقائد العام ومسؤولاً عن إدارة العمليات الحربية . وكان تصور القيادة العربية لمفهوم العمليات كما يلي :

تستعد الجيوش العربية لاحتلال فلسطين وعلى الشكل التالي :

(١) الجيش اللبناني ويساعده جيش الإنقاذ يحتل شمال فلسطين من حيفا على البحر غرباً حتى الناصرة شرقاً .

(٢) الجيش السوري يتقدم شمال الحولة ويحتل صفد في الجليل الأعلى .

(٣) الجيش العراقي يتقدم في الوسط ويحتل منطقة نابلس والسهل الساحلي .

(٤) الجيش العربي الأردني يتقدم على محوري داميا وجسر اللنبي ويحتل منطقة القدس والسهل الساحلي حتى تل أبيب .

(٥) الجيش المصري يتقدم من الجنوب عبر سيناء على محورين : محور الساحل غزة إلى تل أبيب ومحور الوسط ـ النقب ـ بئر السبع وبعد احتلال تل ابيب وبئر السبع يواصل الجيش المصري تقدمه من تل أبيب إلى القدس ومن بئر السبع إلى الخليل والالتقاء مع الجيش العربي هناك .

كانت النتيجة المتوقعة لاندفاع الجيوش العربية عبر سيناء من الجنوب ونهر الأردن من الشرق والحدود السورية واللبنانية من الشمال أن ينتشر الجيش الاسرائيلي على هذه المساحة الواسعة ويتم تدميره من قبل الجيوش العربية فتعود فلسطين لأصحابها الشرعيين وكانت مهمة جيش الإنقاذ قطع خطوط المواصلات بين المستعمرات اليهودية في القطاع الشمالي وكانت الجيوش العربية أقل عدداً من القوات الاسرائيلية وبدون احتياط وقد تألفت من التشكيلات والوحدات الموزعة :

القـــوة	العـــدد	منطقة المسؤولية
الجيش اللبناني كتيبة	١٠٠٠ مقاتل	الجبهة الشمالية (حيفا ـ الناصرة)
الجيش السوري (لواء)	٣٠٠٠ مقاتل	الجليل (الأعلى والأوسط)
الجيش العراقي (مجموعة لواء) مؤلف من كتيبة مشاة وكتيبة مدرعات	٣٠٠٠ مقاتل	الشمال والوسط : نابلس والسهل الساحلي حتى ناتانيا
الجيش العربي الأردني (لواءان)	٤٥٠٠ مقاتل	نابلس والقدس
الجيش المصري (لواءان) وحدة موزعة قوة سعودية متطوعون عرب	١٠٠٠٠ مقاتل	النقب ـ بئر السبع ـ القدس وغزة ـ تل أبيب ـ القدس
جيش الإنقاذ العربي متطوعون (غير نظاميين)	٣٠٠٠-٤٠٠٠ مقاتل	القطاع الشمالي والوسط

الجيش العربي الهاشمي

ادعى الاسرائيليون فيما بعد أنهم عرفوا الخطة العربية للهجوم على فلسطين وذلك غير صحيح لأنه لم يكن هناك خطة بالمعنى العسكري المعروف سوى التوجيهات التي أصدرتها الجامعة العربية بواسطة جهازها العسكري غير الفعال ، لاسيما وقد غيرت الخطة المشار إليها قبل تحرك الجيوش بثمان وأربعين ساعة . وكان كل ما اشتملت عليه هذه التوجيهات (الخطة) هو محاور تقدم كل جيش بينما ترك له وقت وكيفية الوصول للهدف دون تنسيق مسبق بين هذه الجيوش الزاحفة نحو المجهول .

مفهوم العمليات الاسرائيلي

وضع مفهوم العمليات الاسرائيلي ضمن الإطار العام للخطة (د) التي تحقق السيطرة الكاملة على المناطق اليهودية المخصصة لاسرائيل بموجب قرار التقسيم ، والدفاع عن المدن والمستعمرات اليهودية في فلسطين . ويتضمن التصور الاسرائيلي تنفيذ هذا المفهوم بالقيام بعمليات هجوم ودفاع حسب الأسلوب التالي : الصمود والتصدي للقوات العربية من قبل حرس المستعمرات (قوات الدفاع الثابت) ، وامتصاص الصدمة الأولى ومن ثم القيام بعمليات دفاعية واستنزاف الجهد العربي وتمكين القوات الضاربة المتحركة (البالماخ والهاغانا) من القيام بعمليات : منع الاختراق والهجمات المعاكسة المحلية ثم التعرض المعاكس .

كان على المستعمرات أن تقاتل حتى آخر رجل وآخر طلقة وتصد القوات العربية (الواثقة من نفسها أكثر من اللازم) باستخدام بعض القوات المتحركة للقيام بهجمات معاكسة ضمن الدفاعات الرئيسية . ولم تنجح القوات العربية في تحقيق أحلام القيادة العربية السياسية التي زادها غروراً كلمات رئيس هيئة أركان حرب القوات البريطانية الذي قال : « إن الجيوش العربية ستقضي على اليهود في فلسطين في بضعة أيام » ، وتناست القيادة العربية السياسية أن هذه الجيوش لم تكن مستعدة في معظمها لدخول الحرب . فقد اشترك فيها اللواء السوري بقيادة العقيد عبد الوهاب الحكيم [١] الذي أرسل برقية للقادة المجتمعين يعلمهم فيه أن اللواء لا يستطيع دخول الحرب قبل ثلاثة أشهر والذخيرة التي معه لا تكفي لأسبوع قتال ومع ذلك لم يهتم وزير الدفاع السوري الذي كان يحضر المؤتمر بذلك الرد . كما أورد الرئيس جمال عبد الناصر في مذكراته عن حرب فلسطين ما يلي :

« لم يكن معقولاً أن تكون هذه حرباً ... لا قوات تحشد ولا استعدادات في الأسلحة والذخائر ...

(١) عندما وردت برقية من وزير الدفاع السوري أحمد الشرباتي إلى قائد اللواء المذكور بأن يعد لواءه للحرب ، أبلغه في برقية جوابية أن اللواء غير مستعد ولكنه تجاهل الرد تماماً . كما أن وزير الدفاع كذب على اللجنة العربية عندما أبلغها أن عدد الجيش السوري يصل إلى ١٨٠٠٠ (مذكرات العقيد عبد الوهاب) .

لا خطط ولا معلومات ومع ذلك فهم في ميدان القتال . إذن فهي حرب سياسية ، تقدم بلا نصر وعودة بلا هزيمة » .

وهكذا دخل الجيش المصري حرباً غير مستعد لها يحمل أسلحة قديمة وذخيرة فاسدة .

ودخلت الجيوش العربية الحرب والخلاف مستحكم بين الدول العربية المنقسمة إلى فريق يؤيد دخول الحرب وفريق يعارض وثالث متردد في موقفه .

قبل بدء القتال كان دفاع الهاغانا يعتمد على حراس المستعمرات وقوات الدفاع الثابت التي تألفت من ثلاثة ألوية بالماخ وسبعة ألوية هاغانا ووحدات الميدان . وفي ٥ أيار سنة ١٩٤٨ كان توزيع قوات الطرفين كما يلي :

	القطاع الشمالي (الجليل)	القطاع الشرقي (نابلس/جنين)	القطاع الاوسط (القدس)	القطاع الجنوبي (النقب)
القوات العربية المشتركة	الجيش اللبناني الجيش السوري جيش الإنقاذ	الجيش العراقي	الجيش العربي الأردني	الجيش المصري
القوات الاسرائيلية عناصر دفاعية	دفاع ثابت حرس مستعمرات	دفاع ثابت حرس مستعمرات	دفاع ثابت حرس مستعمرات	دفاع ثابت حرس مستعمرات
قوات ضاربة (متحركة) للعمليات التعرضية	بالماخ لواء يفتاح هاغانا لواء كارميلي لواء جولاني	هاغانا لواء الاسكندروني لواء كرياتي	بالماخ لواء هاري ايل هاغانا لواء جيفعاتي لواء عصيوني اللواء ٧ اللواء المدرع ٨	بالماخ لواء هاينجيف هاغانا اللواء ٩

من توزيع القوات أعلاه نجد أن القوات السورية واللبنانية التي تقدر بلواء عامل تواجه بلواء بالماخ ولوائي هاغانا ، واللواء العراقي يقابل لوائي هاغانا ، أما في القطاع الأوسط قبالة الجيش العربي فيوجد لواء بالماخ وثلاثة ألوية هاغانا ، بينما تواجه القوات المصرية لواء بالماخ ولواء هاغانا ، بالإضافة إلى حرس المستعمرات في كافة القطاعات وقوات الميدان الاحتياطية (HISH) .

مجرى العمليات : ١٥ أيار ـ ١١ حزيران عام ١٩٤٨

الجيوش العربية بشكل عام

لاقى التقدم العربي نجاحاً في المراحل الأولية ورغم المقاومة العنيفة من حرس المستعمرات فقد

استطاعت معظم القوات تجاوز المستعمرات التي تمثل خط الدفاع الأول اليهودي أو التغلب عليها واحتلالها . هذا وقد واصلت القوة المصرية تقدمها دون مقاومة من القوات الاسرائيلية النظامية فوصلت الخط العام : أسدود ـ عراق سويدان ـ الفالوجة عراق المنشية ـ بيت جبرين ، وفجأة وبدون مبرر توقف المصريون واتخذوا خطاً دفاعياً طولياً عبر وسط فلسطين يبعد مسافة ٢٥ ميلاً جنوب تل أبيب ، تاركين خلفهم مجموعة من المستعمرات اليهودية التي لم يحسبوا حسابها . ورغم أنها كانت معزولة بتقدم الجيش المصري إلا أنها بقيت تدافع من أيار إلى تشرين الأول عام ١٩٤٨ إلى أن تمت نجدتها خلال عملية يوف ١٥-٢٢ تشرين الأول عام ١٩٤٨ . وقد كلف عدم احتلال مستعمرات النقب المصريين ثمناً غالياً .

في سلسلة عمليات التعرض الاسرائيلية من تشرين الأول عام ١٩٤٨ إلى كانون الثاني عام ١٩٤٩ ـ التي نفذتها قوات البالماخ والهاغانا بمساعدة المستعمرات التي كانت تقاتل خلف الخطوط ـ تم إجبار المصريين على إخلاء منطقة النقب، رغم أن رتلاً مصرياً ـ كان متقدما على طريق بئر السبع في ٢٢ أيار سنة ١٩٤٨ ـ استطاع أن يقيم اتصالاً مع قوات الجيش العربي الأردني في بيت لحم . وبشكل عام لم يكن موقف القوات المصرية في النقب جيداً ، بينما احتلت القوات الأردنية والعراقية القدس والمنطقة الحيوية من اللطرون وحتى نابلس شمالاً . وبحلول الهدنة الأولى كان خط القوات الأردنية ـ العراقية يشمل الطريق الممتد غرباً حتى اللطرون وشمال غرب حتى اللد والرملة ومع سكة الحديد حتى قلقيلية وطولكرم ثم شرقاً حتى الناصرة وسمخ وطبريا.

قام العراقيون بهجوم جبهوي بمجموعة كتيبة لعبور نهر الأردن في منطقة بيسان ولكن الهجوم فشل وتكبدت الكتيبة خسائر فادحة بدون مبرر. إلا أنهم تعلموا الدرس واستطاعوا ـ فيما بعد ـ صد هجوم اسرائيلي معاكس في منطقة جنين قام به لواءا كارميلي وجولاني اللذان تكبدا خسائر جسيمة ، فقد تراجعت القوات الاسرائيلية فيما يشبه الهزيمة إلى اللجون قرب مجدو الشهيرة .

ولما ازداد الضغط على القوات الأردنية في منطقة القدس سلمت مسؤولية الدفاع عن نابلس للقوات العراقية وضمت جناحها الأيمن باتجاه رام الله . وفي منطقة قلقيلية وطولكرم لم تكن القوات العربية تبعد أكثر من ١٢ ميلاً عن البحر الأبيض المتوسط و ٦ أميال عن طريق تل أبيب ـ حيفا .

أما العمليات في القطاع الشمالي في ١٦ أيار عام ١٩٤٨ فقد جرت كما يلي : قام السوريون بالتعرض في قطاع بحيرة طبريا واحتلوا سمخ ولكنهم توقفوا هناك على بعد أميال من قاعدتهم الأساسية ودون مبرر. وتكرر نفس العمل من القوة اللبنانية حيث اجتازت الحدود واحتلت قرية صغيرة تدعى المالكية وتثبتت هناك . أما جيش الإنقاذ فكان في وضع أفضل من وضع السوريين واللبنانيين فقد استطاع الاحتفاظ بمثلث يمتد عشرة أميال داخل المنطقة اليهودية ومواقع دفاعية على طول الطريق الحيوي المهم للعدو بين حيفا ـ عكا ومنطقة صفد الواقعة في القطاع العربي . وفي

١٥ أيار كان جيش الإنقاذ يحتل الناصرة وعلى تماس مباشر مع لواء جولاني رغم أنه محصور بين شقي الرحى (لواء كارميلي في حيفا ولواء البالماخ يفتاح في صفد) . وقد تم إخراج القوات اللبنانية وجيش الإنقاذ من مواقعهما في الجليل باللواء الاسرائيلي ٧ ولواء يفتاح الموجود في صفد في عملية حيرام التي نفذتها القوات الاسرائيلية من ٢٩ إلى ٣١ تشرين الأول عام ١٩٤٨ .

بعد بيان الخطوط العامة لإدارة العمليات من قبل القيادة العربية الموحدة والقوات الاسرائيلية ، سيتم تحليل العمليات التي نفذها الجيش العربي الأردني بمعزل عن بقية الجيوش العربية حيث كان الجهد الاسرائيلي الرئيسي موجها ضد القوات الأردنية باعتبارها تحتل المنطقة الوسطى والأهم وتهدد تل أبيب والقدس ، كما أنه لم يكن يوجد ترابط يذكر بين عمليات الجيوش العربية والجيش العربي الأردني لانعدام التنسيق بينها ، لا سيما وأن التحليل المستقل للجيش العربي لا يشوش المفهوم التعبوي والتصور العام للعمليات في فلسطين .

مجرى عمليات الجيش العربي الأردني من ١٥ أيار-١١ حزيران عام ١٩٤٨

في المناقشة بين الملك عبدالله ورئيس وزرائه توفيق باشا أبو الهدى من جهة وعبد الرحمن باشا عزام أمين عام الجامعة العربية من جهة أخرى ، اتفق على أن يكلف الجيش العربي باحتلال القدس ثم يتقدم إلى تل أبيب بعد أن يتصل بالجيش المصري . وكانت الخطة تقضي بأن يحتل الجيش العربي القدس ورام الله ثم يشترك بهجوم مدبر مع الجيش المصري والعراقي على تل أبيب .

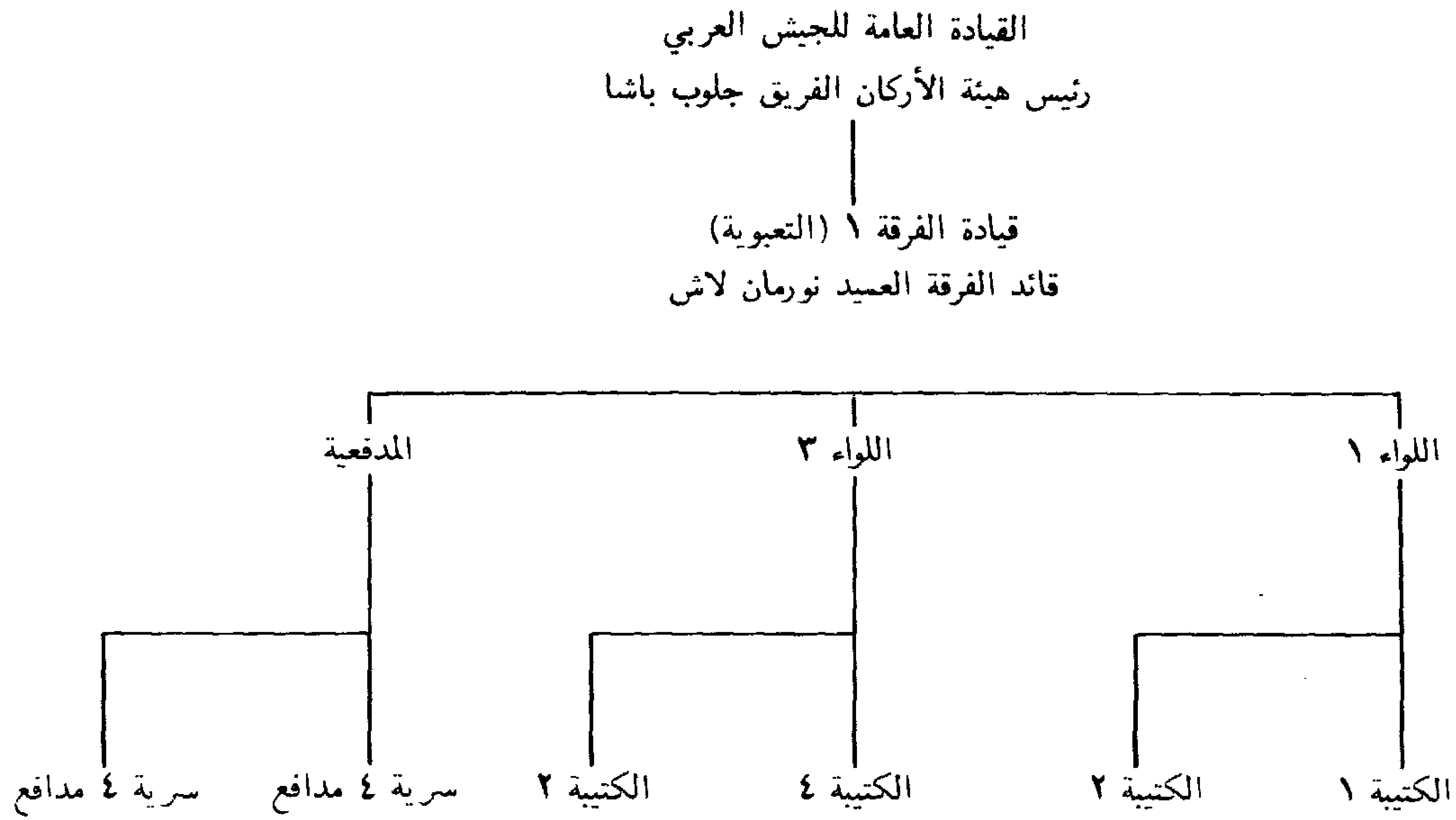
وفي ١٤ أيار عام ١٩٤٨ دخل الجيش العربي الحرب باجتياز النهر داخل فلسطين بقوة ٦٠٠٠ ضابط وجندي ، منهم ٤٥٠٠ وحدات مقاتلة وكما يلي :

(أ) أربع كتائب مشاة هي : ١ ، ٢ ، ٣ و ٤ .
(ب) سريتا مدفعية ٢٥ رطلاً (٨ مدافع)
(ج) سبع سرايا مستقلة من سرايا الحاميات السابقة .

لم تكن سرايا الحاميات المستقلة مدربة تدريباً قتالياً ولا تحمل إلا البنادق الخفيفة ورشاش برن لكل فئة (فصيل) ولم يكن لدى الكتائب هاونات (مورتر) أو أسلحة ضد الدروع أو خدمات حيث كان الجيش يعتمد على القوات البريطانية في مجال الخدمات الإدارية ولذلك كان تحضير مشاغل صيانة وخدمات طبية وتموين يجري بسرعة عشية دخول الحرب .

كانت قوة الجيش العربي منظمة في فرقة مشاة سميت الفرقة الأولى وترتبط مباشرة برئاسة الأركان وكما يلي :

الجيش العربي الهاشمي



شكلت ثلاث كتائب من قوة الجيش العربي من قوة الصحراء السيارة التي شاركت في معارك العراق وسوريا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١ . كما شكلت كتيبة رابعة (أربع سرايا) من الحاميات المستقلة التي كان مقرراً تسريحها في شباط عام ١٩٤٨ .

بعد ذلك شكلت قيادة الفرقة وعين الزعيم (عميد) نورمان لاش قائداً لها مع ١٢ ضابطاً كهيئة أركان . بالإضافة إلى ثلاث قيادات ألوية . وكانت هيئة الأركان موجودة على الورق فحسب ، ما عدا العميد لاش الذي كان يخدم في قوة الشرطة المدنية التابعة للجيش العربي ونقل ليعمل قائداً للفرقة الوحيدة أنذاك[١] .

كان قادة التشكيلات والوحدات في الفرقة هم :

قائد الفرقة الأولى	العميد نورمان لاش
قائد اللواء الأول	العقيد جولدى
قائد كتيبة المشاه الأولى	المقدم بلاكدن
قائد كتيبة المشاة الثانية	المقدم نيومان
قائد اللواء الثالث	العقيد أشتن
قائد كتيبة المشاة الثانية	المقدم سليد
قائد كتيبة المشاة الرابعة	المقدم (المشير فيما بعد) حابس المجالي
قائد اللواء الرابع (هيكلي)	العقيد (اللواء فيما بعد) أحمد صدقي الجندي

قيادة المدفعية	المقدم هيرست
بطارية المدفعية الأولى	الرائد (اللواء فيما بعد) محمد المعايطة
بطارية المدفعية الثانية	النقيب (العميد فيما بعد) مصطفى الخصاونة(١)

في كانون الأول عام ١٩٤٧ صدر قانون خدمة الاحتياط الذي ألزم كل ضابط وجندي أن يبقى ٦ سنوات في الاحتياط بعد انتهاء خدمته الفعلية . أما فيما يخص حرب عام ١٩٤٨ فلم يتوفر الاحتياط لتعويض خسائر المعركة . وليس ذلك مقصورا على الأفراد بل المعدات والأسلحة والذخيرة أيضاً . وقد استجاب قائد قوات الشرق الأوسط إلى طلب جلوب باشا بإرسال سفينة محملة بالذخيرة إلى الجيش العربي لترسو في العقبة إلا أن المصريين صادروا حمولتها كاملة . وفي ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ لم يكن لدى الجيش العربي إلا ذخيرة الخط الأول والتي كان على الجيش أن يقتصد بها لتكفيه مدة أطول .

تم تزويد كتائب المشاة الأربع بخمسين مدرعة هارينجتون لتحل محل السيارات العادية التي كانت تحمل رشاش البرن . كما حصل الجيش على ١٦ مدفع هاون ٣ بوصة مع كمية محدودة جداً من الذخيرة . أما الجانب الاسرائيلي فقد كانت تنقصه المدفعية ولكن كان لديه كمية كبيرة من الهاونات ومخزون كبير من الذخيرة لأنها ـ الهاونات وذخيرتها ـ كانت تصنع في اسرائيل بالإضافة لشراء كميات من الخارج . كما كان الاسرائيليون مجهزين بنحو ٥٠٠-٦٠٠ عربة مدرعة من إنتاجهم المحلي .

مفهـوم العمليـات

في الخطة الأولية وبناءً على رغبة عرب فلسطين وافق الملك عبدالله على أن يقوم الجيش العربي بالدفاع عن قطاع القدس لمنع اسرائيل من تجاهل قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة ، واحتلال القسم المخصص للعرب من فلسطين بموجب ذلك القرار ، وكان على الجيش العربي أن يتأكد من عدم احتلال قوات العدو لأي جزء من الأرض العربية مع أن وضع الجيش البريطاني غير المهتم والمستعد للانسحاب قد أدى إلى اشتباكات مبكرة بين اليهود وقوات جيش الإنقاذ والجهاد المقدس والسكان المحليين وكان كل طرف يحاول أن يحتل مواقع جديدة مما خلق وضعاً سياسياً

(١) النقيب روبنسون أولاً ثم جاء مصطفى بعده .

* عندما أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين قررت سحب معظم الضباط الأنجليز من الجيش العربي لذلك كان الضباط العرب هم الذين يمارسون العمل في الوحدات . وقد شكلت فئات المدفعية في الزرقاء بقيادة محمد المعايطه الذي سبق أن أرسل للاشتراك بدورة مدفعية في مصر وأصبح أول قائد للمدفعية بعد طرد جلوب باشا عام ١٩٥٦ ومن بين الضباط العرب الأوائل الذين خدموا في المدفعية أبان حرب عام ١٩٤٨ عامر خماش ومحمد نجيب الذي استشهد في القدس وعبدالله البيطار ومحمود المعايطه ومصطفى الخصاونة وقد أبلوا بلاءً حسناً في معارك اللطرون والقدس وباب الوارد وتسلموا فيما بعد قيادة سلاح المدفعية الملكي ما عدا محمد نجيب ومصطفى الخصاونة ـ المعرب .

وعسكرياً غير مستقر رغم نداءات الأمم المتحدة بضرورة ضبط النفس والتقيد بخطة قرار التقسيم .

ونتيجة لبعض النجاحات المحلية التي حققها جيش الإنقاذ العربي والسكان المحليين وبدفع من السياسيين المتحمسين في سوريا ومصر ورغبة الملك فاروق في إبعاد الجيش المصري عن مصر وتشجيع الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن باشا عزام ، تقرر التدخل عسكرياً في فلسطين لحل المشكلة على أسس ثابتة ودائمة .

وعندما دخل الجيش العربي فلسطين في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ بناءً على طلب عرب فلسطين العاجل لم يكن لديه أي علم بقوة أو خطط الجيوش الأخرى التي ستدخل الحرب إلى جانبه ، وقد قال جلوب باشا :

« التحق العميد صبور ضابط الارتباط المصري بقيادة الجيش العربي ، وكان رجلاً جذاباً ومتعاوناً إلى أبعد الحدود وقد أطلع على تقارير العمليات لدينا وعرف نظام معركتنا وزار جبهة قواتنا كما رغب . ولكن لم نحصل بالمقابل على أي أمر عمليات أو نظام معركة للجيش المصري رغم إلحاحنا في الطلب ... . وفي أيار عام ١٩٤٨ قدم العراقيون للمعركة كتيبة مدرعة وكتيبة مشاة وقد قاموا بالكشف بأنفسهم وقرروا أن يعبروا نهر الأردن مقابل بيسان في عملية مستقلة . كما قال السوريون إنهم مستعدون لإرسال لواء واحد وجهز اللبنانيون كتيبة مدرعة » .

في الخطة الأولية كان الجيش العربي مكلفاً بالدفاع عن قطاع القدس ـ نابلس الذي يشكل جبهة طولها حوالي ١٦٠ ميلاً تشمل المناطق الاستراتيجية والحيوية في : الخليل ، وبيت لحم والقدس (العربية) ورام الله واللد والرملة ، ونابلس ، وقليقلة وطولكرم ، وبهذه الحالة يكون الجيش العربي مكشوفاً وضعيفاً من الناحية الاستراتيجية والتعبوية في مواجهة القوات الاسرائيلية المتفوقة في العدد والعدة والتي كان قسم منها موجوداً أساساً في القدس الجديدة . كانت المحاور والطرق التي تربط السهل الساحلي بالقدس تعتبر ذات أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لاسرائيل لاستمرار الاتصال بين أنحاء المدن والمستعمرات التي يقطنها اليهود ، خاصة الطريق الممتد من تل أبيب الذي يمر عبر الوديان الضيقة المتعرجة في منطقة باب الواد واللطرون ثم يمر في جبال القدس الشمالية الغربية حيث تسيطر عليه قرية القسطل العربية وكذلك الطريق بين القدس ورام الله الذي يمر عبر الشيخ جراح وشعفاط وتسيطر عليه التلة الفرنساوية ومستعمرة النبي يعقوب ومرتفعات الرام وبيت حنينا .

نفذت الخطة العامة للدفاع عن جبال القدس والخليل والقطاع الأوسط ونابلس في الشمال باتخاذ اللواء ١ مواقع دفاعية في منطقة نابلس ، بينما تم حشد اللواء الثالث في منطقة رام الله مع قيادة اللواء ٤ الهيكلية لخداع وتضليل العدو . ولم يفكر جلوب باشا باحتلال القدس أو الدفاع عنها ،

وحسب رأي جلوب باشا لم يكن يرغب في زج الجيش العربي في معارك استنزاف في القدس يكون هو الخاسر فيها لعدم خبرته في القتال في المناطق المبينة .

سير المعركة : ١٥ أيار ـ ١١ حزيران سنة ١٩٤٨

تطبيقاً لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ انسحبت سرايا الجيش العربي من فلسطين قبل ١٣ أيار عام ١٩٤٨ ، باستثناء السرية ١٢ التي بقيت معزولة في الخليل . خارطة ١٩

وبعد مغادرة المندوب السامي البريطاني القدس يوم ١٤ أيار عام ١٩٤٨ بقليل نشب قتال عنيف بين العرب واليهود شمل جميع أنحاء المدينة ، فقامت عناصر من لواء عصيوني اليهودي باحتلال بعض المناطق المهمة والعمارات التي تسيطر على المدينة . وفي نفس الوقت قامت سيارة يهودية مجهزة بمكبرات للصوت بالتجوال في الشوارع وهي تردد نداءات بالعربية قائلة « الطريق إلى أريحا لا يزال مفتوحاً اهربوا بسرعة قبل أن تقتلوا » .

وفي صباح ١٥ أيار عام ١٩٤٨ تقدم لواء عصيوني ليطهر المدينة من السكان العرب ، فاحتل محطة سكة الحديد والمستعمرة الألمانية وثكنات اللنبي وحي الشيخ جراح واتصلت قواته مع حامية هداسا والجامعة العبرية على جبل المطلع (سكوبس) . أما المتطوعون العرب خارج السور فقد تراجعوا داخل القدس القديمة وبعثوا بنداء استغاثة عاجل للملك عبدالله لنجدتهم .

كان الموقف على الجبهات العربية في مساء ١٥ أيار مشوشاً ومتناقضاً . فالجيش المصري على ما يبدو يتقدم إلى غزة والجيش السوري واللبناني قد اجتازا الحدود الشمالية والشمالية الشرقية والعراقيون يهاجمون بيسان وجيش الإنقاذ يسيطر على نابلس .

كانت قوة الجيش العربي تعسكر في الزرقاء في ١٣ أيار سنة ١٩٤٨ وفي ١٤ أيار تحركت إلى قاعدة أمامية قرب الشونة الجنوبية حيث التقى جلالة الملك عبدالله بالمقاتلين وخطب فيهم يحثهم على الدفاع عن فلسطين . ومع فجر الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ اجتازت القوة جسر اللنبي (الملك حسين) إلى داخل فلسطين وتابعت تقدمها من وادي الأردن إلى أريحا ثم الجفتلك ومن هناك إلى مواقعها الدفاعية في رام الله ونابلس ، وتسلم اللواء ١ مسؤولية الدفاع عن قطاع نابلس حيث خصصت المنطقة من قليقلة وطولكرم في الغرب إلى جنين في الشمال إلى الكتيبة ١ وكانت مهمة الكتيبة الدفاع عن المقتربات المؤدية إلى مدينة نابلس . بينما وضعت الكتيبة ٣ في الاحتياط وتمركزت في حواره على بعد ٥ أميال جنوب نابلس على الطريق المؤدي إلى رام الله ـ القدس . أما اللواء ٣ فقد اتخذ مواقع دفاعية في منطقة رام الله على بعد ١٠ أميال شمال القدس على الطريق العام القدس ـ رام الله ـ نابلس .

الجيش العربي الهاشمي

معركة القدس : ١٥-٢٨ أيار سنة ١٩٤٨

اندلع القتال العنيف مع اليهود في القدس يوم ١٥ أيار وفي يوم ١٦ أيار بدأ اليهود يقذفون الأحياء العربية بقنابل الهاون ولما اشتدت وطأة القتال على المدينة المقدسة أرسلت شارات النجدة إلى عمان ترجو الملك عبدالله تقديم المساعدة . وفي يوم ١٦ أيار أرسلت السرية المستقلة ١ والسرية المستقلة ٨ على طريق أريحا ـ القدس فاحتلت جبل الطور الذي يسيطر على القدس من الجهة الشرقية وفي اليوم نفسه أرسلت الكتيبة ٤ (التي شكلت حديثاً) بقيادة المقدم حابس المجالي إلى اللطرون لتقطع طريق القدس ـ تل أبيب وتمنع استعمالها من قبل اليهود .

في الساعة ١١,٣٠ يوم ١٧ أيار وبينما كان جلوب باشا في قيادة الفرقة في بيتين الواقعة جنوب شرقي رام الله استلم برقية من عمان تقول : «يأمر جلالة الملك عبدالله بالتقدم من رام الله إلى القدس ، ويقصد من ذلك إجبار اليهود على قبول الهدنة في القدس» . وبعد نصف ساعة وردت برقية أخرى تقول : « إن جلالة الملك قلق للغاية ويصر على إرسال قوة مسندة بالمدفعية لمهاجمة الحي اليهودي في القدس ... جلالته ينتظر عملاً سريعاً ... أبلغونا بسرعة عن بدء العمليات » .

كان قرار الملك عبدالله الشجاع بزج الاحتياط الوحيد في معركة الدفاع عن المدينة المقدسة نقطة انعطاف في الحرب ، لأن فقدان القدس القديمة وسقوطها في يد اليهود سيكون كارثة من الناحية الدينية والنفسية والسياسية تحل بالعالم الاسلامي . وقد كان تحريك اللواء من رام الله قراراً جريئاً وكان من الممكن أن يؤدي ذلك إلى فقدان القطاع الأوسط لو تحرك اليهود بسرعة . وبالنسبة للجيش العربي فإنه لافائدة من الاحتفاظ ببقية فلسطين إذا ماسقطت القدس والمنطقة المحيطة بها . وأن اهتمام الملك عبدالله بالقدس كمسلم وهاشمي كان له ما يبرره كما تبين من الرسالة التي بعث بها إلى جلوب باشا وهذا نصها :

« عزيزي جلوب باشا :

إن أهمية القدس في أعين العرب ، مسلمين ومسيحيين معروفة جيداً ، وأي كارثة تحل بعرب القدس على يد اليهود ـ سواء بالقتال أو الطرد من منازلهم ـ سيكون لها أثار سلبية بالغة علينا ، إن الحالة لا تدعو لليأس ولذلك فكل شيء بين أيدينا اليوم يجب أن نحافظ عليه ـ القدس القديمة والطريق إلى أريحا ـ ويمكن إنجاز ذلك باستخدام الاحتياط المتواجد في منطقة رام الله أو بإرسال قوة من الاحتياط العام . أطلب منك تنفيذها هذا الأمر بالسرعة الممكنة . »

(التوقيع) عبدالله

١٨ أيار سنة ١٩٤٨

تنفيذاً لأمر الملك عبدالله أمرت السرية المستقلة الأولى التي كانت محتلة في الطور (جبل الزيتون) في ١٨ أيار أن تدخل القدس القديمة . وقد استطاعت السرية التي لم يتجاوز عددها ١٠٠ مقاتل

أن تدخل المدينة في نفس اليوم ، ولم يساعد وجودها على رفع معنويات المدافعين العرب فحسب بل قامت بطرد عناصر من البالماخ كانت قد دخلت الحي اليهودي من باب النبي داوود (صهيون) ومع ذلك كانت واضحة حاجة المدينة إلى قوات أكبر للدفاع عنها ـ ولا سيما لأنه كان على قوة الدفاع عن المدينة أن تشق طريقها إلى حي الشيخ جراح والمستعمرة الألمانية التي كانت في يد اليهود .

في هذا اليوم الحرج حيث كان مصير المدينة المقدسة معلقاً في الميزان ، اشتبكت الكتيبة ٤ مع العدو في اللطرون واتخذت الكتيبة ١ والكتيبة ٣ مواقعها الدفاعية في قطاع نابلس . وبينما كانت الكتيبة ١ على تماس مع العدو في قلقيلة طلب من اللواء الأول في ١٨ أيار التوجه إلى قطاع القدس ومهاجمة الشيخ جراح مع الفجر وإقامة اتصال مع القوات العربية داخل القدس القديمة . وبنفس الوقت طلب من السرية المستقلة ٨ الموجودة على جبل الطور أن تدخل المدينة لتشارك في الدفاع عنها .

احتلال الشيخ جراح : ١٩ أيار سنة ١٩٤٨

في عملية خاطفة وشجاعة قام رتل من الجيش العربي مؤلف من سرية مشاة وسرية مدرعات وأربع مدافع ٢٥ رطلاً بالتقدم على طريق رام الله ـ القدس في الساعة ٣٤٥ . والهجوم على مراكز العدو في حي الشيخ جراح . وما أن حلت الساعة ٧٣٠ . حتى تم احتلال المركز وتطهيره من القوات اليهودية وفي الساعة ١٤٠٠ استطاعت سرية المدرعات الاتصال مع المدافعين داخل سور القدس القديمة ، بينما استمرت القوة التي احتلت الشيخ جراح وعددها ٣٠٠ مقاتل تحسن وضعها طيلة ليلة ١٩/٢٠ أيار عام ١٩٤٨ .

٢٠ أيـــار

في صباح ٢٠ أيار وصلت سريتان من الكتيبة ١ في قلقيلية لتعزيز قوة الشيخ جراح التي أصبحت ٥٠٠ مقاتل . بينما لم يزد مجموع السريتين ١ و ٨ الموجودتين في القدس القديمة على ٢٠٠ مقاتل .

٢١ أيـــار

مع أن قوة الجيش العربي البسيطة نجحت في احتلال الشيخ جراح وإجهاض الهجوم اليهودي المتوقع على القدس ، ولأن الحاجة كانت تدعو لتعزيزات أخرى لتطهير حي المصرارة الواقع شمال باب العمود وتسيطر عليه مجموعة المباني التي تكوّن كنيسة النوتردام الفرنسية فقد أعطى واجب احتلال حي المصرارة إلى الكتيبة ٣ من اللواء ١ التي كانت احتياطاً في منطقة نابلس ، حيث أبقيت سريتان من الكتيبة في حوارة لتدافع عن مساحة ١٠٠٠ ميل مربع ، وتحرك باقي الكتيبة إلى منطقة التجمع في شعفاط الواقعة على بعد بضعة أميال شمال القدس على الطريق العام (رام الله ـ نابلس) حيث وصلت موقعها في ٢١ أيار سنة ١٩٤٨ .

الجيش العربي الهاشمي
معركة الكتيبة ٣ في كنيسة النوتردام الفرنسية : ٢٢ أيار ـ ٢٤ أيار

في الساعة ٣٥٠ . يوم ٢٢ أيار اجتازت الكتيبة ٣ خط البدء تحت نار العدو المنطلقة من منطقة هداسا والحي اليهودي وتقدمت في أرض مكشوفة باتجاه الشيخ جراح . وقد فقدت بعض سرايا الكتيبة اتجاهها ووقع شيء من الارتباك في صفوفها لأن الجنود لم يكونوا معتادين على القتال في المناطق المبنية . ولكن مع ظهر ذلك اليوم استطاعت السرية ٤ الوصول إلى أسوار القدس الغربية من جهة باب العمود ، بينما اختفت السريتان الثانية والثالثة في شوارع القدس الجديدة التي يلفها الدخان ، وأخيراً وفي الساعة ١٤٠٠ وجدت السريتان وأمرتا بأخذ مراكز دفاعية في العمارات التي تقابل كنيسة النوتردام . وقد مضى على هذه الكتيبة ٢٤ ساعة وهي متحركة (منها ١٢ ساعة قتال) ، فواجهت مقاومة عنيفة وتكبدت خسائر جسيمة ، وقد وصف قائد السرية ٣ الملازم الشجاع عايد أديلم المعركة كما يلي : « كانت معركة عنيفة وشرسة قاتل فيها جنود الكتيبة ببسالة نادرة . ورغم الخسائر الكبيرة فقد كانت معنوياتهم عالية . وذكر ضابط آخر شهد المعركة نفس القصة وأضاف أن بعض الذين كانت جراحهم بسيطة كانوا يخفونها ويقاتلون وهم مستبشرون بالنصر ويغنون الأغاني الوطنية التي تثير النخوة والحماس في قلوب الرجال المتعبين . ولحسن حظ الكتيبة ٣ أن اليهود كانوا منهكين أيضاً لذلك لم يقوموا بأي حركة ليلة ٢٣/٢٢ أيار .

وفي الساعة ١٢٠٠ يوم ٢٣ أيار استأنفت الكتيبة ٣ هجومها على مبنى كنيسة النوتردام لكونها العمارة التي تسيطر على كل المنطقة المحيطة بها ، وأسند الهجوم بمدفعين ٦ رطل مضادين للدبابات و ٤ مدافع هاون ٣ بوصة . ولم يحرز جنود الكتيبة تقدما يذكر في الشوارع الضيقة التي تسيطر عليها أبراج الكنيسة العالية وكلما حاولوا التقدم تعرضت السرايا الأمامية لنار المدافعين الكثيفة من المستشفى الايطالي ـ الفرنسي . وفي الساعة ٧٠٠ . صباح يوم ٢٤ أيار استطاعت السرية ٤ اقتحام عمارة النوتردام ولكنها سرعان ما تراجعت بعد ساعات قليلة تحت ضغط النار الكثيفة والدقيقة التي فتحت عليها . وفي الساعة ١٧٠٠ من نفس اليوم وبعد قتال دام ٣٠ ساعة متواصلة كان نصف الكتيبة إما شهيداً أو جريحاً جراحاً خطيرة . وخاصة السرية ٤ التي منيت بخسائر فادحة حيث فقدت جميع الضباط وضباط الصف فيها ما عدا واحدا . وفي مساء ٢٤ أيار ألغي الهجوم على النوتردام . وقد كتب جلوب باشا الذي ألغى الهجوم يمتدح بسالة الكتيبة ٣ وتضحياتها حيث قال : «خلال أيام المعركة قاتل ضباط وجنود الكتيبة ٣ بشجاعة فائقة وإرادة جبارة وهم مبتسمون ومبتهجون . ورغم التعب والعطش الدائم والجوع أحياناً فقد قاتلوا بطاقة لا تعرف الكلل وعزيمة كالحديد ، ولم تقاتل أي وحدة أفضل منهم » . وقال قائد الكتيبة الأسترالي بل نيومان أن اليهود يشيرون إلى يوم ٢٤ أيار بيوم المذبحة الدامية » .

نتيجة لمعركة النوتردام انخفضت قوة الكتيبة ٣ إلى ٥٠٠ رجل بينما كان ٢٠٠ جندي من السريتين الأولى والثامنة يحتلون أسوار القدس القديمة من باب النبي داوود والقلعة إلى باب العمود الذي أصبح مقر قيادة الكتيبة ٣ . وكما ذكر جلوب باشا ليس خلفهم جندي واحد من القدس إلى عمان .

وهكذا كان على قوة الجيش العربي الفتي ـ بدون احتياط لتعويض الخسائر البشرية والمادية ، والذخيرة المحدودة ـ أن تدافع عن القدس ونابلس والخليل . وقد تعلمت القوات الأردنية درساً جديداً وهو أن لا تهاجم جبهوياً أو هجوماً مباشراً أية نقطة حصينة وخاصة في المناطق المبنية . وهكذا استطاع الجيش العربي أن ينقذ مدينة القدس من السقوط في أيدي العدو وإبقاء الأراضي المقدسة في الأيدي العربية بقوة لا تزيد عن ألف جندي .

في ٢٨ أيار سنة ١٩٤٨ تم احتلال حارة اليهود داخل القدس واستسلام ١٥٠٠ يهودي ، أخذوا أسرى من ضمنهم ٣٠٠ مقاتل من أعضاء البالماخ والهاغانا الذين دخلوا القدس قبل وصول الجيش العربي بقليل . وقد عومل الأسرى من قبل قوات الجيش العربي بالاحترام الذي يفرضه الشرف العسكري والعربي بعكس العصابات الصهيونية المجرمة التي سفكت دماء الشيوخ والنساء والأطفال الأبرياء في دير ياسين واللد والرملة وأماكن أخرى . أولئك اليهود الذين تعرضوا ـ حسب ادعائهم ـ لتعذيب الجستابو الألماني ، فقدوا الإحساس بالمثل الإنسانية وجاءوا ليمارسوا الأساليب النازية نفسها على السكان الأبرياء .

نظراً لتكليف الكتيبة ٣ بمهمة الدفاع عن المدينة المقدسة أصبحت نابلس بدون قوات دفاعية لذلك تم في ٢٢ أيار تكليف القوات العراقية بالدفاع عن قطاع نابلس وتحركت بقية الكتيبة إلى رام الله . وبما أنه كان يوجد فجوة في المنطقة الدفاعية بين القدس واللطرون طولها حوالي ١٦ ميلاً ويقع فيها الطريق الحيوي الذي يمر في قرية أبو غوش التي تشرف على طريق القدس ـ تل أبيب وقرية بدو ثم يتجه إلى رام الله فقد خصصت سرية من الكتيبة ٢ للدفاع عن طريق بدو ـ رام الله الحيوي .

ومن المعالم التعبوية المهمة في المنطقة ، تلة الرادار التي كانت تسيطر على طريق أبو غوش ـ بدو وتقع على بعد ميل واحد جنوب غرب بدو . وفي هجوم خاطف شجاع قامت به سرية من الكتيبة ١ في الساعة ٣٤٥ . يوم ٢٦ أيار استطاعت احتلال الموقع اليهودي المحصن الذي كان يدافع عنه نحو ٧٠-٨٠ يهودياً بلغت خسائر العدو ١٣ قتيلاً مقابل ٣ شهداء و ٢٦ جريحاً في السرية الأردنية . وقد جرح قائد السرية الملازم عبدالله فلاح ومساعدة الملازم سلامة عتيق ، ورفض الملازم عبدالله فلاح أن يرسل للمستشفى وزحف على يديه ورجليه وساقه مكسورة إلى أن وصل موقع العدو وقد كان من بين الشهداء عند انتهاء المعركة . وقام العدو بعدة هجمات مضادة لاستعادة الموقع ولكنه فشل في تحقيق هدفه ومني بخسائر فادحة .

الجيش العربي الهاشمي

معركة اللطرون الأولى : ٢٥ أيار ـ ١١ حزيران سنة ١٩٤٨

عندما توقف التقدم الاسرائيلي على القدس وأغلقت الطريق على قوافل الإمداد القادمة من تل أبيب ، حول العدو جهده الرئيسي لاحتلال اللطرون وفتح الطريق إلى القدس . كانت اللطرون تسيطر على الطريق العام وتبعد ١٥ ميلاً غرب القدس وحوالي ٢٠ ميلاً شرق تل أبيب وقد احتلتها الكتيبة ٤ يوم ٢٢ أيار في الوقت الذي كانت فيه معركة القدس على أشدها . خسر اليهود في معاركهم اليائسة لاحتلال اللطرون عام ١٩٤٨ نحو ١٣٠٠ قتيل وجريح ، ومع ذلك بقيت اللطرون في يد الجيش العربي حتى الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ .

قام لواء الهاغانا ٧ بأول هجوم على مواقع الكتيبة ٤ في اللطرون ولكنه صد وتكبد خسائر بلغت ٤٠٠ قتيل معظمهم من الجنود المهاجرين ، وقد أسند الهجوم بقصف شديد وكثيف من مدافع الهاون ٣ بوصة التي تصنع مع ذخيرتها محلياً في اسرائيل . كما استمرت الهجمات اليهودية على اللطرون حتى ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ إلا أنها فشلت جميعها وبقيت الكتيبة الرابعة التي سميت «الرابحة» صامدة بقيادة قائدها الشجاع المقدم حابس المجالي . وكان لمدفعية الجيش العربي دور حاسم في تحطيم الهجمات اليهودية وإيقاع الخسائر في قواتهم . وإذا كان العدو قد خسر في معركة اللطرون الأولى ما يزيد على ٤٠٠ قتيل وبلغت خسائره في اللطرون بين أيار وتموز عام ١٩٤٨ حوالي ١٣٠٠ قتيل وجريح ، وإذا علمنا أن خسائره في حرب حزيران أقل من ٧٠٠ قتيل أدركنا بسالة الجيش العربي في معارك اللطرون وباب الواد وإصرار العدو على استعادتها في ذلك الوقت .

وما أن حل الأول من حزيران حتى فقد التعرض العربي المشترك قدرته وتلاشى اندفاعه تدريجياً . فقد توقف المصريون على الخط العام : أسدود ـ بيت جبرين ، كما توقف العراقيون على خط: جنين ـ طولكرم ـ قلقيلية ، أما السوريون واللبنانيون فلم يتحركوا للأمام بعد التقدم البسيط داخل الحدود ، بينما كان الجيش العربي في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ يحتفظ بالقدس القديمة واللطرون ويدافع عن جبهة طولها ٧٠ ميلاً بأربع كتائب مشاة خسرت ٢٥٪ من قوتها القتالية حتى ذلك التاريخ وفي ٩ جزيران احتلت السرية المستقلة ٥ الرملة .

في ٣٠ أيار ٤٨ سحبت بريطانيا جميع الضباط الأنجليز العاملين في صفوف الجيش العربي تمشياً مع قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ أيار ١٩٤٨ . ففي هذه العملية خرج من الجيش قائدا اللوائين ، وجميع الضباط في هيئة ركن العمليات وثلاثة من أربعة قادة كتائب ، وجميع الضباط الأنجليز العاملين في المدفعية .

كان معظم القادة والضباط في الجيش العربي انجليزاً ، ومع ذلك فان خروجهم لم يثبط عزيمة القوات الفتية أو يضعف روحها المعنوية فكان قتال الجيش العربي في المعارك الأولى من الجولة الثانية التي ابتدأت في ٩ تموز سنة ١٩٤٨ بعد الهدنة الأولى رائعاً وقد أكد الاسرائيليون مراراً كفاءة

الجيش العربي القتالية وشجاعة وثبات رجاله كما أكد جلوب باشا هذه الحقيقة في مذكراته عن الحرب عندما قال :

« أثبت الجيش العربي أنه سيد الميدان في المعارك التي أتيحت له فرصة الاشتراك بها في فلسطين ، فلم يفقد موقعاً ولم يتراجع أبداً . والفشل الوحيد الذي مني به كان في محاولة احتلال كنيسة النوتردام في القدس ، وقد قمت بنفسي بإلغاء الهجوم لمنع مزيد من الخسائر » .

الهدنة الأولى وإعادة تنظيم الجيش العربي والقوات الاسرائيلية المسلحة

في الساعة ٦٠٠ . يوم ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ ابتدأت الهدنة الأولى بإشراف الضابط السويدي الكونت فولك برنادوت أحد أفراد العائلة المالكة السويدية الذي عين من قبل الأمم المتحدة وسيطاً دولياً في فلسطين اعتباراً من ٢٩ أيار وقد جاءت الهدنة إنقاذاً للأطراف المتحاربة ، بعد ٢٧ يوماً من القتال المستمر الذي أنهك القوات العربية والقوات اليهودية النظامية وغير النظامية .

حقق التعرض العربي الأولي نجاحاً ملموساً باحتلال بعض المناطق في النقب والخليل وجزءاً من الجليل والقدس القديمة . فقد وصل الجيش المصري إلى بعد ٢٥ ميلاً عن تل أبيب وسيطرت قوات الجيش العربي والعراقي على القطاع الأوسط من فلسطين ومنطقة نابلس . أما الاسرائيليون فقد بقوا في الشريط الساحلي الضيق وسهل مرج بن عامر ومعظم الجليل ، كما كانت مواقع العراقيين في قلقيلية وطولكرم لاتبعد أكثر من ١٢ ميلاً عن ساحل البحر الأبيض المتوسط وتهدد بقطع الطريق الاستراتيجي حيفا ـ تل أبيب على بعد ٦ أميال من المواقع العراقية المتقدمة . المهم أن العمليات العربية لم تؤثر فعلياً في قوة العدو الاسرائيلي المؤلفة من البالماخ والهاغانا باستثناء معركة اللطرون التي تكبد فيها اللواء ٧ الاسرائيلي خسائر جسيمة ، ومعركة القدس القديمة التي خسر فيها اليهود ٣٠٠ قتيل . وكانت الخسائر الاسرائيلية بالمعنى العملياتي لا تذكر . وقد كلف الفشل في تحطيم الجيش الاسرائيلي في الجولة الأولى العرب ثمناً باهظاً . حيث قامت القيادة السياسية والعسكرية المركزية اليهودية بإعادة بناء القوات من جديد استعداداً للجولة الثانية وكانت الهدنة الأولى نقطة تحول كبير في تاريخ اليهود السياسي والعسكري بعد أن أفلتوا من الصنارة العربية واستعادوا زمام المبادأة في ٩ تموز سنة ١٩٤٨ وبقيت بأيديهم طيلة ٢٥ عاماً إلى أن انتزعها التعرض الاستراتيجي المصري ـ السوري في المراحل الأولى من حرب ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣ .

إعـادة تجميـع الجيش العربـي

قرر جلوب باشا الاستفادة من فترة توقف القتال ، فطلب من رئيس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى رصد مبلغ من المال فوراً من أجل توسيع الجيش العربي وشراء أسلحة وذخيرة ومعدات ، إلا أن طلبه رفض حسب رواية جلوب باشا ـ وأكد له توفيق باشا أبو الهدى أنه لن يكون هناك مزيد من

القتال حسب اتفاق الأخير مع النقراشي باشا (رئيس وزراء مصر) وأضاف أبو الهدى : « إذا اتفقنا ـ يقصد هو والنقراشي ـ فإننا قادرون على إقناع البقية » . وهكذا ضاع شهر الهدنة سدى بغض النظر عن بعض أعمال إعادة التجميع الداخلية .

وخلال فترة الهدوء النسبي تلك تم تجميع سرايا الحاميات المستقلة الست لتشكيل الكتيبتين ٥ و ٦ منها فأصبحت السرايا المستقلة الثلاث الموجودة داخل القدس القديمة من ملاك الكتيبة ٦ التي أصبحت مسؤوليتها الدفاع عن المدينة المقدسة وكان جلوب باشا ينظر بشيء من الخوف إلى استئناف القتال مع القوات الاسرائيلية التي تضاعفت قوتها بسرعة خلال تلك الفترة .

ومع قرب انتهاء الهدنة اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة وقد مثل الأردن في هذا الاجتماع رئيس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى وبصحبته نائب رئيس هيئة الأركان الأردني اللواء عبد القادر باشا الجندي . وطبقاً لأقوال توفيق باشا أبو الهدى وخلافاً لتوصية رؤساء الأركان العرب ، أصر النقراشي باشا على استمرار القتال . وكانت الغاية من هذا القرار المذهل كسب الشعبية السياسية فقط . ولكن نظراً لحالة الجيوش العربية السيئة ، تقرر اعتماد الدفاع بدل الهجوم ، لهذا كان القرار باستئناف القتال مجرد عمل سياسي لإقناع الشعب المصري خاصة بأن الجيش قد حقق انتصارات واسعة في الجولة الأولى وأن النصر في متناول الأيدي وأن تحرير الوطن المغتصب أصبح قاب قوسين أو أدنى . وقد أكد جلوب باشا بأنه قد تمت التضحية بمصير عرب فلسطين على مذبح السياسة المصرية ورغم أن حكم جلوب باشا عليهم قاس إلا أنه صحيح أيضاً .

عمليات اسرائيل العسكرية وإعادة تنظيم قواتها المسلحة : سنة ١٩٤٨

عملية داني (Dani) ومعركة اللطرون الثانية : ٩-١٨ تموز

خارطة ٢٠ كان هدف عملية داني محدداً وواضحاً وهو تطهير قطاع فلسطين الأوسط من الجيش العربي وفتح الطريق الرئيسي القدس ـ تل أبيب . رغم أنه تم بناء طريق جانبي خلال الهدنة سمي «طريق بورما» لتجاوز منطقة اللطرون الحصينة مؤقتاً . وقد جمع للعملية خمسة ألوية ـ كان أحدها لواء إسحق صاده المدرع ٨ وكتيبة قوات خاصة بقيادة موشي ديان وضعت جميعها تحت قيادة ايغال آلون ضابط البالماخ الذي أثبت جدارة عالية كأفضل قائد في ميدان المعركة بين زملائه وقد عين لقيادة عملية داني بعد أن نجح في احتلال الجليل في عمليات سابقة .

كان يقابل قوات آلون المؤلفة من خمسة ألوية اللواء الأردني ١ المؤلف من كتيبتي مشاة ٢ و ٤ . كما كانت قوات آلون تضم ثلاثة من نخبة ألوية قوات البالماخ اليهودية هي : يفتاح وهاري إيل وهاينجيف . وكان يقود لواء هاري إيل إسحق رابين الذي أصبح رئيساً للأركان ورئيساً لوزراء

اسرائيل بعد غولدا مائيير . ولأول مرة منذ بدء الحرب يقوم سلاح الجو الاسرائيلي الجديد بإسناد قوات آلون .

كانت مواقع اللواء ٣ التعبوية في اللطرون صعبة لوجود فجوة (طولها ١٥ ميلاً) تفصلها عن مواقع القوات العراقية في مجدل يابا . وكان يقع في هذه الفجوة مدينتا اللد والرملة اللتان كانتا صادمتين بأيدي سكانها العرب يساعدهم مجموعة من المتطوعين الأردنيين . وتقع مدينتا اللد والرملة في السهل الساحلي المنبسط ويصعب الدفاع عنهما من ناحية تعبوية ، حيث يمكن لأي قوة متحركة أن تتجاوزهما وتحيط بهما . وتسيطر عليهما سفوح مرتفعات القدس التي تبعد ٥ أميال إلى الشرق وعلى الخط المار بقرى : بيت سيرا ـ قبية ـ رنتيس .

كان تصور ايغال آلون لعملية داني الهجوم بقواته على مرحلتين . في المرحلة الأولى يتم احتلال مدينتي اللد والرملة بمناورة إحاطة مزدوجة تفصلهما عن القوات العراقية ودفاعات اللواء الأردني وفي المرحلة الثانية يوجه الجهد الرئيسي لاحتلال اللطرون من ثلاثة اتجاهات : طريق تل أبيب ـ القدس ، طريق غزة ـ اللطرون ، ومن الخلف طريق القدس ـ اللطرون . مع هذه الاتجاهات الثلاثة: الشمال الغربي والجنوب الغربي والشرق يشن هجوم تثبيت يتجاوز اللطرون من الشمال على محور بيت سيرا ـ قلنديا ـ القدس ، وتكون قاعدته خربثا شمالاً وبيت سيرا في الجنوب ، وهكذا بالجهد الرئيسي يتم الإحاطة باللواء ٣ وإبادته وبجهد ثانوي يتم تأمين اللد والرملة . وفي نظر الاسرائيليين لم تكن الخطة صعبة أو طموحة حيث أن القوة الاسرائيلية تتفوق على قوة اللواء الأردني في اللطرون البالغة ١٢٠٠ مقاتل بنسبة ٥ : ١ .

بدأت المرحلة الأولى لعملية داني الساعة ١٣٠٠ يوم ٩ تموز بمناورة إحاطة مزدوجة نفذها لواءان اسرائيليان ، فقد تقدم اللواء الشمالي من وهلمينا التي تقع على بعد ١٠ أميال شرق تل أبيب ، إلى مستعمرة بن شيمن وجمزو بينما تقدم اللواء الجنوبي على محور عنابة ـ جمزو . وتقع قرية جمزو العربية على بعد ٥ أميال شرق الرملة وحوالي ٧ أميال غرب اللطرون . وبعد ٢٤ ساعة أي في الساعة ١٣٠٠ من اليوم التالي ١٠ تموز استطاع لواء البالماخ الدخول إلى قرية عنابة من الجنوب وفي نفس الوقت تمكن لواء البالماخ المتقدم من الشمال احتلال وهلمينا ومطار اللد . وعندما احتل الرتل الجنوبي جمزو كان الرتل الشمالي قد احتل العباسية وباطباق الكماشة في جمزو تم فصل مدينتي اللد والرملة عن القوات العراقية في مجدل يابا واللواء الأردني ٣ في اللطرون .

وللاحتفاظ بتوازن الموقف في منطقة مجدل يابا ـ اللطرون تم تحريك الكتيبة ١ من منطقة النبي صموئيل وتلة الرادار إلى بيت نبالا الواقعة على بعد ٣ أميال شمال شرق اللد . وقد وصلت الكتيبة موقعها الساعة ١٥٠٠ يوم ١٠ تموز وحلت محلها الكتيبة ٥ ، ثم انتقلت الكتيبة ١ فيما بعد إلى دير طريف .

كانت السرية المستقلة ٥ تدافع عن اللد والرملة قبل يومين من انتهاء الهدنة ، وفي ٩ تموز

تعرضت للهجوم الاسرائيلي في مركز شرطة اللد وكانت قوة الهجوم مؤلفة من لوائين يتقدمان على المحور الشرقي . وقد استطاع جنود السرية صد الهجوم الاسرائيلي الأولي وتدمير ٤ مدرعات . وقد قال جلوب باشا ثانية :

« خلال يومين عاشتهما اللد والرملة أثناء الهجوم الاسرائيلي عليهما ونداءات الإغاثة التي تمزق القلوب تنصب علينا كما حدث في معارك القدس من ١٥-٢٠ أيار . ولكن أي قائد يستطيع أن يرسل قوة إلى اللد والرملة في وضع ميئوس منه لاسيما وقوتنا لاتسمح بذلك؟ ومهما أرسلت من قوة فإن النتيجة ستكون كارثة محققة ، فلست نابليون لأجازف ولكن على القائد ان يتصرف بعقله لا بعواطفه » .

وكان جلوب باشا مصيباً من الناحية التعبوية . فلو أرسلت كتيبة من الكتيبتين اللتين تدافعان عن اللطرون لنجدة اللد لكان من السهل جداً على قوات آلون تدمير الكتيبتين المنعزلتين ، وبتدمير اللواء ٣ ينهار خط الدفاع الممتد بين مجدل يابا ـ رام الله ـ القدس واللطرون وتسقط الجبهة الوسطى بما فيها مدينة القدس . لقد كان قرار الدفاع عن اللطرون بكتيبتين وعدم إرسال إحداهما لنجدة اللد من أصعب القرارات الحساسة التي يكون القائد مجبراً على اتخاذها في الحرب وهو يعلم المؤثرات السياسية على سير العمليات التعبوية والتي تعيقها عادة .

في هذه المرحلة من المعركة كان اهتمام جلوب باشا مركزاً على المنطقة المكشوفة في جبهة بيت نبالا ـ بيت سيرا . وقد أمرت الفرقة ١ بتأسيس مواقع دفاعية على خط عمواس ـ سلبيت ـ جمزو ـ حديثة . ولكن للنقص الشديد في القوات فكل ما استطاع عمله قائد اللواء ٣ هو إرسال دورية مقاتلة إلى جمزو في ١١ تموز ، استطاعت طرد القوة الاسرائيلية من القرية ، ولكن عند انسحاب الدورية عادت قوات العدو إليها ثانية .

في الوقت الذي كانت الكتيبة ١ مشتبكة مع العدو في معركة حامية في دير طريف . قام الملازم حمد عبدالله أبو دخينة على رأس مجموعة من المدرعات بالتقدم على بن شمن وطرد القوات الاسرائيلية منها والاندفاع نحو مواقع العدو المحصنة إلى أن وصل مشارف مدينة اللد وقد أوقع في قوات العدو بعض الخسائر ولما اكتشفت القوة الاسرائيلية أن مجموعة حمد غير مسندة حاولت الإحاطة بها ولكنه استطاع كسر الطوق والتراجع إلى مواقع الكتيبة . وقد كان استطلاع حمد مفيداً حيث اكتشف وجود لوائين اسرائيليين على الأقل في منطقة اللد .

وفي ليلة ١٢/١١ تموز ١٩٤٨ أمرت السرية الخامسة المستقلة بالتسلل من مواقعها في مركز شرطة اللد والانتقال إلى موقع دفاعي في بيت سيرا . وفي ١٢ تموز أكمل اليهود احتلال اللد والرملة الذي نتج عنه انتشار الخوف والرعب بين السكان وأدى إلى تشريد ٣٠,٠٠٠ مواطن عربي مدني معظمهم من النساء والأطفال فروا عبر السهل بدون ماء وتحت شمس تموز الحارقة إلى المناطق التي يدافع عنها الجيش العربي . وقد روى الناجون أن اليهود الألمان كانوا أكثر القوات الاسرائيلية عنفاً

ووحشية وهم أولئك الذين قدموا حديثاً من معسكرات الاعتقال النازية . استمر القتال في دير طريف يوم ١٢ تموز حيث دمرت الكتيبة ١ ثلاث مدرعات اسرائيلية ، وبعد أن احتلت القوات الاسرائيلية اللد والرملة وحسنت مواقعها هناك بدأ ايغال آلون تنفيذ المرحلة الثانية من عملية داني مستخدماً الجهد الرئيسي للإحاطة باللطرون من جهة الشمال وباحتلال بيت نوبا وبيت سيرا وبذلك يتم عزل اللطرون عن رام الله وفتح طريق ـ رام الله ـ نابلس .

لمواجهة الهجوم الاسرائيلي المتوقع أعاد قائد اللواء ٣ توزيع قواته كما يلي :

قاطع اللطرون	قاطع بيت سيرا
قيادة اللواء ٣	سريتان من الكتيبة ٢
الكتيبة ٤	سرية المشاة المستقلة ٥
الكتيبة ٢ ناقص سريتين	

بالإضافة لعناصر من اللواء ٣ التي تدافع في قاطع العمليات ، كانت هناك سرية من الكتيبة ٥ تحتل تلة الرادار على طريق اللطرون ـ بدو ، بينما كانت الكتيبة تقاتل في قطاع ـ قبية ـ بيت نبالا .

في ١٥ تموز عام ١٩٤٨ واصلت ألوية البالماخ تقدمها من اللد على طريق جمزو وفي صباح ١٦ تموز هاجمت واحتلت منطقة البرج وبئر إماعين . وبعد ظهر اليوم نفسه قامت الكتيبة ٢ بهجوم معاكس وتمكنت من طرد قوة البالماخ من البرج . وقد قال ضابط بريطاني كان مع الكتيبة يصف المعركة : « تقدم الجنود بهدوء وثبات من خط البدء إلى الهدف وبتصميم لم أر مثله في حياتي ـ وتحت نار معادية كثيفة تماماً كالهجومات الأوروبية ، ونفذت الهجوم السريتان ٢ و ٣ من الكتيبة ٢ من الجيش العربي بينما تقدمته فئة مدرعات بقيادة حمدان البلوي الذي اندفع إلى البرج على رأس قوته بشجاعة المحارب البدوي الشهم ، فدمرت مدرعته بإصابة مباشرة من قذيفة اسرائيلية مضادة للدبابات وقد أزيلت قطع الشظايا من جسده . ونظراً لقلة جنود المشاة أجبرت القوة على الانسحاب من البرج بعد قيام العدو بهجوم معاكس جديد مساء ١٦ تموز والتراجع إلى مثلث بيت سيرا .

في الوقت الذي كانت تجري فيه معركة البرج وإماعين يوم ١٦ تموز كانت الكتيبة ١ تقاتل في معركة أخرى مستقلة ضد القوات الاسرائيلية التي حاولت إجبارها على التراجع من قولة بعيداً عن معركة مثلث بيت سيرا الذي تحتفظ به بقية من سريتين من الكتيبة ٢ والسرية المستقلة ٥ .

في هذه الفترة شن اللواء ١ هجوماً في منطقة القدس استمر من الساعة ٦٠٠ . إلى الساعة ١٢٠٠ يوم ١٦ تموز وكان الهدف يمتد من حي المصرارة إلى الحي اليهودي (مشيرم) في القدس الجديدة . وطبقاً لما أورده جلوب باشا أبدت الكتيبة ٣ بسالة عظيمة وأحبطت هجوماً اسرائيلياً مدبراً .

الجيش العربي الهاشمي

في ١٧ تموز ساد جو الهدوء ساحات القتال ، وفرضت هدنة جديدة كان المفروض أن تبدأ (حسب اتفاق أطراف النزاع) الساعة ١٧٠٠ يوم ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ إلا أن قوات البالماخ شنت هجوما مركزاً على جبهة اللواء ٣ في بيت سيرا ـ صفا صباح يوم ١٨ تموز . وقد صد الهجوم بفضل مفرزة من الكتيبة ١ تحركت جنوباً من خربتا والمقاومة العنيفة التي أبدتها السرية ٥ المستقلة في مثلث بيت سيرا . وتكبد العدو في هذه المعركة خسائر جسيمة ، وتراجع إلى منطقة البرج وبير إماعين تاركاً قتلاه على أرض المعركة ، وهكذا فشلت عملية تطويق اللطرون من الشمال .

وفي ١٨ تموز قامت قوة قتال آلون بمحاولة أخيرة ويائسة لاحتلال اللطرون الذي كان الهدف الرئيسي لعملية داني وقد نفذ العملية لواءان من البالماخ يعتقد أنهما يفتاح وهاينجيف يساندهما ٥ دبابات و ١٠ حاملات رشاش برن وعدد من السيارات نصف مجنزرة . وقد بدأ الهجوم باشتباك بين الدبابات الخمس والمدفع الوحيد (٦ رطل) الذي ركزته الكتيبة ٢ على سطح مركز شرطة اللطرون . وقد تمكنت المفرزة الأردنية ـ التي صعدت إلى سطح المركز ـ من تدمير المدرعات اليهودية وقتل من فيها بعد أن استشهد معظم أفراد المفرزة ونجا قائدها الملازم عبد الحميد عبد النبي المعايطة من الموت في اليوم الأول ولكنه استشهد برصاص العدو وهو يشرح تفاصيل المعركة لقائده في اليوم التالي . فشلت المرحلة الثانية من عملية داني التي خطط لها آلون وهكذا استطاع مدفع واحد وأقل من سرية مشاة أردنية تدمير دبابات العدو وإحباط هجوم . نفذتها خمسة ألوية من خيرة القوات الاسرائيلية . وكانت أعمال الجيش العربي موضع تقدير وإطراء وكان للملك عبدالله الحق في أن يفخر بالجيش العربي الهاشمي الذي يحمل بذور الثورة العربية الكبرى .

عملية دكل (Dekel) : الجليل الأوسط ٩-١١ تموز

في الشمال ، نفذت القوات الاسرائيلية عملية دكل في ٩ تموز سنة ١٩٤٨ بهدف انتزاع الجليل الأوسط من قوات جيش الإنقاذ العربي . وفي تموز سقطت كل المنطقة في أيدي القوات الاسرائيلية التي احتلت الناصرة خلال العملية .

أما في الجنوب فقد أجبر الجيش المصري على اتخاذ وضعية الدفاع كما حصل للعراقيين والسوريين واللبنانيين في نابلس والجليل . وبما أنه لم يقم أي جيش عربي بالتعرض بعد استئناف القتال في ٩ تموز ، لذلك ركزت القوات الاسرائيلية جهدها الرئيسي ضد الجيش العربي في الجبهة الوسطى من فلسطين . وأدرك الاسرائيليون بوضوح افتقار الجيوش العربية للتعاون والتنسيق . وعندما أعلنت الهدنة الثانية في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ كانت القوة الاسرائيلية التي تبلغ نحو ٦٥,٠٠٠ مقاتل (عدا ما يزيد على ٣٥,٠٠٠ مقاتل من حرس المستعمرات) قد انتزعت زمام المبادأة الاستراتيجية من العرب واستعدت لضرب الجيوش العربية التي أصبحت مرهقة ومعنوياتها منخفضة ، وأثبتت الأحداث أن استراتيجية الدفاع الثابت التي أملتها الاعتبارات السياسية كانت

كارثة على الأمة العربية . وفي ١٩ تموز كانت نابلس والقدس والخليل والنقب في أيدي القوات العراقية والجيش العربي والجيش المصري وما تبقى من فلسطين أصبح في أيدي الاسرائيليين .

أما في النقب فقد بقيت المستعمرات اليهودية صامدة خلف خطوط الجيش المصري أشبه بخط ماجينو الذي كان يمتد من المجدل على ساحل البحر الأبيض المتوسط في الغرب عبر بيت جبرين ـ ٢٠ ميلاً جنوب اللطرون ـ إلى الخليل . بالنسبة للقوات الاسرائيلية ورغم قبول الهدنة فإن نهاية الحرب مع العرب لا تزال بعيدة فقد تقيدت الجيوش العربية بالهدنة بعكس اسرائيل التي بقيت مستمرة في حربها غير المعلنة ، وبينما بقيت الجيوش العربية تنتظر من تموز إلى تشرين الأول سنة ١٩٤٨ ، بدأ الجيش الاسرائيلي سلسلة من العمليات التعرضية الجديدة في ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٤٨ كان أولها عملية يوآف (Yoav) وانتهت بعملية أوفداه (Uvdah) في ٦ آذار سنة ١٩٤٩ التي نتج عنها احتلال اسرائيل لمنطقة النقب بأكملها .

إعادة تنظيم القوات الاسرائيلية : تموز سنة ١٩٤٨

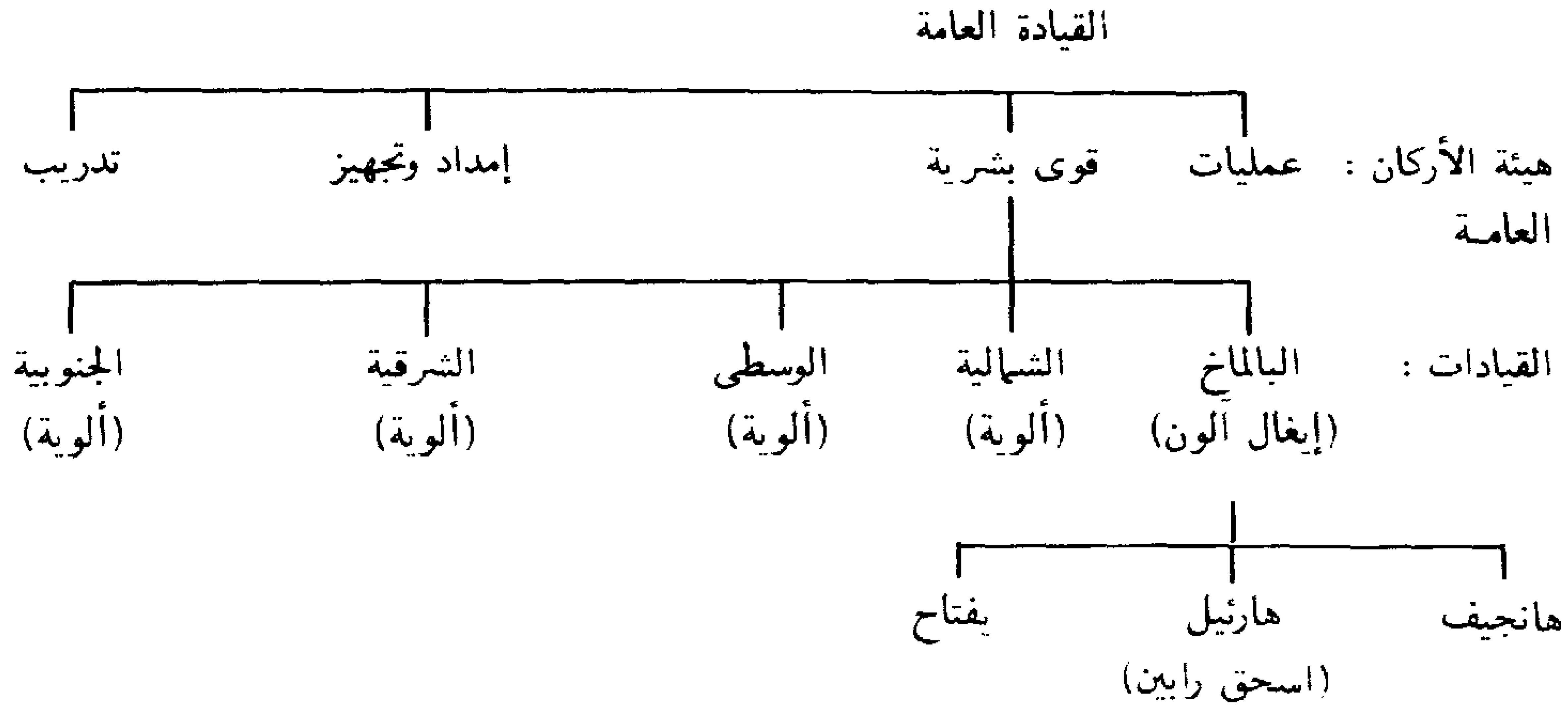
خارطة ٢١

بعد أن نجحت القوات الاسرائيلية في اجتياز أول محنة تعترض وجودها ، بدأت في إعادة تنظيم ودمج الوحدات المتباينة والمستقلة في تشكيل واحد . ففي ٢٩ أيار عام ١٩٤٨ حلت جميع القيادات الشعبية والفرعية وانضمت جميع القوات تحت سلطة وطنية واحدة بما فيها عصابات الأرغون التي سرح أعضاؤها وانضموا للقوات الاسرائيلية المسلحة . كما تأسست نواة لسلاح الجو والبحرية .

وبعد الهدنة الأولى مباشرة عقد اجتماع في تل أبيب برئاسة رئيس هيئة الأركان ياكوف دوري وحضره بن غوريون ونائبه اسرائيل جاليلي حيث تقرر في هذا الاجتماع تأسيس قيادات (عمليات) أمامية في كل جبهة وتعيين قادة مجموعات قتال للسيطرة على وحدات القتال (لأكثر من لواء) في ميدان المعركة . وبالإضافة للتغيير الذي طرأ على هيكل القيادات التعبوية فقد تم شراء كميات كبيرة من الدبابات والمدفعية ومعدات أخرى من الدول الشيوعية ، في الوقت الذي استمر فيه إنتاج الأسلحة الخفيفة وأسلحة ضد الدروع والأسلحة المتوسطة مثل الهاون ٣ بوصة وذخيرتها بدون توقف . وقد سجل بن غوريون في ١٥ حزيران سنة ١٩٤٨ وصول عشرة مدافع ٧٥ ملم وعشر دبابات خفيفة مع مدافع ٣٧ ملم وعشرين مدفع ٦٥ ملم و ٤ مدافع اتوماتيكية ٢٠ ملم . وهكذا تم اللحاق بالجيوش العربية على مستوى الأسلحة الثقيلة بسرعة . وأما الطاقة البشرية فقد استطاعت القوات الاسرائيلية ايجاد احتياط مناسب اعتماداً على خطة التعبئة العامة التي تستمد قوتها من سيل المهاجرين المتدفق من معسكرات الاعتقال في أوروبا وقبرص .

ونتيجة إعادة النظر في تنظيم القوات الاسرائيلية تقرر تشكيل ١٢ لواء . منها ثلاثة ألوية بالماخ ولواء مدرع وثماني ألوية مشاة . كما تم تنظيم قيادة الجيش (رئاسة الأركان العامة) وقيادات المناطق على النحو التالي :

الجيش العربي الهاشمي



بموجب هذا التنظيم ألغيت قيادات مجموعات القتال لإدارة العمليات المستقلة واستبدلت بالتنظيم الجديد الذي قسمت بموجبه الأرض المحتلة إلى مناطق ترتبط مباشرة بالقيادة العامة (رئاسة الأركان) ويجمع لكل منطقة عدد من الألوية حسب المهام الموكولة إليها وطبيعة التهديد الذي يواجهها .

وبسبب تفكك الجيوش العربية وتفرقها وإجبارها على تبني استراتيجية الدفاع الثابت تحولت اسرائيل إلى التعرض الاستراتيجي في الأسبوع الثاني من تموز عام ١٩٤٨ وقامت بهجومين واسعي النطاق هما : عملية داني (Dani) وهدفها احتلال اللد والرملة وطرد الجيش العربي من اللطرون وفتح طريق القدس ـ تل أبيب . وعملية دكل (Dekel) وهدفها تطهير الجليل في الشمال من جيش الإنقاذ العربي .

وعندما استؤنف القتال في ٩ تموز انتزع الجيش الاسرائيلي زمام المبادأة الاستراتيجية من الجيوش العربية واحتفظ بها طيلة الحرب وحتى كانون الثاني سنة ١٩٤٩ رغم فشله في بعض المعارك التعبوية المحلية ضد قوات الجيش العربي في القدس واللطرون .

وبحلول شهر تشرين الأول عام ١٩٤٨ ارتفعت قوة الجيش الاسرائيلي الكلية إلى ٨٠,٠٠٠ رجل وامرأة ، عدا عن حرس المستعمرات . وقد بذلت جهود مضنية خلال ثلاثة أشهر الهدنة (من أيار إلى تشرين الأول) لتزويد الجيش بالأسلحة والمدفعية والطائرات من المصادر الخارجية وبأسرع ما يمكن ولذلك وفي منتصف تشرين الأول سنة ١٩٤٨ كانت القوات الاسرائيلية مستعدة لضرب الجيش المصري في الجنوب .

وفي الأول من تشرين الأول سنة ١٩٤٨ تقريباً وقبل التعرض اليهودي في النقب كانت القوات اليهودية والقوات العربية المشتركة كما يلي :

الحرب في فلسطين : سنة ١٩٤٧ ـ سنة ١٩٤٩

القوات اليهودية المسلحة	الجيوش العربية المشتركة
١٢٠,٠٠٠ وتشكل البالماخ وميليشيا قوات الميدان ووحدات حرس المدن والمستعمرات وأعضاء الأرغون وشتيرن الذين انضموا للهاغانا .	(١) مصر ـ ٣ ألوية ١٥,٠٠٠ (٢) الأردن ـ لواءان ١٠,٠٠٠ (٣) العراق ـ لواءان ١٥,٠٠٠ (٤) سوريا ـ لواء واحد ٨,٠٠٠ (٥) لبنان ـ مجموعة كتيبة ٢,٠٠٠ (٦) السعودية ـ كتيبة واحدة ٧٠٠ (٧) جيش الإنقاذ ٥,٠٠٠
١٢٠,٠٠٠ اسرائيلي	المجموع ٥٥,٧٠٠ عربي

من المقارنة بين قوات الطرفين يتبين زيف الدعاية التي أطلقتها أبواق الدعاية اليهودية والغربية والتي زعمت كيف أن جيشاً ناشئاً صغيراً (الجيش الاسرائيلي) قاتل ضد الجيوش العربية المتفوقة في العدد والعدة ، وضربوا مثلاً بداوود الذي قاتل سبعة في قوة جوليات . فالجيش الاسرائيلي الذي وجد في ميدان المعركة كان متفوقاً في معظم النواحي ، ولكن هذا لم يكن مبرراً للحكومات العربية والجامعة العربية التي لم تعد للحرب مع اليهود منذ عام ١٩٤٧ عندما كانت تعلم أن هذه الحرب باتت وشيكة الوقوع .

عملية يوآف (Yoav) لإنقاذ مستعمرات النقب : ١٥-٢٢ تشرين الأول عام ١٩٤٨

كانت عملية يوآف أول هجوم منسق ومسند من الجو والبحر تشنه القوات اليهودية بعد مرحلة إعادة التنظيم ـ بقيادة إيغال آلون .

كان هدف العملية إنقاذ المستعمرات الصهيونية في النقب وتدمير الجيش المصري هناك وقد استخدمت القوات اليهودية الضفادع البشرية من البحرية والقوات الخاصة للقيام بأعمال التخريب خلف خطوط العدو . كما سبقت عملية الهجوم بقصف تمهيدي من سلاح الجو والمدفعية .

كانت قوات الطرفين متعادلة من حيث العدد (نحو ١٥٠٠٠) إلا أن القوات الصهيونية تمتلك زمام المبادأة وحرية الحركة بعكس القوات المصرية التي لجأت للدفاع الثابت .

ورغم المقاومة العنيفة التي أبدتها القوات المصرية فقد نجحت القوات المعادية في اختراق دفاعاتها والاستيلاء على عراق المنشية وتقاطع الطرق في الحليقات . كما تم الهجوم على بئر السبع واحتلالها وإنقاذ المستعمرات اليهودية ومحاصرة لواء مصري في الفالوجة بقيادة العميد السيد طه الملقب بالضبع الأسود .

ومع ذلك فشلت القوات الصهيونية في تدمير الجيش المصري رغم إصابته بضربة شديدة . وباحتلال بئر السبع تمكنت القوات اليهودية من قطع الاتصال بين الجيش العربي الأردني والمصري .

الجيش العربي الهاشمي

لم تكن تتوفر معلومات فورية لدى قيادة الجيش العربي عن حجم الكارثة التي حلت بالقوات المصرية في النقب. وعندما بدأت الأنباء تصل تباعاً كان القلق واضحاً من فقدان جنوب فلسطين. وقد ازداد التوتر لدى نجاح قوة آلون في الوصول إلى خط بيت جبرين - ١٥ ميلاً غرب الخليل - واحتمال مواصلة التقدم الاسرائيلي باتجاه الخليل - بيت لحم. وهكذا تم تجهيز رتل أردني مؤلف من سريتي مشاة وسرية مدرعات وأعطي واجب تأمين الخليل ضد أي تقدم اسرائيلي محتمل. وفي ٢٠ تشرين الأول وعندما أصبح الموقف المصري العسكري واضحاً كان على الجيش العربي أن يختار أحد أمرين: التعرض في القدس واللطرون أو تأمين بين لحم والخليل.

وقد اختير الأمر الثاني وتم إعداد ٣٥٠ جندياً وضابطاً للدخول إلى بيت لحم والخليل وتأمينهما قبل ٢٢ تشرين الأول حيث يوضع قرار وقف إطلاق النار الذي فرضته الأمم المتحدة موضع التنفيذ.

وفي ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٨ اجتمع رؤساء الحكومات العربية وممثلوها في عمان لمناقشة أفضل السبل لمساعدة الجيش المصري المحاصر. ومن بين الذين حضروا المؤتمر رئيس وزراء مصر النقراشي باشا ورئيس الوزراء السوري جميل مردم ورئيس الأركان العراقي صالح صائب، وقد اتفق المجتمعون على ما يلي: في ضوء أي اعتداء اسرائيلي جديد - بعد قبول وقف إطلاق النار - على القوات السورية أن تندفع بين الحولة وبحيرة طبريا وتحتل الناصرة، بينما يقوم الجيش العراقي باحتلال العفولة في سهل مرج بن عامر. ولكن المشكلة الملحة كانت كيفية مساعدة الجيش المصري المحاصر في الجنوب وخاصة الحامية المعزولة في الفالوجة حيث كان من نتائج عملية يوآف الاسرائيلية انقسام الجيش المصري إلى ثلاث مجموعات هي:

(١) مجموعة غزة وتتكون من اللواء الوحيد الموجود في خط اسدود - المجدل وكان يحاول الانسحاب إلى الجنوب.

(٢) مجموعة معزولة في منطقة بيت لحم - الخليل.

(٣) الحامية السودانية البالغة ٢٥٠٠ جندي وضابط محاصرة في الفالوجة.

في هذا المؤتمر اقترح الملك عبدالله على المؤتمرين أن يمد الجيش العراقي جناحه الأيسر ليشمل الدفاع عن منطقة اللطرون كي يتسنى لمجموعة كتيبتي مشاة أردنيتين التحرر من واجبها هناك والانتقال إلى منطقة الخليل في محاولة لتخفيف الضغط عن القوات المصرية ولكن الاقتراح رفض. وكانت النتيجة النهائية أن الجيوش اللبنانية والسورية والعراقية رفضت تغيير مواقعها أيضاً تاركة الجيش العربي المنتشر أكثر مما ينبغي يدافع عن جبهته الواسعة وتعزيز منطقة الخليل - بيت لحم بالإضافة لمحاولة تخفيف الضغط عن القوات المصرية في النقب الشمالي، الأمر الذي أثار الملك عبدالله ولكن أخلاقة الهاشمية وأصول الضيافة العربية منعته من الإساءة للمجتمعين.

وفي ٢٤ تشرين الأول قرر الاسرائيليون ـ الذين لم يحترموا قرار وقف إطلاق النار الذي تشرف عليه الأمم المتحدة ـ أن يستعيدوا مستعمرة كفار عصيون ـ بين الخليل وبيت لحم التي احتلها الجيش العربي في ١٣ أيار عام ١٩٤٨ . وفي ٢٧ تشرين الأول عام ١٩٤٨ أصدمت القوة الاسرائيلية المتقدمة بقوة من الجيش العربي مؤلفة من سريتي مشاة وسرية مدرعات بقيادة الرائد لوكت (Lockett) التي غادرت الخليل يوم ٢٦ تشرين الأول لتستطلع الطريق بين بيت جبرين والخليل .

وفي معركة بطولية قرب قرية ترقوميا على بعد ٥ أميال غرب الخليل استطاعت قوة الجيش العربي أن تدمر ٦ مدرعات اسرائيلية وتقتل ٤٠ جنديا ، مقابل استشهاد ٦ جنود وتعطيل مدرعتين برماية الهاون . رغم تفوق العدو بنسبة ٥ : ١ ، وبكلمات الرائد (لوكت) قائد القوة قال يصف نتيجة الاشتباك : « تحت شجرة زيتون كبيرة في قرية توقوميا يوجد ثلاثة قبور يرقد فيها ثلاثة من جنود الجيش العربي الشجعان الذين لن يروا بيوتهم ثانية ، لكن استشهادهم أصبح ملهماً وحافزاً لكل الجنود في هذه القوة العربية الباسلة » .

نتيجة لهذا العمل البطولي الفذ تم إنقاذ الخليل ، كما تم تأمين بلدة الظاهرية التي تقع بين الخليل وبئر السبع التي احتلها العدو قبل أيام قليلة .

عملية حيرام (Hiram) الجليل الشمالي : ٢٩-٣١ تشرين الأول ١٩٤٨

في عملية تعرض في الجليل الشمالي يقودها اللواء الاسرائيلي ٧ تم طرد بقايا جيش الإنقاذ وعناصر من الجيش اللبناني كانت تحتل بعض القرى ، خارج حدود فلسطين وإلى داخل لبنان . وفي ٣١ تشرين الأول (آخر يوم في العملية احتل الاسرائيليون شريطاً من الأراضي اللبنانية ، ونتيجة لذلك لم يعد جيش الإنقاذ والجيش اللبناني قادرين على القتال الفعال . ولم يشاركا في حرب عام ١٩٤٨ بعد ذلك . وقد قال جلوب باشا :

« لقد وجد الجيش العربي نفسه في وضع صعب نوعاً ما ، لأن الجيوش المصرية والسورية واللبنانية أصبحت خارج المعركة عدا الجيش العراقي الذي بقي في الميدان . وباحتلال منطقة الخليل تضاعفت جبهتنا ، وأصبحنا ندافع عن جبهة واسعة تفوق إمكانياتنا . لقد كنا نجند قوات جديدة بسرعة حتى ضاعفنا قوتنا في ظرف ٦ أشهر تقريباً وقد كان الرجال يرسلون للوحدات بدون تدريب غالباً فقد كانت الفترة بين التجنيد والالتحاق بالجبهة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً . وهكذا كانت قوة الجيش العربي البالغة نحو ١٠,٠٠٠ مقاتل تقابل القوات الاسرائيلية البالغة ١٢٠,٠٠٠ جندي وضابط ، وبالإضافة للفرق الواضح في القوة فقد نفدت أو كادت تنفذ معظم ذخيرة المدفعية ومقاومة الدبابات والقنابل اليدوية من مستودعاتنا » .

الجيش العربي الهاشمي

عملية لوط (Lot) . البحر الميت : ٢٤-٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨

في عملية صغيرة قام الاسرائيليون بفتح الطريق من بئر السبع إلى سدوم التي تبعد حوالي ٥٠ ميلاً عن بئر السبع وتقع على الشاطىء الجنوبي للبحر الميت وقد تم فيما بعد توسيع الممر الذي يربط بئر السبع بسدوم ليشمل صحراء بئر السبع إلى الشمال وكل صحراء النقب إلى الجنوب نتيجة لعملية أوفداه التي نفذت من ٦-١٠ آذار عام ١٩٤٩ .

عملية عساف (Assaf) . التوسع نحو بحر غزة : ٥-٧ كانون الأول عام ١٩٤٨

في عملية صغرى أخرى مد الجيش الاسرائيلي سيطرته على مستعمرات النقب حيث قام بتوسيع المنطقة التي يحتلها في النقب الشمالي ، بطرد الجيش المصري من شريط ضيق عرضة ميل واحد وبطول ١٠ أميال يقع على الطرف الشرقي من قطاع غزة . وفي عملية عساف هذه انتزعت القوات الاسرائيلية الشريط الساحلي بين غزة ورفح نهائياً .

عملية حوريف (Horev) سيناء : ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٤٨-٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٩

في ١٩ تشرين الثاني قام الجيش المصري بالتعرض في محاولة لتخفيف الضغط على قواته المحاصرة في الفالوجة . وقد تقدم المصريون شرقاً من منطقة غزة ـ وقصفوا مستعمرة نمرين ، ويبدو أنهم لم يحققوا أكثر من ذلك وقد توقع المصريون عملية حوريف بأقل من شهر .

وفي ٢٢ كانون الأول عام ١٩٤٨ شن إيغال آلون (قائد الجبهة الجنوبية) عملية حوريف ـ آخر عملية استراتيجية في حرب سنة ١٩٤٨ ـ حيث طبق في هذه العملية المفهوم الألماني في التخطيط والتنفيذ . كان هدف العملية تدمير الجيش المصري في النقب وشمال سيناء ، بقوة تتألف من ٤ ألوية ميكانيكية وتقوم بمناورة التفاف تبدأ في داخل النقب وتنتهي في العريش على ساحل سيناء وقبل أن ينهي الجيش الاسرائيلي مهمته صدر إنذار بريطاني بإيقاف العمليات العسكرية في ١٩٤٩/١/٧ . وربما كان البريطانيون يخشون على قناة السويس إذا كان النصر الاسرائيلي كاملاً وتوغل الاسرائيليون في سيناء . ولذلك رأوا قطع الطريق على اسرائيل وانطلقوا في إنذارهم لها من المعاهدة المعقودة سنة ١٩٣٦ بينهم وبين مصر والتي تخولهم حق الدفاع عن الأراضي المصرية إذا تعرضت لعدوان خارجي .

وبقي بيد المصريين قطاع غزة الذي تبلغ مساحته ٣٥٠ كم مربع بطول حوالي ٣٥ كم ومعدل عرضه حوالي ١٠ كم . وقد احتلت اسرائيل قطاع غزة أبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ انسحبت منه عام ١٩٥٧ ثم عادت واحتلته في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ وحتى هذا التاريخ (سنة ١٩٨٣) .

اتفاقية الهدنة في رودس : ٣ نيسان عام ١٩٤٩

في وسط شباط عام ١٩٤٩ تسلمت الحكومة الأردنية دعوة من الدكتور رالف بانش للبحث في عقد اتفاقية هدنة مع اسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة في رودس . وقد قبلت الدعوة وسافر الوفد الأردني المفاوض إلى رودس في ٢٨ شباط . وقد شاركت دول المواجهة في عقد اتفاقيات الهدنة مع اسرائيل ، فوقعت مصر الاتفاقية يوم ٢٤ شباط عام ١٩٤٩ ولبنان في ٢٣ آذار عام ١٩٤٩ ولم توقع سوريا إلا في تموز بسبب انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ آذار عام ١٩٤٩ . أما العراق فلم تشارك في المفاوضات ولم توقع على الاتفاقية وقد سلمت قواته قطاع نابلس ـ الذي كانت تدافع عنه ـ إلى قوات الجيش العربي في ١٢ نيسان عام ١٩٤٩ حيث حلت قوة أردنية مؤلفة من ٢٠٠٠ جندي وضابط محل ١٩,٠٠٠ جندي عراقي في الدفاع عن ذلك القطاع .

في تلك الفترة لم يكن الهدف السياسي التوسعي الاسرائيلي المدعوم بالقوة العسكرية واضحاً ، لذلك لم يكن هناك تهديد مباشر للقوات الأردنية التي أصبحت تدافع عن القطاع الذي كان يحتله العراقيون ورغم أنه تم التوقيع على اتفاقية وقف إطلاق النار بين المقدم عبدالله التل والكولونيل موشي ديان في القدس بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ إلا أن حرب الأعصاب والاستفزازات الاسرائيلية بقيت مستمرة .

ففي أواخر تشرين الأول سنة ١٩٤٨ حاولت اسرائيل احتلال العقبة إلا أن الحكومة البريطانية جابهت هذا التهديد بإنزال قوات هناك بموجب معاهدة الدفاع البريطانية الأردنية . وفي أيار سنة ١٩٤٨ احتلت سرية من الجيش العربي منطقة في النقب على رأس خليج العقبة بقاعدة عرضها ٥٥ ميلاً في الداخل قرب بئر بن عودة ، وبقيت هناك إلى ٩ آذار سنة ١٩٤٩ عندما اضطرت إلى إخلائها بناءً على أوامر رئيس الأركان (جلوب باشا) واحتلتها القوات الصهيونية وأصبحت تعرف فيما بعد باسم « ميناء إيلات » .

لما رأى الفلسطينيون أن اليهود قد استولوا على أكثر مما خصص لهم في قرار التقسيم ، قرروا في ١ كانون الأول سنة ١٩٤٨ الطلب من الملك عبدالله بن الحسين أن يوافق على انضمام الجزء المتبقي من فلسطين إلى المملكة الأردنية الهاشمية هذا الطلب الذي كان له أثر سياسي كبير على مستقبل الأحداث التي تلت . وقد عارضت الدول العربية هذا القرار : فقامت مصر بإعلان إدارة محلية في قطاع غزة كما عارضت الهيئة العربية العليا قيام الوحدة بين الضفة الشرقية والضفة الغربية ، ورغم ذلك فقد أعلنت رسمياً من قبل البرلمان الذي مثل الضفتين في أول اجتماع له بتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٠ . وهكذا تم إنقاذ البقية الباقية من فلسطين بانضوائها تحت جناح المملكة الأردنية الهاشمية وأصبحت مسؤولية الدفاع عنها منوطة بقوات الجيش العربي الفتية التي وقفت في وجه التحدي الاسرائيلي المستمر .

عملية أوفداه (Uvdah) في النقب الجنوبي وصحراء بئر السبع : ٦-١٠ آذار عام ١٩٤٩

في آخر عملية في الحرب العربية الاسرائيلية ، قامت قوة يهودية مؤلفة من ٣ ألوية باحتلال الطرق الصحراوية شرق بئر السبع وعلى طول الشاطىء الغربي للبحر الميت إلى ميناء سدوم الذي تم احتلاله خلال عملية لوط ما بين ٢٤-٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٤٨ . وقد تحركت القوة جنوباً في ٧ آذار وبعد توقف قصير نتيجة الاشتباك مع السرية الأردنية في بئر بن عودة بتاريخ ٩ آذار ، واصلت القوة الاسرائيلية تقدمها في اليوم التالي ١٠ آذار واحتلت ايلات (أم الرشراش) على خليج العقبة بعد أن أرسل جلوب باشا أمراً للسرية الأردنية بالانسحاب إلى منطقة العقبة لعدم وجود قوات أردنية جنوب عمان . وتقع ايلات في نهاية وادي عربة من الجنوب مقابل ميناء العقبة الأردني . ورغم وجود سرية بريطانية في المنطقة إلا أن القوات الاسرائيلية احتلت ايلات ولم تحاول اجتياز خط الحدود الدولي الذي يفصل فلسطين عن شرق الأردن قبل عام ١٩٤٨ . والجدير بالملاحظة أن اسرائيل نفذت عملية اوفداه في الوقت الذي كانت المفاوضات الأردنية ـ الاسرائيلية لعقد اتفاقية الهدنة في رودس جارية تحت إشراف الأمم المتحدة .

بتاريخ ١١ آذار عام ١٩٤٩ وبعد يوم واحد من احتلال ايلات وقع الوفد الاسرائيلي في رودس على اتفاقية الهدنـة مع الجيش العربـي . وعلى أي حال فإن حرب الأعصـاب والاستفـزازات الاسرائيلية التي أصبحت موجهة ضد الأردن غالباً لم تنته ، فقد هدد الاسرائيليون باحتـلال نابلس عند انسحاب القوات العراقية . ووصف جلوب باشا تلك الأيام العصيبة المليئة بالتوتر قائلاً : « لايستطيع أي منا وهو جالس في بيته بعد سنين من هذه الأيام أن يقدر الأحداث الصعبة والأوقات العصيبة المفعمة بالترقب والتوتـر من جراء الاعتـداءات الاسرائيلية المستمـرة (عملية أوفداه) والمماطلة والتسويف في رودس ، وعندما انسحب الجيش العراقي تاركاً عبء الدفاع عن منطقته للجيش العربي الذي أصبح يقابل قوة معادية تفوقه عدداً عشر مرات » .

بعد فترة انتهى الضغط الاسرائيلي النفسي والسياسي وتحول إلى تهديد مباشر باستعمال القوة واستئناف القتال ضد الجيش العربي إذا لم توافق الحكومة الأردنية على الانسحاب من شريط عرضه بين ميل وربع ميل وميل وثلاثة أرباع على طول خط الهدنة البالغ ١١٠ أميال . وكان هدف اسرائيل واضحاً هو رغبتها في أخذ موطىء قدم (لأسباب استراتيجية وتعبوية) على السفوح المطلة على السهل الساحلي من منطقة جنين وطولكرم قلقيلية وكفر قاسم وحتى مجدل يابا وبالمقابل توافق اسرائيل على أن يحل الجيش العربي محل الجيش العراقي في نابلس وكانت مساحة المنطقة التي تطالب بها اسرائيل نحو ٤٠٠ ميل مربع .

وفي اجتماع طارىء لمجلس الوزراء الأردني وبكثير من التـردد تقـرر الموافقـة على الطلـب الاسرائيلي بسبب عدم قدرة الأمم المتحدة في السيطرة على الوضع في فلسطين ودعم الولايات المتحدة لاسرائيل . كما أنه لم يكن هناك ما يمنع القوات الاسرائيلية من استئناف القتال واحتلال

كامل الضفة الغربية . وهكذا تم توقيع اتفاقية الهدنة بين اسرائيل والأردن في ٣ نيسان سنة ١٩٤٩ . وفي ١٢ نيسان حلت قوة من الجيش العربي محل الجيش العراقي في قطاع نابلس .

ونتيجة لاتفاقية رودس أصبح الجيش العربي يدافع عن الضفة الغربية الممتدة من منطقة الخليل في الجنوب والقدس في الوسط حتى قطاع نابلس الممتد إلى مرج بن عامر شمالاً . وانتزعت اسرائيل منطقة (المثلث العربي) الواقعة في قطاع نابلس ـ جنين تحت التهديد باستئناف القتال الذي لو حدث لسقطت كل فلسطين بيد القوات الصهيونية . بينما احتفظ الجيش المصري بجيب صغير في الجنوب تبلغ مساحته ٥×٢٠ ميلاً والذي عرف فيما بعد بقطاع غزة . وكما أثبتت الأيام والأحداث فإن القيادات العربية السياسية التي (اتفقت على أن لا تتفق) قد ضيعت الجزء المتبقي من فلسطين إلى عدو لا يساوي نقطة في البحر العربي .

وبعد توقيع اتفاقية الهدنة في رودس أسست لجنة هدنة مشتركة في القدس من أربعة أعضاء أردنيين واسرائيليين برئاسة ممثل الأمم المتحدة . وقد فشلت لجنة الهدنة تلك في السيطرة على أعمال الإغارة المدبرة والمخطط لها على القرى والحدود الأردنية من قبل القوات الاسرائيلية . واستمرت هذه الأعمال العدوانية وآخرها الاعتداء على قرية السموع في قضاء الخليل عام ١٩٦٦ إلى إن احتلت القوات اليهودية فلسطين كلها وأراضي عربية جديدة في سيناء والجولان عام ١٩٦٧ .

١٩ - تحليل الحرب العربية الاسرائيلية الأولى : عام ١٩٤٧ - عام ١٩٤٩

كانت الظروف السياسية والاستراتيجية التي نشبت فيها الحرب العربية الاسرائيلية الأولى غريبة في حد ذاتها ، فقد بدأت بصراع سياسي ضد الانتداب البريطاني ثم انتهت بحرب قصيرة ولكنها حاسمة اشتركت فيها قوة محدودة مكونة من خليط من القوات شبه النظامية وغير النظامية والعصابات المدنية المسلحة . ولم تكن حرباً بالمعنى التقليدي بل أقرب إلى الحرب الشعبية خاضتها الدولة اليهودية الناشئة ومدنيون عرب يفتقرون للسلاح والتنظيم تساعدهم قوات نظامية من الأقطار العربي المجاورة في المرحلة النهائية من هذه الحرب .

ومما زاد الساحة السياسية تعقيداً صدور قرار التقسيم الذي أقرته ودعمته الأمم المتحدة والذي يقوم على انسحاب مرحلي للدولة المنتدبة . وهكذا بدأت هذه الحرب بين الأطراف المتصارعة قبل الموعد المحدد لإنتهاء الانتداب (١٩٤٨/٥/١٥) بستة أشهر ثم تصاعدت إلى حرب شاملة باشتراك قوات نظامية تدخلت لإنقاذ السكان العرب المحرومين من وسائل الدفاع . وتطور القتال من غارات وغارات مضادة تقوم بها العصابات المسلحة إلى حرب محدودة شبه نظامية تقوم على نواة صلبة من الجنود النظامية وجماهير من غير النظاميين والمتطوعين غير المتفرغين والمجندين . وباختصار كانت نوعاً من الحرب الشعبية يقودها جيش شعبي مختلط الأصول .

وسيجرى تحليل الحرب العربية الاسرائيلية ضمن هذا الإطار مع الأخذ في الاعتبار الظروف

السياسية والاستراتيجية المحلية والإشارة إلى بعض الدروس المفيدة التي برزت في المجالين الاستراتيجي والتعبوي نتيجة لتلك الحرب .

الدولة الصهيونية

كان أهم نتائج الحرب ميلاد الدولة الصهيونية التي بلغ عدد سكانها ما يزيد على مليون نسمة في ذلك الوقت معظمهم من يهود أوروبا بينما كان أصل هذه الدولة ثلاثين ألف يهودي آسيوي في بداية القرن العشرين . وهكذا وخلال خمسين سنة قامت دولة صهيونية عدوانية توسعية وذات أطماع وقادرة على تجنيد ١٢٠ ألف جندي سنة ١٩٤٨ وحوالي ٤٠٠ ألف جندي سنة ١٩٧٥ .

وبدأت فكرة الدولة الصهيونية في التبلور في ختام القرن التاسع عشر عندما عرض ثيودور هرتزل فكرته على امبراطور ألمانيا ولهلم الثاني ثم على السلطان عبد الحميد الثاني ولكنه أخفق في مسعاه لديهما . غير أن أسس الدولة الصهيونية وضعت بين عامي ١٩٠٤ و ١٩١٤ أثناء هجرة اليهود الفقراء من أوروبا الشرقية إلى فلسطين وارتفع بنيانها أثناء عهد الانتداب البريطاني .

وفي سنة ١٩٠٩ وضعت أسس حركة هاشومير أو الحراس لحراسة المستعمرات اليهودية . وفي سنة ١٩٢٠ تشكلت ميلشيا الهاغانا لحماية المستوطنات والمصالح الصهيونية من ثورة العرب ونقمتهم على استلاب أرضهم ووطنهم وكان الانتداب البريطاني يؤيد هذه الميليشيا . وفي سنة ١٩٣٦ أثناء الثورة العربية الفلسطينية الكبرى شكل حرس المستعمرات ما سمي بالجماعات الليلية الخاصة . وعندما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ تشكلت أول قوة ميدانية صهيونية دائمة تسمى (HISH) وكانت جزءاً من الهاغانا التي كونت لنفسها قيادة عامة وهيئة أركان . وعجلت الحرب العالمية الثانية في نمو التشكيلات الصهيونية المسلحة فالتحق ٢٧ ألفاً من الشباب الصهاينة بجيوش الحلفاء كما أدى تهديد القائد الألماني روميل لمصر وفلسطين سنة ١٩٤١ إلى إنشاء وحدات جديدة قوامها جنود نظاميون متفرغون وقد دعيت بقوات البالماخ أو السرايا الضاربة لحماية اليهود في فلسطين .

وفي خط آخر مواز للقوات النظامية بدىء بتنظيم الشباب من سن ١٥-١٨ في حركة الشباب المسلحة في مستعمرات الكيبوتز الاشتراكية ومستعمرات الموشاف التعاونية . وفي نهاية الحرب العالمية الثانية تولى ايغال آلون قيادة قوات البالماخ ووضع لها مفهومها الاستراتيجي وعقيدتها التعبوية . وبلغت قوات الهاغانا سنة ١٩٤٧ ٤٣ ألفاً منهم ٣ آلاف من البالماخ . وواقع الأمر أن الـ ٦٥٠ ألف يهودي الذين كانوا في فلسطين في ذلك الوقت كانوا جميعاً تحت السلاح . ومن حسن حظ الدولة اليهودية التي أعلنت رسمياً في ١٩٤٨/٥/١٥ أن حكومة قوية غير رسمية (أو حكومة ظل) كانت موجودة بسبب بعد النظر الذي تمتع به زعماء الصهاينة في فلسطين منذ سنة ١٩١٠ فبدأوا يخططون للدولة المسلحة منذ ذلك الوقت .

الحرب في فلسطين : سنة ١٩٤٧ ـ سنة ١٩٤٩

لم يقدر العرب الخطر الصهيوني حق قدره ولذلك قامت في فلسطين دولة صهيونية قوية وهنا درس هام سياسياً ونفسياً واستراتيجياً لابد للعرب من أن يتعلموه ، وأن جهلهم به أو تجاهلهم له قد أدى إلى تراكم أثار سيئة وغو سرطاني كلف العرب فلسطين وأراضي أخرى كما كلفهم كرامتهم .

الاستراتيجية العربية العظمى

دخلت جامعة الدول العربية الحرب في موجة من التفاؤل المرح ناتج عن تقدير خاطىء للإمكانات العسكرية للدولة اليهودية الناشئة . إذا كانوا يعتقدون أن اليهود الصهاينة قوم ضعفاء يسهل القضاء عليهم وإلقاؤهم في البحر . وهذا يدل على افتقار عجيب للمعلومات السياسية والعسكرية الدقيقة والتقييم العسكري السليم ، ويدل على ذلك أسلوب العرب في الإعداد للمعركة وإدارة دفة العمليات العسكرية . كما كانت معظم القيادات العربية السياسية (باستثناء الملك عبدالله) جاهلة في أمور السياسة والحرب على حد سواء إذ اندفعت الدول العربية للمعركة دون مفهوم استراتيجي واضح للعمليات العسكرية وبخطة تعبوية غير منسقة وغير عملية .

والواقع أن الصهاينة بدأوا منذ أوائل القرن وقبل الحرب العربية الاسرائيلية الأولى بحوالي أربعين عاماً يعدون العدة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً . إن إقامة مستوطنات الكيبوتز والموشاف والهستدروت أو نقابة العمال الاسرائيلية العامة والوكالة اليهودية التي كانت حكومة داخل حكومة الانتداب البريطاني ، وتأسيس الهاغانا والبالماخ كلها تشير بوضوح إلى النوايا الصهيونية . وجاء الحكم النازي في ألمانيا واضطهاده لليهود ولا سيما بعد سيطرة النازيين على أوروبا في الحرب العالمية الثانية حافزاً قوياً وذريعة للقدوم إلى فلسطين بإعداد كبيرة واستدرار عطف العالم وإقامة دولتهم . ومن عجب أن هذا كله لم يلفت انتباه العرب أو يحفزهم لاتخاذ قدر من الاستعداد يتناسب وضخامة المهمة .

لقد كان فشل الاستراتيجية العربية العظمى راجعاً في الغالب إلى سوء اطلاعهم في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية وعدم فهمهم للنفسية اليهودية . وجاءت الخطط العسكرية العربية طافحة بالإفراط في الثقة وفقدان التنسيق والأفكار شبه الطفولية وجاءت الكارثة السياسية والعسكرية التي ترتبت على هذه الخطط بحجم أذهل القيادات العربية وبدد أحلامها الساذجة .

المفهوم الاستراتيجي والعقيدة التعبوية

اعتمدت القوات الصهيونية استراتيجية تقوم على الهجوم وامتازت تحركاتها بالخفة والمفاجأة . وقبل دخول الجيوش العربية كانت القوات الصهيونية قد سيطرت على المناطق التي خصصت لها في قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ . فكان الصهاينة يسيطرون على القدس الجديدة والجليل الشمالي وحسنوا مواقعهم في السهل الساحلي . وبعد دخول الجيوش العربية استولى الاسرائيليون على مناطق

جديدة كبقية الجليل واللد والرملة والنقب وذلك لاتباع أسلوب الهجوم المتحرك وغير المباشر وكان هذا النجاح أوضح ما يكون ضد الجبهة المصرية إذ لم يكتف بانتزاع النقب من المصريين بل هدد رفح والعريش وسيناء ذاتها لولا الإنذار الذي وجهته بريطانيا لاسرائيل خشية وصول الأخيرة إلى قناة السويس .

أما على الجانب العربي فكانت هناك قيادة موحدة (نظرياً) ولكن لم يكن لها أي مفهوم استراتيجي أو تصور عام لإدارة العمليات أو ممارسة أية وظائف مهما كان نوعها . وكان الجيش العربي الأردني هو الجيش الوحيد الذي استخدم أسلوب الدفاع والهجوم . فتحطمت على صخرة دفاعه هجمات الصهاينة في قطاع القدس واللطرون وانتزع بمبادرته الهجومية في أول مراحل القتال مدينة القدس العربية وما حولها واحتفظ بها . وأما السوريون واللبنانيون فقد بدأوا القتال باجتياز الحدود لمسافة أميال قليلة ولم يحققوا أية نتائج تذكر بل أن لبنان فقد ١٦ قرية ظل الاسرائيليون يحتلونها حتى توقيع الهدنة سنة ١٩٤٩ . وفشل الجيش العراقي في هجومه في منطقة بيسان في بداية القتال وتمركز في منطقة نابلس وحقق نجاحاً تعبوياً بارزاً في معركة جنين لكنه لم يقم بعد ذلك بأية عمليات تعرضية حتى عندما كان الجيش الأردني معرضاً للضغط الاسرائيلي الشديد في منطقة اللطرون ، بل أن الجيش العراقي انسحب في المراحل الأخيرة من الحرب وترك الجيش الأردني ـ وحده ـ يواجه الجيش الصهيوني الضخم مما أدى إلى اقتطاع قسم على طول الحدود الشمالية للضفة الغربية يعرف بالمثلث من الأرض العربية وإعطائه لاسرائيل .

وقد سبق الحديث عن الجبهة المصرية التي اتضح فيها ضعف التخطيط وعدم كفاءة القادة الكبار والتدخل السياسي في سير الحرب مما أثر بشكل خطير على عمليات الجيش المصري رغم أن الجنود والضباط الصغار قاتلوا بمنتهى البسالة وبأسلحة فاسدة ودون إسناد إدراي مقبول .

القيادة العربية والجندي العربي

رغم الإحباطات الخطيرة وعدم كفاءة القيادة العربية وافتقارها إلى الخبرة فإن الجندي العربي ريفياً كان أو بدوياً شجاع صبور ذكي صلب الإرادة . ولذلك كان عيبه في نقص التدريب والسلاح والقيادة الجيدة .

ويمكن إضافة الثقافة كعامل مهم في تحقيق الكفاءة القتالية حيث يستطيع الجندي المتعلم أن يحقق كفاءة فردية وجماعية في التدريب على الأسلحة الحديثة المعقدة . وفي العمليات الحربية سنة ١٩٤٨ أثبت الجندي العربي تفوقه في الدفاع لأن الدفاع يعتمد إلى حد بعيد على صفات الجندي الشخصية الفطرية بينما تفوق الجندي الاسرائيلي في العمليات التعرضية والعمليات المتحركة لأنها تتطلب ثقافة وفهماً لأساليب الحركة والتعبية المعقدة نوعاً ما . ولو أعطي الجندي العربي ما كان الجندي الاسرائيلي يتمتع به من حسن قيادة عسكرية وسياسية لتغير مجرى الحرب على الأرجح .

ولعل الاستثناء الوحيد كان الجيش العربي الأردني الذي أظهر بسالة في الهجوم ولم يفقد بوصة واحدة من الأرض التي كان يدافع عنها . فرغم شدة الهجمات الصهيونية وكثافتها فقد احتفظت القوات الأردنية بالقدس والخليل وبيت لحم واللطرون إلى أن فقدتها في حرب حزيران عام ١٩٦٧ العجيبة !

ورغم اختلاف جلوب باشا في الأصل ـ وربما في الهدف ـ عن مرتبات الجيش العربي ، إلا أنه أدرك منذ البداية وعلى حدود الصحراء المترامية الأطراف وفي ساحات القتال في العراق وسوريا عام ١٩٤١ ما للجندي العربي من قدرات هائلة وصفات عالية جعلت منه ـ في حرب فلسطين ـ المقاتل العنيد والفارس الشجاع الذي صمد في كل المعارك التي خاضها ضد عدو يتفوق عليه في العدد والعدة .

وحتى الكونت برنادوت الجندي المحترف الذي كان يعمل وسيطاً دولياً في فلسطين نوه بأعمال الجيش العربي فقال : « كثيرون الذين حاربوا في فلسطين ولكن جيشاً واحداً كان من أبرزها تقيداً بشرف الحرب وأقدرها على القتال ، ذاك هو الجيش العربي الأردني » . ولا شك في أنه كان للضباط الأنجليز وعلى رأسهم جلوب باشا الفضل في تدريب الجيش العربي وإعداده الإعداد الحسن . وقد أطرى العالم كفاءة الجيش الأردني ما عدا الدول العربية بل أن الحسد أثار بعض المصريين الذين رأوا كيف هزم الجيش المصري في الجنوب فعلق على دور الجيش العربي وما قدمه الأردن في فلسطين ، فرد أحد المطلعين على حقائق الأمور برسالة لخص فيها دور الجيش العربي وإنجازاته في فلسطين عام ١٩٤٨ : قائلا :

« صحيح أن الجيش الأردني جيش صغير ولكنه قدم ما لم تقدمه جيوش الدول العربية الشقيقة رغم قلة موارد الأردن المادية واتساع نطاق مسؤوليته القومية » .

مجمل القول أنه في ميدان التخطيط السياسي والاستراتيجي للحرب يجب الاعتماد على الاستخبارات الجيدة ودراسة جميع المعطيات المادية والنفسية لمختلف المواقف المتوقعة وتحليل القدرات والنوايا لطرفي النزاع . فقد كان الفشل في معرفة العدو وتقدير قوته الحقيقية يعود إلى ضعف القيادات العربية وعدم كفايتها فارتكبت الأخطاء التي أدت لنكبة عام ١٩٤٨ ، وقد ارتكب الاسرائيليون الخطأ نفسه عام ١٩٧٣ عندما أساءوا تقدير القوة العربية واستهانوا بإمكاناتها .

٢٠ - برنامج توسع الجيش العربي : سنة ١٩٤٩ - سنة ١٩٥٢

رغم الواجبات الدفاعية الثقيلة الملقاة على عاتق الجيش العربي لحماية أطول خط دفاعي في الجبهات العربية (٤٠٠ ميل) فقد استمر بالنمو والتوسع . إذ برزت الحاجة إلى وجود جيش متوازن وقادر على تنفيذ عمليات حربية لمدة طويلة .

وفي عام ١٩٤٥ لم يكن في الجيش أي أسلحة أسناد أو منظومة إدارية وخدمات . وفي الوقت الذي وقعت فيه اتفاقية الهدنة في رودس عام ١٩٤٩ ازداد عدد الجيش إلى تسع كتائب مشاة بالإضافة لقيادة فرقة وقيادات ألوية هيكلية . وفي عام ١٩٥٠ بدأت القيادة تنفيذ خطة لتوسيع وتطوير الجيش العربي ، فأنشأت مدرسة المرشحين لتخريج ضباط أكفاء ، وسنت قوانين خدمة ضباط التعزيز والاحتياط وأسست المدارس الفنية لتدريب الضباط والرتب الأخرى . وبمساعدة بريطانية مقدارها ٢,٥ مليون دينار تم شراء معدات ولوازم إدارية بالإضافة إلى ربع مليون دينار من الجامعة العربية و ٣٠٠,٠٠٠ دينار منحة من الحكومة وتم تأسيس مدارس الأسلحة في الجيش الذي بلغ عدده عام ١٩٤٩ نحو ١٢,٠٠٠ جندي وضابط .

تم التغلب على النقص في القادة ذوي الخبرة باستعارة ضباط من الجيش البريطاني . وبعد أن تقاعد العميد لاش عين محله الضابط الأنجليزي سام كوك وكما قال عنه جلوب باشا كان من أكفأ الضباط في التنظيم والتدريب وإعداد القوات ويرجع إليه الفضل في المستوى العالي الذي وصل إليه الجيش بين عامي ١٩٥١ و ١٩٥٦ حيث عمل قائداً للفرقة ١ برتبة لواء . وكان الضباط الأنجليز يتشوقون للخدمة في الجيش العربي ، حيث وجدوا فرقاً كبيراً بين الجيش البريطاني الذي يضم الملتزمين بالخدمة وهذا الجيش الذي يتميز كل جندي فيه بحبه للقوات المسلحة وتفانيه في الواجب وسعيه الدائم للوصول إلى أفضل مستوى وكان معظم هؤلاء الجنود لا يفارقون الجيش بعد أن يدخلوه فيصبحوا محترفين يتمتعون بكل الصفات الحميدة .

بالتوجيهات المستمرة من جلالة الملك عبدالله وإشراف جلوب باشا والضباط الأنجليز بدأ الجيش يتحول من قوات حدود ومشاة عاديين إلى جيش نظامي محترف بمعنى الكلمة . وفي ١٩ تموز عام ١٩٥١ دشن الملك عبدالله أول نواة لسلاح الجو الأردني في احتفال رسمي عقد في مطار عمان . وكان ذلك الاحتفال آخر عمل رسمي قام به الملك قبل اغتياله بأربع وعشرين ساعة . ففي اليوم التالي (الجمعة) ٢٠ تموز عام ١٩٥١ أطلق القاتل الرصاص على الملك عبدالله وهو يدخل باب المسجد الأقصى في القدس ، فأزاح بعمل غادر قائداً مسلماً ورجل دولة كرس نفسه لخدمة القضايا العربية والاسلامية . إنه من رجال بني هاشم الذين ثاروا ضد الاتراك لتحرير الوطن العربي وضحوا بأرواحهم في سبيل الأمة العربية .

لقد كانت حياة الملك الفقيد كلها حياة تحد وكفاح ، فقد رافق والده إلى اسطنبول عام ١٨٩٣ وهو في الحادية عشرة من عمره ولم يزر الحجاز إلا مع والده عند عودته عام ١٩٠٨ وكان عمره ٢٦ عاماً . وبعد عامين أي عام ١٩١٠ عاد ثانية إلى اسطنبول كنائب عن مكة في مجلس المبعوثان . وخلال وجوده في العاصمة التركية أنشأ علاقات وثيقة مع السلطان عبد الحميد الثاني الذي أحبه كثيراً ومع رجال الدولة والوزراء . وقد شهد الجميع ببعد نظره ونجاحه كرجل دولة وسياسي بارع وحكيم . وفي آخر لقاء له مع السلطان عبد الحميد عرض عليه مساعدة والده

(الشريف حسين) إذا ما شعر بمضايقة حزب تركيا الفتاه (شباب الترك) له . كما كانت له علاقات جيدة مع ضباط الثورة أمثال عزيز علي المصري ونوري السعيد وجعفر باشا العسكري وغيرهم من الرعيل الأول .

ربما كان الملك عبدالله في رؤياه السياسية البعيدة وأفقه العربي الواسع ومعرفته بالنفس البشرية وعمقه وثقافته الجمة ، أبعد من تصور الحكام العرب وأنأى عن فهمهم لمجريات الأمور . ذلك الملك الذي شارك والده الشريف حسين في كل خطوة من خطوات الثورة العربية الكبرى من دراسة الأفكار وتحليلها إلى الاتصال باللورد كيتشنر وغيره ، إلى مداراة الأتراك المرتابين في أمر الحجاز ، وبالتالي قيادة الجيش الشرقي في حصار المدينة ومعارك خطوط المواصلات في الحجاز . أبعد كل هذا يرحل عن الساحة العربية برصاصة غادرة ؟

إن نسي العالم العربي كفاح الملك الهاشمي منذ شبابه في العاصمة التركية إلى أن سقط شهيداً في باب المسجد الأقصى الذي حفظته القوة الهاشمية من شر العدوان الصهيوني ، تلك القوة التي رباها من قوة بدوية صغيره إلى أن أصبحت جيشاً فتياً دافع ببسالة فائقة عن تراب الأرض المقدسة ، إن نسي العالم العربي (المتفرق) جهاد الملك عبدالله فلن ينساه شعب الأردن الذي لاقاه في معان وشاركه آماله وأحلامه في بناء الدولة العربية المستقلة ، فوحد بين الكرك وعجلون والسلط والبلقاء وعمان وآخى بين الناس ونشر الأمن والاستقرار في ربوع الوطن .

بموت الملك عبدالله ـ مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٢١ فقدت البلاد أباها وراعيها . وأصبحت السفينة بلا ربان يقودها عبر البحر الزاخر بالخلافات العربية ولم يكن غير ولي العهد الذي أحبه الشعب حبين ، حباً لذكرى والده عبدالله بن الحسين وحباً لشخصه وصفاته التي تجعل منه ملكاً وقائداً وأخاً لكل مواطن . أنه الملك طلال بن الحسين الـذي اعتلى عرش الأردن في ٦ أيلول سنة ١٩٥١ ليواصل المسيرة ومن بعده نجله الحسين بن طلال في قيادة الشعب الأردني إلى شاطىء الأمان .

٣ - « جلالة المغفور له الملك طلال بن عبدالله »
عام ١٩٠٩ - عام ١٩٧٢



الجزء الثالث

الملك طلال بن عبدالله : البطل : سنة ١٩٥١ ـ سنة ١٩٥٢

الفصل السابع

الملك طلال بن عبدالله : البطل : سنة ١٩٥١ - سنة ١٩٥٢

٢٠ - حـرب الحـدود

كان لوفاة الملك عبدالله مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية والأب الحاني للشعب الأردني أثر كبير وصدمة لا تنسى في النفوس . وقد تركت الجريمة النكراء الشعب الأردني في حالة من الخوف والحزن جعلته يدرك التهديدات التي كانت تستهدف صميم وجوده ، وشعر الشعب بالعزلة في وسط جيرانه الذين يفترض أنهم أمة واحدة تشترك في هدف ومصير واحد . اغتبط الشعب الأردني وملأته البهجة لدى إجماع البرلمان على تنصيب الملك طلال بن عبدالله ملكاً على عرش الأردن ليواصل المسيرة الهاشمية التي ارتبط اسمها ونضال ملوكها باسم الشعب الأردني الذي عاهد الملك عبدالله ـ يوم وصوله معان وعمان ـ ومن يأتي بعده على الولاء والطاعة .

في أيلول سنة ١٩٥١ ارتقى الملك طلال بن عبدالله البالغ من العمر ٤٢ عاماً عرش المملكة الأردنية الهاشمية . وقد كان بطلاً شعبياً ، متواضعاً يحس بإحساس المواطن ويتحلى بالسماحة والحلم والتواضع ودماثة الخلق . لقد أحبه المواطنون كلهم وأحسوا بمبادلته لهم نبل مشاعرهم وما كان يتصف به من صفات الأوائل من بني هاشم ، صفات الحاكم الذي لا ينام قبل أن يطمئن على أحوال الرعية ويصرف شؤونها . وعرفه الجيش العربي من خلال معارك القدس واللطرون عام ١٩٤٨ عندما كان يشارك ضباط ملاحظة المدفعية في مراصدهم ويتعرض لنيران العدو وهو يتفقد أحوال المقاتلين .

وقد تجلت فيه حصافته وحنكته السياسية فمد يد الصداقة لجيران الأردن من الدول العربية وخاصة مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية . وكان يدرك الفراغ السياسي والنفسي الذي خلفه رحيل والده المفاجىء في الوطن العربي . وفي المجال الداخلي أصدر الملك طلال الدستور الأردني الذي جعل السلطة التنفيذية مسؤولة مباشرة أمام البرلمان بالإضافة إلى عدد كبير من القوانين .

وعلى الصعيد الخارجي ، كان الأردن واقعاً تحت ضغط الاعتداءات الاسرائيلية وانتهاجها سياسة جديدة في حرب الاستنزاف وحرب الحدود ، حيث كانت تجتاز خط الهدنة ـ الذي تشرف عليه الأمم المتحدة ـ وتهاجم القرى الأردنية الآمنة ومراكز الشرطة والمراكز العسكرية التي تشرف على خط وقف إطلاق النار فتدمرها وتنسف البيوت وتقتل الشيوخ والنساء والأطفال . وكان لابد من مواجهة .

الجيش العربي الهاشمي

وشاء القدر أن يصيب الشعب الأردني الصابر بفجيعة ثانية ولما يمض على رحيل مؤسس المملكة إلا سنة واحدة . فقد ساءت صحة الملك البطل الذي أحب شعبه حباً عميقاً وبادله الشعب الثقة والمحبة والاخلاص ، ولم يعد قادراً على ممارسة سلطاته الدستورية ، فتنحى عن العرش بشرف وشهامة وسلم مقاليد الحكم إلى مجلس وصاية على العرش في آب عام ١٩٥٢ وعندما صدرت موافقة البرلمان على القرار قال الملك طلال « لقد توقعت هذا ، أرجو إبلاغ شكري للحكومة والبرلمان . وأرجو الله وأدعوه أن يبارك بلدي وشعبي ويحفظه من كل سوء » . حقاً لقد رحل الملك طلال بعد أن سكن قلوب الخاصة والعامة من شعب الأردن ولكن ما زالت ذكراه حتى اليوم .

بعد أن سلم سلطاته الدستورية غادر الملك طلال إلى مصر ومنها إلى تركيا فيما بعد ، حيث عاش إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٧٢ عن ٦٣ عاماً . وقد دفن الملك العظيم إلى جوار ضريح والده في المقابر الملكية الهاشمية قرب قصر رغدان العامر في عمان .

في ١٢ آب سنة ١٩٥٢ وبينما كان الأمير الحسين بن طلال ـ الذي يدرس في كلية هارو في بريطانيا ـ يقضي عطلته في سويسرا وردته برقية من رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى موجهة إلى « صاحب الجلالة الملك حسين » في ذلك اليوم تسلم الملك ذو السبعة عشر ربيعاً سلطة الحكم وقد استمر مجلس الوصاية في ممارسة سلطاته الدستورية حتى بلوغ الحسين السن القانونية والعودة إلى أرض الوطن . ولم يمض زمن طويل قبل أن تظهر الصفات الملكية الهاشمية على جلالته . فقد كان يتحلى بالشجاعة والصلابة وعلو الهمة كما تجلت فيه الروح الديمقراطية وصفات القيادة التي تجمع الجرأة والحزم والحكمة والحلم وحبه لشعبه ووطنه . وقد سار على هدى بني هاشم وترسم خطاهم .

الاعتداءات الاسرائيلية عبر خط الهدنة (الساخن)

بينما كان الأردن يمر بفترة عصيبة استمرت حوادث خرق الهدنة وتبادل إطلاق النـار ، وصعدت اسرائيل (التي تدعي العمل من أجل السلام) عمليات الإغارة عبر الحدود الأردنية . حيث سجلت لجنة الهدنة الأردنية الاسرائيلية المشتركة ١١٧ حادث اعتداء مسلح اسرائيلي خلال الفترة من كانون الأول عام ١٩٤٩ إلى تشرين الأول عام ١٩٥٠ . عبرت القوات الاسرائيلية النظامية في جميع هذه الحوادث خط الهدنة واعتدت على القرى الأردنية الآمنة ، ولم يسجل خلال الفترة أي حادث اعتداء من جانب القوات الأردنية كما قامت اسرائيل خلال نفس الفترة بطرد ٥٦٤٨ عربياً من أراضيهم وإجبارهم على اجتياز خط الهدنة إلى أي مكان ما عدا أرضهم التي عاشوا فيها لأجيال عديدة . ومعظم هؤلاء المطرودين كانوا ينتقلون للأراضي الأردنية .

في ٧ شباط عام ١٩٥١ شنت القوات الاسرائيلية غارة على قرية شرفات فقتلت ١٠ وجرحت ٨ من النساء والأطفال . وفي ٩ شباط أي بعد يومين من حادث شرفات أغارت على قرية فلامية وقتلت ٣ مدنيين أيضاً . وهكذا واصلت اسرائيل أعمالها العدوانية التي كانت موجهة جميعها ضد

المدنيين ، في الوقت الذي كانت ترفع صوتها متباكية على السلام والأمن . وكان السكان والمواطنون العرب يعتبرون الجيش العربي ـ الذي ينتشر بوضع غير طبيعي على أطول خط للهدنة ـ مسؤولاً ومقصراً في الدفاع عن هذه الحدود . لقد كانت حدود الدول العربية المشتركة مع اسرائيل المثلة بخطوط الهدنة أقصر من الحدود الأردنية إلى حد كبير ولدى هذه الدول قوة أكبر حجماً من الجيش العربي ومع ذلك لم تكن قادرة على الدفاع عن تلك الحدود ، وللحقيقة فإن الجامعة العربية كانت تحاول مساعدة الأردن سياسياً ومالياً وعسكرياً ولكن على مستوى محدود ، بالإضافة للتنديد بالعدوان .

اشتباكات الحدود : سنة ١٩٥١ - سنة ١٩٥٦

في مطلع عام ١٩٥١ بدأ بعض القرويين الفلسطينيين الذين هجروا مناطقهم خلال حرب سنة ١٩٤٨ العودة إلى منازلهم في فلسطين المحتلة بناءً على قرار الأمم المتحدة وأثناء اجتيازهم خط الهدنة إلى قراهم وتنقلهم بين مزارعهم على جانبي خط وقف اطلاق النار كان يحدث اشتباك بين هؤلاء القرويين من جهة وشرطة الحدود الاسرائيلية وسكان المستعمرات اليهود من جهة أخرى . وقد قتل خلال اشتباكات الحدود عام ١٩٥١ ١٣٧ إسرائيلياً ، منهم ١١١ على الحدود الأردنية . وفي عام ١٩٥٢ ارتفع عدد الخسائر إلى ١٤٧ إصابة وإلى ١٨٠ إصابة في عام ١٩٥٣ ، كان منهم ١١٤ إصابة (عام ١٩٥٢) ، و ١١٧ (عام ١٩٥٣) على الحدود الأردنية .

خارطة ٢٢

لقد خلق التوتر على الحدود والخسائر المتصاعدة في الجانب الاسرائيلي مشاكل جديدة للمخططين الاسرائيليين . فبينما كان تقسيم القوات الاسرائيلية إلى عاملة واحتياط هو تنفيذ لمفهوم اسرائيل السياسي والاستراتيجي للحفاظ على أمن اسرائيل ، فإن المشكلة الملحة هي الأمن الآني الناتج عن اشتباكات الحدود الذي يتطلب استراتيجية خاصة به . كانت اسرائيل قد أوكلت حماية الحدود إلى شرطة الحدود الاسرائيلية ووحدات الدفاع المحلي إلا أن كليهما فشلا في مهمتهما مما دفع الجيش الاسرائيلي إلى تبني سياسة ردع جديدة مبنية على نقل الحرب داخل مناطق الدول العربية المجاورة وشن عمليات إغارة ضد مراكز الشرطة والوحدات والقرى العربية . وقد تطورت عمليات الإغارة الاسرائيلية خلال السنوات التالية لتصبح عمليات هجومية تنفذها تشكيلات عسكرية كبيرة : كالهجوم على معسكر الجيش المصري في غزة وخان يونس في ٢٨ شباط و ١ أيلول عام ١٩٥٥ ورد مصر بعمليات الفدائيين في عمق اسرائيل وتصاعد الاشتباكات بين مصر واسرائيل إلى أن بلغت ذروتها بالعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

أخفقت الهجمات التي شنتها القوات الاسرائيلية في البداية اخفاقاً تاماً . ففي ٢ أيار سنة ١٩٥١ صدت قوة سورية صغيرة هجوماً قامت به كتيبة اسرائيلية على قرية المطلة الواقعة شرقي بحيرة طبريا في المنطقة المجردة من السلاح . ونتيجة التخطيط الضعيف تكبد الاسرائيليون

٢٧ قتيلاً ولم يستطيعوا إخراج السوريين من الخربة إلا في ٦ أيار عام ١٩٥١ بمساعدة كتيبة درزية . وفي القطاع الأردني شن الاسرائيليون عدة عمليات إغارة على قرى وادي فوكين وبيت سيرا وبيت عوا واذنا ورنتيس وبيت جالا إلا أن النتيجة لم تكن في صالح القوات المعتدية ، حيث تكبدت خسائر جسيمة في كل عملية . ويعود الفضل في ذلك لقوات الحرس الوطني وقادته من ضباط وضباط صف الجيش العربي الأردني النظاميين .

سبق أن ذكرنا هجوم الكتيبة الاسرائيلية الفاشلة على قرية فلامية ليلة ٢٤/٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٣ وصدها من قبل مفرزة حرس وطني (١٢ جندياً) بقيادة ضابط صف من الجيش العربي لدرجة أن موشي ديان فكّر بطرد قائد الكتيبة فوراً بعد الهجوم . وقد أوقع رجال الحرس الوطني في القوات الاسرائيلية ما يزيد على ٣٤٢ إصابة من ٤٦٤ إصابة على الحدود العربية ، بينما أوقع الاسرائيليون نحو ٣٠٠ إصابة بين قتيل وجريح في الجانب العربي ، ٩٥٪ منهم كانوا مدنيين .

وفي هجوم وحشي غادر قامت به كتيبة اسرائيلية على قرية قبية في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٥٣ استشهد ٦٦ قروياً وجرح ٧٥ ، وكان يدافع عن القرية ٤٠ جندياً من الحرس الوطني الذين دافعوا دفاعاً مستميتاً ضد القوة المتفوقة . وقد أعفت القيادة الأردنية قائد اللواء الانجليزي أشتن الذي لم يتخذ الإجراء الفوري لنجدة القرية المنكوبة .

خصصت القيادة الاسرائيلية الوحدة الخاصة ١٠١ بقيادة أريل شارون للقيام بالأعمال الانتقامية ومهاجمة وتدمير المراكز والقرى الأردنية المتاخمة لخط الهدنة . وكانت تعتمد في عملياتها على التسلل والقتال الليلي والفتك بالمواطنين الأبرياء .

وكانت الإغارة على قبية إحدى عمليات هذه الوحدة وقد أثارت أعمال القوة الاسرائيلية الوحشية وغير الإنسانية رد فعل عنيف لدى الأوساط المحلية والدولية ، وطالبت جميع الأوساط بوقف الاعتداءات البربرية وتسريح قوة شارون . وعندما أصبح موشي ديان رئيساً للأركان في ٧ كانون الاول سنة ١٩٥٣ وقف ضد تسريح القوة ولكن للتغطية وخداع الرأي العام تم إخراج الوحدة في ثوب جديد حيث سميت « كتيبة المظليين ٢٠٢ » وبقيت بقيادة شارون الداعي للعنف .

في ٢٩ آذار عام ١٩٥٤ شنت الوحدة الجديدة عملية إغارة على قرية نحالين الفلسطينية فقتلت ٩ وجرحت ٢٨ مدنياً . وكانت العملية رداً على مقتل ١١ يهودياً في ١٧ آذار عام ١٩٥٤ في كمين نصبه الفدائيون بين ايلات وبئر السبع . وفي ٢٥ آذار سنة ١٩٥٤ سحبت اسرائيل مندوبها في لجنة الهدنة احتجاجاً على عدم قدرة الأمم المتحدة على منع وقف التسلل عبر خطوط الهدنة . بعد عملية نحالين وحتى نهاية عام ١٩٥٤ أغارت القوة الاسرائيلية على ٨ مناطق منها ٦ قرى أردنية : حوسان (٧ نيسان) ، نعلين (١٣ آب) ، خربة جبا (٢٧ أيار) ، عزون (٨ حزيران) ، جنين (١ آب) والشيخ مذكور (١٣ آب) والاثنتان الباقيتان قريتان في قطاع غزة .

الملك طلال بن عبدالله

بعد تكرار العمليات الاسرائيلية التي اعتمدت السرعة والمفاجأة التي أربكت الجيوش العربية في البداية ، بدأت هذه الجيوش تحفظ أسلوب العدو وتعد له حتى أصبحت الحاجة تدعو الاسرائيليين إلى استخدام أكثر من «القوة الخاصة» لتنفيذ هذه العمليات ، كما حدث في الإغارة على قرية الصبحة التي نفذتها كتيبة المظليين الخاصة بالتعاون مع لواء جولاني ١ في قطاع غزة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ وقد خرجت وحدة المظليين مجموعة من محترفي الإرهاب أصبحوا قادة بارزين في القوات الاسرائيلية . فبالاضافة لشارون تشمل القائمة موردخاي غور رئيس الأركان عام ١٩٧٧ وإسحق حوفي قائد المنطقة الشمالية في الجولان عام ١٩٧٣ ورفائيل ايتان قائد قطاع الجولان عام ١٩٧٣ ورئيس الأركان منذ عام ١٩٧٨ وحتى عام ١٩٨٣ .

٢١ - المرحلة الثانية في بناء الجيش الاسرائيلي : التطور والعقيدة ١٩٤٩ - ١٩٥٦

في نهاية سنة ١٩٤٨ كان الجيش الاسرائيلي قد تغير بدرجة كبيرة من السرايا المستقلة في قوات البالماخ الضاربة وعصابات الهاغاناة غير المتفرغة الى جيش وطني تقليدي منظم ، له قيادة وجهاز اداري كاملين . وكان هذا الجهاز يحوي وزير الدفاع وقيادة عامة للجيش مع قيادات مناطق . وأصبح التوجيه الاستراتيجي من اختصاص القيادة العامة وحدها بهيئة أركانها العامة وما فيها من فروع عضوية مثل الاستخبارات والعمليات والقوى البشرية والادارة والتموين كما جرى امتصاص المنظمات الارهابية مثل أرغون زفاي ليومي وعصابة (ليحي) داخل جسم الجيش .

ولما كان الجيش الاسرائيلي غير مقيد بتقاليد عسكرية مستمدة من دولة مستعمرة سابقا فقد تمكن من تطوير شخصيته وعقيدته القتالية بأسلوبه الخاص وعن طريق التجربة الذاتية الصعبة بما في ذلك خوض الحروب . ولذلك كان طابعه فكريا أكثر منه تسلطيا في عقيدته القتالية وبنيته التنظيمية . ولذلك جاءت نظرية العمليات التي طورها الجيش الاسرائيلي ، وهي تؤكد على القيادة اللامركزية ، والابداع ، وسعة الخيال ، والمبادرة ، والشجاعة والاساليب غير التقليدية لأن وضع اسرائيل الاستراتيجي ومتطلباتها التعبوية كانت بحاجة الى هذه الأمور ولاسيما في الجو العملياتي الذي يحيط باسرائيل ولمواجهة الشخصية العربية العسكرية .

وقد اتبعت اسرائيل أسلوب الهجوم في معظم الحالات ونجحت في ذلك باستثناء هجومها على اللطرون التي كان يدافع عنها الجيش العربي الأردني .

وعند تسريح ما يزيد عن ٨٠ ألف مجند في صيف سنة ١٩٤٩ أصبح الجيش الاسرائيلي في حكم المنحل . وقام بين غوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنئذ بتعيين يجال يادين رئيسا بدل يعقوب دوري وذلك في ١٩٤٩/١١/٩ .فاخذ يادين على عاتقه اختيار أفضل مفهوم استراتيجي وعقيدة تعبوية تناسب الجيش الاسرائيلي ضمن الاطار السياسي والاقتصادي والجغرافي القائم وقتئذ .

وتشكلت مجموعة للتخطيط برئاسة حاييم لاسكوف أبرز المخططين والمنظرين الاسرائيليين لوضع عقيدة تعبوية وتنظيم للجيش الاسرائيلي ، وتوصل يادين ولاسكوف الى ما يلي :
يتم الدفاع عن اسرائيل بالقوات النظامية معززة بالملتزمين بالخدمة الاجبارية في أوقات السلم وقوات الاحتياط الكبيرة عند اعلان التعبئة وبذلك يصبح كل المجتمع الاسرائيلي جيشا مقاتلا .

وبالاضافة الى الخطر الذي تصورت اسرائيل أنه يهددها من جيوش الدول العربية المحيطة كان عليها أن تمنع التسلل عبر حدود الهدنة التي تبلغ ٥٠٠ ميل . واعتمدت عمليات الانتقام للردع ولكن هذه العمليات أدت الى قيام حركات الفدائيين في أواسط الخمسينات . كذلك طورت الهاغانا حرس الحدود وحولته الى قوات للحرس الثابت للدفاع عن المستعمرات . وكان النشاط الفدائي العربي من أسباب عدوان سنة ١٩٥٦ على مصر .

ونتيجة لتحليل العمليات السابقة فقد وضعت لجنة حاييم لاسكوف العقيدة التعبوية التالية : «يجب أن تكون عمليات القوات الاسرائيلية تعرضية في جوهرها وتخطيطها وتنظيمها وحتى عندما تكون المهمة دفاعية يجب أن يكون الدفاع تعرضيا مع التركيز على عمليات الدفاع المتحرك» ولتنفيذ المهمة بكفاءة أوصت لجنة لاسكوف بتشكيل مجموعات آلوية كل منها مؤلف من ثلاث كتائب مع وحدات اسناد وخدمات عضوية على أن تكون هذه الألوية مستقلة ذاتيا لأن هذا التنظيم يسمح بالقيام بعمليات تعرضية بالعمق ويحافظ على زخم الهجوم .

وتمشيا مع أسلوب القيادة الاسرائيلية في اللامركزية فقد تقرر اعطاء الألوية أكبر درجة من حرية التصرف والمبادأة والمسؤولية ضمن الاطار العام لمفهوم القيادة العليا بحيث يصبح اللواء تشكيلة القيادة الاساسية في الجيش . ورغم فشل اللواء المدرع/٨ في معارك اللطرون والنقب وسيناء فقد أعطى لاسكوف الدروع دوراً أساسياً في المعارك البرية وقال : «إن الدروع هى القوة التعرضية التي تحل جميع مشكلاتها التعبوية بالهجوم» كما أن مهمة الدروع استغلال مبادىء السرعة والمفاجاة وقابلية المناورة والحشد وقوة الصدمة . وفي موضوع الأساليب التعبوية أوصت اللجنة بتطبيق المفهوم الألماني القائم على التسلل أو الاقتراب غير المباشر والنار والحركة والاستخدام الجرىء والتعرضي للدبابات . كما أعطى لاسكوف الأولوية الأولى للقوة الجوية وسلاح الاستخبارات .

لذلك أعيد تجديد الهيكل القيادي تحت اشراف رئيس هيئة الأركان وتشكيل الأسلحة والفروع التالية : سلاح البحرية ، سلاح الجو ، وقيادات مناطق ، ودروع ، وتدريب ونحال وجدناع ويرتبط رئيس الأركان بوزير الدفاع الذي كان القائد العام الفعلي والذي هو عضو في لجنة الدفاع الوزارية .

وفي نهاية سنة ١٩٥٢ وضع نظام الاحتياط للجيش الاسرائيلي على أسس سليمة وصار يتألف من لوائي مشاة ولواء مدرع وكتيبة مظليين كقوات دائمة و٨ ألوية مشاة احتياط . وكانت قوة الجيش

مؤلفة من ٣٥٠٠٠ جندي نظامي للجيش العامل وحوالي ٨٠ ألف جندي احتياط مدربين وجاهزين للتعبئة .

سلاح البحرية الاسرائيلي : ١٩٤٩ - ١٩٥٦

رغم وجود سواحل طويلة وموانيء مكشوفة لاسرائيل الا أنها لم تقم بتطوير بحريتها الا في أوائل سنة ١٩٥٥ عندما اشترت مدمرتين بريطانيتين . وسبب عدم اهتمام اسرائيل بالقوة البحرية هو :

١ - أن اسرائيل كانت تثق بأن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لن تسمح بفرض حصار بحري عليها .

٢ - اعطاء الأولوية لسلاح الجو ولذلك لم تتوفر امكانات مادية كافية للبحرية .

وفي سنة ١٩٥٦ كانت لاسرائيل قوة بحرية من ٦٠٠٠ فرد ومدمرتين و٩ قوارب طوربيد وزورقي انزال . وبقي تطور البحرية الاسرائيلية محدودا نسبيا حتى سنة ١٩٦٧ .

سلاح الدروع الاسرائيلي(Hel Shirion) ١٩٤٩ - ١٩٥٦

كانت ثقة موشي ديان رئيس أركان الجيش الاسرائيلي سنة ١٩٥٣- سنة ١٩٥٧ ضعيفة في الدروع وذلك بسبب فشل اللواء المدرع /٨ في هجومه ضد القوات الأردنية في اللطرون سنة ١٩٤٨ .

في سنة ١٩٤٩ كان لدى الاسرائيليين كتيبة دبابات واحدة من طراز شيرمان الأمريكية وفي سنة ١٩٥٥ تلقت مصر كما هو معلوم صفقة الأسلحة التشيكية الشهيرة وكان من ضمنها ٢٣٠ دبابة ت/٣٤ الروسية وعدد يقارب ذلك من ناقلات الجنود المدرعة ، اضطرت اسرائيل لمواكبة مصر فتسلمت ٢٠٠ دبابة فرنسية أ . م . أكس /١٣ و ١٠٠ دبابة شيرمان أمريكية فاصبح لديها حوالي ٣٥٠ دبابة منظمة في ٧ كتائب . وحتى سنة ١٩٥٦ كان دور الدبابات في العقيدة القتالية الاسرائيلية هو استثمار الفوز الذي تحققه المشاة المحمولة والمتحركة . ولم تهتم اسرائيل بالدروع اهتماما رئيسيا الا بعد حرب سنة ١٩٥٦ .

سلاح الجو الاسرائيلي (HelAvir) ١٩٤٩ - ١٩٥٦

عند ميلاد اسرائيل في آيار سنة ١٩٤٨ كان لديها تسع طائرات فقط . ولكن ما أن أشرف ذلك العام على الانتهاء حتى كان لديها مايزيد على ٢٠٠ طائرة مختلفة الأنواع كلها مقاتلة تقريبا ما عدا عدد قليل من قاذفات ب/١٧ الأمريكية . وخلال العمليات سنة ١٩٤٨ أدركت اسرائيل أهمية سلاح

الجو لمواجهة أسلحة الجو العربية وكذلك لحسم القتال في أقصر فترة ممكنة حسب العقيدة العسكرية الاسرائيلية المعروفة .

وعندما كان لاسكوف رئيسا لأركان الجيش حاول تقوية سلاح الجو وأوكلت قيادة السلاح الناشيء لدان تولكووسكي (Dan Toikowsky)من سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٨ ، وهو مؤسس سلاح الجو الاسرائيلي بمفهومه الحديث . تبنى تولكووسكي استراتيجية جوية هجومية تقوم على تحقيق السيطرة الجوية ، والدعم الفعال للقوات الأرضية وايقاع ضربات جوية بالعدو والقيام بمهام استطلاع . ولذلك رأى أن لا داعي للقاذفات بل التسلح بطائرات مقاتلة متعددة الأغراض . وكان يهدف الى تدمير سلاح العدو الجوي على الأرض بدلا من الجو . وفي سنة ١٩٥٦ كان لدى اسرائيل ١٣٦ طائرة عاملة منها ٥٣ نفاثة اذ أن اسرائيل أدخلت الطائرات النفاثة سنة ١٩٥٥ . ولكن لم يقم سلاح الجو الاسرائيلي بدور كبير في حرب سنة ١٩٥٦ لعدم ثقته بنفسه وترك ذلك لشركاء اسرائيل في العدوان .

للمحافظة على تسلسل التطور الاستراتيجي والتعبوي والتنظيمي للجيش الاسرائيلي فإن حرب سيناء سنة ١٩٥٦ ستكون التالية رغم أنها زمنياً تأتي في عهد الملك حسين بن طلال .

٢٢ - الحرب العربية الاسرائيلية الثانية : حرب سيناء : ١ تشرين الأول سنة ١٩٥٦

كانت حرب سيناء نتيجة طبيعية لتهديد مزدوج لأمن اسرائيل الأساسي ناجم عن فشل سياسة الردع الاسرائيلية وتزويد الجيش المصري بالسلاح السوفيتي .

فمنذ عام ١٩٥١ وحرب الحدود بين سوريا والأردن واسرائيل تزداد حدة وعنفاً . وقد كانت الجبهة الأردنية أكثرها سخونة وفعالية . فقد كانت قوات الحرس الوطني بساندها الجيش العربي صامدة لا تلين رغم إمكانياتها المحدودة في وجه القوات المعتدية . كما وضع الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ ـ لأسباب قومية ـ خطة لمساندة أعمال الفدائيين من غزة والأردن داخل الأرض المحتلة . لذلك قامت اسرائيل بعمليات الرد الانتقامية على الجيش المصري في الصبحة عام ١٩٥٥ والمخافر الأردنية القريبة من الحدود وحتى الرهوة وغرندل وقلقيلة بين ١٣ أيلول و ١٠ تشرين الأول عام ١٩٥٦ .

استنفذت عمليات الردع الاسرائيلية أغراضها وفشلت في منع التسلل داخل الأراضي التي تحتلها . وقد قال موشي ديان في مذاكراته : « لم يتقرر شيء حول المستقبل ، ولم تؤد المحادثات مع الكنيست أو رئيس الوزراء ولا حتى مناقشات القيادة العامة إلى نتيجة ، ولكن من الواضح لنا جميعاً أن عمليات الردع وصلت إلى النهاية» .

الملك طلال بن عبدالله

صمدت قوات الحرس الوطني الفلسطينية وقوات الجيش العربي ٦ سنوات للاعتداءات الاسرائيلية وردت عليها بعنف مما أوجب على المعتدين التخلي عن تلك السياسة الفاشلة .

وللحفاظ على أمن اسرائيل الأساسي الدائم قرر العدو الاستعداد لشن ضربة وقائية ضد الجيش المصري قبل عام من حرب سيناء (أي في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٥٥) بعد أن وصل مصر أكبر شحنة من الأسلحة السوفيتية واستمرت إمدادات السلاح إلى مصر خلال عام ١٩٥٦ فوصلها ٣٣٠ دبابة ومدافع إقتحام و ٢٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٥٠٠ مدفع هاون وهاوتزر و ١٧٠ طائرة مقاتلة وقاذفة ميج ١٥ واليوشن ٢٨ ومدمرتان من نوع سكوري وعدد من زوراق الطوربيد . وثمة عوامل أخرى أسهمت في وقوع العدوان الثلاثي على مصر وهي :

١ - رغبة اسرائيل في ضرب الجيش المصري قبل أن يستوعب الأسلحة الحديثة التي وصلته .
٢ - تذرع اسرائيل بعمليات الفدائيين ضدها في سيناء وقطاع غزة اضافة إلى انطلاقهم من الجبهات العربية الأخرى .
٣ - رغبة بريطانيا وفرنسا في إسقاط نظام عبد الناصر بعد أن نجح في تأميم قناة السويس كما أنه اتهم خطأ بأنه كان وراء قرار الملك حسين بتعريب الجيش الأردني رغم أن القرار كان من الملك حسين شخصياً ولا علاقة لعبد الناصر به .
٤ - حقد فرنسا على النظام المصري آنئذ لمساعدته لثورة الجزائر التحريرية ضد فرنسا .

سير الحرب : ٢٩ تشرين الأول ـ تشرين الثاني عام ١٩٥٦

مفهوم العمليات المصري

عشية المعركة دفع الجيش المصري ٦ ألوية في سيناء وقطاع غزة واحتفظ باحتياط استراتيجي في منطقة قناة السويس مؤلف من لواء مدرع وفرقتي مشاة. كان المفهوم الاستراتيجي المصري يركز على الدفاع في النقاط المحصنة غزة ـ خان يونس ـ رفح ـ العريش في قطاع غزة والمحور الساحلي الشمالي من غزة إلى القنطرة وخط الدفاع الثاني : أم اكتاف ـ أبو عجيلة والقصيمة ، لأن منطقة دفاع القطف ـ أبو عجيلة تغطي المحور المباشر من بئر السبع ـ بئر بيرجفجافة ثم الاسماعيلية ، أما القصيمة فتقع على جانب المقتربين الرئيسين ، الأول القادم من نيتزانا في اسرائيل عبر سيناء إلى ميناء السويس والثاني من القصيمة عبر بئر ثمادة وممري جدي والمتلا إلى قناة السويس وميناء السويس ، وأما المقترب الجنوبي فيتجه جنوب غرب نحو نخل في وسط سيناء ثم ينحرف شمال ـ غرب إلى ممر المتلا . وجنوب القصيمة بأربعين ميلاً تقع واحة الكنتلة التي يمّر بها طرف المحور الجنوبي في وسط سيناء .

إن الحركة على الطرق الترابية عبر سيناء صعبة بسبب الكثبان الرملية المتحركة ورمال الصحراء

الناعمة ، لذلك ركّز المصريون على مسك مداخل سيناء الشرقية مع الاحتفاظ بقوة احتياط مناسبة لمواجهة أي خرق مدرع أو آلي عبر سيناء باتجاه قناة السويس . وكما كان الحال عام ١٩٤٨ فقد ركن الجيش المصري إلى الدفاع الثابت بخطوط متعاقبة واضعاً في اعتباره تحطيم القوات الاسرائيلية على حدود فلسطين القديمة مع سيناء .

في الطرف الجنوبي البعيد وضعت كتيبتان مصريتان للدفاع عن شرم الشيخ وتغطية المقترب البحري عبر مضائق تيران . ويبدو أنه لا يوجد بديل للمصريين عن مفهوم الدفاع الذي نشروا قواتهم في سيناء بموجبه ، ولكن المسافة البعيدة بين قوة الاحتياط في منطقة القناة والقوات التي تدافع عن الممرات والتي تعادل في مجموعها قوة فيلق كانت كبيرة ، وقد استغلت القوة الاسرائيلية المندفعة فجوة ال ١٠٠ ميل بين الدفاعات الرئيسية وقوة الاحتياط على أفضل وجه . فقد كانت المواقع المصرية مكشوفة للتسلل والإحاطة والإختراق العميق . ونتج عن إندفاع القوات الاسرائيلية تدمير الفرق المدافعة في المواقع الرئيسية منع الاحتياط من التدخل . إذ تم تحطيم القوات المصرية المصرية بالاختراق العميق الذي قام به لواء المظليين ٢٠٢ بقيادة أريل شارون واللواء المدرع ٧ بقيادة أوري بن آري وتغلغل بين الفرق المطوقة والاحتياطية على قناة السويس الذي أصبح غير قادر على الحركة .

مفهوم العمليات الاسرائيلي

كان الهدف الاسرائيلي السياسي الاستراتيجي هو تهديد قناة السويس ، لكي يكون هناك مبرر للتدخل البريطاني الفرنسي لحماية الملاحة في قناة السويس (المبرر الذي اتفقت عليه الدولتان مع اسرائيل) وطبقاً لاستراتيجية دول الحملة الثلاثية كان على القوة الجوية المشتركة (البريطانية الفرنسية) أن تبدأ بقصف المطارات المصرية بعد ١٢ ساعة من توجيه إنذار مشترك لمصر واسرائيل بسحب قواتهما من منطقة القناة على أساس أن القوات الاسرائيلية أصبحت في وضع تهدد القناة قبل صدور الإنذار . وكانت الخطة تقضي بإنزال كتيبة مظليين في ممر متلا ـ ١٨ ميلاً شرق القناة وحوالي ٦٠ ميلاً غرب القوات المصرية التي تدافع على حدود سيناء (يوم ى) ـ ثم يبدأ التعرض الاسرائيلي مباشرة بعد بدء القصف البريطاني الفرنسي الذي يكون قد نجح في تدمير المطارات والقوات الجوية المصرية . وكان المأمول أن تسير خطة الحملة ضمن الاطار السياسي والاستراتيجي والتوقيت المشترك الذي تنفذ بموجبه الحملة .

وحسب مفهوم موشي ديان رئيس الأركان الاسرائيلي للخطة أصدر توجيهاته الاستراتيجية ضمن إطار الخطة المشتركة . وقد حدد هدف القوات الاسرائيلية في الحرب : تدمير الجيش المصري في سيناء .

كانت المهمة غامضة ولكن كما فهمها قائد الجبهة الجنوبية الجنرال عساف سمحوني فعليه تنفيذها طبقاً للمفهوم الألماني : الهجوم مستخدماً أسلوب التسلل ومتجنباً المواجهة المباشرة ومعارك الاستنزاف وتحمل الخسائر الباهظة ، ويجري التركيز على شل قيادات الجيش المصري . ويمكن تمثيل العملية بأسلوب وخز الابر الصيني الذي يوجه إلى جهاز المريض العصبي . لذلك تقوم القوات الاسرائيلية بعمليات تسلل واختراق عميق ومسك النقاط المهمة الحيوية والمناورات التضليلية واستعمال الخدعة بحيث تؤدي هذه الأعمال إلى شل القيادة المصرية عن التفكير وتدمير القوات المرتبكة . وقد وضع موشي ديان مفهوم التسلل عندما التقى بعساف سمحوني في الكلمات التالية « احتلال مفارق الطرق والمواقع العسكرية المهمة التي تؤدي للسيطرة على المنطقة وتجبر الجيش المصري على الاستسلام » وقد كان مفهوم التسلل بمعنى آخر أشبه بتعرض الربيع الهائل الذي شنته القوات الألمانية بقيادة لودندورف ضد الحلفاء في السوم بفرنسا في آذار عام ١٩١٨ ولكن بمقياس أصغر ، والذي كان من نتيجته تحطيم جيش الجنرال جفّ البريطاني الخامس الذي انتهى كجيش مقاتل . وقد لاقى الجيش المصري في سيناء نفس المصير بعد ٣٨ سنة .

ضمن توجيه رئيس الأركان الاستراتيجي وضع عساف سمحوني خطته التي ستنفذ على ثلاث مراحل :

المرحلة ١

١ - كتيبة مظليين تحتل ممر متلا الساعة ١٦٥٩ يوم ى (٢٩ تشرين الأول) وتنقل مع لواء المظليين ٢٠٢ بقيادة شارون الذي يتقدم براً على محور الكنتلة ـ ثمد ـ نخل ـ ممر المتلا .

المرحلة ٢

٢ - هدف الجهد الرئيسي المؤلف من ٧ ألوية يكون دفاعات المصريين في غزة ـ العريش والقصيمة ـ منطقة أبو عجيلة . وبعد شل هذه الدفاعات ومنعها من القتال ، تقوم القوتان المستقلتان باستثمار الفوز حتى القناة .

أ . قوة القتال الشمالية : الهدف غزة ـ العريش ـ القنطرة

لواء المشاة ١

لواء المشاة ١٢

اللواء الآلي ٢٧ (حاييم بارليف)

ب . قوة القتال الجنوبية : الهدف أبو عجيلة ـ الاسماعيلية

لواء المشاة ٤

لواء المشاة ١٠

الجيش العربي الهاشمي

اللواء الآلي ٣٧

ج . قيادة الاحتياط

اللواء المدرع ١٧ (أوري بن آرى)

المرحلة ٣

٣ - احتلال شرم الشيخ باللواء ٩ بقيادة افرام يوفي الذي كان عليه أن يتقدم على الطريق الساحلي على محور إيلات ـ شرم الشيخ .

بشكل عام سارت المعركة في الجبهة الجنوبية كما خطط لها رغم فشل لواء المشاة ١٠ واللواء الآلي ٢٧ في الوصول لأهدافهما ولكن النجاح في بعثرة الجيش المصري وتدميره بحيث أصبح غير قادر على القتال يعزى حقيقة لتقدم اللواء المدرع ٧ يوم ى + ١ (٣٠ تشرين الأول) ، ذلك الإندفاع الذي قام به أوري بن آرى على محور الوسط : أبو عجيلية ـ بئر جفجافة والقصيمة ـ بئر الثمد ـ ممر المتلا ، دون خطة مسبقة ومخولة من قيادة الجبهة الجنوبية .

نجحت كتيبة المظليين بالنزول واحتلال ممر متلا في الوقت المحدد وفي الساعة ٢٢٣٠ يوم ٣٠ تشرين الأول (ى + ١) استطاعت تحقيق الاتصال مع قوات شارون الأرضية وقد كانت المقاومة المصرية عنيفة وشديدة وسخرت من نظرية ديان « الانهيار المفاجىء للجيش المصري » المبنية على حرب عام ١٩٤٨ . تلك الحرب التي خذل فيها الجندي المصري من قبل القيادة المصرية الضعيفة والسلاح المصري الفاسد .

ولكن نتيجة الضربة الاسرائيلية القاصمة ، وبمساعدة شركاء الغزو (بريطانيا وفرنسا) احتلت سيناء كاملة من الشمال إلى الجنوب من القناة وحتى حدود فلسطين بخسائر لم تزد على ١٧٠ قتيلاً اسرائيلياً . وكان من نتيجة الحرب تدمير الفرقتين المصريتين في سيناء بالإضافة إلى ١٢٠ دبابة و ٢٠٠ مدفع .

٢٣ - نتائج حرب سيناء ١٩٥٦ وأثرها في تطور مفهوم القوات الاسرائيلية وعقيدتها القتالية

رغم النصر الكامل في سيناء فقد واجه القادة على اختلاف مستوياتهم مشاكل جمة كما في عمل القيادة وضباط الأركان ، فأرتكبوا الأخطاء التعبوية والتنظيمية بالإضافة للنقص في الخدمات الإدارية والعجز في الإسناد الإداري وعدم استيعاب ديان لقدرات القوات المدرعة وإمكانياتها وأهمية المنظومة الإدارية للجيش .

لذلك كان الفضل لديان بصفته رئيس أركان في إعادة تقييم عمليات الجيش وتحليل حرب سيناء وإجراء التعديل والتطوير اللازمين على ضوء النتائج المستخلصة . فغير ديان نظرته للدروع وأدرك

أهميتها في الحرب المتحركة وخاصة حرب الصحراء. وقام على أثر ذلك بنقل ضباط مشاة من ذوي الخبرة والتجربة إلى الدروع وأمر بتطوير وتوسيع السلاح ليكون في طليعة القوات البرية المقاتلة فنقل العقيد اسرائيل تال ليعمل نائباً لقائد سلاح الدروع حيث أثبت هذا الضابط أنه من أبرز خبراء الحرب المدرعة وبقي كذلك إلى أن تغير هذا المفهوم بتدمير دبابات تال من قبل جنود المشاة المصريين الذين كانوا يحملون صواريخ مقاومة الدبابات الموجهة في حرب رمضان .

وعلى مستوى الاستراتيجية في سيناء فقد برهنت المعارك على أن العقيدة الاسرائيلية المبنية على مفهوم التعرض لا تزال صالحة والأفضل في الحرب الخاطفة ، كما أثبتت قوات الاحتياط وأساليب الدعوة للتعبئة العامة نجاحها بعد أن كانت موضع شك لدى القيادة الاسرائيلية .

وإيماناً بفوائد الضربة الوقائية أعدت اسرائيل كل إمكانياتها لتلائم هذا المفهوم وبدأت بتطوير وسائط الحرب لتناسب مفهومها في « استراتيجية الدفاع التعرضي » . وقد وجه ديان اهتمامه ـ خلال فترة عمله رئيساً للأركان ـ إلى تطوير المفهوم الاستراتيجي والعقيدة القتالية التعبوية للقوات الاسرائيلية لتلائم الظروف العربية الاسرائيلية وحالة الاستعداد في الجيش للحرب . ففي مجال التنظيم زاد من عدد وكفاءة القوات المقاتلة على حساب الخدمات الإدارية والفنية (قوى الأسنان وقصر الذيل) .

وقد تسبب التخفيض في الخدمات الإدارية (دون مبرر) في انهيار المنظومة الإدارية في سيناء عام ١٩٥٦ فلم تستطع وحدات الخدمات الإدارية تقديم الإسناد اللازم للقوات المقاتلة المتحركة بسرعة في الصحراء .

عشية حرب سيناء في تشرين الأول سنة ١٩٥٦ لم يكن الجيش الاسرائيلي تلك القوة الفعالة التي عرفها العالم فيما بعد . فقد كانت الخلافات السياسية مستحكمة بين قادة اسرائيل كما كانت الخلافات العسكرية والسياسية أيضاً بين القيادات السياسية والعسكرية على أشدها . كان يوجد خلاف بين موشي ديان على سياسة الردع والعمليات الانتقامية التي تشنها اسرائيل ضد جيرانها العرب كما كان لافون وديان مختلفين على صلاحيات الأخير ومسؤولياتها ، وفي مجال الاستراتيجية والعقيدة القتالية لسلاح الجو وسلاح الدروع كانت المفاهيم غير محددة أو واضحة .

ولسوء حظ العرب ، كان انهيار الجيش المصري أبان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ نقطة انعطاف في تاريخ الجيش الاسرائيلي ، وجاءت كالسحر للنفسية والقيادة الاسرائيلية العليا والجندي الاسرائيلي على حد سواء . فبعد حرب السويس التي دامت ١٠٠ ساعة والتي حقق فيها الاسرائيليون نصراً عسكرياً سريعاً وساحقاً بخسائر لا تزيد على ١٧٠ قتيلاً ، أصبح الجيش الاسرائيلي القوة التي لا تقهر والأسطورة التي تتداولها وسائل الاعلام المحلية والعالمية . تعاظمت هذه الأسطورة في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . وما من شك في أن اللوم في خلق هذه الأسطورة يقع

على القيادة المصرية والقادة المصريين الذين ساعدوا الجيش الاسرائيلي على ترسيخ تلك الاسطورة حتى في العقول العربية ، ومهدوا للهزائم العربية المتتالية . ولولا حرب رمضان تشرين الأول ١٩٧٣ لبقيت الجيوش العربية تعيش في ظل الرعب الاسرائيلي واسطورة الجيش الذي لا يقهر .

في مجال العمليات التعبوية ساند إسحق رابين (الذي كان في هيئة الأركان) القيادة اللامركزية تحت سيطرة إشراف قيادة العمليات العليا التي أصبحت دليل القيادة الاسرائيلية في السيطرة والعمليات منذ ذلك الوقت ، وهو مفهوم ألماني الأصل يسمح للقائد بأكبر قدر من الحرية في العمل وإدارة المعركة ضمن الإطار العام لمفهوم العمليات الذي وضعته القيادة العليا . وضمن هذا المفهوم العام يستطيع القائد أن يقارن بين احتمالات العدو والأعمال الممكنة لقواته ويوفق بين خططه وخطط القوات الصديقة التي تعمل بالتنسيق معه .

الخلاصة أن القيادة العليا تضع المفهوم والإطار العام للخطة وتعطي للقادة المرؤوسين الذي يعملون بامرتها مسؤولية رسم الخطط وتنفيذ الواجب ضمن مناطق مسؤوليتهم ولا تتدخل في كيفية التنفيذ إلا من أجل التنسيق بين الخطط الفرعية وبما يتلاءم والخطة العامة دون أن يؤثر ذلك على سير العمليات العام أو يضر بتحقيق الهدف الأعلى .

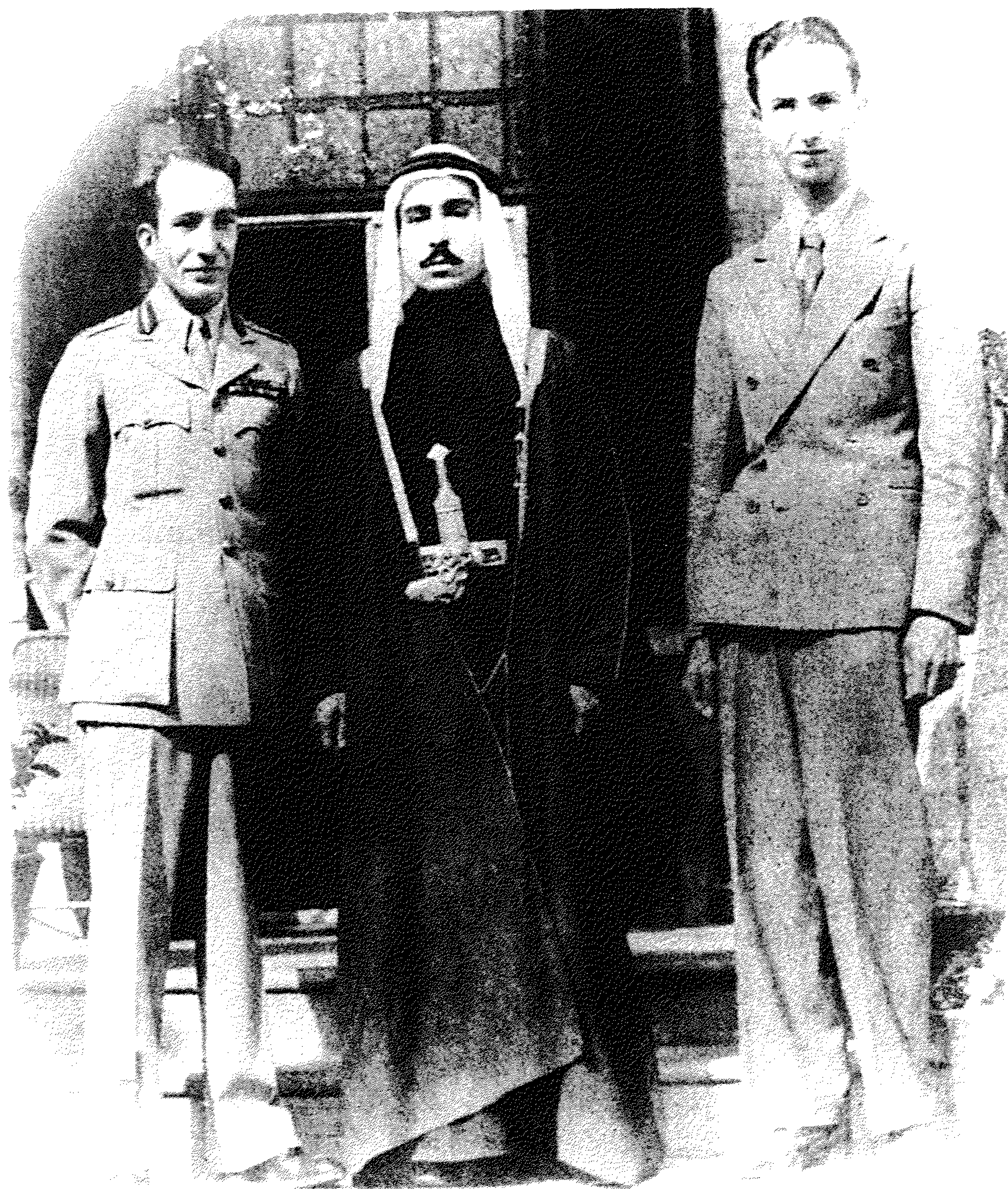
وقد كانت الإجراءات السريعة والإبلاغ عن أي تغيير ، عناصر مهمة جداً للقيادة العليا لتكون مسيطرة على الموقف العام ، كما أن دقة المعلومات ورد الفعل السريع يحرمان العدو من فرصة استعادة وعيه والقيام بالرد المناسب .

كان مفهوم لا مركزية القيادة وأكبر قدر من الحرية في التصرف يخالف المفهوم البريطاني الذي درجت عليه التقاليد العسكرية البريطانية منذ هيغ واللنبي ومونتغمري .

بالإضافة للتحول الكبير الذي طرأ على مفهوم وتنظيم القوات الاسرائيلية بعد حرب عام ١٩٥٦ . فلا شك في أن النصر الساحق السريع في سيناء كان نقطة انعطاف نفسية مهمة لاسرائيل : فلم تثبت اسرائيل قدرتها على تحطيم الحصار المفروض عليها فحسب ، بل أثبتت قدرتها العسكرية في مجال التخطيط والتنفيذ وكسب النصر ، كما مسحت ذكرى النكسات التي حلت بها أثناء هجومها على قوة الجيش العربي في القدس واللطرون والقرى التي تحرسها قوات الحرس الوطني الباسلة . وقد نمت قوة اسرائيل وتعاظمت على المستوى المادي والنفسي وترسخت في أذهان الناس على المستوى المدني والعسكري ، المحلي والعالمي في حرب حزيران عام ١٩٦٧ . وكان من الممكن أن تبقى إلى اليوم لولا أن حطمتها حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ . وظهرت اسرائيل على حقيقتها بأنها لولا دعم الاستعمار لها وخاصة أمريكا لما كانت شيئاً يذكر .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الملك حسين أعد قواته الصغيرة الحجم للهجوم على اسرائيل أثناء عدوان سنة ١٩٥٦ على مصر ولكنه لم ينفذ الهجوم لأن عبد الناصر طلب إليه التريث . وكان

٤١- أبناء العم الثلاثة من اليسار لليمين :
الملك غازي بن فيصل بن الحسين ملك العراق ، الملك
طلال بن عبدالله بن الحسين ملك الأردن والأمير عبدالاله
بن علي بن الحسين الوصي على عرش العراق .





٤٢

٤٢- الملك طلال بن عبدالله يستعرض ثلة من حرس
الشرف من الجيش العربي في مطار عمان عام ١٩٥١
ويرافقه وزير الدفاع سليمان طوقان والفريق جلوب باشا .



٤٣- الملك طلال بن عبدالله في مطار عمان عام ١٩٥٢ ، وعلى يمينه سليمان طوقان (وزير الدفاع) وعلى يساره سعيد المفتي (رئيس الوزراء) والفريق جلوب باشا وراضي عتاب وفواز ماهر .

دافع الملك قومياً ينطلق من حرصه على المشاركة في الدفاع عن أرض العروبة وتخفيف الضغط عن القوات المصرية . وكان الملك يصر على المشاركة رغم معارضة بعض الوزراء ورئيس أركانه آنئذ اللواء علي أبو نوار .

٤ - « جلالة الملك حسين بن طلال »
عام ١٩٥٢



الجـزء الرابـع

الملك حسين بن طلال الباني : سنة ١٩٥٢

الفصل الثامن

معركة البقاء : سنة ١٩٥٢ - سنة ١٩٦٧

٢٤ - سنوات الاضراب ونمو الجيش العربي الهاشمي : ١٩٥٢ - ١٩٥٦

نودي بالحسين ـ ولم يكمل السابعة عشرة من عمره ـ ملكاً على عرش المملكة الاردنية الهاشمية في ١١ آب عام ١٩٥٢ خلفاً لوالده الملك طلال الذي تنازل عن العرش لأسباب صحية .

وهكذا قدر للملك الشاب ان يتسلم مقاليد الحكم ، وسماء الأردن ملبدة بالغيوم والاضطراب ، من اغتيال جده الملك عبد الله في المسجد الأقصى في ١٩٥١/٧/٢٠ إلى تنازل والده طلال عن العرش بسبب المرض إلى الاعتداءات الاسرائيلية المستمرة على الحدود .

تلقى قسطاً من التعليم في كلية فيكتوريا بالاسكندرية ومدرسة هارو الشهيرة في بريطانيا ثم دورة مكثفة في كلية ساند هرست العسكرية البريطانية وامتزجت هذه الخبرات الدراسية مع الصفات الأصيلة فيه من روح قيادية وتسامح وديمقراطية وأخلاق سامية ومرونة في التصرف والسلوك . وأفادته جميع هذه الصفات غاية الفائدة في سنوات حكمه الحافلة بالاحداث والمشكلات والمنجزات .

لم تكن الاصلاحات الداخلية وخدمة المواطنين هاجسه الوحيد ، بل أن الاعتداءات الاسرائيلية الغادرة كانت شغله الشاغل أيضاً ، تلك الاعتداءات التي زادت عن ٢٠٠ حادث اعتداء بين كانون الثاني وأيار عام ١٩٥٣ ، وكان الحسين يقضي الليل ساهراً يفكر بحماية القرى العربية في الضفة الغربية من الغارات الاسرائيلية . ولم ينقطع تفكيره في تلك المسألة أبدا . وخلال فترة اشتباكات الحدود بين عامي ١٩٥١-١٩٥٦ كان الملك حسين أول من يهرع إلى مكان الاعتداء ويواسي ذوي الضحايا ويشد من أزر القوات الأردنية من جيش نظامي وحرس وطني مما كان يرفع من معنوياتهم ويزيد من تصميمهم على التصدي للعدوان .

ففي الاعتداء على قرية قبية ليلة ١٩٥٣/١٠/١٤ حيث دمر العدو ٤٢ منزلاً وقتل ٦٦ من الشيوخ والنساء والأطفال ، لم يكتف الملك حسين بالتنديد بالعدوان والشكوى للأمم المتحدة ، بل أمر بإعادة بناء القرية ومدرستها فوراً ، وعلى الصعيد العسكري أمر بالتحقيق في الحادث وبيان أسباب التقصير . وأشارت أصابع الاتهام إلى قائد اللواء الأردني العميد أشتن الذي تجاهل نجدة القرية فأمر الملك بطرده من الجيش العربي حالاً . وكانت هذه أول مرة يتخذ فيها مثل ذلك القرار .

الجيش العربي الهاشمي

وقد أدهش تصرف الملك جلوب باشا والضباط الانجليز وأبهج الشعب الاردني وزاد ثقته ومحبته لقائده . لم تتوقف الاعتداءات الاسرائيلية ، فوقع الاعتداء على قلقيلية في ١٠ تشرين الأول عام ١٩٥٦ وبعدها نحالين وبيت لقيا والسموع وغيرها . وكانت حجة اسرائيل في هذه الاعتداءات أنها ترد على أعمال التسلل التي يقوم بها العرب داخل الأراضي المحتلة .

تطور الجيش العربي الهاشمي : سنة ١٩٥٢ - سنة ١٩٦٧

قاد الجيش العربي مسيرة الجهاد منذ فجر الثورة العربية الكبرى ، فوطد الأمن في أرجاء إمارة شرق الأردن الفتية ، وشارك في تحرير سوريا والعراق وحماية الأماكن المقدسة في فلسطين ، وكان بالنسبة للحسين بن طلال حبة الفؤاد وقرة العين .

وينفرد الجيش العربي ـ دون جيوش العالم ـ بالعلاقة الحميمة بين أفراده والملك القائد ، ويعتز كل فرد بهذه العلاقة لدرجة أنه لا يرى حرجاً في أن يستوقف الملك ويحدثه بمشاكله الشخصية وهمومه العائلية ، حديث الأخ لأخيه والابن لأبيه .

تطورت قوة الجيش العربي بعد الحرب العربية الاسرائيلية تطوراً ملحوظاً في العدد والعدة ، حيث وصلت في نهاية الحرب إلى ١١,٠٠٠ جندي ، ثم إلى فرقة كاملة يصل عددها إلى ١٧,٠٠٠ جندي وضابط في عام ١٩٥٣ . ومع ذلك كانت القوة غير كافية للدفاع عن الحدود الطويلة مع العدو الصهيوني ، ودون طموحات الحسين الكبيرة رغم نموها السريع ، إذ بلغت ٢٣,٠٠٠ جندي في أوائل عام ١٩٥٦ .

في تلك الفترة بدأ الملك حسين بتطوير حرس الحدود المحلي إلى قوات شبه نظامية تتألف من وحدات الحرس الوطني وأفراد الاحتياط ، على أن يتم تدريبها وإعدادها للقتال لتصبح رديفاً للقوات النظامية وسنداً لها . كما بدأ بتطوير السلاح المدرع وسلاح المدفعية وتشكيل نواة لسلاحي الهندسة والصيانة والخدمات الإدارية .

كانت إحدى التجارب القاسية التي تعرض لها الجيش العربي عندما تلقى أمراً من رئيس الأركان جلوب باشا بقمع المظاهرات التي حدثت بسبب محاولة ضم الأردن إلى حلف بغداد عام ١٩٥٥ . وكان الحلف يهدف إلى وقف الزحف الشيوعي ـ كما يتخيله الغرب ـ على الشرق الأوسط . لذلك قامت العناصر الوطنية في الأردن تساندها مصر بقيادة عبد الناصر بمقاومة تلك المحاولات التي انتهت بالفشل وسقوط حكومة هزاع المجالي آنذاك . ورفض الأردن الدخول في حلف بغداد رغم الاغراءات التي قدمت له بالدعم المالي وزيادة قوة الجيش بنسبة ٣٥٪ باضافة لواء مشاة وكتيبة دروع وكتيبة مدفعية . كما أن الحلف نفسه أصيب بضربة قوية على إثر خروج العراق منه بعد ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .

كانت القيادة الأجنبية في الجيش العربي وعلى رأسها جلوب باشا من هواجس الملك حسين

الذي أدرك ـ منذ أن تسلم سدة الحكم ـ أنها تشكل عقبة في سبيل تطوير الجيش وإعداده للدفاع عن الوطن . وكان جلوب باشا يتجنب تسليم القيادة للضباط الأردنيين الأكفاء .

وبعد أن اختمرت فكرة التخلص من النفوذ الأجنبي في ذهن الملك الشاب استدعى جلوب باشا إلى مقابلته يوم ٢٩ شباط سنة ١٩٥٦ وسأله عن رأيه في تعريب الجيش وتسليم القيادة للضباط الأردنيين ، خاصة أولئك الذين تخرجوا من المعاهد العسكرية العليا ولديهم الكفاءة العسكرية المطلوبة . فأجابه رئيس الأركان : « إن الأمر ليس سهلاً كما يتصور جلالة الملك ويحتاج إلى زمن طويل قد يمتد عشر سنوات على الأقل قبل أن يكون الضباط الأردنيون قادرين على قيادة الوحدات ، وحتى لو تم ذلك فيجب أن يبقى رئيس الأركان بريطانياً » . كما كانت أجوبة جلوب باشا سلبية على بقية الأسئلة التي تتعلق بالأسلحة والذخيرة الاحتياطية وفك ارتباط الأجهزة الأخرى (الشرطة والمخابرات) برئاسة الأركان .

زادت محادثة الملك مع رئيس أركانه من تصميمه على تنفيذ قراره الخطير . ومع وجود محاذير كثيرة لانهاء خدمات الجنرال جلوب ـ رغم أنه يحمل الجنسية الأردنية ـ إلا أنه كان يعتمد على ولاء جيشه وشعبه ويعمل بما تمليه عليه المصلحة القومية والشعور الوطني . لذلك وفي يوم الخميس ١ آذار سنة ١٩٥٦ أصدر إرادته الملكية بإنهاء خدمات جلوب باشا مع عدد من كبار الضباط الانجليز في الجيش العربي ، وترفيع العميد راضي عناب إلى رتبة لواء وتعيينه رئيساً للأركان . وأبلغ جلوب باشا بقرار الاستغناء وأمهل حتى اليوم التالي لمغادرة البلاد . وفي الساعة ٧,٣٠ صباح يوم الجمعة ٢ آذار سنة ١٩٥٦ غادر جلوب باشا مطار عمان إلى بريطانيا منهياً بذلك فترة تزيد على ٢٦ عاماً في قيادة الجيش العربي جعلت منه أسطورة لا تنسى في تاريخ الأردن المناضل .

وعندما نقلت الإذاعة خبر طرد جلوب ، عمت الفرحة الناس في كل مكان ، وابتهج الشعب العربي في الأردن والوطن العربي وتنفس الصعداء لازاحة الكابوس الأجنبي الذي كان يجثم بظله الأسود على كل شيء في الأردن . لم يكن الحقد على جلوب بصفته الشخصية بقدر ما كان رمزاً لبريطانيا الاستعمارية التي تنكرت لوعودها للأمة العربية وأنشأت الدولة الصهيونية في قلب الوطن العربي .

وكلمة حق عن جلوب باشا ، فقد كان الرجل مخلصاً لواجبه كجندي ، أحب الجيش العربي وتفانى في خدمته ـ بما لا يتعارض والسياسة البريطانية ـ ويرجع إليه الفضل في إنشاء قوة البادية واستتباب الأمن في ربوع الأردن وبناء القوة السيارة التي شاركت في معارك سوريا والعراق وفلسطين في الحرب العالمية الثانية . وأخلص لأهل البلاد وأحبهم وكان ذا حكمة وبصيرة نافذة ، اتصف بالصبر والحلم والمرونة وسعة الأفق .

اثخنت الجراح التي سببتها بريطانيا وفرنسا جسم الأمة العربية ، وسيمر وقت طويل قبل أن تندمل وينسى العرب معاهدة سايكس ـ بيكو ، ووعد بلفور والجنرال غورو وغيرهم . لذلك كان

الجيش العربي الهاشمي

طرد جلوب باشا والضباط الانجليز رمزاً للخلاص من السيطرة الأجنبية على قيادة الجيش العربي الأردني المتطلع إلى تحرير الوطن السليب .

وقبل طرد جلوب بوقت قصير قام ـ بصفته رئيساً للأركان ـ بتقديم ايجاز للملك حسين عن خطة الدفاع عن المملكة ، وقد أسهب في وصف مراحل تحضير الخطة وكيف يتم تحديد القصد وتحليل أرض العمليات ومعلومات الاستخبارات ، وكيف يتم اختبارها بعمل تمرين لعبة حرب (War Game) وايجاد نقاط الضعف فيها ومعالجتها . وأدرك الملك حسين أن تلك الخطة تمثل وجهة النظر والآراء الخاصة بالضباط الانجليز الموجودين في القيادة العامة .

وكان مفهوم العمليات الذي وضعه جلوب باشا يرتكز على ثلاثة افتراضات أولها وهو غير محتمل (في ذلك الوقت) يعتمد على تعرض هجوم سوفيتي في الشرق الأوسط . والافتراضان الآخران يرتكزان على حرب اسرائيلية شاملة أو حرب (حدود) استنزاف . وكانت هذه الافتراضات كما يلي :

الافتراض الأول

قيام حرب عالمية بين الدول الغربية والاتحاد السوفيتي الذي يندفع عبر الشرق الأوسط لاحتلال قناة السويس وحقول النفط على الخليج العربي . وهكذا تصبح الأردن جسراً لعمليات القوات الروسية المندفعة عبر سورية والعراق .

الافتراض الثاني

عدوان اسرائيلي شامل موجه ضد مصر وسورية ولبنان والأردن مجتمعة ، أو على الأردن وحده بقصد الاستيلاء على الضفة الغربية كاملة .

الافتراض الثالث

قيام اسرائيل بحرب استنزاف ضد الأردن في صورة اعتداءات وأعمال إغارة مستمرة ضمن إطار سياسة الردع الاسرائيلية .

كان الاحتمال الأول بعيداً عن الواقع ، ولا يتوقع حدوثه في إطار العمليات الكبرى ، ولو افترضنا وحدث على سبيل الجدل فقط ، لما كان الأردن بجيشه الصغير قادراً على صد القوات الروسية الزاحفة على قناة السويس . وان ما دعا لوضع ذلك الاحتمال ، هو محاولة بريطانيا إقناع الأردن بأنه إذا تعرضت أراضيه لعدوان سوفيتي بموجب الفرضية الأولى ، فمن غير دول حلف بغداد يستطيع حمايته وصد الاعتداء عنه ؟ لذلك كان الافتراض سهماً في الهواء أدرك الملك حسين مرماه في الحال .

وفي الحقيقة إن الافتراضين الثاني والثالث كانا يمثلان الخطر الحقيقي الذي يواجه الأردن وعليه معالجتها . وكان الأردن ـ كاسرائيل يواجه حالتين من الأمن : الأمن الأساسي أو الدائم ، والأمن

الآني أو المؤقت المتمثل في الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة عبر خط الهدنة . أما الأمن الدائم فيكمن في كيفية التحضير لصد عدوان اسرائيلي شامل على الأرض العربية عامة أو الأردن (الضفة الغربية) خاصة .

وفي رأي جلوب باشا ، إذا شنت اسرائيل حرباً شاملة على الأردن فانها ستدفع برتل من بيسان باتجاه أريحا ورتل آخر يتقدم من مرتفعات القدس إلى وادي الأردن ، ويلتقي مع رتل بيسان في أريحا ، على أن يسبق ذلك احتلال القدس القديمة (العربية) والجسور على نهر الأردن بقوة إنزال مظلي .

ولمواجهة التهديد الاسرائيلي باحتلال المنطقة المهمة بيسان ـ أريحا في وادي الأردن ، قرر جلوب باشا تجميع القوات الاردنية وتنظيمها في قوتين متساويتين : النصف الأول من القوات يحتل خطاً دفاعياً في المناطق الحساسة في الضفة الغربية ، خلف قوات الحرس الوطني ـ المرابطة على الحدود ـ بعدة كيلومترات . فإذا حدث اشتباك محلي في أي مكان من الجبهة الغربية تكون القوات النظامية قادرة على نجدة وتعزيز ذلك المكان بسرعة . أما النصف الثاني (٥٠٪) فهو قوة الاحتياط الرئيسي . ونظراً لاتساع الجبهة واحتمال التقدم الاسرائيلي على محاور عديدة من الجنوب والوسط والشمال ، قرر رئيس الأركان أن أنسب مكان لتركيز الاحتياط ، بحيث يكون قادراً على التحرك على جميع المحاور وإلى كافة الاتجاهات ، كان قرب الزرقاء التي تبعد ٥٠ ميلاً عن وادي الأردن ولكونها القاعدة العسكرية للجيش العربي في تلك الأيام .

فإذا قامت اسرائيل بعدوان شامل على الأردن وتقدم جيشها على جميع أو بعض المحاور المؤدية للأردن ، عندها تتراجع قوات الحرس الوطني والقوات الأمامية وتتخذ مواقع دفاعية مناسبة على سلسلة المرتفعات الممتدة عبر قطاعات نابلس والقدس والخليل . وكان رئيس الأركان جلوب باشا يأمل بتدخل الأمم المتحدة خلال فترة القتال التراجعي الذي تقوم به القوات الأردنية من خط الهدنة إلى سلسلة المرتفعات ، ووقف القتال بالتالي قبل أن تتدخل قوة الاحتياط الرئيسي في المعركة .

وكان جلوب باشا قلقاً لرد الفعل المتوقع للسكان الفلسطينيين والسياسيين عندما تنسحب قوات الحرس الوطني والقوات النظامية من القرى الفلسطينية الأمامية . فلا زال رد الفعل العنيف (غير العادل في نظره) الذي جاء على أثر انسحاب سرية قوامها ١٠٠جندي من اللد والرملة في تموز سنة ١٩٤٨عالقاً بذهنه ، كما أنه لم ينس إخلاء المثلث العربي وتسليمه الاجباري لاسرائيل بعد توقيع اتفاقية الهدنة في رودس في نسان سنة ١٩٤٩ .

وقد يؤدي الفشل في انسحاب القوات المرابطة على خط وقف إطلاق النار إلى خط الدفاع الأول الممتد على طول مرتفعات نابلس والقدس والخليل ـ في الوقت المناسب إلى خسارة تعبوية تؤثر على الموقف الدفاعي في الضفة الغربية ، وتجعل القوات الأردنية غير قادرة على وقف التقدم

الاسرائيلي . كما أن الانسحاب في وقت مبكر إلى خط الدفاع والتثبت هناك والاستعداد لوقف العدو ، إلى أن تتدخل الأمم المتحدة والدول الكبرى ـ وهو الاحتمال الأكثر عقلانية ومنطقية من الناحية العسكرية ـ سيؤدي إلى انفجار سياسي في الأردن والعالم العربي .

ومع أن ضباط الأركان (البريطانيين) في القيادة الأردنية وضعوا خطة الدفاع على اعتبار أن الجهد الاسرائيلي الرئيسي سيوجه إلى الوادي الممتد بين بيسان وأريحا وتسيطر عليه المرتفعات الغربية بين نابلس والقدس والمرتفعات الشرقية (عجلون والسلط) إلا أنهم تجاهلوا العقيدة القتالية الاسرائيلية التي تتبع المفهوم الالماني في تنفيذ القصد الذي يتلخص في عملية إحاطة مزدوجة لتدمير قوات العدو باستعمال أسلوب التسلل واستخدام العمل غير المتوقع .

لم يكن القادة الاسرائيليون أمثال ايغال الون وتال ويوفي وشارون من السذاجة بحيث يزجون بقواتهم عبر جبهة ضيقة (٤×٥٠ ميلا) لا تتسع لمناورة كتيبة ، وهم يعرفون تماماً أن تدمير الجيش العربي الذي ينتشر بشكل رقيق على طول الحدود ممكن إذا تم التعرض على جبهة واسعة والاختراق في أكثر من نقطة ، ثم الاحاطة بالقوة العربية الصغيرة وتدميرها . أما ضباط الأركان البريطانيون فكانوا يخططون بالعقلية والتفكير البريطاني دون اعتبار للظروف الطبيعية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط .

لا يوجد مبرر عسكري من الناحية التعبوية لاحتلال جسر على نهر الأردن بقوات مظليين اسرائيلية ، خاصة وأن إنزال مثل تلك القوة على موقع تدافع عنه القوات الأردنية يسبب لها خسارة جسيمة ويسهل التغلب عليها ، هذا إذا علمنا أن أية قوة اسرائيلية بحجم فرقة قادرة على الاندفاع الأرضي وتنفيذ المهمة ،

رفض الملك حسين خطة رئيس الأركان وضباطه ، ورد قائلاً : لا أوافق على هذه الخطط التي سمعتها ولن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، وعلى الجيش أن يدافع مباشرة عن خط الهدنة ويهاجم إذا دعت الحاجة ولن أوافق على أي انسحاب للمرتفعات .

وإذا نظرنا نظرة مجردة للناحية العسكرية فقط ، لوجدنا أن الفضل كان لجلوب باشا والضباط الانجليز في تنشئة وتدريب الجيش العربي الذي شهد له الأعداء قبل الأصدقاء بالصمود والبسالة والكفاءة ولم يخسر الأرض التي دافع عنها في اللطرون والقدس والخليل . وبفضل رعاية الملك عبد الله وتوجيهاته ، ـ وحنكة جلوب باشا ـ خاض الجيش العربي المعارك في سوريا والعراق وفلسطين رغم صغر حجمه وقلة السلاح والعتاد لديه . ولم يخسر معركة حزيران إلا بسبب افتقاره ـ كبقية الجيوش العربية ـ إلى وحدة القيادة والتخطيط والتنسيق المسبق .

تعريب الجيش والنضال السياسي والعسكري : عام ١٩٥٦ ـ عام ١٩٦٧

بعد طرد جلوب في آذار عام ١٩٥٦ رقي مساعده للإدارة (العميد راضي عناب) إلى رتبة لواء وعين

رئيساً للأركان . وكان راضي عناب ضابطا في الجيش العثماني وأسر مع الحامية التركية في القطرانة من قبل جيش الأمير فيصل بن الحسين في أيلول عام ١٩١٨ . وقد خدم في قوة الشرطة الأردنية في أوائل العشرينات .

أعفي اللواء عناب من منصبه وعين بدلاً منه رئيساً للأركان اللواء علي أبو نوار من مجموعة الضباط الأحرار بعد أن رفع من رتبة مقدم إلى لواء متخطياً عدداً من كبار ضباط الجيش الذين شاركوا في حرب فلسطين ويتمتعون بكفاءة عسكرية وسمعة طيبة . وكان اللواء أبو نوار قد التحق بالجيش كمرشح ضابط عام ١٩٤٤ وعمل بعد تخرجه في وحدات المشاة والمدفعية . كما عمل ملحقاً عسكرياً في باريس (عام ١٩٥٥) ومرافقاً لجلالة الملك حسين بن طلال .

كان طرد جلوب باشا والضباط الانجليز من قيادة الجيش العربي بمثابة الشرارة التي أشعلت حماس القوى الوطنية في الأردن والوطن العربي ، فزادت الثقة بالملك حسين الذي اندفع مع التيار القومي ساعياً من أجل الوحدة العربية . أما الضباط الأحرار ، بغض النظر عن أهدافهم وميولهم السياسية المتباينة ، فلم يقدموا خلال عهدهم القصير (ممثلين برئيس الأركان) أي عمل يذكر لتطوير الجيش العربي باستثناء تشكيل لواء المشاة الرابع ـ الحسين بن علي ـ من كتائب الحرس الوطني في أواخر سنة ١٩٥٦ .

مع أن الخلافات السياسية بين الملك حسين والقوى الأخرى ـ سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو الخارجي ـ ليست موضوع هذا الكتاب ، إلا أنها قد ترد بقدر ما تلقي الضوء على مسيرة الجيش العربي الهاشمي وتطوره . فمنذ الثورة العربية ـ مروراً بأحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية ـ وحتى نهاية شباط سنة ١٩٥٦والجيش العربي يواصل خطى التقدم والتطور بانتظام دون أن يحوله عن أهدافه مؤثر خارجي ، لا يشغله إلا واجب الدفاع عن الوطن والإعداد له .

لم يدر بخلد الملك حسين أن تحرير الجيش من السيطرة الأجنبية سيوقعه في براثن الفوضى والتخبط ، ويصرفه عن واجبه السامي الذي نذر نفسه إليه . فمنذ أن تسلمت (مجموعة الضباط الأحرار) قيادة الجيش دب الاضطراب في صفوفه وامتدت الحزبية إلى كيانه وبدأ بفقد صفة الوحدة والكفاءة القتالية ، وانصرف الضباط إلى ممارسة السياسة يخطبون في الاجتماعات ويحضرون الندوات متناسين واجباتهم الأساسية في إعداد الجيش وتدريبه .

استمرت مسيرة التخبط والفوضى في عهد الحكومة الحزبية وبلغت ذروتها في محاولة الانقلاب الفاشلة التي قادها رئيس الأركان اللواء أبو نوار وانتهت بتصفية الضباط الأحرار وسقوط الوزارة وحل الأحزاب . هذا وقد تكررت هذه المرحلة عندما انتقلت تناقضات الأمة العربية إلى الساحة الأردنية متخفية في لباس العمل الفدائي فوقع الصدام المحتم في أيلول سنة ١٩٧٠ وانتهى بتصفية حركة المقاومة ـ التي انحرفت عن أهدافها بدفع من القوى العربية ولم يعد لها وجود على الجبهة الأردنية .

الجيش العربي الهاشمي

في الفترة التي انطلقت فيها مسيرة الجيش العربي الواعدة كان الرئيس جمال عبد الناصر زعيم الأمة العربية بلا منازع ، خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر وتأميم قناة السويس ، حيث زادت شعبيته في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج .

وفي ذلك الظرف المشبع بالروح القومية جاءت حكومة سليمان باشا النابلسي (الوطنية) إلى الحكم بعد توقيع اتفاقيات الدفاع المشترك بين الأردن وسوريا والسعودية والعراق وأخيراً مصر وتشكيل قيادة عسكرية مشتركة .

ولما بلغ نبأ العدوان الثلاثي على مصر (في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٥٦) أسماع الملك حسين استدعى رئيس وزرائه سليمان النابلسي ورئيس الأركان اللواء علي أبو نوار وطلب منهما إعداد الجيش لدخول الحرب ضد اسرائيل بينما اتصل الملك شخصياً بالرئيس عبد الناصر مبدياً استعداد الأردن لدخول الحرب إلى جانب مصر ، ولكن عبد الناصر شكر الملك على بادرته الطيبة وطلب منه التريث إلى أن ينجلي الموقف . وكان عبد الناصر يهدف من وراء ذلك إلى تضييق نطاق الحرب . وبعد أيام اتضحت نوايا بريطانيا وفرنسا الغادرة عندما احتلتا بورسعيد ومنطقة القناة واجتاحت اسرائيل سيناء كلها . وقد أدى تدخل الأمم المتحدة وأمريكا إلى ايقاف القتال وانسحاب القوات المعتدية بعد فشل الحملة ، فحققت مصر نصراً سياسياً عظيماً وانحسر النفوذ البريطاني (بعد هذا العدوان) وزاد سخط العالم على بريطانيا وحليفاتها في عدوانها الغادر .

أخذت الأحداث تتسارع في الأردن بعد أن ازداد نشاط الأحزاب على اختلافها ، وبدأت وزارة النابلسي الوطنية ومجموعة الضباط الأحرار يتصرفون تصرفات غريبة دون علم الملك حسين ، ففي الأول من نيسان عام ١٩٥٧ قامت كتيبة المدرعات الأولى بقيادة الرئيس نذير رشيد (الفريق فيما بعد) بمناورة أطلق عليها مناورة هاشم تم فيها تطويق مداخل العاصمة عمان . ولما طلب الملك من رئيس الوزراء ورئيس الأركان ايضاحاً للأمر ، أعطى كل منهما إجابة مناقضة وغير مقنعة . عندها أمر الملك كبير مرافقيه اللواء محمد المعايطة أن يطلب من القيادة العامة إبلاغه مسبقاً عن أي حركة تقوم بها الوحدات العسكرية .

ازداد الأمر سوءاً باحتجاج الحكومة لدى الملك على إرساله رئيس ديوانه برسائل إلى ملوك ورؤساء الدول العربية دون علم رئيس الوزراء ، وفي ٩ نيسان أحال مجلس الوزراء عدداً من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين (ومنهم رئيس الديوان الملكي بهجت التلهوني ومدير الأمن العام اللواء بهجت طبارة) على التقاعد دون موافقة الملك المسبقة . ولما علم الملك بالقرار أمر بوقفه وطلب من رئيس الوزراء أن يقدم استقالته فوراً . وفي اليوم التالي (١٠ نيسان) انطلقت المظاهرات الصاخبة في مختلف أنحاء المملكة (في الضفتين) تطالب بعودة النابلسي للحكم ، ورفضت الأحزاب التعاون مع الشخصيات البارزة في البلد لتشكيل حكومة جديدة . وأثناء ذلك وصلت إلى الملك رسالة تبلغه بوجود مؤامرة يدبرها الضباط (الأحرار) ضد نظام الحكم في الأردن ، فطلب الملك من رئيس الأركان

علي أبو نوار الحضور إلى القصر وأطلعه على فحوى الرسالة وسأله عن صحة الخبر ، وفي أثناء الحديث جاءت مخابرة تلفونية من الزرقاء إلى علي أبو نوار وكان المتحدث على الطرف الآخر المقدم معن أبو نوار قائد لواء الأميرة عالية ، وسمع الملك علي وهو يقول لمعن امنعوهم من الحركة ، فهب الملك حسين واقفاً وارتدى ملابسة العسكرية وانطلق يصحبه اللواء أبو نوار إلى الزرقاء ، وعند جسر الرصيفة (بين عمان والزرقاء) التقى بسيارة نقل عسكرية تحمل جنوداً قادمين باتجاه عمان يهتفون بحياته وسقوط أبو نوار .

نزل الملك من سيارته فعرفه الجنود والتفوا حوله وهم يرددون شعار الولاء والطاعة وسقوط الخونة . وكان أبو نوار قد انزوى تحت شجرة بعيداً عن الجنود الذين قالوا للملك إنهم قادمون لحماية القصر كمقدمة لزملائهم بعد أن علموا أن هناك مؤامرة ضد العرش الهاشمي[1] . فشكرهم الملك وطلب منهم العودة لزملائهم وطمأنتهم . ثم تابع سيره إلى الزرقاء تاركاً اللواء أبو نوار يعود إلى عمان بعد أن توسل إليه طالباً الإذن بعدم مرافقة جلالته إلى الزرقاء .

ولما وصلت سيارة الملك نادي الضباط بالزرقاء وسط حشد من المدنيين والعسكريين وأصوات الرصاص تملأ المكان ، ترجل الملك من سيارته وطلب من الجنود العودة إلى معسكراتهم ، ثم تابع سيره إلى باب معسكر المدفعية[2] حيث كانت السيارات العسكرية المعطلة تسد الطريق على إثر الاشتباك بين جنود المدفعية الذين كانوا يمنعون جنود المشاة من الذهاب إلى عمان ، ظناً منهم ان المشاة متآمرون على الملك بينما كان جنود المشاة يعتقدون أن جنود المدفعية هم المتآمرون ويريدون منعهم من الوصول إلى عمان لحماية القصر .

وهكذا أمضى الملك ليلة ١٣ ، ١٩٥٧/٤/١٤ يطوف بمعسكرات الجيش حيث زار معسكر لواء الأميرة عالية ، والمدفعية والهندسة والمدرعات وطمأنهم على الوضع وأبلغهم أن يعودوا لممارسة أعمالهم العادية بعد أن شكرهم على حرصهم ويقظتهم .

ولما عاد الملك إلى القصر في نفس الليلة أعفى اللواء علي أبو نوار من منصبه (وسمح له بالسفر إلى دمشق) وعين محله اللواء علي الحياري الذي لم يستمر في عمله طويلاً ، حيث ذهب في ١٨ نيسان بحجة التنسيق مع السوريين على الحدود الشمالية ولم يعد ، وأعلن فيما بعد أنه التجأ إلى سوريا أيضاً .

بعد فرار علي الحياري (الجندي المحترف الذي قاد الكتيبة الخامسة في الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨) تسلم اللواء حابس المجالي (المشير فيما بعد) وظيفة رئيس الأركان . وكان حابس قد

(١) كان من قادة المؤامرة بالاضافة إلى اللواء علي أبو نوار : قائد لواء الأميرة عالية المقدم معن أبو نوار وقائد سلاح المدفعية المقدم محمود المعايطه وقائد سلاح الهندسة المقدم أحمد زعرور والمقدم شاهر أبو شاحوط قائد اللواء الهاشمي والرئيس نذير رشيد قائد كتيبة المدرعات الأولى وعدد من ضباط الأسلحة والخدمات ـ المعرب ـ :

(٢) كنت الضابط الوحيد الذي التقى بجلالة الملك عند باب المدفعية وشهدت فرحة الجنود وهتافهم بحياة جلالته ـ المعرب ـ .

الجيش العربي الهاشمي

التحق بالجيش العربي عام ١٩٣٣ وخدم في سلاح الفرسان . ثم نقل إلى قوة الشرطة عام ١٩٤١ ، وكان أول ضابط عربي يقود كتيبة مشاة وهي الكتيبة الرابعة التي أبلت بلاء حسناً في معارك باب الواد عام ١٩٤٨ ، وقد عمل رئيساً للأركان أكثر من عشر سنوات ثم قائداً عاماً للقوات الأردنية ، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٧٦ ، حيث خلفه الشريف زيد بن شاكر بعد خدمة فعلية دامت ٤٣ عاماً مليئة بالانجازات الرائعة . وقد واكب مسيرة الجيش العربي الهاشمي ونموه منذ أن بدأ بأربعة ألوية مشاة مكونة من ١٠ كتائب مشاة و ٣ كتائب مدرعة إلى أن أصبح ١١ لواء (٩ مشاة و ٢ دروع) كما نمت بقية الأسلحة والخدمات وتطورت تطوراً ملحوظاً خاصة بعد القضاء على الفتنة التي كادت تخرج البلاد والجيش عن جادة الصواب .

تقدمت أمريكا بمساعدتها الاقتصادية والعسكرية للأردن بعد أن امتنعت المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا عن دفع التزاماتها التي تعهدت بها لتحل محل المعونة البريطانية البالغة ١٢,٥ مليون جنيه سنوياً التي انقطعت بعد إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية سنة ١٩٥٧ .

ونتيجة حالة الحصار والعزلة التي فرضت على الأردن اتجه الملك حسين إلى العراق الشقيق وتم تشكيل الاتحاد العربي الهاشمي بين البلدين ودام من ١٤ شباط سنة ١٩٥٨ إلى ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ حيث انتهى بحركة عسكرية (ثورة تموز) قام بها الجيش العراقي بقيادة العميد الركن عبد الكريم قاسم قضى فيها على الأسرة الهاشمية في العراق بمذبحة مؤلمة .

وقد سيطر الغضب والانفعال على الملك حسين لدى سماعه نبأ المجزرة في العراق فقرر إرسال قوة مقاتلة لقتال الثوار بقيادة خاله الشريف ناصر بن جميل ، وتقدمت القوة مسافة ١٥٠ ميلاً باتجاه العراق قبل أن يهدأ الملك حسين ، ثم يفكر تفكيراً عقلانياً غير متأثر بسورة الغضب ويستدعي القوة إلى الأردن ويلغي واجبها الذي كلفت به .

بعد ثورة العراق وفشل الاتحاد عاد الأردن معزولاً كالسابق ، إذ صار النظام الجديد في العراق معادياً للأردن ، ولم تكن العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة باقليميها (مصر وسوريا) ولا مع السعودية جيدة وكان لبنان مسرحاً لحرب أهلية فاضطر الأردن لطلب مساعدة عسكرية مباشرة من بريطانيا وبالفعل أرسلت بريطانيا لواء مظليين إلى عمان بقي فيها من تموز إلى نهاية تشرين الأول سنة ١٩٥٨ .

ثم تحسنت العلاقات قليلاً بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة . ولكن في ١٩٥٨/١١/١٠ اعترضت طائرات من سوريا طائرة الملك حسين وهو في طريقه إلى الخارج عندما كان في الأجواء السورية . وفي ربيع سنة ١٩٥٩ اكتشفت محاولة لتدبير انقلاب عسكري في الأردن برئاسة اللواء الركن صادق الشرع نائب رئيس الأركان آنئذ وأحبطت .

وبالقضاء على مؤامرة الشرع ، أصبحت سيطرة الملك على الجيش قوية ، واستمر في تقوية العلاقة بينه وبين أفراد القوات المسلحة ، واهتم برفاهيتهم وتدريبهم وحسن رعايتهم واستمرت هذه

العلاقة الحميمة في مختلف الظروف وأسهمت في استقرار الأردن رغم الأحداث المؤلمة التي كانت تنتابه . ففي ١٩٦٠/٨/٢٩ اغتيل رئيس وزراء الأردن هزاع المجالي ومع ذلك استمر الاستقرار بقيادة الملك وسار البلد في طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي وبقية المجالات .

ومع اهتمام الملك حسين بخطة التنمية والنواحي الاقتصادية والاجتماعية في المملكة إلا أن اهتمامه الأساسي بقي موجهاً إلى الجانب الأهم المفضل لديه ، وهو الجيش الذي زاد من تسليحه بالأسلحة الأمريكية الحديثة ، واعتنى عناية خاصة بالمعاهد والكليات العسكرية ومستوى التدريب فيها . ولما كان جندياً بطبعه وغريزته ، فقد كان يفضل قضاء أمسية بين جنوده ـ يتفقد مواقعهم ويطمئن على أحوالهم ـ على عقد اجتماع والاسترخاء خلف مكتبه يناقش أموراً نظرية . وعندما كان يعلم بحادث اعتداء على القرى الفلسطينية كان يهب مسرعاً إليها يجوس خلال الدمار الذي تخلفه القوات الاسرائيلية فيواسي القرويين المنكوبين ويبث الحماس في جنود الحرس الوطني والجيش العربي .

وضع مفهوم استراتيجي وعقيدة قتالية للجيش العربي سنة١٩٦٢

لقد حالت الظروف السياسية الداخلية والخارجية والالتزامات الأمنية منذ أوائل الخمسينات دون إعطاء فرصة للقيادة العامة لوضع مفهوم استراتيجي وعقيدة قتالية يسير عليها الجيش عند تنفيذ عملياته العسكرية في المنطقة . وعندما سنحت الفرصة وعم الهدوء (النسبي) عام ١٩٦٢ أمر الملك حسين بانشاء مديرية التخطيط والتنظيم وعين العقيد الركن عامر خماش مديراً لها حيث بدأ محاولة جادة لوضع مفهوم استراتيجي وعقيدة قتالية تلائم الظروف المحلية وطبيعة العدو الذي يتعامل معه الجيش العربي . وكان العقيد عامر خماش قد التحق بالجيش عام ١٩٤١ وتدرب كطيار ملاحظة جوية في سلاح المدفعية الملكي ، ثم أحيل على التقاعد برتبة فريق وكان قد شغل منصب رئيس الأركان سنة ١٩٦٥ ، ثم عينه الملك وزيراً للبلاط المنصب الذي يحتفظ به حتى الآن [١٩٨١]

كان المفروض في أي مفهوم استراتيجي أو عقيدة قتالية لأي دولة عربية ، أن تتلاءم مع المفهوم الاستراتيجي العام للقيادة العربية الموحدة ولو نظرياً على الأقل . وكانت عقيدة الجيش العربي في ذلك الوقت تتلخص في الدفاع عن الضفة الغربية من خلال الدفاع عن المناطق الحيوية . في مرتفعات نابلس والقدس والخليل ، إلى أن يتدخل الاحتياط من الضفة الشرقية . وقد تغير هذا المفهوم كلية بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ حيث أصبحت الدفاعات الأردنية ترتكز على طول سلسلة المرتفعات الشرقية ونهر الأردن[١] .

كان الدفاع عن الضفة الغربية يتم بواسطة الألوية المستقلة التي ترتبط مباشرة بالقيادة العامة إلى أن شكلت قيادة الجبهة الغربية[٢] . لتتولى السيطرة على التشكيلات في العمليات الحربية في

(١) قام بعض القادة باجتهادات شخصية لتطوير مفهوم جديد يعتمد على الدفاع التعرضي بعد كارثة حزيران سنة ١٩٦٧ ومنهم العميد الركن محمد بشير قائد لواء الأميرة عالية (اللواء قائد الفرقة الأولى ومساعد رئيس الأركان للتخطيط والتنظيم فيا بعد) الذي بدأ بارسال الدوريات الكاشفة والمقاتلة غربي النهر والرد على العدو . وكان القصد خلق روح التعرض وإعادة الثقة بالنفس للجنود ـ المعرب .

الضفة الغربية ، وقد وضع بإمرتها سبعة ألوية مشاة من أصل تسعة ألوية هي كل موجود الجيش العربي آنذاك . كما تم وضع لوائي الدروع ٤٠ و ٦٠ احتياطاً للجبهة الغربية التي كان مقرها في مدينة رام الله . ووضعت بقية القوات بأمرة الجبهة الشرقية ومقرها في الزرقاء .

إلا أن قيادة الجبهة الغربية فشلت في السيطرة على قوات الجبهة بسبب اتساع المنطقة وصعوبة الاتصالات وبرزت الحاجة لوجود قيادات متوسطة لإدارة العمليات وكان من الممكن لهذه القيادات (لو وجدت) أن تشرف على ثلاثة إلى أربعة ألوية من النواحي التدريبية والقتالية . ورغم الظروف السياسية والاقتصادية التي كان يواجهها الجيش العربي الا أنه بدأ يتبنى مفهوم الدفاع التعرضي الذي طبقته القوات الأردنية في حرب الحدود بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ وحتى بداية عام ١٩٧٠ كما ركزت مديرية التخطيط والتنظيم جهدها لخلق تنظيم متوازن ومنظومة إدارية مناسبة بالاضافة لاهتمامها بتطوير مدارس ومعاهد القوات المسلحة الأردنية . ويبين الجدول الوارد في الصفحتين ٢١٠ ، ٢١١ نمو الجيش العربي من ثلاثة ألوية عام ١٩٥٦ إلى ١١ لواء عام ١٩٦٧ وما رافق ذلك من تطور في الأسلحة والمعدات .

كانت محاولة القيادة الأردنية في ايجاد مفهوم استراتيجي وعقيدة قتالية تلائم الجيش العربي الذي بقي متأثراً بالمفهوم والتنظيم البريطانيين ـ أول محاولة ـ جادة لتبني أفكار عربية محلية . فقد كان التنافس واضحاً بين المفهوم البريطاني الذي يعتبر الدفاع عن الأردن جزءاً من الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، والمفهوم الأردني الذي يعتبر اسرائيل العدو الأول وينطلق في عقيدته القتالية من تلك النقطة .

سلاح الجو الملكي الأردني : سنة ١٩٥١ ـ سنة ١٩٧٩

رعى الملك عبد الله الاحتفال الرسمي الذي جرى في مطار عمان بمناسبة تأسيس سلاح الجو الملكي الأردني في ١٧ تموز سنة ١٩٥١ . ويرجع ميلاد سلاح الجو الأردني الرسمي إلى تاريخ ٢٢ تموز سنة ١٩٤٨ عندما ألحق قائد الجناح البريطاني جون ديفريل بقيادة الجيش العربي في عمان ، ليضع فكرة إنشاء سلاح جو أردني موضع التنفيذ ، وسمي «قوة طيران الجيش العربي» .

وفي عام ١٩٥١ كان سلاح الجو الأردني يتألف من ٤ طائرات أوستر وستة طيارين أردنيين ، بقيادة الطيار البريطاني العقيد دالقليش المعار من سلاح الجو البريطاني . وقد اختير معظم الطيارين من سلاح المدفعية كطياري ملاحظة جوية ، ومنهم النقيب الطيار (فريق فيما بعد) عامر خماش ومنذر عناب والملازم ابراهيم عثمان (قائد سلاح الجو من سنة ١٩٥٦ ـ سنة ١٩٦٢) والملازم علي شقم (مساعد قائد سلاح الجو عام ١٩٥٩) .

(٢) سلمت قيادة الجبهة الغربية إلى اللواء محمد أحمد سليم الذي كان قائداً لكتيبة المشاة ٤ في القدس والشيخ جراح (سنة ١٩٥٥) ولواء الحسين بن علي في الجنوب، واللواء سليم من الضباط الذين ساهموا في تشكيل وبناء القوات المسلحة الأردنية ـ المعرب .

معركة البقاء

من تلك البداية المتواضعة انطلق سلاح الجو الملكي الأردني وتطور إلى أن أصبح يمتلك أحدث الطائرات المقاتلة النفاثة في عصرنا الحديث . وقد تطورت القوة الجوية الناشئة بدعم من الملك الشاب الذي تسلم عرش المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٥٣ وكان مولعاً بالطيران فتعلمه وأتقن قيادة الطائرات النفاثة ، وكان يتقد حماساً لبناء سلاح الجو الأردني ليكون في طليعة الأسلحة الجوية الحديثة في المنطقة .

تطور سلاح الجو الأردني ليصبح (في عام ١٩٥٦) مؤلفاً من سربي طائرات نفاثة تقل سرعتها عن سرعة الصوت : السرب الأول مكون من ١٢ طائرة فامبير بريطانية والسرب الثاني ١٢ طائرة هوكر هنتر بقيادة العقيد بنيت من سلاح الجو البريطاني . وعندما تم طرد القادة الانجليز من الجيش العربي عام ١٩٥٦ تسلم الرائد الطيار (الفريق فيما بعد) ابراهيم عثمان قيادة سلاح الجو الملكي الأردني .

في تلك الفترة تم استلام قاعدة المفرق العسكرية من الجيش البريطاني ، وسميت قاعدة الملك حسين الجوية ، ووضع فيها سرب طائرات هوكر هنتر . واستمر ابراهيم عثمان قائداً لسلاح الجو الأردني مدة ٥ سنوات ، حيث سلم القيادة إلى الرائد (المقدم فيما بعد) جريس مشربش الذي احتفظ بالمنصب إلى عام ١٩٦٢ عندما تسلم قيادة سلاح الجو الرائد الطيار (الفريق فيما بعد) صالح الكردي .

وعندما قامت حرب حزيران عام ١٩٦٧ دمر سلاح الجو الاسرائيلي ألـ ٢١ طائرة الهوكر هنتر من سلاح الجو الأردني حيث أسقط بعضها بعد عودتها من مهمام قتالية فوق المواقع الاسرائيلية . وكانت خسائر سلاح الجو الأردني جزءاً من خسائر أسلحة الجو العربية التي ادعت اسرائيل ايقاعها وبلغت ٤٥٢ طائرة من أصل ٦٣٨ طائرة تملكها دول المواجهة العربية .

وقد قاتل الطيارون العرب الذين أتيحت لهم فرصة الاقلاع بطائراتهم قتالاً عنيفاً ، واستشهد الكثيرون منهم في معركة غير متكافئة[١] .

بدأت مرحلة إعادة تنظيم شاملة للقوات المسلحة الأردنية بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ومن ضمنها سلاح الجو الملكي الأردني ، الذي باشر بانشاء القواعد الجوية الجديدة وشراء الطائرات الحديثة . وفي أوائل عام ١٩٦٨ وصلت إلى الأردن أول دفعة من الطائرات الأمريكية المعترضة ف ١٠٤ (٦ طائرات) ووضعت في قاعدة الأمير حسن الجوية قرب الجفايف (H 5) . وبقي السلاح تحت قيادة صالح الكردي الذي عين سفيراً في ايران عام ١٩٧١ ، ثم عاد وتسلم قيادة السلاح الجوي ثانية عام ١٩٧٥ إلى أن أحيل على التقاعد برتبة فريق عام ١٩٨٠ .

وما أن حل عام ١٩٦٩ حتى كان سلاح الجو الأردني يتألف من ٢٤ طائرة هوكر هنتر (اشتريت

(١) استشهد في هذه المعارك الطيار المقاتل فراس العجلوني الذي كان من أبرز طياري سلاح الجو الأردني ـ المعرب .

تطور ونمو القوات المسلحة الأردنية : سنة ١٩٥٦ - سنة ١٩٦٧

القيادة والسيطرة (قيادة التشكيلات)	ألوية ألوية	ألوية دروع كتائب مستقلة	مدفعية
أ	ب	ج	د
سنة ١٩٥٦			
القيادة العامة			
رئيس أركان/قائد عام	٣	**قيادة لواء**	٣ كتائب
نائب رئيس أركان		كتيبتا مدرعات	
(القوات البرية)			مدفعية
مدير أمن عام		كتيبة دبابات	ميدان (٢٥
قائد الحرس الوطني			رطل)
هيئة الركن			
عمليات واستخبارات			كتيبة مقاومة
قوى بشرية			طائرات
إمداد وتجهيز			خفيفه
(إدارة لوازم)			
قيادة فرقة مشاة ١			
قيادات ألوية مشاة ٣			
قيادة سلاح مدرع ١			
قيادة سلاح مدفعية ١			
قيادة سلاح هندسة ١			
سنة ١٩٦٧			
الجبهة الغربية			
قيادة الجبهة الغربية	٩	لواءا دروع	
٧ قيادات ألوية مشاة			
قيادة مدفعية الجبهة		كتيبتا دبابات مستقلتان	
قيادة هندسة الجبهة			
قيادة لاسلكي الجبهة			
الجبهة الشرقية			
قيادة الجبهة الشرقية			
قيادتا لواء مشاه			
قيادة مدفعية الجبهة			
قيادة هندسة الجبهة			
قيادة لاسلكي الجبهة			
وحدات القيادة العامة			
قيادة اللواء المدرع ٤٠			
قيادة اللواء المدرع ٦٠			

هندسة	وحدات اسناد فني/إداري	سلاح الجو	المجموع العام (للقوات)	الحرس الوطني
هـ	و	ز	ح	ط
	وحدات اسناد فني **سنة ١٩٤٦-سنة ١٩٤٨**		**سنة ١٩٣٩** (١٥٠٠ شرطة ودرك)	
كتيبة	سيارات = ٤٠٠		سنة ١٩٤٨-٦٠٠٠	
هندسة	سنة ١٩٥٣ سيارات = ٤٠٠٠		سنة ١٩٤٩-١٩٥٠ ١٢٠٠٠	سنة ١٩٥١-١٩٦٧ ٣٠,٠٠٠
	مشاغل فنية سنة ١٩٥٣ ٢,٣٠٠		سنة ١٩٥٣ ١٧٠٠٠-٢٠٠٠	
			١٩٥٦ ٢٥٠٠٠ (منهم ١٥٠٠ ضابط)	
		٢١ طائرة هوكر هنتر		
			٥٥,٠٠٠	

من بريطانيا والعراق والكويت) وسرب ف ـ ١٠٤ (١٦ طائرة) وسرب نقل يشتمل على ٤ طائرات أمريكية نوع س ـ ٤٧ ، وطائرتي ركاب نوع دوف بالاضافة إلى ٥ طائرات هليكوبتر . كما تم إنشاء محطات رادار جديدة ومهابط ميدان في مختلف أنحاء الأردن .

وفي عام ١٩٧١ تسلم العميد وليد شرف الدين قيادة سلاح الجو الأردني خلفاً للفريق صالح الكردي . وتم في عهده زيادة طائرات النقل بشراء أربع طائرات نوع س ـ ١١٩ وطائرات هوكر هنتر وبناء محطة رادار إضافية .

وعندما اندلعت الحرب بين الهند وباكستان قدم الملك حسين ٦ طائرات مقاتلة نوع ف ـ ١٠٤ للباكستان تعبيراً عن دعمه المعنوي والمادي لها وقد وضعت الطائرات في قاعدة موري بور قرب كراتشي وأسقطت واحدة منها فوق ران كوش بينما كان يقودها طيار من ألمع الطيارين الباكستانيين ، وقد لاقت بادرة الملك حسين التقدير والعرفان من الشعب الباكستاني الذي أعجب بشجاعته وكرمه ، لا سيما وأن الأردن كان البلد العربي الوحيد الذي مد يد المساعدة للباكستان في وقت الحاجة .

استمر تطوير سلاح الجو في السنوات التالية ، حيث تم تزويده بمزيد من طائرات ف ـ ١٠٤ و ف ـ ٥ وطائرات نقل نوع س ـ ١٣٠ وطائرات هليكوبتر فرنسية . وبلغت قوته عشية حرب رمضان تشرين الأول ١٩٧٣ نحو ٧٠ طائرة مقاتلة مؤلفة من ٢٢ طائرة ف ـ ٥ و ٢٨ هوكر هنتر و ٢٠ طائرة ف ـ ١٠٤ .

إلا أن الأمر الخطير الذي كان يشغل فكر الملك حسين والقادة العسكريين هو أن المملكة الأردنية الهاشمية(بما فيها القواعد الجوية) كانت غير محمية من الطيران الاسرائيلي ولا تتوفر لديها وسائل الدفاع الجوي سوى بعض المدافع القديمة (من نوع ٤٠ ملم ورشاش ٥٠٠ الرباعي) التي لا تصلح إلا للدفاع ضد الطيران المنخفض . وبدون الغطاء الجوي أو شبكة الدفاع الجوي الحديثة سيكون الأردن فريسة سهلة لسلاح الجو الاسرائيلي الذي يزيد عن ٤٠٠ طائرة حديثة . لذلك كان اعتماد الأردن على أسلحة الجو العربية وشبكة الدفاع الجوي السوري التي تغطي جزءاً من الأراضي الأردنية وتضم نحو ٢٤ بطارية صواريخ سام ٢ و ٣ وكذلك ١٤ بطارية سام - ٦ .

وعندما نشبت حرب (رمضان) تشرين الأول عام ١٩٧٣ اتخذ الملك حسين قراراً سياسياً وعسكرياً حكيماً بوضعه الفرقة الثالثة المدرعة تحت أمرة القيادة السورية . وكان من أهم الاعتبارات التي جعلت الملك يفعل ذلك :

أولا : عدم توفر الغطاء الجوي للقوات الأردنية ووضعها تحت القيادة السورية لتقاتل في الجولان لأنها تستطيع العمل بحرية تحت مظلة الدفاع الجوي السورية .

ثانيا : لا تستطيع القوات الأردنية أن تجتاز نهر الأردن بدون حماية جوية ولو حاولت ذلك لتعرضت

للقصف الجوي المستمر من سلاح الجو الاسرائيلي وتمت إبادتها بالتالي دون أن تستطيع القوات الجوية المصرية أو السورية تقديم المساعدة لها .

وتم إخراج طائرات الهوكر هنتر من الخدمة في سلاح الجو الأردني بعد حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ وأدخلت محلها القاذفة الأمريكية ف ـ ٥ . وفي عام ١٩٧٦ تم تجهيز جميع الاسراب المقاتلة في سلاح الجو الأردني بطائرات ف ـ ٥ القاذفة المقاتلة .

أما من ناحية العقيدة والمفاهيم التعبوية للقتال الجوي فلم يكن في مقدور الاسراب الأردنية الثلاثة أن تقدم أكثر من حماية جوية محدودة (محلية) وإسناد محدود جداً للقوات الأرضية ، وسيبقى الأردن أسير الخطر الصهيوني إلى أن يكتمل بناء شبكة الدفاع الجوي بشكل يجعلها قادرة على صد الطيران الاسرائيلي عن الأجواء الأردنية[١] .

سلاح البحرية الملكي الأردني (خفر السواحل) سنة ١٩٥١ ـ سنة ١٩٧٩

أنشئت أول نواة لسلاح البحرية الأردني عام ١٩٥١ بقيادة ضابط بريطاني وكان أقدم ضابط عربي الملازم سليمان هلال الجلامدة الذي ساهم بانزال أول مجموعة من الزوارق الخفيفة إلى مياه البحر الميت وتأسيس قيادتها على طرفه الشمالي الغربي قرب أريحا . وكانت المهمة الوحيدة الموكولة له هي القيام بأعمال الدورية على الشاطىء الغربي للبحر الميت (من عين جدي وحتى سدوم في الجنوب) .

ولما تسلم سليمان الجلامدة قيادتها وكانت تسمى «سرية الزوارق» بدأ بتطوير السرية لتكون قادرة على تنفيذ مهمتها بكفاءة ، فقام بشراء معدات غطس وتدريب ، وتم مضاعفة الزوارق وتنويعها وتسليحها برشاش ٢٠ ملم و ٥٠ ملم ، كما تم ايفاد عدد من الضباط وضباط الصف في دورات إلى بريطانيا ، ومن بينهم قائد السرية (الجلامدة) الذي أدهش الانجليز في كفاءته وقدرته على اجتياز اختبار صعب لم يسبق أن درب عليه من قبل . وقد بقي سليمان الجلامدة قائداً للوحدة إلى أن أحيل على التقاعد برتبة مقدم بحري بتاريخ ١٩٦٤/٧/١٢ .

تسلم المقدم فؤاد سلامة قيادة السرية من سليمان الجلامدة في البحر الميت ومن هناك انتقلت السرية إلى العقبة على شاطىء البحر الأحمر بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، ولم يحدث تطور يذكر على السرية سوى زيادة عدد أفرادها إلى ٢٠٠ جندي وضابط وزيادة عدد زوارق الحراسة واستبدال بعضها بنوعية أفضل .

وفي ١٩٧١/٩/٢٥ أحيل المقدم فؤاد سلامة على التقاعد وحل محله الرائد (مقدم حالياً) كمال

(١) أدركت الدول العربية الغنية (النفطية) حاجة الأردن الملحة الى شبكة دفاع جوي لجعله قادراً على حماية أرضه التي تشكل خط الدفاع الأول عن المشرق العربي فقامت المملكة العربية السعودية بدفع ثمن ١٤ بطارية صواريخ هوك للأردن الذي باشر باستيرادها من الولايات المتحدة الأمريكية .

يونس إسلام . ويجري التخطيط لتسليح القوة بزوارق الطوربيد السريعة لتكون قادرة على حراسة ميناء العقبة المجاور لمياه ايلات الاسرائيلي .

سلاح المدفعية الملكي

استخدمت المدفعية ـ كسلاح ناري ـ في الحروب في مطلع القرن الخامس عشر (١٤٠٥) قبيل استخدام البندقية بفترة وجيزة . وتطورت المدفعية تطوراً كبيراً تبعه تطور في التحصين والتعبئة والترتيب القتالي وصار الاعتماد على الاسناد المدفعي في كل معركة أمراً حيوياً لتحقيق النصر .

ولم يقلل من أهمية المدفعية اختراع الدبابة والطائرة في النصف الأول من القرن العشرين خاصة بعد اختراع المدفعية الصاروخية واعتبارها وسيلة قذف مأمونة واقتصادية إذا ما قورنت مع الطائرة .

ومن هنا كان لابد من الحديث عن دور سلاح المدفعية الملكي في الجيش العربي الأردني الذي ساهم مساهمة فعالة في المعارك العربية الاسرائيلية لدرجة أنه كان وسيلة الاشتباك الوحيدة ـ أحياناً ـ بسبب ظروف القوات المسلحة الأردنية وسيطرة العدو الجوية .

ومر سلاح المدفعية الملكي في ثلاث مراحل من التطور، بدأت المرحلة الأولى عندما وصل الجيش العربي ستة عشر (١٦) مدفعاً من عيار ٢٥ رطل انجليزي في شباط عام ١٩٤٨ وشكلت أول كتيبة مدفعية على النحو التالي :

قيادة الكتيبة القائد المقدم ج . هيرست (انجليزي)
البطارية الأولى القائد الرائد محمد المعايطة
البطارية الثانية القائد الرائد روبنسن (انجليزى)

ولما دخل الجيش العربي فلسطين في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ لم يكن رئيس الأركان جلوب باشا يرغب في دخول المدفعية مع الجيش إلا أن اتصال بعض ضباط المدفعية بالملك عبد الله أجبر جلوب باشا على دخول المدفعية إلى فلسطين حيث كلفت باتخاذ مواقعها لمساندة عمليات الجيش العربي في القدس واللطرون وباب الواد . وقد أبلت بلاء حسناً في صد الهجمات المتتالية على مواقع الكتيبة الرابعة في باب الواد وصبت حممها على القوات الصهيونية في كنيسة النوتردام والأحياء المحيطة بها واستشهد من رجالها الكثيرون كان من بينهم الملازم محمد نجيب . ومن أبرز العمليات التي قامت بها كتيبة المدفعية الأولى تحطيم الهجوم الصهيوني على باب الواد في ١٩٤٨/٥/٢٠ واحتلال تلة الرادار في قطاع القدس . وكان الأمير (الملك) طلال يشارك ضباط ملاحظة المدفعية في باب الواد والنبي صموئيل أعمالهم وواجباتهم .

معركة البقاء

وبعد انتهاء أول حرب عربية اسرائيلية وبتوقيع اتفاقية الهدنة ، اهتمت رئاسة أركان الجيش العربي بتدريب وتسليح القوة الأردنية وزيادة عددها . فشكلت قيادة مدفعية الجيش عام ١٩٥١ وعين المقدم اليوت قائداً لها وكان يعتبر مستشاراً لرئيس أركان الجيش في شؤون المدفعية . وفي هذه المرحلة التي انتهت بطرد جلوب باشا والضباط الانجليز من الجيش العربي عام ١٩٥٦ شكلت مدرسة المدفعية وأربع كتائب مدفعية أخرى هي : الثانية والثالثة والخامسة ميدان والرابعة مقاومة طائرات (مسلحة بمدافع ٤٠ ملم مجرور) .

وقد شاركت كتيبة المدفعية الثالثة في معركة قلقيلية في ١٩٥٦/١٠/١٠ واستشهد ضابط الملاحظة الملازم المدفعي غازي الكباريتي .

وفي المرحلة الثانية التي بدأت عام ١٩٥٧ وانتهت بحرب حزيران عام ١٩٦٧ شكلت قيادة لكل من الجبهتين الغربية والشرقية ووضع بأمرتيهما عدد من كتائب المدفعية . وفي تلك الفترة شكلت كتيبة مقاومة طائرات أخرى (الكتيبة ٨ م.ط) وكتيبة المدفعية السابعة المحمولة (١٠٥ ملم) وكتيبة المدفعية السادسة الثقيلة (١٥٥ ملم) وكتيبة المدفعية التاسعة المتوسطة (١٥٥ ملم هاوزر) . وقد شاركت جميع كتائب المدفعية في حرب حزيران فقصفت المدفعية ٦ المطارات وحشودات العدو كما دكت المدفعية ٩ حشودات العدو وصدت هجماته الأولية على مدينة القدس وساندت الكتائب الأخرى تشكيلات المشاة في واجباتها الدفاعية وتحملت القصف الجوي الاسرائيلي الشديد بعد تدمير سلاح الجو المصري وأسلحة الجو العربية في الساعات الأولى من يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ .

وبدأت المرحلة الثالثة بعد معركة حزيران حيث بدىء بإعادة تنظيم سلاح المدفعية ـ كجزء من القوات المسلحة ـ وتم تزويده بالأسلحة والمعدات الحديثة وأعيدت تسمية مدفعيات الجبهات إلى مدفعية الفرقة الأولى ومدفعية الفرقة الثانية .

وبسبب تفوق العدو الجوي وعدم قدرة سلاح الجو الأردني على توفير سيطرة جوية محلية وعدم توفر دفاع جوي كان على المدفعية أن ترد على اعتداءات اسرائيل اليومية وتدعم دفاعات الفرقتين الأولى والثانية التي كانت تتعرض للقصف اليومي بسبب مساندتها لعبور رجال المقاومة إلى الأرض المحتلة . وكان طيران العدو يحاول جاهداً إسكات وحدات المدفعية وإخراجها من المعركة . وقد تحمل رجال المدفعية القصف الجوي الاسرائيلي اليومي ـ مع إخوانهم العراقيين[١] ـ طوال عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ بصبر وشجاعة وسقط منهم الشهداء في كل معركة . ومن أبرز المعارك التي شارك فيها سلاح المدفعية الملكي معركة الثماني ساعات(٨) والخمس عشرة ساعة التي شاركت فيها مدفعية الفرقة الثانية في القطاع الشمالي أربد (سنة ١٩٦٨) ومعركة الكرامة التي شاركت فيها مدفعية الفرقة الأولى في ٢١ آذار سنة ١٩٦٨ أيضاً .

(١) شاركت بطارية مدفعية سورية عيار ١٣٠ ملم وبطارية دفاع جوي القوات الأردنية في معارك الإستنزاف عامي ٦٨ و ١٩٦٩ وكانت تحتل موقعاً دفاعياً في منطقة عيرا ويرقا ـ المعرب .

وكانت حرب (رمضان) تشرين الأول عام ١٩٧٣ آخر معركة شاركت فيها المدفعية مع الفرقة الثالثة المدرعة الأردنية وتمكنت من ايقاف تقدم العدو باتجاه الشرق .

وفي هذه المرحلة شكلت كتائب مدفعية جديدة وأربع قيادات مدفعيات فرق وسلحت بأحدث المدافع الذاتية الحركة من عيار ١٥٥ ملم و ٢٠٣ ملم بالإضافة إلى المعدات المتطورة والحاسبات الالكترونية السريعة وموجد المدى بالليزر وأجهزة الرؤية الليلية . وسلاح المدفعية من أسلحة الجيش الممتازة في الإعداد والتدريب ويتحلى بالضبط والربط والروح العسكرية والقتالية العالية ، والسلاح كبقية أسلحة الجيش العربي محل اهتمام جلالة الملك حسين وسمو ولي العهد الأمير حسن ، وقد تلقى الأمير عبد الله ـ النجل الأكبر للملك حسين ـ تدريبه الأولي في مدرسة سلاح المدفعية الملكي . وقد تناوب على قيادة السلاح منذ نشأته سنة ١٩٤٨ وحتى سنة ١٩٧٩ القادة التالية أسماؤهم :

أسماء قادة سلاح المدفعية الملكي منذ سنة ١٩٤٨ ـ سنة ١٩٧٩:

المقدم إليوت (انجليزي)	سنة ١٩٥١ ـ سنة ١٩٥٣	قائد سلاح
المقدم لبتون (انجليزي)	سنة ١٩٥٤ ـ ٥٦/٣/١	قائد سلاح
العميد محمد المعايطة	٥٦/٣/١ ـ ٥٦/٨/١٦	قائد سلاح
المقدم شاهر أبو شاحوط	٥٦/٨/١٧ ـ ٥٧/١/٢٩	قائد سلاح
المقدم محمود المعايطة	٥٧/١/٢٩ ـ ٥٧/٤/١٩	قائد سلاح
المقدم الركن عامر خماش	٥٧/٤/١٩ ـ ٥٨/٦/١٣	قائد سلاح
المقدم الركن زهير مطر	٥٨/٦/١٣ ـ ٥٩/٢/٨	قائد سلاح
المقدم الركن عبد الله البيطار	٥٩/٢/١٨ ـ ٥٩/٧/٢٠	قائد سلاح
العقيد الركن عامر خماش	٥٩/٧/٢٠ ـ ٦٢/٩/١١	قائد سلاح
العقيد الركن محمد خليل عبد الدائم	٦٢/٩/١١ ـ ٦٧/١٠/١٢	قائد سلاح
العميد الركن حيدر مصطفى	٦٧/١٠/١٢ ـ ٦٩/٧/١٩	قائد سلاح
العميد الركن محمد محمود	٦٩/٧/١٩ ـ ٧٠/٧/٦	قائد سلاح
العميد الركن محمد ادريس	٧٠/٧/٦ ـ ٧٤/٢/٢٥	قائد سلاح
العميد الركن محمد صالح	٧٤/٢/٢٥ ـ ٧٦/١/١١	قائد سلاح
العميد اسحق عجيلات	٧٦/١/١١-٧٩/٢/١٧	مدير سلاح
العقيد الركن عبد العزيز المعايطة	٧٩/٢/١٨ ـ ٧٩/١٢/١٠	مدير سلاح

٢٥ - القوات المسلحة الاسرائيلية : مرحلة التطور الثالثة والعقيدة القتالية ، سنة ١٩٥٦ ـ سنة ١٩٦٧

بعد حرب سنة ١٩٥٦ خفت اشتباكات الحدود بين مصر واسرائيل نظراً لوجود قوة الطوارىء الدولية على الحدود بين البلدين . ولكن حدثت بعض الاشتباكات العنيفة بين القوات السورية والأردنية من جهة والقوات الاسرائيلية من جهة أخرى .

وعلى أية حال كان كل من العرب واسرائيل يدركون أن الجولة الثالثة أمراً لابد منه فأخذ الطرفان في الاستعداد . وقد ارتفعت القوة العسكرية العربية سنة ١٩٦٧ إلى أكثر من ضعفي ما كانت عليه سنة ١٩٥٦ . وعلى سبيل المثال أصبح الجيش الأردني حوالى ٥٥ ألف ضابط وجندي سنة ١٩٦٧ لديهم نحو ٣٠٠ دبابة .

أما اسرائيل فزادت ميزانيتها العسكرية بثلاثة أضعاف ، من ١٥٥ مليون دولار سنة ١٩٥٨ إلى ٤٦٠ مليون دولار سنة ١٩٦٦ .

وأما في مجال العقيدة القتالية فقد أثبتت لها حرب سيناء سنة ١٩٥٦ جدوى الاعتماد على الحرب الخاطفة المتحركة ، والقيام بالضربة الوقائية والاعتماد على قوات مدرعة وسلاح جو قوي قادر على القيام بالضربة الأولى . واعتمدت اسرائيل المفهوم الألماني الذي ينطوي على التعرض بقوات مدرعة خفيفة الحركة بالتعاون الوثيق مع القوة الجوية لتحقيق الاختراق العميق ، والاحاطة بالقوات المعادية وتدميرها . ولتعزيز هذا المبدأ فقد أعطيت حرية واسعة للقادة الميدانيين حتى مستوى الكتيبة ليتصرفوا وفق مقتضيات تبدل المعركة وتطورها . كما أن الاسرائيليين يعتبرون الخطط مجرد قاعدة عامة عرضة للتغيير حسب الموقف وظروف المعركة .

ولتطبيق ـ مبدأ زيادة الحرية للقوات المقاتلة في إنجاز المهمة ، فقد أدخل الجيش الاسرائيلي نظام قيادة الفرقة أو الأوغدا (Ugdah) وهي خالية من المسؤوليات الإدارية وقادرة على إدارة العمليات بلوائين أو أكثر حسب متطلبات المعركة في حرب متحركة . كما اتبع أسلوب جديد في الخدمات الإدارية يقوم على إنشاء منظومة إدارية تقدم الخدمات من ذخيرة ووقود وأرزاق للوحدات الأمامية والتشكيلات المقاتلة دون حاجة إلى الروتين الإداري . وهكذا تتفرغ قيادة الأوغدا وبقية التشكيلات لتنفيذ المهمة التعبوية .

جاءت هذه التغييرات المفيدة والهامة في عهد الجنرال حاييم لاسكوف الذي تسلم رئاسة أركان الجيش الاسرائيلي من موشي ديان سنة ١٩٥٨ وبقي فيها حتى سنة ١٩٦١ . وحل محله الجنرال تسفي تسور الذي سار على نهج سلفه لاسكوف .

وفي سنة ١٩٦٣ تسلم اسحق رابين رئاسة الأركان من تسور وبقي فيها إلى ما بعد عدوان

حزيران سنة ١٩٦٧ . وورث رابين جيشاً جيد التنظيم . فاهتم برفع مستواه من كافة النواحي التي رأت القيادة الاسرائيلية أنها تناسب جيشها وظروف القتال في المنطقة .

وفي هذه الفترة تخلى الجيش الاسرائيلي عن المفهوم التقليدي القائل بالتعاون بين الدروع والمشاة والمدفعية وازداد التركيز على الدروع على حساب السلاحين الآخرين وكان صاحب نظرية تفضيل الدروع هذه الجنرال اسرائيل تال الذي رأى أن الدبابة لوحدها كافية للتعامل مع العدو بنجاح ولا سيما في مسارح العمليات المكشوفة المنبسطة كصحراء سيناء . واقتصرت مهمة المشاة عنده على تطهير المواقع المعادية بعد أن تجتاحها الدروع . ونجحت هذه الفكرة نجاحاً باهراً ولا سيما ضد مصر في عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ وإن كانت قد فشلت فشلاً ذريعاً في المراحل الأولى من حرب رمضان سنة ١٩٧٣ عندما وقعت الدبابات الاسرائيلية فرائس سهلة للمشاة العرب المزودين بأسلحة م/د الموجهة .

أما سلاح المظليين فقد بقي موضع اهتمام شديد من الاسرائيليين واستخدم كسلاح مشاة وأثبت كفاءته بهذه الصفة في مختلف مسارح العمليات في حرب سنة ١٩٦٧ .

أما سلاح الجو فقد احتل مكاناً بارزاً في العقيدة القتالية الاسرائيلية بعد سنة ١٩٥٦ ولذلك انصرفت الجهود لزيادة موازنته المالية . وشراء أفضل الطائرات وأسرعها والتركيز على سلاح المقاتلات أكثر من القاذفات ، وذلك لتوجيه الضربة القاصمة إلى سلاح الجو المعادي . وكان سلاح الجو المصري أكبر عدو لسلاح الجو الاسرائيلي من حيث عدد الطائرات ونوعيتها ـ واختيرت أفضل عناصر الشبيبة الاسرائيلية للالتحاق بسلاح الجو ووضعت لهم برامج تدريب قاسية رفيعة المستوى ، مع التدريب العملي المستمر على رماية الأهداف والقتال الليلي والتعاون مع الأطقم الأرضية حتى أن فترة بقاء الطائرة الاسرائيلية على الأرض للتزود بالوقود والذخيرة تراوحت بين ٧-١٠ دقائق وهي ثلث الفترة التي تقضيها الطائرات عادة في مهام كهذه مما أفاد سلاح الجو الاسرائيلي فائدة كبرى في عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ وزاد في عدد طلعاته زيادة كبيرة . يضاف إلى ذلك أن اسرائيل كان لديها من الطيارين عشية عدوان حزيران ١٢٠٠ طيار مقابل ٥٠٠ طيار لدى مصر . كما جمع الاسرائيليون معلومات هامة مفصلة عن سلاح الجو المصري خاصة بهدف إخراجه من المعركة بسرعة وتم لهم ما أرادوه خلال الساعات الثلاث الأولى من الحرب يوم الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ مع ما ترتب على ذلك من نتائج قاتلة ليس للمصريين فحسب بل للقوات الأردنية والسورية أيضاً .

استراتيجية اسرائيل وعملياتها التعبوية عشية حزيران سنة ١٩٦٧

كان موقع اسرائيل الجغرافي ، وقلة العمق الاستراتيجي ، ونسبة قوتها إلى القوات العربية ـ خاصة مصر التي تعتبر العدو الرئيسي ـ ونظام التعبئة الذي يفرض على القوى العاملة التخلي عن أعمالها

والانضمام للقوات المسلحة ، يجعلها تتبنى مفهوم الحرب الخاطفة والقيام بالضربة الأولى ونقل المعركة خارج أرضها .

أما على الجبهة الأردنية فقد تبنت اسرائيل التعرض أيضاً من منطلق جغرافي ، حيث أن المواقع الأردنية في طولكرم لم تكن تبعد عن ناثانيا ومحور تل أبيب ـ حيفا أكثر من ١٠ أميال تقريباً . كما كانت المستعمرات اليهودية في كثير من المناطق تقع تحت رحمة المدفعية الأردنية . وتستطيع القوات العربية المتقدمة من الشرق على منطقة نابلس طولكرم ـ قلقيلية قطع اسرائيل عند الوسط وفصلها إلى جزئين . لذلك كان على اسرائيل أن تحضر خططاً هجومية لاحتلال الضفة الغربية وتدمير الجيش الأردني وأية جيوش عربية على الجبهة الشرقية .

وكذلك كانت الحال مع سوريا التي تسيطر على المستعمرات الاسرائيلية في منطقة الحولة ـ طبريا وملتقى نهر الأردن مع اليرموك فكان لابد من احتلال مرتفعات الجولان وإبعاد القوات والمدفعية السورية عن تلك المنطقة .

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الأردنية المدافعة عن الضفة الغربية ، تنتشر على طول الجبهة الغربية ، كانت القوات المصرية والسورية تدافع بقوات متوازنة ، ولكن بأسلوب الانساق ، وقد قرر المخططون الاسرائيليون وضع الخطط لتلائم احتمالات الحرب المحدودة على جبهة عربية واحدة ـ مصر ـ أو الجبهات العربية مجتمعة (الجبهتين الغربية والشرقية) .

لذلك وضعت اسرائيل ثلاثة أهداف يجب أن تصل لها في حال قيام حرب شاملة هي : الوصول إلى قناة السويس واحتلال الضفة الغربية كاملة ، ومرتفعات الجولان ، وتقرر أن يكون الجهد الرئيسي موجهاً لتدمير الجيش المصري ، والسيطرة على قناة السويس ومضائق تيران ، والجهد الثانوي لاحتلال الضفة الغربية والسيطرة على نهر الأردن ومرتفعات الجولان وجبل الشيخ ، وحرمان السوريين من الأرض الحيوية الممتدة بين جبل الشيخ في الشمال وحتى وادي الرقاد واليرموك في الجنوب بما فيها مدينة القنيطرة والرفيد .

قام الجنرال جافيش وهيئة الأركان بدراسة عقيدة القتال المصرية والسورية ومعرفة نقاط الضعف فيها ، ولما نشبت حرب حزيران عام ١٩٦٧ عين جافيش قائداً للجبهة الجنوبية وقاد معارك الجيش الاسرائيلي في سيناء . وقد لخص عقيدته التعبوية كما يلي :

« في الدفاع ، يجب مسك الأرض بقوة وتحصين الموقع جيداً ، والدفاع عنه بقوات متوازنة وبالعمق ، فعلى مستوى اللواء يكون الدفاع بكتيبتين في الأمام وكتيبة في الخلف والمعروف أن انتشار القوة بهذا الشكل يتطلب قوة كثيفة من مصادر النيران والدروع ، كما أن مسك الأرض بقوة (على مبدأ الدفاع الثابت) يتطلب قوات كبيرة أيضاً . وكنا نعلم عدم قدرة المصريين على الدفاع عن سيناء بخطوط ثابتة ومحصنة ، لأن ذلك يتطلب قوات أكثر مما لديهم . »

الجيش العربي الهاشمي

أما عن المفهوم السوفيتي في التعرض فقد قال جافيش أنه يتلخص في ما يلي :

« مفاجأة العدو بحشد أكبر قوة ممكنة ضد أضعف نقطة في دفاعاته ، ومحاولة الخرق من تلك النقطة بموجات متتابعة مسندة بأكبر قدر من نار الاسناد . بالنسبة لهذه العقيدة لابد من الاحتفاظ بالخرق (Rupture) مفتوحاً لتتمكن قوة الهجوم الرئيسية من الاندفاع عبره والاحاطة بالعدو وتدميره مهما بلغت الخسائر . »

وقد قال جافيش معلقاً على تبني المصريين والسوريين لعقيدة القتال السوفيتية الحرفي :
« لقد اكتشفنا قلة عدد القوات المصرية بالنسبة إلى النقاط التي يرغبون الدفاع عنها ، وانتشار قواتهم بشكل رقيق وبعد الاحتياط الرئيسي عن خط الدفاع الأول » وأضاف قائلاً : « لقد حللنا الأساليب الروسية بدقة ووضعنا التمارين الكثيرة لمعالجة كل معضلة حتى بات الجندي الاسرائيلي يفهم الأساليب الروسية ويثق من قدرته في التغلب عليها وهذا ما أثبتته حرب حزيران سنة ١٩٦٧ » .

استمر قادة اسرائيل في تبني مبدأ الدروع أولاً والمشاة والمدفعية في المرتبة الثانية إلى أن تغيرت الفكرة مع بداية حرب الاستنزاف في النصف الثاني من عام ١٩٦٧ وما بعد .

مؤتمر القمة العربي الأول والطريق إلى الحرب سنة ١٩٦٤ - سنة ١٩٦٧

كان الوضع العربي العام في أواخر سنة ١٩٦٣ سيئاً . فالعلاقات بين الدول العربية سيئة . ومصر متورطة في حرب اليمن حيث كانت في حالة عداء شديد مع السعودية التي كانت تؤيد الملكيين في اليمن كما كانت اسرائيل تخطط لتحويل نهر الأردن لري أراضيها وحرمان العرب من حقهم الطبيعي في مياه هذا النهر . وحدث انقلاب في العراق ضد عبد الكريم قاسم وانقلاب في سوريا ضد الانفصاليين سنة ١٩٦٣ وحاول القطران (سوريا والعراق) إقامة وحدة مع مصر وفشلت المحاولات . كما قامت اضطرابات في الأردن في ربيع سنة ١٩٦٣ بتحريض من الخارج تحت ستار المطالبة بالوحدة مع مصر وسوريا والعراق وقمعت الاضطرابات . أمام هذه الظروف دعا عبد الناصر لمؤتمر القمة العربي الأول . وعندما عقد مؤتمر القمة في القاهرة في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٦٤ لخص عبد الناصر تصوره للاستراتيجية العربية كما يلي :

التركيز على الجانب السياسي بحصار اسرائيل اقتصادياً وسياسياً وكسب تأييد أكبر عدد من الدول للحق العربي . في أثناء ذلك يجري إعداد الجيوش العربية ، وخلق قيادة عربية موحدة قادرة على الإعداد والتخطيط والتنسيق لشن حرب عربية شاملة تدمر الجيش الاسرائيلي وتعيد الحق العربي إلى أصحابه الشرعيين .

معركة البقاء

كانت سوريا على النقيض مع مصر ، إذ كانت تصر على المواجهة المباشرة الفورية مع اسرائيل أو شن حرب تحرير شعبية رغم أن الجيوش العربية غير قادرة على دخول الحرب التقليدية في تلك المرحلة . ومع ذلك خرج المؤتمر بنتائج مرضية ، توفق بين الاعتدال المصري الحكيم والتطرف السوري المفتعل . ومن هذه النتائج : إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيري لتقود حركة المقاومة الفلسطينية (ضد اسرائيل) بالتنسيق مع الحكومة الأردنية . كذلك وافق المؤتمر على تأسيس قيادة عربية موحدة . كما حث المؤتمر الدول العربية ـ خاصة سوريا والأردن ـ على تحويل روافد نهر الأردن لتفويت الفرصة على اسرائيل في الاستفادة من مياه النهر وتحويلها إلى صحراء النقب . وقد بدأت بالفعل سوريا والأردن ببناء سد خالد بن الوليد على نهر اليرموك قرب الحمة الأردنية عام ١٩٦٦ .

بعد أن أنشئت فتح عام ١٩٦٥ وصارت تعمل من الجبهة السورية والجبهة الأردنية دون موافقة القيادة العربية الموحدة أو التنسيق مع الجيش العربي الأردني ، واستمرت المدفعية السورية بقصف المستعمرات اليهودية قرب بحيرة طبريا والحولة ، بدأ العدو يرد على تلك الأعمال بالاعتداء على القرى الأردنية مثل قرية السموع بمحافظة الخليل في ١٩٦٦/١١/١٣ والسورية القريبة من خط الهدنة ، وازداد التوتر على الحدود ، وأصبح القصف المدفعي المتبادل والاشتبكات الجوية شيئاً مألوفاً . وكان أبرز هذه الاشتبكات قصف الطائرات الاسرائيلية لمواقع المدفعية السورية في ٧ نيسان عام ١٩٦٧ والمعركة الجوية التي تلت ذلك ونتج عنها إسقاط ٦ طائرات ميج سورية . وكان من الواضح أن المنطقة تسير بخطى حثيثة نحو الحرب . وقد زاد من تسارعها المعلومات الروسية عن الحشود الاسرائيلية على سوريا وسحب قوات الطوارىء الدولية وإغلاق مضائق تيران . وبلغ الموقف ذروة الخطر بتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين الملك حسين وعبد الناصر في ٣٠ أيار سنة ١٩٦٧ وغفلة الجيش المصري وإهمال قادته الشديد الذي أدى إلى الكارثة .

الفصل التاسع

الحـرب في فلسطين

٢٦ - الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة : ٥ - ١٠ حزيران سنة ١٩٦٧

أعدت اسرائيل عشية حرب حزيران سنة **١٩٦٧** قوات برية بلغت نحو **٣٠٠,٠٠٠** جندي و **٨٠٠** دبابة تساندها قوات جوية حديثة تملك نحو **١٩٧** طائرة مقاتلة مقابل القوات العربية المشتركة البالغة نحو **٢٤٠,٠٠٠** جندي و **١٧٠٠** دبابة و **٦٣٨** طائرة . وكان الجيش المصري يشكل العمود الفقري للقوات العربية ، ويتألف من : **١٠٠,٠٠٠** جندي و **٩٠٠** دبابة و **٣٨٥** طائرة مقاتلة وقاذفة . لذلك خصصت اسرائيل الجهد الرئيسي للجبهة الغربية[١] ، وعندما تم لها تدمير القوة الجوية المصرية ودحر الجيش المصري أصبحت قادرة على التعامل مع الجبهة الشرقية (سوريا والعراق والاردن) بسهولة .

وقد تم حشد القوات المصرية في سيناء عندما هددت اسرائيل بغزو سوريا ، وتلتها الجيوش العربية بالتحرك إلى ساحة القتال ، ومنها الجيش العراقي الذي تحرك من قواعده البعيدة في العراق ليشارك في الحرب على الجبهة الأردنية . فبدأ حركته متأخراً إثر توقيع اتفاقية الدفاع المشتركة يوم **٣٠** أيار سنة **١٩٦٧** ، وما كادت طلائعه تصل وادي الأردن حتى انتهت المعركة .

وبما أن الحرب قد بدأت بالضربة الجوية الاسرائيلية القاصمة ضد القوات الجوية المصرية ، فسنورد مقارنة للقوات الجوية العربية والاسرائيلية عشية الحرب وإن كانت هذه الأرقام غير دقيقة لاختلاف المصادر في تقديرها ، إلا أنه من المؤكد أن القوات الجوية الاسرائيلية زادت على **٣٥٠** طائرة مقاتلة في ذلك الوقت حسب تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية ومصادر غربية أخرى .

(١) سيناء

القوات الجويه العربية المشتركة :
(الطائرات المقاتلة العاملة فقط)

النـــوع	مصر	سوريا	العراق	الأردن	المجموع
أ . ضعف سرعة الصوت ميج ـ ٢١	١٢٥	٣٦	٤٨	—	٢٠٩
ب . اسرع من الصوت ميج ١٩ ، سوخوي ـ ٧	٨٠	—	١٢	—	٩٢
ج . أقل من سرعة الصوت (قاذفة ـ مقاتلة)	١١٠	٤٠	٨٠	٢١ (هوكر هنتر)	٢٥١
د . قاذفة خفيفة	٤٠	—	١٠	—	٥٠
هـ . قاذفة متوسطة	٣٠	—	٦	—	٣٦
المجمـــوع	٣٨٥	٧٦	١٥٦	٢١	٦٣٨

القوات الجوية الاسرائيلية
(الطائرات المقاتلة العاملة فقط)

أ . ضعف سرعة الصوت	
ميراج ٣ س	٧٢
ب . أسرع من الصوت	
سوبر ـ مستير	٢٠
ج . أقل من سرعة الصوت	
مستير ـ ٤	٤٠
د . أنواع أخرى	
أوريغون	٤٠
هـ . قاذفة خفيفة	
فوتور ـ ٢	٢٥
المجموع العام	١٩٧

مقارنة القوات الجوية العربية مع القوات الاسرائيلية

	اسرائيل	مصر	القيادةالعربية
أ . ضعف سرعة الصوت (ماك ٢)	٧٢	١٢٥	٢٠٩
ب . أسرع من الصوت	٢٠	٨٠	٩٢
ج . أقل من سرعة الصوت	٤٠	١١٠	٢٥١
د . قاذفات خفيفة	٢٥	٤٠	٥٠
هـ . قاذفات متوسطة	—	٣٠	٣٦
و . أنواع أخرى	٤٠	—	—
المجـــوع	١٩٧	(٣٨٥)	٦٣٨

كانت القوات الجوية العربية تتفوق على سلاح الجو الاسرائيلي عددياً بنسبة ٢ و ٣ : ١ وبما أنه لم يكن هناك تنسيق أو قيادة مشتركة للقوات الجوية العربية فليس لذلك التفوق قيمة فعلية . وبصرف النظر عن كون اسرائيل تعمل على الخطوط الداخلية ، فقد كان سلاح الجو الاسرائيلي متفوّقاً على المصري والسوري فنياً ونوعياً فقد تطورت القوة الجوية الاسرائيلية في مجال الإعداد والتدريب في الوقت الذي بقيت فيه القوة الجوية في كل من مصر وسوريا تتبع الأساليب الروسية القديمة .

الجيش العربي الهاشمي

وقد ركز الجنرال مردخاي هود (قائد سلاح الجو الاسرائيلي) على التدريب القاسي في الليل والنهار وأساليب القصف القريب والبعيد (في العمق) وتجنب وسائل الانذار . وقال هود بعد حرب حزيران أنه كان يتوقع أن تقل كفاءة الطيارين الاسرائيلين في الحرب عن التدريب بنسبة ٢٥٪ ولكن ما حدث كان العكس ، وبرهنت القوة الجوية الاسرائيلية على أنها كانت مستعدة لحرب حزيران وأنها الذراع الفولاذية الطويلة للجيش الاسرائيلي .

كما أن اسرائيل تتفوق على الدول العربية في مجال القوات البرية في القوى البشرية أيضاً وتظهر المقارنة التالية قوات الطرفين عشية حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

القوات العربية المشتركة	مصر	سوريا	العراق	الأردن	المجموع
أ . قوى بشرية	١٠٠,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٥٥,٠٠٠	٢٤٠,٠٠٠
ب . دبابات	٩٠٠	٣٠٠	٢٠٠	٣٠٠	١٧٠٠
ج . مدافع : اقتحام	٢٠٠				
ميدان	٩٠٠				

القوات المسلحة الاسرائيلية

أ . قوى بشرية (عند اعلان التعبئة)	٣٠٠,٠٠٠
(١) قوات برية	٢٥٠,٠٠٠-٢٦٥,٠٠٠
(٢) ملتزمين بالخدمة	٧١,٠٠٠
(٣) دفاع محلي (هاغانا مركافي)	٧٠,٠٠٠
ب . دبـابـات	٨٠٠
ج . ألويــة	٢٤-٢٦ لواء
(١) مدرعة (٣٥٠٠)	١١
(٢) مظليين (٤٥٠٠)	٤
(٣) مشـاة (٤٠٠٠)	٩-١١

وكما كانت الحال مع القوات الجوية فإن المقارنة بين القوات البرية العربية والاسرائيلية تخضع لمعايير نسبية . ففي الوقت الذي كانت القوات الاسرائيلية تعمل على الخطوط الداخلية وتقاتل تحت قيادة واحدة ضمن مفهوم وعقيدة قتالية واحدة ، كانت الجيوش العربية تقاتل على الخطوط الخارجية بخطوط مواصلات بعيدة وأساليب قتالية مختلفة وتحت قيادة لم تشكل إلا حديثاً . وليس هناك تنسيق فعلي للخطوط أو الحركات العسكرية بصرف النظر عن استراتيجية اسرائيل في توجيه الجهد الرئيسي للجبهة الأقوى (الجيش المصري) ثم التفرغ للجبهات الأخرى .

في ٥ حزيران ١٩٦٧ كان الجيش المصري يدافع في سيناء بثماني فرق (٤ مشاة ، ٢ آلية و ٢ مدرعة) في خطوط دفاعية متعاقبة حسب العقيدة القتالية الروسية . وبنفس الاسلوب كانت خـارطـه ٢٤.

القوات السورية تدافع في الجولان بعشرة ألوية (٨ مشاة و ١ دروع و ١ آلي) بينما كان دفاع القوات الاردنية في القطاع الأوسط مؤلف من : ١١ لواء (٧ مشاة و ٢ دروع في الضفة الغربية ، ولوائي مشاة في الضفة الشرقية : لواء مشاة اليرموك) على محور أربد ـ بيسان ولواء مشاة (الحسين بن علي) يدافع عن العقبة في أقصى الجنوب .

كانت قيادة الجبهة الغربية (الأردنية) بقيادة اللواء محمد أحمد سليم تدافع عن الضفة الغربية في : مرتفعات نابلس والقدس والخليل بسبعة ألوية مشاة ولوائي دروع (٤٠ و ٦٠) في الاحتياط ، رغم أن الجبهة تحتاج إلى أكثر من ضعف القوات الاردنية . أما اللواء الاردني الذي يدافع عن ميناء العقبة والمحاور الجنوبية فلا يكاد يكفي لصد هجوم مدبر لفرقة اسرائيلية ، ناهيك عن افتقار القوات الاردنية إلى الغطاء الجوي والمساندة الجوية .

ولمجابهة الحشد العربي المشترك وضعت اسرائيل قوة (٤ فرق) اسرائيلية بأمرة قيادة الجبهة الجنوبية ، مستعدة للانطلاق عبر سيناء إلى قناة السويس ، كما وضعت قوة (تقدر بفرقة مدرعة) لتثبيت القوات الاردنية في القطاع الأوسط وفرقة أخرى بأمرة القيادة الشمالية ضد القوات السورية .

مفهوم العمليات الاسرائيلي : خطة سلاح الجو

كانت خطة مردخاي هود قائد سلاح الجو الاسرائيلي تتضمن القيام بالضربة الأولى (الوقائية) وتدمير أسلحة الجو العربية قبل بدء المعركة (يو م ي) على أن يجري التركيز على تدمير أكبر عدد من الطائرات العربية (ما عدا العراق) وهي جاثمة في مطاراتها . وكان يعتقد أن الفشل أو النجاح في المهمة هو الذي سيقرر مصير الحرب . لذلك وجه هود جهده الرئيسي لتدمير سلاح الجو المصري ، فإذا ما انتهى من ذلك أصبح التعامل مع بقية الأسلحة العربية سهلاً .

واختيرت الساعة ٠٧٤٥ (٨٤٥ . توقيت مصر) يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ لضرب المطارات المصرية ، حيث يكون قادة الطيران المصري في تلك الساعة في الطريق إلى مكاتبهم ويكون الطيارون المصريون بأقل حالات الاستعداد بعد انتهاء فترة التأهب التي تبدأ مع الفجر ، ويكون معظم العاملين في الأطقم الأرضية قد ذهبوا لتناول إفطارهم . وكان لدى اسرائيل ٣-٤ ساعات لإخراج سلاح الجو المصري من المعركة وتمكين القوات الاسرائيلية البرية من بدء التعرض (الهجوم) . وقد أنجزت المهمة بنجاح بين الساعة ٠٧٤٥-١٠٤٥ في مصر وبين الساعة ١٢٤٥-١٥٤٥ في سوريا والأردن .

الجبهة المصرية

كان التصور الاسرائيلي للعمليات على الجبهة المصرية يقوم على تدمير سلاح الجو المصري من

الساعة ٠٧٤٥ وحتى الساعة ١٠٤٥ ، ثم تندفع القوات الاسرائيلية في الجبهة الجنوبية بالجهد الرئيسي لاختراق دفاعات المصريين في غزة ورفح وتحطيم الجيش المصري ، بمساندة سلاح الجو الاسرائيلي والوصول إلى قناة السويس بعد احتلال طرق انسحاب الجيش المصري قبل أن يتمكن من الانسحاب . بينما خصصت قوات بسيطة لتثبيت الجبهتين السورية والاردنية حتى يتم الانتهاء من الجيش المصري مع وضع خطط طارئة لمواجهة أي احتمال جديد .

ولتنفيذ المهمة وضعت القيادة الاسرائيلية ثلاث مجموعات قتال أي ما يزيد على ثلاث فرق مدعمة بأمرة القيادة الجنوبية وحددت هدفها الاستراتيجي : بتدمير الجيش المصري في سيناء واستثمار الفوز حتى قناة السويس . وقد قرر قائد الجبهة الجنوبية (الجنرال جافيش) تنفيذ خطته حسب المراحل التالية :

المرحلة ١

اختراق خط الدفاع المصري الأول (الذي يمثل الدرع الواقي) في قطاع رفح ـ العريش وأم القطف ـ أبو عجيلة ، بقوات اسرائيل تال الشمالية ، وفرقة أريل شارون الجنوبية على التوالي .

المرحلة ٢

الهجوم على جبهة ضيقة بقوات افرام يوفي المدرعة في المنطقة الوسطى ، وإحداث خرق في خط الدفاع المصري الثاني العام : العريش ـ جبل لبني ـ بئر تمادة ـ نخل والقيام باختراق عميق والتغلغل في مواقع القوات المدرعة المصرية التي تمثل السيف أو القوة الضاربة والمتواجدة على محور ـ بئر تمادة ـ أبو عجيلة ، وتدميرها .

المرحلة ٣

اختراق خط الدفاع المصري الثالث في المناطق المهمة : بئر جفجافة ـ بئر تمادة ـ نخل ، وتدمير بقية القوات المدرعة المصرية (الاحتياط) . وقد كلفت الفرق الثلاث باحتلال المناطق الحيوية كما يلي :

تحتل فرقة شارون نخل ، وتحتل فرقة يوفي الممرات المهمة المتلا وجدى ، بينما تحتل فرقة تال بئر جفجافة ، وتدمر القوات المصرية على طول خط التراجع إلى القناة .

المرحلة ٤

في المرحلة النهائية من المعركة تتقدم الفرق الثلاث وتؤمن ضفة قناة السويس الشرقية . وقد بالغ ليدل هارت ـ المؤرخ الاستراتيجي المفضل لدى الجنرالات الاسرائيليين ـ في وصف حملة سيناء بأنها كانت أفضل تطبيق ناجح للهجوم غير المباشر في الحرب الحديثة فقد كان الجنرال جافيش شجاعاً ، واسع الأفق في وضعه مفهوم الخطة وتنفيذها معتمداً على مبدأ التعرض كأساس للعمليات الاسرائيلية .

الجبهة الاردنية

وضع الاسرائيليون قوات بسيطة (فرقة مدعمة) في القطاع الأوسط لتثبيت الجبهة الأردنية مع الاحتفاظ بقوات احتياط في منطقة تل أبيب. ونظراً لضعف القوة الجوية الأردنية (٢١ طائرة هوكر هنتر) وانتشار القوات الأردنية بشكل رقيق على طول الجبهة قدرت اسرائيل أن الأردن لن يجازف بخوض الحرب ضدها بشكل فعلي، ويقوم بعمل تعرضي بالتنسيق مع مصر وسوريا. وكان المتوقع أن يقوم الأردن بدفاع نشيط لشل جزء من القوات الاسرائيلية ومنعها من المشاركة بالجهد الرئيسي ضد مصر، والجهد الثانوي ضد سوريا. كما اعتقدت اسرائيل أن النزاع السياسي المستمر بين الاردن من جهة، ومصر وسوريا والعراق من جهة أخرى، والتدخل في شؤونه الداخلية طيلة السنوات الماضية، سيجعل الملك حسين يفكر مليا قبل أن يغامر بدخول الحرب إلى جانب خصومه. خارطة ٢٥

مع كل ذلك وضعت القيادة الاسرائيلية الخطط الطارئة لمواجهة أي هجوم أردني منفرد أو بالاشتراك مع بقية الجبهات.

حددت خطة القيادة الاسرائيلية للقوات التي ستقاتل في القطاع الأوسط ـ إذا هاجمت القوات الأردنية ـ هدفين يجب احتلالها: القدس (القديمة والمناطق المحيطة بها)، ومواقع المدفعية الأردنية الثقيلة التي تستطيع قصف المدن والمستعمرات والمطارات الاسرائيلية، علماً بأنّ احتلال تلك الأهداف بتعرض محدود قد يستبعد أي تعرض عام لاحتلال الضفة الغربية.

وقدرت الاستخبارات الاسرائيلية القوات الأردنية وتوزيعها في الضفة الغربية بستة ألوية مشاة ولوائي دروع وكما يلي: أربعة ألوية مشاة ولواء دروع في قطاع نابلس، لوائي مشاة للدفاع عن قاطع مدينة القدس القديمة والخليل، ولواء دروع في منطقة أريحا. أما القوة الجوية الأردنية فكانت كما قدرها الاسرائيليون ٢١ طائرة مقاتلة (سرعتها أقل من سرعة الصوت في مطاري عمان والمفرق) ولا تشكل أي خطر أو تهديد جدي لهم.

كان توزيع القوات الاسرائيلية لمواجهة أي تطور على الجبهة الأردنية (وتقدير القوات الاردنية وتوزيعها) قبل توقيع اتفاقية الدفاع المشترك في ٣٠ أيار عام ١٩٦٧ كما يلي:

الجيش العربي الهاشمي

القوات الأردنية	القوات الاسرائيلية
قطاع نابلس	**القيادة المركزية**
أ . ٤ ألوية مشاة	٣ ألوية مشاة
ب . لواء مدرع (دبابات باتون م ـ ٤٧ و م ـ ٤٨ وناقلات جنود م ـ ١١٣) قرب جسر دامية الأمير محمد	
قطاع القدس ـ الخليل	**القيادة المركزية (القدس)**
أ . القدس لواء مشاة	حامية القدس لواء عصيوني (٨ كتائب)
ب . **شرق القدس والخليل** لواء مشاة	**القيادة الجنوبية** لواء مشاة
ج . لواء دروع (باتون م ـ ٤٧ ، م ـ ٤٨ وناقلات جنود م ـ ١١٣) في أريحا	لواء هاري ايل الآلي

وفي حال اشتراك الأردن في وتعرض شامل على الجبهة الشرقية يتم تعزيز القيادة الوسطى بفرقة اسرائيلية مؤلفة من لواء مدرع ولواء آلي ولواء مشاة من القيادة الشمالية ، ولواء مظليين من احتياط القيادة العامة . وفي تلك الحالة تعدل المهمة لتصبح احتلال الضفة الغربية كاملة . وتشترك في العملية القيادات الثلاث : القيادة الشمالية تتولى المسؤولية من قرية سنجل (شمال رام الله) وإلى الشمال ، القيادة الوسطى من جنوب سنجل وحتى بيت لحم ، والقيادة الجنوبية منطقة الخليل وإلى الجنوب . وقد كانت القيادة الاسرائيلية غير موفقة في تقسيم مسؤولية احتلال الضفة الغربية بين القيادات الثلاث ، فقد خلقت مشاكل عديدة أقلها التنسيق والارتباط والاتصالات ، كما حدث عند احتلال القدس القديمة ، إلا أن النصر السريع والسيطرة الجوية المطلقة التي حققها سلاح الجو الاسرائيلي جمدت المشاكل وأفقدتها أهميتها .

نجح الاسرائيليون في تحديد الأهداف حسب أهميتها في مسرح عمليات الضفة الغربية ، وحقق الخرق للجبهة الأردنية في جنين ، والإندفاع عبر محور طوباس ثم الالتفاف على نابلس من الشرق والغرب ، واستثمار الفوز حتى جسر الأمير محمد في غور الأردن ، سقوط قطاع نابلس في أيديهم .

وفي القطاع الأوسط تقدم الاسرائيليون على طريق بدو ـ رام الله ـ القدس ثم احتلوا مرتفعات النبي صموئيل ـ بيت حنينا ـ شعفاط ـ التل الفرنسي من الشمال ، وفصل قطاع القدس عن قطاع نابلس ومنع أي تعاون بينهما . كما أدى الهجوم على منطقة القدس من الشمال والجنوب ،

واحتلال المرتفعات المحيطة بها ، إلى حصار القوات الاردنية المدافعة عن القدس القديمة ، وعزلها تماماً وقطع الاتصال بينها وبين اللواء المدافع عن الخليل . بالاضافة لذلك فإن احتلال قيادة الجبهة الغربية (في بتين قرب رام الله) شل القوات الاردنية وجعلها تتخبط كالجسد بلا رأس . وكان تصور القيادة الاسرائيلية للعمليات في الضفة الغربية على النحو التالي :

القطاع الشمالي : نابلس ـ جنين

تندفع القوات الاسرائيلية برتلين على محورين ، الرتل الأول يتقدم على محور جنين ـ دير شرف ـ نابلس من الغرب والرتل الثاني يتقدم على محور جنين ـ طوباس مثلث الباذان ثم ينقسم الرتل إلى مجموعتين ، مجموعة تدخل نابلس من الشرق ومجموعة أخرى تتجه مع الطريق العام شرقاً إلى الجفتلك لاستثمار الفوز وإغلاق جسر داميا (الأمير محمد) .

القطاع الأوسط القدس ـ الخليل

تقوم قوات القيادة الاسرائيلية الوسطى بعملية التفاف مزدوج لاحتلال مدينة القدس والتلال المحيطة بها على النحو التالي :

تتقدم مجموعة قتال بين القدس وبيت لحم وتحتل تلة المكبر وأبو ديس والعيزرية وتستثمر الفوز في النبي موسى ـ أريحا وتغلق جسر سويمة (الأمير عبد الله) . وفي نفس الوقت تتقدم مجموعة القتال الثانية على مرتفعات النبي صموئيل ـ الطيبة وبعد أن تحتل المرتفعات المحيطة بالقدس من الشرق والشمال تفصل رتلاً يتقدم شرقاً على طريق الطيبة ـ فصايل ـ أريحا ويغلق جسري الملك حسين (اللنبي) وأم الشرط .

وفي مرحلة لاحقة يتم الاتصال والتنسيق بين قوات القيادات الاسرائيلية الثلاث على الخط العرضاني الممتد مع الطريق العام نابلس ـ رام الله ـ القدس ـ بيت لحم ـ الخليل والخط العرضاني في غور الأردن على طول الطريق العام مثلث النبي موسى ـ أريحا ـ العوجا ـ الجفتلك . وغني عن القول أن جميع هذه الحركات نفذتها القوات الاسرائيلية تحت مظلة جوية كثيفة بعد تصفية الجبهة المصرية .

وقد كان نظام معركة القوات الاسرائيلية وتوزيعاتها على الجبهة الاردنية صبيحة يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ كما يلي :

الجيش العربي الهاشمي

القيادة الشمالية :	**منطقة العمليات قطاع نابلس :**
	(قلقيلية ـ طولكرم ـ جنين ـ نابلس ـ وجنين ـ طوباس ـ نابلس ـ وداميا)
القائد العام :	العميد دافيد اليعازر
قائد الفرقة :	إلادبيليد
القـوات :	لواء مدرع
	لواء آلـي
	لواء مشـاة
القيادة الوسطى :	**منطقة العمليات : قطاع :**
	(القدس ـ الخليل ـ رام الله ـ القدس ـ أريحا)
القائد العام :	العميد عوزي ناركيس
القــوات :	لواء (هاري ايل) آلي القائد (أوري بن آرى)
	لواء مظليين القائد (موردخاي غور)
	لواءا مشاة ٢
	لواء عصيوني (القدس) ٨ كتائب

كان مجموع القوات التي خصصتها القيادة الاسرائيلية لاحتلال الضفـة الغـربية ثمانية ألـوية (٤ مشاة ، ١ مدرع ، ٢ آلي و ١مظلي) .

الجبهة السورية : (الجولان)

كان السوريون ـ كالمصريين ـ يتبعون المفهوم الاستراتيجي والعقيدة القتالية السـوفيتية حرفياً وينفذون نظرية الدرع الواقي (خط الدفاع الأول) والسيف (قوة الاحتياط) بأمانة تامة . إلا أن ضيق الجبهة في الجولان وطبيعتها الصالحة للدفاع يعطي السوريين ميزة في كثافة القوات التي تشغل خط الدفاع الأول (عرض ٤٠ ميلاً) وتوفير احتياط مناسب ، بالاضافة إلى طبوغرافية الأرض التي تحمي جناح القوات السورية الايسر (من الجنوب) الذي يرتكز على مجرى نهر اليرموك الشديد الانحدار ، وجبل الشيخ من الشمال .

وهكذا ركز السوريون دفاعهم في جبهة الجولان في خط قوي يمتد من بانياس على سفح جبل الشيخ في الشمال إلى (فيق) على حافة المرتفعات المطلة على نهر اليرموك في الجنوب . وتولت أربعة ألوية مشاة مهمة الدفاع عن الخط الأول (وتمثل الدرع) وتطل على بحيرة طبريا بينما وضعت قوات الاحتياط ومنع الخرق (المؤلفة من لوائي مشاة ولواء آلي ولواء مدرع) في الخلف عبر الحرة وعلى بعد ١٠-١٥ ميل من الخط العام القنيطرة والرفيد في شمال الوسط إلى البطمية والرفيد في الجنوب . وكان وضع القوات السورية أفضل من وضع القوات المصرية حيث تدافع الأولى في منطقة مناسبة تستند إلى حاجز طبيعي وجبهة ضيقة مسيطرة يسندها ٢٥٠ مدفعاً من ختلف العيارات .

وللتغلب على الدفاعات السورية وضع اليعازر خطة هجومية تهدف إلى فصل قوة الاحتياط عن خط الدفاع الأول . وتتلخص في التعرض على طول الجبهة السورية في الجولان بمجموعتي قتال

بحيث يصعب على القيادة السورية معرفة اتجاه الهجوم الرئيسي . وقرر تنفيذ الخطة باستخدام لواء جولاني ولواء مدرع على المحور الشمالي كفرصلد ، بانياس ـ تل العزيزات ـ مسعدة ودردارا ـ القنيطرة ، ومجموعة لواء مدرع على محور جسر بنات يعقوب وفيق ـ العال ـ البطمية . وتقرر أن يتم الاقتحام الأولي في ضوء النهار لتتمكن تشكيلات الهجوم من تحسين وضعها وتوسيع رأس الجسر على حافة الهضبة الغربية خلال الليل . وكان أمل اليعازر أن لا تتمكن القيادة السورية المرتبكة من شن هجوم معاكس قبل اليوم التالي (يوم ي + ١) وسيقوم سلاح الجو الاسرائيلي بغارات متواصلة على الاحتياط السوري ، بينما تقوم القوات الاسرائيلية بعملية إحاطة مزدوجة لتدمير القوات السورية ، حيث يتقدم الرتل الشمالي على الطريق المتجه إلى القنيطرة ومحور الروية ـ نفاخ ، والرتل الجنوبي بقيادة بيليد على محور فيق ـ خسفين ـ البطمية . وإذا ما أطبق فكا الكماشة الاسرائيلية في القنيطرة أمكن تدمير القوات السورية المدافعة .

وقد أجهضت المرحلة الثانية من خطة اليعازر بسبب قبول السوريين لقرار وقف إطلاق النار الساعة ١٨٠٠ يوم ١٠ حزيران عام ١٩٦٧ (يوم ي + ١) . وقد حضرت القوات الاسرائيلية لعملية احتلال الجولان وتدمير القوات السورية على النحو التالي :

المرحلة ١ : الساعة ١١,٣٠ يوم ٩ حزيران عام ١٩٦٧ .
يتم الاقتحام واختراق المواقع الدفاعية لتأمين رأس الجسر خلال ساعات النهار .

	الجهد الرئيسي	المحاور والأهداف
أ .	**لواء مدرع (A) العقيد أفرام مندلر** كتيبتا دبابات شيرمان كتيبة مشاة آلية	كفرصلد ـ زوراء ـ سيراديب ـ قنابع
ب .	**لواء جولاني (مشاة)** ٣ كتائب مشاة	كفرصلد ـ تل عزيزات ـ تل الفخار ـ الروية
ج .	**اللواء الآلي (M)** (الجبهة الاردنية سابقاً)	يستثمر الفوز من خلال مواقع لواء جولاني ويحتل مسعدة ـ بانياس ـ جبل الشيخ .
	الجهد الثانوي	
د .	**اللواء المدرع (U)** (الجبهة الأردنية سابقاً)	جونين ـ الروية
هـ .	**القوات المختلطة** مشاة ومظليين ووحدات أخرى	(١) نوتيرا ـ الدراباشية (٢) جسر بنات يعقوب ـ دردارا ـ جلبينا

الجيش العربي الهاشمي

المرحلة ٢ : ١٠ حزيران عام ١٩٦٧
التوسع بعد الاندفاع عبر الخرق والالتفاف المزدوج بقوات مندلر (فك الكماشة الشمالي) من الشمال .

أ . **اللواء المدرع (A)** (العقيد افرام ماندلر)	التقدم واحتلال القنيطرة
ب . **لواء جولاني**	تطهير جيوب المقاومة ومساعدة اللواء المدرع (A) في احتلال القنيطرة
ج . **اللواء الآلي (M)**	تحسين مواقعه في بانياس ـ مسعده وتطهير منحدرات جبل الشيخ الجنوبية
محور الوسط	
د . **اللواء المدرع (U)**	يتقدم على محور الروية ـ كفر نفاخ ويهاجم القنيطرة من الجنوب الغربي ثم يتابع تقدمه على محور كفر نفاخ ـ البطمية ويتصل مع فك الكماشة الجنوبي لقوات بيليد في الرفيد .
هـ . **القوات المختلطة**	تقوم بتطهير الجيوب وعمليات تمشيط للمنطقة من جسر بنات يعقوب وحتى الطرف الشمالي من شواطىء بحيرة طبريا .
المحور الجنوبي (فك الكماشة الجنوبي) :	
و . **فرقة بيليد** (الجبهة الأردنية سابقاً)	تتقدم على محور : فيق ـ الخشنية وتحتل البطمية ـ الرفيد وتتصل مع اللواء المدرع (U) في البطمية
ز . قوة مختلطة من المشاة وقوات المظليين المحمولة بالحوامات (هليكوبتر) بالاضافة لقوة آلية ومفارز دبابات تساندها مجموعة من مدفعية القيادة الشمالية	

كرر المصريون خطة اليعازر نفسها في حرب تشرين الأول سنة **١٩٧٣** إذ قرر أحمد اسماعيل اجتياز قناة السويس والتقدم على جبهة عريضة لكي لا يعطي الاسرائيليين فرصة معرفة اتجاه الهجوم الرئيسي . وقد وقعت القيادة الاسرائيلية في حيرة تامة وهي تحاول ايجاد الجهد الرئيسي المصري الذي تكشف بعد **٤٨** ساعة من بدء القتال ، وتبين أنه لا يوجد جهد رئيسي وإنما مجرد تغير تكتيكي لرفع معنويات الجيش المصري الذي تهاوى في ثلاث حروب سابقة .

مفهوم العمليات المصري : سيناء

تبنت القيادة المصرية أسلوب الدفاع بالأنساق حسب العقيدة السوفيتية ، دون تعديل أو تطوير رغم معرفة المصريين أن القيادة الاسرائيلية قد حللت ذلك الاسلوب جيداً واتخذت العدة للتغلب عليه ، وخاصة بالنسبة لعدم كفاية القوات المصرية لممارسة دفاع قوي ، ومسك الأرض بحيث يصعب على العدو القيام بعمليات اختراق واسعة ، والوصول إلى المناطق الحيوية ، أو عزل قوة الاحتياط وإحباط قدرتها على الحركة .

ولتطبيق المفهوم السوفيتي (السيف والترس) ركز المصريون قوات المشاة والمشاة الآلية في ثلاثة انساق دفاعية، بينما وضعوا قواتهم المدرعة (التي تمثل السيف) في الاحتياط خلف الدفاعات الرئيسية بمسافة بعيدة، ثم وزعت المواقع الدفاعية على المناطق الحيوية بحيث تسيطر على جميع المحاور القادمة عبر سيناء وغزة من الشمال والوسط والجنوب حسب الاسلوب التالي :

١ . **خط الدفاع الأول** : رفح ـ أم القطف ـ القسيمة . وتدافع عنه الفرقة الفلسطينية ٢٠ وفرق المشاة المصرية : الثانية والسادسة والسابعة بالاضافة إلى قوات الشاذلي والفرقة الآلية .

٢ . **خط الدفاع الثاني** : العريش ـ جبل لبنى ـ بئر حسنة ـ نخل . وتدافع عنه فرقة مشاة والفرقة المدرعة الثالثة التي تمثل الاحتياط الأول .

٣ . **خط الدفاع الثالث** : بئر جفجافة ـ التمد . تتحشد فيه قوة الاحتياط العام وتشكل الفرقة المدرعه الرابعة عموده الفقري .

كانت قوة خط الدفاع الأول تمثل الترس أو الدرع الواقي للجبهة المصرية بينما تعتبر قوات خطي الدفاع الثاني والثالث السيف أو القوة الضاربة المخصصة للتعرض والهجمات المعاكسة .

لم تبتعد القيادة المصرية كثيراً عن الاسلوب الروسي التقليدي في توزيع القوات، حيث احتلت جميع المحاور، من النقب إلى قناة السويس بقوات متوازنة واحتفظت باحتياط مناسب لوقف الخرق والقيام بالهجوم المعاكس . إلا أن القيادة المصرية تجاهلت عاملين مهمين هما اسلوب القوات الاسرائيلية في دمج الدفاع مع التعرض والتسلل والإحاطة واتخاذ العمل غير المتوقع والأقل احتمالاً . والعامل الآخر هو التفوق الجوي ومدى تأثيره على سير العمليات في الصحراء .

ويبدو أن المفهوم المصري تركز في استنزاف جهد القوات الاسرائيلية على خط الدفاع الأول المكون من المشاة والمشاة الآلية بخطوط متعاقبة، والقيام بهجوم معاكس بقوات الاحتياط (الفرقتان المدرعتان ٣ و ٤) التي تبعد ٤٠-٧٠ ميلاً عن حدود سيناء وتدمير العدو إذا سمح الموقف بذلك . ولسوء الحظ أنه لم تعط للمصريين الفرصة لتجربة خططهم بعد أن تمت السيطرة الجوية المطلقة لاسرائيل وأصبحت القوات المصرية مبعثرة في الصحراء بدون حماية وفريسة سهلة لمقاتلات العدو .

مفهوم العمليات الأردني

كان الملك حسين طموحاً في تطلعاته نحو بناء جيش قوي قادر على الدفاع عن الأرض، والمساهمة في تحرير الجزء المحتل من فلسطين، ولكنه كان (كجده الأكبر الحسين بن علي) متأثراً بالاعتبارات السياسية والنفسية في تحديد مهمة الجيش ووضع مفهوم استراتيجي يرتكز أساساً على عوامل عسكرية منطقية . لذلك فقد استبعدت أي خطة مبنية على عوامل عسكرية محضة لا سيما وقد مر الجيش العربي الأردني بتجربة قاسية عندما استولى الاسرائيليون على شريط الحدود (المثلث

الجيش العربي الهاشمي

يبين المخطط المرفق تنظيم وتوزيع القوات الأردنية المسلحة العملياتي في ١ حزيران عام ١٩٦٧

القائد الأعلى للقوات المسلحة الاردنية
الملك حسين بن طلال

القيادة العامة

هيئة الاركان المشتركة (عمان)
القائد العام المشير حابس المجالي
نائب القائد العام اللواء الشريف ناصر بن جميل
رئيس الأركان اللواء عامر خماش

الضفة الغربية
الجبهة الغربية (رام الله)
اللواء محمد أحمد سليم

الضفة الشرقية
الجبهة الشرقية (الزرقاء)
اللواء مشهور الجازي

سلاح الجو الملكي الأردني
(عمان ، المفرق)
العقيد صالح الكردي

سلاح البحرية الملكي الأردني *

لواء الحسين بن علي
(معان والعقبة)
المقدم سالم
نجادات

لواء اليرموك
(منطقة اربد)
العقيد مقضي
عبد المصلح

قطـاع نابلـس

X لواء خالد بن الوليد

X لواء الأميرة عاليه

X

X لواء القادسية

المقـدم
صالح عليان

منطقة العمليات

(جنين ـ نابلس)

(طولكرم ـ قلقيلية)

داميـا

الجفتلك

(احتياط)

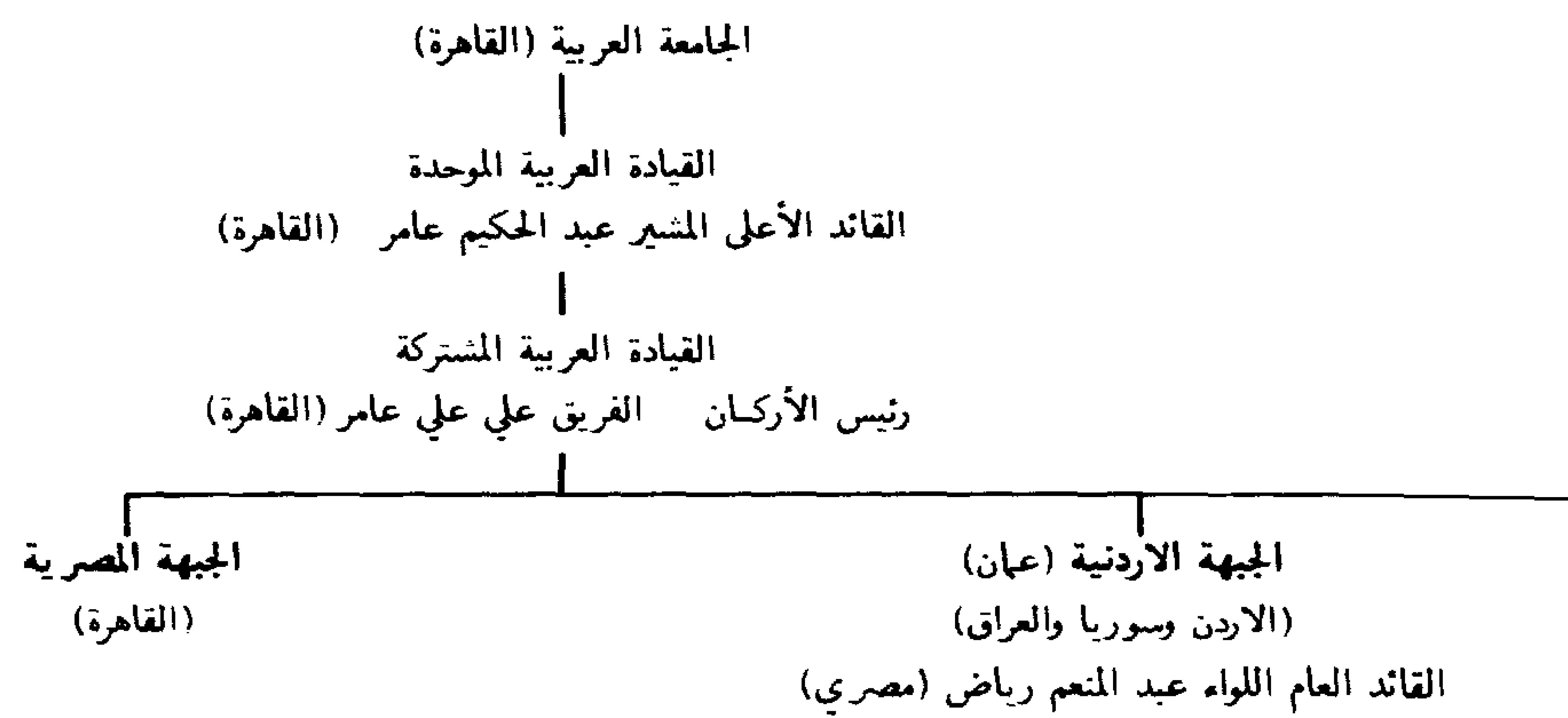
العقيد عواد الخالدي

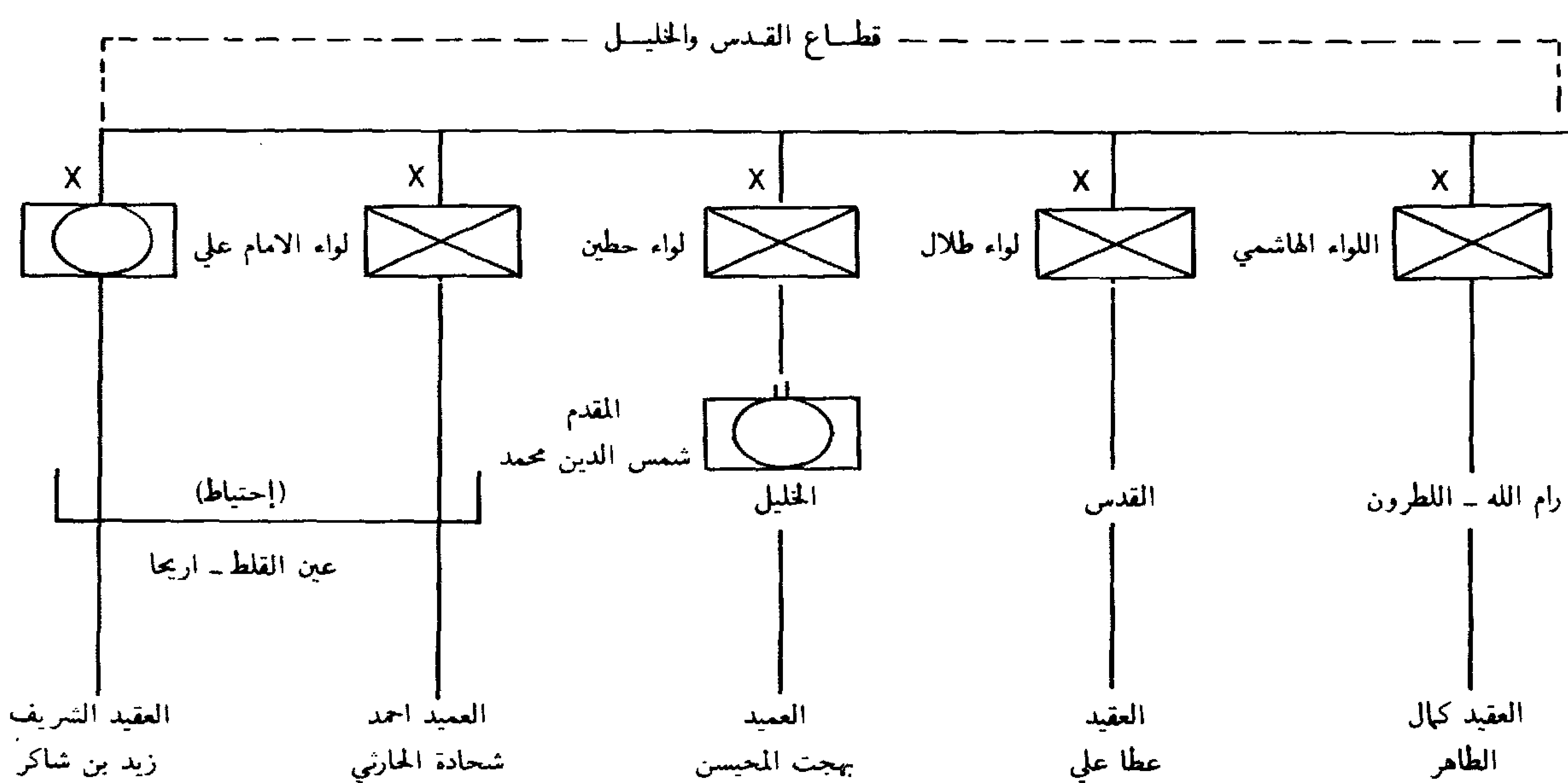
العميد تركي بعاره

العقيد راكان عناد

العميد قاسم
المعايطة


* كان يقود سرية خفر السواحل أنئذ الرائد فؤاد سلامه .


الجامعة العربية (القاهرة)
القيادة العربية الموحدة
القائد الأعلى المشير عبد الحكيم عامر (القاهرة)
القيادة العربية المشتركة
رئيس الأركـان الفريق علي علي عامر (القاهرة)
الجبهة الاردنية (عمان)
(الاردن وسوريا والعراق)
القائد العام اللواء عبد المنعم رياض (مصري)
الجبهة المصرية
(القاهرة)


قطـاع القـدس والخليـل
X
اللواء الهاشمي
لواء طلال
لواء حطين
لواء الامام علي
المقدم
شمس الدين محمد
رام الله ـ اللطرون
القدس
الخليل
(إحتياط)
عين القلط ـ اريحا
العقيد كمال
الطاهر
العقيد
عطا علي
العميد
بهجت المحيسن
العميد احمد
شحادة الحارثي
العقيد الشريف
زيد بن شاكر

العربي) بعد انسحاب الجيش العراقي عام ١٩٤٩ وردود الفعل السياسية التي نجمت عن ذلك . لهذا السبب أدرك الحسين أنه لايستطيع ـ لأسباب سياسية ونفسية ـ التخلي طوعاً عن أية قرية أو تلة في الضفة الغربية للقوات الاسرائيلية عام ١٩٦٧ .

وتفرض المبادىء العسكرية على الجيش الصغير في الحجم الذي يدافع عن جبهة واسعة أن يختار مناطق حيوية (مرتفعات وعقد مواصلات) ، يدافع عنها ويحتفظ باحتياط مناسب للقيام بهجوم معاكس على أي موقع مهم يحتله العدو . ولتطبيق هذا المبدأ كان المفروض في الجيش العربي أن يترك القرى والمواقع غير التعبوية الواقعة على الحدود ويدافع في سلسلة مرتفعات نابلس والقدس ـ الخليل . ولكن من يعفي الجيش العربي من المسؤولية لو قام باخلاء قرية قلقيلية أوطولكرم وتراجع إلى الخلف تطبيقاً لقاعدة عسكرية . فلقد بقي الجيش في تلك المواقع ودافع عنها حسب قدراته المتواضعة ، ومع ذلك لم يسلم من الاتهام بالتخلي عن مواقعه رغم أن هزيمة الطيران والجيش المصري كانت هي السبب .

كانت قوة الجيش العربي المؤلفة من تسعة ألوية مشاة ولوائي دروع تدافع في الضفة الغربية وتمسك المناطق الأمامية الممتدة من شمال جنين ـ في مرج بن عامر ـ إلى جنوب الخليل بقوات الحرس الوطني (سابقاً) وعناصر من الجيش ، وتنتشر خلفها كتائب المشاة التي تدافع على طول المرتفعات في قطاع نابلس ـ القدس ـ الخليل التي يتراوح ارتفاعها مابين ٢٥٠٠ ـ ٣٥٠٠ قدماً وأهمها جبل عيبال وجرزيم في نابلس وبدو والنبي صموئيل في القدس ومرتفعات الخليل المنحدرة جنوباً حتى بئر السبع وتطل شرقاً على البحر الميت .

وتخترق هذه المرتفعات عدة طرق ومحاور اقتراب ، ففي الشمال يوجد محور العفولة ـ بيسان الذي يجتاز النهر إلى الضفة الشرقية في منطقة أربد ، والعفولة ـ جنين ـ دير شرف ـ نابلس ـ الجفتلك ـ داميا ، وجنين ـ قباطية (مثلث الشهداء) ـ طوباس ـ داميا ، وطوباس ـ الباذان نابلس . ثم محور طولكرم ـ نابلس وقلقيلية ـ نابلس وناتانيا ـ طولكرم وفي القطاع الأوسط توجد محاور تل أبيب ـ مثلث بيت سيرا ـ رام الله ـ الطيبة ـ أريحا وتل أبيب ـ باب الواد ـ القدس ـ النبي موسى ـ أريحا .

وهناك طريق عرضاني مهم يخترق قطاع نابلس من شمال جنين ماراً بنابلس ـ سنجل ـ رام الله ـ القدس ـ بيت لحم ـ الخليل وينتهي جنوباً في بئر السبع ، بالاضافة إلى المحاور التي تستمر شرقاً ومنها : محور رام الله ـ الطيبة ـ أريحا والقدس ـ الخان الأحمر ـ النبي موسى ـ أريحا . وبيت لحم ـ العبيدية ـ أريحا . ويوجد ثلاثة جسور على نهر الأردن (جسر الأمير محمد في الشمال وجسر الملك حسين في الوسط وجسر الأمير عبد الله في الجنوب) بالاضافة إلى العديد من المخاضات ، منها مخاضة دير حجلة والمغطس والغورانية وأم الشرط التي اجتازتها قوات اللنبي إلى عمان والسلط عام ١٩١٨ .

وتشكل مدن نابلس وجنين وطولكرم ورام الله والقدس والخليل مناطق حيوية في الضفة الغربية ، ويعتبر احتلال أي منها مفتاحاً للعمليات العسكرية في المنطقة . كما يؤدي احتلال القدس ورام الله إلى فصل المنطقة الشمالية (نابلس) عن المنطقة الجنوبية (الخليل) .

بالاضافة لوجود ما يزيد على ١٨٠ نقطة حيوية في الضفة الغربية ، يؤثر احتلال أي منها تأثيراً كبيراً على دفاع الجيش العربي ، هناك المنطقة الشمالية من الضفة الشرقية ، التي تؤدي اليها محاور بيسان (جنوب طبريا) ، وميناء العقبة المكشوف ومنطقة وادي عربة والبحر الميت ـ غور الصافي ـ الكرك ، وكلها تؤدي إلى العاصمة (عمان) التي لم يكن يوجد قوات كافية للدفاع عنها .

بعد تحليل الأرض وجد القائد الأعلى أنه لابد من الدفاع عن المناطق التعبوية المهمة : جنين ـ نابلس ـ رام الله ـ القدس ـ الخليل وكذلك الدفاع عن محور بيسان ـ اربد وميناء العقبة في الضفة الشرقية . وقد اخذ الملك حسين بعين الاعتبار العامل السياسي والنفسي في تخطيط الدفاع عن الضفة الغربية ، ورفض التخلي عن أي جزء من الأرض العربية ، بصرف النظر عن أهميته العسكرية (التعبوية) ، بدون قتال .

وقد وضعت خطة الدفاع عن الضفة الغربية بالأسلوب التقليدي المعروف ، قوة دفاعية تمسك الأرض وقوة احتياط (لوائي دروع) لوقف الخرق والقيام بالهجوم المعاكس عندما يطلب منها ذلك . كما وضعت الخطط للقيام بتعرض محدود كجزء من خطة القيادة العربية الموحدة . إلا أن تدمير الطيران المصري وانتقال السيطرة الجوية المطلقة إلى العدو ووصول المعلومات الكاذبة عن الجبهة المصرية زج الجيش العربي في معركة خاسرة سلفاً .

وضمن خطة الاستعداد للحرب جرى تسليم قيادة الجيش العربي إلى اللواء عبد المنعم رياض (مصري) ، ويساعده اللواء عامر خماش (رئيس الأركان الأردني عام ١٩٦٧) ، وكانت قيادة الجبهة الغربية بقيادة اللواء محمد أحمد سليم تسيطر على العمليات في الضفة الغربية ، وقيادة الجبهة الشرقية تسيطر على باقي القوات في الضفة الشرقية .

وكانت توجد في الضفة الغربية كتيبتا دبابات مستقلتان ، أما اللواء المدرع ٤٠ واللواء المدرع ٦٠ فقد كانا يشكلان احتياط القيادة العامة ، وأعطيت أولوية استخدامهما للجبهة الغربية ، لذلك جرى تركيزهما غرب النهر في داميا وأريحا . وقام الجيش العربي بتكديس عتاد ووقود ، ومواد تموين تكفي القوات المقاتلة في الضفة الغربية مدة طويلة تزيد على ٣٠ يوم قتال ، أما قاعدة الإمداد الرئيسية فقد كانت في مدينة الزرقاء ، إلا أن خطوط مواصلات الجيش كانت مكشوفة لطيران العدو لعدم قدرة سلاح الجو الأردني الصغير (٢١ طائرة) على توفير الحماية الجوية المحلية ، ناهيك عن الدفاع الجوي ومساندة القوات الأرضية وضرب الأهداف المعادية .

لم تستطع قيادة الجبهة الغربية (بهيئة ركنها ووسائل الاتصالات المحدودة لديها) أن تسيطر على جبهة عريضة تمتد من مرج بن عامر شمالاً إلى بئر السبع جنوباً ، تدافع عنها ٩ ألوية دون وجود

قيادات وسيطة . وقد انهارت الجبهة وأصبحت الألوية في حالة من التخبط والفوضى ولا تعلم من أين تتلقى الأوامر .

وساهم تعيين اللواء عبد المنعم رياض (الذي لا يعرف طبوغرافية الضفة الغربية ولا توزيع القوات على الطبيعة) في خلق الفوضى والارتباك نتيجة كثرة الأوامر وتناقضها . وكانت القوات الأردنية في الضفة الغربية بحاجة إلى إعطاء المزيد من الحرية في التصرف وأكبر قدر من اللامركزية .

كذلك لم يحقق مفهوم العمليات الاردني ـ الذي . بني على اعتبارات سياسية ونفسية وعسكرية ـ إلا دفاعاً ضعيفاً وفرصاً للتعرض داخل المنطقة المحتلة محدودة جداً . وكان بالامكان تجميع القوات الأردنية ومسك المناطق الحيوية ، وهذا أفضل من انتشارها على رقعة واسعة من الأرض دون توفير عمق تعبوي يحد من الاختراقات المعادية . ولو جمع لواءا طلال وحطين للدفاع عن القدس لجعل ذلك مهمة القوات الاسرائيلية صعبة وتكبدت خسائر فادحة في الأرواح قبل أن تحتل المدينة المقدسة . ولكن العامل السياسي القاضي بعدم التخلي عن أي شبر من الأرض حال دون ذلك .

مفهوم العمليات السوري

يعتمد المفهوم السوري كما شرح سابقاً على اتباع التكتيك الروسي الجامد المبني على مسك الأرض بقوات دفاعية (الترس) وفصل احتياط (يمثل السيف) لوقف الخرق والقيام بالهجوم المعاكس . وتستند الدفاعات السورية في هضبة الجولان على الطرف الغربي الحاد ـ الذي يصعب اقتحامه ـ للهضبة والمطل على بحيرة طبريا ، كما أن نهر اليرموك ووادي الرقاد في الجنوب يحميان جناح الجيش السوري الأيسر . كما كانت المواقع السورية محصنة تحصيناً جيداً إذ كانت جميع القيادات ومعظم مرابض المدفعية مسقوفة بشبكة من الخرسانة المسلحة ومزودة بشبكة من الاتصالات السلكية واللاسلكية . ولكن الهزيمة حلت بالقوات السورية بسبب عدم الإعداد لمجابهة خطط الاسرائيليين غير المتوقعة وركونها إلى التحصينات الدفاعية التي أثبتت عدم قدرتها على الصمود أمام الهجمات المركزة في الماضي والحاضر .

سير العمليات التعبوي : ٥-١٠ حزيران عام ١٩٦٧

الجبهة المصرية : الساعة ٠٧٤٥ يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ـ الساعة ١٨٠٠ يوم ١٠ حزيران عام ١٩٦٧

في الساعة ٠٧٤٥ (٠٨٤٥ توقيت مصر) يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ قام سلاح الجو الاسرائيلي

بالضربة الأولى (الوقائية) ضد سلاح الجو والمطارات المصرية . وبعد ذلك بنصف ساعة بدأ يشعيا هو جافيش تعرضه على الجبهة المصرية في سيناء ، وما بين الساعة ٠٧٤٥ والساعة ١٠٤٥ قصفت اسرائيل ٩-١١ مطاراً مصرياً ، وفي تلك الساعة أبلغ مردخاي هود قائد سلاح الجو الاسرائيلي القيادة العامة أن الطيران المصري أصبح خارج المعركة . وفي موجات جوية متتالية استطاع سلاح الجو الاسرائيلي تدمير معظم الطائرات المقاتلة المصرية . بما فيها القاذفات التي تم تهريبها إلى مطار الأقصر في الجنوب .

وما أن حلت الساعة ١٢٣٠ حتى كانت ١١ قاعدة مصرية قد قصفت أكثر من مرة بالاضافة للمطارين الوحيدين في الأردن (عمان والمفرق) وتدمير بعض الطائرات أثناء تزويدها بالوقود ما بين الساعة ١٢٤٥ و ١٥٤٥ يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، وفي نفس اليوم تم قصف ٥ مطارات سورية هي دمشق ، صيقل ، الضمير ، مرج ريال و (ت -٤) كما ضربت القاعدة العراقية في H3 . وهكذا بضربة واحدة خرجت قوات الجبهة الشرقية الجوية (سوريا والأردن) من المعركة أيضاً .

طبقاً للمصادر الاسرائيلية ، كانت خسائر سلاح الجو المصري في اليوم الأول من الحرب : ٢٨٦ طائرة من أصل ٣٨٥ طائرة . وقد ادعى مردخاي هود أن اسرائيل دمرت خلال حرب حزيران ٤٥٢ طائرة من أصل ٦٣٨ طائرة للدول العربية المشتركة : مصر وسوريا والعراق والأردن بينما بلغت الخسائر الاسرائيلية ٤٦ طائرة منها ١٩ طائرة أسقطت يوم ٥ حزيران . أي أن نسبة الخسارة الاسرائيلية للدول العربية في الطيران كانت ١ : ١٠ .

بعد أن تم تدمير الأسلحة الجوية العربية أصبحت السيطرة المطلقة للقوات الجوية الاسرائيلية التي صارت تعمل بحرية في عمق الوطن العربي ، وأصبحت الجيوش العربية ـ في صحراء سيناء ومرتفعات الضفة الغربية وبين الصخور البركانية في الجولان ـ تحت رحمتها . وقد أشار لذلك مؤلفو كتاب « الجيش الاسرائيلي » الذين قالوا :

« سهل التفوق الجوي تحقيق النصر الاسرائيلي في ميدان المعركة ، ومع أن النتيجة ستكون واحدة في النهاية إلا أن النصر سيكون غالباً على حساب الخسائر الجسيمة في الأرواح . فبعد أن دمرت أسلحة الجو العربية أصبح في مقدور الارتال الاسرائيلية التقدم في قوافل منتظمة دون الخوف من القصف الجوي . والجدير بالذكر أن القوة الجوية الاسرائيلية ـ بخلاف الدول العربية ـ حصلت على مساعدات كبيرة من الدول الغربية (خاصة اليهود) في صورة متطوعين للعمل في سلاح الجو قبل وأثناء العمليات الحربية .

في قيادة الجبهة الجنوبية الاسرائيلية أعطي الأمر بالتعرض في الساعة ٠٨١٥ (توقيت سرائيل) بعد نصف ساعة من الضربة الجوية الأولى . في تلك الساعة من صباح الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ انطلقت القوات المسلحة الاسرائيلية عبر سيناء برتلين ، الرتل الشمالي ويتقدم على محور خان يونس ـ رفح ـ العريش من الشمال ويقوده اسرائيل تال ، ورتل آخر بقيادة أريل شارون

يتقدم على محور نيتزانا ـ أم القطف ـ أبو عجيلة من الجنوب ، بينما تسلل رتل الجنرال يوفي من الوسط عبر وادي حرادين في محاولة للسيطرة على مفترق الطرق عند بئر لحفن ، بحيث يستطيع نصب كمين لقوات الاحتياط المصرية (السيف) إذا قررت القيام بالهجوم المعاكس .

وفي الساعة ١٠١٥ استطاع اللواء المدرع السابع من قوة تال خرق الدفاعات المصرية التي كانت تحتلها الفرقة المصرية ٧ ، وما أن حل مساء (١٨٠٠) يوم ٥ حزيران حتى كان الرتل الاسرائيلي الشمالي يحتل العريش على بعد ٤٠ ميلاً من الحدود الاسرائيلية بعد اجتياح القوات المصرية وتدميرها رغم فشل اللواء (M) بقيادة أفرام من تطويق جناح القوات المصرية وفصل لواء رفائيل ايتان (رئيس الأركان حالياً) عن اللواء المدرع ٧ . وفي قطاع الوسط تمكن شارون من اجتياح مواقع الفرقة الثانية المصرية وتدمير الدفاعات المصرية في صباح اليوم التالي (٦ حزيران) .

وما أن جاء يوم ٨ حزيران حتى كانت القوات الاسرائيلية قد حققت هدفها كاملاً في الجبهة المصرية وتدميرها رغم فشل اللواء (M) بقيادة أفرام في تطويق جناح القوات المصرية وفصل لواء الاسرائيليين وعسكرت قواتهم على الضفة الشرقية لقناة السويس . وجاء النصر نتيجة للسيطرة الجوية الاسرائيلية الكاملة على ميدان المعركة والتخطيط الاستراتيجي السليم القائم على دراسة دقيقة للعقيدة السوفيتية الدفاعية التي تبناها الجيش المصري والقائمة على دفاع الأنساق ، مما مكن الاسرائيليين من التعامل مع هذه العقيدة بنجاح في ظل السيطرة الجوية ، ومن خلال الاستخدام التعرضي المبتكر للتشكيلات المدرعة وأسلوب التقرب غير المباشر وسلوك الطرق غير المتوقعة وإعطاء حرية كافية للقادة للتصرف .

العمليات على الجبهة الاردنية : الساعة ١٤٠٠ يوم ٥ حزيران -٢٢٣٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧

اتخذت العمليات الاسرائيلية شكلين تعبويين محدودين ومستقلين على الجبهة الاردنية : الأول معركة الاستيلاء على القدس والثاني العمليات الدفاعية في قطاع نابلس .

ورغم ادعاء الاسرائيليين بأن احتلال الضفة الغربية جاء تطويراً لأهدافهم رداً على اشتراك الاردن في الحرب إلا أنه من غير المعقول أن لا تكون هناك خطط معدة مسبقاً لاحتلال الضفة الغربية والقدس التي يعتبرها الصهاينة قلب الدولة اليهودية .

وقد ثبت وجود الخطط العسكرية لاحتلال الضفة الغربية رغم اعتقاد الاسرائيليين بأن الأردن غير قادر على الدفاع عن الضفة الغربية وسيقتصر دوره على تثبيت بعض القوات الاسرائيلية (٤-٦ ألوية) ومنعها من الاشتراك ضد مصر أو سوريا .

وبصرف النظر عن احتمالات دخول الاردن الحرب فقد بدأت القيادتان الاسرائيليتان الشمالية

والوسطى تعرضها ضد الأردن بعد ظهر يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ . فقد جمع دافيد اليعازر فرقة مؤلفة من لواء مدرع ولواء آلي ولواء مشاة بقيادة العميد بيليد لاحتلال قطاع نابلس ، حيث كانت مهمتها تدمير القوات الأردنية التي تدافع عن القطاع بلوائي مشاة ولواء دروع (خالد بن الوليد والقادسية واللواء المدرع ٤٠) وهدفها النهائي مدينة نابلس . ثم تستعد فرقة بيليد ـ بعد إنجاز مهمتها ـ للمشاركة في التعرض ضد الجيش السوري في الجولان .

أما قائد المنطقة الوسطى (العميد عوزي ناركيس) فقد جمع له : لواء المشاة عصيوني (٨ كتائب) بقيادة العقيد اميتاي ولواء آلي هاري أيل بقيادة العقيد أوري بن آري ولواء مظليين بقيادة مردخاي غور ولواءا مشاة ، وأعطيت له مهمة احتلال الضفة الغربية جنوب قطاع نابلس (مرتفعات القدس والخليل) وتدمير القوات الاردنية فيها (المؤلفة من ٥ ألوية مشاة : الهاشمي ، طلال ، عالية ، حطين والإمام علي بالاضافة للواء المدرع ٦٠ ، وقد خصصت طلعات جوية كافية لإسناد العمليات في الضفة الغربية وتدمير لوائي الدروع الأردنيين ٤٠ و ٦٠ . وبما أن معارك القدس وقطاع نابلس جرت شبه مستقلة عن بعضها ، لذلك سيجري بحث كل منها على حدة .

وضعت القوات المسلحة الأردنية في حالة تأهب قصوى بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك في القاهرة يوم ٣٠ آيار ، وعين اللواء عبد المنعم رياض قائداً عاماً لها . وبدأت الاستعدادات للحرب تأخذ طابعاً جدياً وتم تحريك الوحدات بصورة دعائية ـ عبر المدن لتأخذ مواقعها القتالية على الجبهة . كما بدأت طلائع القوات العراقية ـ التي ستلحق بالجبهة الاردنية ـ تحركها من العراق . وكما سبق ، كان التركيز على مبدأ الدفاع في الضفة الغربية مع الاستعداد للتعرض المحدود كجزء من خطة القيادة العربية الموحدة .

معركة القدس والخليل ، من الساعة ١٤٠٠ يوم ٥ حزيران - الساعة ٢٢٠٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧

أكدت مصادر الاستخبارات الاردنية مساء يوم ٣ حزيران وجود حشودات عسكرية اسرائيلية كبيرة في منطقة غرب اللطرون والعفولة شمال جنين . وقد استمر بناء (حشد) القوات الاسرائيلية على الواجهة الأردنية بصورة أقل حذراً وسرية مما جرى على الجبهتين المصرية والسورية . ودلت المعلومات أن العدو يعد لضربة وقائية وأن الحرب وشيكة الوقوع . فقام اللواء عامر خماش (رئيس الأركان أنذاك) بتحذير القيادة المصرية العليا وأكد لهم أن هجوماً اسرائيلياً قد يقع إما قبل أو بعد ٤ حزيران عام ١٩٦٧ ، إلا أن القيادة المصرية لم تفعل شيئاً ايجابياً حيال ذلك .

خارطة ٢٦

خارطة ٢٧

وعندما نشب القتال يوم ٥ حزيران أصدرت القيادة الأردنية أمراً لقيادة الجبهة الغربية لاحتلال جبل المكبر ، الذي يقع إلى الجنوب من القدس ويتربع على قمته مبنى الأمم المتحدة ، دون أن تعلم بالكارثة التي حلت بالطيران المصري . وقد كلفت كتيبة أسامة بين زيد من لواء الإمام علي

باحتلال التلة في الساعة ١٤٠٠ بعد الظهر . فقام لواء عصيوني بهجوم معاكس واستعاد الموقع في مساء اليوم نفسه .

أكد رد الاسرائيليين السريع على احتلال جبل المكبر وتحرك لواء آلي من الرملة ولواء المظليين من منطقة حشدة إلى القدس ، أن خططاً اسرائيلية مسبقة كانت مجهزة لاحتلال الضفة الغربية إذا دعت الحاجة ، خلافاً لادعائهم بغير ذلك . واعتماداً على مبدأ اسرائيل في الحرب على جبهة واحدة ، كان لابد من التعرض على الجبهة الاردنية حال تصفية الجيش المصري في سيناء .

وبما أن الاردن قد دخل الحرب ، كان على اسرائيل أن تنفذ الخطط المعدة سلفاً لاحتلال الضفة . وحيث أن الجيش الاسرائيلي يعتبر خطط الحرب مجرد أساس للعمليات ـ عرضة للتغيير في أي وقت ـ لذلك تعاونت القيادة الشمالية والوسطى في بدء التعرض على الجبهة الاردنية بسرعة فائقة . وقد قال الجنرال دافيد اليعازر حول بدء القتال على الجبهة الشرقية (الاردن وسوريا) ما يلي :

« عندما اندلع القتال صباح الخامس من حزيران دهشنا عندما انطلقت بعض النيران من الجبهة السورية ، ولكن فيما بعد كانت دهشتنا أكبر عندما فوجئنا بالقوات الاردنية تفتح النار علينا في الساعات الأولى من صباح اليوم الذي بدأ فيه القتال على الجبهة المصرية .

حوالي الظهر ، أمرت بالهجوم في القطاع الأردني لإسكات نيرانهم ، وكان الهجوم من منطقة التجمع على مواقع قريبة . وقد أجرينا التجميع أثناء الحركة ، وفي الساعة ١٧٠٠ يوم ٥ حزيران كانت فرقة بيليد تجتاز خط الحدود . »

وحيث أن السوريين استمروا في وضعية الدفاع الثابت فقد قرر رئيس الأركان الاسرائيلي إسحق رابين أن ينهي الجيش الاردني قبل أن يتعامل مع الجيش السوري بحرية ، وكان موقف السوريين السلبي ـ خاصة وأنهم في نظر اسرائيل أكثر العرب تشدقاً بالحرب ـ مثيراً للحيرة والتساؤل . وقد كلفهم ذلك الموقف ثمناً فادحاً ، إذ بالرغم من قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧ ، فقد شنت القوات الاسرائيلية تعرضها ضد سوريا الساعة ١١٠٠ يوم ٩ حزيران عام ١٩٦٧ . ومهما كانت أسباب القيادة السورية في الترقب والانتظار ، إلا أنها أعطت الفرصة الذهبية لاسرائيل ـ التي تريد التعامل مع كل جبهة على انفراد ـ لتصفية الجبهة المصرية وتحطيم القوات الاردنية وتدمير القوات السورية واحتلال الجولان . وقد تعلم السوريون الدرس من حرب حزيران وعدلوا موقفهم في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ .

ونظراً لما تمثله القدس في العقيدة اليهودية (حيث الهيكل وحائط المبكى) ولكونها مفتاح الدفاع عن الضفة الغربية ، فقد وضع ناركيس خطته لاحتلال المدينة القديمة ، بحيث يعزلها عن منطقة الخليل ونابلس ، ويمنع وصول الاحتياط الاردني إليها من غور الاردن . وللسيطرة على المنطقة ، قرر

القيام بإحاطة مزدوجة بعملية كماشة تطبق من الشمال على مرتفعات بدو ـ النبي صموئيل ـ رام الله ـ جبل سكوبس ـ بيت حنينا ، وتنتهي في جبل الزيتون شرق المدينة . ومن الجنوب يحتل مرتفعات بيت لحم ـ المكبر ـ صور باهر ـ الطوري ـ رأس العمود ، ويطبق فكي الكماشة في منطقة أبو ديس العيزرية والجامعة العبرية في هداسا . وطلب من القوات الاسرائيلية ـ أثناء تقدمها من الشمال ـ تطهير محور بدرس ـ قبيا ـ رنتيس ـ دير نظام ـ جفنا . وفي الوقت نفسه يقوم رتل من المنطقة الشمالية والوسطى بالتقدم على محور قلقيلية ـ نابلس وطولكرم نابلس ، واحتلال القاطع الواقع بين رام الله ونابلس . وقد خصصت القوات لواجبات احتلال القدس والخليل وقاطع رام الله كما يلي :

قوات تطويق واحتلال منطقة القدس العربية (الكماشة)

الفك الشمالي	**الأهداف ومحاور الهجوم**
أ . لواء المظليين (مردخاي غور) كتيبة مدرعات	الشيخ جراح ـ شيمون ـ هاتزادك ـ جبل سكوبس ـ جبل الزيتون ـ القدس القديمة ، واستثمار الفوز حتى العيزرية وأبو ديس .
الفك الجنوبي	**المرحلة ١**
ب . لواء عصيوني (أميتاي)	(١) الطوري ـ (المدينة القديمة) باب المغاربة ـ جبل المكبر ـ صور باهر . المرحلة ٢ (٢) بيت لحم ـ الخليل ـ السموع .
مناورة التفاف واحتلال رام الله	
ج . لواء هاري أيل الآلي أوري بن آري	(١) تلة الرادار ـ بدو ـ النبي صموئيل بيت حنينا ـ شعفاط (٢) بيت حنينا ـ رام الله . (٣) استثمار الفوز حتى اريحا والاتصال مع فرقة بيليد في سنجل على طريق رام الله ـ نابلس .
د . لواء مشاة محمول (معزز)	ممر اللطرون ـ بيت عور ـ بيتونيا ـ رام الله
هـ . لواء مشاة	يتقدم على ملتقى الطرق : بدرس ـ قبية ـ رنتيس ـ دير نظام ـ جفنا وقلقيلية ـ نابلس . وطولكرم ـ نابلس .

كان توزيع القوات الاردنية في قطاع القدس ـ الخليل كما يلي :

قوة الدفاع عن قطاع القدس	الواجـــب
أ . لواء الملك طلال (مشاة العقيد عطا علي) يدافع بكتائب المشاة التالية :	الدفاع عن مدينة القدس والمنطقة الشرقية
(١) كتيبة الحسين ٢	
(٢) كتيبة الأمير حسن ٤	
(٣) كتيبة الامام علي ٨	
قوات الاحتياط (هجوم معاكس)	
ب . اللواء المدرع ٦٠ (العقيد الشريف زيد بن شاكر) يقوم بالهجوم المعاكس حسب الأولوية	
بالواحدات التالية :	على الأهداف التالية :
كتيبة الدبابات ٣	(١) شرق القدس ـ النبي صموئيل ـ بدو ـ تلة الرادار
كتيبة الدبابات ٥	(٢) رام الله
كتيبة الحرس الملكي ٣ (م ١١٣)	(٣) اللطـــرون
	(٤) الخليـــل
ج . **لواء الامام علي (مشاة) العميد احمد شحادة الحارثي**	
كتيبة أسامة بن زيد ٣٥	
كتيبة زيد بن حارثه ٣٣	
كتيبة عبد الرحمن الغافقي ٣١	عين القلط ـ أريحا
خط الدفاع الأول (المراكز الرئيسية)	
د . اللواء الهاشمي (العقيد كمال الطاهر)	
ويدافع بكتائب المشاة التالية :	(١) منطقة اللطرون ـ بدو ـ تلة الرادار ـ النبي صموئيل ـ بيت اكسا ـ الشيخ عبد العزيز ومحاور الاقتراب للقدس ورام الله من تل أبيب بعرض ١٠ أميال
كتيبة الملك غازي ٦	(٢) تغطية محاور الاقتراب من الشمال : قلقيلية كفر قاسم ـ رنتيس ـ بدرس ـ ونابلس ـ رام الله ـ القدس . (عرض الجبهة ٣٠-٥٠ ميل)
كتيبة الأمير محمد ٩	
الكتيبة الهاشمية ١٠	
منطقة الخليل الدفاعية	الدفاع عن قطاع الخليل من بيت لحم إلى السموع
أ . لواء حطين (العميد بهجت المحيسن)	وعلى المحاور التالية :
ويدافع بالكتائب التالية :	(١) بيت شيمش ـ بيت لحم ـ القدس
كتيبة عبدالله بن رواحه ٣٧	(٢) بيت جبرين ـ ترقوميا ـ الخليل
كتيبة جعفر بن أبي طالب ٣٩	
كتيبة صلاح الدين الأيوبي ٤٩	(٣) بئر السبع ـ الخليل ـ القدس
كتيبة الدبابات (سنتوريون) ١٠	(٤) الخليل ـ حلحول ـ أريحا ثم المحور الذي يتجاوز بيت لحم من الجنوب الشرقي مع الطريق الجديدة ويسمح بتقدم مباشر من الخليل إلى أريحا . وتأمين مرتفعات حلحول الحيوية .

وكان عرض جبهة اللواء من السموع إلى بيت لحم ١٠٠ ميل .

وهكذا كان على قائد الجبهة الغربية أن يدافع عن القطاعين الأوسط والجنوبي بأربعة ألوية مشاة ولواء مدرع وعلى النحو التالي : لواء حطين يدافع في الخليل ، لواء طلال يدافع في القدس ، اللواء الهاشمي يدافع عن قطاع رام الله . بينما احتفظ قائد الجبهة بلواء الإمام علي واللواء المدرع ٦٠ احتياط . وحيث أن طول الجبهة الأردنية في ذينك القطاعين يزيد على ١٥٠ ميلاً فقد كان الخيار مفتوحاً للاسرائيليين للهجوم على محاور متعددة ومن اتجاهات مختلفة من شمال جنين إلى بئر السبع في الجنوب .

كان اتساع الجبهة الاردنية وحجم قوات الجيش العربي التي تدافع عنها غير طبعيين . فمن المتعارف عليه أن جبهة الفرقة الدفاعية (٣ ألوية) من ١٥-٢٠ كم . وفي ظروف استثنائية ، وإذا ساعدت طبيعة الأرض قد تصل إلى أكثر من ذلك ببضع كيلومترات . ولكن بالتأكيد ليس ٢٥٠-٣٥٠ كم . كما أن سيطرة سلاح الجو الاسرائيلي من صباح اليوم الأول للمعركة جعلت الدفاع عن القطاعين الأوسط والجنوبي مستحيلاً .

معركة القــدس

المعركة الخارجية : ٥ حزيران عام ١٩٦٧

كان الاسرائيليون قد قرروا عدم القيام بأي نشاط عسكري يستفز القوات الأردنية حتى ينتهوا من الجبهة المصرية ، ولكنهم اضطروا للرد على النار الأردنية التي بدأت تنطلق عبر الحدود في الساعة ١١٠٠ يوم ٥ حزيران ، وقرروا تنفيذ خططهم لاحتلال الضفة الغربية . وقد سنحت الفرصة لبدء عملياتهم الأرضية عندما احتلت كتيبة المشاة الاردنية دار مراقبي الأمم المتحدة على جبل المكبر ، فقام لواء عصيوني بهجوم معاكس استعاد فيه التلة بعد أن دحر كتيبة المشاة الأردنية في الساعة ١٥٠٠ من اليوم نفسه .

وبعد ظهر يوم ٥ حزيران أيضاً تم حشد لواء هاري ايل الآلي في منطقة معال هاخميشة ـ قرية العنب ـ القسطل على طريق تل أبيب ـ القدس . والجدير بالذكر أن قائد اللواء طلب الإذن بالهجوم صباح ذلك اليوم إلا أن القيادة الاسرائيلية رفضت الاستجابة حتى لاتثير الاردن ضدها .

وفي مساء ٥ حزيران (الساعة ١٧٠٠) بدأ اللواء هجومه من ثلاثة اتجاهات داخل الأراضي الأردنية ، لاحتلال سلسلة المرتفعات الحيوية المشرفة على طريق القدس ـ باب الواد وأهمها : تلة الرادار ـ بدو ـ تلة الشيخ عبد العزيز ـ بيت أكسا والنبي صموئيل . تقدمت مجموعة من معال ها خميشة إلى بدو وتلة الرادار ومجموعة أخرى من القسطل إلى بدو ، بينما اندفع الرتل الثالث في هجوم ليلي يتحسس طريقه عبر الدفاعات الاردنية المحاطة بحقول الألغام باتجاه النبي صموئيل والشيخ عبد العزيز .

فوجئت كتيبة المشاة التاسعة من اللواء الهاشمي بهجوم اللواء الاسرائيلي ورغم أن هجوم العدو

خلال الليل ، ساعده على تجنب القتال العنيف ، إلا أنه واجه مقاومة أردنية وتكبد بعض الخسائر . وكانت بعض وحدات اللواء الاسرائيلي قد احتلت بيت جنينا وتل الفول ـ على طريق عناتا ـ الخان الأحمر ـ مع فجر اليوم التالي . وسهلت السيطرة الجوية الاسرائيلية اتصال اللواء الآلي مع لواء المظليين في المطلع . وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ٦ حزيران سقطت منطقة رام الله وشمال القدس في يد العدو .

وعندما وصلت القوات الاسرائيلية تل الفول اصطدمت بمجموعة دبابات (باتون) أردنية ودارت رحى معركة عنيفة ، خسر فيها الاسرائيليون بعض دباباتهم واضطرت كتيبة الدبابات الاسرائيلية إلى التراجع ، ولم تستطع الدبابات الأردنية اللحاق بها لنفاذ الوقود والقصف الجوي المستمر عليها فأعادت الكتيبة الاسرائيلية تجمعها وشنت هجوماً ثانياً على موقع الدبابات الاردنية التي صدتها ودمرت منها ٣ دبابات وقد اضطرت كتيبة الدبابات الاردنية (من اللواء المدرع ٦٠) إلى الانسحاب في الساعة ١٠٠٠ صباحاً ، بعد قتال عنيف دون تزويد أو حماية جوية ، وقد اعترف الاسرائيليون بالمقاومة العنيفة التي ابدتها القوات الأردنية التي كانت تقاتل في قطاع القدس ورام الله .

في منطقة اللطرون اضطرت الكتيبة الهاشمية ١٠ إلى التراجع بعد قتال شديد في مناطق مكشوفة ، ولحقت بوحدات اللواء الذي اضطر إلى الانسحاب ، بعد أن دمرت ذخيرته وآلياته بفعل القصف الجوي الاسرائيلي ، وضعف دفاعاته المنتشرة بشكل رقيق على طول ٥٠ ميلاً تقريباً . وفي صباح يوم ٧ حزيران استطاعت عناصر من اللواء الآلي واللواء المدرع الاسرائيلي (التي هاجمت قطاع رام الله ـ القدس) أن تقيم اتصالاً مع قوات الفرقة الشمالية ، وتبلغ مخاضة المندسة والجسور الثلاثة على نهر الأردن (الأمير محمد والملك حسين والأمير عبد الله) . وفي مساء ٦ حزيران وصباح يوم ٧ قام لواء موشيك المحمول بتطهير المنطقة المحيطة برام الله من الشمال والجنوب من بقايا القوات الأردنية .

معركة القدس الداخلية (القدس القديمة) : الساعة ١٤٠٠ يوم ٥ حزيران ـ ١٠٠٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧

جرت معركة القدس الداخلية بين لواء الملك طلال (الأردني) بقيادة عطا علي من جهة ولواء عصيوني الذي يعيش أفراده في القدس الغربية . ولواء المظليين تدعمها كتيبة مدرعة من جهة أخرى . قبل العملية كان لواء المظليين الاسرائيلي يحتل جبل الطور والمطلع ويحيط بالمدينة من الشرق ولواء آلي ولواء مشاة يحيطان بالقدس من الشمال ويعزلانها عند شعفاط والتل الفرنسي والنبي صموئيل . ولواء مشاة مدعم يحاصرها من الجنوب بعد أن احتل المكبر وصور باهر في معركة عنيفة ، حيث أوقعت القوات الاردنية بالاسرائيليين خسائر في الأرواح ودمرت عدداً من الدبابات

والآليات وصدت محاولتين للهجوم على صور باهر واحتفظت بطريق الخليل ـ القدس مفتوحة طيلة يوم ٥ حزيران .

قرر العميد ناركيس أن يكون الهجوم على مدينة القدس ليلاً في الساعة ٠٢٠٠ يوم ٦ حزيران . وكانت القدس الغربية تتعرض لنيران المدفعية الأردنية التي تصبها كتيبة المدفعية ٩[١] التي أبلت بلاءً حسناً في القدس واضطرت إلى التزود بالذخيرة عدة مرات من نقطة التدكيس في النبي موسى . بدأت قوة الهجوم بالتقدم نحو الأهداف الخارجية في المطلع والشيخ جراح والمستعمرة الأمريكية وتلة الذخيرة التي كانت تدافع عنها كتيبة المشاة ٤ . ولما حاولت دبابات الشيرمان التقرب لتوفير الإسناد لقوات المشاة سمعت القوات الأردنية صوت الدبابات فأطلقت نيران أسلحتها فأوقعت في الاسرائيليين بعض الخسائر قبل أن يبدأ الهجوم .

استمر القتال العنيف طيلة ليلة ٥-٦ حزيران واستخدم الاسرائيليون قذائف الطوربيد والعبوات الناسفة لاجتياز الأسلاك الشائكة وحقول الألغام ، واستمات الاسرائيليون في الاستيلاء على النقاط الحيوية : الشيخ جراح وتلة الذخيرة ومدرسة الشرطة ووادي الجوز ومتحف روكفلر . وفي تلة الذخيرة ـ التي تدافع عنها سرية مشاة ـ هاجمت كتيبة مشاة اسرائيلية الموقع الأردني واستمر القتال خمس ساعات تكبد الطرفان فيه خسائر كبيرة .

استطاعت القوات الاسرائيلية احتلال التلة في النهاية بعد أن بلغت خسائرها ٥٠ قتيلاً و ١٥٠ جريحاً مقابل ١٠٦ بين شهيد وجريح في القوات الأردنية . وقد أكد المؤرخ البريطاني إدغار أو بالانس هذه الخسائر وذكرها في كتابه (الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل) . ورغم أنه معروف عن الاسرائيليين محاولة إخفاء خسائرهم إلا أن موشي ديان ذكر معركة تلة الذخيرة قائلاً :

« كانت معركة تلة الذخيرة من أعنف المعارك التي خاضتها أفضل القوات الاسرائيلية ضد القوة الأردنية المدافعة . فقد وجد الاسرائيليون أنفسهم ـ بعد أن اخترقوا جدار الأسلاك الشائكة وحقول الألغام ـ يخوضون معركة ضد عدو مصمم على الدفاع لآخر طلقة وآخر رجل . وقد التحم الطرفان في قتال بالقنابل اليدوية والحراب والأيدي ، وخسرت قواتنا ٢١ قتيلاً ، وجرح أكثر من نصف القوات المهاجمة من الضباط والجنود الذين خلدوا ببطولاتهم اسم اسرائيل » .

في الجهة الغربية من القدس (الجديدة) تمكنت كتيبة المظليين ٣ من عبور بوابة مندلبوم واحتلال حي المصرارة و«المستعمرة الأمريكية[٢] » قرب باب العمود وفي الصباح تم احتلال فندق

(١) شكلت الكتيبة حديثاً بقيادة المقدم (العميد) محمد صالح صلاح الذي شارك في معارك الجولان قائداً لمدفعية الفرقة الثالثة المدرعة وأصبح قائداً لسلاح المدفعية الملكي فيما بعد .

(٢) مجموعة مباني يطلق عليها (الأمريكان كولوني) ـ المعرب .

الامبسادور في طرف الشيخ جراح الجنوبي . كما نجح لواء اسرائيلي باحتلال باب المغاربة الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٦ حزيران بعد معركة حامية مع كتيبة المشاة ٢ .

واستمر الاسرائيليون بإطلاق نار المدفعية ، وقصفوا بالطائرات المواقع الأردنية ليلاً بعد أن وضعت قواتهم مشاعل كبيرة على المباني التي تحتلها . وقد حاولت القوات الأردنية إبطال مفعول المشاعل بإطلاق النار عليها ولكن دون جدوى .

حاول اللواء عبد المنعم رياض فك الحصار عن لواء الملك طلال في القدس ، فأمر اللواء المدرع ٦٠ ولواء الإمام علي بالقيام بهجوم معاكس في منطقة القدس ، وقد وصلت طلائع كتيبة دبابات من اللواء المدرع ٦٠ تل الفول ولكنها تراجعت بعد معركة عنيفة مع القوات الاسرائيلية المدرعة المتقدمة على طريق رام الله ـ القدس . وفي سلسلة الأوامر المتناقضة كان اللواء رياض قد أمر اللواء المدرع ٦٠ يوم ٥ حزيران أن يتجه جنوباً للاتصال برتل مدرع مصري في منطقة الخليل ، ولكن الأوامر ألغيت بعد أن تلقت القيادة الأردنية معلومات جديدة عن الجبهة المصرية . وكان اللواء المدرع ٦٠ ولواء الإمام علي قد تعرضا لقصف جوي كثيف خلال تحركاتهما غير الناجحة . كذلك طلب من قائد اللواء المدرع ٤٠ أن يتحرك من داميا ليحل محل اللواء ٦٠ ولكن هذه الأوامر ألغيت كما سلف .

في الساعة ٠٥٠٠ صباح يوم ٧ حزيران تسلمت القيادة الاسرائيلية في القدس برقية من نائب رئيس الأركان الاسرائيلي ـ حاييم بارليف تقول : « لقد وصلت قواتنا على الجبهة الجنوبية قناة السويس بعد أن حطمت الجيش المصري . وهناك ضغط علينا من الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار ، يجب احتلال القدس الشرقية (العربية) بسرعة » . على إثر وصول برقية رئاسة الأركان اضطر ناركيس إلى تقديم موعد الهجوم الليلي ـ الذي كان مقرراً لتفادي رماية المدفعية والقناصة الأردنية الكثيفة ـ إلى الساعة ١٨٣٠ ، وبعد أن احتلت قوات المظليين جبل الطور اندفعت تساندها دبابات الشيرمان عبر باب الاسباط ، وقامت قوة أخرى من متحف روكفلر باقتحام باب الساهرة من الشمال ، وفي الداخل انقسمت كتيبة المظليين (التي دخلت من الجهة الشرقية) إلى ثلاثة أقسام : قسم اتجه إلى باب العمود وقسم اتجه إلى ساحة المسجد الأقصى والقسم الثالث إلى حارة النصاري . وكانت القوة الأردنية داخل السور (٢٥٠-٣٠٠ جندي وضابط) تطلق النار من على السور قبل أن تدخل القوات الاسرائيلية المدينة ، وقد بقيت هذه القوة تقاتل إلى ما بعد وقف إطلاق النار ، حيث تسلل منها عدد قليل والتحق بالقوات المنسحبة إلى الضفة الشرقية . أما الباقون فقد قاتلوا بضراوة من بيت إلى بيت واشتبكوا مع الاسرائيليين في باب العمود وساحة المسجد الأقصى واستشهد منهم الكثير . وقد وجد الاسرائيليون ما يزيد على ١٠٠ شهيد وجريح من الجنود الأردنيين داخل القدس القديمة .

وبعد ذلك استمر الاسرائيليون في تحسين وضعهم وتشديد قبضتهم على المناطق التي احتلوها ، فاتجهت قوة إلى الجنوب واحتلت مار إلياس ثم بيت صفافاً غرباً . كما توسعت القوات إلى شرق القدس ، فاحتلت أبو ديس والعيزيرية . وما أن انتهى مساء السابع من حزيران حتى كانت منطقة رام الله والقدس والخليل قد سقطت في يد القوات الاسرائيلية ، بعد أن خاضت القوات الأردنية معركة باسلة سقط فيها كثير من الشهداء والجرحى رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة والسيطرة الجوية الاسرائيلية المطلقة . وفي ذلك اليوم تمكن لواء (هاري ايل) من السيطرة على الجسور الواقعة على نهر الأردن .

وكان لتناقض الأوامر كالانسحاب والعودة للمواقع ، والمعلومات الكاذبة من الجبهة المصرية ـ أثر كبير في معارك القدس واللطرون ، والخليل ورام الله . ولكن الجيش العربي (رغم صغر حجمه) قاتل قتالاً مريراً وأوقع خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات في صفوف القوات المعتدية . وقد شهد بذلك قادة الجيش الاسرائيلي والمؤرخون المحايدون .

معركة القطاع الشمالي (نابلس) : الساعة ١٧٠٠ يوم ٥ حزيران ـ الساعة ٢٢٠٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧

في المنطقة الشمالية أعطيت مهمة احتلال قطاع نابلس وتدمير القوات الأردنية المؤلفة من : لواء خالد بن الوليد ولواء عالية ولواء القادسية (واللواء المدرع ٤٠ في الاحتياط) لفرقة بيليد وقد وضع بأمرة الجنرال بيليد : اللواء المدرع (U) واللواء الآلي (M) ولواء المشاة (Y) بالاضافة إلى لوائي مشاة من الجبهة الوسطى لحماية الجناح الجنوبي لقوات بيليد المتقدمة على نابلس . خارطه ٤٨

قرر بيليد تنفيذ الهجوم بإسلوب الكماشة مستخدماً الجهد الرئيسي لاحتلال مدينة نابلس . وكانت خطته تتضمن التقدم على محورين : محور جنين ـ سيلة الظهر ـ دير شرف ـ نابلس ومحور جلبون ـ جلقموس ـ الزبابدة ـ طوباس ـ الباذان ـ نابلس . وقرر أن يهاجم جبهويا بالرتلين الأيمن والأيسر على واجهة : جنين ـ قباطية ـ عرابة باللواء الآلي (M) ولواء المشاة (Y) ثم يتم تطوير الهجوم بالتقدم السريع عبر وادي الدوثان إلى نابلس ، والاندفاع إلى وادي الأردن مروراً بالجفتلك إلى داميا . بينما أمر اللواء المدرع (U) أن يهاجم على الجناح الأيسر (الشمالي) لفرقة بيليد ويندفع مع فجر يوم ٦ حزيران (بكتيبتي دبابات باتون) من جبل جلبوع إلى قباطية ـ مفترق الطرق (قرب الزبابدة) ـ طوباس ويجبر اللواء المدرع ٤٠ على القيام بهجوم معاكس في منطقة قباطية ـ جنين .

فإذا استجاب الأردنيون لتلك المناورة وزجوا باللواء المدرع في هجوم معاكس على منطقة جنين ، فلا شك أن ذلك سيفقدهم توازنهم ولا يبقى لديهم احتياط لصد عمليات الالتفاف على مدينة نابلس من الشرق والغرب . وعندما يتم تدمير لواء المشاة المدافع في المنطقة واللواء المدرّع ٤٠ ،

يطبق فكا الكماشة على مدينة نابلس حسب الخطة المرسومة ، ويتم مطاردة بقية القوات الأردنية المتراجعة شرقاً حتى النهر . كما كان على لواء المشاة الاسرائيلي المتقدم من الغرب أن يهاجم ويدمر لواء المشاة الأردني (عالية) المنتشر على الخط العام قلقيلية ـ طولكرم ـ نابلس . وتم تجميع قوات بيليد وتخصيص الواجبات والأهداف كما يلي :

قوات الجناح الأيمن (فك الكماشة الأيمن)	الأهـــداف
١ . اللواء الآلي ميم (M) (دبابات شيرمان وعربات نصف مجنزرة)	أ . هجوم باتجاهين على جنين وعرابة وتطوير الهجوم على محوري : اليامون ـ قباطية ـ جنين ، وام الفحم ـ يعبد ـ عرابه . ب . مواصلة التقدم على محوري عرابه ـ سيلة الظهر ـ دير شرف ـ نابلس ، وقباطية ـ طوباس ـ الجفتلك حتى جسر داميا (الأمير محمد) .
٢ . لواء المشاة واي (Y)	أ . يساند اللواء الآلي في الهجوم على جنين على محور جيفعات عوز ـ جنين ب . يستمر في اسناد اللواء (M) على محور طوباس ـ داميا وطوباس نابلس .
قوات الجناح الأيسر (فك الكماشة الأيسر)	
اللواء المدرع يو (U) (دبابات باتون)	أ . بدء العمليات صباح يوم ٦ حزيران (يوم ي + ١) بحركة التفاف على محور دير أبو ضعيف ـ جلقموس ـ تلفيت ـ الزبابده بحيث يتم مهاجمة الاردنيين من الخلف وقطع خط مواصلاتهم بين جنين ونابلس . ب . بعد تدمير القوات الاردنية في المنطقة يستمر التقدم على محور الزبابده ـ طوباس لاحتلال مدينة نابلس من الشرق يوم ٧ حزيران (ي +٢)

٤ - **قوة حماية الجناح الجنوبي : محوري قلقيلية ـ نابلس ، وطولكرم ـ نابلس** (القيادة الوسطى) تتم حماية جناح قوات بيليد الأيمن (أثناء تقدمها على نابلس) بقوة لوائي مشاة مستقلين من قيادة المنطقة الوسطى ، تتقدم على محور طولكرم ـ عنبتا ـ دير شرف ـ نابلس ومحور قلقيليه ـ عزون ـ الفندق ـ نابلس ، وتدمر لواء الأميرة عالية في المنطقة .

كانت مدينة نابلس محور العجلة ونقطة الارتكاز التي تدور حولها الحركات العسكرية ، لذلك كانت الخطة تقضي بالتقاء جميع العمليات الحربية فيها ، بالإضافة إلى فصل جزء من القوة المتقدمة على محور طوباس للاندفاع شرقاً ومسك الجسور على نهر الأردن وإغلاق طريق انسحاب القوات الأردنية للضفة الشرقية .

تنفيذاً لتوجيهات القيادة العامة الأردنية خصصت قيادة الجبهة الغربية ثلاثة ألوية مشاة ولواء

مدرع للدفاع عن منطقة نابلس كما يلي : طولكرم ـ قلقيلية لواء الأميرة عالية ، ومنطقة جنين لواء خالد بن الوليد وبإسناده كتيبة دبابات مستقلة ، لواء القادسية في العمق ويدافع عن محور بيسان ـ الجفتلك ، واللواء المدرع ٤٠ احتياط في منطقة داميا . وقد أعطي لواء القادسية واجباً إضافياً هو وقف الخرق في حال شن هجوم اسرائيلي من بيسان في الشمال إلى الجنوب باتجاه منطقة الجفتلك وأريحا لفصل منطقة نابلس عن الضفة الشرقية .

كانت القوة التي تدافع عن قطاع نابلس (ثلاثة ألوية مشاة + لواء دروع) ، وتغطي جبهة طولها نحو ٥٠ ميلاً وعمق يزيد على ٢٠ ميلاً ، غير كافية لمنع أية قوات قادرة على التركيز والاندفاع عبر أي نقطة تفصل بين القوات المتباعدة بشكل كبير .

كان توزيع القوات الأردنية وتحديد منطقة مسؤوليتها في قطاع نابلس عشية حرب حزيران عام ١٩٦٧ كما يلي :

خط الدفاع الثابت	منطقة المسؤولية :
١ . **لواء خالد بن الوليد** (مشاة)	قباطية ـ جنين ـ جلبون
العقيد عواد الخالدي	(واجهة اللواء ٢٥-٣٠ ميل)
ويدافع بالوحدات التالية :	
كتيبة موسى بن نصير ١٩	
كتيبة طارق بن زياد ٢٠	
كتيبة عقبة بن نافع ٢١	
٢ . **لواء الأميرة عالية** (مشاة)	طولكرم ـ قلقيلية ـ نابلس
العميد تركي بعاره	جبهة اللواء ١٥-٢٠ ميل
ويدافع بالوحدات التالية :	
كتيبة الملك علي ٥	
كتيبة الملك عبدالله ٧	
كتيبة الملك محمد الخامس ١٤	
قوات الاحتياط : وقف الخرق والهجوم المعاكس (احتياط متحرك)	
٣ . **اللواء المدرع ٤٠**	يقوم بالهجوم المعاكس حسب الأولوية التالية :
العقيد راكان الجازي	(١) قطاع جنين
وبإمرته الوحدات التالية :	(٢) قطاع بيسان ـ داميا
كتيبة الدبابات ٢ (باتون م ـ ٤٨)	(٣) قطاع طولكرم ـ قلقيلية
كتيبة الدبابات ٤ (باتون م - ٤٨١)	
الكتيبة الآلية ١ (م ـ ١١٣)	
٤ . **لواء القادسية** (مشاة)	الجفتلك ـ داميا
العميد قاسم المعايطه	
وبامرته الوحدات التالية :	
كتيبة عمر بن الخطاب ٤١	
كتيبة سعد بن ابي وقاص ٤٣	
كتيبة حمزه بن عبد المطلب ٤٥	

الجيش العربي الهاشمي

نظراً لعدم توفر القوات الكافية وطول الجبهة غير الطبيعي وكثرة المحاور المتاحة للقوات المهاجمة، فقد اضطرت قيادة الجبهة الغربية إلى تبني الدفاع الثابت في منطقة حيوية منتخبة حول جنين وقلقيلية وطولكرم في محاولة لمسك مداخل المقتربات المهمة. وقد لجأت لتعزيز دفاعها إلى الأسلاك الشائكة وحقول الألغام الكثيفة.

وكما شرح في فصول سابقة من هذا الكتاب، كان الأردن ـ لأسباب سياسية ونفسية ـ مضطراً للدفاع عن خط الحدود (المؤقت) مباشرة رغم تناقض ذلك ـ أحياناً ـ مع الاعتبارات العسكرية المحضة.

سير المعركة في القطاع الشمالي: الساعة ١٧٠٠ يوم ٥ حزيران ـ الساعة ٢٢٠٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧

كان اللواء الآلي (M) أول قوة تعبر الأراضي الاردنية، يتبعه لواء المشاة (٧). ورغم أن الاردنيين حققوا مفاجأة استراتيجية في الحرب ـ حسب رأي الاسرائيليين ـ فقد جاء دور القوات الاسرائيلية لتحقق مفاجأة تعبوية للقوات الأردنية في القطاع الشمالي، بالاندفاع القوي والسريع خلال الدفاعات الأردنية المتاخمة لخط الحدود.

وقد وصف قائد اللواء الآلي تلك المفاجأة قائلاً: (اجتزنا خط الحدود الساعة ١٧٠٠ وتغلغلنا في عمق الدفاعات المعادية وتجاوزت دباباتنا مدافع مقاومة الدبابات المنتشرة على طول المواقع ... وفي تلك اللحظة فقط استفاق اعداد المدافع من دهشتهم وفتحوا النار علينا من الأسلحة الخفيفة. وقد علق الجنرال بيليد على سرعة الاندفاع وتطوير الهجوم الاسرائيلي قائلاً: (لقد كانت السرعة التي اندفعت بها القوات لتنفيذ واجبها، والقدرة على تنسيق الخطط على مختلف المستويات، وإبداع القادة في معالجة المواقف التي واجهتهم دون تخطيط مسبق، مثار إعجاب وفخر للقادة الاسرائيليين).

في الساعة ١٧٠٠ انطلقت ثلاثة أرتال اسرائيلية يقودها اللواء الآلي ولواء المشاة من المنطقة الشمالية الغربية باتجاه اليامون ـ جنين ـ جلبون، ولم تجد هذه الأرتال صعوبة في اختراق واجهة كتيبة المشاة ٢٠ الأردنية الواسعة (١٥ ميلاً). وبعد أن اجتازت القوة منطقة برقين اتجهت شرقاً إلى أن وصلت على محاذاة عرابة، ثم هاجمت جنين من الجنوب الغربي. وفي حركة الالتفاف التي قامت بها مجموعة القتال الاسرائيلية على جنين من الجنوب، تعرض جناحها الأيمن المكشوف إلى نيران كتيبة الدبابات المستقلة ١٢ بقيادة الرائد صالح عليان أبو الفول.

وقد استغلت القوات الأردنية الفرصة في فجر اليوم التالي عندما عززت بكتيبة الدبابات ٤ من اللواء المدرع ٤٠ فشنت هجوماً معاكساً ودمرت قسماً كبيراً من دبابات وآليات العدو، والذي اضطر إلى التراجع إلى الجنوب الغربي لإعادة تنظيم قواته، وفي نفس الوقت انطلقت كتيبة مشاة

اسرائيلية من بيسان في هجوم تضليلي على محور بيسان ـ الجفتلك ، لايهام القوات الاردنية بوجود هجوم مدبر لفصل نابلس عن الضفة الشرقية باحتلال جسر داميا وقطع خطوط المواصلات الأردنية .

تقدم رتل آخر من منطقة مجدو باتجاه اليامون ، واحتل موقع بطارية المدفعية الثقيلة التي كانت تقصف المطارات الاسرائيلية ، ثم استمر جنوباً إلى أن وصل المرتفعات التي تحيط بجنين من الجهة الجنوبية ، بعد أن احتل يعبد قبل فجر يوم ٦ حزيران ودخل عرابة مع ظهر ذلك اليوم . وفي القتال النهاري تغلب العدو على كتيبة المشاة الخلفية من لواء خالد بن الوليد ، وبعد احتلال عرابة واصلت مجموعة القتال الاسرائيلية الآلية تقدمها جنوباً ، وفي قتال عنيف استولت على سيلة الظهر وتمكنت من الوصول إلى مفترق الطرق المهم (في دير شرف) مساء يوم ٦ حزيران ، وبذلك سيطرت على طريق نابلس ـ طولكرم ونابلس ـ جنين .

أما لواء المشاة (٧) الذي تقدم مباشرة على طريق جفعات عوز ـ جنين مساء ٥ حزيران فقد قاتل طوال الليل بالتنسيق مع مجموعة قتال آلية لاحتلال الدفاعات وتطهير مدينة جنين من القوات الأردنية . وقد صمدت الكتيبة الأردنية في جنين وقاتلت قتالاً ضارياً إلى أن تحطمت بعد أن فشل الهجوم المعاكس الذي شنته كتيبة الدبابات ٤ ، عندما تدخل الطيران الاسرائيلي ودمر معظم دبابات الكتيبة في الأرض المكشوفة جنوب جنين يوم ٦ حزيران .

شهدت جنين ومثلث الشهداء أعنف المعارك بين القوات الأردنية والاسرائيلية في ذلك اليوم ، ولولا سلاح الجو الاسرائيلي الذي دمر معظم دبابات اللواء المدرع ٤٠ ـ حيث كان يلاحق كل دبابة وآلية ـ لما استطاعت القوات الاسرائيلية مواصلة التقدم على محور الزبابدة ـ طوباس والالتفاف على نابلس من الشرق يوم ٧ حزيران . وقد أوردت المصادر الاسرائيلية يوميات الحرب للعمليات التي قام بها اللواء الآلي ولواء المشاة الاسرائيليان يومي ٥ و ٦ حزيران في قطاع نابلس حسب الوصف التالي : -

« كان على قوات الجنرال بيليد الآلية والمشاة التي اجتازت الحدود دون صعوبة مساء أول يوم للحرب ، أن تقاتل طول الليل لاختراق الدفاعات القوية المحيطة بجنين ، وكادت القوات الأردنية تتغلب على قوات موشي عندما شنت هجومها المعاكس . وأثبت الأردنيون شجاعة وتصميماً في الدفاع عن جنين ، وكان للتحصينات القوية والمشاة المتخندقين وأسلحة مقاومة الدروع أثر كبير على القوات المتحركة ، ولكن كان من السهل على دبابات الباتون الأردنية التغلب على دبابات العقيد موشي (الشيرمان) لولا وصول إنذار من القيادة العامة يشير إلى تقدم قوات أردنية جديدة (اللواء المدرع ٤٠) على طريق طوباس ـ الزبابدة ـ جنين ، وكان هجوم اللواء المدرع الأردني المعاكس في جنين من أعنف وأروع الهجومات التي شنها جيش عربي طوال حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

فقد تقدم اللواء المدرع ٤٠ على مثلث قباطية (الشهداء) وهاجم مؤخرة اللواء الآلي (M) جنوب جنين . وفي معركة دبابة لدبابة استطاعت القوات الأردنية ايقاع الخسائر الفادحة في دبابات ومجنزرات اللواء الآلي الذي كان يهاجم جنين من الجنوب الغربي . واضطرت الدبابات الاسرائيلية إلى التراجع ، وفي محاولة أخرى لإنقاذ القتلى والجرحى في الدبابات الاسرائيلية المعطوبة ، قامت دبابات اللواء الآلي بهجوم آخر ولكنها فشلت ثانية في الوصول إلى الموقع تحت نار الدبابات الأردنية المنتشرة بين أشجار الزيتون » .

قام الاسرائيليون بالتظاهر بالانسحاب غرباً ، فانطلقت الدبابات الأردنية تلاحقهم في الأرض العراء ، وأصبحت هدفاً مكشوفاً لسلاح الجو الاسرائيلي الذي حسم المعركة في ذلك اليوم لصالح الجيش الاسرائيلي . ومما ساعد على ذلك نفاذ الذخيرة والوقود ، والإجهاد الشديد الذي أصاب القوات الأردنية نتيجة القتال المستمر ، وعدم القدرة على التزود بالذخيرة والوقود في ظل السيطرة الجوية الاسرائيلية المطلقة .

كان تأثير مدفعية الجيش العربي (ذات المدى الطويل) على القوات الاسرائيلية كبيراً ، ورغم أنها لم تكن قادرة على تخليص القوات الاردنية من مأزقها ، إلا أنها أوقعت خسائر كبيرة في صفوف اللواء الآلي ولواء المشاة الاسرائيليين . وطبقاً لرواية ضابط أردني اشترك في معارك جنين ومثلث قباطية ، فإن رواية الاسرائيليين ليست بعيدة عن الحقيقة ، فقد أبلت القوات الأردنية في معركة مثلث قباطية بلاء حسناً ، وما كانت تلك المعركة التي استشهد فيها كثيرون من أبطال الجيش العربي (من بينهم صالح الشويعر) لتحسم لصالح الاسرائيليين بسرعة لولا تدخل سلاح الجو الاسرائيلي الذي منع حركة أي دبابة أو مجنزرة أو أي نوع آخر من الآليات الأردنية .

نشأت مصاعب جمة عن الأوامر المتناقضة التي كانت تصل القوات الأردنية المقاتلة من القيادة العامة في عمان[١] . فقد تم سحب ألوية كثيرة من مواقعها للخلف في اليوم الثاني للقتال (ي + ١) ثم طلب إليها العودة إلى تلك المواقع ثانية ، كما أمر اللواء المدرع ٤٠ يوم ٥ حزيران بالتوجه جنوباً ـ ٢٥ ميلاً ـ ليحل محل اللواء المدرع ٦٠ الذي تقرر أن يتقدم جنوباً ليتصل بالمصريين ، وبعد أن تحرك اللواء أمر بالعودة لمكانه السابق . وتكرر الأمر بتقدم اللواء نفسه على محور طوباس ، ثم العودة إلى موقعه قرب داميا ، وفي نهاية التقدم ثانية إلى طوباس وصلت كتيبة الدبابات الرابعة مثلث الشهداء قرب قباطية ، وشاركت في معركة الدبابات يوم ٦ حزيران .

وقد أورد قائد كتيبة الدبابات ١٢ (الرائد صالح عليان) ، معركة الكتيبة مع اللواء الآلي الاسرائيلي في مثلث الشهداء قرب قباطية قائلاً :

« في الساعة ١٠٠٠ صباح يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧ أبلغني قائد لواء خالد بن الوليد أن عدواناً

(١) ورد تبرير لتلك الأوامر في تقدير قائد مركز القيادة المتقدم في عمان الفريق عبد المنعم رياض تحت عنوان « مناقشة موضوعية لسير العمليات في الجبهة الأردنية ... » ـ المعرب

اسرائيلياً على الجبهة الأردنية كان وشيك الوقوع ، وطلب مني مشاغلة وتدمير أي دبابات معادية تعبر الحدود الأردنية . وكانت الكتيبة موزعة مقابل قريتي صندلة ومقيبلة ومثلث قباطية . وعند الظهر اجتازت قوة قتال اسرائيلية (تقدر بكتيبة دبابات) الحدود إلى الأراضي الأردنية ، فاشتبكت معها السرية الثانية (ب) بقيادة النقيب محمد أمين ، وأصيب عدد من الدبابات الاسرائيلية ، فتراجعت البقية في الوقت الذي تعرضت فيه دباباتنا لغارات جوية مكثفة في غابة برقين نتج عنها إصابة ثلاث دبابات وتعطيلها .

ولما ازداد الضغط على السرية (ب) طلبت من السرية (ج) بقيادة النقيب عبد اللطيف كريشان تعزيز السرية (ب) في برقين . وفي قتال عنيف ـ مستفيدين من ميزة دبابة الباتون على الشيرمان ـ استطاعت السريتان تدمير ١٨ دبابة اسرائيلية وتعطيل عدد آخر من الدبابات والمجنزرات . وقد حاول الاسرائيليون إنقاذ أطقم دباباتهم وآلياتهم إلا أنهم صدوا مرة ثانية . عندها تدخل الطيران الاسرائيلي وقصف مواقعنا طوال بقية اليوم ، وفي الليل تمكن قسم من سريتي الدبابات التسلل من غابة برقين عبر خطوط العدو إلى مثلث قباطية وخلال الاشتباك الليلي استشهد النقيب محمد أمين العبادي . »

وفي الساعة ٠٤,٣٠ صباح يوم ٦ حزيران وصلت كتيبة الدبابات ٤ من اللواء المدرع ٤٠ مثلث قباطية بعد أن دمرت دباباتها ونزل موجودها إلى أربع دبابات فقط ، وفي ذلك اليوم واصل الطيران الاسرائيلي قصف وحدات اللواء المدرع ٤٠ وبقية القوات دون توقف .

ازداد الموقف سوءاً بعد ظهر يوم ٦ حزيران عندما أفادت التقارير بوجود لواء مدرع اسرائيلي (باتون) يتقدم من منطقة دير أبو ضعيف ـ جلقموس ـ تلفيت ، بينما كانت كتيبة الدبابات الثانية بقيادة المقدم صالح عبد الله الشويعر مشتبكة في معركة ضارية (قرب عرابة) غرب طريق جنين ـ سيلة الظهر . واستمرت المعركة طوال اليوم ، وبمساندة سلاح الجو الاسرائيلي تم القضاء على الكتيبة الثانية وسرية مشاة من الكتيبة الآلية ١ واستشهد المقدم صالح الشويعر . وفي مساء ذلك اليوم تمكنت بقية القوات الأردنية من الانسحاب إلى مثلث دير شرف .

لم يبق من كتائب الدبابات : ٢ و ٤ و ١٢ والكتيبة الآلية ١ سوى سبع دبابات (باتون م -٤٨) وست عشرة مجنزرة (م -١١٣) ، وقد جمعت كلها تحت قيادة كتيبة الدبابات ٢ . وفي يوم ٦ حزيران وقبل الانسحاب (يوم ٧ حزيران) أمرت بقية اللواء المدرع ٤٠ بالانسحاب على محور الزبابدة ـ قباطية ، وأثناء ذلك اشتبكت في قتال ليلي مع دبابات العدو ، ولم تجد القوات المدرعة الاسرائيلية (الجديدة) صعوبة كبيرة في التغلب على بقية القوات الأردنية المنهكة ، حيث واصلت التقدم على نابلس صباح يوم ٧ حزيران .

كان الفضل لسلاح الجو الاسرائيلي في مساعدة فرقة بيليد على احتلال نابلس بعد أن استخدم جميع أنواع الأسلحة والصواريخ (بما فيها قنابل النابلم المحرقة) ضد القوات الأردنية . وقبل أن

يدمر سلاح الجو الاسرائيلي مجموعة القتال المدرعة الأردنية كانت قد دمرت ٣٠-٤٠ دبابة اسرائيلية وعطلت عدداً آخر . وقد أكدت المصادر الاسرائيلية معارك الدروع مع القوات الأردنية بين عرابة وقباطية (جنوب جنين) .

في الوقت الذي واصلت فيه قوات بيليد تقدمها على اليمين باتجاه وادي الدوثان يوم ٦ حزيران تقدم اللواء المدرع الاسرائيلي بقيادة بن آري من منطقة جبل جلبوع (الواقع على الحد الفاصل بين اسرائيل والاردن) على طريق دير أبو ضعيف شرق الزبابدة باتجاه طوباس بقصد الالتفاف على نابلس من الشرق . واصطدمت مقدمة اللواء الاسرائيلي بقوات أردنية من اللواء المدرع ٤٠ ، ورغم الإنهاك الشديد فقد تمكنت القوات المدافعة من صد محاولات اللواء الأولى وايقاع بعض الخسائر فيه وفي محاولة ثانية استطاع اللواء تجاوز الجيب الأردني والتقدم بين الزبابدة والكفير عندما فوجيء اللواء بمجموعة دبابات أردنية من اللواء ٤٠ تسد الطريق فتوقف قرب سد عقابا ، أرسل سرية دبابات اسرائيلية دبابات لطرد القوة الأردنية من القرية ، وفي معركة سريعة تمكنت الدبابات الأردنية من تدمير ثلاث ودحر البقية مما استدعى تدخل الطيران الاسرائيلي في المعركة وحسمها لصالح العدو .

بعد ذلك اندفع اللواء المدرع الاسرائيلي من (عقابا) على طريق طوباس ـ الفارعة ، فوصل مثلث الباذان ، وهناك أفرز قوة مدرعة اتجهت إلى وادي الأردن فوصلت جسر داميا قبل الساعة العاشرة صباحاً بقليل . وفي نفس الوقت تقدم بن آري بالجسم الرئيسي باتجاه نابلس تسبقه عناصر استطلاع حيث أبلغته بعدم وجود دفاعات شرقي نابلس . وتحركت الدبابات الاسرائيلية على الطريق الضيق المتعرج فوصلت مدخل نابلس الشرقي الساعة ٩,٤٠ يوم ٧ حزيران . ولدهشة الاسرائيليين وجدوا أن أهالي المدينة قد خرجو للترحيب بهم معتقدين أنهم قوات اللواء العراقي القادمة لمساعدتهم . بينما ظن الاسرائيليون أن الأهالي يريدون التسليم . ولما أدرك الطرفان حقيقة الموقف أطلق الاسرائيليون النار على المواطنين الذين تفرقوا واختفوا في منازلهم ، ولما استفاق المواطنون العرب من دهشتهم بدأو عمليات القنص والمقاومة فوراً .

تابعت الدبابات الاسرائيلية عملية احتلال المواقع داخل المدينة وتطهير جيوب المقاومة التي صادفتها ، وما أن حل المساء حتى سيطرت القوات الاسرائيلية على المدينة بعد أن اشتبكت مع قوة أردنية متراجعة على طريق دير شرف ـ نابلس (دون أن تعلم باحتلال العدو للمدينة) . وفي الساعة ١٨٠٠ يوم ٧ حزيران عام ١٩٦٧ وقع رئيس البلدية وثيقة الاستسلام لقائد القوات الاسرائيلية .

في يوم ٦ حزيران قامت مجموعة لواء مشاة تابعة للقيادة الوسطى باجتياز الحدود ، والتقدم على محوري طولكرم ـ نابلس وقلقيلية ـ نابلس والاشتباك مع بقايا لواء الأميرة عالية ، الذي انسحب إلى عقربا ، ثم طلب منه العودة إلى مواقعه السابقة ثانية ، ولم يتمكن من تجاوز الطرف الغربي لمدينة نابلس . وفي اليوم التالي ٧ حزيران سقط قطاع القدس ـ الخليل في أيدي القوات

الاسرائيلية التي واصلت تقدمها إلى أريحا في وادي الأردن . وفي ذلك اليوم (٧ حزيران) كانت بقايا القوات الأردنية تتراجع على الأقدام بسبب ملاحقة الطيران الاسرائيلي لكل آلية متحركة باتجاه نهر الأردن إلى الضفة الشرقية . وسرعان ما أعيد تجميع القوات الأردنية المتراجعة وتكليفها بالدفاع عن المرتفعات الشرقية لنهر الأردن ضد أي تقدم اسرائيلي جديد .

وهكذا تركت القوات الأردنية ـ لوحدها ـ تدافع عن أطول جبهة (٣٠٠ ميل) ضد عدو متفوق في العدد والعدة ، كما حدث في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ ، وقد تحطمت قوة الجيش العربي على مرأى من القوات السورية التي وقفت موقف المتفرج ، إلى أن جاء دورها ، وانفردت بها القوات الاسرائيلية وهزمتها في ثلاثين ساعة ، في تعرض خاطف احتل العدو فيه مرتفعات الجولان بعد أن دمر الجيش السوري وأخرجه من المعركة أشلاء مبعثرة .

انتهت المعركة على الجبهة الأردنية والقوات السعودية لازالت تواصل زحفها باتجاه الحدود الأردنية ، وقبل أن تجتاز القوات العراقية نهر الأردن غرباً .

مفهوم عمليات الملك حسين وقرارات القيادة

من وجهة النظر العسكرية لم يكن هناك مبرر لقرار الملك حسين بزج الجيش العربي في حرب حزيران الخاسرة ضد اسرائيل . فبعمله ذاك لم يفقد الملك حسين نصف مملكته بما فيه مدينة القدس فحسب ، بل فقد معظم جيشه أيضاً ، ومع ذلك لم يسلم جيشه من الانتقاد .

كانت أسباب القرار الذي اتخذه الملك حسين تبدو كما يلي :

أولاً : أن الوضع الآن يختلف عن عام ١٩٥٦ (حملة سيناء الفاشلة) ، فمن غير المحتمل أن الهجوم الاسرائيلي على مصر سيمنع الهجوم على الأردن ، فقد دأبت اسرائيل على شن الهجمات الانتقامية على القرى الأردنية منذ الخمسينات وحتى آخر غارة على السموع عام ١٩٦٦ . لذلك لابد أن الجيش الاسرائيلي ينتظر الفرصة لتغيير الحدود في الضفة الغربية لصالحه .

ثانياً: إذا لم يدخل الأردن الحرب فإن الاستياء العام الشعبي في الضفة الغربية خاصة ـ والذي ظهر في حادثة السموع ـ سيؤدي إلى حدوث نتائج خطيرة قد يصعب تلافيها . كما أن وقوف الملك على الحياد سيثير الجماهير العربية في كل مكان ويجعلها تعتبر ذلك خيانة وسبباً في عدم هزيمة اسرائيل المتوقعة .

ثالثاً : ومع أن قرارات الملك حسين لا تخضع للعاطفة وانفعالات الجماهير ـ في معظم الأحيان ـ إلا أنه اتخذ قرار الحرب بصفته ملكاً هاشمياً من واجبه الانضمام إلى جهد عربي يسعى لتحرير فلسطين . وكما قال الملك حسين ، فان الهاشميين هم أول من رفع علم الثورة العربية الكبرى وحاربوا من أجل تحرير القدس ودمشق وحلب في فلسطين وسوريا . والشرف العربي الهاشمي في

فلسطين أعظم من أن ينسى ، ففي القدس قاتل الجيش العربي الهاشمي منـذ فجـر التـاريخ الاسلامي ، وفي المسجد الأقصى دفن مفجر الثورة العربية الكبرى الشريف حسين بن علي ، وعلى بابه استشهد مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية الملك عبد الله بن الحسين . لذلك ربما كان هذا العامل أهم العوامل الثلاثة التي دعت الملك حسين أن يتخذ قراره .

ورغم التقدير الهادىء والتحليل المنطقي للموقف الذي اتخذ فيه الملك حسين قراره بدخول الحرب ، إلا أن معظم العوامل العسكرية لم تكن في صالحه . أما من الناحية السياسية والمعنوية فلم يكن هناك خيار سوى الحرب للدفاع عن الضفة الغربية .

ومن الناحية العسكرية كان العرب متفوقين في العدد والمعدات على اسرائيل واعتقد الملك حسين أن الجيش المصري الضخم قادر على الدفاع عن جبهته على الأقل ، وعندئذ يصبح الدفاع عن الجبهة الشرقية بالقوات السورية والأردنية والقوات العراقية والسعـودية المتوقـع وصولهـا ، أمـراً ميسوراً ، ولكن الخصومات العربية التي ظلت مستحكمة حتى قبل نشوب الحرب بأيام قليلة جداً ووضع القيادة العربية الموحدة المهلهل وانعدام التنسيق العسكري بين القوات العربية إضافة إلى عوامل أخرى كانت كلها ذات أثر سلبي على قيمة التفوق الكمي العربي على اسرائيل .

لقد حاول الملك حسين رأب الصدع في الصف العربي فذهب في **٣٠** آيار سنة **١٩٦٧** إلى القاهرة ووقع اتفاقية دفاع مشترك مع الرئيس عبد الناصر وعاد إلى عمان ومعه أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ليدلل للعرب وللعالم أن الخلافات العربية أمور جانبية لا قيمة لها أمام الخطر المشترك والمصير الواحد .

تسارعت الأحداث بعد عودة الملك من القاهرة فوضع جيشـه في أقصى حالات الاستعـداد وتحركت معظم القوات الأردنية إلى الضفة الغربية بما فيها السلاح المدرع واستدعيت القـوات العراقية والسعودية وكتيبة من جيش التحرير الفلسطيني إلى الأردن . غـير أن القيادة العـربية الموحدة في القاهرة لم تكن على مستوى الأحداث فكانت تفتقر إلى الخطط المسبقة وإلى المعرفة الكافية حتى بحجم القوات العربية ومدى كفاءتها . أما القيادة العامة الأردنية فكانت مثقلة بتعدد القادة من القائد العام الأردني ونائبه ورئيس هيئة الأركان إلى القيادة العربية الموحدة وممثلهـا عبد المنعم رياض الذي لم يكن لديه معرفة بمسرح العمليات الأردني ، إلى قيادة الجبهة الغربية التي عجزت عن السيطرة على الجبهة لاتساعها هذا بالاضافة لتعدد القيادات الفرعية (٩ قيادات يضاف اليها قيادات أسلحة الإسناد والخدمات) .

وبعد اندلاع الحرب صبيحة يوم ٥ حزيران والتي بدأت بهجوم جوي اسرائيلي شامل دمر سلاح الجو المصري خلال ساعات قليلة وجاءت الأنباء الكاذبة من مصر تقول أن المصريين دمروا ثلاثة أرباع سلاح الجو الاسرائيلي وأن القوات المصرية المسلحة بما فيها سلاح الجو تشن هجوماً معاكساً على اسرائيل ، كما تطالب الفريق عبد المنعم رياض ببدء التعرض من الجبهة الأردنية .

أمام هذه المعلومات وافق الملك حسين على بدء الهجوم الأردني ، وفي يوم ٦ حزيران علمت القيادة الأردنية بحقيقة الكارثة التي أحاقت بسلاح الجو المصري وبوضع المصريين الصعب في جبهة سيناء فأصدر الفريق رياض أمره بانسحاب الجيش الأردني من الضفة الغربية ليلة ٧/٦ حزيران . لكن الملك حسين أصر على عدم الانسحاب لا سيما وأن وقف إطلاق النار سيسري مفعوله في منتصف ليل ٨/٧ حزيران . وكان قرار الفريق رياض مبرراً من الناحية العسكرية لكن معارضة الملك حسين كانت مبنية على عوامل معنوية ونفسية وسياسية تتلخص في إصراره على عدم ترك سكان الضفة الغربية يواجهون مصيرهم دون دفاع عنهم . غير أن فقدان الغطاء الجوي أدى إلى إلحاق الهزيمة بالقوات الأردنية وانسحابها من الضفة الغربية .

وهكذا ضاعت الضفة الغربية سنة ١٩٦٧ وكان الجيش العربي قد خاض معارك باسلة سنة ١٩٤٨ دفاعاً عنها واحتفظ بها طيلة فترة ما بين الحربين . وقد تلقى الملك حسين رسالة من الرئيس عبد الناصر يوم ٦ حزيران يشكر فيها الملك على جهوده ويشيد به وبشعبه وجيشه ويسجل تقديره لموقف الملك العربي الصادق رغم الظروف الصعبة التي مر بها . ومع كل هذه المشاعر الطيبة التي أبداها الرئيس عبد الناصر إلا أن هناك تساؤلاً لم يجد له جواباً شافياً وهو لماذا لم تطلع مصر الأردن على حقيقة الموقف في وقت مبكر كما فعلت في حرب سنة ١٩٥٦ عندما أوشك الملك حسين على مهاجمة اسرائيل وثناه عبد الناصر عن ذلك في آخر لحظة بعد أن أطلعه على حقيقة الأحوال آنئذ .

ورغم أن الملك حسين أصيب بخيبة أمل كبيرة لمرارة الهزيمة وانهيار الجيش المصري وسلاحه الجوي بسرعة غير متوقعة ، إلا أن الملك تحمل ذلك بصبر وشجاعة كما عبر عن ذلك في خطابه الذي وجهه إلى الشعب الأردني من الاذاعة أشاد فيه ببطولات قواته وتعاون شعبه وشرح سبب الهزيمة العسكرية وأبدى حزنه وأسفه على الشهداء ووعد بأن يسير على خطى عائلته في الجهاد والكفاح والتضحية كما أصر على استئناف العمل من أجل محو آثار الكارثة .

الجبهة السورية ١١٣٠ يوم ٩ حزيران ـ ١٨٠٠ يوم ١٠ حزيران عام ١٩٦٧

بعد أن تم تدمير القوات الجوية المصرية في بضع ساعات وتشتيت الجيش المصري في صحراء سيناء ودحر القوات الأردنية وإخراجها نهائياً من الضفة الغربية تحولت قوات العدو لتدمير الجيش السوري وطرده من الجولان . وكان تصور دافيد اليعازر (قائد الجبهة الشمالية) لعملية احتلال الجولان على الوجه الآتي : تنفذ العملية على مرحلتين : في المرحلة الأولى يتم احتلال رأس جسر على طول الواجهة ، وفي المرحلة الثانية تتحشد القوات في رأس الجسر لتنطلق مع فجر اليوم التالي (٦/١٠) وتكمل احتلال الهضبة في عملية كماشة من الشمال والجنوب وتلتقي في الخشنية ومدينة القنيطرة التي أعلنت سوريا سقوطها قبل وصول العدو إليها .

وفي الساعة ١٨٠٠ يوم ١٠ حزيران دخل قرار وقف إطلاق النار (الذي تدعمه روسيا وأمريكا) مرحلة التنفيذ بعد أن احتلت القوات الاسرائيلية مرتفعات الجولان المنيعة من جبل الشيخ شمالاً حتى وادي الرقاد جنوباً بطول ٤٥ ميلاً وعمق ١٥ ميلاً عند القنيطرة .

وهكذا كان لهجوم اليعازر على جبهة واسعة والاختراق في النقاط الأقل توقعاً واستثمار الخرق للقيام بعمليات التفاف ، ومساندة الطيران الاسرائيلي الكثيفة ، أثر فعال في تدمير الجيش السوري في معارك الجولان وسيطرة اسرائيل عليها في غضون ٣٣ ساعة . وكما حدث على الجبهة المصرية ، برهنت عمليات الجيش الاسرائيلي التعرضية بقوات متحركة ضد القوات التي كانت تتبع العقيدة السوفيتية الجامدة في الدفاع الثابت على أن « خير وسائل الدفاع ، الهجوم » . كما أثبتت فشل التحصينات الدفاعية ـ كخط ماجنيو سابقاً ، والدفاعات السورية ـ في منع الاختراق وأكدت أن أفضل وسيلة للتغلب على تلك التحصينات هي حشد أكبر قوة ممكنة في مواجهة أضعف نقطة .

٢٧ - تحليل الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة حزيران سنة ١٩٦٧

أصبحت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة مادة ممتعة لطلاب التاريخ العسكري من حيث طرحها لمظاهر جديدة من التخطيط السياسي على مستوى الأمة ، وإبرازها لمفهوم الحرب الوقائية أو الاستباقية وإدارة دفة هذه الحرب . وكانت من الحروب الكبيرة القليلة في التاريخ التي ابتدأت بهجوم دبلوماسي وانتهت بكارثة عسكرية خلال فترة لا تتعدى ثلاثة أسابيع ، وكان أهم الدروس المستنبطة من هذه الحرب أن من يريد أن يصل بالأمة إلى حافة الحرب واضعاً نصب عينيه أهدافاً وغايات محددة ، لابد أن تتوفر لديه قوة عسكرية تدعمه إذا أراد أن تكون مناورته هذه ذات جدوى .

أما في ميدان الاستراتيجية العسكرية والتعبية الكبرى فقد ظهرت الحرب الاستباقية أو الوقائية بأجلى صورها . إذ كان الهجوم الاسرائيلي ضد مصر أول حرب كبيرة قائمة على مبدأ الضربة الاستباقية ، فكسبت اسرائيل الحرب عسكرياً خلال الساعات الثلاث الأولى من بدء القتال . وبرهنت هذه الحرب على قيمة سلاح الجو في الضربة الاستباقية إذا استخدم بطريقة تتصف بالجرأة وسعة الخيال والاتقان الفني .

كذلك فقد أبرزت الحرب أهمية عامل الاستطلاع ـ الاستخبارات ـ والمعنويات العالية في القتال وأهمية نوعية القيادة الميدانية الجيدة وهما من أهم العوامل التي أثرت في مجرى الحروب عبر التاريخ .

الاستراتيجية السياسية والعسكرية

تعود الهزيمة العربية على المستوى الاستراتيجي إلى فشل خطة الرئيس جمال عبد الناصر في المواجهة السياسية التي قصد بها تحقيق نصر سياسي على اسرائيل . غير أن السوريين كانوا وراء الهزيمة على الصعيد العسكري لأنهم باستنجادهم به لخوض حرب لم يكن مستعداً لها ولا راغباً فيها وقتئذ دفعوه إلى تلك الحرب ، وساعدهم عرب آخرون في جر عبد الناصر إلى الحرب عندما أخذوا يعيرونه بأنه يتستر وراء قوات الأمم المتحدة ويحرضونه بنبرة من التحدي على أقفال مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية ، مما أعطى اسرائيل ذريعة للبدء في العدوان بحجة الدفاع عن النفس . ولا شك أن اسرائيل أصيبت بقلق شديد من الاتفاقية التي وقعها الملك حسين مع عبد الناصر في ٣٠ أيار سنة ١٩٦٧ فأسرعت بالحرب .

والدرس الأهم الذي يمكن استنتاجه من هذه الحرب هو ضرورة تحديد الأهداف السياسية على ضوء الوسائل العسكرية المتاحة . وإذا ما تجاوزت الأهداف السياسية إمكانات الدولة العسكرية كانت الهزيمة النكراء من نصيبها لا محالة .

الاستراتيجة والتعبية (التكتيك)

في مجال الاستراتيجية والتعبية (التكتيك) أبرزت حرب حزيران تفوق المفهوم الألماني المسمى بالحرب الصاعقة أو الخاطفة (Blitzkrieg) الذي يركز على العمل التعرضي والمفاجأة وقابلية الحركة ، وأفضلية هذا المفهوم على العقيدة السوفياتية الجامدة عقيدة « الترس والسيف » ذات الطابع الدفاعي . وفي مجال التعبية الكبرى فإن الفكرة الالمانية المبنية على التعرض الاستراتيجي والدفاع التعبوي انتهت بالتدمير شبه الكامل للجيش المصري . إذ أن خرق الاسرائيليين لخط الدفاع المصري الأول (الترس) من الشمال والتغلغل في عمق سيناء بين الدفاعات الرئيسية وقوات الاحتياط وسيطرة الاسرائيليين على ممرات سيناء ، وهي طرق انسحاب الجيش المصري ، قد أدت كلها إلى تمزيق القوات المصرية والحيلولة بينها وبين القيام بتعرض معاكس بل وحتى بانسحاب منظم .

وتركت القيادة الاسرائيلية للقادة الميدانيين على مستوى الفرق والألوية حرية التصرف حسبما ما يجد من تطورات المعركة . وانفردت اسرائيل أيضاً بأقوى الجبهات العربية وهي الجبهة المصرية وبعد القضاء عليها توجهت إلى الجبهات العربية الأقل قوة . ومما سهل مهمة القوات الاسرائيلية إلى أبعد حد التدمير السريع لأسلحة الجو العربية واشتراك سلاح الجو الاسرائيلي بعد ذلك في تقديم الدعم المطلوب للقوات الاسرائيلية وهو يتمتع بالسيادة الجوية الكاملة .

أما الاستراتيجية العربية فكانت تقوم على أسس خاطئة إذ لم يكن هناك تنسيق يذكر بين المصريين والسوريين ، وكانت القيادة العربية الموحدة في القاهرة موجودة على الورق فقط ولم تكن

موجودة من ناحية عملية كما أن دخول الأردن الحرب في آخر لحظة كان بادرة شجاعة ولكنهـا عقيمة . ومثل ذلك تحرك القوات العراقية والسعودية إلى الجبهة الأردنية . يضـاف إلى ذلك أن القيادة الاسرائيلية كانت قيادة واحدة مقابل القيادات العربية المتعددة ، وأن الاسرائيليين كانوا يشنون الحرب على الخطوط الداخلية مما أعطاهم سرعة هائلة في الحركة بالاضافة إلى المزايا الأخرى بينما كان العرب يقاتلون على خطوط خارجية . ويبدوا أن العرب لم يدركوا كنه استراتيجية اسرائيل القائمة على الحرب الوقائية الخاطفة ، ولو أدركوها لكان الأحرى بهم أن يجروها إلى حرب استنزاف طويلة ومكلفة في الأرواح والمعدات . فيحرمونها من فرص النجاح لا سيما وأن أكثـر ما تخشـاه اسرائيل هو وقوع الخسائر البشرية بين صفوف قواتها ومواطنيها .

وإذا نظرنا إلى استراتيجية القوات الأردنية لوجدنا أنها مرهونة بعاملين مهمين :
العامل السياسي والعامل الجغرافي وهذا أوقع المخططين الأردنيين في حيرة . فقد اضطروا لأخذ العامل السياسي بعين الاعتبار وكان يقضي بعدم التخلي عن أية بقعة من الأرض مهما كان الثمن وبذلك نشروا قواتهم القليلة العدد على جبهة طويلة . وكان الأجدر بهم عسكرياً وجغرافياً أن يتراجعوا أميالاً قليلة ويركزوا قواتهم في النقاط الحيوية في مرتفعات منطقة نابلس والقدس إلا أن خوفهم من ردود الفعل السياسية المعادية داخل الأردن وخارجه حال بينهم وبين ذلك .

وكان قادة العدو يحاولون تحقيق المفاجأة بالجرأة والابداع وتبني العمل الأقل توقعـاً ، فعلى الجبهة الأردنية حقق لواء هارئيل بقيادة أوري بن آري المفاجأة بتقدم جبهوي ليلي على منطقة المنحدرات الجنوبية الصعبة لسلسلة مرتفعات : تلة الرادار ـ بدو والنبي صموئيل التي ترتفع حوالي ٢٨٠٠ قدم . وقد أحبط هذا التقدم (المدرع الآلي) خطط القوات الأردنية التي كانت تدافع عن القدس من الشمال .

أما على الجبهة السورية فقد حقق دافيد اليعازر المفاجأة بالتعرض على جبهة واسعة دون أن يتضح للسورين اتجاه هجومه الرئيسي . وتبع هذا التعرض اقتحام نهاري بلواء مندلر المدرع ولواء جولاني . وكانت النتيجة احتلال الاسرائيليين للجولان بعد ظهر يوم ١٠ حزيران سنة **١٩٦٧** .

اعتمدت الحركات التعبوية للقوات العربية المصرية والسورية على العقيدة القتالية السوفياتية في الدفاع والهجوم ، وكان الدفاع يسير وفق نظرية السيف والترس وبالخطوط المتعاقبة ، وهذه تحتاج إلى قوات كبيرة . وحيث لم يتوفر للجيشين قوات كافية بالاضافة لقدرة سلاح الجو الاسرائيلي على تحييد السيف أو الاحتياط العربي فقد فشل الجيشان في تطبيق المناورة التعبوية نتيجة لفهم القادة الاسرائيلين للعقيدة القتالية السوفياتية واتخاذهم لإجراءات لإحباطها .

ولعل من الممتع التساؤل عما كان سيحدث لو أن سلاحي الجو المصري والسوري لم يدمرا في بداية المعركة . ولو بقيت القوات الجوية العربية موجودة لكان بإمكان الألوية الأردنية التسعـة وبأدنى حد من الغطاء والدعم الجوي ، أن تلحق خسائر أفدح بكثير في القـوات الاسرائيلية

وتبطىء من تقدمها وتحدد المكاسب الاسرائيلية بحيث لا تزيد عن مساحات صغيرة في منطقة السهل الساحلي ولواء جنين . ولعله كان في وسع المصريين والسوريين أن يسهموا بنشاط هجومي أكبر وبذلك تبقى فرقة إلاد بيليد بألويتها الثلاثة في الجبهة السورية ولواء مردخاي غور المظلي في سيناء وعندئذ تضطر القيادة الاسرائيلية الشمالية لمواجهة الألوية الأردنية الأربعة في منطقة نابلس بلوائين اسرائيلين فقط ، ومواجهة الألوية الأردنية الأربعة في قطاع القدس والخليل بلواء مدرع ولواء آلي فقط .

لقد كان النصر الاسرائيلي كاسحاً وباهراً حتى أنه فاق توقعات صانعية أنفسهم ولكن تخبط القيادات العسكرية العربية العجيب أثناء العمليات العسكرية أسهم في تضخيم حجم الانتصار الاسرائيلي وتسهيله وتوسيع مداه وإيصاله إلى حدود غير معقولة وبتكاليف زهيدة جداً إذا قيست بالنتائج .

غير أن سهولة هذا النصر الاسرائيلي أوقع الاسرائيلين في متاعب كثيرة فقد استحوذ عليهم شعور زائف بالأمن ، واستخفوا بالقوة العسكرية العربية استخفافاً كبيراً ، ووثقوا ثقة مطلقة بأساليبهم القتالية ، كاعتمادهم الكبير جداً على سلاح الجو ، وتركيزهم على تشكيلات مؤلفة من الدبابات فقط وإهمال المشاة وإعطائهم دوراً ثانوياً . ويبدوا أنه غاب عن أذهانهم أن بإمكان العقول العسكرية العربية إذا ما أعطيت الفرصة أن تدرس العقيدة القتالية الاسرائيلية وتعرف نقاط الضعف والقوة فيها وتعد العدة لاستغلال نقاط الضعف هذه ومواجهة نقاط القوة بصورة فعالة ولا سيا استخدام صواريخ م/ط و م/د لتحييد سلاحي الجو والدروع الاسرائليين وهو ما حدث بعد ظهر السادس من تشرين الأول (العاشر من رمضان) سنة **١٩٧٣** .

القوة الجوية

كان الجنرال مردخاي هود قائد سلاح الجو الاسرائيلي سنة **١٩٦٧** محقاً في قوله أن النصر الاسرائيلي على العرب جاء نتيجة مباشرة للضربة القاصمة التي ألحقها سلاح الجو الاسرائيلي بسلاح الجو المصري صباح الخامس من حزيران سنة **١٩٦٧** . ومع ذلك تدعي المصادر الاسرائيلية أن تدمير سلاح الجو العربي المبكر سهل مهمة القوات البرية الاسرائيلية وأن النتيجة ستكون انتصاراً اسرائيلياً في جميع الأحوال ولكن بوقوع اصابات أكثر في صفوف الاسرائيليين . غير أن هذا الادعاء أبعد ما يكون عن الحقيقة ، إذ لا شك أبداً في أن السيطرة الجوية الاسرائيلية جعلت الارتال الاسرائيلية تتحرك بمنتهى الحرية والسهولة على كافة الجبهات العربية ، وأن تتخلص من أي مأزق قتالي بفضل تدخل سلاح الجو الاسرائيلي ، وأن تحرم القوات العربية من أية فرصة للم شعثها والقيام بهجوم معاكس فعال مهما كان محدوداً . كما أن تأثير القوة الجوية على المقاتلين كان أشد وقعاً من الدمار المادي الذي ألحقته بالأرواح والمعدات .

الجيش العربي الهاشمي

بالطبع لم يكن انتصار سلاح الجو الاسرائيلي وليد الصدفة بل جاء نتيجة سنوات طويلة من العمل الدائب والتدريب الشاق ووضع النظريات والخطط المناسبة القائمة على استخدام المقاتلات فقط وتدمير طائرات العدو في مطاراتها ، ومن خلال اختيار الطيارين الأكفاء الـذين يتمتعـون بمستوى رفيع من التدريب وتعاون الخدمات الأرضية معهم ومعرفتهم الدقيقة بأوضاع الطـيران العربي وطياريه ومنشآته .

ولم يكن الاسرائيليون أنفسهم يصدقون كل ما يقال عما يستطيع سلاح الجو فعله في الحرب ، بل أن بن غوريون نفسه طلب أسراباً جوية فرنسية لحماية اسرائيل عندما شاركت في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ .

لذلك لا غرابة أن يصدق الملك حسين وقادته العسكريون أقوال القيادة المصرية بأن طيرانها قد دمر ٧٥٪ من سلاح الجو الاسرائيلي . ولم يعرف الملك الحقيقة إلا بعد فوات الأوان وبعد أن كان طيران العدو قد فتك فتكاً ذريعاً بالقوات الأردنية في الضفة الغربية .

الاستخبـــارات

كانت الاستخبارات الاسرائيلية التي كان يرأسها الجنرال أهـارون ياريف من سنـة ١٩٦٤ - سنة ١٩٧٢ ذات كفاءة عالية وكانت تعطي الاستخبارات الاستراتيجية والتعبوية أهمية قصوى في منطقة سريعة الاشتعال كالشرق الأوسط . وفي حرب حزيران كان السبب في الكارثة العربية هو إخفاق العرب في تحليل نوايا الاسرائيليين والإهمال الإجرامـي الـذي أبدتـه قيادة سلاح الجـو المصري . ومن الصعب تفسير التقاعس الاستخباري المصري لا سيما بعد أن قام عبد الناصر بإقفال مضائق تيران . ولعله ايمان المصريين والسوريين باستحالة قيام اسرائيلي بهجوم عليهم هو الذي أدى إلى إهمال استخباراتهم .

كما أن الاتحاد السوفيتي يتحمل قسطه من اللوم لأنه كان يشاطر المصريين والسوريين غرورهم ولم يحاول تحذيرهم بل فوجيء بهجوم اسرائيل على مطارات مصر يوم ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ تماماً كما فوجيء يوم هاجم الألمان الأراضي الروسية في ٢٢ حزيران سنة ١٩٤١ . ويدعي الاسرائيليون أنهم حصلوا على معلومات دقيقة مفصلة عن قوة وتوزيع القوات المسلحة المصرية ولا سيما سلاح الجو المصري . وعلى أي حال فإن توقيت الضربة والكيفية التي تمت بها دل على إحاطة كبيرة فعلاً بمعلومات هامة عن سلاح مصر الجوي .

وعلى مستوى أدنى استطاعت الاستخبارات الاسرائيلية في شهر آب سنة ١٩٦٦ اقناع الطيار العراقي منير روفا بالهرب بطائرته الميج/٢١ من العراق . وكانت من أفضل الطائرات المعترضة في العالم آنئذ . وكانت سراً ثميناً تسعى اسرائيل وأعوانها إلى اكتشافه وتم لها ما أرادت . وكانت المخابرات الاسرائيلية راسخة القدم في اسرائيل ولها فروع في مختلف الأقطار العربية مكنتها من

جمع معلومات دقيقة عن الشؤون الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية عن الدول العربية ، بينما وزعت مصر وسوريا شبكات استخباراتها لتشمل أوروبا وآسيا وأفريقيا دون مبرر لذلك . وفي هذه الناحية أيضاً تعلم العرب درساً قاسياً فجمعوا معلومات كافية عن اسرائيل بين سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ وقاموا بعمليات تضليل ناجحة مكنتهم من مفاجأة اسرائيل استراتيجياً وتعبوياً في حرب رمضان لأنها هذه المرة هي التي عجزت عن فهم نواياهم .

والدرس الذي يجب أن يتعلمه المرء في ميدان الاستخبارات أن الشرق الأوسط منطقة لا يجوز أن تغفل فيها الدولة ولو لحظة واحدة عن استقصاء أخبار العدو ومعرفة نواياه وفي ذات الوقت يجب عليها إخفاء نواياها وتحركاتها عن العدو .

نظام القيادة والتنظيمات التعبوية

دخل الجيش الاسرائيلي حرب حزيران وهو يتمتع بمزايا ذاتية عديدة بعضها مكتسب وبعضها حصل عليه نتيجة لوضعه في مواجهة الدول العربية . فالموقع الجغرافي وشبكة الطرق الممتازة اعطيا الجيش الاسرائيلي ميزة فريدة في العمل على الخطوط الداخلية بحيث يمكن تحريك الجهد الرئيسي ونقله من جبهة إلى أخرى بسرعة وسهولة ، بينما كانت دول المواجهة العربية تعمل على الخطوط الخارجية على شَبكة مواصلات متباعدة ومكشوفة بالاضافة لعدم اتصال الجبهتين الشرقية والغربية مع بعضهما ، وميناء الأردن الوحيد وهو العقبة واقع ضمن مرمى المدفعية الاسرائيلية .

خططت القيادة الاسرائيلية العليا لمواجهة هذه الأوضاع وأنشأت تنظيمات رئيسية تعالج المواقف المتوقعة على كل جبهة وهي القيادات الشمالية (سوريا) والوسطى (الأردن) والجنوبية (سيناء ـ مصر) . وكانت قيادات المناطق مرنة بحيث تستوعب أو تفرز أية تشكيلات أو قوات توضع بأمرتها . كما كانت تعمل في إطار من التعاون والتنسيق بتوجيه من القيادة العامة التي كانت مسؤولة عن تنسيق خطط الطيران والبحرية أيضاً .

وبالإضافة إلى تشكيل قيادات المناطق نظمت القيادات التعبوية في قيادات فرق (UGDAH) تتصف بالمرونة والكفاءة والاقتصاد وأتاحت قدراً كبيراً من المرونة والمبادرة للقادة . وخصصت لكل أوغدا أو فرقة ألوية أو مجموعات قتال يمكن فصلها أو إلحاقها من فرقة لأخرى كما كان الحال في القيادة الجنوبية المؤلفة من ثلاث مجموعات فرق . كما أن نظام الإمداد والتجهيز المركزي حقق سرعة في نقل القوات من جبهة إلى أخرى وأسهم تنظيم سلاح الجو ونظام التعبئة العامة المجرب في استغلال مميزاته لأبعد حد في خدمة المعركة .

مقابل ذلك في الجانب العربي ، وبالاضافة إلى الخلافات السياسية ، لم يتمكن العرب من تشكيل قيادة مشتركة فعالة أو تنسيق أو تخطيط جاد لاستراتيجية عربية شاملة أو خطط تعبوية تحقق الأهداف العسكرية ، بل كانت معظم حركات الجيوش العربية عشوائية مرتجلة في كافة الجبهات .

الجيش العربي الهاشمي

وعندما حقق العرب الحد الأدنى من التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية على الأقل قبيل حرب رمضان كان ذلك من العوامل الهامة في الانتصارات التي أحرزوها في بداية تلك الحرب .

وإذا أريد للعرب كسب نصر عسكري ذي قيمة فلابد من خلق قيادة عربية واحدة تتوفر لها الخبرة والكفاءة اللازمة وتعطى الحرية الكافية لوضع الخطط الاستراتيجية والتعبوية في معزل عن السياسة والخلافات العربية . ومن المهم انتخاب أفضل الضباط المحترفين عسكرياً والمتفرغين للواجب العسكري فقط لقيادة القوات المسلحة العربية وكذلك للعمل في القيادة المشتركة .

ويعود قسط كبير من النجاح الذي حققه العدو في الحروب المتتالية مع العرب ابتداء من معارك الهاغانا في أواخر الثلاثينات من هذا القرن وحتى حرب سنة ١٩٦٧ (بل وحرب رمضان ذاتها) ، إلى المجموعة المنتقاة من القادة العسكريين المؤهلين المحترفين المتفانين في أداء واجبهم العسكري .

فن القيادة والجندي المقاتل

تعرض الجندي العربي للإساءة البالغة والحط من قدرته العسكرية من قبل الكتاب والمراقبين الغربيين المؤيدين لاسرائيل . ولا ينكر أحد ضعف القيادات العربية وتخلفها في ميادين الاستراتيجية والتعبية العظمى والقيادة الميدانية خلال حروب سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ . ولكن هناك أسباب لافتقار كوادر الضباط العرب إلى مهارة القيادة والاحتراف ، فقد استنزفت الهزات السياسية التي اصابت العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية قطاعاً كبيراً من الضباط المحترفين ونقلتهم إلى الميدان السياسي ، ذلك لأن المؤسسات العسكرية هي المصدر الرئيسي للكوادر المنضبطة والمنظمة في معظم الأقطار عندما تستقل أو تحدث فيها ثورات اجتماعية . لذلك لا عجب أن نرى كثيراً من قادة العرب وزعمائهم من العسكريين كما هو الحال في الجزائر وليبيا ومصر والسودان والصومال واليمن الشمالي والجنوبي والعراق وسوريا وموريتانيا . وحيث أن الحروب العربية الاسرائيلية استمرت مواكبة لمسيرة الاستقلال العربي فقد استمر توجه القادة والضباط في الجيوش العربية إلى المشاركة في الشؤون السياسية في بلادهم وترك مهنتهم العسكرية . وزاد الطين بلة الانقلابات العسكرية المتوالية والصراع الدامي على الحكم مما أدى إلى فقدان كثير من العسكريين المحترفين الأكفاء بالإضافة إلى انخراط الضباط في صفوف الأحزاب السياسية .

وساد هذا الوضع حتى حرب رمضان رغم أنه خطط لها قادة محترفون مثل أحمد اسماعيل علي وسعد الدين الشاذلي وعبد الغني الجمصي وحسني مبارك ومصطفى طلاس ويوسف شكور وحكمت الشهابي .

وبالمقابل كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية منصرفة إلى تطوير الجيش الاسرائيلي وخلق كادر من القادة العسكريين المحترفين بعيداً عن تدخل السياسيين . ومع أن الضباط الاسرائيليين لم يكونوا بمعزل عن السياسة وتدخل الساسة والأحزاب إلا أن هذا التدخل لم يكن ليؤثر في كفاءة

الضباط الاسرائيلين أو يؤدي إلى اختلاف على الأهداف العليا للدولة الصهيونية . ومن مظاهر النظام في جيش العدو أن رئيس الأركان منذ سنة ١٩٤٨ وإلى الوقت الحاضر يخدم فترة ثلاث سنوات في منصبه مع استثناءات قليلة ثم يخلي مكانه لغيره محافظة على التطور وإدخال دم جديد وأفكار جديدة .

والعربي لا ينقصه الذكاء إذا أُعطي الفرصة . فقد كان إعطاء الفرصة والمناخ السياسي المستقر هو الذي أتاح للضباط العرب الوصول إلى رتب عالية في الجيش العثماني . كما أن إعطاء الفرصة وتوفر القيادة المحترفة الذكية أتاح لجيش الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين ، الزحف ألف ميل من الحجاز إلى حدود تركيا الجنوبية وسبق فرق الخيالة البريطانية المنتقاة في الوصول إلى دمشق ومن ثم إلى حلب على بعد ٢٠٠ ميل إلى الشمال منها . ولا شك أن في وسع الدول العربية النفطية أن تخلق الظروف الملائمة لخلق كوادر من الضباط ذوي الكفاية العالية والتدريب الممتاز والاحتراف المتفرغ لقيادة الجيوش العربية .

نتيجة للهزائم التي لحقت بالجيوش العربية في الحروب العربية الاسرائيلية الثلاثة سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ أصبحت تلك الجيوش موضع سخرية العالم (فيما عدا الجيش العربي الأردني في حرب سنة ١٩٤٨) . إلا أن الجيوش العربية لم تقاتل في حرب عادلة بل كانت ضحية السياسة العربية الخاطئة سواء على مستوى الدول العربية أو الجامعة العربية . غير أن نهوض الجيوش العربية بعد كل كارثة تصيبها واستعدادها للجولة التالية يعبر بقوة عما يتمتع به الجندي العربي من روح الصمود والمعنويات العالية والتصميم .

يقول الاسرائيليون إن الجندي العربي فلاح ذو نزعة فردية تغلب عليه الولاءات العشائرية والقبلية وعاجز عن إدارة دفة الحرب المتحركة الحديثة ولا سيما معارك الدروع السريعة التقلب ، ولكنهم يسلمون بأن الجندي العربي مقاتل جيد وشجاع في الحرب الساكنة والدفاعية المخطط لها مسبقاً . ويتناسى الاسرائيليون في هذه الأسطورة التي يريدون تكوينها عن المقاتل العربي ، أن الجيش الصيني الأحمر ، وجيش كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية جيوش شعبية من الفلاحين ومثل هذا القول ينطبق على الجيش الامبراطوري الياباني الذي وصمه البريطانيون بأنه أيضاً جيش من الحمالين والعمال غير المهرة ، وكان هذا الجيش الياباني هو الذي ألحق بالبريطانيين الهزائم المتوالية في جنوب شرق آسيا في الحرب العالمية الثانية .

وخلاصة القول فإن الدروس الرئيسية من حرب سنة ١٩٦٧ كانت استراتيجية سياسية ، ونفسية وتعبوية أو تكتيكية في طابعها ومجالها . فعلى الصعيد الاستراتيجي السياسي أخفق عبد الناصر في هجومه الدبلوماسي الذي جاء قبل أوانه وارتجالياً وعاطفياً كما فشل في عرض عضلاته العسكرية ، والحقيقة أنه لابد من ايجاد توازن دقيق وعقلاني بين الأهداف السياسية والقوة العسكرية المتاحة والمطلوبة إذ لابد للسياسة من قوة عسكرية تدعمها . وقد نجحت الثورة العربية

الكبرى لأن الشريف حسين أوجد التوازن بين الأهداف والقوة المتاحة . وإذا أراد العرب هزيمة اسرائيل فعليهم رسم خطة استراتيجية سياسية موحدة عملية قابلة للتنفيذ تستهدف إما تحييد اسرائيل أو إزالتها أو تحجيمها ، وأن يتسلحوا بالإمكانات العسكرية اللازمة لأهدافهم السياسية المتفق عليها آخذين في الاعتبار التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل . وأن الإخفاق في التنسيق بين الأهداف السياسية والخطط العسكرية ، سيضمن بقاء اسرائيل الدائم في وسط العالم العربي .

وفي الصراع العسكري أو السياسي القادم لا يستطيع أي من الطرفين أن يتجاهل العامل الحاسم وهو أثر السيكولوجية الوطنية في ميدان الاستراتيجية والتكتيك .

وفي ميدان الاستراتيجية والتكتيك كان إعداد اسرائيل الطويل الأمد للحرب ذا فوائد عظيمة ، فقد أثبتت الحرب سلامة التنظير وصحة التطبيق العملي للمفاهيم والنظريات والتنظيمات الاسرائيلية ؛ فقد أدخل سلاح الجو الاسرائيلي على وجه الخصوص مفهوماً جديداً في إدارة دفة الحرب وذلك بتوجيه ضربة استباقية استراتيجية . ونجح العدو في تطبيق مفهومه القتالي القائم على الجبهة الواحدة ، والحرب الخاطفة ، وتركيز الجهد الرئيسي على الجبهة الأكثر تهديداً . وسهل تنفيذ ذلك بتنظيم قيادة الفرقة (الأوغدا) الذي يحقق المرونة ، يدعم ذلك خطة إدارية مركزية مرنة قابلة للتطبيق وخطة فعالة للتعبئة . وفي ميدان التعبية لقيت طريقة التعرض غير المباشر وإعطاء حرية التصرف للقادة نجاحاً باهراً لا سيما وقد تم اختيار هؤلاء القادة بعناية .

لكن سهولة النصر الاسرائيلي حملت في طياتها بذور الكارثة ، لأنها أصابت الاسرائيليين بالغرور وأعطتهم الشعور بالأمان والثقة الكاملة بأساليبهم القتالية . ولكنها هزت العرب فجعلتهم يستعدون استعداداً سليماً لجولة قادمة مع محاولة معرفة نقاط القوة والضعف في عدوهم وايجاد الحلول المناسبة لها .

القوات المسلحة الأردنية في فترة ما بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧

كان الأردن أكثر دول المواجهة العربية معاناة من حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، فبالاضافة لخسارة الضفة الغربية (٨٠٠,٠٠٠ نسمة) الغنية بمواردها الاقتصادية والسياحية وقيمتها الروحية خسر معظم قواته المسلحة . فقد دمرت قوته الجوية كاملة ودباباته وآلياته المدرعة . ورغم ذلك فقد استطاع إعادة تنظيم بقية قوات الجبهة الغربية وإعادة تشكيلها في وحدات من الدروع والمشاة وتكليفها بالدفاع عن المرتفعات الشرقية في أربد وعجلون والبلقاء حتى وادي الموجب جنوباً .

خلال هذه الفترة كان الأردن ينتظر المساعدات الخارجية لإعادة تزويد الجيش بالأسلحة والذخائر وتعويض خسائره الفادحة بالدبابات والطائرات والمدفعية . ولم يتحقق له ذلك إلا في أواخر عام ١٩٦٩ عندما بدأت أمريكا وبريطانيا تزودانه بالأسلحة والمعدات العسكرية وكان قبل ذلك (سنة ١٩٦٧ - سنة ١٩٦٩) بلا دفاع عسكري يذكر . ورافق تسليم السلاح والمعدات مرحلة

إعادة تنظيم شاملة تضمنت برامج تدريب مكثفة على المستويين الفردي والجماعي وأمكن التغلب على كافة المصاعب المادية والمعنوية ، والوصول بالجيش إلى مرحلة الصمود في وجه الاعتداءات الاسرائيلية .

ويبين الجدول التالي خسائر الجيوش العربي والجيش الاسرائيلي في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ حسب المصادر الغربية والتقديرات غير الرسمية :

أطراف النزاع في حرب حزيران سنة ١٩٦٧	الجبهة المصرية		الجبهة الأردنية		الجبهة السورية	
	قتيل	جريح	قتيل	مفقود وجريح	قتيل	جريح
أ . اسرائيل	٣٠٠	١٤٥٥	٥٥٠	٢٤٠٠	١٣٠	٦٢٠
ب . مصر	٣٠٠٠- ٤٠٠٠	١٠,٠٠٠				
ج . الأردن			٧٠٠	٦٠٠٠		
د . سوريا					٧٠٠	١٥٠٠

بلغت خسائر اسرائيل في الأرواح على الجبهات العربية ٩٨٠ قتيلاً و ٤٤٧٥ جريحاً في حين بلغت الخسائر العربية ٤٤٠٠ قتيلاً و ١٧٠٠٠-١٨٠٠٠ جريحاً .

أما خسائر دولة المواجهة العربية واسرائيل في الطائرات والدبابات فقد كانت كما يلي :

	دبابة	طائرة
١) اسرائيل	٤٠٠	٤٦
٢) مصر	٨٠٠	٣٣٦
٣) سوريا	٨٥	٦١
٤) الأردن	١٨٠	٢١ (١٠٠٪)
٥) العراق	١٠٠	٢٥

في الوقت الذي تدفقت فيه المساعدات العسكرية السوفيتية على مصر وسوريا بعد الحرب مباشرة لم يتسلم الأردن أية معدات عسكرية تعويضاً عن خسائره في الحرب إلا في خريف سنة ١٩٦٩ عندما تسلم ٣٠٠ دبابة باتون وسنتوريون و ١٨ طائرة أمريكية معترضة (نوع ف -١٠٤) و ٢٠ طائرة هوكر هنتر . وهكذا وجد الأردن نفسه مرة أخرى معزولاً وبدون أصدقاء ، وجيشه محطم وبحاجة لأسلحة ومعدات ليقف في وجه الجيش الاسرائيلي المنتصر في مواجهة مباشرة على طول الحدود من نهر اليرموك شمالاً وحتى ميناء العقبة جنوباً .

الجيش العربي الهاشمي

برغم الخسائر الاقتصادية والعسكرية والحالة النفسية المتردية التي وصل إليها الأردن ـ كبقية دول المواجهة العربية ـ إلا أن الملك حسين استطاع ـ بشجاعته وحكمته المعهودة التي اتصف بها الهاشميون ـ أن يلم شعث الأمة ويعيد بناء قواته المسلحة ، ويبعث في شعبه روح التحدي والإصرار على استعادة الحق المغتصب كما برهن الأردن على ذلك في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ تلك المعركة التي شكلت نقطة انعطاف مهمة في تاريخ الجيوش العربية خاصة بعد الهزائم المتلاحقة في ثلاث حروب متتالية . فلأول مرة أدرك العرب أن الجندي الاسرائيلي ليس أسطورة وأن السلاح الذي تحمله الأيدي القوية المقرونة بإرادة التحدي قادرة على هزيمة العدو مهما كانت صفاته وقوته العسكرية .

أدى تدفق ٣٠٠,٠٠٠ نازح بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ واستقرار قسم كبير منهم في وادي الأردن إلى تأزم الموقف على خط وقف إطلاق النار مع العدو . وازداد الموقف سوءاً بسبب أعمال حركة المقاومة الفلسطينية التي كانت تنطلق من قواعدها في غور الأردن ـ قرية الكرامة ـ والرماية على مستعمرات العدو غرب النهر . ولما تكررت عمليات الفدائيين قامت اسرائيل بهجومها المعروف على بلدة الكرامة فتصدى لها الجيش العربي ولقنها درساً لم تعرفه في حروبها السابقة . ولكن حركة المقاومة ـ التي قامت بدور ثانوي في معركة الكرامة ـ لم تنسق عملياتها مع الجيش العربي بعد ذلك وتباعدت الشقة بينهما وتطور الخلاف إلى صراع حاد انتهى بحرب أيلول الأسود عام ١٩٧٠ .

تحدت حركة المقاومة السلطة الشرعية في الأردن وورطت نفسها في صراع مباشر مع القوات المسلحة وكان من الطبيعي أن تنتصر القوة المنظمة الخاضعة لقيادة شرعية وشجاعة وحكيمة على قوة المقاومة التي كانت تحمل بذور التناقض في أحشائها منذ ولادتها ، إذ كانت كل فصيلة تمثل اتجاهاً معيناً في الوطن العربي وتعمل على احتواء أو تصفية الفصائل الأخرى . وجاء تدخل السوريين ليؤكد اسلوب المزاودة في الوطن العربي ، وكان من البديهي أن لا يخضع الأردن ولايقبل الحلول الوسط .

٢٨ - حرب الحدود : ما بعد حزيران سنة ١٩٦٧ وحتى معركة الكرامة ٢١ آذار عام ١٩٦٨

كانت خسارة الأردن المادية والمعنوية أكبر وأعظم من الخسائر التي لحقت بالدول العربية التي شاركت في حرب حزيران ، خاصة مصر وسوريا . فمن الناحية المعنوية والاقتصادية لايمكن مقارنة خسارة القدس والضفة الغربية بخسارة سيناء والجولان بالنسبة لمصر وسوريا . وينطبق ذلك على الخسائر في الأرواح والمعدات في صفوف القوات المسلحة أيضاً . ومما زاد أعباء المملكة الأردنية الهاشمية ، تدفق ما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ لاجىء إلى الضفة الشرقية .

وفي الوقت الذي تولى فيه السوفيت تزويد الجيشين المصري والسوري بأحدث الأسلحة

والمعدات كطائرات الميج ـ ٢١ وسوخوي ـ ٧ ، بالاضافة لبناء شبكات الدفاع الجـوي في كلا البلدين ، (من وسائل إنذار وصواريخ سام) والاهتمام بإعادة تنظيم وتدريب القوات المسلحة لتصبح قادرة على خوض حرب جديدة ، كان الأردن ينتظر الدعم العربي لإعادة بناء قواته المسلحة . وبقي على تلك الحال إلى أن تم تزويده ، بطائرات هوكر هنتر وطائرات معترضة أمريكية من نوع ف -١٠٤ ودبابات سنتوريون وباتون من بريطانيا وأمريكا .

وقد تضاعفت مسؤولية البلد الصغير بسكانه الذين لم يتجاوزوا ١,٥ مليون نسمة وصار يرزح تحت ضغط اقتصادي وعسكري كبير . وازداد الضغط نتيجة الغارات الاسرائيلية الانتقامية على القرى الأردنية الآمنة رداً على أعمال الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعدهم في وادي الأردن ومخيمات اللاجئين بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

فقد باشرت المنظمات الفدائية ـ وعلى رأسها فتح ـ بتجنيد الشباب من المخيمات والمدن والقرى الأردنية ، وشن غارات ضد العدو عبر نهر الاردن . وكانت أعمال المقاومة تتم بدون تخطيط أو تنسيق مسبق ، وفي جو غلبت عليه صفة المزايدة السياسية وكسب التأييد . في تلك الفترة تم إعادة تنظيم القوات الأردنية وتجميعها في فرقتي مشاة : الفرقة الأولى والفرقة الثانية ، وأعطي لهما واجب الدفاع عن الجبهة الأردنية في القطاعين الشمالي والأوسط على طول نهر الأردن : من بحيرة طبريا إلى وادي الموجب جنوباً .

كلفت الفرقة الثانية (بقيادة العميد عاطف المجالي) بالدفاع عن القطاع الشمالي ، ووضع اللواء المدرع ٤٠- الذي قاتل ببسالة في معارك جنين ، بعد إعادة تنظيمه بأمرة الفرقة الثانية ، بينما كلفت الفرقة الأولى بقيادة العميد مشهور حديثه ـ الذي كان قائداً للجبهة الشرقية إبان حرب حزيران ـ بالدفاع عن القطاع الأوسط جنوب نهر الزرقاء ، كما وضع اللواء المدرع ٦٠ بأمرة الفرقة الأولى .

أما القطاع الجنوبي من الأردن ـ قطاع الكرك ـ فقد أعطى واجب الدفاع عنه للقوات السعودية بمجموعة لواء مشاة ، بينما كلف لواء الحسين بن علي بالدفاع عن قطاع معان ـ العقبة . وكان خط الدفاع الأول على الجبهة الأردنية ضعيفاً وبالكاد يستطيع الصمود في وجه القوات الاسرائيلية لو أرادت استئناف تقدمها على عمان من مناطق حشدها الأمامية في الجفتلك وأريحا أنئذ .

إلا أن بعض الألوية كانت في وضع جيد ـ لوجودها في الاحتياط ـ كلواء القادسية والإمام علي ، واليرموك والحسين . أما الألوية التي منيت بخسائر كبيرة فقد تم حلها وأعيد تجميعها في ألوية جديدة ، ومنها لوائي خالد بن الوليد وحطين . وما أن تم البدء في إعادة تنظيم الألوية التي كانت تحت قيادة الجبهة الغربية والجبهة الشرقية في فرقتين ، وتكليفها بالدفاع عن المرتفعات التي سبق أن دافعت عنها قوات الجيش التركي الرابع عام ١٩١٨ ، حتى بدأت فصائل المقاومة أعمالها غير المنسقة ضد العدو في المنطقة المحتلة (غرب النهر) ، وأعطى ذلك مبرراً لاسرائيل لاستئناف غاراتها الانتقامية على المواقع المدنية والعسكرية الأردنية ، فدمرت المنازل وأحرقت المزارع وقتلت

النساء والشيوخ والأطفال . وبقي الأمر كذلك حتى حلول وقف إطلاق النار الذي دعمته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في آب سنة ١٩٧٠ بين اسرائيل من جهة ومصر والأردن من جهة أخرى .

ورغم الغارات الانتقامية التي كانت اسرائيل تشنها على الأردن والقصف الجوي والمدفعي المتبادل يومياً ، فقد تبنى موشي ديان ـ بصفته حاكماً عسكرياً عاماً للضفة الغربية ـ سياسة الجسور المفتوحة ، وتنقل المواطنين من وإلى الضفة الغربية عبر تلك الجسور إذ أن تلك السياسة تحقق فوائد اقتصادية وسياسية لاسرائيل وتمتص شيئاً من نقمة الجماهير الفلسطينية الخاضعة للاحتلال . وكانت محاولة بارعة لستر أعمالها الارهابية وقصفها القرى الأردنية الآمنة بحجة ضرب قواعد الفدائيين الذين يعملون ضدها .

بعد حرب حزيران تزايدت أعمال المقاومة الفلسطينية التي كانت تهدف إلى تحقيق نتائج سريعة تقنع الرأي العام المحلي والدولي بوجودها ، بدلاً من إنشاء خلايا سرية تعمل داخل الأرض المحتلة ، وكان الأجدر بالمنظمات الفدائية استغلال سياسة الجسور المفتوحة لإنشاء خلايا سرية في الوطن المحتل ، ـ كما عمل الفيت كونغ ـ لا سيما وان طبيعة أرض فلسطين الجغرافية لا تساعد كثيراً على عمليات إغارة من قواعد خارج فلسطين المحتلة دون التنسيق مع الجيوش العربية المجاورة .

ولمنع تسلل الفدائيين إلى داخل الأرض المحتلة أقامت اسرائيل حاجزاً (دفاعياً) أمنياً على طول الواجهة الأردنية مؤلفا من الأسلاك الشائكة المعززة بأجهزة مراقبة الكترونية ، وحقول الألغام . ثم أنشأت طرقاً طولية وعرضية على طول الحاجز لتسهيل حركة الدوريات المسلحة التي تراقب الحاجز ، كما زودت المنطقة بمصاطب مسلحة لرماية الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والدبابات والمدفعية المحمولة . وزود الحاجز الأمني بنقاط مراقبة ، تستطيع طلب تدخل سلاح الجو الاسرائيلي أو القوات البرية إذا دعت الحاجة . وقد قللت الاجراءات الأمنية الاسرائيلية تلك من حوادث التسلل وبالتالي خفضت نسبة خسائرها إلى أدنى حد .

ولما فشلت فصائل المقاومة في عبور الحاجز الأمني الاسرائيلي لجأت إلى أسلوب آخر تعوض به عن عدم قدرتها على العمل داخل المنطقة المحتلة . فلجأت إلى نصب قذائف الكاتيوشا شرق النهر وقذفها داخل المنطقة المحتلة حسب توقيت معين بعد أن تبتعد المجموعة التي أعدتها عن مكان الإطلاق . وكانت تلك القذائف ـ التي تتراوح مسافتها من ٥ إلى ١٢ ميل ـ تسقط في الغالب في مناطق خالية ، فلا تحدث أضراراً ، وإذا صدف وسقطت على منطقة مأهولة وأحدثت بعض الخسائر في الأرواح في الجانب الاسرائيلي ، قام الطيران أو المدفعية الاسرائيلية بقصف القرى والمدن الأردنية ، كما حدث في قصف أربد وكفر أسد والطيبة والسلط وغيرها . ولما كانت المدفعية الأردنية والعراقية مضطرة لمساندة الفدائيين أثناء عبورهم النهر أحياناً ، كانت اسرائيل

تقوم برد فوري فتقصف مواقع المدفعية الأردنية والعراقية بالطائرات طوال اليوم .

لم تفلح الحكومة الأردنية في إقناع الفدائيين بعدم جدوى الرماية من شرق النهر وعلاقتها المباشرة بالغارات الاسرائيلية الانتقامية على المواطنين الأبرياء وحرمان الأردن من المصدر الزراعي ـ الوحيد المتبقي له ـ في غور الأردن ، بل تزايدت الأعمال غير المسؤولة واشتد الصراع المكشوف بين فصائل المقاومة المتعددة الموجودة في الأردن ، تلك الفصائل التي جلبت معها تناقضات الأمة العربية وفجرتها على الساحة الأردنية باسم الكفاح المسلح . وقد أثارت هذه الأعمال المواطنين والجيش الذين بدأوا يطالبون بوضع حد لتلك الأعمال .

ونتيجة للغارات الاسرائيلية المتكررة التي أحالت منازل بعض القرى إلى أنقاض أصدر وزير الداخلية الأردني التصريح التالي : « إن الأردن مصمم على أن يضرب بيد من حديد أولئك الذين تؤدي أعمالهم إلى إعطاء اسرائيل مبرراً للعدوان ضد المواطنين الأردنيين الآمنين » .

ورغم الأعمال الاستفزازية وغير المسؤولة التي كانت تقوم بها فصائل المقاومة في الأردن ، لم يتخذ الملك حسين أية إجراءات جدية لوقف نشاطها ، بل أعطى الضوء الأخضر لرئيس الأركان اللواء عامر خماش لتبني مفهوم الدفاع التعرضي والرد على العدوان الاسرائيلي بالمثل . ولما كانت القوات العراقية (٢٥٠٠٠) الموجودة في الأردن تشارك القوات الأردنية مسؤولية الدفاع عن الضفة الغربية ، فقد شاركت مدفعيتها المدفعية الأردنية في الرد على الاعتداءات الاسرائيلية بقصف المواقع العسكرية والمستعمرات التي تنطلق منها النار على المواقع الأردنية .

وفي غياب القوة الجوية الأردنية ، القادرة على توفير السيطرة الجوية المحلية أو الرد على العدو ، كانت وحدات المدفعية ـ المدربة ـ جيداً ومسلحة بأحدث المعدات الأمريكية ، وتتمتع بمستوى عال من الضبط والربط والمعنويات العالية ـ هي ذراع الجيش العربي القوية (المتوفرة) للرد على الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة في مبارزات يومية غير متكافئة . وكان العدو يلجأ إلى قصف المدفعية الأردنية بسلاحه الجوي عندما تكون الإصابات شديدة والخسائر كبيرة .

جرت محاولات جادة للتنسيق بين أعمال المقاومة ـ خاصة فتح ـ والقوات المسلحة الأردنية ، ولاقت تلك المحاولات بعض النجاح خاصة مع الفدائيين الذين يتخذون من وادي الأردن قاعدة لعملياتهم . ومن أهم تلك القواعد في الغور الأوسط (بلدة الكرامة) التي تقع على الطريق العام بين الشونة الجنوبية ومثلث المصري على بعد ٥ كم من سد وادي شعيب . ويسكن الكرامة عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين الذين يعملون في الزراعة في وادي الأردن .

اتخذ الفدائيون مخيمات اللاجئين قواعد لتدريب عناصرهم على أعمال القتال التي تناسبهم . وكانت أهم القواعد تقع في وادي الأردن (من نهر اليرموك شمالاً حتى العقبة جنوباً) . ومع أن الكرامة اعتبرت أهمها على الاطلاق لموقعها المتوسط وقربها من العاصمة عمان ووجودها قرب خط

وقف إطلاق النار بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، إلا أنه لم يكن فيها عند نشوب معركة الكرامة أكثر من ٥٠٠ مقاتل من مختلف المنظمات .

عشية معركة الكرامة في أوائل عام ١٩٦٨ أجريت بعض التغيرات في المناصب القيادية في الجيش العربي ، فقد نقل اللواء مشهور حديثه الجازي ليعمل نائباً لرئيس الأركان وحل محله العميد (الفريق نائب القائد العام فيما بعد) قاسم المعايطه قائداً للفرقة الأولى ونقل قائد سلاح المدفعية الملكي العميد (الفريق رئيس الأركان والسفير وعضو مجلس الأعيان فيما بعد) محمد خليل عبد الدايم ليعمل قائداً للفرقة الثانية ، كما تسلم العقيد صالح الكردي قيادة سلاح الجو الملكي .

ولما فشلت اسرائيل في منع الفدائيين من التسلل نهائياً إلى داخل الأرض المحتلة والرماية على المستعمرات قررت في الأسبوع الثالث من آذار عام ١٩٦٨ مهاجمة قرية الكرامة في غور الأردن الأوسط وتدمير قواعد الفدائيين فيها واحتلال مرتفعات السلط حيث مواقع المدفعية الأردنية والتقدم إلى عمان إذا سمح الموقف بذلك . وقد جاءت النتيجة لصالح الجيش العربي الباسل وحركة المقاومة الفلسطينية وكسباً نفسياً وعسكرياً للعالم العربي بأسره .

معركة الكرامة : ٢١ آذار عام ١٩٦٨

لم تبدأ معركة الكرامة في الساعة ٠٤٣٠- ساعة بدء الهجوم ـ التي حددها الاسرائيليون وأخذت طلائعهم تعبر نهر الأردن ، بل بدأت في اللحظة التي توقفت فيها حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، ففي الوقت الذي بدأت فيه القيادة العامة الأردنية تعيد تنظيم قواتها وتأخذ خطاً دفاعياً جديداً يوقف الزحف الصهيوني على الأرض العربية ، وتزايدت أعمال المقاومة الفلسطينية ضد العدو المغتصب ، بدأ العدو غاراته الانتقامية ضد الأهداف المدنية فقتل الأبرياء ودمر المنازل وأتلف المزروعات .

ولم يكن الهدف الحقيقي لمعركة الكرامة القضاء على قواعد الفدائيين في بلدة الكرامة ، لأن ذلك خارطة ٢٩ العذر غير صحيح من الناحية العسكرية إذ يستطيع الفدائيون تغير قواعدهم باستمرار ، ولكن اسرائيل أرادت ـ كما دلت خطتها المبينة في الوثائق التي أخذت من أرض المعركة ـ تحقيق الأهداف السياسية التي لم تستطع تحقيقها في حزيران عام ١٩٦٧ .

فقد خططت اسرائيل للهجوم على جبهة واسعة ، والاختراق في النقاط الضعيفة ، ثم الاندفاع لتأمين الأهداف الحيوية التي تناسب استراتيجيتها . وفي معركة الكرامة خططت لاحتلال مرتفعات مؤاب والبلقاء (السلط) والوصول إلى مشارف عمان للضغط على الأردن من أجل فرض الحل السياسي الذي تريده . ولكن بدلاً من ذلك تلقت صفعة على وجهها من قوات الجيش العربي الباسلة ردتها إلى صوابها وأوقعت بها خسائر لم تصب بها اسرائيل في حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

قبل المعركة بأسبوع دعا الحاكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية رؤساء البلديات العرب إلى قيادته وأبلغهم أنهم مدعوون للغداء معه في عمان يوم ٢١ آذار عام ١٩٦٨ (يوم الكرامة) . وهكذا

كانت القوات الاسرائيلية متشوقة لمعركة جديدة تلقن الجيش العربي فيها درساً قاسياً ، ولكن خاب ظنها وتلقنت هي الدرس على يد القوات الأردنية الباسلة .

في ١٤ آذار عام ١٩٦٨ وصل إلى القيادة العامة الأردنية معلومات تفيد بوجود حشود معادية على طول الواجهة الأردنية من طبريا شمالاً حتى غور الصافي جنوباً . وفي الأيام التالية ضاعف العدو نشاطه في الكشف والاستطلاع والتصوير على طول الواجهة الأردنية ، مع وجود نشاط مكثف على واجهة الفرقة الأولى في القطاع الأوسط . وكانت الفرقة تدافع بثلاثة ألوية في الأمام ولواء مدرع احتياط ، حيث كانت القوات الأردنية لا تزال في مرحلة إعادة التنظيم ، ينقصها السلاح والذخيرة والمعدات .

وفي مقابل ذلك حشد العدو مجموعة فرقة تساندها المدفعية مؤلفة من الوحدات التالية :

أ . اللواء المدرع الاسرائيلي السابع (وهو لواء نظامي مشهور خاض معارك سيناء سابقاً)
ب . اللواء المدرع ٦٠ إحتياط يعتقد أن بعض عناصره تقدمت على جسر داميا .
ج . لواء المشاة ٨٠ .
د . لواء المظليين ٣٥ (وقد نزلت منه كتيبة على التلال الواقعة شرقي الكرامة) .
هـ . طائرات هيلوكبتر لإنزال المظليين داخل الكرامة .
و . خمس كتائب مدفعية وأربع أسراب جوية[١] .

ازداد الموقف وضوحاً في الأيام التالية ، حيث أصدرت مديرية الاستخبارات العسكرية الأردنية تقريراً مفصلاً بينت فيه حركات العدو ونواياه المحتملة . وفي يوم ٢٠ آذار عام ١٩٦٨ . جمع قائد الفرقة الأولى (قسم أمره)[٢] وشرح لهم الموقف كاملاً ، وأكد أن العدو يعد لعدوان جديد (قريب جداً) وطلب اتخاذ جميع التدابير الكفيلة بهزيمة العدو ومنعه من تحقيق قصده .

وكانت الفرقة تدافع بلواء القادسية على محور العارضة ، ولواء الأميرة عالية على محور وادي شعيب ، ولواء حطين على محور ناعور ، واللواء المدرع ٦٠ احتياط في الخلف وكتيبة دبابات موزعة على قوات الحجاب في الأمام .

كانت خطة العدو تقضي بأن يسلك الطرق التي تمر فوق الجسور الثلاثة وتؤدي إلى الضفة الشرقية وهي : طريق جسر داميا (الأمير محمد) وتؤدي إلى مثلث المصري ، ثم يتفرع منها طريق مثلث العارضة ـ السلط ـ عمان ، وطريق (ترابي) من مثلث المصري ـ عين فنوش ـ الصبيحي ـ السلط ـ عمان وطريق أريحا ـ جسر الملك حسين (اللنبي) ـ الشونة الجنوبية وادي شعيب ـ

(١) وثائق العدوان الاسرائيلي التي التقطت من أرض معركة الكرامة يوم ٢١ أذار سنة ١٩٦٨ والمحفوظة بالقيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية ـ المعرب .

(٢) قسم الأمر يتألف من القادة وضباط الأركان المعنيين بتلقي الأوامر من القائد مباشرة ويعتمد عدد أفراده ومستواهم على مستوى القيادة التي تصدر الأمر ـ المعرب .

السلط ـ عمان . وأخيراً مثلث النبي موسى ـ أريحا ـ جسر الأمير عبد الله (سويمة) ـ ناعور ـ عمان . غابت شمس يوم ٢٠ آذار وحل الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وكل ضابط وجندي يرقب بدء المعركة بفارغ الصبر .

وتحت جنح الظلام كانت فوهات البنادق وسبطانات المدافع والدبابات الأردنية صامتة مستعدة للانطلاق عند سماع كلمة (ارم) ، وكانت عيون الجنود والضباط تشع بالترقب كلما اقترب الفجر المصبوغ بلون الأرجوان . واتجهت القلوب والأفكار إلى الغرب تستشف ما يخبئه القدر ـ كان البعض يصلي ويدعو الله أن يمنحه الشهادة والنصر لجيشه ـ واشتد الصمت وتثاقل على قلوب الأبطال ، حتى كاد كل جندي يهمس « متى تأتي ساعة المعركة » .

في تلك اللحظة ، في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين (٠٤٣٠) من فجر يوم ٢١ آذار عام ١٩٦٨ زمجرت المدافع وضربت جنازير الدبابات وجه الأرض وداست أقدام المعتدين ماء النهر (المقدس) . في تلك الدقيقة انطلقت الأصوات على الأثير عبر أسلاك التليفون والأجهزة اللاسلكية تعلن بدء الهجوم الصهيوني عبر نهر الأردن لتسحق الجيش العربي الصامد وتطفىء النور المنبعث من بطاح الأردن (قلب الأمة العربية النابض) في صورة العمل الفدائي الفلسطيني .

حاول العدو الهجوم على جبهة واسعة على جميع المحاور في القطاع الأوسط والجنوبي (محور غور الصافي) الذي يؤدي إلى الكرك ثم عمان . وقد استخدم مجموعات قتال على كل محور ، مكونة من الدبابات والعربات المدرعة (نصف المجنزرة) فبدأ هجوماً صامتاً لمفاجأة القوات الأردنية ، ولما كشفت محاولاته الأولى لاجتياز النهر ، بدأ باستخدام المدفعية وسلاح الجو بكثافة عالية . وركز في قصفه الجوي على ضرب جميع المواقع الأمامية ، ثم الدفاعات الخلفية ومواقع الاحتياط وخطوط المواصلات والتزويد التي تصل إلى واجهة الفرقة ، ولم ينس مواقع المدفعية التي كانت تصب حممها على قواته المتقدمة .

بدأت قوات العدو تحاول العبور من ثلاث نقاط رئيسية : جسر الأمير محمد (داميا) وجسر الملك حسين (اللنبي) وجسر الأمير عبد الله (سويمة) ، وتصدت قوات الحجاب لمحاولات العبور وأوقعت بها خسائر فادحة ، وكان لضباط ملاحظة المدفعية (على النهر) دور كبير في صد موجات العبور الأولى . واستشهد قسم من هؤلاء عندما قاموا برماية أهداف تخليص الأرواح[١] (SOS) على المواقع التي وصلتها قوات العدو ، ومنهم الملازم خضر شكري ومجموعته والملازم عيسى سليمان ومجموعته .

استطاعت قوات الحجاب المعززة بالدبابات ومدافع المقاومة صد المحاولات الأولى لعبور العدو على جسر الأمير محمد (داميا) ، كما أحبطت تماماً محاولته اجتياز جسر الأمير عبد الله (سويمة) على

(١) هدف تخليص الأرواح (SOS) عبارة عن موقع تدافع عنه القوات الصديقة وعندما يحاول العدو احتلاله تطلب رماية المدفعية عليه رغم الخطر المتوقع على القوات الصديقة وطالب الرماية نفسه ـ المعرب .

واجهة لواء حطين بعد أن عزز قائد اللواء قوة الحجاب بقوات إضافية .

قام العدو بعدة محاولات لاجتياز جسر الأمير محمد بكتيبة دبابات وكتيبة مشاة آلية واستطاع الوصول إلى غرب مثلث المصري بقليل ، ولكن قوة الحجاب ووحدات لواء القادسية الأمامية استطاعت وقف تقدمه نحو المرتفعات ، وأجبرته على الانسحاب غرب النهر في الساعة ١٣٠٠ ، بعد أن دمر وتعطل قسم كبير من آلياته ، ووقعت في صفوفه خسائر فادحة ، وتمكنت فئة الدبابات الأردنية بقيادة الملازم شهاب مفضي أبو وندي ونائب الفئة الرقيب عبد الفتاح عبد الكريم المعايطة من صد المحاولات الأولى لعبور العدو وتدمير عدد كبير من آلياته ودباباته .

في بلدة الكرامة نزلت قوات المظليين من اللواء ٣٥ على مشارف التلال المطلة على البلدة من الشرق واشتبكت مع قوات المشاة وفصائل المقاومة التي كانت في القرية ، وصدت محاولتها الأولى والثانية مما جعل العدو يستخدم الطيران في قصف المنطقة بما فيها القرية . ونجح في المرة الثالثة في دخول البلدة ودار قتال عنيف استشهد فيه نحو ٦٠ فدائياً وأسر ما يزيد على أربعين ، وقامت مجموعة المظليين الاسرائيلية بنسف منازل القرية بما فيها المدرسة والمسجد والعيادة الصحية .

حاول العدو اجتياز جسر الملك حسين (اللنبي) بالجهد الرئيسي فتصدت له قوات الحجاب بمختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة ورماية المدفعية ولما اشتد الضغط عليها بدأت تقاتل قتالاً تراجعياً لتلتحق بالمواقع الرئيسية ، فدفع العدو باللواء المدرع السابع تسانده مجموعة قتال من لواء المشاة ٨٠ ، وعندما وصل غور نمرين (غرب بلدة الشونة الجنوبية) انقسم إلى ثلاثة أرتال : رتل اندفع في شكل مروحة إلى اليسار واستطاع رغم القتال الضاري الاتصال بقوات المظليين في بلدة الكرامة ، ورتل ثان انحرف إلى اليمين في حركة إحاطة للقوات المدافعة جسر الأمير عبد الله ومحاولة احتلال مثلث الكفرين ـ البحر الميت ومنع وصول النجدات للقوات الأمامية من لواء حطين ، إلا أن قائد اللواء العميد بهجت المحيسن أحبط تلك المحاولة وأجبر العدو على التراجع إلى الغرب ، كما قضى على محاولة العدو عبور النهر على واجهة اللواء بعد أن تمكنت فئة دبابات بقيادة الملازم محمد راضي العبد الله ومساندة المدفعية من صد محاولات العبور على جسر الأمير عبد الله وإفشال عملية التجسير هناك .

كما تمكن لواء حطين من منع العدو من الوصول إلى طريق سويمه ـ ناعور . أما الرتل الثالث فقد اتجه مباشرة للشرق على محور الشونة ـ وادي شعيب السلط ووقعت معركة عنيفة مع وحدات لواء الأميرة عالية (بقيادة العقيد كاسب صفوق) حيث استطاعت وحدات المشاة بأسلحة مقاومة الدروع الخفيفة والمتوسطة أن توقع قوات العدو المدرعة (المتقدمة عبر بيارات الشونة) في المصيدة وتلحق بها خسائر فادحة ـ قدرتها وكالات الأنباء بأكثر من خسائر حزيران عام ١٩٦٧ ـ وقد لاقت كتيبة الدبابات التي كان يقودها بيليد نفس المصير الذي لاقته الفرقة البريطانية ٦٠ على يد القوات التركية قبل ٥٠ عاماً (سنة ١٩١٨) عندما حاولت التقدم من نفس المكان شرقاً إلى

السلط . ولا شك أن وصول بعض فئات[١] كتيبة الدبابات الأردنية (الاحتياط) إلى تلة الحاووز ومنطقة الكفرين ساعد على ايقاف تقدم العدو أمام سفوح المرتفعات المطلة على الشونة الجنوبية . كانت المعركة عنيفة وقاسية لم تتوقع القوات المعتدية أن تخسر فيها كثيراً ، واستطاعت قوة الجيش العربي الصغير (بالتعاون المشترك بين المشاة والدروع والمدفعية وكأنهم رجل واحد) ، أن تهزم قوة العدو المتفوقة في العدد والعدة ، خاصة سلاح الجو الذي لم يترك خندقاً ولا آلية إلا وقصفها . ولأول مرة في تاريخ العدو يلح على الأمم المتحدة في طلب وقف إطلاق النار وترفض الأردن . ولأول مرة يجبر على ترك دباباته وآلياته وقتلاه على أرض المعركة . وقد شاركت عناصر المقاومة ـ التي بقيت في الكرامة ـ رجال الفرقة الأولى في تصديهم لقوات العدو الصهيوني ، وقاتلت هذه العناصر بشجاعة نادرة .

وطبقاً للتقارير الأردنية خسر العدو ما يزيد على ٧٠٠ قتيلاً وجريحاً وتدمير ٢٠ دبابة و ٢٠ عربة نصف مجنزرة . وقد أكد هذه الأرقام قسم كبير من سكان الضفة الغربية وبعض وكالات الأنباء الأجنبية . أما الخسائر التي تركت على أرض المعركة فتزيد على ٢٠ دبابة وآلية مختلفة و ٨٨ آلية (تم سحبها غرب النهر) وإسقاط ٧ طائرات . وبلغت خسائر العدو (المشاهدة والموصوفة في الأرواح ٢٥٠ قتيلاً و ٤٥٠ جريحاً بينما خسرت القوات الأردنية ٢٠٧ شهداء و ٢٥ دبابة بالاضافة إلى ٦٠ شهيداً و ٢٠ جريحاً و ٤٠ أسيراً من الفدائيين .

وفي اليوم التالي للمعركة كان الملك حسين وبرفقته رئيس الأركان الفريق عامر خماش يتفقد أرض المعركة ويشاهد دبابات العدو المحترقة ويصافح الأبطال الذين حطموا الأسطورة الاسرائيلية (العدو الذي لا يقهر) . ولم ينم الملك حسين طوال المعركة بل بقي في غرفة العمليات يشارك القادة ويعطي توجيهاته بصدق وعزيمة . وعندما سنحت له أول فرصة ذهب يتفقد أرض المعركة مخالفاً نصائح الضباط بعدم الذهاب . وفي مثل هذه الظروف يتجلى التلاحم بين القائد الأعلى وجنوده ، ويمثل تلك الثقة بكسب النصر .

خرج العدو من هذه المعركة خاسراً على الصعيدين المادي والمعنوي ، خسارة لم يكن يتوقعها أبداً ، حتى تساءل كثيرون من نواب الكنيست الاسرائيلي عن الخسائر الحقيقية وشككوا في الأرقام المعلنة . وعلى الصعيد السياسي وصمت اسرائيل بالعدوان وأدانتها دول كثيرة . وكانت المرة الأولى التي تضطر اسرائيل فيها إلى ترك قتلاها وآلياتها المدمرة على أرض المعركة .

وقد ساهم المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك حسين في توضيح الصورة الحقيقة لعدوان اسرائيل أمام الرأي العالمي وتحديها لقرارات الأمم المتحدة ومبادىء العدل والسلام .

أما بالنسبة للشعوب العربية ، والشعب الأردني وقواته المسلحة خاصة ، كانت معركة الكرامة

(١) استشهد أحد قادة الفئات الملازم محمد هويمل ـ المعرب .

نقطة تحول هامة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ . ففي هذه المعركة انتصر الحق العربي على الغطرسة والعدوان الاسرائيلي ، ومن هذه المعركة خرج العرب بدروس كثيرة أهمها : أن من أسباب النجاح المعلومات المبكرة ، والتخطيط الجيد ، والتدريب ، والإعداد ، والشجاعة ، والتضحية . وأثبتت معركة الكرامة صمود الجيش الأردني وتحطيم أسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر .

فقد خططت القيادة الأردنية لهزيمة العدو وأتاحت الفرصة لجنود مؤمنين بالحق أن يقاتلوا دفاعاً عن الوطن . ورغم أن المعركة لم تكن متكافئة حيث التفوق المطلق في العدد والعدة في جانب العدو ـ نتيجة لدعم أمريكا ودول الغرب لاسرائيل وتدفق الأسلحة والمعدات عليها بعد حرب حزيران مباشرة ـ مقابل قوات الجيش العربي التي خرجت من معركة حزيران لا تملك سلاحاً ولا ذخيرة إلا القليل ، ولم يصلها شيء جديد إلا بعد معركة الكرامة ، بدعم متواضع من الدول العربية والصديقة . وهكذا ثبت للعالم أجمع أن الجندي العربي قادر على تحقيق النصر إذا ما أتيحت له الفرصة لقتال الأعداء ، وكما قال الملك حسين في كلمته التي وجهها لجنوده البواسل بعد المعركة :

« يا إخوة السلاح ... لقد كنتم أمثولة يعز نظيرها في العزم والايمان ، في التصميم والثبات ، وضربتم في الدفاع عن قدسية الوطن والذود عن شرف العروبة ، أمثولة ستظل تعيش على مر الزمان ، وكان ما حققتموه بدمائكم في معركة الخميس (٢١ آذار) نقطة تحول في مجرى الحوادث ، بعد أن سارت على هوى الخصم فترة منذ تلك الأيام السود من حزيران عام ١٩٦٧ ، فرددتم إلى أمتنا بعض ما أضاعته . وجسدتم أمامها صورة فريدة في الثبات في وجه الشر والعدوان ـ وأقمتم من أنفسكم رمزاً للتصميم على الحياة الكريمة أو الموت في سبيل الدفاع عن الحق والوطن والذود عن كل ذرة من التراب الطهور . فلاغرو إذا اعتز الأردن والعرب بالدرع الصامد الثابت المكين والجند الأوفياء الأشداء حماة العروبة وأبطال الشرف ورجال الفداء »[١] .

(١) من خطبة الملك حسين بعد معركة الكرامة ـ المعرب .

الفصل العاشر

حوادث الأمن الداخلي وتطور القوات الاسرائيلية وعقيدتها القتالية

٢٩ - حوادث الأمن الداخلي[١] : سنة ١٩٧٠

كانت معركة الكرامة نصراً رفع من معنويات الأردن والعرب عموماً . ولكن لسوء الحظ كان بداية لسوء تفاهم بين حركة المقاومة الفلسطينية والجيش العربي الأردني بقي يتطور ويتفاقم حتى وصل إلى نهايته المأساوية في أيلول سنة ١٩٧٠ . فقد بالغت حركة المقاومة في دورها في المعركة على حساب الجيش العربي وتدفق الفدائيون إلى عمان وغيرها من المدن وحاولوا التدخل في شؤون هي من اختصاص السلطة القائمة وفي البداية تعاطف الملك حسين مع حركة المقاومة وأعلن أنه لايستطيع قمع أناس فقدوا وطنهم وفقدوا معه كل شيء وقال « أعتقد أننا وصلنا إلى وضع أصبحنا فيه كلنا فدائيين » كما كان الملك قد وافق في مؤتمر القمة بالخرطوم على حق الفلسطينيين وفي تقرير مصيرهم بعد زوال الاحتلال الصهيوني .

وقد حدث صدام في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٨ بين منظمة النصر الفدائية والجيش العربي في جبل الأشرفية وجبل الحسين في عمان وسقط ضحايا من الطرفين .

وفي شهر حزيران سنة ١٩٦٩ عين الملك حسين اللواء الشريف ناصر بن جميل قائداً عاماً للقوات المسلحة واللواء الركن عامر خماش وزيراً للدفاع واللواء الركن علي الحياري رئيساً للأركان . وفي أوائل سنة ١٩٧٠ ساءت العلاقة بين الملك حسين والمقاومة بسبب تصرفات بعضهم غير المقبولة وكانت منظمة فتح بقيادة ياسر عرفات ميالة عموماً إلى عدم التدخل في شؤون السلطة الأردنية . أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة الدكتور جورج حبش والجبهة الشعبية الديمقراطية بقيادة نايف حواتمه فكانتا أكثر تطرفاً وميلاً إلى التدخل في أمور السلطة في الأردن . والملاحظ أن المقاومة كانت تفتقر إلى التماسك والتنسيق بين منظماتها وإلى قيادة مركزية مسيطرة .

وكان هناك انقسام في الرأي تجاه المقاومة في الضفة الشرقية فقد رأى البعض قمع حركة المقاومة فوراً وبشدة ، بينما نصح آخرون بالتريث ومحاولة التوصل إلى وفاق سياسي مع المقاومة .

وفي ١٠ شباط سنة ١٩٧٠ زار الملك حسين القاهرة وأخذ موافقة الرئيس عبد الناصر على الحد ـارطـة ٣٠
من أية تصرفات خاطئة يقوم بها الفدائيون دون اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية ضدهم وأصدر

(١) سماها المؤلف « الحرب الأهلية » ـ المعرب .

حوادث الأمن الداخلي وتطور القوات الاسرائيلية وعقيدتها القتالية

الفريق محمد رسول الكيلاني وزير الداخلية الأردني آنئذ أمراً يحظر على الفدائيين حمل الأسلحة داخل المدن ويطلب إليهم ضرورة تسجيل السيارات الخاصة بهم من عمان وإليها فانتقدت المقاومة هذه الإجراءات وأعفي الفريق الكيلاني من منصبه في محاولة من الملك حسين لتضييق نطاق الخلافات . بيد أن التوتر ظل يخيم على العلاقات بين الجيش والفدائيين إلى أن انفجر الموقف في أوائل صيف سنة ١٩٧٠ عندما أطلق الفدائيون النار على مكتب الاستخبارات العسكرية الأردنية وعلى موكب الملك حسين مما أدى إلى وقوع اشتباكات بين الجيش والفدائيين . واستغنى الملك عن عدد من كبار مستشاريه في محاولة لإرضاء المقاومة وهم الشريف ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة والشريف زيد بن شاكر مساعد رئيس الأركان للعمليات ومحمد رسول الكيلاني وزير الداخلية السابق ووصفي التل رئيس وزراء سابق وعين اللواء الركن مشهور حديثه الجازي قائداً عاماً للقوات المسلحة كما عين عبد المنعم الرفاعي رئيساً للوزراء وكلاهما من الشخصيات المقبولة لدى المقاومة . تضايق الجيش من هذه الإجراءات لكن الملك نصح بضبط النفس والتحلي بالصبر .

وقد وصلت لجنة عربية للوساطة تمثل الجزائر وتونس ومصر والسودان وليبيا بناء على دعوة من الملك حسين وفي تموز سنة ١٩٧٠ عقدت اتفاقية بين الحكومة الأردنية وحركة المقاومة (ممثلة بياسر عرفات) تحت إشراف اللجنة العربية المذكورة على أن تعترف الاردن باللجنة المركزية ممثلة لحركة المقاومة ، وتقبل بوجود الفدائيين في الاردن ، وأن تنقل المقاومة قواعدها ومستودعاتها من المدن والقرى الأردنية إلى المواقع الأمامية ويتعهد أفرادها بعدم حمل السلاح داخل المدن والقرى .

لم تكن قيادة حركة المقاومة قادرة على التقيد بالاتفاقية ليس لأنها غير راغبة في ذلك فحسب بل بسبب تعدد القيادات واختلاف أيديولوجيتها وأسلوب عملها . فقد كانت الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش ، والجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة تنهجان أساليب متطرفة لتحرير فلسطين ، ترفضان كل الحلول السلمية . من هذا المنطلق لم تعمر الاتفاقية التي عقدت بين حركة المقاومة والحكومة الأردنية طويلاً بسبب قبول الملك حسين والرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز . فقد رفضت حركة المقاومة تأييد المبادرة واندلع العنف من جديد وبدا الأمر وكأنه رفض لسياسة عبد الناصر القومية . ولم يؤيده سوى منظمة فلسطين العربية ـ بقيادة أحمد زعرور ومحمد أبو سمرة ـ التي اشتبكت مع عناصر من فصائل المقاومة الأخرى التي أرادت التشهير بعبد الناصر . وينبع موقف منظمة فلسطين العربية هذا من اتجاه قادتها ومعظمهم من العسكريين السابقين والمؤمنين بالفكر الناصري وقد حلت المنظمة نفسها بعد الحرب الأهلية سنة ١٩٧٠ وانضم معظم عناصرها إلى حركة فتح .

خارطة ٣١

وفي أوائل أيلول قامت الجبهة الشعبية بخطف طائرة سويسرية وأخرى أمريكية وثالثة بريطانية أنزلتها في مطار دوسون (قيعان خنه) وطائرة أمريكية رابعة في مطار القاهرة وقامت بتدمير جميع هذه الطائرات بعد إخراج ركابها منها . واستمرت الفوضى والاضطراب ، وفي ٥ أيلول رفض الملك حسين اتفاقية جديدة بين رئيس الوزراء عبد المنعم الرفاعي وياسر عرفات واستقال رئيس الوزراء وعقد الملك اجتماعاً مغلقاً مع كبار مستشاريه وتقرر اتخاذ عمل عسكري حاسم ضد حركة المقاومة . وشكلت حكومة عسكرية من الضباط وأحيل اللواء مشهور حديثة على التقاعد وأعيد المشير حابس المجالي قائداً عاماً للقوات المسلحة ووجه الملك خطاباً قال فيه أنه قرر استعادة القانون والنظام .

مقابل ذلك اعتبرت المقاومة خطاب الملك إعلاناً للحرب عليها فدعت إلى الإضراب العام وبدأت الاشتباكات بين الجيش والفدائيين صبيحة ١٧ أيلول سنة ١٩٧٠ . ويجدر بنا عقد مقارنة موجزة للقوات المتصارعة في هذه الحوادث المأساوية .

مقارنة القوى : في أوائل سنة ١٩٧٠ أعيد تنظيم الجيش العربي فأصبح يضم فرقتي المشاة الأولى والثانية ، وفرقة مدرعة . وشكلت الفرقة الرابعة الآلية من لواء آلي ولواء الحرس الملكي وقد ألحق لواء مدرع بكلّ من فرقتي المشاة اللتين كانتا تدافعان عن الجبهة مع العدو الصهيوني بالاضافة إلى لواء سعودي كان يدافع عن المنطقة الجنوبية من الاردن .

وتألف سلاح الجو الملكي الاردني من سربي هوكر هنتر وسرب معترض ف ـ ١٠٤ وسرب طائرات نقل وطائرات هليكوبتر وبلغ مجموع عدد القوات المسلحة الأردنية في آب سنة ١٩٧٠ أكثر من ٦٥ ألف مقاتل يضاف إليهم لواء أمن مؤلف من ٣ كتائب وقوة شرطة من خمسة آلاف فرد ، أما قوات المقاومة فقد تألفت من ٢٥ ألف مقاتل وحوالي ٥٧ ألف من الميلشيات موزعة كالتالي : ١٢ ألف مقاتل و ٤٠ ألف ميلشيا في عمان والسلط و ١٠ آلاف مقاتل و ١٠ آلاف ميلشيا في أربد وعجلون و ٣ آلاف مقاتل و ١٥ ألف ميلشياً في الزرقاء وحوالي ٥ آلاف ميلشيا في الكرك وكانوا مسلحين في الغالب ببنادق الكلاشنكوف والسيمونوف وقذائف ر . ب . ج المضادة للدروع وهاونات عيار ٨٢ ملم . كما كان في الأردن ٢٥ ألف جندي عراقي .

خطة الحرب وسير القتال

كانت خطة القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية تهدف أولاً إلى إخراج كافة فصائل المقاومة من المدن ولا سيا عمان خلال ٤٨ ساعة . وكان الهدف الثاني عزل حركة المقاومة في القطاع الشمالي وإبطال فعاليتها ثم اخراجها من أربد والمدن الأخرى . وفي الكرك لم يكن وجود الفدائيين مشكلة أما في العقبة فقد كلف لواء المشاة هناك بحصرهم ونقلهم خارج حدود المنطقة إلى قواعد خارجية حُددت مسبقاً .

ولتنفيذ الخطة قسمت الأردن إلى ثلاث قطاعات :

أ) **قطاع عمان** : تألفت القوات الأردنية في هذا القطاع من فرقة المشاة الأولى ناقصة لواء + اللواء المدرع ٦٠ ومن الفرقة الآلية الرابعة والقوات الخاصة وقوات الأمن . وكان يقابل هذه القوات ٥٢ ألف فدائي بين مقاتل وميلشيا . خارطة ٢

ب) **قطاع أربد** : تألفت القوات الأردنية في هذا القطاع من فرقة المشاة الثانية + اللواء المدرع/٤٠ يقابلها ٢٠ ألف فدائي مقاتل وميلشيا ولواء جيش التحرير من سوريا .

ج) **قطاع الزرقاء** : قيادة الفرقة المدرعة/٣ + اللواء المدرع ٩٩ + مراكز التدريب والوحدات المركزية مقابل ١٨ ألف فدائي .

احتدم القتال بشدة وضراوة في جميع القطاعات ونظراً لتحصن الفدائيين في الأبنية داخل عمان والمدن الأخرى وصعوبة قتال الشوارع ، لم يستطع الجيش تطهير عمان من الفدائيين بصورة كاملة .

أما في قطاع أربد فلم تتدخل القوات العراقية لصالح الفدائيين بل بقيت على الحياد وانسحبت إلى الشرق ولكن القوات السورية تدخلت إلى جانب المقاومة لكنها اضطرت للانسحاب خصوصاً بعد أن أصبح الموقف الدولي منذراً بالخطر إذ هددت الولايات المتحدة واسرائيل بالتدخل العسكري إذا لم ينسحب السوريون .

في قطاع الزرقاء تمكن الجيش من السيطرة على الموقف بعد قتال شديد ، وفي أثناء القتال وصلت بعثة وساطة عربية برئاسة الرئيس السوداني اللواء جعفر النميري وعقد مؤتمر قمة عربي عاجل لحقن الدماء حضره القادة العرب ومنهم الملك حسين كما حضره ياسر عرفات عن المقاومة . وانتهى المؤتمر باتفاقية القاهرة التي وقعها جميع الرؤساء . ومن أهم ما ورد فيها وجوب انتقال الفدائيين إلى قواعد أمامية في مواجهة العدو الاسرائيلي ووجوب توفير الدعم الكامل لحركة المقاومة لتنفيذ واجبها المقدس وكان ذلك في ٢٧ أيلول سنة ١٩٧٠ . وجاءت لجنة عربية مشتركة برئاسة الباهي الأدغم (تونس) للإشراف على تنفيذ الاتفاقية .

لقد تصدعت المقاومة رغم أنه لم يتم القضاء عليها . وحاولت منظمة فتح التقيد بالاتفاقية ولكن الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لم تحذوا حذو فتح وجاء ذلك مبرراً لتصفية حركة المقاومة في الأردن نهائياً وتم ذلك على مرحلتين :

المرحلة الأولى : إخراج الفدائيين من عمان وأربد إلى مناطق ريفية وتم ذلك في نيسان سنة ١٩٧١ عندما خرج الفدائيون وتمركزوا في منطقة عجلون .

المرحلة الثانية : إخراج الفدائيين من منطقة عجلون وبالتالي من الأردن كلية وقام الجيش بالتعاون مع أهالي تلك المنطقة بتنفيذ ذلك خلال أيام قليلة في تموز سنة ١٩٧١ .

الجيش العربي الهاشمي

لقد كانت هذه الحرب مأساة مريرة وكلفت آلاف الضحايا بين قتيل وجريح . ولكنها أثبتت ولاء الجيش العربي الأردني للعرش والنظام وتماسك هذا الجيش . كما ظهر من هذه الحرب ومن حرب الحدود مع اسرائيل أن حركة المقاومة لوحدها لم تكن قادرة على تحرير الأرض دون مساعدة الجيش النظامي ، وأنها عاجزة عن دحر القوات النظامية . كما كان استخدام الدبابات والناقلات المدرعة في المناطق المبنية أمراً يفتقر إلى الحكمة .

أساءت المقاومة بصورة عامة تقدير قوة الجيش العربي الأردني وأساءت فهم نفسيته ، وتناسى البعض مساعدة هذا الجيش للمقاومة في مرات كثيرة أثناء محاولاتها العبور إلى الأرض المحتلة . وكان أن دفعت المقاومة الثمن بإخراجها نهائياً من الساحة الأردنية .

التطورات بعد انتهاء حوادث الأمن الداخلي (الحرب الأهلية) عامي ١٩٧٢-١٩٧٣

في آذار سنة ١٩٧٢ أعلن الملك حسين مشروع المملكة العربية المتحدة الذي يضم الضفة الشرقية والضفة الغربية في اتحاد فدرالي تتمتع فيه الضفتان باستقلال ذاتي تحت تاج الملك حسين . لكن عدة دول عربية وقفت ضد هذا المشروع ولا سيما مصر وسوريا والعراق وليبيا . وقطعت علاقاتها مع الأردن كما توقفت معظم المساعدات العربية المالية عنه وعاد الأردن إلى عزلته حتى عشية حرب رمضان ١٩٧٣ عندما تحسنت علاقاته مع مصر وسوريا . ورغم أنه لم يكن يعلم بحرب رمضان إلا أنه هرع لمساعدة الأشقاء السوريين عندما طلب إليه ذلك .

أما القوات المسلحة الأردنية فلم تتطور كثيراً بين سنة ١٩٧٠ وسنة ١٩٧٣ . فقد جاءتها مساعدات محدودة من الولايات المتحدة ، وضن عليها الأشقاء العرب بالدعم المالي المناسب . وكان من التطورات التي حدثت تشكيل الفرقة المدرعة الخامسة من وحدات كانت موجودة سابقاً وأعيد تنظيمها من جديد وهي لواء مدرع ولواء آلي . كما تم تشكيل لواء قوات خاصة (صاعقة) من كتيبتين كانتا موجودتين من قبل وبقي المشير حابس المجالي قائداً عاماً ولكن الشريف زيد بن شاكر أصبح رئيساً للأركان . وعند نشوب حرب رمضان سنة ١٩٧٣ كانت القوات المسلحة الأردنية مؤلفة من فرقتي مشاة وفرقتي دروع وفرقة آلية ولواء قوات خاصة وسبعين طائرة مقاتلة .

٣٠ - تطور القوات الاسرائيلية وعقيدتها القتالية ـ المرحلة الرابعة سنة ١٩٦٧ ـ سنة ١٩٧٣

جاءت نشوة النصر السريع الحاسم الذي أحرزته القوات الاسرائيلية في حرب سنة ١٩٦٧ في غير وقتها وقصيرة الأمد عندما أيقظها التعرض المصري والسوري من غفلتها يوم ٦ تشرين الأول
سنة ١٩٧٣ . لقد أخطأ الاسرائيليون في تقدير العرب واحترامهم لذاتهم وشعور الكرامة لديهم كما خارطة ٣٣
ظنوا أن العرب لن يكونوا قادرين على شن حرب هجومية .

حوادث الأمن الداخلي وتطور القوات الاسرائيلية وعقيدتها القتالية

وقد أحدثت حرب حزيران جرحاً عميقاً في نفسية الأمة العربية فصممت على الثأر والاستعداد ، كما صمم الروس بدورهم على إنقاذ حلفائهم في مصر وسوريا من الوضع الذي تردوا فيه . فقاموا بجهود خارقة في تدريب الجيوش المصرية والسورية وتسليحها . وبالنسبة لمصر تم ذلك على مراحل ثلاث :

أولاً : مرحلة الإعداد ، وقد بدأت في آذار سنة ١٩٦٨ . وكانت مرحلة إعادة تنظيم القوات المسلحة وبنائها بمساعدة السوفييت . وكان عليها الإعداد والصمود خلال هذه المرحلة .
ثانياً : مرحلة الدفاع الوقائي وتبدأ في ٣١ آذار سنة ١٩٦٩ .
ثالثاً : مرحلة حرب الاستنزاف وتبدأ في حزيران سنة ١٩٦٩ لإرغام الاسرائيليين على الجلاء عن قناة السويس وشبه جزيرة سيناء .

وقد رد الاسرائيليون بقصف مدفعي على المواقع المصرية وإنشاء خط بارليف على ضفة القناة الشرقية لمنع المصريين من اجتيازها وبغارات جوية في عمق مصر إضافة إلى غارات تقوم بها القوات الخاصة (الكوماندوز) الاسرائيلية المحمولة جواً على مواقع مصرية منتخبة . وللحد من تأثير الغارات الاسرائيلية طلب الرئيس عبد الناصر من الاتحاد السوفييتي شبكة دفاع جوي وكذلك تزويده بطائرات سوفياتية حديثة . وقد لبى الاتحاد السوفييتي طلبات عبد الناصر في المعدات وزوده بالخبراء والطيارين لتشغيلها .

وانتهت حرب الاستنزاف في آب سنة ١٩٧٠ عندما اتفقت مصر واسرائيل على وقف إطلاق النار بموجب مبادرة روجرز وتحت إشراف الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، كما قبل الأردن وقف إطلاق النار على طول نهر الأردن .

ومع أن استراتيجية عبد الناصر في حرب الاستنزاف لم تحقق هدفها النهائي وهو إرغام اسرائيل على الجلاء عن القناة وسيناء إلا أنها واصلت الضغط على الجيش الاسرائيلي فأوقعت به خسائر في أغلى عنصر لديه وهو القوة البشرية وأجبرته على تبني أسلوب الدفاع غير المرغوب فيه ، وحدّت من القصف الجوي للأراضي المصرية وأتاحت الفرصة لزيادة كفاءة الجيش المصري واستعادته ثقته بنفسه .

ولكن اسرائيل كانت مطمئنة إلى خط بارليف واعتقدت أنه سيمنع المصريين من اجتياز القناة ، وأنه حتى لو نجح المصريون في عبور القناة فإن الدروع الاسرائيلية كفيلة بصدهم . أما المصريون فقد انصرفوا للتخطيط والاعداد الدقيقين من أجل مفاجأة اسرائيل وتحييد سلاحيها الرئيسين الدروع والطيران وشلهما في حرب التحرير القادمة .

ولا سبيل إلى إنكار أن اسرائيل حققت فوائد استراتيجية هامة نتيجة لحرب حزيران فقد أوقف احتلال الجولان قصف المدفعية السورية للمستوطنات الاسرائيلية ، وشكل تهديداً للعاصمة

دمشق . أما في القطاع الأوسط فقد وصلت حدود اسرائيل إلى نهر الأردن وتقلصت حدودها مع الأردن إلى حوالي النصف من ٥٦١ ميلاً إلى ما دون ٣٠٠ ميل . وبوجود مرتفعات الضفة الغربية في قبضة اسرائيل أصبح من العبث محاولة الجيش العربي الأردني القيام بأي هجوم معاكس ناجح . وعلى الجبهة الجنوبية أو المصرية استندت الدفاعات الاسرائيلية إلى مانع مائي ـ قناة السويس ـ يصعب اجتيازه وخط دفاعي قوي تستطيع تهديد القاهرة من خلفه ، كما أن صحراء سيناء بعمقها البالغ ١٥٠ ميلاً قد أبعدت أي تهديد مصري جدي للمدن الاسرائيلية . يضاف إلى ذلك أن مدة الطيران بين قواعد السلاح الجو الاسرائيلي ومدن شمال مصر قد تقلصت إلى النصف (من ٣٠ إلى ١٥ دقيقة في المعدل) . وصارت المسافة بين المراكز الاسرائيلية الأمامية وبين دمشق وعمان حوالي ٣٠ ميلاً .

تطلبت حدود اسرائيل بعد حرب حزيران إعادة النظر في استراتيجيتها وعقيدتها القتالية . فقد وصل الجيش الاسرائيلي إلى حده الأقصى في الاندفاع باحتلال هضبة الجولان ونهر الأردن وقناة السويس ولم يعد بإمكانه المحافظة على زخم الهجوم لو أراد أن يتقدم أكثر من ذلك . ولو تم تزويد الأردن بمزيد من السلاح والدفاع الجوي الملائم لزاد موقف اسرائيل صعوبة .

اضطرت اسرائيل لاتخاذ موقف دفاعي بسبب التوسع الذي حققته في حرب حزيران وضغوط الدول الكبرى عليها . فقد سمحت الدول لاسرائيل بعمليات رد جوي وغارات محدودة ولكنها منعتها من شن هجوم رئيسي . وقد ورطها ذلك في حرب استنزاف على الجبهة المصرية . كما أنها تعرضت لغارات الفدائيين فردت على هذه الغارات بأسلوبين : الأول سياسي اجتماعي وهو سياسة الجسور المفتوحة لتخفيف حدة التوتر في نفوس سكان الضفة الغربية وفتح سوق العمل للعمال العرب في اسرائيل وعدم دخول الجيش الاسرائيلي للمناطق العربية إلا لأسباب أمنية . وساعد هذا الاسلوب في امتصاص النقمة إلى حدٍ ما من نفوس سكان الضفة « وعزل السمكة عن الماء » أي عزل حركة المقاومة عن الشعب . أما الأسلوب الثاني فكان أسلوب القمع العسكري باستخدام القصف المدفعي والغارات الجوية المتكررة . يضاف إلى ذلك استخدام حواجز من الأسلاك المكهربة على طول الحدود والاستعانة بالدوريات المتنقلة لمطاردة الفدائيين . ولجأت اسرائيل أيضاً إلى أسلوب الرد المتدرج ضد الدول التي ينطلق منها الفدائيون ولا سيا الأردن في الدرجة الأولى فقد قصف الاسرائيليون أربد رداً على قصف بيسان وقصفوا العقبة رداً على قصف ايلات وبقي تبادل الضربات بين القوات العربية واسرائيل حتى عشية حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣ .

ومن أجل تلبية متطلبات الدفاع والاقتصاد في القوة البشرية ، شرعت اسرائيل في حملة تحقق لها الاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتي في الصناعات العسكرية . وزادت فترة الخدمة الاجبارية من ٣٠ إلى ٣٦ شهراً وفترة الخدمة السنوية الاحتياطية من شهر واحد إلى شهرين . كما ارتفعت

موازنتها العسكرية ارتفاعاً حاداً من ١٦٠ مليون دولار سنة ١٩٦٦/١٩٦٧ إلى ٧٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٠/١٩٧١ . وتسلمت أسلحة من صنعها المحلي مثل طائرة كفير المقاتلة القاذفة ، وصاروخ جبرييل بحر بحر وصاروخ أريحا أرض أرض إضافة إلى دفع نشاطها في الأسلحة النووية إلى الأمام . واشترت كميات هائلة من الأسلحة والمعدات من الولايات المتحدة مثل الطائرات وصواريخ الهوك م/ط وقوارب الدورية السريعة والغواصات والدبابات الحديثة (م/٦٠ أ) الأمريكية والمدافع ذاتية الحركة أو المحمولة من عيارات ١٥٥ و ١٧٥ مم . وقدرت قوة اسرائيل الجوية عشية حرب رمضان بأربعمائة طائرة مقاتلة تقريباً . أما قواتها البرية فكانت تشمل ١٧٠٠ دبابة على الأقل .

ومن ناحية العقيدة العسكرية تبنت اسرائيل مفهوم الدفاع الاستراتيجي وذلك بسبب حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس وعمليات الفدائيين ومكافحتهم من الجبهات الثلاث ، وهضم الكميات الهائلة من الأسلحة المتطورة . وكان هذا على نقيض مفهوم التعرض الاستراتيجي وحرب الابادة والحركة الذي تبنته اسرائيل في حرب سنة ١٩٦٧ .

وبذلت جهود كبيرة من أجل تطوير المنظومة الإدارية لتمكينها من دعم جميع القيادات من الجولان حتى سيناء . وحسب المصادر الاسرائيلية « فإن الجيش الاسرائيلي سنة ١٩٧٣ كان يختلف كلية عما كان عليه عندما خاض حرب سنة ١٩٦٧ وكسبها . فقد أصبح يتمتع بهيئة جديدة من القادة وبنية مختلفة عن ذي قبل من الجنود الذين اختلفت خبراتهم وتدريبهم عما كانت عليه سنة ١٩٦٧ . ونادراً ما حدث أن جيشاً منتصراً مر بتغير سريع جذري كالذي مر به الجيش الاسرائيلي رغم نجاحه في ميدان القتال » .

ورغم هذا كله فقد كادت اسرائيل تنهار لولا الجسر الجوي الأمريكي الذي أنقذها من الدمار باعتراف كيسنجر وزير خارجية أمريكا وشلزنجر وزير الدفاع الأمريكي في فترة حرب رمضان (تشرين) سنة ١٩٧٣ .

لقد دخل الجيش الاسرائيلي حرب تشرين سنة ١٩٧٣ وهو يتمتع بقيادة من الطراز الأول وقادة محترفين يتمتعون بأفضل خبرات عسكرية وقدرات قتالية . ولكنهم كمعظم قادة الجيوش المنتصرة ارتكبوا خطأ فادحاً في تقدير جيوش كانوا قد هزموها في ثلاثة حروب سابقة . وما من شك في أن التخطيط الاستراتيجي المصري والسوري والتعرض الأولي (في بداية الحرب) وتكتيك الهجوم الذي شنته القوات المصرية والسورية يوم ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ كان متفوقاً جداً على الأساليب الاسرائيلية .

صحيح أن القيادة الاسرائيلية أسرعت إلى تعديل خططها وأساليب قتالها لتواجه الموقف الجديد وغير المتوقع . ولكنها كانت تتأرجح على حافة الهاوية وكادت تسقط فيها لولا أن سارعت أمريكا إلى إنقاذها .

الفصل الحادي عشر

حرب رمضان وما بعدها

٣١ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : تشرين الأول سنة ١٩٧٣

السير نحو المعركة سنة ١٩٧٢ - سنة ١٩٧٣

جرت محاولات عديدة لاسترداد الحقوق العربية التي اغتصبتها اسرائيل في عدوانها في حزيران سنة ١٩٦٧ ولكنها تحطمت على صخرة العناد الاسرائيلي ابتداءً من مؤتمر الخرطوم في آب سنة ١٩٦٧ الذي كان شعاره السلام العادل والدائم وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وإزالة آثار العدوان ، إلى القرار رقم ٢٤٢ الذي أصدره مجلس الأمن في تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ ودعا اسرائيل إلى الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلت (سنة ١٩٦٧) إلى وساطة يارنغ بعد ذلك ثم مشروع روجرز وزير الخارجية الأمريكية الذي قبلته مصر والاردن في تموز سنة ١٩٧٠ ، إذ تملصت اسرائيل من ذلك كله .

في ذات الوقت كانت دول المواجهة العربية وهي الأردن ومصر وسوريا تحاول جهدها استعادة قوتها العسكرية لدعم مطالبها في حالة فشل الجهود السياسية ، وبالفعل وضع الرئيس عبد الناصر فكرة حرب التحرير وأخذ يعد العدة بصمت وجدية فائقتين وبمعونة الخبراء السوفيات . وبعد وفاته في ٢٨ أيلول سنة ١٩٧٠ تبنى خليفته أنور السادات الفكرة ذاتها وإن كان المعتقد أنه كان ينوي حرب محدودة لتحريك القضية دون تحقيق التحرير الشامل في البداية .

أخذ السادات يعلن أن سنة ١٩٧١ ستكون سنة الحسم ثم أجل ذلك إلى وقت آخر . ويبدو أن رئيس الخبراء الروس كان ضد فكرة الحرب الشاملة ضد اسرائيل . وفي تموز سنة ١٩٧٢ أخرج السادات الخبراء العسكريين الروس من مصر ، وفي كانون الأول سنة ١٩٧٢ اجتمع مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية للنظر في المفهوم الاستراتيجي والخيارات المفتوحة وإمكانية إعادة إنشاء قيادة سورية مصرية مشتركة . وفي هذا الاجتماع طرح السادات فكرة الحرب المحدودة بالتنسيق مع سوريا . وقد عارض الفريق محمد أحمد صادق قائد القوات المصرية هذه الفكرة وطالب بشن حرب شاملة ضد اسرائيل فأعفاه السادات من منصبه وعين الفريقَ (المشير فيما بعد) احمد اسماعيل علي بدلاً منه واللواء سعد الدين الشاذلي رئيساً للأركان واللواء محمد عبد الغني الجمصي مديراً للعمليات الحربية . وطلب من القائد العام الجديد إعداد الجيش المصري للحرب .

فى ١٩٧٣/١/٣١ عقد مجلس الدفاع العربي تحت اشراف القيادة الموحدة للقوات المصرية



٤٤- جلالة الملك حسين يتفقد حرس الشرف في عمان عام ١٩٥٦ يرافقه رئيس أركان الجيش العربي الأردني اللواء علي أبو نوار.

٤٥- الملك حسين يلقي كلمة في بعض الوفود التي امت القصر الملكي لتعبر عن ولائها للعرش الهاشمي بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في نيسان عام ١٩٥٧ .





٤٦



٤٧

٤٦- الفريق علي علي عامر رئيس هيئة أركان القيادة العربية المشتركة أثناء زيارته التفقدية عام ١٩٦٦ لأحد المواقع العسكرية قرب خط الهدنة (عام ١٩٤٩) في الضفة الغربية .

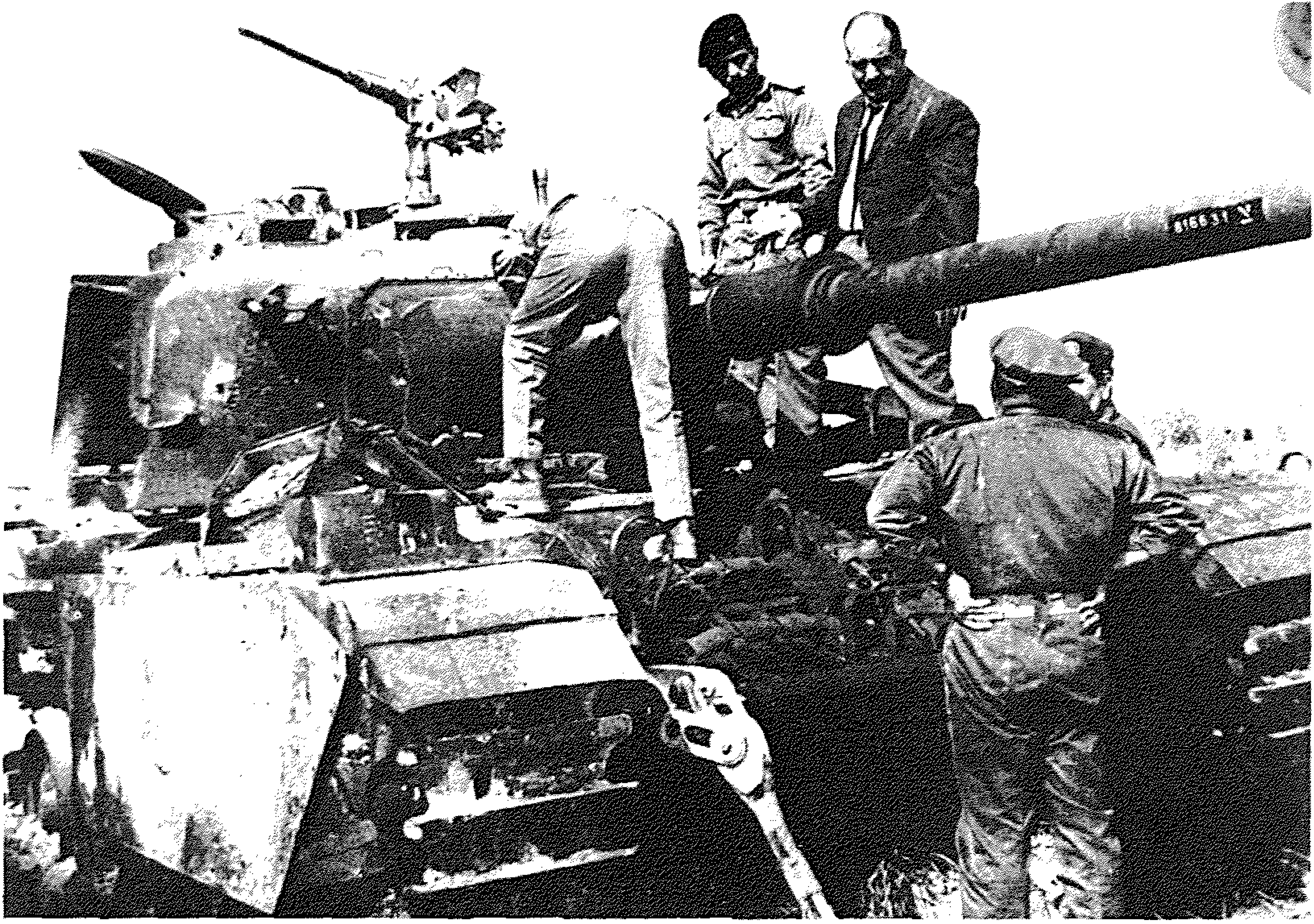
٤٧- رتل دبابات (م -٤٧) من اللواء المدرع ٦٠ تتحرك إلى مواقعها في منطقة أريحا (غرب النهر) يوم ٢ حزيران عام ١٩٦٧ .

٤٨- اللواء عامر خماش (رئيس الأركان من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٦٩) يتفقد مركز تدريب المجندين في الزرقاء .

٤٩- جلالة الملك حسين يتفقد مواقع الفرقة الأولى (مشاة) بعد معركة الكرامة في آذار عام ١٩٦٨ وبرفقته اللواء خماش واللواء مشهور الجازي والعميد بهجت المحيسن ، وإلى اليسار والخلف يظهر سمو الأمير محمد يرتدي الطاقية السوداء (البريه) .


٤٨


٤٩



٥٠



٥٠- الملك حسين يتفقد دبابة اسرائيلية على أرض المعركة في الكرامة في آذار عام ١٩٦٨ وبرفقته اللواء الشريف ناصر بن جميل (في اللباس المدني) .

٥١- سمو ولي العهد الأمير حسن يتفقد صاروخ توضد الدبابات في أحد مراكز التدريب .

٥٢- قرية في محافظة أربد بعد تعرضها لغارة اسرائيلية أثناء حرب الاستنزاف (من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٠) بين الأردن واسرائيل .

٥٣- الملك حسين يلقي كلمة في جنود وضباط الفرقة الآلية الرابعة أثناء حرب الحدود وعلى يمينه سمو الأمير حسن (ولي العهد) وعلى يساره العميد الشريف زيد بن شاكر والعقيد كاسب صفوق .



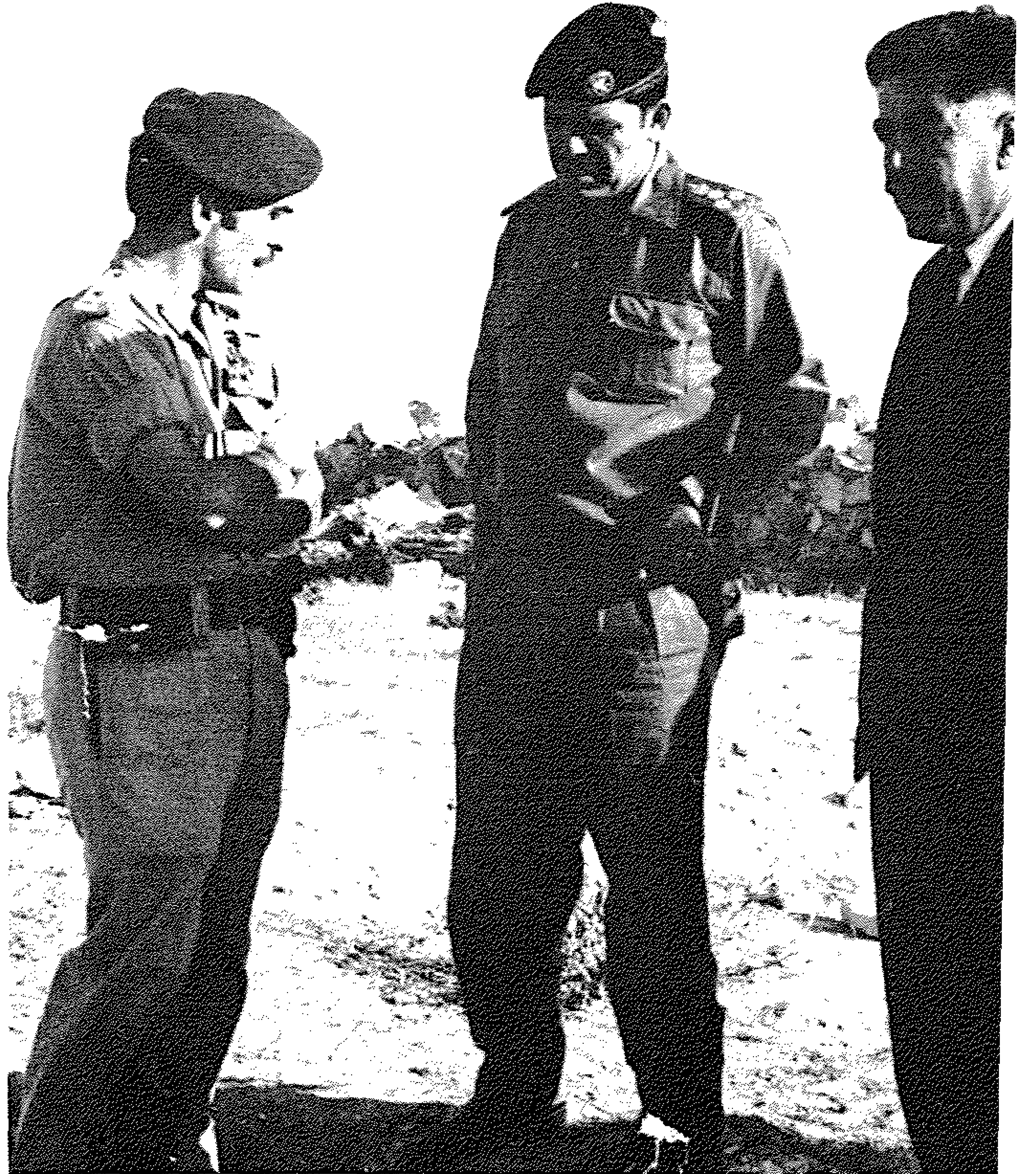
٥٢



٥٣



٥٤



٥٤- مجندات خدمة العلم (الأردنيون) في معسكر التدريب بالزرقاء عام ١٩٧٦ أدخل نظام خدمة العلم للمرة الثانية في الأردن في منتصف السبعينات .

٥٥- الملك حسين وبرفقته رئيس الوزراء (وصفي التل) يتحدث إلى قائد الفرقة ٢ العميد عطاالله غاصب بعد انتهاء العمليات في قطاع جرش - عجلون في تموز عام ١٩٧١ .

٥٦- الملك حسين يتحدث إلى أفراد لواء الأمن بعد الحرب الأهلية عام ١٩٧٠ ويظهر في الصورة الأمير محمد باللباس المدني والأمير حسن (ولي العهد) باللباس العسكري والبريه السوداء .

٥٧- الملك حسين أثناء زيارته لقيادة الفرقة المدرعة الثالثة (الأردنية) في الجولان عام ١٩٧٣ ويبدو إلى يمينه الشريف زيد بن شاكر وإلى يساره العميد علاوى جراد (قائد الفرقة) .

٥٥

٥٦



٥٧



٥٨



٥٨- قائد اللواء المدرع ٤٠ العميد خالد هجهوج (من الفرقة المدرعة الثالثة الأردنية) يصدر أوامره إلى قادة الكتائب قبل عملية الهجوم في الجولان .

٥٩- الأمير رعد بن زيد بن الحسين يزور الكلية العسكرية الملكية في الزرقاء ويشاهد إلى يساره اللواء قاسم المعايطة (نائب القائد العام للقوات المسلحة الأردنية) وإلى يمينه آمر الكلية العميد الركن محمد الصمادي .

٦٠- سمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال يتسلم هدية تذكارية عبارة عن نموذج لدبابة م -٦٠ الأمريكية من العقيد صالح عليان قائد اللواء المدرع ٦٠ وبجانبه قائد الفرقة المدرعة الثالثة (العميد علاوي جراد) .

٦١- الملك حسين أثناء لقائه بالملك فيصل بن عبدالعزيز بالرياض في السعودية .


٦٠


٦١



أ



ب



ج



ز



ك

٦٢ - قادة/رؤساء أركان الجيش العربي الأردني : من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٧٩ :

أ اللواء إف. جي. بيك ـ رئيس أركان : من كانون الثاني عام ١٩٢٣ إلى أيار عام ١٩٣٩ .

ب الفريق جون باجت جلوب ـ رئيس أركان : من حزيران عام ١٩٣٩ إلى آذار عام ١٩٥٦ .

ج اللواء راضي حسن عناب ـ رئيس أركان : من آذار عام ١٩٥٦ إلى أيار عام ١٩٥٦ .

د اللواء علي عبد القادر أبو نوار ـ رئيس أركان : من أيار عام ١٩٥٦ إلى نيسان عام ١٩٥٧ .

هـ الفريق علي أحمد الحياري ـ رئيس أركان : نيسان عامي ١٩٥٧ و ١٩٦٩ .

و الفريق عامر خماش ـ رئيس أركان : من تشرين الأول عام ١٩٦٧ إلى حزيران عام ١٩٦٩ .

ز الفريق مشهور حديثة الجازي ـ رئيس أركان : من حزيران عام ١٩٧٠ إلى أيلول عام ١٩٧٠ .

ح الفريق محمد خليل عبد الدائم ـ رئيس أركان : من تشرين الأول عام ١٩٧٠ إلى آذار عام ١٩٧٢ .

ط الفريق محمد ادريس ـ رئيس أركان : كانون الثاني عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٧٩ .

ى الفريق قاسم المعايطة ـ نائب القائد العام : من تشرين الأول عام ١٩٧٠ إلى حزيران عام ١٩٧٣ .

ك اللواء الشريف ناصر بن جميل ـ قائد عام : من حزيران عام ١٩٦٩ إلى حزيران عام ١٩٧٠ .

ل المشير حابس المجالي ـ رئيس أركان وقائد عام : من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٧ ، ومن عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٧٦ .

م الفريق الشريف زيد بن شاكر ـ رئيس أركان : من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٧٦ .

ن قائد عام : ١٩٧٦



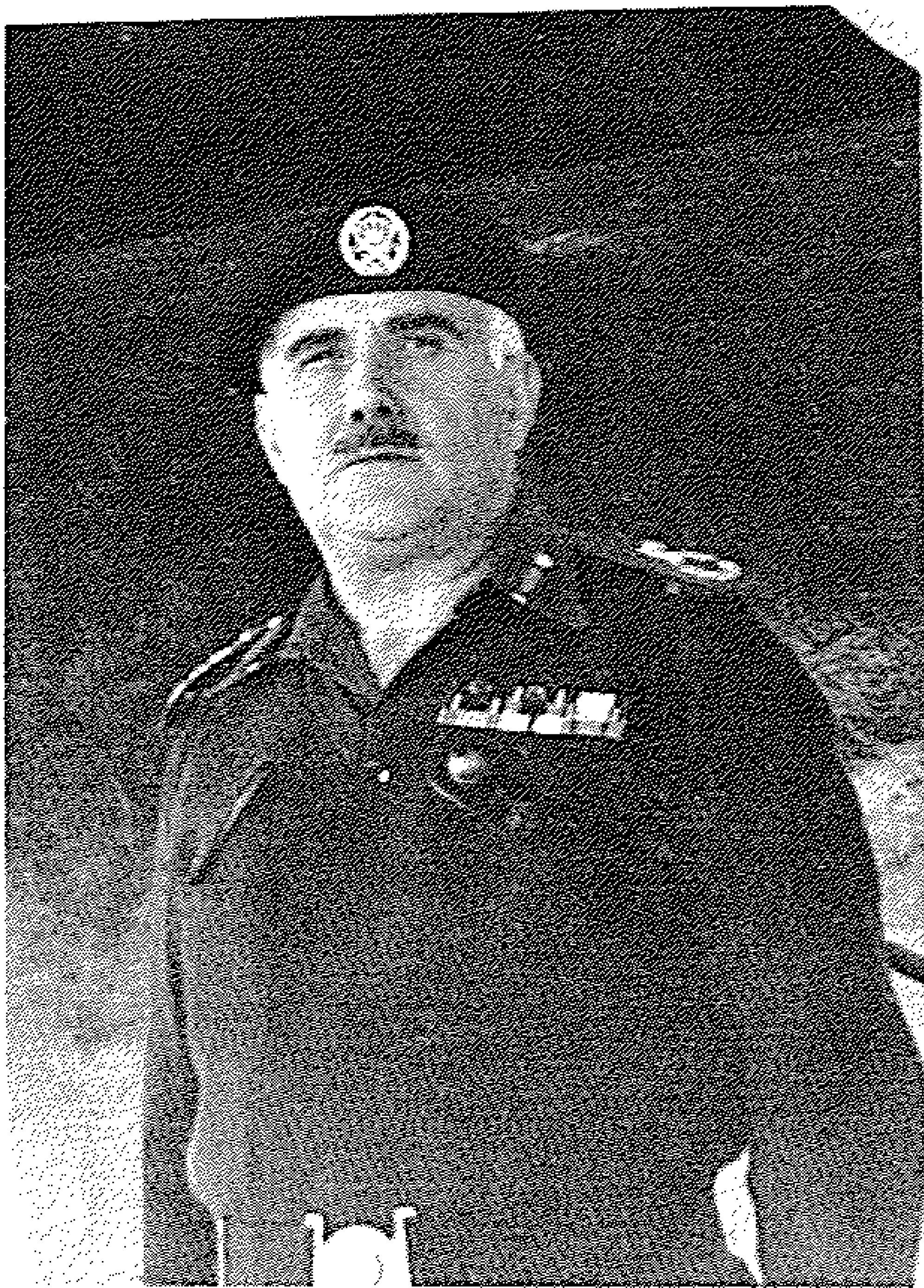


هـ



و





ط



ى





م


٦٣


٦٤


٦٥

٦٣- جلالة الملك حسين لدى استقباله للمغفور له جلالة الملك فيصل الثاني ـ ملك العراق ـ بمناسبة زيارته للأردن سنة ١٩٥٢ . ويشاهد في أقصى اليمين رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى (بالنظارات) والعقيد محمد المعايطة مرافق الشرف للملك الضيف .

٦٤- الملك حسين يرحب بالرئيس حافظ الأسد في أول زيارة رسمية له للأردن في حزيران عام ١٩٧٥ .

٦٥- الملك حسين في لقاء عربي قبل مؤتمر بغداد ، في المفرق (الأردن) مع العقيد معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير (في تشرين الأول عام ١٩٧٨) .



٦٦

٦٦- سمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال في احدى زياراته للفرقة الآلية الرابعة ويشاهد في استقباله العقيد الركن عبد العزيز المعايطه والعقيد الركن علي سالم (١٩٧٨) .

والسورية وتم في الاجتماع الاتفاق على المفهوم الاستراتيجي والشؤون السياسية والعسكرية المتعلقة بالخطة العامة للحرب . وكان القرار يتضمن شن هجوم متزامن على جبهة السويس والجولان مع حملة إعلامية نفسية وسياسية تسبق الهجوم العسكري . وفي نيسان سنة ١٩٧٣ تمّت الموافقة على الخطة العامة للعملية التي أطلق عليها اسم بدر تيمنا بمعركة بدر التي وقعت بين المسلمين والمشركين من قريش في صدر الاسلام . وترك تحديد يوم الهجوم وساعة الصفر لوقت آخر على أن يكون خلال ٧-١١ أيلول أو ٥-١٠ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ وإعطاء مدة عشرين يوماً للعد التنازلي .

وفي ٢٢ آب سنة ١٩٧٣ عقد مؤتمر (سري) مصري سوري للتنسيق النهائي وفي ٢٩ آب سنة ١٩٧٣ ، أرسل الرئيس أنور السادات ممثله الشخصي الدكتور حسن صبري الخولي ووزير الدفاع السوري اللواء مصطفى طلاس إلى الأردن لدعوة الملك حسين إلى مؤتمر مصالحة في القاهرة . وكان من الواضح أن الرئيسين السادات والاسد وجدا من الحكمة استرضاء الملك حسين وكسبه لصفهما قبل بدء المعركة . وبالفعل عقد مؤتمر ثلاثي في القاهرة ضم الحسين والاسد والسادات . وقد أوضح السادات أن من المتوقع تجدد القتال مع اسرائيل دون تحديد نوع القتال وطبيعته وألمح إلى احتمال مهاجمة اسرائيل لسوريا عن طريق الالتفاف على جناح السوريين الأيسر عبر الأراضي الأردنية . ولم يكن الملك حسين يعرف ما سيحدث بالدقة ، (عملية بدر) ولكنه طالب بتوفير إسناد جوي للجبهة الأردنية . كما وافق على مبدأ التدخل في الحرب شريطة أن يحتل السوريون هضبة الجولان ويستردوا الشاطىء الشرقي لبحيرة طبريا . وأوضح أن قواته ستدافع بقوة عن الجبهة الأردنية وستمنع قدر استطاعتها العدو من الهجوم على سوريا عبر الأردن . كما وضع في اعتباره تعزيز القوات السورية بلواء أو لوائين مدرعين إذا اقتضت الضرورة ذلك . لا سيما وأن هذه القوات (الأردنية) ستعمل تحت حماية نظام الدفاع الجوي السوري الجيد . فأعيدت العلاقات الدبلوماسية مع كل من مصر وسوريا .

وفي ٢ و ٣ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ وضعت اللمسات النهائية على الخطة وتحددت ساعة الصفر ويوم الهجوم . وفي يوم ٣ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ التقى اللواء بهاء الدين نوفل رئيس أركان القيادة المشتركة باللواء الشريف زيد بن شاكر وأبلغه باحتمال نشوب الحرب . وقد اعتقدت القيادة الأردنية أن اسرائيل ستعتدي على سوريا ومصر أو أن حرب الاستنزاف ستتجدد ولذلك وضعت القوات المسلحة الأردنية في حالة إنذار قصوى . ولكن المصريين والسوريين احتفظوا بسر ساعة الصفر حتى آخر لحظة فكانت مفاجأة للجميع .

لقد لاحظت امريكا واسرائيل الحشود المصرية والسورية ولكنها فشلت في معرفة النوايا المصرية خارطة ٣٤
السورية حتى يوم ٦ تشرين الأول بالذات . وقد رفضت القيادة السياسية الاسرائيلية السماح بشن ضربة جوية وقائية ضد المطارات وقواعد الدفاع الجوي السورية خوفاً من ردود الفعل السياسية لذلك الهجوم . وكل ما فعله الاسرائيليون أنهم عززوا قواتهم في الجولان بلواء مدرع قبل

بدء العمليات بيوم واحد . وهكذا كانت المفاجأة العربية لاسرائيل كاملة من الناحية العسكرية يوم ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ .

المفهوم الاستراتيجي للعمليات

القيادة العسكرية العربية الموحدة

كان تصور القيادة العسكرية العربية الموحدة لمفهوم العمليات (في عملية بدر) يتلخص في هجوم مفاجيء على جبهتي قناة السويس والجولان والدفاع على الجبهة الأردنية في الوسط . وقد اعتمد المفهوم العربي على التحليل الكامل للأفكار والأساليب الاسرائيلية ، وكان الهدف منه مفاجأة الاسرائيليين نفسياً وعسكرياً .

ولتحقيق ذلك الهدف قامت القيادة العسكرية العربية بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ بدراسة كاملة لعقيدة الجيش الاسرائيلي القتالية ونظرية « الدروع السلاح الحاسم في المعركة » والتفوق الجوي ونظام التعبئة في اسرائيل ، وهيأت لها الحلول المناسبة . وعندما وضعت الخطة العربية أخذت في اعتبارها إمكانية تعبئة الجيش الاسرائيلي خلال ٧٢ ساعة ، ليصبح نحو ٣٧٥,٠٠٠ ، وتفوق سلاح الجو والقوات المدرعة . لذلك تقرر الهجوم تحت مظلة شبكة صواريخ الدفاع الجوي ، واستخدام (سلاح مقاومة الدورع) الذي يحمله جندي المشاة واحتلال رأس الجسر بأقصى سرعة ممكنة ، واستغلال (عيد الغفران الاسرائيلي) حيث تكون القوات الاسرائيلية في أقل درجة من الاستعداد .

نجح الهجوم المصري السوري الأولي في إرباك نظام التعبئة الاسرائيلي والقيادة الاسرائيلية التي أخذت تتخبط من شدة الصدمة . ومع أن هناك بعض الاختلاف في مفهوم العمليات والخطط التعبوية المصرية والسورية ، إلا أن الطرفين اهتما بالجوانب التالية :

(١) تجهيز شبكة دفاع جوي محكمة ، مؤلفة من صواريخ سام ٢-٣-٦ و ٧ معززة بمدافع مقاومة الطائرات (السوفيتية) المؤثرة (نوع ٢٣ ملم و ٣٧ ملم و ١٤,٥ ملم تعمل بالرادار) .

(٢) إعداد حاجز من أسلحة مقاومة الدبابات الخفيفة (التي تحمل من قبل المشاة) مكونة من : صواريخ ساغر ، سنابر ، وسوتر ، التي كان لها دور فعال في بعثرة قوة الهجوم المعاكس الاسرائيلية المدرعة .

(٣) قوة اقتحام كبيرة متفوقة على القوات الاسرائيلية المتمركزة في خط الدفاع الأول بنسبة ١٢ : ١ وشن ضربة وقائية مفاجئة تفقد الاسرائيليين زمام المبادرة ، وتجعل الجيش الاسرائيلي غير قادر على تعبئة قواته ، والاستفادة من ميزة التفوق العددي .

وكانت الخطة (العربية) تعالج المفهوم الاسرائيلي الذي يعتمد على ثلاثة عناصر هي :

(١) ضرورة الحصول على إنذار مبكر لإعلان التعبئة العامة أو القيام بالضربة الوقائية (الأولى) .
(٢) إعطاء الفرصة لعناصر الدفاع الأمامية لتثبيت الجبهة على المقتربات الرئيسية ، حتى تصل قوة وقف الخرق .
(٣) نظام التعبئة السريع (٧٢ ساعة) وشن تعرض استراتيجي معاكس .

في تلك الأثناء كانت اسرائيل تعتمد على سلاحها الجوي في دعم الدفاعات الأمامية وتغطية قوات التثبيت والاحتواء ، بالإضافة لإسناد الهجوم المعاكس المتوقع . وكانت تركز كثيراً على وسائل الردع القوية بعد إعلان التعبئة العامة . وعززت حرب حزيران اعتقاد القادة الاسرائيليين بأن العرب غير قادرين على مهاجمة اسرائيل ، حتى وإن كانت لديهم الشجاعة لفعل ذلك .

مفهوم العمليات المصري والخطة التعبوية لعملية بدر

كانت خطة الهجوم المصري واضحة ومبسطة لتناسب عقلية الجندي المصري وقدراته القتالية . وقد وضعت لتنفذ على مراحل بأسلوب مشابه لأسلوب الجنرال مونتجمري في تنفيذ الهجوم المدبر بعد اجتياز المانع[١] .

وضع تحت تصرف المشير أحمد اسماعيل نحو ٣٣٠,٠٠٠ مقاتل ، ٢٢٠٠ دبابة ، ٢٣٠٠ مدفع ، ١٥٠ بطارية صواريخ ضد الجو ونحو ٤٥٠ طائرة مقاتلة . ونظمت القوات المصرية البرية في جيشين : الثاني والثالث والمنطقة العسكرية الوسطى (المركزية) وتضم منظومة الدفاع الجوي المؤلفة من ٧٥,٠٠٠ رجل ، بالإضافة لاحتياط القيادة العامة الاستراتيجي في مناطق حشده حول القاهرة .

كان الجيشان الثاني والثالث مرابطين على جبهة قناة السويس ، وكانت القوات المصرية العاملة تتألف من : خمس فرق مشاة ، فرقتي دروع ، ثلاث فرق آلية ، لواء مستقل ، لوائي مظلات ، لواء مشاة بحرية ، وحوالي ٢٨ كتيبة مغاوير (صاعقة) . وكانت جميع الفرق منظمة بشكل عام حسب النظام السوفيتي . فكل لواء مشاة يتألف من ٣ كتائب مشاة وكتيبة دبابات (مؤلفة من ٤٠ دبابة) .

كانت خطة الهجوم المصري واضحة ومبسطة لتناسب عقلية الجندي المصري وقدراته القتالية وبقوات ضخمة هي الجيشان الثاني والثالث الميدانيان .

تضمنت الخطة عبور القناة وتأسيس رأس جسر على الضفة الشرقية ثم التثبت وتوسيع رأس خارطة ٣٥
الجسر بعرض ٥-٧ أميال على طول الضفة الشرقية لقناة السويس . وكان متوقعاً صد الهجوم

(١) المانع قد يكون طبيعياً كنهر أو اصطناعياً كحقول الألغام أو القنوات المائية ـ المعرب .

الاسرائيلي وإحباطه لغاية ١١ تشرين الأول (ي + ٥) ومواصلة التقدم يوم ١٦ تشرين الأول (ي + ١٠) باتجاه الممرات . ولم يوضح سبب التوقف لمدة الأيام الخمسة من ١١-١٦ تشرين الأول .

كما تضمنت الخطة أن يكون يوم الهجوم هو ٦ تشرين الأول وساعة الصفر ١٤٠٥ . وتقرر أن تنطلق موجات الاقتحام الأولى وعددها ٨٠٠٠ مقاتل بزوارق مطاطية وسباحة وعلى الجسور وأن تحتل قوة ٨٠,٠٠٠ مقاتل الضفة الشرقية وتؤسس رأس جسر بعمق ٣-٥ كم بحلول الساعة ١٩٣٠ من نفس اليوم . كما دفع سلاح المهندسين بثمانين وحدة هندسية لفتح ما يزيد على ستين ثغرة وبناء عدد من الجسور المؤقتة والدائمة .

وتم خداع الامريكيين والاسرائيليين بايهامهم أن العملية عبارة عن احدى المناورات الكبيرة التي تجرى بتشكيلات كبرى في هذا الفصل من كل سنة . كما أن الاقتحام تم دون تحديد جهد رئيسي مما زاد من إرباك القيادة الاسرائيلية وحيرتها .

ولولا فترة الانتظار من ١١-١٦ تشرين الأول لما استطاعت اسرائيل أن تصحو من دهشتها قبل احتلال مصر لخط الممرات في سيناء لأن هذه الفترة مكنت اسرائيل من انتزاع زمام المبادرة من مصر وماتلا ذلك من نكسات للمصريين .

مفهوم العمليات والخطة التعبوية السورية لعملية بدر

كان مفهوم العمليات التعبوي السوري ـ ضمن الإطار العام الاستراتيجي لعملية بدر ـ يختلف اختلافاً بيناً عن المفهوم المصري في الهجوم على جبهة واسعة لتحقيق أهداف محدودة على الضفة الشرقية للقناة . فقد اتبع السوريون الأسلوب الروسي في الاختراق المستمر الذي يسمح بمفاجأة العدو بحشد قوات كبيرة والهجوم في أمواج متلاحقة مسندة بنار كثيفة من سلاح الجو والمدفعية والتركيز على قطاع ضيق من الجبهة .

طبقاً لهذا المبدأ على المهاجم أن يحافظ على منطقة الخرق (Rupture) مفتوحة لكي تتمكن القوات اللاحقة من الاندفاع عبرها وتطويق قوات العدو وتدميرها . وكان المبدأ سليماً من الناحية النظرية ويمكن تطبيقه بنجاح على جبهة الجولان الضيقة . ولكن تفكير القادة السوريين وتدريبهم كان متأثراً أكثر مما يجب بالمستشارين السوفييت كما أن نفسية الجندي السوري تختلف عن نفسية الجندي الروسي . فكل من الضابط والجندي السوري ذكي وواثق من نفسه معتمد على ذاته . وكان الأفضل إبعاد الأساليب الروسية الجامدة القاسية عنهما . ولذلك فإن النجاح الأولي الذي حققه الجيش السوري تحطم على صخرة الجمود وانعدام المرونة .

تمشياً مع المفهوم السوفييتي للتغلغل المستمر في عمق دفاعات العدو وضعت الخطة على مرحلتين المرحلة الأولى تدمير القوات الاسرائيلية في مرتفعات الجولان حتى منتصف ليلة ٦ تشرين الأول

وفي المرحلة الثانية يتم احتلال الهضبة كاملة بعد تطهيرها من قوات العدو لغاية مساء ٧ تشرين الأول ثم يجرى تطوير العمليات داخل اسرائيل ابتداء من اليوم التالي (صباح يوم ٨ تشرين الأول) .

وكان المفهوم السوري يمثل التعرض على طول الجبهة إلا أنه ركز على الهجوم بجهد رئيسي على ثلاثة محاور : محور الرفيد بالفرقة التاسعة ، ومحور القنيطرة بالفرقة السابعة ومحور الرفيد العال بالفرقة الخامسة . وتمثل المناورة على المحاور الثلاثة حركة كماشة واسعة يمكن تطويرها في اتجاهين رئيسين : القنيطرة ـ كفر نفاخ ـ بنات يعقوب ، والرفيد ـ الخشنية ـ كفر نفاخ .

كان السوريون في سباق مع الزمن قبل أن يتمكن الاسرائيليون من حشد احتياطهم وزجه في المعركة . ومن سوء حظ السوريين أن قادتهم اتبعوا بشكل حرفي وغير مرن الخطط المحضرة سلفا ، وأنهم كانوا يفتقرون إلى حرية التصرف في المواقف الطارئة ، وكانوا مقيدين بعقيدة القتال السوفييتية مما أفقدهم مرتفعات الجولان كاملة . فقد توقفت طلائع الفرقة المدرعة الأولى مساء يوم ٧ تشرين الأول دون سبب مع أنها لم تكن تبعد عن جسر بنات يعقوب أكثر من ثلاثة أميال .

في ٥ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ كانت القوات السورية تحتل جبهة الجولان في مواجهة القوات الاسرائيلية بثلاث فرق في الأمام ، وفرقتي دروع في العمق بين جبل الشيخ في الشمال ونهر اليرموك في الجنوب حسب التوزيع التالي :

فرقة المشاة ٧	القطاع الشمالي : من (حضر) على سفح جبل الشيخ حتى خان أرينبه على طريق القنيطرة ـ دمشق (الجبهة ١٥ ميلاً) .
فرقة المشاة ٩	القطاع الأوسط : من جبا الواقعة جنوب خان أرينبه ـ إلى كودنه ، شمال مثلث الرفيد بثلاثة أميال (الجبهة ١٥ ميلاً) .
فرقة المشاة ٥	القطاع الجنوبي (الرفيد) على طول خط وقف إطلاق النار من الرفيد شمالاً حتى وادي الرقاد جنوباً (الجبهة ١٠ أميال) .
النسق الثاني (احتياط)	
الفرقة المدرعة ١	في منطقة الكسوة جنوب مدينة دمشق على الطريق العام عمان ـ دمشق
الفرقة المدرعة ٣	في منطقة قطنة ، حوالي ٨ أميال غرب دمشق .

بالإضافة لقوات النسق الأول والثاني كان لدى السوريين ثلاثة ألوية دبابات مستقلة وعدد من ألوية المشاة من ضمنها سرايا الدفاع بقيادة رفعت الاسد . وكانت فرقة المشاة السورية تتألف من لوائي مشاة ولواء آلي ولواء دبابات ولواء المشاة يضم ثلاث كتائب مشاة وكتيبة دبابات .

الجيش العربي الهاشمي

مفهوم العمليات الأردني

خلال اجتماع رؤساء دول المواجهة في القاهرة في ١٢ أيلول سنة **١٩٧٣** جرى إبلاغ الملك حسين بإمكانية كسر طوق الجمود السياسي حول قضية فلسطين والأراضي المحتلة من خلال مبادرة سياسية وعسكرية تتخذ شكل حرب استنزاف أو حرب حدود كما حصل على جبهة قناة السويس والجبهة الأردنية بين سنة **١٩٦٧** وسنة **١٩٧٠** ، ويقول الملك حسين أنه لم يعرف عن وجود عملية (بدر) ومداها وحجمها . فكانت مفاجأة تامة له ولقيادة جيشه رغم التلميحات التي ذكرها اللواء بهاء الدين نوفل رئيس أركان القيادة الموحدة . ورغم أن الحكومة الأردنية أعلنت حالة الطوارىء في الأسبوع الأول من تشرين الأول إلا أنها فعلت ذلك وهي تعتقد أن اسرائيل قد تقوم بعمليات انتقامية ضد الأردن رداً على العمليات التي قد يقوم بها المصريون والسوريون على جبهاتهم . وكانت القوات الأردنية المؤلفة من فرقتي دروع وفرقة آلية وفرقتي مشاة ضعيفتين تفتقر إلى الحماية الجوية الفعالة ضد سلاح الطيران الاسرائيلي المتفوق . ولم يكن في وسع الاردن أن يفعل شيئاً أكثر من تثبيت قوات اسرائيلية لا يستهان بها على طول جبهته مع اسرائيل وذلك باتخاذ وضع الدفاع النشط في أحسن الأحوال .

وفي حال غياب الحماية الجوية سيجري تدمير القوات البرية الأردنية من قبل سلاح الجو الاسرائيلي فيما لو حاولت القيام بتعرض غرب نهر الأردن ، الأمر الذي سيفتح الطريق أمام الاسرائيلين لمهاجمة السوريين على محور الرمثا درعا الشيخ مسكين دمشق . كما أن أي « مجهود اسرائيلي ثانوي » عن طريق اختراق الأردن سيتيح لاسرائيل إمكانية تطويق القوات السورية التي تقاتل في مرتفعات الجولان . وهذا الأمر ليس عسيراً على القوات الاسرائيلية المتمتعة بالسيادة الجوية والدعم الجوي . كما يمكنها القيام به عن طريق المقتربات العديدة الموجودة في الجبهة الأردنية على طول نهر الأردن والتي تؤدي بدورها إلى الجبهة السورية المكشوفة بين وادي الرقاد ـ درعا والسويداء .

وجاء عجز الجيش الأردني الصغير الحجم الجيد النوعية العالي التدريب عن المشاركة الفعالة في عملية بدر نتيجة لتقصير الأشقاء العرب في تزويده بالسلاح الكافي بعد سنة **١٩٦٧** . ونظراً لانعدام التوازن بين القوات الأردنية وغيرها من حيث الحجم والقوة الجوية ، فقد كانت القيادة العامة الأردنية محقة في التحرك بحذر ، إذ كانت راغبة في فتح جبهة ضد اسرائيل بعد أن يتمكن السوريون بجيشهم الضخم من تدمير الدفاعات الاسرائيلية في الجولان والاستيلاء على ضفة الأردن الشرقية الواقعة شمال بحيرة طبريا . أما إذا عجز السوريون عن ذلك فإن القيام بأية عملية تعرضية أردنية سيكون كارثة على الجيش الأردني .

وهكذا أمر الملك حسين قواته المسلحة باتخاذ موقف الدفاع في البداية ، وذلك لتحييد قوات القيادة الاسرائيلية الوسطى ، وفي ذات الوقت يوفر الحماية للسوريين من هجوم اسرائيلي يشن

عليهم من جنوب نهر اليرموك . وفي نفس الوقت أيضاً اتخذت ترتيبات أردنية للقيام بهجوم محدود غرب نهر الأردن في حالة نجاح الهجوم السوري في تطهير الجولان بكامله . وعندئذ يمكن التنسيق مع السوريين من أجل عمليات تعرضية داخل اسرائيل للاستيلاء على خط الحولة ـ صفد ـ الناصرة .

وبناء على ذلك تم نشر فرقتي مشاة على طول الجبهة الأردنية في محاذاة نهر الأردن والبالغ طولها نحو سبعين ميلاً . وكان على فرقة المشاة الثانية الدفاع عن القاطع الشمالي من بحيرة طبريا إلى نهر الزرقاء ، ووضعت فرقة المشاة الأولى على جميع المقتربات المؤدية إلى عمان بين نهر الزرقاء والبحر الميت . أما الفرقة المدرعة الثالثة فقد وضعت في العمق شرق أربد خلف الفرقة الثانية لمعالجة أي خرق اسرائيلي موجه إلى درعا ودمشق . كما وضعت الفرقة المدرعة الخامسة شرق عمان خلف الفرقة الأولى لوقف أي محاولة خرق أو التفاف حول منطقة عمان قد تقوم بها اسرائيل لتتجه بعدها بسرعة إلى دمشق عن طريق محور عمان الزرقاء درعا . يضاف إلى ذلك تخصيص لوائين مدرعين من الفرقة المدرعة للعمل في سوريا إذا ما دعت الحاجة لذلك . وسيكون في وسع اللوائين المدرعين العمل بصورة أكثر جدوى تحت حماية مظلة الدفاع الجوي السوري . أما إلى جنوب البحر الميت حيث يوجد مقترب وادي عربة ـ غور الصافي ـ الكرك ـ عمان فقد أوكل أمر المنطقة إلى لواء سعودي معزز وترك أمر الدفاع عن العقبة إلى مجموعة لواء مشاة أردني . وقد بقيت الأردن في حالة ترقب وانتظار منذ التلميح باحتمال نشوب الحرب حتى يوم اندلاع الحرب ذاته . ولا مجال للوم الأردن على اتخاذ موقف سلبي أو متردد أمام الحقائق العسكرية القاسية . وهناك رأي يقول إن الاسرائيلين لو فشلوا في دحر الجيش السوري في الجولان، لربّما عمدوا على الأرجح إلى اختراق الحدود الأردنية في محاولة منهم للقيام بحركة تطويق واسعة للقوات السورية من الجنوب . وهكذا فقد كان موقف الملك حسين يتسم بالحكمة عندما قرر عدم التسرع في خوض الحرب سنة ١٩٧٣ ، وفي ذات الوقت وضع قدراً كبيراً من قوته المدرعة تحت تصرف القيادة السورية العليا . هذا إذا أخذنا في اعتبارنا جهل الملك بعملية بدر جملة وتفصيلاً . وقد برر سير العمليات العسكرية موقف الأردن المتريث وذلك بعد تدمير الهجوم السوري وعبور الاسرائيليين المعاكس لقناة السويس وتطوير هجومهم في تلك المنطقة .

الجدول التالي يبين إمكانيات دول المواجهة العربية واسرائيل الاقتصادية والعسكرية عشية حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣ :

جدول مقارنة بين قوة دول المواجهة العربية وقوة اسرائيل : تشرين الأول سنة ١٩٧٣

الدولة	الدخل القومي بليون	موازنة الدفاع بليون	السكان مليون	القوات المسلحة	دبابات	مدفعية ميدان (بالقطعة)	طائرات مقاتلة	صواريخ ضد الدبابات	صواريخ ومدفعية ضد الجو	قاعدة صواريخ أرض ـ أرض
١ . مصر	٨,٥	٣,١٢٠	٣٦	٣٣٠٠٠٠	٢٢٠٠	٢٣٠٠	٤٥٠	ساغر سوتر سنابر	١٥٠ بطارية صواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦	٢٤ قاعدة سكاد ١٣ (١٨٠ ميل) ١٨قاعدة فروق ٧ (٥٥ ميل)
٢ . سوريا	٢,٥	١,٠٠٠	٧,١٣٠	١٣٥٠٠٠	١٥٠٠	١٢٠٠	٣١٠	ساغر سوتر سنابر سنابر	عدد بطاريات سام ٢- ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦	٤٥قاعدة فروق ٧ فروق ٧
٣ العراق	٥,٠	٠,٨٠٣	١٠,٧٤٠	١١٢,٠٠٠	١٤٠٠	عدد غير معروف	٢٢٠	ساغر سوتر سنابر	عدد من بطاريات سام٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦	عدد من قواعد صاروخ فروق٧
٤ . الأردن	٠,٨	٠,٠٩	٢,٦٤٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	٥٠٠	عدد غير معروف*	٥٠	لا شيء	مدفعية مقاومة طائرات فقط	لا شيء
٥ . اسرائيل م د ٦٦٠	٨,٧	٣,٦٨٨	٣,٢٦٠,٠٠٠	٣٧٥,٠٠٠	١٧٠٠	٥٥٠	٤٠٦	دراجون تو كوبرا س س ١١	هوك شابرول فولكان	صاروخ نوع اريحا مداه (٢٨٠ ميلاً)

* ٢٥٠ مدفع ميدان مختلف ـ المعرب .

مفهوم العمليات الاسرائيلي والخطة التعبوية

يتلخص المفهوم الاسرائيلي للدفاع الاستراتيجي في خطة تعبوية تنفذ على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى : وفيها يقع واجب تلقي الصدمة الأولى وصد القوات العربية المهاجمة على عاتق القوات العاملة التي تحتل المواقع الحصينة على خطوط وقف إطلاق النار ، يعززها سلاح الجو الاسرائيلي بالمساندة الفعالة الكافية . وفي المرحلة الثانية تدخل القتال قوات الاحتياط المحلي (من النظاميين والملتزمين بالخدمة) لتعزيز الخط الدفاعي ووقف قوات الاختراق المعادي . وفي المرحلة الثالثة التي تبدأ مع بداية المرحلة الأولى ـ يدعى الاحتياط العام بعد إعلان التعبئة : حيث يصبح الجيش الاسرائيلي ـ خلال ٧٢ ساعة متكاملاً بعدده البالغ ٣٧٥,٠٠٠ جندي ومستعداً للقيام بتعرض (هجوم) معاكس ودحر القوات العربية خارج المواقع التي تحتلها .

ضمن هذا المفهوم الاستراتيجي والخطة التعبوية وضعت القيادة الاسرائيلية ثلاثة ألوية (منها لواءا دروع) في الخط الدفاعي في مرتفعات الجولان . بينما وزعت مجموعة أربعة ألوية (منها ثلاثة ألوية مدرعة) لتدافع عن خط قناة السويس . وعندما أعلنت حالة الاستعداد في صفوف القوات الاسرائيلية يوم ٥ تشرين الأول حشد قائد المنطقة الشمالية إسحق حوفي ١٧٧ دبابة و ١١ بطارية

مدفعية ، مقابل القوات السورية البالغة نحو ٩٠٠ دبابة و ١٤٠ بطارية مدفعية كانت موجودة في قطاع الجولان .

وفي جبهة السويس كان موقف الاسرائيليين أكثر صعوبة ، حيث حشد المصريون ٥ فرق مشاة ، وفرقتي دروع وفرقتين آليتين ، بالاضافة إلى ٢٠٠٠ مدفع ، مقابل ٤ ألوية اسرائيلية . وقد ذكر الجنرال حاييم هرتزوغ المعلق الاسرائيلي حجم القوات الاسرائيلية التي كانت تدافع على ضفة القناة الشرقية في تعليقه على الحرب كما يلي : « الساعة ١٤٠٠ في يوم ٦ تشرين الأول كان نحو ٤٣٦ جندياً اسرائيلياً يحتلون سلسلة من التحصينات التي يبعد بعضها عن بعض نحو ٧-٨ أميال ، يساندهم عدد محدود من الدبابات (٣) وسبعة بطاريات مدفعية . بالاضافة إلى ٧٠ مدفعاً في العمق ونحو ٢٧٧ دبابة (يفترض وجودها في الخط الأمامي) كانت في الخلف داخل سيناء .

وباختصار لم يصدق الاسرائيليون أنهم سيواجهون الموت يوم عيد الغفران ، لولا التحذيرات المبكرة التي أصدرها رئيس الأركان اليعازر صباح يوم ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ لقائدي الجبهتين الشمالية والجنوبية للقيام بعمليات تثبيت وإعاقة لمدة ٤٨ ساعة حيث يكون الاحتياط مستعداً للقيام بتعرض معاكس استراتيجي .

اعتمد الجنرال إسحق حوفي في دفاعه عن الضفة الشمالية على عاملين : حشد القوات السورية (المقابل) على طول خط وقف إطلاق النار في الجبهة الشمالية وطبيعة المنطقة ذاتها في مرتفعات الجولان . فقد كانت تشمل سلسلة دفاعية أشبه بحدوة الحصان المعلقة بخط مستقيم من الخلف أو حرف (D) الانجليزي ، بحيث يرتكز الخط المستقيم من الغرب على شاطىء بحيرة طبريا الشرقي ومجرى نهر الأردن ، من وادي الحولة وحتى ملتقاه مع نهر اليرموك ويرتكز في الجنوب على مجرى نهر اليرموك ووادي الرقاد ثم يتجه شمالاً حيث تعلو الهضبة لتكوّن جبل الشيخ الذي يرتفع نحو (٣٩٩٦ قدم) ويسيطر على جميع المناطق المحيطة به ويشكل مانعاً طبيعياً من الشمال . ومن المعالم التعبوية البارزة تل الفرس (٣٩٨٩ قدم) الذي يشرف على السهول الشرقية حتى الطريق العام عمان ـ دمشق .

وتستند دفاعات الاسرائيليين (من الشرق) إلى خندق دفاعي على طول خط وقف إطلاق النار عرضه ٤ أمتار وعمقه ٤ أمتار أيضاً معزز بحاجز ترابي وحقول ألغام . وتنتشر فوق الهضبة الصخور البركانية التي تجعل الحركة خارج الطرق المعروفة صعبة ومحدودة .

وهناك أربع طرق رئيسية تخترق الهضبة من وادي الأردن غرباً إلى السهول السورية شرقاً من هذه الطرق : طريق المطلة ـ مسعدة ـ جبل الشيخ ـ القنيطرة وطريق وادي الحولة (جونين) ـ جباتا ـ خان أرينبة ـ سعسع ـ دمشق ، وطريق جسر بنات يعقوب ـ كفر نفاخ ـ دمشق ، وطريق جسر عريك ـ كسبية ـ الخشنيّة ـ الرفيد ويلتقي في بدايته مع طريق الحمة ـ الرفيد ـ الشيخ مسكين للوصول إلى الطريق العام درعا ـ دمشق .

وكانت مدينة القنيطرة هي مفتاح الهضبة السورية والهدف الحيوي في الجولان ، حيث تشكل عقدة مواصلات مهمة تتفرع منها الطرق إلى جميع الاتجاهات . وهناك طريق التابلاين التي تأتي من الشرق وتمر من الجوخدار (جنوب غرب الرفيد) ثم تتجه شمالاً إلى بانياس وتدخل الحدود اللبنانية متجهة إلى صيدا ، بالاضافة إلى طريق مثلث الرفيد ـ القنيطرة ـ مسعدة ـ جبل الشيخ .

كانت قيادة القوات الاسرائيلية في معسكر كفر نفاخ الواقع في الطرف الغربي من الهضبة ، وكان من ضمن قوات المنطقة الشمالية اللواء المدرع السابع الذي وصل قناة السويس سنة ١٩٥٦ .

قرر حوفي القائد الاسرائيلي للجبهة الشمالية الدفاع عن خط وقف إطلاق النار بلوائين ريثما تتم تعبئة الاحتياط حيث توقع أن يهاجم السوريون بجهد رئيسي على محور القنيطرة ـ جسر بنات يعقوب وجهد ثانوي على محور الرفيد ـ العال ـ فيق ـ بحيرة طبريا . كما وضع اللواء المدرع السابع احتياط في كفر نفاخ ، بينما وزع اللواء المدرع (براك) على محور الرفيد في الجنوب واحتفظ بلواء المشاة (جولاني) في خط الدفاع الأمامي يحتل النقاط الحصينة (من أ -١ إلى أ -١١) من سفوح جبل الشيخ حتى وادي الرقاد . ولم يكن تقرب القوات السورية مفاجئا للقوات الاسرائيلية ، لأنها اعتادت أن تفعل ذلك سنوياً حيث تدخل الخط الدفاعي المقابل بعد الانتهاء من مناوراتها السنوية .

كما لم تكن القيادة الشمالية الاسرائيلية قلقة من الحشد السوري ، إذ أعطاها نجاحها في إسقاط مجموعة من الطائرات السورية في المعركة الجوية التي حدثت يوم ١٣ أيلول سنة ١٩٧٣ إحساساً بالتفوق والاطمئنان لقدرتها في التغلب على القوات السورية . وفشل الاسرائيليون في تحليل وتقدير زيارة المشير أحمد اسماعيل إلى دمشق يوم ٣ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ . وقد تكللت خطة المخادعة السورية بالنجاح الذي جاء في حجمه مشابها لخطة المخادعة التي واكبت الحشد الألماني الضخم لتعرض الربيع الذي شن في شمال فرنسا عام ١٩١٨ .

أما في سيناء فقد كانت خطة قائد الجبهة الجنوبية تتلخص في احتواء القوات المصرية إذا اجتازت قناة السويس وتثبيتها في رأس الجسر لمدة ٤٨-٧٢ ساعة إلى أن تتم دعوة الاحتياط وشن هجوم معاكس وتدمير القوة في رأس الجسر . وقد جاء الهجوم المصري على جبهة واسعة مفاجأة للقيادة والقادة الاسرائيليين في جبهة السويس ، كما جاء مطابقاً لأفكار اللواء عبد المنعم رياض الذي قال في عام ١٩٦٧ (لو بدأنا الهجوم لكانت المفاجأة أهم عنصر في الحرب ولأمكن تحقيق النصر) وقد استشهد عبد المنعم رياض قبل أن يرى أمنيته تتحقق بعد استشهاده بأربع سنوات .

سير العمليات الحربية : ٦-٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣

في الساعة ١٣٤٥ يوم ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ بدأت الحرب على الجبهة السورية عندما إنطلقت نحو ٨٠٠ دبابة سورية إلى أهدافها في مرتفعات الجولان ، فقصفت الطائرات قواعد العدو

الجوية ومراكز قياداته ومراكز التشويش الالكتروني واقتحمت الدبابات وفرق المشـاة خط وقف اطلاق النار. وفي الساعة ١٤٠٥ قامت الطائرات (القاذفة والمقاتلة) المصرية بقصف القواعد الاسرائيلية الجوية وآبار النفط ومراكز القيادة في سيناء، وتبع ذلك قصف جوي ومدفعي لكافة خطوط العدو الدفاعية ومراكز قياداته في خط بارليف وتبع ذلك اقتحام خمس فرق مشاة لقنـاة السويس لجميع خطوط العدو الدفاعية ومناطق حشده الخلفية.

وقد استهدفت الضربة الجوية مفاجأة العدو وإرباك قياداته وشل مراكز اتصاله وقواعده الجوية (المتقدمة) عن العمل، وتحققت المفاجأة فعلاً، حيث كانت الوزارة الاسرائيلية مازالت مجتمعة تدرس إمكانية الدعوة إلى تعبئة عامة أو جزئية والموافقة على شن ضربة جوية وقائية ضد سوريا.

ونجد أن الاسرائيليين فشلوا في تقدير نوايا العرب فأخذوا على حين غرة. ولم تكن المفاجأة على المستوى الاستراتيجي والتعبوي فحسب بل كانت بالسلاح أيضاً، حيث أحدث ظهور صاروخ سام ٦ المتحرك والفعال مفاجأة لسلاح الجو الاسرائيلي الذي تساقط كالذباب في المصيدة بفعل تلك الصواريخ على جبهة سيناء والجولان. كما أن استخدام جنود المشاة المصريين والسوريين لأسلحة مقاومة الدروع (من نوع ساغر سوتر) كان مفاجأة للدبابات الاسرائيلية خاصـة على الجبهـة المصرية.

وهكذا تمكنت القوات المصرية والسورية من عبور القناة، واختراق الجبهة الاسرائيلية، واجتياز الخط الارجواني داخل هضبة الجولان، وتحقيق النجاح التعبوي في الساعات الأولى من المعركة. وكان ذلك بفضل التخطيط الجيد المدروس، والإعـداد الـدقيق، والتـدريب المستمـر والحشـد الكثيف، حيث كانت نسبة القوات المصرية والسورية إلى قوات العدو الأولية: ٨ : ١ و ٥ : ١ على التوالي، إلا أن هذا النصر لم يتم ـ لسوء حظ العرب ـ لأسباب كثيرة، ربما أهمها أهداف الحرب المحدودة التي جعلت المصريين يتوقفون في رأس الجسر، ولا يستثمرون الفوز إلى الممرات (على الأقل) وعدم المرونة والقدرة على التصرف في المواقف الطارئة نتيجة اعتماد الضباط في كلا الجيشين (المصري والسوري) على الأساليب الروسية الجامدة. قد يتساءل الانسان، هل كانت النتيجة ستختلف لو توفرت قيادة جيدة ومجربة للجيوش العربية . ؟

على الجانب الاسرائيلي جاءت ردة الفعل سريعة ومتلاحقة، واستطاعت القوات الاسرائيلية انتزاع زمام المبادرة من الجيش السوري في صباح يوم ٨ تشرين الأول، وتحويل الموقف لصالحها وفي الرابع عشر من تشرين الأول انتقل زمام المبادرة من القوات المصرية إلى القوات الاسرائيلية التي احتفظت به حتى نهاية الحرب وإلى الآن.

ومن المعروف أن فرصة الجيوش العربية للتغلب على القـوات الاسرائيلية كانـت تكمـن في مفاجأتها قبل أن يكتمل استعدادها للحرب، من خلال دعوة الاحتياط وإعلان التعبئة العامة، وقد أعطت مصر ـ طائعة ـ هذه الفرصة للجيش الاسرائيلي عندما لجأت للدفاع التكتيكي في رأس

الجسر على طول القناة بعد أن احتلت خط بارليف ، وكان بإمكانها مواصلة التقدم إلى الممرات في سيناء . كما أعطت الفرصة لأمريكا لتزويد اسرائيل بالدبابات وصواريخ (تو) وقطع الغيار اللازمة فأعادت القوات الاسرائيلية إلى وضعها السابق للحرب من حيث الأسلحة والمعدات . وبعد أن عبرت قوات الجيشين الثاني والثالث القناة وتثبتت في رأس الجسر احتفظت بزمام المبادرة إلى يوم ١٤ تشرين الأول ولكن سلبيتها ساعدت القوات الاسرائيلية على التعرض المعاكس غرب القناة وهضبة الجولان وانفرد سلاح الجو الاسرائيلي بالقوات السورية وأتاح للقيادة الاسرائيلية انتزاع زمام المبادرة من الطرفين .

الحرب على الجبهة المصرية سيناء ٦-٢٤ تشرين الأول

في الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ تشرين الأول انطلقت مائتا طائرة مصرية وآلاف المدافع والهاونات والصواريخ المصرية في قصف مكثف لأهداف محددة في سيناء سواء في خط بارليف أو مواقع العمق . وتحت ستار القصف الجوي والمدفعي عبرت الموجة الأولى من قوات الاقتحام وعددها ثمانية آلاف مقاتل القناة وتسلقت الساتر الترابي على ضفتها الشرقية واندفعت نحو خط بارليف على طول واجهة القناة البالغة ١١٠ أميال .

وهاجم الجيش المصري الثاني في القطاع الشمالي بين الكاب ووسط البحيرات المرة الكبرى وفي نفس الوقت هاجم الجيش الثالث في القطاع الجنوبي من وسط البحيرة المرة الكبرى وحتى السويس جنوباً . وفي الساعة ١٩٣٠ من نفس اليوم السادس من تشرين الأول تمكن نحو ٨٠ ألف جندي مصري من اجتياز القناة وتأسيس رأس جسر على الضفة الشرقية بطول ٨٥ ميلاً وعمق ثلاثة أميال .

رد الاسرائيليون بسرعة بهجوم مدرع معاكس من ثلاث مجموعات ألوية ولكن الهجوم المعاكس فشل ومني الاسرائيليون بخسائر جسيمة كما فشل الاسرائيليون في اختراق شبكة الدفاع الجوي المصري .

أخفق الاسرائيليون في تحديد مكان واتجاه الجهد الرئيسي المصري فأصبح وضع الاسرائيلين حرجاً بعد أن نجح المصريون يوم ١٠/٧ في مد جبهتهم من البالوظة إلى رأس سدر وأصبحت الطريق إلى الممرات التي تبعد نحو ٣٠-٤٠ كم شرقاً مكشوفة أمامهم لكن المصريين لم يستثمروا فوزهم الأولي وينطلقوا إلى الممرات بل بقوا في مكانهم على أمل أن تتحطم القوات الاسرائيلية على رؤوس الجسور المصرية في سلسلة هجمات معاكسة .

وفي يوم ١٠/٧ قام ديفيد اليعازر رئيس الأركان الاسرائيلي بزيارة قيادة الجبهة الجنوبية وأصدر توجيهاته للجنرال جونين باحتواء المصريين وتثبيتهم ثم القيام بهجوم معاكس يوم ١٠/٨ ، وبالفعل تمت إعادة تجميع القوات الاسرائيلية في الجبهة الجنوبية في ثلاث مجموعات فرق مدرعة : مجموعة

الفرقة الشمالية بقيادة الجنرال أدان والوسطى بقيادة الجنرال شارون والجنوبية بقيادة الجنرال مندلر . وكان المصريون قد رسخوا رؤوس جسورهم وتمكنوا من دمجها معا . وقام الاسرائيليون بهجومهم المعاكس الثاني فصده المصريون بعد أن كبدوا الاسرائيلين خسائر فادحة ولا سيما في القطاع الشمالي والقطاع الجنوبي إذ خسر الاسرائيليون خلال الأيام الثلاثة الأولى ٤٠٠ دبابة و ٨٠ طائرة .

بعد فشل الهجوم المعاكس الثاني في ١٠/٩ قام الجنرال اليعازر بتعيين الجنرال بارليف ممثلاً شخصياً له في القيادة الجنوبية والعميد اورى بن آري رئيس أركان لبارليف . وقرر الاسرائيليون تثبيت المصريين وتركيز الجهود على الجبهة السورية لقربها من اسرائيل . فقاموا بسحب عناصرهم الأمامية في سيناء إلى الخلف مسافة ١٢ ميلاً لاستدراج المصريين إلى معركة مكشوفة . وقد توقع الاسرائيليون أن يقوم المصريون بهجومهم يوم ١٠/١٠ أو ١٠/١١ ويبدو أن الاسرائيليين لم يعرفوا حتى ذلك الوقت أن المصريين قرروا عدم التحرك حتى تاريخ ١٠/١٤ . ولم يعرف سبب هذه « الوقفة التعبوية أو العملياتية » المصرية كما يسميها مؤرخو هذه الحرب تلك الوقفة التي جاءت بأوخم العواقب عسكرياً على العرب .

استعاد الاسرائيليون توازنهم في سيناء وأخذوا يعدون لهجوم معاكس عبر قناة السويس غرباً في منطقة الدفرسوار شمال البحيرات المرة . وقد رفضت الوزارة الاسرائيلية الخطة بحجة أنها طموحة أكثر من اللازم . وكان ملخص خطة بارليف العامة اتباع واحد من الخيارات الثلاثة التالية :

خارطة ٣٦

١ . تدمير القوات المصرية في رؤوس الجسور
٢ . أو مهاجمة القوات المصرية غرب القناة
٣ . أو انتظار الهجوم المصري المتوقع يوم ١٠/١٠ أو ١٠/١١ وضرب المصريين في عمق سيناء .

وفي الساعة ٦٠٠ من صباح ١٠/١٤ بدأ الهجوم المصري لتخفيف الضغط على السوريين بهدف الوصول إلى الممرات . وكان الهجوم بقوة مشتركة على شكل كماشة من الجيشين الثاني والثالث بهدف الوصول إلى الممرات والتقاء فكي الكماشة في منطقة بئر جفجافة وراء الممرات . وفشل الهجوم المصري عصر ذلك اليوم بعد نشوب أكبر معركة دبابات منذ الحرب العالمية الثانية . وقد أبرزت هذه المعركة الرئيسية وبعض المعارك الثانوية الأخرى ضعف القادة المصريين من مستوى فرقة وما دون وعجزهم عن إدارة العمليات المتحركة .

ورغم نجاح الاسرائيلين في ايقاف الهجوم السوري في الجولان ودحره إلى الخلف وانتصارهم في معركة الممرات على المصريين إلا أن الاسرائيلين ظلوا متشائمين لاسيا عندما أخذ الوضع العسكري في الجولان يتحول لصالح العرب بعد وصول طلائع القوات العراقية والاردنية إلى سوريا يوم

١٠/١٢ وتلاشي زخم الهجوم الاسرائيلي المعاكس في الجولان . وقد قرر الاسرائيليون القيام بهجوم معاكس في سيناء بعد انتصارهم في معركة ١٠/١٤ السالفة الذكر بهدف اجتياز قناة السويس غرباً للاحاطة بالقوات المصرية وتدمير الجيشين الثاني والثالث . ولتنفيذ المهمة تقرر عبور القناة غرباً الساعة ١٧٠٠ يوم ١٠/١٥ للالتفاف حول الجيش الثالث وعزله داخل سيناء . وذلك باستخدام ثلاث مجموعات فرق بقيادة كل من الجنرالات شارون وأدان وماجن ، خليفة مندلر الذي قتل يوم ١٠/١٢ ، وأن يتم ذلك باسناد من سلاح الجو الاسرائيلي ومدفعية الجبهة الجنوبية الاسرائيلية .

وكان ملخص الخطة كما يلي : تؤمن مجموعة فرقة شارون رأس جسر في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥-١٠/١٦ . بينما تقوم مجموعة فرقة ماجن بمنع الجيشين الثاني والثالث من التدخل ضد رأس جسر شارون ، وتستعد فرقة أدان لاستثمار الفوز بعد نجاح فرقة شارون .

بعد ذلك يندفع أدان إلى اليسار وينحرف من الدفرسوار إلى فايد ـ كبريت ـ السويس لتدمير قواعد صواريخ سام والجيش الثالث ، بينما يقوم شارون بتوسيع رأس الجسر إلى اليمين باتجاه الاسماعيلية .

وأخيراً يتقدم ماجن بعملية التفاف مزدوج تنتهي بالأدبية وخليج السويس بهدف محاصرة الجيش الثالث وتدميره .

نجحت الخطة الاسرائيلية بسبب غفلة المصريين وبطء ردهم مما اضطر قواتهم لخوض معارك في غاية العنف أبدوا فيها منتهى البسالة والتضحية ومنعوا الاسرائيليين من احتلال الاسماعيلية والسويس ، ولكن الاسرائيليين نجحوا في احتلال مساحات واسعة من أرض مصر غرب القناة ودمروا جزءاً كبيراً من حائط صواريخ م/ط وبعض القواعد الادارية للمصريين كما استطاعوا تطويق الجيش الثالث وتمركزوا على الطريق العام بين السويس والقاهرة عند الكيلومتر ١٠١ .

كانت النتيجة أن اضطر المصريون لقبول وقف إطلاق النار مفضلين ذلك على اقتراح الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان المصري آنذاك والقاضي بسحب قوات مصرية من شرق القناة لمعالجة الخرق الاسرائيلي بعد أن اتسع لدرجة خطيرة .

وهكذا بدأت حرب رمضان بنجاح أولي للعرب وانتهت باجتياز الاسرائيليين خط وقف إطلاق النار ـ باتجاه دمشق ، وباحتلال أراضي مصرية غرب القناة وحصار الجيش الثالث المصري .

وما من شك في أن النجاح الأولي يعزى للقيادة العليا المصرية السورية والتخطيط الجيد والتنفيذ الممتاز ولا سيما على الجبهة المصرية . ولكن الفشل فيما بعد جاء نتيجة ضعف القادة على المستويات الصغرى في إجراءات المعركة الصحيحة ورد الفعل المناسب في المكان والزمان ، يضاف إلى ذلك انعدام المرونة عند القادة العرب وتبنّيهم مبادىء لا تصلح لهم ولمسرح العمليات عندهم دون تعديل . ويمكن أن نضيف إلى ذلك الوقفة التعبوية المصرية المعروفة بعد اجتياز القناة وقبل أن تستيقظ اسرائيل من هول الصدمة المفاجأة ، يقابل ذلك على الجبهة السورية توقف القطعات

السورية المتقدمة عندما كانت على بعد كيلو مترات قليلة جداً من الحدود الدولية مع اسرائيل وذلك مساء يوم ١٠/٧ .

الجبهة السورية ـ مرتفعات الجولان ٦-٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٧٣

في الساعة ١٣٤٥ يوم ٦ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ انطلقت الطائرات السورية نحو أهدافها المحدودة في مرتفعات الجولان وتلتها المدفعية السورية في قصف تمهيدي كثيف على مواقع العدو وبعد ذلك بربع ساعة وفي موجة اقتحام واحدة اندفعت فرق المشاة السورية الثلاث تدعمها كتائب الدبابات والمشاة الآلية الخاصة بها عبر الخندق المضاد للدبابات في محاولة لاختراق دفاعات العدو والوصول إلى الطرف الغربي من الهضبة . ساعدت المفاجأة وشبكة الدفاع الجوي على تحقيق نجاح أولي لم يستمر طويلاً .

وانسجاماً مع العقيدة الهجومية السوفييتية قام السوريون بهجوم شامل على طول الجبهة التي بلغ عرضها خمسين ميلاً من جبل الشيخ شمالاً إلى وادي الرقاد على الحدود الأردنية جنوباً . أما الجهد السوري الرئيسي فقد تكون من أربعة اندفاعات مدرعة آلية هدفها تطويق وإبادة القوات الاسرائيلية المنتشرة على الخط الارجواني وإتمام عملية تحرير الجولان بحلول منتصف ليلة ١٠/٧ وكان المتوقع أن تصل الأنساق السورية الأمامية إلى الحدود الدولية السورية الاسرائيلية القديمة في منتصف ليلة ٦ تشرين الأول . وكان من المتوقع أيضاً أن تبدأ العمليات داخل اسرائيل ذاتها ابتداء من صباح ٨ تشرين الأول .

أما الاختراقات أو الاندفاعات فكانت كالتالي (١) تقوم الفرقة/٧ في الشمال بالتقدم على محور حرفا ـ مسعدة ـ بانياس ـ دان ثم في اتجاه جنوبي غربي من جباتا الخشب وخان أرينبة مستهدفة التحصينات الشمالية للقنيطرة وبعد ذلك يطور الهجوم بالتعاون بين الفرقة/٧ مشاة والفرقة/٣ المدرعة حتى نهر الأردن على طول محور مسعدة ـ بانياس ـ دان ـ جباتا الخشب ـ القنيطرة ـ نفاخ . (٢) تركز الفرقة/٩ مشاة اندفاعها إلى الجنوب من القنيطرة على محاور أم باطنة ـ القنيطرة ـ نفاخ ـ تل كدنة . (٣) و (٤) إلى الجنوب تقوم الفرقة/٥ مشاة بتطوير اندفاعين كبيرين أحدهما إلى الشمال الغربي وعلى محاذاة التابلاين نحو نفاخ والاندفاع الثاني في الاتجاه الجنوبي الغربي عبر طريق الجوخدار ـ تل الساقي ـ العال ـ بحيرة طبريا . وفي عملية فائقة البطولة تمكنت قوات سورية محمولة بالهليكوبتر من الاستيلاء على مرصد جبل الشيخ .

استخدم السوريون ثلاث فرق مشاة وهي الخامسة والسابعة والتاسعة وفرقتي دروع وهما الأولى والثالثة يعززها بعض التشكيلات المدرعة المستقلة بما مجموعة ٦٠٠ دبابة يساند ذلك آلاف من قطع المدفعية والهاونات وقاذفات الصواريخ ومظلة دفاع جوي سوفياتية متطورة لتدمير القوات الاسرائيلية في الجولان .

قاوم الجنرال حوفي قائد المنطقة الشمالية الاسرائيلية الهجوم السوري بلوائين في البداية وهما اللواء المدرع ٧ ولواء براك ؛ ففي الساعة ١٨٣٠ يوم ١٠/٦ أوقف اللواء المدرع ٧ الاسرائيلي الفرقة السورية السابعة في المحور الشمالي كما أوقف لواء براك الفرقة السورية التاسعة في القطاع الأوسط بعد أن تكبد خسائر جسيمة . أما الفرقة الخامسة السورية فقد اندفعت على محور الرفيد ـ العال في الجنوب واحتلت مستوطنة رامات ماجشميم الاسرائيلية في الجولان صباح ١٠/٧ ولكن السوريين توقفوا على بعد ميل واحد من العال دون سبب معروف . ثم استولوا على مرتفعات جملا واتجهوا نحو اليهودية على بعد ستة أميال شرق جسر عريك على نهر الأردن حيث توقفوا هناك أيضاً .

وكان يوم ١٠/٧ خطيراً وحاسماً إذ حاول فيه السوريون الوصول إلى شاطىء بحيرة طبريا الشرقي ونهر الأردن وحاول فيه الاسرائيليون بقيادة إسحق حوفي ورفائيل إيتان ايقاف التقدم السوري . وخلال الساعات الأولى من المعركة مع السوريين انهار مفهوم الدفاع الاسرائيلي القائم على السيطرة الجوية المطلقة ودعوة الاحتياط العام وذلك بسبب مظلة صواريخ ومدافع م/ط السورية وبسبب سرعة الاندفاع السوري في بداية العمليات . خارطة ٣٧

لكن قادة الصهاينة العسكريين قاموا بعملية احتواء وتثبيت يائسة للقوات السورية المتقدمة وكان الاحتياط الاسرائيلي يصل إلى مراكز تجمعه ثم يرسل إلى الجبهة بسرعة وعلى شكل وحدات صغيرة (سرايا وفصائل) ويحاول سد الثغرات في خط الدفاع الاسرائيلي المنهار . وتمكن الاسرائيليون مع صباح ١٠/٧ من تشكيل ثلاثة ألوية إضافة إلى اللوائين الموجودين سابقاً في خط الجبهة واستطاعوا وقف التقدم السوري ولكن بخسائر كبيرة وصعوبة بالغة .

ولحقت بالطرفين خسائر كبيرة ولا سيما سلاح الجو الاسرائيلي الذي فقد ما لا يقل عن ٣٠ طائرة في اليومين الأولين بسبب كفاءة الدفاع الجوي السوري . وكان من أسباب تعثر الهجوم السوري توقف القوات السورية بعد احتلالها مستوطنة رامات ماجشميم وعدم تقدمها غرباً رغم اقترابها الشديد من نهر الأردن . فأضاع السوريون فرصة لا تعوض مما ساعد الاسرائيلين على حشد قواتهم والقيام بالهجوم المعاكس .

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من الهجوم السوري في منتصف ليلة ٧-١٠/٨ بعد أن تمكنت عناصر من الفرقة المدرعة السورية الأولى والفرقة/٩ مشاة من احتلال كفر نفاخ والصنابير على بعد ثلاثة أميال من نهر الاردن ثم تراجع السوريون من كفر نفاخ . وفي الجنوب توقفت الفرقة/٥ مشاة مع عناصر من الفرقة المدرعة الأولى عند اليهودية قرب مرتفعات جملا .

بدأت المرحلة الثانية من حرب الجولان صباح ١٠/٨ وذلك عندما قرر الاسرائيليون تركيز الجهود على هذه الجبهة لقربها من اسرائيل وشدة خطرها على سكانها والاكتفاء بتثبيت القوات المصرية في سيناء إلى حين الانتهاء من الجبهة السورية . وأعد الاسرائيليون ثلاث مجموعات فرق لتنفيذ الهجوم الاستراتيجي المعاكس .

بدأ الهجوم المعاكس يوم ١٠/٨ ، وكلف رفائيل إيتان بالتقدم على المحور الشمالي ، وكلف دان لانر بالتقدم على محور الوسط ، وموشي بيليد بالتقدم على محور الجنوب وتطهير محور العال الرفيد . وتمكن الاسرائيليون بحلول مساء ١٠/١٠ من إرجاع السوريين إلى خطوط وقف إطلاق (النار سنة ١٩٦٧) بعد أن تكبد الطرفان خسائر هائلة قدرت منذ بدء القتال وحتى مساء يوم ١٠/١٠ بنحو ٦٠٠ دبابة سورية و ٢٠٠ دبابة اسرائيلية وجاءت هذه الخسائر نتيجة القتال القاسي الذي خاضه الطرفان . والمقاومة السورية الباسلة .

وقد بدأ السوريون يؤيدهم ليونيد برجنيف يلحون بشدة على المصريين للتدخل من أجل تخفيف الضغط عنهم لكن المصريين رفضوا في البداية ثم تدخلوا يوم ١٠/١٤ كما سبق ذكره ولكن بعد فوات الأوان إذ فشل الهجوم المصري بعد أن كان الاسرائيليون قد تجاوزوا خط وقف إطلاق النار مع السوريين واتجهوا نحو دمشق .

وبدأت مرحلة ثالثة من الحرب بالاندفاع الاسرائيلي وراء خط وقف إطلاق النار لسنة ١٩٦٧ في الجولان وذلك في ١٠/١١ وشجع الاسرائيلين على ذلك حدوث ثغرات في شبكة الدفاع الجوي السورية أعادت للاسرائيلين سيطرتهم الجوية . وكان هدف الاندفاع الاسرائيلي وراء خط وقف إطلاق النار زيادة العمق الاستراتيجي لهضبة الجولان ، ومنع وصول أية تعزيزات للسوريين من الدول العربية وعدم إعطاء السوريين فرصة لإعادة تنظيمهم .

وفي ظهيرة يوم ١٠/١١ اخترق الاسرائيليون الدفاعات السورية وأخذوا في التقدم على محور القنيطرة دمشق فاحتلوا مفترق الطرق عند (ما عص) على طريق القنيطرة دمشق بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة . كما احتلوا خان أرينبة . وفي يوم ١٠/١٢ ازدادت أوضاع القوات السورية حرجاً . ووصل الاسرائيليون سعسع على طريق دمشق القنيطرة وكذلك اتجهوا نحو كناكر على بعد ١٠ أميال جنوب غرب الكسوة .

في هذا اليوم ١٠/١٢ بدأت الفرقة المدرعة الثالثة العراقية عملياتها بعد وصولها بيوم واحد إلى الجبهة . وكان واجب الفرقة العراقية هو احتلال مسحرة وكفر الما وطرد الاسرائيليين منهما . ورغم أن هجوم الفرقة العراقية في ليلة ١٢-١٠/١٣ لم يحقق اهدافه إلا أنه اوقف تقدم الاسرائيلين في كناكر والكسوة واضطرهم إلى الانسحاب إلى منطقة كفر ناسج حيث قام الاسرائيليون بتحسين وضعهم هناك فاحتلوا مرتفعات حيوية في تل عنتر وتل العلاقية التي تسيطر على كفر شمس والسهل الممتد بين الصنمين والكسوة . بعد ذلك توقف الطرفان عن أية عمليات هامة حتى يوم ١٠/١٦ . وفي هذه الأثناء انتقل ثقل الجهد الاسرائيلي إلى الجبهة المصرية بعد هزيمة المصريين في معركة الممرات في ١٠/١٤ وعبور الاسرائيلين قناة السويس من ثغرة الدفرسوار في ١٠/١٦ .

أما على الجبهة السورية فقد تبنت القيادة الاسرائيلية وضعية الدفاع التعرضي بعد أن اتضح لها أن الطريق إلى دمشق مليء بالأشواك . وفي ١٠/١٦ بدأت سلسلة من الهجمات المعاكسة التي

الجيش العربي الهاشمي
قامت بها قوات سورية وعراقية وأردنية ضد الجناح الجنوبي للقوات الاسرائيلية من أم باطنة في الغرب إلى تل عنتر وتل العلاقية في الشرق ولكن هذه الهجمات العربية كانت تفتقر إلى القيادة الموحدة والتنسيق الجيد . ففي يوم ١٠/١٦ كلف اللواء الأردني المدرع/٤٠ باحتلال مسحرة وكفر الما وطرد اللواء/١٧ الاسرائيلي منهما . وكان المفروض أن يتم ذلك بالتنسيق مع الفرقة المدرعة/٣ العراقية التي كلفت باحتلال تل عنتر وتل العلاقية من جهة كفر شمس . وأن يقوم السوريون بحماية الجناح الأيمن للفرقة العراقية الثالثة . لكن فقدان التنسيق ونقص الإسناد الناري الذي كان من المفترض أن تقدمه الفرقة العراقية للواء الأردني أحبط الهجوم الأردني كما فشل الهجوم العراقي لأن جناحه الأيمن تعرض لهجوم معاكس اسرائيلي .

وشارك اللواء المدرع/٤٠ الأردني مرتين في هجمات معاكسة استطاع في احدها الهجوم على تل الحارة ودفع الاسرائيليين إلى الخلف بضعة كيلومترات ولكن الهجمات الأردنية كانت تتوقف بسبب ضعف التنسيق والتخطيط وتعرض أجنحة اللواء لتهديد العدو الاسرائيلي . وكان مجموع خسائر اللواء منذ بدء العمليات في ١٠/١٣ وحتى وقف إطلاق النار في ٢٢ منه كما يلي :

٢٧ شهيداً و ٥٠ جريحاً وتدمير ١٤ دبابة وتعطيل نحو ٣٠ دبابة وآلية مختلفة .

وفي يوم ١٠/١٧ تم تعزيز القوات العراقية بقوات جديدة كما وصل لواء مدرع أردني آخر مع قيادة الفرقة المدرعة الثالثة ومدفعية الفرقة بالاضافة إلى قوات سعودية وعربية أخرى . كما تلقى السوريون كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة وتحسن الوضع العربي العسكري على الجبهة السورية .

وفي ١٠/١٨ شنت القوات العربية آخر هجوم معاكس مدبر فقامت الفرقة المدرعة العراقية الثالثة بالتعرض على محور كفر شمس ـ تل عنتر ـ العلاقية . ودار قتال شديد لكن العدو احتفظ بمواقعه وفشل العراقيون في احتلال تل عنتر . أما اللواء المدرع الأردني : ٤٠ فقد بدأ هجومه الساعة ١٠٠٠ صباح ١٠/١٨ لاحتلال تل الحارة وكاد يحتل التل لولا أن فشلت القوات العراقية في احتلال تل عنتر وفشلت الفرقة/٩ السورية في إبطال فاعلية العدو في أم باطنة مما عرض جناحي اللواء للخطر واضطره للتراجع جنوباً في المساء .

خارطة ٣٨ ورغم فشل العرب في التخطيط والتنسيق الجيد إلا أن الهجمات المعاكسة العربية استمرت حتى ١٠/٢٢ عندما فرض وقف إطلاق النار . وقد تمكنت القوات العربية من حصر العدو في الجيب الذي احتله تمهيداً للقضاء عليه بهجوم شامل كان مقرراً يوم ١٠/٢٣ ولكن الظروف الدولية وقبول مصر لوقف إطلاق النار أرغم القوات العربية في الجبهة السورية على التقيد بوقف إطلاق النار يوم ١٠/٢٢ . وكان الاسرائيليون قد بدأوا الساعة ١٤٠٠ يوم ١٠/٢١ هجوماً على موقع جبل الشيخ تمكنوا فيه من استرداده الساعة ١٠٠٠ صباح ١٠/٢٢ بعد قتال عنيف جداً .

وهكذا فشل الجيش السوري في استعادة الجولان رغم المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والقوة

الهائلة المدعمة بالدبابات والمدفعية وشبكة الدفاع الجوي المحكمة . وكانت القوات السورية قادرة على تدمير القوات الاسرائيلية (التي كانت عبارة عن مجموعة فرقة في البداية) والوصول إلى نهر الأردن لولا تقيدها بأسلوب القتال الروسي دون تعديل والهجوم الجبهوي على قطاع ضيق (٤ أميال للفرقة المدرعة) . ورغم فقدان الجيش السوري للتخطيط الجيد والتنسيق المسبق والعقيدة القتالية المناسبة إلا أن تحسناً واضحاً طرأ على قدراته القتالية وحارب بشجاعة وعزم وتصميم ونجح في احتواء القوات المعادية وتثبيتها في جيب صغير ومنعها من التقدم نحو دمشق .

ومن الأخطاء التي ترتكبها القيادات العربية اعتمادها على عقائد قتالية أجنبية شرقية وغربية دون محاولة تطويرها وتعديلها لتلائم أوضاعها الخاصة . فبدلاً من الهجوم المدرع الصاخب عبر خط وقف إطلاق النار كان بإمكان السوريين تحقيق هدفهم بتسلل ليلي تقوم به قوات المشاة عبر الخط الأرجواني على الجبهة السورية فتقوم مجموعات قتالية من المشاة باجتياز الفجوات الواسعة (٥-٦ أميال) بين النقاط الحصينة المعادية خلال ساعات الظلام ومع فجر اليوم التالي تشكل تلك القوة حاجزاً من أسلحة مقاومة الدبابات مسندة بمدفعية الدروع فتكون أصغر من أن تشكل هدفاً لسلاح الجو الاسرائيلي كما هي الحال مع الفرقة المدرعة . ولو اتبع السوريون هذه الطريقة لفوتوا على قوات اللواء المدرع ٧ العمل بحرية وأحاطوا بقوات العدو القابعة خلف خندق الدبابات وحرموا الاسرائيليين من الاستفادة من سلاحهم الجوي ، مما يؤدي إلى انهيار القيادة الشمالية الاسرائيلية بسبب حاجتها للقوات وعدم قدرتها على تحديد قوة الهجوم واتجاهه .

وكان غياب عنصر المشاة في الجيشين السوري والاسرائيلي في حرب رمضان ظاهرة ملفتة للنظر إذ لو ترك المجال لقوات المشاة لتمارس دورها الطبيعي لما وقعت تلك الخسائر في الدبابات والتي بلغت ثلاثة آلاف دبابة من مجموع حوالي خمسة آلاف دبابة زجت بها الأطراف المتحاربة خلال ١٦ يوماً فكانت جبهة السويس مقبرة للدبابات الاسرائيلية وجبهة الجولان مقبرة للدروع السورية .

وخلاصة القول أن على العرب أن يتعلموا من حرب رمضان عدم الاعتماد المطلق على عقيدة قتالية أجنبية وعلى تنظيم تعبوي وإداري مستورد وهذه الأمور أكثر أهمية للعرب من الأسلحة .

ولقد كان لوجود اللواء المدرع الأردني/٤٠ ثم الفرقة المدرعة الاردنية الثالثة مغزى تاريخي . فقبل خمسة وخمسين سنة وفي أيلول سنة ١٩١٨ تم استيلاء جيش الأمير فيصل بن الحسين الشمالي على درعا حيث أقام قيادته أثناء زحفه على دمشق في قرية الشيخ سعد جنوب قرية نوى التي اتخذ منها اللواء/٤٠ مركزاً لقيادته .

وهكذا وبعد خمسة وخمسين عاماً من نشوب الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين بن علي ، خاضت المعركة مرة أخرى عناصر من الجيش العربي الهاشمي دفاعاً عن الكرامة والقومية العربية . ولم يتغير سوى العدو إذا أصبح الأعداء الاسرائيليين الخبثاء بعد أن كانوا الأتراك الطغاة .

٣٢ - تحليل حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣

إن نقد وتحليل حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣ ذو فائدة لطلاب الدراسات العسكرية خاصة وللقارىء بشكل عام، حيث أن هذا التحليل يلقي الضوء على المفاهيم والخطط الاستراتيجية والعقيدة القتالية التي طُبقت في مسارح العمليات، ويبرز الجوانب المهمة للاستعداد النفسي والمادي لأطراف الصراع في الشرق الأوسط.

ففي ضربة واحدة حطمت حرب رمضان أسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر وأثبتت القيادة العربية المشتركة للعرب ومنتقديهم القدرة العربية على شن حرب شاملة تدعمها الإرادة القومية القوية. وفي الثمان والأربعين ساعة الأولى من الحرب لم يدرك الاسرائيليون هدف الحرب العربية ولم يستوعبوا طبيعتها ومقاصدها (البعيدة أو القريبة). وتمكن العرب في حرب رمضان من تعرية القوات المعادية وكشف النفسية الاسرائيلية المهزوزة وحقيقة الوجود الصهيوني.

بعد أن حللت القيادة العربية المشتركة نقاط الضعف والقوة في الاستراتيجية السياسية والعسكرية الاسرائيلية قامت برسم الخطط الكفيلة بنزع أسباب النصر منها وتجريدها من كافة عناصر النجاح، خاصة: الضربة الوقائية والتعبئة العامة السريعة ونظرية انهيار الجيوش العربية من الصدمة الأولى (على رأي ديان وتال)، وبالتالي حققت مفاجأة استراتيجية وتعبوية في الاستخدام والتكتيك والارادة والتسليح. كما حققت شبكات الدفاع الجوي في كل من مصر وسوريا مفاجأة مذهلة لسلاح الجو الاسرائيلي الذي شُل تماماً في المراحل الأولى للحرب وبرهنت على قدرة الجندي العربي وكفاءته في استخدام الأسلحة الحديثة المعقدة.

وفي المجال السياسي اتخذت القيادة العربية المشتركة كافة الاحتياطات والتدابير التي ساعدت على تحقيق المفاجأة في الحرب. وما أن بدأ الهجوم العربي حتى تعززت الثقة بالاتحاد السوفيتي ودوره في دعم الجيوش العربية وتدريبها، وزاد الاستنكار والعداء للولايات المتحدة الامريكية بعد أن تكشف دورها الحقيقي في مساندة العدو الصهيوني ضد الأمة العربية ظلماً وعدواناً.

وفي الجانب العربي تم تكوين جبهة عربية مشتركة تمكنت من عزل اسرائيل عن أوروبا بالتهديد باستخدام سلاح النفط، وعزلها عن افريقيا وآسيا بحكم الروابط التاريخية والعرقية والدينية بين الدول العربية والدول الافريقية والاسيوية، ولم يبق حليف لاسرائيل في افريقيا سوى جنوب افريقيا العنصرية، وهولندا في أوروبا وحليفتها الطبيعية امريكا.

على المستوى التكتيكي (التعبوي) تمت أيضاً دراسة جميع الاعتبارات المتعلقة بالعدو وجرى التحليل المستفيض لمفهومه القتالي وعقيدته التعبوية والتنظيمية وشخصيات القادة السياسين والعسكريين، ولم يغب عن بال القيادة العربية المشتركة تحليل نظرية « الحرب الاسرائيلية الخاطفة باستخدام سلاح الجو والدروع وانهيار الخصم السريع ». وقد تكفلت شبكات الدفاع الجوي

وأسلحة مقاومة الدبابات (في كل من سوريا ومصر) بإبطال تلك النظرية وايقاع القيادة الاسرائيلية العليا في بلبلة وحيرة تامة . ولم يدرك العدو أنه كان يواجه جيوشاً عربية حديثة في التدريب والتسليح والتخطيط . وهنا نجد أن التدريب السوفيتي العنيف ـ بدعم من عبد الناصر في حياته ـ لم يذهب سدى .

كان بالإمكان تحقيق نجاح أفضل في الجانب العربي لو أنه تم الاهتمام بالكفاءة الفنية والاستعداد للعمليات والتخطيط على المستويات المتوسطة ، والدنيا ، والتنسيق بين الجيوش العربية ، والتطبيق العملي لتلك الخطط على المستوى التعبوي التنفيذي . ولسوء الحظ أن التحركات العربية اتسمت أحياناً بالتردد والحذر الزائد بالاضافة لفقدان المرونة وضيق الأفق في المراحل الأخيرة للحرب . وقد أعطت هذه العوامل السلبية الفرصة للعدو لإجهاض النجاح الأولي الذي حققته الجيوش العربية ، وبالتالي انتزع زمام المبادرة منها واحتفظ بها حتى دخول قرار وقف إطلاق النار مرحلة النفاذ . ولا شك في أن القادة العرب تميزوا بالقدرة على التخطيط الاستراتيجي والتعبوي على المستويات العليا وأثبتوا كفاءة لا تقل عن كفاءة أقرانهم في الجيوش الأخرى . بينما كانت المقارنة معكوسة بين قادة العدو وقادة التشكيلات العربية على المستويات المتوسطة والصغرى .

ومهما كانت النتائج فقد أثبتت الجيوش العربية التي شاركت في حرب رمضان أنها كانت على مستوى عال من التدريب والتسليح وتتحلى بالعزيمة والتصميم والشجاعة والتضحية من أجل الحق العربي وقد ظهر الفرق الشاسع والتحسن والتطور الملحوظ في القدرات العربية بين هذه الحرب وثلاث حروب متتالية سابقة هي سنوات ٤٨ ، ٥٦ و ٦٧ ، ولولا الجسر الجوي الامريكي ودعم بعض الدولة الغربية للعدو (بشتى الوسائل) لتغير الموقف في الشرق الأوسط ولاتخذت الأحداث شكلاً آخر .

الاستراتيجية السياسية والعسكرية

في المجال السياسي تبنت دول المواجهة (خاصة مصر وسوريا) استراتيجية عليا بسيطة وعملية ، هدفت إلى عزل اسرائيل على المستوى الدولي وتوفير أكبر مساندة دولية للقضية العربية ودعم الرأي العام الدولي للحق العربي .

وما من شك في أن الاعداد للحرب على المستوى الاستراتيجي والتعبوي بدأ في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي جدد له الشعب المصري وبقية الشعوب العربية عهد الثقة والولاء ليلة ٩ و ١٠ حزيران سنة ١٩٦٧ ولابد أن الكثيرين من قادة مصر السياسيين والعسكريين ـ ومنهم أحمد اسماعيل وعبد المنعم رياض والشاذلي ـ يذكرون أن التخطيط لكافة مراحل الحرب (إعادة التنظيم والردع والاستنزاف ثم مرحلة التحرير) بدأ بعد نكسة حزيران مباشرة . ناهيك عن خلق

إرادة القتال لدى الشعب المصري والشعوب العربية الأخرى وكان من نتائج ذلك تجنيد طلاب الجامعات في القوات المسلحة .

وتسلحت سوريا أيضاً بأحدث الأسلحة بطريقة مشابهة لطريقة الجيش المصري . وبذلت قيادتها جهوداً مضنية في تدريب وتسليح القوات السورية وعملت جاهدة من أجل التحرير ولم تعلم بحقيقة الأهداف المصرية (الساداتية) للحرب إلا عندما توقفت الجيوش المصرية عن مواصلة القتال بعد اجتياز القناة مباشرة والتثبت هناك .

لذلك وقعت سوريا ضحية شريكتها مصر التي كان لها أهداف (في التحرير) معلنة ومتفقة مع الأهداف السورية ، وأهداف (في التحريك الدبلوماسي للقضية) غير معلنة . وخير دليل على ذلك المهمة التي حددتها القيادة السياسية المصرية للقوات المصرية التي تنص على : « عبور قناة السويس وتأسيس رأس جسر على الضفة الشرقية بمسافة لا تزيد على ١٠ كم والتثبت هناك » .

وعلى المستوى الاستراتيجي العسكري ، جاءت خطط القيادة العربية المشتركة لتحقق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية ، باختيار توقيت الهجوم في الوقت الذي تجرى فيه المناورات (التمارين) العسكرية السنوية للقوات العربية ، وعدم الاستعداد (النسبي) لدى العدو بمناسبة عيد الغفران (يوم كبور) فاستغلت وجود قوات الدفاع التي تشغل خطوط العدو الدفاعية وضربتها دون إعطاء فرصة لدعوة الاحتياط العام أو القيام بالضربة الأولى كما حدث عام ١٩٦٧ .

وفي المجال العسكري استطاع العرب إخفاء زمان ومكان الهجوم وتمكنوا من تحقيق المفاجأة وتجريد اسرائيل من أسباب النجاح التي كانت تعتمد عليها في حروبها الماضية ضد الدول العربية . وكما قال الجنرال أهارون ياريف الذي كان رئيساً لاستخبارات العدو ثم استقال في صيف عام ١٩٧٣ : « كانت مشكلة اسرائيل الأولى هي الإنذار المبكر الذي لو حصلت عليه لتمكنت من تحطيم الجيوش العربية قبل أن تشن هجومها على اسرائيل » . وما من شك في أن المفاجأة التي حققتها الجيوش العربية في عبور قناة السويس ، واجتياز خندق الدبابات على واجهة الجولان ، أفقدت اسرائيل توازنها وجعلت القيادة الاسرائيلية تتخبط في جو من الحيرة والفوضى .

ورغم محدودية الأهداف التي رسمتها القيادة العربية المشتركة للحرب ـ خاصة مصر ـ إلا أن الجيوش العربية تمكنت من تحقيق بعض الأهداف السياسية والتعبوية بصورة أفضل ـ على أية حال ـ مما حققته في حروبها السابقة . فلأول مرة تقف معظم دول العالم إلى جانب الحق العربي وترفض ادعاءات اسرائيل بحاجتها إلى حدود آمنة .

كما أثبتت الحرب انهيار أسطورة التفوق الاسرائيلي وبرهنت على قدرة الجندي العربي القتالية وكفاءته في استخدام الأسلحة الحديثة .

المفهوم الاستراتيجي والعقيدة القتالية

تبنت القيادة المصرية والسورية لأول مرة المفهوم الالماني الذي يتلخص في التعرض على جبهة واسعة ، فعلى الجبهة المصرية هاجمت القوات المصرية على طول ١١٠ أميال واحتلت خط بارليف الدفاعي على الضفة الأخرى . وأمضى الاسرائيليون ٤٨ ساعة وهم يحاولون اكتشاف « الجهد الرئيسي » ولكن تبين لهم أنه لا يوجد جهد رئيسي بعد أن توقف المصريون في رأس الجسر . كما استخدم الجيش المصري أسلحة مقاومة الدبابات الخفيفة التي يحملها جنود المشاة دون أن يشكلوا هدفاً مهماً لسلاح العدو الجوي ، واستطاع هؤلاء الجنود المتخندقون في رمال الصحراء أن يدمروا موجات الدروع الأولى التي دفع بها العدو إلى المعركة دون روية . وكان تخطيط المشير أحمد اسماعيل علي أن تواصل قواته تقدمها فتحتل الممرات في سيناء ثم تنطلق في مرحلة لاحقة لتحرير سيناء حتى حدود مصر الدولية مع فلسطين المحتلة ، ولكن رفض السادات السماح للجيش بالتقدم للممرات كشف عن أهدافه السياسية المخفية .

وأما السوريون فقد فرضت عليهم بعض الأمور التي لم تكن في صالح التعرض الأولي وأهمها ساعة الصفر التي بدأ فيها الهجوم ، ومع ذلك فقد نجحوا في اقتحام خط وقف إطلاق النار وتجاوز الخندق الدفاعي ولكنهم لم يحافظوا على اندفاعهم وتوقفوا قبل أن يكملوا مهمتهم .

وساعد توقف المصريين في رأس الجسر وتلاشي اندفاع السوريين في اليوم الثاني العدو على استعادة توازنه ودعوة احتياطه بحيث تمكن أخيراً من عبور قناة السويس إلى الضفة الغربية واجتياز الخط الأرجواني في الجولان باتجاه دمشق ، فأضاعت القوات المصرية والسورية الفرصة الذهبية التي قد يصعب توفرها ثانية .

ومع ذلك حققت المعارك الأولى في حرب رمضان بعض أهدافها وكشفت للقادة العرب فائدة التخطيط والتنسيق المسبق والاستفادة من مبادىء الحرب وتجارب الماضي .

النفسية الوطنية والقيادة العليا

لم يستفد العرب (سابقاً) من تهديداتهم الفارغة بتدمير اسرائيل وإلقائها في البحر ، دون أن تتوفر لديهم القوة (المعنوية والمادية) لعمل ذلك ، بل دفع التهديد عدوهم لكسب الرأي العام العالمي لجانبهم ودعمهم معنوياً ومادياً حتى أصبحوا قادرين على هزيمة الجيوش العربية في ثلاث حروب متتالية منها حرب حزيران سنة ١٩٦٧ التي جعلت جمال عبد الناصر وشركاءه في الحرب أضحوكة في العالم كله ومصدراً للسخرية من قدرات الأمة العربية .

ولكن عبد الناصر تعلم درساً من تلك الهزيمة كان من نتيجته وضع خطة مدروسة واقعية ، ينفذها الجيش المصري على مراحل ، تبدأ بالدفاع النشيط (التعرضي) تليها مرحلة حرب الاستنزاف التي حققت بعض النجاح ، ثم تنتهي في مرحلة « حرب التحرير » . ولاشك في أن للاتحاد السوفيتي

والسلاح السوفيتي الفضل الكبير في ما حققته الجيوش العربية في حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ . وقد أدهش التخطيط الاستراتيجي العربي ـ الذي اعتمد لأول مرة على معرفة النفسية الاسرائيلية ـ العالم بشكل عام والمؤرخين والدارسين للحروب الحديثة بشكل خاص لما تميز به هذا التخطيط من دقة وموضوعية وكان مفاجأة تامة حتى للعرب أنفسهم ، حيث جاء مخالفاً لما حاولت أجهزة الاعلام الاسرائيلية غرسه في أذهان العالم والأمة العربية على مر السنين .

وفي اسرائيل حاولت القيادة السياسية والعسكرية إقناع العالم بحقها الطبيعي ـ حسب الوعد الآلهي ـ في الأرض العربية وصورت العرب في موقف الشعب البدائي غير المتمدن المصمم على القضاء على دولة ديموقراطية ناشئة تنشد العيش بأمن وسلام في محيط من العداء والكراهية . وبعد انتصارات متتالية على الدول العربية المتفرقة ، نامت على أسطورة : شعب الله المختار والجيش الذي لا يقهر ، وأخفقت في فهم النفسية العربية التي لا تقبل الظلم ولا الرضوخ أو قبول الهزيمة . وكان من نتيجة ذلك مفاجأتها في حرب رمضان تلك المفاجأة التي أذهلت القيادة الاسرائيلية لدرجة أن شكلت لجنة ـ اغرانات ـ للتحقيق في أسباب التقصير الاسرائيلي في الحرب .

بالاضافة لنجاح القيادة العربية في فهم النفسية الاسرائيلية والعربية أيضاً أظهرت الحرب فرقاً واضحاً بين قدرة القيادة العربية العليا في حرب رمضان والحروب السابقة سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٧ ، حيث تميزت الحروب السابقة ـ خاصة حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ـ بضعف القادة العرب وسوء التخطيط والتنفيذ بينما أثبت قادة حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ قدرة ممتازة على الدراسة والتحليل والتخطيط لحرب استخدمت فيها كافة الأسلحة المعقدة الحديثة . ومن هؤلاء القادة المشير أحمد اسماعيل علي والشاذلي والجمصي وطلاس ويوسف شكور وآخرون لا يتسع المجال لذكرهم . وقد تلقى معظم هؤلاء القادة علومهم العسكرية في أعلى وأرقى المعاهد العربية والسوفيتية .

سلاح الجو وشبكة الدفاع الجوي

أظهرت حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣ قدرات سلاح الجو الهجومية وإمكانيات شبكات الدفاع الجوي الدفاعية ، ففي الصراع المميت بين طائرات الفانتوم وسكاي هوك الاسرائيلية وصواريخ سام السوفيتية خرجت قوة العدو الجوية من المعركة منتصرة ، ويرجع ذلك إلى أن قواعد الصواريخ دفاعية أساساً بينما القوة الجوية سلاح هجومي من حيث المبدأ . وإذا ما اعتبرنا تفوق الطائرة في الحركة والمناورة التي تحقق لها المرونة على القاعدة الصاروخية الثابتة ، وإمكانية اجتياح قواعد الصواريخ من قبل قوات المظليين أو القوات الأرضية أدركنا نجاح قوة العدو الجوية في السيطرة على ميدان المعركة . ولو تدخلت قوات مصر وسوريا الجوية في المعركة طيلة الحرب لما حقق الاسرائيليون نجاحاً يذكر في مراحل الحرب اللاحقة .

ورغم النجاح الذي أحرزه العدو إلا أنه خسر ما يزيد على ١٠٢ طائرة منها ٥٠ طائرة فقدها في أول يومين بفعل صواريخ سام المؤثرة ، بينما خسرت مصر وسوريا نحو ٥١٤ طائرة من أصل ٧٦٠ طائرة ونستخلص من ذلك أن أفضل عمل ممكن للدفاع الجوي هو أن تنسق شبكات الصواريخ مع أسلحة الجو بحيث تحرم العدو من إمكانية اختراق المجال الجوي لمنطقة القتال .

وبسبب افتقار أسلحة الجو المصرية والسورية إلى العدد الكافي المدرب من الطيارين لم تستطع جيوشهم الخروج من تحت حماية شبكة الدفاع الجوي ؛ على عكس الاسرائيليين الذين كانوا قادرين على القتال في مختلف الظروف الصعبة . وليس معنى ذلك أن تلك الجيوش لم تكن قادرة على القتال بدون حماية جوية ، بل أن هذا ما فرضته قياداتها العليا وتخطيطها المشترك وأساليبها القتالية التقليدية .

وقد برهنت الجيوش نفسها ـ المصرية والسورية وكذلك الجيش العربي الاردني ـ على قدرة لا بأس بها على القتال في ظروف صعبة وبدون حماية جوية في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، وأثبتت ذلك أيضاً القوات العربية المشتركة ـ السورية والأردنية والعراقية ـ في معارك الجولان حيث اضطرت للقتال والحركة دون حماية جوية تذكر . وكان أهمها هجوم اللواء المدرع ٤٠ على مسحرة وأم باطنة يوم ١٨ تشرين الأول .

وعلى الجبهة الأردنية لم يتوفر للجيش الأردني شبكة دفاع جوي ، ومع ذلك لم تتوان بعض الدول العربية عن استنكار الموقف الأردني لعدم الهجوم عبر نهر الأردن الأمر الذي لو حصل لواجه الجيش العربي مصير قوات (الانصار) بزعامة المهدي عندما حاولت اختراق جبهة البريطانيين في معركة أم درمان حيث حسمت رشاشات مكسيم ومدافع الأسطول البريطاني في نهر النيل المعركة لصالح القوات البريطانية . ولو حاولت القوات الاردنية اجتياز النهر لكان سلاح الجو الاسرائيلي كفيلاً بحسم الموقف لصالح العدو الصهيوني .

ونتيجة التجربة القاسية والمعاناة المريرة التي واجهها المصريون والسوريون في الحروب السابقة على يد القوات الجوية والمدرعة الاسرائيلية فقد ركزوا في تخطيطهم الجديد على بناء شبكة دفاع جوي قوية مكونة من صواريخ أرض جو من نوع سام ٢ وسام ٦ ومدافع ضد الجو (تقليدية) من عيارات مختلفة . وللتغلب على مفهوم العدو في حشد القوة المدرعة ركزت القيادة المصرية على الصواريخ الموجهة (المضادة للدبابات) التي تحملها وحدات المشاة التي برهنت على قدرتها على تدمير قوات العدو المدرعة (ومنها لواء عساف ياغوري) وتمكنت القوات المصرية من انتزاع زمام المبادرة من الجيش الاسرائيلي والاحتفاظ به إلى أن فقدته عندما حاولت التعرض ـ متأخرة في سيناء بالفرقتين المدرعيتين ٤ و ٢١ .

أما السوريون فقد نهجوا نفس الأسلوب فيما يخص شبكة الدفاع الجوي والتغلب على سلاح الجو المعادي ، ولكنهم اختلفوا عن المصريين في التركيز على القوة المدرعة بدلاً من الصواريخ الموجهة

المضادة للدبابات التي يستخدمها جنود المشاة ، حيث كانت فرقتان من الفرق السورية الخمس مدرعة بالاضافة لوجود لواء مدرع في كل فرقة مشاة والألوية المدرعة المستقلة . وكان في كل فرقة دبابات سورية (٢٥٠ دبابة و ١٢٠ دبابة) في فرقة المشاة .

وقد قدر الاسرائيليون أن سوريا دفعت بما مجموعه ١٥٠٠ دبابة وناقلة مدرعة في المراحل الأولى للمعركة ولكن نتيجة اتباع العقيدة السوفيتية دون تطويرها وقع السوريون في خطأ الاسرائيليين نفسه . وأصبحت الجولان مقبرة للدبابات السورية . وعندما تراجع السوريون شرق خط وقف إطلاق النار ، وحاول الاسرائيليون التقدم بدروعهم شرقاً واجهوا نفس الصعوبة بسبب فقدان عنصر المشاة القادر على مسك الأرض واستخدام الأسلحة الموجهة المضادة للدبابات من مواقع مناسبة لاصطياد الدروع العربية .

ومن أبرز الدروس في حرب رمضان أنه من الصعب على أي جيش ، مهما بلغت كفاءته أن ينجح في كسب الحرب دون أن يمزج بين مختلف عناصر القتال (خاصة عنصر المشاة وأسلحة مقاومة الدبابات الموجهة والدروع) وبنفس المستوى بين شبكات الدفاع الجوي وسلاح الجو ثم بين القوات البرية والجوية والبحرية على اختلافها .

واذا أراد العرب النجاح في الحرب فلابد من الإبقاء على عنصر المشاة واستخدام الأسلحة المضادة للدروع على اختلافها ، ودمجها مع عناصر القتال الأخرى . فقد أثبتت الحرب أن المشاة هي سلاح المعركة الرئيسي كما أن المدفعية سلاح فعال يكاد يقارب سلاح الجو أو يفوقه في التأثير نظراً لاستخدامه في كافة الظروف . وليس تكديس السلاح وتنظيمه هو المهم فقط ، بل القدرة على مزج أنواع السلاح مع بعضها وإتقان استخدامها على أفضل وجه لتحقيق النصر في المعركة .

معضلات القيادة العربية الموحدة

رغم التخطيط الدقيق الذي قامت به القيادة المصرية ـ السورية المشتركة العليا على المستوى الاستراتيجي والتعبوي (التكتيكي) والإعداد المتواصل طيلة السنوات الفاصلة بين حرب حزيران سنة **١٩٦٧** وحرب تشرين الأول سنة **١٩٧٣** ، فإن هذا التخطيط لم يشمل دول المواجهة العربية كلها وقواتها المسلحة ، ناهيك عن التفكير بالدول العربية الأخرى وترك الأمر ـ رغم أهميته ـ لمشيئة القدر .

ثم اندلعت الحرب والشعارات المتناقضة تملأ الأجواء العربية ، بحيث كان من السهل على كل متتبع للأحداث على الساحة العربية أن يسمع نداءات الأخوة والتضامن بين مصر ودمشق في نفس الوقت الذي يسمع فيه التنديد والمهاترة من محطات أخرى . ولم تتوقف تلك الشعارات المتناقضة إلا بعد اندلاع القتال يوم ٦ تشرين الأول سنة **١٩٧٣** ، حيث فوجئت هذه الأطراف بالحرب

وطغت أصوات المدافع وأزيز الطائرات على نقيق الضفادع المنبعث من مستنقع الخلافات العربية[1] .

ولكن حلم الوفاق لم يطل ـ حتى بين مصر وسوريا ـ وعادت الدول العربية إلى طبيعتها فبدأت سوريا تتهم مصر بالتقاعس عن الاستمرار في الحرب وخيانة الأهداف الاستراتيجية التي اتفقت عليها الدولتان . وكانت سوريا تتعرض لضغط هائل من قوات العدو على جبهة الجولان بينما تسترخي القوات المصرية في مواقعها في رأس الجسر على ضفة القناة الشرقية بدلاً من أن تستمر في القتال وتستولى على الممرات الاستراتيجية في سيناء فتمنع العدو من القيام بهجوم معاكس ناجح على القناة وتخفف الضغط على القوات السورية في الشمال .

وحتى الدول الصديقة والحليفة للعرب أحست بالخلافات العربية التي تمور تحت السطح وتظهر أحياناً ، لدرجة أن ليونيد برجنيف ـ بعد أن شعر بالإحباط وخيبة الأمل ـ تسائل عن سر هذه الخلافات ولماذا لم يتم التنسيق المسبق بين جيوش الدول العربية . وعلق قائلاً : « لماذا كانت تتسلح العراق والجزائر ؟ وإذا لم تحاربا في هذه المعركة فمتى ستحاربان ؟ » وقد استجاب الاتحاد السوفيتي لطلب العراق بالتحدث لشاه ايران من أجل تخفيف الضغط على العراق لكي يشارك في معركة الجولان . وهكذا ساهمت الخلافات والتمزق وعدم التنسيق بين الدول العربية في إجهاض الأهداف المرجوة من حرب تشرين الأول عام **١٩٧٣** .

وقد كان التنسيق والتخطيط التعبوي مع دول المواجهة الأخرى (كالأردن و والعراق) على أضيق نطاق ، فبالرغم من دعوة الملك حسين إلى مؤتمر القاهرة في ١٢ أيلول سنة **١٩٧٣** ، إلا أنه لم يعط صورة حقيقية عن الحرب القادمة أو أهدافها ، وإنما أعطى بعض التلميحات عن احتمال تجدد حرب الاستنزاف مع اسرائيل على غرار المعارك التي دارت بين عامي **١٩٦٧** و **١٩٧٠** .

كما لم تبلغ القيادة الاردنية بأية معلومات تشير إلى حرب رمضان ، وتركت في حيرة من أمرها تحاول التخمين والاستنتاج عما يجرى على جبهات القتال التي هي إحدى ركائزها الرئيسية .

كانت الجبهة الاردنية (باستمرار) بحاجة إلى المزيد من الدعم والتسليح ، خاصة في مجال السلاح الجوي وشبكة الدفاع الجوي ، وقد أظهرت حرب رمضان أن الجيش المصري والسوري لم يستطيعا الابتعاد عن مظلة الدفاع الجوي ، فكيف تستطيع القوات الاردنية عبور نهر الاردن والقتال في أرض مكشوفة دون أن يتوفر لها غطاء جوي أو شبكة دفاع جوي تحمي مناطقها الحيوية وخطوط مواصلاتها .

في ظل تلك الظروف كان أمام الملك حسين خياران لدخول الحرب : الأول فتح جبهة عبر نهر الأردن تاركاً لاسرائيل فرصة تدمير القوات الأردنية وتكرار غلطة حزيران سنة **١٩٦٧** ، والخيار الثاني الذي نُشأ نتيجة عدم تمكن الدول العربية من تأمين الحماية الجوية الكافية للقوات الأردنية ،

(١) المترجم

وأمـا الأردنّ فكان موضـع انتقـاد من قبـل البعض دون حق بسبـب موقفـه العسكري وهو استخدام جزء من القوات الأردنية على الجبهة السورية والاحتفاظ بقوة رئيسية لتثبيت القوات الاسرائيلية على الجبهة الاردنية ، ومنع جزء منها من المشاركة في القتال على الجبهات الأخرى وحماية جناح القوات السورية الأيسر بواسطة منع العدو من اختراق الجبهة الأردنية والالتفاف عليها من الخلف على محور الرمثا ـ درعا . وما كان في مقدور القوات الأردنية عمل أكثر من ذلك لا سيما وأن الحصار الاقتصادي والسياسي على الأردن لم يرفع إلا قبل المعركة بأيام قلائل .

لم يكن التخطيط والتنسيق على المستوى التعبوي أفضل حالا منه على المستويات العليا فكما أنه لم يكن هناك تنسيق جيد بين الجيشين الثاني والثالث المصريين ، مما سهل اجتياز القوات الاسرائيلية ثغرة الدفرسوار ، كذلك لم يكن هناك تنسيق أو تخطيط مشترك لعمليات القوات العربية (السورية والأردنية والعراقية) ، وكان من نتيجة ذلك فشل الفرقة العـراقية واللـواء المدرع ٤٠ الاردني في تنفيذ هجوم مشترك مدبر على الجيب الاسرائيلي في قطاع تل الحارة ـ كفر شمس . ورغم الحماس الذي طغى على روح المقاتلين العرب إلا أن التخطيط السيىء أوقع فيهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات ولم تحقق الهجمات المعاكسة المتكررة أيّاً من أهدافها المرسومة .

وخلال الحرب اقترح الرئيس السادات إدخال عناصر من منظمة التحرير إلى المنطقة المحتلة عبر الجبهة الأردنية ، في الوقت الذي كان فيه الجيشان المصري والسوري غير قادرين على صد القوات الاسرائيلية التي اخترقت الجبهتين في الدفرسوار وخط وقف إطلاق النار في الجـولان ، بالإضافة إلى زج الفرقة المدرعة الثالثة الأردنية على الجبهة الشمالية في سوريا . ولو كان هناك تنسيق حقيقي لتأسست قيادات مشتركة منذ البداية : قيادة للجبهة الغربية تضم مصر والدول العربية في افريقيا وقيادة للجبهة الشرقية تضم سوريا ولبنان والأردن والعراق والسعودية بالاضافة إلى بقية دول الجزيرة العربية والخليج العربي . ولو كانت الثقة موجودة وتوحدت الجهود ونسقت الخطط على المستوى الاستراتيجي والتعبوي وتم حشد الطاقات العربية من أجل المعركة واتحدت النوايا والأهداف لسجل التاريخ نتيجة مختلفة لحرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ .

خلاصة القول أن حرب (رمضان) تشرين الأول سنة ١٩٧٣ أظهـرت دروسـاً عديدة على المستوى السياسي والاستراتيجي والتعبوي وغيرت بعض النظريات والمفاهيم السياسية والعسكرية التي سادت العالم عقوداً من الزمن . ففي المجال السياسي صارت معظم دول العالم تؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإنشاء دولة فلسطينية على أرضه في فلسطين . واعترفت بهذا الحق هيئة الأمم المتحدة .

كما برز سلاح البترول كقوة فعالة أثرت على معظم دول العالم ولا زالت هذه الدول تعاني من تأثيره حتى الآن . ومن خلال سلاح البترول برز دور الدول العربية النفطية في دعم المعركة في المجال السياسي (قطع البترول عن الدول المؤيدة لاسرائيل) والمجال المادي بدعم دول المواجهة بالسلاح والمعدات . وبالمقابل كانت خسارة اسرائيل الاقتصادية كبيرة جداً . ولو استمرت الحرب

فترة أطول لما كانت قادرة على دعم المجهود الحربي وإبقاء جيشها تحت السلاح دون أن تتوقف الحياة داخل الكيان الصهيوني .

أما في المجال العسكري فقد حقق العرب المفاجأة والقيام بالضربة الأولى وأثبت الجندي العربي أنه قادر على استخدام الأسلحة الحديثة بكفاءة جيدة وبرز دور القيادة المشتركة وقدرتها على التخطيط الجيد على المستوى الاستراتيجي وتنفيذ تعرض شامل بقوات كبيرة ومتنوعة وأثبت ضباط الأركان قدرتهم في مجال التخطيط والتنفيذ على المستويات العليا أيضاً ، ولكن كان ينقصهم الحشد على المستوى العربي والقدرة على التخطيط والتنسيق والتنفيذ على المستويات الصغرى (الفرقة فما دون) .

كذلك برهنت حرب رمضان على عدم قدرة الطرفين على الاستمرار في القتال بسبب اعتمادها على مصادر خارجية في التزوّد بالأسلحة والمعدات . وقد لاحظ المراقبون كيف أن اسرائيل كادت تنهار في جبهة السويس ، ولولا الجسر الجوي الامريكي والدعم المادي والبشري ـ المتطوعون ـ الذي وصل اسرائيل لا تخذ القتال شكلاً آخر وتغير سير الحرب . ومن المعروف أن لدى الدول العربية ـ على عكس اسرائيل ـ كل الإمكانات المادية والبشرية للاستغناء عن المساعدات الخارجية في هذا المجال ، لذلك يجب عليها أن تركز على توفير المجهود الحربي من مصادرها الذاتية .

في مجال التعبية العظمى : أظهر الجيش الاسرائيلي وقادته تفوقاً على المستويات الدنيا بسبب اعتمادهم على اللامركزية وحرية التصرف والمرونة وإبداع القادة الصغار على عكس القيادات العربية التي بنيت على الاتكالية والسيطرة المركزية مما يعطل حرية القائد الذي يواجه موقفاً في الميدان مختلفاً عن الموقف النظري الذي توقعته القيادة العليا .

وفي مجال التسلل التعبوي والهجوم الليلي أثبت العدو نجاح هذه الأساليب وصلاحيتها في المعارك إذا ما سبقها تدريب وتخطيط مفصل وتنفيذ جيد . وكان اختراق الدفرسوار من أبرز هذه الأساليب . ولا شك في أن الناحية النفسية والقيادة الجريئة المندفعة لها دور كبير في كسب المعارك ، فلو واصل السوريون هجومهم حتى بحيرة طبريا ونهر الأردن ، والمصريون حتى الممرات الاستراتيجية في سيناء لتغيرت نتيجة الحرب .

ومن الدروس المهمة التي غيرت النظريات العسكرية ، الأسلحة الجديدة التي دخلت ميدان القتال وأهمها : **شبكات الدفاع الجوي** في مصر وسوريا : سام ٥ وسام ٦ ، وسام ٧ الذي يحمله جندي المشاة فقد حطمت هذه الأسلحة ـ التي استخدمها الجنود المصريون والسوريون بكفاءة عالية وشجاعة نادرة ـ اسطورة القوة الجوية والذراع القوية التي كانت أحد عناصر الاستراتيجية الاسرائيلية .

وأسلحة مقاومة الدروع الموجهة (ATGMS) وهي على الجانب العربي تلك الصواريخ التي كان يحملها جنود المشاة (من نوع ساغر وسنابر وسواتر) وحطموا بها الدروع الاسرائيلية المتقدمة على

رأس الجسر وأثبتوا الحاجة المستمرة للمشاة ، وفشل نظرية « القوة المدرعة الخالصة » . وقد برزت حاجة الدروع إلى المشاة في معارك الجولان لمسك الأرض وحماية تقدم الدروع من الصواريخ المضادة للدبابات أيضاً .

وبالنتيجة ، فقد كان إحترام العرب لانفسهم ولكرامتهم هو الذي دفعهم في النهاية لخوض الحرب . لقد حز في النفوس جواب المارشال السوفياتي زخاروف الصريح الغاضب الذي قذف به في وجوه القادة العسكريين المصريين عندما بحثوا معه قضية توريد أسلحة جديدة لهم . وكان المارشال يقصد ذلك التأثير لجوابه الذي جاء فيه حسب رواية محمد حسنين هيكل : « أسلحة ؟ لأي غرض تحتاجون الأسلحة ؟ ألتزودوا بها اسرائيل ؟ إن ما تحتاجونه هو التدريب ، التدريب .. وبعدها سننظر في أمر السلاح . » لقد أوضح المارشال زخاروف ما يريد وضربت الكرامة المصرية في الصميم . كان الجواب لاذعاً والطعنة مؤلمة لكنها أثمرت .

وإذا ما تمت مقارنة كمية بين الدولة العربية واسرائيل قبل حرب رمضان يجد المتتبع للحرب أن العرب يتفوقون بالعدد والعدة . ولذلك لم تكن الناحية الكمية هي السبب في نصر العدو وخسارة العرب ، بل كان السبب هو استخدام هذه القوة والعقلية التي أدارت الحرب وخططت لها .

٣٣ - التوازن العسكري في الشرق الأوسط ـ تقييم حتى سنة ١٩٧٨

ملخص الوضع السياسي سنة ١٩٧٣ ـ سنة ١٩٧٨

انتهت حرب رمضان بعد بداية عربية موفقة نتيجة حسن التخطيط والمفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية الكاملة لاسرائيل غير أن سوء تنفيذ العرب لبعض مراحل خطتهم اتاح للاسرائيليين انتزاع المبادأة منهم وايقاف الهجوم العربي في الجبهتين والتوغل في الأرض العربية . ومع ذلك فقد انتهت الحرب دون حصول أي من الطرفين على نصر حاسم . ومما ساعد في الوصول إلى ذلك الوضع تدخل الدولتين العظميين في سير القتال .

بعد انتهاء الحرب تحركت قضية الشرق الأوسط وجرت محاولات لحلها حلاً عادلاً ودائماً لكن المحاولات تحطمت على صخرة الخلاف والتخاذل العربي ثم العناد والغطرسة الاسرائيلية المتمتعة بالدعم الكامل والشامل من الولايات المتحدة الأمريكية .

بدأت محاولات الحل بعقد مؤتمر جنيف في آخر سنة **١٩٧٣** بحضور أمين عام الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واسرائيل ومصر والأردن وسوريا ولم يتم التوصل إلى أية تسوية .

ثم بدأ كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة جهوده الدبلوماسية من أجل إحلال السلام على مراحل . وقد أرادت اسرائيل أن تنسحب من جزء من الأراضي العربية المحتلة سنة **١٩٦٧** مقابل

الاعتراف بها وعقد معاهدة صلح معها لكن الدول العربية اشترطت الانسحاب الكامل فرفضت اسرائيل . أما الاتحاد السوفيتي فقد اتسم موقفه بالسلبية بينما تولت الولايات المتحدة المهمة بكاملها ونجحت دبلوماسية كينسجر بعض الشيىء في مراحلها الأولى حيث تم توقيع اتفاقية للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية على الجبهة المصرية في ١٩٧٤/١/٢٨ نصت على انسحاب اسرائيل مسافة ٢٠ ميلاً شرق القناة مقابل تحديد حجم القوات المصرية ومجيىء قوات دولية لترابط في سيناء .

في هذه الفترة كان الطرفان المتحاربان يتلقيان مساعدات عسكرية ومالية سخية لتعويض خسائرهما الباهظة في الحرب وإعادة بناء قواتهما المسلحة واقتصادهما الذي تضرر من الحرب ، وأخذت مصر تزداد تباعداً عن الاتحاد السوفيتي وتقرباً من الولايات المتحدة بينما أبقت سوريا على علاقاتها الودية مع السوفيات . وفي نيسان سنة ١٩٧٤ استقالت جولدا مائير من رئاسة الحكومة الاسرائيلية وموشي ديان من وزارة الدفاع . وخلف إسحق رابين جولدا مائير في رئاسة الحكومة وفي أيار سنة ١٩٧٤ عقدت اتفاقية فصل القوات مع سوريا وبموجبها تراجع الاسرائيليون إلى حدود وقف إطلاق النار سنة ١٩٦٧ واستعاد السوريون القنيطرة بعد أن دمرتها اسرائيل وأحالتها ركاماً مهجوراً .

وفي تشرين الأول سنة ١٩٧٤ عقد مؤتمر القمة العربي في الرباط والذي قرر فيه الملوك والرؤساء العرب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني فاتخذت اسرائيل ذلك ذريعة للتشدد في عدم الانسحاب رغم أن الأمم المتحدة اعترفت أيضاً للمنظمة بهذا الوضع وذلك في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٧٤ نفسه .

وتحسنت العلاقات بين سوريا والأردن سنة ١٩٧٥ على اثر الموقف الأردني من سوريا في حرب تشرين سنة ١٩٧٣ لا سيما وأن الرئيس السوري حافظ الأسد كان ضد التدخل السوري إلى جانب الفدائيين في عام ١٩٧٠ . وفي سنة ١٩٧٥ أيضاً اجتمع مندوبون عن مصر وسوريا ومنظمة التحرير والأردن ووعد الملك حسين بالاستمرار في مساعيه لتحقيق انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية لكنه رفض الاشتراك في محاولات السلام كما رفض إعادة الفدائيين للأردن لئلا تتكرر مأساة أيلول سنة ١٩٧٠ .

واستمرت جهود كيسنجر ورحلاته المكوكية سنة ١٩٧٥ لتحقيق السلام لكنها فشلت بسبب تعنت اسرائيل وإن كان قد تمكن من عقد اتفاقيات أخرى لفصل القوات بين مصر واسرائيل تمكنت مصر بموجبها من استعادة حوالي نصف شبه جزيرة سيناء .

وفي ربيع سنة ١٩٧٥ اندلعت الفتنة في لبنان والتي تحولت إلى حرب أهلية لبنانية عربية وانقسم المتحاربون إلى معسكرين : الجبهة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة واليمينيون اللبنانيون الذين يمثلهم حزبا الكتائب والوطنيين الأحرار من جهة أخرى وتدخلت دول عربية

وأجنبية إلى جانب كل طرف من المتحاربين ومازال لبنان والعرب عموماً يعانون من هذه المأساة حتى الآن وكان المستفيد الأكبر منها هو اسرائيل التي احتلت في آذار سنة ١٩٧٨ المناطق الواقعة جنوب نهر الليطاني وسلمت السلطة فيها لعميلها سعد حداد كما أن هناك قوات دولية لحفظ السلام ولكنها عاجزة عن القيام بمهمتها عجزاً كلياً .

وعندما جرت الانتخابات الاسرائيلية للكنيست في سنة ١٩٧٧ فاز حزب الليكود اليميني برئاسة الإرهابي مناحيم بيجن في هذه الانتخابات البرلمانية وخرجت كتلة المعراخ أو العمال من الحكم بعد أن سيطرت على اسرائيل مدة ٢٩ سنة منذ عام ١٩٤٨ . ورغم اتفاق الطرفين في الأمور الأساسية : العدوانية والتوسعية والعنصرية والاستيطانية الصهيونية إلا أن الليكود أكثر تشدداً ووضوحاً في أهدافه من حزب العمل .

وفي آخر سنة ١٩٧٧ قام السادات بزيارة اسرائيل وعقد معها بمباركة الولايات المتحدة ومساعيها معاهدة كامب ديفيد وهي معاهدة سلام أدت في النهاية إلى انسحاب اسرائيل من سيناء مقابل عودتها إسمياً إلى السيادة المصرية وتسليمها إلى قوة حفظ سلام متعددة الجنسيات .

السياسة الدفاعية وميزان القوى العسكري حتى سنة ١٩٧٨

نتيجة لحرب رمضان أحدثت اسرائيل تغييرات مهمة في قيادة جيشها . أما من حيث العقيدة القتالية فقد بقي مفهوم الدفاع التعرضي ومبدأ الحرب الوقائية بالضربة الأولى قائمة وجرى صقل للعقيدة التعبوية وأساليب تطبيق عملياتها . وكذلك كان الأمر بالنسبة للمنظومة الادارية وجهاز الاستخبارات . وتم تقليص الزمن المخصص للتعبئة العامة من ٧٢ ساعة إلى ٤٨ ساعة أو أقل وزيد في عدد الاحتياط وعدد الجيش الدائم زيادة محسوسة . وفي وسع اسرائيل الآن حشد أكثر من ٦٠٠ ألف جندي في أسلحتها الثلاثة في حالة التعبئة الكاملة .

وأما في مجال التسليح فقد تلقت اسرائيل كميات هائلة من الأسلحة أثناء حرب رمضان وبعدها وتلقت طائرات حديثة من طراز ف ١٥ و ف ١٦ وصواريخ لانس التي مداها ١١٠ كيلومترات إضافة إلى صواريخ أريحا التي تنتجها اسرائيل محلياً والتي يبلغ مداها حوالي ٤٨٠ كيلومتراً وزوارق الهجوم السريعة وصواريخ بحر بحر والقنابل التلفزيونية وغير ذلك . وفي مجال الاستراتيجية زالت نظرية موشي ديان القائمة على انهيار قوات العدو ونظرية اسرائيل تال القائلة بأن الدروع وحدها هي السلاح الحاسم في المعركة . وتصحيحاً لنظرية ديان ونظرية تال فقد أعيد تنظيم القوات الاسرائيلية في فرق متوازنة من المشاة والدروع المدعمة بالمدفعية على غرار التنظيم الأمريكي . ولكن يجب أن نعرف أن اسرائيل لا يمكن أن تبدأ عدواناً على نطاق واسع إلا إذا حصلت على دعم من الولايات المتحدة وإن كانت الآن أقوى عسكرياً بكثير مما كانت عليه عشية حرب رمضان .

غير أن اسرائيل تتمتع بمزايا أخرى على الدول العربية مثل كون اسرائيل تقاتل وتحرك قواتها على الخطوط الداخلية كما أنها تتمتع بوحدة القيادة التي تتصف بالمرونة وحرية التصرف وذلك مقابل الخطوط الخارجية الطويلة المتشعبة التي يقاتل عليها العرب إضافة إلى انعدام وحدة القيادة العسكرية عندهم والخلافات العميقة الهائلة فيما بينهم .

ورغم الخسائر الكبيرة التي مني بها العرب في المعدات والأرواح وفقدانهم لأراضي جديدة إلا أن معنوياتهم بقيت عالية بعد حرب رمضان وذلك إثر تمكنهم من هزيمة اسرائيل في المراحل الأولى من الحرب كما أنهم يعتقدون أن التدخل الأمريكي إلى جانب اسرائيل كان السبب الوحيد في إنقاذها من الهزيمة النهائية .

وفيما يتعلق بالقوات العسكرية العربية بعد حرب رمضان فقد عوضت مصر معظم ما فقدته من سلاح لكن سياسة السادات في ابتعاده عن الاتحاد السوفيتي جعلت السوفيات يوقفون تصدير مزيد من السلاح لمصر التي اتجهت بدورها لمصادر تسليحية مختلفة ولا يزال جيشها في حالة ضعف نسبي نتيجة لحجب المساعدات السوفياتية عنه وتعطيل مقدار كبير من طائراته وأسلحته بسبب نقص قطع الغيار والصيانة إضافة إلى التوجه الجديد للقيادة المصرية السياسية القائم على التقارب مع اسرائيل والولايات المتحدة والتراخي في تدريب الجيش وإعداده إلا حسب ما تقتضيه المشيئة والسياسة الأمريكية .

وأما بالنسبة لسوريا فقد تلقت كميات هائلة من مختلف الأسلحة والمعدات الحديثة التي يملكها السوفيات من دبابات ت ٦٢ و ت ٧٢ وطائرات ميج ٢٣ ، ٢٥ و ٢٧ ، بحيث أن سوريا الآن تملك أضخم قوة عسكرية عربية .

ولكن الأردن لم يكن محظوظاً كاسرائيل وسوريا أو حتى كمصر في إعادة تسليح قواته بل كان يعاني من سوء علاقاته مع جيرانه وأشقائه من دول المواجهة ولم تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين الأردن وكل من سوريا ومصر إلا قبل حرب رمضان بأيام . كذلك لم تكن لديه أية فكرة عن حرب رمضان قبل نشوبها . وعلى أية حال فقد تعاقد الأردن على شراء شبكة دفاع جوي من الولايات المتحدة بثمن غال (٥٥٠ مليون دولار بتمويل سعودي) كما تعاقد على شراء بعض الدبابات من بريطانيا والولايات المتحدة وزود سلاحه الجوي بطائرات ف ٥ من ايران (أيام الشاه) وهي من طراز قديم نوعاً .

وهكذا لا غرابة في أن الأردن لم يكن قادراً على الاشتراك في التعرض المصري السوري بسبب الحاجة إلى غطاء جوي وأسلحة مقاومة الدروع الموجهة وشبكة دفاع جوي تحمي منشآته الاقتصادية والعسكرية . وكان الملك حسين معذوراً في أن اشترط لاشتراكه في الحرب وصول القوات المصرية إلى الممرات في سيناء واحتلال السوريين للجولان .

لذلك كان من الغريب أن تطلب بعض الجهات العربية من الأردن الذي لم يكن يملك سوى ٥

فرق ضعيفة فرقتي دروع وفرقتي مشاة وفرقة آلية) أن يتعرض ضد اسرائيل عبر نهر الأردن . ولو فعل ذلك لأصبحت قواته فريسة سهلة لسلاح الجو الاسرائيلي . ورغم أن دفاعه الجوي يعتمد على المدافع القديمة ٤٠ ملم و ٢٠ ملم ، إلا أن قواته فوتت الفرصة على قوات العدو لاختراق الجبهة الأردنية والالتفاف على جناح القوات السورية الأيسر وتدميرها بالاضافة لإرسال فرقة مدرعة لتقاتل إلى جانب القوات السورية في جبهة الجولان .

وبصرف النظر عن الجوانب السياسية للمشكلة ، فان الأردن خرج من الحرب بثلاثة دروس رئيسية : الأول : وجود حاجة ملحة للتنسيق والتخطيط المشترك بين دول الجبهة الشرقية (خاصة الأردن وسوريا والسعودية[١] ولبنان والعراق) . الثاني : ضرورة توفير وبناء شبكة دفاع جوي فعالة ، والتي بدونها لا يمكن تنفيذ عمليات هجومية أو القيام بدفاع فعال . الثالث : ضرورة تسليح التشكيلات والوحدات المقاتلة بمختلف أنواع أسلحة مقاومة الدبابات الموجهة (ATGWS) .

في المجال الأول نشطت القيادة السياسية في كل من سوريا والأردن في محاولة لخلق نوع من التنسيق العسكري بين القوات المسلحة في البلدين ، وبذلت جهوداً ملموسة في سبيل تطوير التعاون في مجالات التدريب والتخطيط التعبوي وتبادل الزيارات بين قادة المناطق المجاورة .

وفي مجال تزويد الأردن بصواريخ مضادة للدبابات قدمت أمريكا مجموعات من صواريخ تو (TOW) ضمن برنامج المساعدات العسكرية المتواضع للأردن . وكانت مشكلة الأردن تكمن في توفير الدعم المادي لشراء شبكة صواريخ للدفاع الجوي ، وقد ساهمت الدول العربية النفطية في هذا المجال ، وقامت المملكة العربية السعودية بالقسط الأكبر ، إذ تكفلت بدفع ثمن ١٤ بطارية (هوك) تم التعاقد عليها مع أمريكا .

ورغم صداقة الأردن التقليدية لأمريكا ، إلا أنه لم يلق الدعم الكافي من الولايات المتحدة ، التي خصصت معظم مساعداتها العسكرية لقلعتها الاستعمارية المتقدمة « اسرائيل » . لذلك اضطر الأردن لتخصيص معظم مساعدات دول الجامعة العربية إلى شراء أسلحة ومعدات للقوات البرية والجوية من أمريكا والدول الغربية . وهكذا حصلت القوات المسلحة الأردنية على ناقلات جنود وصواريخ ردآي (Redeye) ضد الجو ومدفعية محمولة (من عيار ١٥٥ ملم و ٨ عقدة) وأصبحت في وضع أفضل مما كانت عليه عشية حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ . ورغم المشكلات الاقتصادية التي كان يعاني منها الأردن نتيجة وجود ما يزيد على ثمانمائة ألف لاجىء ونازح ، وقلة الموارد الاقتصادية ، إلا أنه استطاع الاحتفاظ بقوات مسلحة مدربة تدريباً جيداً تعتبر من أفضل الجيوش الحديثة في الشرق الأوسط .

وكما هو معروف ، فإن الأردن يدافع عن أطول جبهة مع العدو تبلغ نحو ٣٠٠ ميل ومع حجم القوات الأردنية الصغير والموقع الجغرافي وعدم توفر شبكة دفاع جوي فعالة ، فإنه يصبح مهدداً بأي

(١) المترجم

هجوم اسرائيلي عبر نهر الأردن ، لهذا يحتم المنطق العسكري على الملك حسين أن يتجنب الحرب طالما كانت نتائجها محسومة سلفاً . ومع ذلك نجد الدول العربية تصر على دخول الأردن الحرب وفتح جبهة ثالثة عبر نهر الأردن ، متناسية أنها تحجم في كثير من الأوقات ـ ولأقل بادرة خلاف ـ عن دفع التزاماتها لدعم صمود القوات المسلحة الأردنية والمواطنين في الضفة الغربية الذين يحتاجون للدعم المتواصل كي يبقوا صامدين في أرضهم .

لم يستفد العرب كثيراً من أخطاء الماضي ما عدا الملك حسين الذي تعلم أن لا يزج بجيشه في معركة لا يعرف عنها شيئاً . ففي الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ ترك الجيش العربي (المؤلف من أربع كتائب مشاة) وحده يدافع عن البقية الباقية من فلسطين . وفي عام ١٩٦٧ زج الجيش العربي بمعارك حزيران وخسر الضفة الغربية بسبب جهل القيادة المصرية وخداعها للقيادة الأردنية ، وكان الملك حسين قد حاول دخول الحرب عام ١٩٥٦ إلى جانب مصر مدفوعاً بحماسه العربي المعهود ، ولكن حكمة الرئيس جمال عبد الناصر وإصراره على بقاء الأردن خارج المعركة جنباه المصير المجهول .

وفي الإعداد لحرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ ، لم يطلع الملك حسين وقواته المسلحة على أي شيء من خطط الحرب ومشاريعها . وعندما التقى الملك بالرئيس السادات والرئيس الأسد لم يبلغاه بالإعداد لحرب متوقعة . وما أن بدأت الحرب حتى كان الرئيس أنور السادات أول الداعين إلى وجوب اشتراك القوات المسلحة الأردنية في القتال عبر نهر الأردن . ومع ذلك فقد ساهم الجيش العربي بالأسلوب الذي يفهمه ، والذي يتمشى مع المنطق والواقع فأرسل قواته المدرعة لتشارك في الدفاع عن دمشق ، كما سبق أن دافع عنها جيش الثورة العربية الكبرى (الجيش الهاشمي الشمالي) بقيادة الأمير فيصل بن الحسين في تشرين الأول عام ١٩١٨ .

في التخطيط الاستراتيجي للثمانينات (١٩٨٠-١٩٨٩) وضمن الظروف السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط ، تتأثر سياسة الملك حسين بعاملين مهمين هما : أولاً : دور الأردن الرئيسي في الصراع العربي الاسرائيلي كإحدى دول المواجهة . ثانياً : قدرته على الاحتفاظ بقوات مسلحة ومدربة ومجهزة بأفضل الأسلحة والمعدات ـ ضمن الإمكانات الأردنية المحدودة ـ بحيث يكون قادراً على تنفيذ دوره في الجهد العربي . ويرى المتتبعون لسياسة المنطقة أن الملك حسين ـ الذي يتحلى بالعزيمة القوية والإرادة الحديدية والتجربة الطويلة والحنكة السياسية ـ قادر على قيادة شعبه إلى غايته المنشودة .

نخلص إلى القول أن الشعارات البراقة والحماس العربي المنطلق عبر أجهزة الاعلام لا يؤثر على الجيش الاسرائيلي والسياسة الصهيونية في فلسطين ، بقدر تأثير الجهد العربي المشترك والقيادة الموحدة والتخطيط والتنسيق المحكم الفعال . وسيبقى دور الأردن وقواته المسلحة ضعيفاً طالما كان

الجيش العربي الهاشمي

دعم الدول العربية الغنية القادرة على تجهيزه بأحدث الأسلحة والمعدات دون المستوى المطلوب ، وبذلك يبقى دوره محدوداً في إطار الدفاع التعرضي ضد أي محاولة لخرق الجبهة الأردنية الواسعة ، ولا يمكن أن ينتقل إلى الهجوم إلا باشتراك القوات العربية الأخرى وتلاحمها لتحقيق التفوق على جيش العدو في التسليح والتدريب والتخطيط ونوعية المقاتلين .

وتتلخص الأوضاع التي كانت سائدة في الوطن العربي في شتاء عام ١٩٧٧ ، وهو موعد الذكرى الرابعة لحرب تشرين ، أن قوة سوريا والعراق واسرائيل العسكرية أصبحت أفضل من الحالة التي كانت عليها عشية حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ . بينما اختلف وضع القوات المصرية التي كانت تحاول جاهدة المحافظة على قوتها العسكرية بعد أن توقف الاتحاد السوفيتي عن تزويدها بالسلاح والمعدات . أما الأردن فقد حافظ على نفس المستوى الذي كان فيه قبل الحرب . ورغم تدفق الأسلحة الروسية على سوريا فقد كان الاتحاد السوفيتي غير مرتاح لتدخلها في لبنان ، كما جاءت الذكرى الرابعة ومصر وسوريا على خلاف حول التدخل في الحرب الأهلية الدائرة في لبنان .

التحليل الاستراتيجي والفرضيات

تتمتع اسرائيل (في حدود سنة ١٩٤٩) بموقع جغرافي استراتيجي وحيوي رغم صغر حجمها وقلة عمقها في الوسط . إذ تسيطر على الطريق التاريخي الذي يربط الشرق وبلاد الشام بأراضي الدلتا والنيل كما أن اسرائيل تمنع أي اتصال بري بين الوطن العربي في آسيا وأفريقيا العربية . وباستطاعتها أن تنطلق من موقعها المتوسط إلى مصر جنوباً أو إلى سوريا ولبنان شمالاً أو الأردن شرقاً دون صعوبة . وهذه ميزة لا تتمتع بها الدول العربية بأوضاعها الراهنة على الأقل . كذلك فإن موانىء دول المواجهة العربية مكشوفة وتقع ضمن مدى الأسلحة الجوية والبحرية الاسرائيلية (وإن كان المفروض أن تكون الموانىء الاسرائيلية مكشوفة وواقعة ضمن مدى الأسلحة الجوية والبحرية العربية بنفس القدر ـ المترجم) .

ويمكن لاسرائيل أن توجه الجهد الرئيسي إلى الجبهة الأشد خطراً أو التهديد الأكثر احتمالاً . وقد أعادت اسرائيل تحصين خط وقف إطلاق النار في الجولان بحيث أصبح من الصعب على القوات السورية اجتيازه كما حدث سنة ١٩٧٣ . وبذلك تحقق للصهاينة إمكانية تخصيص قوات أكثر للعمل في قطاع آخر كالتقدم عبر سهل البقاع وقطع طريق دمشق ـ بيروت وتهديد دمشق التي لا تبعد أكثر من ٢٥ ميلاً إلى الشرق .

أما على طول خط وقف إطلاق النار الحالي مع الأردن والبالغ طوله حوالي ٣٠٠ ميل ويمتد من جنوب بحيرة طبريا شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً ، فتحتل اسرائيل موقعاً استراتيجياً قوياً . فعلى طول القطاع الممتد من جنوب بحيرة طبريا إلى شمال البحر الميت بطول سبعين ميلاً تنحدر

المقتربات الرئيسية من الضفة الشرقية من جبال عجلون والبلقاء والكرك التي يصل ارتفاعها إلى ٣٥٠٠ قدماً عن سطح البحر إلى وادي الأردن الذي ينخفض ١٠٠٠ قدم عن سطح البحر لتعود وترتفع إلى جبال القدس ونابلس التي تعلو نحو ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر. وهناك ثلاثة مقتربات رئيسية عبر الأردن: يمتد الشمالي منها من أربد مروراً ببيسان المحتلة وعبر مرج بن عامر إلى ميناء حيفا على البحر الأبيض المتوسط. أما المقترب الأوسط فينطلق من السلط عن طريق العارضة إلى جسر الامير محمد (داميا) ثم يتجه إلى الشمال الغربي في وادي الفارعة إلى مدينة نابلس المحتلة. كما أن هناك طريق السلط وادي شعيب أريحا. وأما المقترب الجنوبي فيبدأ من عمان إلى ناعور ثم أريحا فالقدس. ومع أن مدن القدس ونابلس وحيفا قريبة من الضفة الشرقية من حيث المسافة المباشرة إلا أن المسالك الصعبة المؤدية إليها يمكن إغلاقها بسبب سيطرة جبال القدس ونابلس عليها.

وإلى الجنوب من البحر الميت تشكل صحراء النقب الجافة المقفرة حاجزاً طبيعياً ضخماً يقف أمام أية تحركات من الشرق إلى الغرب. وإذا أضفنا البحر الميت كمانع للحركات البرية، نجد أن هذه المنطقة تمتد بصورة فعالة ما يزيد عن ٢٠٠ ميل من الحدود الاسرائيلية الأردنية الصعبة الاجتياز. ويتخلل هذا الجزء من الحدود طريقان أحدهما طريق رئيسي هو الطريق الصحراوي عمان ـ العقبة والذي يتفرع منه طريق عند القطرانة يتجه غرباً ويلتقي مع طريق عمان ـ الموجب ـ الكرك قبل الوصول إلى مدينة الكرك التي ترتفع ٣٧٠٠ قدم عن سطح البحر ثم ينحدر الطريق غرباً إلى اطلال سدوم وعمورة وسط الأراضي السبخة المالحة الواقعة حول القسم الجنوبي من البحر الميت الذي ينخفض ١٣٠٠ قدم عن سطح البحر، ثم يسير الطريق بعد خروجه من غور الصافي في فرعين: فرع يتجه غرباً إلى بئر السبع التي تبعد عن الكرك ١٠٠ ميل عبر صحراء النقب وفرع آخر يستمر جنوباً عبر وادي عربة إلى العقبة وإيلات على شاطىء البحر الأحمر.

وتسمح الطبيعة الجغرافية للجبهة الشرقية للجيش الاسرائيلي بعمليات تعرضية سهلة نسبياً حيث يستطيع القيام بعملية التفاف مزدوج عبر لبنان والجولان باتجاه دمشق، أو عن طريق اختراق الجبهة الأردنية والاتجاه بعد ذلك شمالاً إلى سوريا. وبما أن من الصعب على اسرائيل القيام بعمليتي تعرض رئيسيتين على الجبهة الشرقية والجبهة المصرية في آن واحد فإنها ستلجأ على الأرجح إلى الهجوم بجهد رئيسي على إحداهما وتثبيت الأخرى كما فعلت في السابق.

أما القوات العربية فلديها إمكانية التعرض المشترك على الجبهتين معاً رغم بُعد المسافة بينهما. وقد حدث هذا بالفعل وبنجاح في بداية حرب رمضان. ولذلك يجب على الدول العربية أن تمنع اسرائيل من اتباع استراتيجية الجبهة الواحدة أي الهجوم على جبهة واحدة وتثبيت الأخرى إلى حين الانتهاء من الأولى (ولكن يبدو أن هذا سيتحقق لاسرائيل إذا بقيت مصر على الحياد بعد أن وقعت اتفاقية السلام مع اسرائيل ـ المترجم).

الجيش العربي الهاشمي

ورغم أن اسرائيل تتمتع بأمن بري وبحري بفعل الطبيعة الجغرافية للمنطقة والعمل على الخطوط الداخلية إلا أن هذه الميزة تعاني من نقطة ضعف وهي أن معظم سكان اسرائيل محتشدون في منطقة ضيقة بين حيفا ويافا مما يجعل منهم هدفاً مكشوفاً للصواريخ العربية ذات المدى البعيد . وحتى لو ردت اسرائيل بضربات صاروخية مضادة تقليدية كانت أو نووية فإنها ستكون الخاسرة في النهاية نظراً للكثرة العددية العربية (السكانية) بالقياس لاسرائيل . وعلى أية حال فإن الخلافات العربية وعجز العرب عن التنسيق فيما بينهم من أهم دعائم البقاء الاسرائيلي .

وإذا كان من الصعب على الدول العربية أن تتفق سياسياً ففي وسعها على الأقل إنشاء قيادة عسكرية موحدة تتفرغ للعمل العسكري وتبتعد عن الخلافات السياسية ويكون مقرها دمشق مع فروع في الدول العربية الأخرى شريطة أن تنصرف هذه القيادة لتوحيد التنظيم والتدريب والتخطيط للجيوش العربية بالاضافة إلى ايجاد مفهوم استراتيجي موحد وعقيدة قتالية مستمدة من واقع القوات العربية والموقع الجغرافي الاستراتيجي لمسرح عملياتها . ولا شك في أن مهمة هذه القيادة عسيرة نظراً لكثرة عدد الدول العربية واختلاف أنظمتها وتسليحها وتباعدها عن بعضها جغرافياً وسياسياً واقتصادياً ولكن لابد من التصدي لهذه المهمة بشجاعة ووضوح إذا أراد العرب أن يحققوا نصراً في مواجهة اسرائيل ويتجنبوا كوارث عسكرية لا داعي لها .

وبالاضافة إلى التنسيق الاستراتيجي والتخطيط المشترك ، يجب على هذه القيادة العربية الموحدة تقوية الدول العربية مثل الأردن ولبنان لدرجة تتناسب مع مسؤوليات هذين البلدين . وينطبق هذا القول بصورة خاصة على الأردن إذا أريد له أن يصمد أمام جهد تعرضي اسرائيلي رئيسي ضد سوريا عن طريقه . وفي غياب التسلح اللازم ونظام الدفاع الجوي الفعال فإن من غير الواقعي أن ننتظر من بلد كالأردن القيام بإسهام ذي بال في الخطط الدفاعية العربية .

الاختيارات السياسية والعسكرية المتاحة

لم يبق للعرب واسرائيل إلا أحد خيارين : إما التفاوض من أجل السلام أو خوض الحرب الشاملة . والخيار الأول بعيد المنال لأن اسرائيل بدعم من الولايات المتحدة تريد استسلاماً كاملاً من العرب لكل مطالبها واعترافاً منهم بالاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية مع كل المزايا التي تحققها حالة السلام التي تنشدها اسرائيل وأمريكا . ويبدو أن العرب يظهرون رفضهم لمطالب اسرائيل وفي ذات الوقت يفتقرون إلى وحدة الكلمة حول الحل السياسي .

ولهذا بقي خيار الحرب . ولا مراء في أنها ستكون حرباً ضروساً تستخدم فيها أشد الأسلحة فتكاً ولا سيما صواريخ أرض أرض ، ومن المحتمل أن تنتهي باستخدام الأسلحة النووية . وسيسعى الفريقان ولا سيما اسرائيل للقيام بالضربة الأولى التي لن تسمح بتلقي الضربة الأولى مرة ثانية ولا تحتمل حرباً طويلة الأمد .

وحيث أن سوريا هي نقطة الارتكاز في الجبهة الشرقية فسوف يحاول العرب إحباط أية عمليات التفاف على الجيش السوري عبر الأردن ولبنان . أما الأردن فتشكل حلقة الوصل الحيوية بين الجبهة الشرقية والجبهة المصرية (إن وجدت) . ولن يكون في مقدور الجيش العربي الأردني القيام بأكثر من عملية دفاع وتثبيت في المراحل الأولى ثم الانتقال إلى الهجوم المحدود إن سمحت الظروف بذلك . ولإحباط أي تعرض اسرائيلي عبر الجبهتين اللبنانية والأردنية لا مندوحة عن قيام الجيوش العربية بضربة وقائية في سيناء والجولان لإجبار قوات العدو على تبني مبدأ الدفاع وخوض حرب استنزاف طويلة الأمد ، يضاف إلى ذلك ضرورة تغطية الجبهة الأردنية بشبكة دفاع جوي من القيادة العربية الموحدة .

وهكذا فلن يتعدى دور الجيش العربي الأردني الدفاع بسبب حرمانه من الدفاع الجوي الفعال والأسلحة الصاروخية الملائمة بالاضافة إلى معدات أخرى حديثة ومكلفة . ويتمتع الجندي الأردني بكفاءة فردية عالية . ولو أُتيحت له الإمكانيات المتوفرة لدى الجيوش الأخرى لأصبح قوة يعتد بها ضد العدو الاسرائيلي ولعاد ذلك بمردود على القضية العربية يعادل أضعافاً مضاعفة من الأموال التي تنفق عليه .

ونظراً للطابع التدميري المروع للحرب العربية الاسرائيلية الخامسة في حال اندلاعها ، واحتمال تورط الدول الكبرى فيها تورطاً فعلياً قد يؤدي إلى مواجهة عالمية شاملة ونووية ، فإن أكبر الجهود ستبذل من أجل تفاديها .

الامكانات الدفاعية لجيوش دول المواجهة العربية واسرائيل

« إن المقارنة الكمية للجيوش والإمكانات العسكرية بصورة عامة وبين العرب واسرائيل بصورة خاصة أمر محفوف بكثير من المحاذير . فالأرقام وحدها ليست دليلاً على تفوق طرف على الآخر كما علمتنا دروس التاريخ وعلمتنا التجارب الشديدة المرارة في حروبنا مع اسرائيل . إذ أن هناك عوامل أخرى عديدة يجب أخذها في الحسبان إذا أردنا أن نقارن بين إمكاناتنا العسكرية وإمكانات العدو الصهيوني . ومن هذه العوامل عدم اتفاق كلمة العرب سياسياً وافتقارهم إلى القيادة العسكرية الموحدة والتنسيق وكذلك طبيعة العلاقات بين الدول العربية المتجاورة ولا سيما دول المواجهة ، وما يطرأ على المنطقة من تغييرات أو أحداث ، إذ لا شك أبداً في أن الحرب العراقية الايرانية مثلاً ستؤثر لسنوات طويلة على الأوضاع العسكرية العربية في الجبهة الشرقية . يضاف إلى ذلك نوعية الأسلحة التي يعوض كثيراً عن كميتها كفاءة التدريب وحسن القيادة على كافة المستويات العسكرية بعد أمعان النظر في هذه العوامل والمتغيرات بإمكاننا أن نعرض بايجازما يورده المؤلف في سياق هذه المقارنة سنة ١٩٧٨ » .

على افتراض أن مصر ستقوم بدور فعال في أية حرب قادمة فإن بإمكان مصر وسوريا والأردن

الجيش العربي الهاشمي

تجهيز نحو ٦٥٠ ألف جندى يؤلفون ست فرق مدرعة وسبع فرق آلية وثلاث عشرة فرقة مشاة . كما أن الدول العربية الأخرى مجتمعة تملك ما يعادل أربع فرق مدرعة وثلاث فرق آلية وخمس فرق مشاة أي أن الدول العربية مجتمعة ستكون قادرة على حشد حوالي ٣٨ فرقة .

يقابل ذلك في الجانب الاسرائيلي حوالي نصف مليون جندي في حالة التعبئة موزعين على سبع أو ثماني فرق مدرعة وثلاث أو أربع فرق آلية وثلاث فرق مشاة وثلاث فرق من المظليين والقوات الخاصة أو ما يتراوح مجموعه بين ست عشرة وثماني عشرة فرقة . وتمتلك الدول العربية حوالي ٨٥٠٠ دبابة (منها ٥٠٠٠ في دول المواجهة) وما يقارب ٢٠٠٠ طائرة . ومقابل ذلك تستطيع اسرائيل حشد حوالي ٣٠٠٠ دبابة و ٤٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٥٥٠ طائرة مقاتلة . وهناك شبكات دفاع جوي فعالة وجاهزة في سوريا واسرائيل ومصر . أما الشبكة الأردنية فربّما كانت أقل فعالية من غيرها ـ المترجم) .

ومن ناحية السلاح البحري تمتلك مصر أكبر أسطول عربي بحري حيث تمتلك اثنتي عشرة غواصة وكاسحات ألغام وقوارب إنزال ومدمرات وعدد من زوارق الدورية السريعة والغالبية العظمى من أسلحة مصر البحرية سوفياتية الصنع . وتتسلح البحرية السورية والعراقية والجزائرية بأسلحة روسية مشابهة للبحرية المصرية لكنها أقل منها . وأسلحة البحر العربية مسلحة بصواريخ بحر ـ أرض من نوع ساملت ومداه ٦٠ ميلاً وكذلك صواريخ من نوع ستيكس . أما البحرية الاسرائيلية فتمتلك خمس غواصات و ١٨ زورقاً هجومياً مسلحة بالصواريخ من طراز غبريل وهاربون بالاضافة إلى سفن حربية أخرى . وتعمل البحرية الاسرائيلية تحت حماية سلاح الجو الاسرائيلي .

وبناءً على أن اسرائيل تعتمد على العمل التعرضي والمناورة على الخطوط الداخلية ضد الجبهات العربية المتباعدة وغير المنسقة ، والجبهات المكشوفة في الأردن ولبنان ، ونظراً لاضطرار العرب إلى المناورة على الخطوط الخارجية وطول خطوط المواصلات وانعدام وحدة القيادة فإنه يمكن استخلاص الافتراضات التالية لعمل القوات الاسرائيلية : الافتراض الأول : تثبيت الجبهة المصرية (إن عادت مصر ثانية إلى الصف العربي لتصبح دولة مواجهة) بسبع فرق اسرائيلية ضد ثلاث عشرة فرقة مصرية ، والهجوم بجهد رئيسي ممثل في عشر فرق على الجبهة الأردنية السورية اللبنانية وهذا هو الاحتمال الأرجح . الافتراض الثاني : تثبيت الجبهة الشرقية والتعرض بالجهد الرئيسي على جبهة سيناء وهو أقل احتمالاً من الافتراض الأول نظراً لقرب الجبهة الشرقية من المناطق الحيوية لاسرائيل لذلك يجب محاولة القضاء عليها في البداية . الافتراض الثالث : مهاجمة الجبهتين في آن واحد وهذا أكبر من قدرات الجيش الاسرائيلي واحتمالات النجاح فيه أقل .

تقدير الأعمال العسكرية الممكنة للعرب واسرائيل (سنة ١٩٧٨)

من الصعب التغلب على اسرائيل عسكرياً مادامت الدول العربية على حالها من التصدع

والخلاف . وإذا أرادت الدول العربية تحقيق نصر عسكري على اسرائيل فعليها أن لا تفكر بالمفاجأة الاستراتيجية كما حدث في حرب رمضان لأن وسائل المراقبة والإنذار المبكر قادرة على كشف أي تحرك عسكري في الشرق الأوسط . ولكن بالامكان تحقيق المفاجأة التعبوية من حيث الزمان والمكان واستخدام السلاح بشكل مؤثر وفعال والقدرة على المناورة والبدء في الضربة الأولى الوقائية بحيث تدمر قواعد الصواريخ أرض ـ أرض والمنشآت الحيوية .

وحيث أن حرب رمضان أحدثت أثراً ايجابياً على معنويات الجيوش العربية فإن العرب سيدخلون أية حرب جديدة وهم يتمتعون بمعنويات عالية في وقت يدخل فيه الاسرائيليون هذه الحرب يساورهم القلق من نتائجها لكنهم مع ذلك مصممون على كسبها وسيكون للاستخبارات دورمهم في جمع وتحليل وتقدير المعلومات ومحاولة الخروج باستنتاجات سليمة .

ومن نقاط الضعف لدى العرب واسرائيل معاً اعتماد الطرفين في التزود بالسلاح والمعدات على حلفاء خارجيين مما يجعل الطرفين أسيرين لهؤلاء الحلفاء . وتحسباً لأي طارىء ، زودت أمريكا اسرائيل بأسلحة وعتاد تكفيها لقتال ثلاثين يوماً على الأقل .

وربما تشعر اسرائيل أن الزمن ضدها ولهذا ستلجأ إلى القيام بالضربة الأولى في أية حرب قادمة ولا سيما إذا تجاوز التفوق الكمي العربي على اسرائيل نسبة ٣ : ١ وهي نسبة لا تستطيع اسرائيل القبول بتجاوزها رغم ما تتمتع به من مزايا جغرافية وقيادية وتدريبية . يضاف إلى هذا أن الضربة الاسرائيلية الأولى قد توفر على اسرائيل حرب الاستنزاف التي لا تستطيع تحملها .

وقد يأخذ مفهوم الضربة الوقائية الأولى ضد سوريا شكل الحرب الخاطفة بعمليات مشتركة بين القوات الجوية والقوات المحمولة جواً في محاولة لتدمير صواريخ سكاد (Scud) نظراً لخطرها على التجمعات السكانية في اسرائيل على أن يرافق ذلك تدمير القواعد الجوية العربية وشبكات الدفاع الجوي ، الأمر الذي إذا تحقق سيجعل القوات البرية العربية فريسة سهلة للقوات الجوية والبرية الاسرائيلية المندفعة لاحتواء الجيوش العربية وتدميرها . ويمكن أن يتخذ الهجوم على الجبهة الشرقية أحد الأشكال التالية :

١ - التعرض على مرتفعات الجولان .

٢ - التعرض على مرتفعات الجولان مع الالتفاف بجهد ثانوي عبر وادي البقاع في لبنان .

٣ - التعرض على محورين : بالجهد الرئيسي عبر القطاع الشمالي من الجبهة الأردنية وجهد ثانوي عبر وادي البقاع في لبنان والقيام بعملية التفاف مزدوج والأطباق على الجيش السوري وتدميره غرب دمشق .

٤ - يرافق الأشكال الثلاثة الأولى تثبيت الجبهة الجنوبية (سيناء) بجهد ثانوي .

٥ - استخدام صواريخ أرض ـ أرض من طراز أريحا و لانس ضد أهداف عسكرية ومدنية بذخيرة عادية أو نووية كتدمير الصواريخ العربية أرض ـ أرض .

وإذا كانت اسرائيل هي البادئة فعليها حسم المعركة خلال ١٠-١٤ يوماً وإلا تحولت إلى حرب استنزاف قد لا تنهزم فيها اسرائيل عسكرياً لكنها قد تصاب بخسائر بشرية جسيمة تهز كيانها وتكيل ضربة شديدة لاستراتيجيتها .

وعلى الجانب العربي فإن الاحتمال الوحيد لنجاحهم يكمن في تعرض شامل مشترك على الجبهتين الشرقية والمصرية يكون منسقاً مع ثورة داخلية في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية تستهدف قطع خطوط مواصلات العدو وتخريب الطرق والقيادات والأهداف الحيوية . ولابد أن يسبق ذلك تخطيط دقيق مفصل وتنسيق جيد على جميع المستويات .

وفي جميع الأحوال على العرب أن لا يسمحوا لاسرائيل بالقتال على جبهة واحدة والانفراد بكل دولة عربية لوحدها إذ تقوم القوات البرية العربية بشن هجماتها على جميع الجبهات وتوجيه ضربات جوية ضد مستودعات الوقود والتزويد الاسرائيلية وقواعد الصواريخ أرض ـ أرض ومحاولة تدمير شبكة الدفاع الجوي .

٣٤ - الهاشميون والجيش العربي الهاشمي

في الفترة التي بدأت بسيطرة السلاجقة على الدولة العباسية في بغداد في القرن الحادي عشر وحكم المماليك في مصر في القرن الثالث عشر والحكم العثماني على مدى أربعة قرون كان العرب شعباً محكوماً من قبل المتسلطين غير العرب . ولم يظهر أي تحد خطير للسيادة العثمانية إلا من قبل محمد علي الذي هدد اسطنبول عام ١٨٣٢ والحركة الوهابية التي أسسها محمد بن عبد الوهاب وتبناها الأمراء السعوديون من بعده . ولكن التحدي الكبير جاء بزعامة الشريف حسين بن علي (سليل الدوحة الهاشمية) عندما قاد الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ . والسبب أن حركة محمد علي جاءت لتحقق طموحات شخصية لا تمت للعرب والعروبة بصلة وكذلك الحركة الوهابية التي كانت مجرد حركة دينية جاءت لتعيد الدين إلى أصوله السلفية . وقد انتهت الأولى في سوريا بعد أن أجبرت الدول الغربية ابراهيم باشا (ابن محمد علي) على الانسحاب من سوريا عام ١٨٤٠ .

ولكن الوعي القومي بدأ ينمو ويترعرع بعد ذلك بسنوات على يد المصلحين والكتاب العرب الذين أسسوا الجمعية الأدبية العربية في بيروت عام ١٨٤٧ ثم الجمعية العلمية السورية عام ١٨٥٧ وكانت الجمعية الأخيرة تضم مسلمين ومسيحيين ودروزاً من جميع أنحاء سوريا الكبرى .

عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كانت هناك قوتان متوازيتان تعملان من أجل تحرير الوطن العربي والثورة ضد الدولة العثمانية ، الشريف حسين بن علي في الحجاز والجمعيات العربية السرية في سوريا . ولولا وجود الشريف حسين لما حققت الجمعيات العربية أي شيء يذكر ، فقد كان الشريف هو الزعيم السياسي والأب الروحي للثورة العربية القادر على مقارعة

الأتراك ـ بالتعاون مع البريطانيين الذين كانوا بدورهم يسعون لضم الشريف إلى جانبهم ضد الأتراك ـ من أجل تحقيق حرية واستقلال العرب .

ويرجع الفضل في الإنجاز الرائع الذي قامت به الجيوش العربية في قتالها ضد الجيوش العثمانية إلى فهم الشريف حسين وأنجاله للعقلية والنفسية التركية وقدرات القوات العربية وأساليبها القتالية وخبرة الضباط العرب وإخلاصهم ودعم الجمعيات العربية لفكرة التحرر من نير الاستعباد التركي . ومع أنه لا يمكن إنكار المساعدات البريطانية والفرنسية المحدودة ، إلا أن الثورة كانت عربية روحاً ودماً .

ولسوء حظ الثورة العربية ورجالها أن فترة ما بعد الحرب كشفت عن نوايا الحلفاء وغدرهم بالأمة العربية ، فقد ظهر فيما بعد أنهم لم يكونوا مستعدين للوفاء بالتزاماتهم التي قطعوها على أنفسهم للشريف حسين ، بل قسموا الوطن العربي قبل أن تنتهي الحرب وأعطوا جزءاً منه إلى غير أهله ، كما كشفت عن ذلك اتفاقية سايكس ـ بيكو عام ١٩١٥ ووعد بلفور عام ١٩١٧ .

أثيرت المخاوف العربية ثانية بعد إعلان الهدنة في تشرين الأول سنة ١٩١٨ بسبب قيام القيادة العسكرية للحلفاء بفرض الإدارة العسكرية على الولايات العربية التي أطلق عليها « أراضي العدو المحتلة » . وقد احتلت القوات البريطانية ساحل البحر الأبيض المتوسط من غزة إلى أضنة تاركة المنطقة الداخلية الصحراوية من حلب إلى معان تخضع للحكم العسكري العربي ، ولم تستطع بريطانيا وفرنسا إزالة تلك المخاوف بإعلانهما في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ عن تأييدهما لاستقلال العرب وحريتهم .

سلك الشريف حسين طريق الثورة والكرامة ليحقق الحرية والاستقلال للأمة العربية ، فأسس نجله الأمير عبدالله إمارة شرق الأردن وأصبح الملك فيصل ملكاً على العراق . أما الشريف نفسه فقد آثر النفي والبعد عن الوطن على أن يفرط بشبر من ترابه طوعاً واختياراً .

من هنا استحق الشريف حسين أن يسمى « أبو الثورة العربية وباعث نهضتها وحامل لوائها » . ومن لا يذكر الملك العظيم الذي أثر النفي بعيداً عن الوطن في سبيل الحق العربي والأمة العربية ، فقضى في جزيرة قبرص فترة من الزمن حتى ساءت صحته فنقل إلى عمّان وبقي فيها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ، ونقل جثمانه الطاهر إلى القدس ، حيث دفن بجوار المسجد الأقصى في الأرض المباركة . رحل الشريف حسين بعد أن أضاء الطريق للأجيال العربية القادمة وسلم الأمانة لأنجاله من بعده ولأحرار العرب الذين مازالوا يسيرون على درب الكفاح الطويل .

وفي تشرين الأول سنة ١٩٢٠ قدم الأمير عبدالله للأردن في طريقه إلى سوريا لأخذ البيعة نائباً عن أخيه الملك فيصل الذي نفي إلى ايطاليا . وعندما لم يجد الفرصة مواتية بسبب معارضة بريطانيا له ، استقر به المقام في عمان ، التي لقي فيها استقبالاً حاراً من عشائر وقبائل شرق الأردن . وبموافقة بريطانيا أسس فيها إمارته ، ووحد بموجبها أقاليم شرق الأردن وأنقذها من ضمها

إلى فلسطين بموجب وعد بلفور غير القانوني ، وفي عام ١٩٢١ رشح الملك فيصل لاعتلاء عرش العراق وتم له ذلك فاستراحت بريطانيا لهذه النتيجة واعتبرت نفسها قد سددت دينها للهاشميين .

نجح الأمير عبدالله بن الحسين في توطيد دعائم الأمن في إمارته فوضع حداً لغارات الوهابيين ، والبدو على حدود الإمارة الشرقية ، وقضى على الفتن الداخلية واهتم بتطوير الجيش والإدارة . ورغم صغر هذا الجيش فقد شارك في إخماد ثورة رشيد الكيلاني سنة ١٩٤١ ، وساهم في حماية خطوط المواصلات البريطانية في الشرق الأوسط .

بانتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة دول المحور ، وانسحاب الفرنسيين من سوريا ولبنان ومنح شرق الأردن استقلاله سنة ١٩٤٦ أخذت أبعاد المشكلة الفلسطينية تبدو واضحة في الأفق العربي . فقد قررت بريطانيا الانسحاب أيضاً من فلسطين وأخذ الصهاينة يكملون استعدادهم العسكري لاغتصاب ذلك القطر العربي ، وأصدرت الأمم المتحدة قراراً بتقسيم فلسطين في ١٩٤٧/١١/٢٩ إلى دولتين عربية ويهودية . وقد تمتع الصهاينة آنئذ بدعم الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وعدد من دول أوروبا بالإضافة إلى ٦٥ ألف جندي يهودي في فلسطين مدربين ومسلحين بصورة جيدة ، يقابلهم نحو ٢٥ ألف جندي عربي من عدة دول تنقصهم وحدة القيادة والسلاح الجيد والتدريب الملائم .

ونظراً لمعرفة الملك عبدالله التامة بضعف وضع العرب العسكري وافتقارهم إلى الاستعداد السياسي والعسكري فقد اقترح على الدول العربية قبول مشروع التقسيم إلى أن تتحقق للعرب القوة الكافية للقضاء على الدولة الصهيونية . ومع أن الساسة ومدعي وطنية العرب استنكروا رأي الملك عبدالله هذا ووصفوه بأنه خيانة للقضية العربية إلا أن الحرب العربية الاسرائيلية التي بدأت في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ أثبتت أن الجيش العربي الأردني كان أفضل أداء من غيره وكان القوة الوحيدة ـ نحو ٦٠٠٠ جندي ـ التي وقفت في مواجهة جيش اسرائيل البالغ ١٢٠ ألفاً عند نهاية الحرب في ربيع سنة ١٩٤٩ على إثر هدنة رودس . إذ كانت بقية الجيوش العربية قد أخرجت من مسرح العمليات إما بسبب انسحابها أو نتيجة لهزيمة ألحقتها بها اسرائيل . ومن المفارقات أن الجيش العربي الأردني هو الذي أنقذ المجهود العسكري العربي من الهزيمة الشاملة سنة ١٩٤٨ وذلك بإنقاذه لمدينة القدس القديمة وضفة الاردن الغربية . وقد قال جلوب باشا قائد الجيش الأردني وقتها أن الجيش العربي الأردني لم يتخل عن شبر واحد من الأرض التي احتلها . كما ذكر وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت الذي اغتاله الصهاينة في أيلول سنة ١٩٤٨ في مذكراته « لقد كان كثير من الناس يحاربون في فلسطين ، ولكن جيشاً واحداً فقط ـ هو الجيش العربي ـ حارب بشجاعة فائقة دون أن يتخلى عن الأخلاق وقواعد الشرف المتعلقة بالحرب . »

وكان الإنجاز الرائع الذي حققه الجيش العربي الأردني يعود إلى العلاقات الشخصية الوثيقة بين الملك عبدالله وجنود هذا الجيش لا سيما وأن المغفور له كان متمرساً في فن قيادة الرجال منذ أن تولى

قيادة الحملة الشريفية لمساعدة الأتراك في حملة عسير سنة ١٩١١ ومروراً بحروب الثورة العربية الكبرى .

وفي ميدان العمليات التعبوية لم يكن هناك شك في أن قرار الملك عبدالله بمنع سقوط القدس القديمة في أيدي الصهاينة كان نقطة التحول الرئيسية في الحرب . ذلك لأن ردود الفعل النفسية والدينية لاحتلال اليهود للقدس ستكون ذات آثار مدمرة في العالم العربي والاسلامي في ذلك الوقت . ولم يكن في استطاعة الملك عبدالله على المستوى السياسي والنفسي والشخصي أن يعير أذناً صماء لاستغاثات السكان العرب في المدينة المقدسة القديمة .

وفي المجال العسكري البحت كان جندي الجيش العربي الأردني هو الذي أنقذ بعض الشرف والكرامة العربية من حطام الحرب العربية الاسرائيلية الأولى . كما احتفظ الجندي في الجيش العربي الأردني بمعنوياته العالية وثقته بنفسه في مواجهة الجيش الاسرائيلي المتغطرس المغرور وذلك منذ الحرب العربية الاسرائيلية الأولى سنة ١٩٤٨ وإلى الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ عندما تم تدمير القوات المسلحة العربية على الجبهات المصرية والسورية والأردنية .

في ٢٠ تموز سنة ١٩٥١ أُغتيل الملك عبدالله في المسجد الأقصى وكان اغتياله ضربة مؤلمة للأردن وللقضية العربية إجمالاً لأنه كان آخر الرعيل الأول من كبار قادة الثورة العربية الكبرى وذا رصيد من الخبرة والتجربة النادرة التي تفيد العرب سياسياً وعسكرياً .

وقد خلفه ابنه الملك طلال فمد يد الصداقة إلى الدول الشقيقة المجاورة ، وفي زمنه تم تعديل الدستور بحيث أصبحت الوزارة مسؤولة أمام البرلمان مباشرة . وقام بتقوية القوات المسلحة بتعزيز الحرس الوطني الذي قدر عدده وقتئذ بحوالي ٣٠ ألف جندي وكان رديفاً قوياً للجيش النظامي في مواجهاته اعتداءات اسرائيل على الحدود . لكن سوء صحته حال دون استمراره في الحكم .

وفي ١١ آب سنة ١٩٥٢ تسلم ابنه الملك حسين زمام الحكم وكان عمره سبعة عشرة عاماً ورغم قلة خبرته وصغر سنه فقد كان يتمتع بالشجاعة الأدبية والجسدية وقوة الإرادة والصمود والإصرار على الهدف مما جعله بحق القائد الفعلي للبلد في مسيرته بجميع ميادينها منذئذ وإلى الآن رغم الصعاب العديدة التي واجهته ومازالت . فمن سنة ١٩٥٢ ـ سنة ١٩٦٧ واصلت اسرائيل سياسة الانتقام بشدة مما أثقل كاهل الموارد العسكرية القليلة للأردن ورغم تفوق اسرائيل العسكري الساحق فقد صمد الجيش العربي الاردني والحرس الوطني ببسالة وكفاءة أمام اعتداءات اسرائيل . وكانت روح الحماس والاندفاع التي أظهرتها القوات الأردنية المسلحة جيشاً وحرساً تعود إلى حد كبير لشجاعة الملك حسين ووجوده بينها إثر كل اعتداء رئيسي يقع عليها . وفي سنة ١٩٥٥ مرت الأردن بفترة عصيبة بعد محاولات بذلتها الدول الغربية لإدخالها في نطاق حلف بغداد شريكة للعراق وتركيا وايران وباكستان لقاء تقوية الجيش العربي بنسبة ٣٥٪ من مرتبه البالغ حوالي

٢٠ ألف جندي آنذاك بزيادة لواء مشاة وكتيبة مدرعة ومدفعية متوسطة . ولكن الاضطرابات الاحتجاجية عمت الأردن ضد حلف بغداد ولم تنضم الأردن لهذا الحلف .

وفي مطلع آذار سنة ١٩٥٦ قام الملك حسين بتعريب الجيش وذلك بإعفاء الفريق جلوب والضباط البريطانيين من عملهم . وكان لذلك القرار وقع حسن في النفوس على الصعيد الأردني وعلى الصعيد العربي إجمالاً . وكانت دوافع الملك في تخليص الجيش من قيادته البريطانية تعود إلى أسباب سياسية ووطنية غير أنها كانت تعود لأسباب عسكرية كذلك . فقد رفض الملك خطة جلوب للدفاع عن الأردن عن طريق الانسحاب من بعض مناطق الضفة الغربية وأصر على تمركز الجيش على خط وقف إطلاق النار . وكان تعريب الجيش بداية لتراجع النفوذ البريطاني في الأردن . وقد تعاقب على رئاسة أركان الجيش العربي الأردني بعد الفريق جلوب كل من اللواء راضي عنّاب واللواء علي أبو نوار ثم علي الحياري ثم حابس المجالي الذي استلم قيادة الجيش من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٧ . وبعد التعريب مباشرة ازداد عدد الجيش الأردني النظامي بعض الشيء فوصل إلى ٢٥ ألف مقاتل يدعمهم ٣٠ ألف جندي من الحرس الوطني فيما استمرت اسرائيل في تكثيف اعتداءاتها على القرى الأردنية المتاخمة لخط الهدنة بصورة أكثر فعالية .

وفي ٢٥ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ ، قبل العدوان الثلاثي على مصر بأربعة أيام كلف الملك حسين سليمان باشا النابلسي بتشكيل الحكومة الأردنية . وشكلت قيادة عسكرية مشتركة بين الأردن ومصر وسوريا . وعندما وقع العدوان على مصر في ١٩٥٦/١٠/٢٩ عرض الملك حسين فتح جبهة ضد اسرائيل بالهجوم عليها من الأردن إلا أن الرئيس جمال عبد الناصر رفض ذلك . وفي نيسان سنة ١٩٥٧ حدثت فتنة بين القوات المسلحة في الزرقاء وأخمدت بسرعة وتجلت في ذلك الموقف رباطة جأش الملك حسين والتفاف الجيش حوله .

وقد أعلن الاتحاد العربي الهاشمي بين الأردن والعراق في ١٤ شباط سنة ١٩٥٨ ولكن أطاحت به الثورة العراقية بقيادة العميد الركن عبد الكريم قاسم . وزادت الحرب الأهلية اللبنانية الأولى سنة ١٩٥٨ من تفاقم الوضع وتدهور الموقف في المنطقة وتقدم الأردن بطلب للمساعدة البريطانية ولبى البريطانيون بموافقة الولايات المتحدة الطلب وأرسلوا لواء المظليين السادس عشر البريطاني للمساعدة في المحافظة على استقرار الأردن . وفي أول تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ تعهدت الجمهورية العربية المتحدة باحترام استقلال الأردن وسيادته . ولكن في العاشر من الشهر ذاته تعرضت طائرة الملك حسين لاعتداء من طائرات الميج السورية أثناء طيرانها في الأجواء السورية في رحلة إلى الخارج . وفي ٢٩ آب سنة ١٩٦٠ أُغتيل هزاع المجالي رئيس الوزراء مع عدد من الموظفين والمواطنين في مكتبه واتهمت سوريا بذلك وحشد الملك حسين قواته على الحدود السورية من أجل الزحف على دمشق لكن قادة الجيش أوضحوا للملك أن قواتهم مشغولة في الدفاع عن الحدود ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ، ولم يلبث الملك حسين أن أمر بسحب القطعات العسكرية

التي حشدت على الحدود السورية وإعادتها إلى مواقعها في الضفة الغربية والشرقية .

وفي السنة التالية أيلول ١٩٦١ نجح الانفصاليون وبعض الأعضاء في حزب البعث العربي الاشتراكي ، وبسبب أخطاء القيادة المصرية ، في فصم عرى وحدة مصر وسوريا مما خفف الضغط عن الأردن . وفي آب من تلك السنة قام الملك حسين بتحسين العلاقات مع السعودية وتشكيل قيادة سعودية أردنية عسكرية مشتركة . وجاءت الثورة اليمنية في ٢٦ أيلول سنة ١٩٦٢ عندما أطاح الجيش اليمني بزعامة العقيد (المشير فيما بعد) عبدالله السلال بالإمام البدر وأعلن الجمهورية وانقسمت الدول العربية بين خصم ومؤيد للثورة وكانت مصر وسوريا في طليعة الدول المؤيدة لها خاصة مصر التي ذهبت في تأييدها إلى حد إرسال قواتها لمساعدة المشير السلال .

وقامت السعودية والأردن بتأييد الملكيين أنصار الإمام البدر . وكانت مصر أكثر تورطاً من غيرها إذ استمرت في إرسال جيوشها لليمن حتى بلغ عددها ٦٠ ألف جندي مما كلف المصريين الكثير من المال والدم والجهد .

واغتنم الملك حسين فرصة الهدؤ النسبي بأن شرع في اتخاذ خطوات لتطوير العقيدة القتالية للقوات المسلحة الأردنية فعين العقيد الركن (الفريق فيما بعد) عامر خماش ـ الذي كان قائداً لسلاح المدفعية ـ مديراً للتخطيط والتنظيم وكلفه بهذه المهمة تحت إشراف القيادة العامة . حاولت مديرية التخطيط والتنظيم وضع تصور لعقيدة قتالية مبنية على الدفاع التعرضي في الضفة الغربية مع اتخاذ الضفة الشرقية قاعدة للاحتياط الاستراتيجي وشوؤن التدريب والإمداد والتجهيز (المنظومة الادارية) ، على أن تنتشر هذه القواعد في عمان والزرقاء والمفرق .

ولتنفيذ ذلك أنشئت قيادتان ترتبطان بالقيادة العامة للجيش هما : قيادة الجبهة الغربية مقرها في رام الله ويرتبط بها سبعة ألوية مشاة ، وقيادة الجبهة الشرقية ومقرها في الزرقاء ويرتبط بها بقية الاحد عشر لواء التي تشكل قوة الجيش العربي البالغة نحو ٥٥٠٠٠ جندي وضابط عشية حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

وفي مطلع عام ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة . وعلى إثر ذلك أُنشئت القيادة العربية الموحدة برئاسة الفريق أول الركن علي علي عامر (مصري) وكان مركزها القاهرة . كما اتفق أن يتعاون رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري مع الحكومة الأردنية وينسق نشاطات المنظمة العسكرية بحيث تكون ضمن خطط القيادة العربية الموحدة استراتيجياً وتعبوياً . ولكن بدأت الخلافات بين منظمة التحرير والحكومة الأردنية تظهر لأن غارات الفدائيين من الأردن على اسرائيل كانت تتم دون تنسيق مع الأردن حسب الاتفاقية السابقة ، الأمر الذي كان يؤدي إلى غارات انتقامية اسرائيلية شديدة على الأردن . وأغلق وصفي التل رئيس وزراء الأردن مكتب منظمة التحرير في عمان في تشرين الأول سنة ١٩٦٦ . وفي تشرين الثاني من نفس السنة قام الاسرائيليون بغارة واسعة النطاق على قرية السموع الأردنية في محافظة الخليل ودمروا بعض بيوت

القرية وقتلوا عدداً من سكانها كما فقد الجيش الأردني ٢١ قتيلاً و ٣٧ جريحاً في محاولته صد العدوان المذكور. وساءت علاقة الأردن مع سوريا بحيث قطعت العلاقات الدبلوماسية بينهما.

وكانت سنتا ١٩٦٦ و ١٩٦٧ عامين من الآلام واليأس في الوسط العربي، فالعرب منقسمون على أنفسهم واسرائيل تمعن في اعتداءاتها. وبذلك أصبحت الحرب أمراً لا مفر منه وفي وقت ليس ببعيد.

ولعل تعيير الأردنيين للمصريين بأنهم يختبئون وراء قوات الأمم المتحدة وللسوريين بأنهم يتكلمون أكثر مما يفعلون وهم قابعون في تحصيناتهم في الجولان، أسهم في استثارة كل من مصر وسوريا. وفي نيسان سنة ١٩٦٧ أسقط الاسرائيليون ست طائرات ميج سورية. ووجهت اسرائيل إنذاراً لسوريا لوقف غارات الفدائيين من أراضيها. كما قال السوفيات أنهم علموا بوجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية تستعد للقيام بتوجيه ضربة استباقية للسوريين. فأعلن المصريون حالة الطوارىء القصوى بين قواتهم في ١٥ أيار سنة ١٩٦٧ وطلبوا سحب قوات الطوارىء الدولية عن حدودهم مع اسرائيل ومن قطاع غزة بحلول ٢٢ أيار، وفي هذا التاريخ قام المصريون بإغلاق مضائق تيران. وجاءت حرب حزيران بهزيمة منكرة للعرب، إذ بعد يومين فقط من القتال خسر الجيش الأردني الضفة الغربية بسبب فقدانه للغطاء الجوي والمعلومات المضللة التي تلقاها من المصريين عن انتصاراتهم الوهمية ضد اسرائيل. ورغم ذلك فقد كان الجيش العربي الأردني على صغر حجمه وقلة إمكاناته هو الذي ألحق بالاسرائيليين معظم الخسائر (حوالي ٣٠٠٠ قتيل وجريح اسرائيلي على الجبهة الأردنية مقابل ١٧٥٥ على الجبهة المصرية و ٧٥٠ على الجبهة السورية حسب التقديرات الاسرائيلية.

وقد تعرض الملك حسين لانتقادات شديدة بسبب دخوله حرب حزيران سنة ١٩٦٧ مما أدى إلى خسارته الضفة الغربية. وكان هناك أربعة أسباب دفعت الملك إلى اتخاذ قراره هذا. وأولها التفوق الكمي المؤكد للعرب على اسرائيل في كافة الأسلحة فافترض الملك حسين أن العرب سيكونون قادرين على الدفاع عن أنفسهم في أسوأ الاحتمالات وكان يشاركه في هذا الرأي الرئيس عبد الناصر والخبراء الشرقيون والغربيون، ولم يتوقع أحد حتى الاسرائيليون أنفسهم ـ دمار الطيران المصري وانهيار العرب بهذه السرعة. كما أنه لم يعرف حقيقة الوضع على الجبهة المصرية عندما أصدر أمره للقوات الأردنية بالبدء في القتال. وثاني هذه الأسباب اعتقاد الملك أن الجيش الاسرائيلي سيقوم بكل تأكيد بمهاجمة الضفة الغربية سواء اشتركت الأردن في الحرب أو لم تشترك. أما العامل الثالث فكان سياسياً ونفسياً إذ خشي الملك من أن يتهمه مواطنو الضفة الغربية بل وفي الوطن العربي كله بالتقاعس عن نجدة الأشقاء لا سيا بعد أن حل الحرس الوطني وأقفل مكاتب المنظمة في عمان. وكان العامل الرابع والأخير هو شعور الملك بالمسؤولية الأدبية لدخول الحرب مهما كانت النتائج والتضحيات لأن الجيش العربي ما هو إلا امتداد لجيش الثورة العربية الكبرى

وطليعة الحركة العربية منذ أطلق الشريف حسين بن علي الرصاصة الأولى في ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ وحتى الآن .

وكانت ضربة شديدة للأردن فقد خسر الضفة الغربية بسكانها ومواردها ، ودمرت ٨٠٪ من معدات جيشه ، ونزح مئات الآلاف من سكان الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية وكان مصير المملكة نفسها في كفة القدر ، لكن شجاعة الملك وتصميمه وقوة عزيمته كانت ذا أثر كبير في إنقاذ الموقف .

بعد الهزيمة تلقت مصر وسوريا والعراق كميات هائلة من الأسلحة والمعدات للتعويض عن خسائرها في الحرب وعززت قواتها بآلاف الخبراء الروس للتدريب على الأسلحة وإدارتها ، بينا ترك الأردن لوحده ولم يحصل على الدعم العسكري المحدود إلا في خريف سنة ١٩٦٩ ، عندما زودته أمريكا بكمية من الأسلحة مكونة من ٣٠٠ دبابة باتون م/٤٨ وسنتوريون و ١٨ طائرة ف ١٠٤ و ٢٠ طائرة هوكرهنتر . واضطر منذ وقف اطلاق النار سنة ١٩٦٧ أن يواجه القصف الجوي والمدفعي الاسرائيلي لوحده من جنوب بحيرة طبريا وحتى خليج العقبة .

وقد لجأ الاسرائيليون في مواجهة حركة المقاومة الفلسطينية الصاعدة إلى سياسة الجسور المفتوحة القائمة على السماح بتنقل الأهالي بين الضفتين وفي ذات الوقت اتخذوا إجراءات قاسية ضد الفدائيين . وفي ٢١ آذار سنة ١٩٦٨ حدثت معركة الكرامة . ورغم أنها كانت عملية محدودة نسبياً في وقتها ومسرح عملياتها ، إلا أنه كان لها أثر نفسي كبير ، إذ كانت أول لقاء تمكن فيه العرب من كبح الغطرسة الاسرائيلية .

ولكن لسوء الحظ بدأت عوامل الصدام تتبلور بين الفدائيين والقوات المسلحة الأردنية ، ففي صيف سنة ١٩٧٠ قبلت مصر والأردن مشروع روجرز لوقف إطلاق النار ورفضته سوريا والعراق والمتطرفون من الفدائيين . وكان ذلك من الأسباب التي دفعت الفدائيين في الأردن للتمرد على السلطة ونشوب حرب أيلول سنة ١٩٧٠ المريرة وما جلبتها معها من دمار وخسائر في الأرواح والتي استمرت إلى صيف سنة ١٩٧١ حيث تم إنهاء الوجود الفدائي في الأردن نهائياً .

وقد قطعت عدة دول عربية علاقاتها مع الأردن نتيجة لذلك مثل سوريا ومصر وليبيا والعراق وأقفلت الحدود السورية العراقية مع الأردن حتى عشية حرب رمضان سنة ١٩٧٣ . وكانت كل من مصر وسوريا قد بدأت الاستعداد لهذه الحرب منذ أواخر سنة ١٩٧٢ .

وحضر الملك حسين اجتماعاً في القاهرة عقده السادات والاسد وأعيدت العلاقات مع الأردن ولم يخبر أحد الملك بالخطة المصرية السورية . ومع ذلك أخذ يستعد لمساعدة الأشقاء عندما لمحوا له باحتمال قيام الحرب مع اسرائيل . فقد تعهد بحماية الجناح الجنوبي للجيش السوري .

وفي ٣ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ قبل الحرب بثلاثة أيام أبلغ الجنرال بهاء الدين نوفل رئيس أركان القيادة المصرية السورية المشتركة الشريف زيد بن شاكر رئيس أركان القوات المسلحة

الأردنية باحتمال قيام اسرائيل بهجوم محدود ضد سوريا . فأعلنت القيادة العامة الأردنية حالة الطوارىء القصوى بين قواتها .

ورغم ما حققه العرب من انتصارات ومفاجئات في البداية فقد تمكن الجيش الاسرائيلي النشط الجيد القيادة الموجه هجومياً من انتزاع المبادرة من الدول العربية . ولكن هذه الحرب كانت ذات آثار بعيدة على النفسية الاسرائيلية التي كانت تعتقد أن العرب عاجزون عن مهاجمتها .

وكان الجيش العربي الأردني المؤلف من ٧٥ ألف جندي في خمس فرق والمنتشر على واجهة وادي الأردن التي بلغ طولها سبعين ميلاً حيث خصص لها فرقتا مشاة ناقصتا الملاك. أما الفرقتان المدرعتان فقد وضعتا في العمق خلف تشكيلات المشاة لتكون عمقاً للجبهة واحتياطاً استراتيجياً في الوقت نفسه . ولم تكن الأردن تملك دفاعاً جوياً ولم يكن لديها سوى خمسين طائرة مقاتلة منها ثلاثون دون سرعة الصوت من طراز هوكرهنتر . ولم يكن سلاح الجو الاسرائيلي ليواجه صعوبة تذكر في سحق القوات الأردنية المدرعة وقوات المشاة على جبال البلقاء والكرك المكشوفة العارية من الأشجار وكان الجيش الأردني الذي لم يكن يملك سوى لواء مدفعية م/ط قديم رغم حسن تدريبه وارتفاع معنوياته هدفاً سهلاً للطائرات الاسرائيلية الفعالة من طراز فانتوم وسكاي هوك . ورغم قرار القيادة العربية المصرية السورية المشتركة القاضي بإشراك الأردن في المخطط الاستراتيجي العام لعملية بدر وهو الاسم الرمزي للهجوم المصري السوري في حرب رمضان إلا أن القيادة الأردنية العامة فضلت بحق أن تتبنى موقف الدفاع النشط . وقد قام هذا المفهوم على تحييد القيادة العسكرية الاسرائيلية للمنطقة الوسطى وكان ذلك أفضل حل ممكن ضمن الظروف القائمة آنئذ . وفي الاسبوع الثاني من الحرب تحرك اللواء المدرع/٤٠ الأردني لتدعيم الجبهة السورية التي أخذت تتصدع في قطاع الشيخ مسكين ـ القنيطرة في جبهة الجولان . وقبل وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ كانت احدى الفرقتين المدرعتين الأردنيتين وهي الفرقة المدرعة/٣ منتشرة في القطاع الجنوبي من جبهة الجولان ووضعت بأمرة القيادة السورية العامة . وكانت القوات المدرعة الأردنية تتحرك وتعمل بحرية وهي تتمتع بحماية دفاع جوي سوري متقدم . ولم يقتصر نشاط الجبهة العربية في الجولان على الصمود فقط بل أن القوات الأردنية والعراقية والسورية قامت بسلسلة من الهجمات المعاكسة لدحر الاسرائيلين من النتوء الذي احتلوه شرق خط وقف إطلاق النار سنة ١٩٦٧ . ويعتقد كبار القادة الأردنيين الذين اشتركوا في العمليات في سوريا أن الهجمات العربية المعاكسة كانت ستنجح لولا التخطيط العملياتي العاجز للقادة العرب وهيئات أركانهم لأن النوعية الرديئة للقيادة العربية المشتركة وضعف إجراءاتها كانت عقبة أمام العرب في المعركة أشد من سلاح الجو الاسرائيلي الذي شلته دفاعات م/ط السورية الروسية الصنع والمتقدمة كثيراً . وغني عن القول أنه لو قامت الدول العربية ذات الموارد النفطية الغنية بتزويد القوات الأردنية المسلحة بشبكة دفاع جوي مماثلة لازدادت القدرة العملياتية الأردنية كثيراً . ولامراء أنه لو

أتيح للجيش الأردني نظام أسلحة صواريخ م/د موجهة أيضاً لأمكن إسناد دور هجومي له يستهدف اقامة رأس جسر على الضفة الغربية للأردن . ومن سخرية الأقدار أن الحصار الاقتصادي والسياسي والعسكري العربي الذي فرض على الأردن بين سنة ۱۹۷۱ وسنة ۱۹۷۳ كان عاملاً فعالاً في جعل الأردن عاجزاً ومكشوفاً قبل حرب رمضان ، ولا ريب في أن الزعماء العرب وقادتهم مسؤولون عن هذا الوضع الذي وجدت فيه القوات الأردنية نفسها .

وفي ظل الظروف التي كانت سائدة في ذلك الوقت فإن وضع الدفاع النشط الذي تبناه الملك حسين في حرب رمضان كان سلبياً وعملياً من الناحية العسكرية حيث لم يكن لديه خيار غير ذلك . إذ أن قوة الجيشين المصري والسوري المؤلفين من حوالي ٤٦٥ ألف جندي تدعمهم ۳۷۰۰ دبابة و ۸۰۰ طائرة أسرع من الصوت وأفضل شبكة دفاع جوي خارج نطاق حلف وارسو كانت عاجزة عن كبح جماح الجيش الاسرائيلي . كما لم يتضح الدور المطلوب من القوات الأردنية الصغيرة الحجم من حيث العدد .

ومع أن العرب قد قضوا على الأسطورة القائلة « بأن اسرائيل قوة لا تقهر » ، إلا أن الحرب انتهت دون نتيجة حاسمة لأنه لم يسمح لها بالوصول إلى مداها الأقصى بسبب تدخل الدول الكبرى . ففي المجال العسكري ، تمكن الاسرائيليون من استعادة المبادأة الاستراتيجية والتعبوية بعد هزائمهم الأولية ، ولكن الاسرائيليين خسروا الجولة سياسياً ونفسياً ولذلك لم يكن من العسير على نيكسون وبرجنيف عقد مؤتمر جنيف في شهر كانون الأول سنة ۱۹۷۳ . وفي ١٨ كانون الثاني تمكن هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي من تحقيق اتفاقية فصل القوات الأولى بين مصر واسرائيل في سيناء . وفي صيف سنة ١٩٧٤ قام الرئيس الأمريكي نيكسون بزيارة مصر والأردن وسوريا واسرائيل والسعودية ليحاول أن يبين للعرب وغيرهم أن الولايات المتحدة محايدة في تناولها لقضية النزاع العربي الاسرائيلي .

وفي خريف العام ذاته انعقد مؤتمر قمة الرباط العربي وحضره رؤساء الدول العربية وقرروا أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، الذي له الحق في إقامة دولته على أية أرض فلسطينية محررة . ولكن اسرائيل ترفض التفاوض مع منظمة التحرير وبذلك تحول دون حل للقضية الفلسطينية بغير الحرب . وفي ١٩٧٤/١١/٢٣ اعترفت الأمم المتحدة بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني ومنحتها صفة « مراقب » ولا شك في أن هذا القرار كان نصراً معنوياً للفلسطينين ولطمة لاسرائيل . وكان لهذا أثر سلبي أيضاً إذ زاد من تصلب اسرائيل وتعنتها ، كما أحدث انقساماً بين العرب إلى معتدلين ومتطرفين وتزعم العراق وليبيا والجبهة الشعبية بزعامة جورج حبش جبهة الرفض التي كانت ضد أية مفاوضات مع اسرائيل ونادت بالكفاح المسلح من أجل أن تقوم مكان اسرائيل دولة علمانية داخل الحدود التاريخية لفلسطين .

وفي لبنان أدى الخلاف بين اليمينيين المسيحين واليساريين المسلمين وحلفائهم إلى حرب أهلية لم تكن الحرب التي اندلعت في الأردن سنة ١٩٧٠ بجانبها شيئاً مذكوراً .

وبينا استمرت المفاوضات والنشاطات السياسية في المنطقة انطلقت الدولتان العظميان في ايجاد سباق تسلح شديد بين أقطار المنطقة ، وجاءت كميات هائلة من الأسلحة المتقدمة لكل من سوريا واسرائيل ومصر . وفي صيف سنة ١٩٧٤ نجح كيسنجر في تحقيق فصل للقوات بين سوريا واسرائيل ثم فصل قوات آخر بين مصر واسرائيل . وللمرة الثانية نالت اسرائيل مكافأة لها على ذلك ٣,٥ بليون دولار مع كميات ضخمة جداً من الأسلحة مثل طائرات ف ١٥ وقنابل انشطارية وصواريخ لانس أرض أرض وطائرات هليكوبتر قاتلة للدبابات .

وحاول الملك حسين جاهداً إعادة تجهيز قواته بطائرات حديثة ونظام دفاع جوي وصواريخ م/د موجهة وأقنع الولايات المتحدة بإعطائه كمية قليلة من صواريخ م/د و م/ط من طراز تو و رد آي . واتفق أيضاً مع الولايات المتحدة على تزويده بأربع عشرة بطارية من صواريخ هوك (م/ط) مع نظام دفاع جوي من ماركة نادج/فلوريدا لقاء مبلغ ضخم يصل إلى ٥٥٠ مليون دولار تعهدت السعودية بدفعه .

وبحلول صيف عام ١٩٧٧ بدأت زيارات الملك حسين الشخصية المتكررة للولايات المتحدة والسعودية و إيران والكويت ودولة الامارات العربية تعطي ثمارها . فقد حصلت القوات المسلحة الأردنية على سربين من الطراز القديم من طائرات ف ـ ٥ من ايران مع عدد من صواريخ تو الموجهة م/د ومدافع فولكان م/ط . وهذه مساعدات ضئيلة إذا قيست بما يصل الدول المجاورة وتوضح لنا المشكلات التي يواجهها الملك في تدعيم قواته المسلحة .

وعقد مؤتمر قمة عربي مصغر سنة ١٩٧٥ في القاهرة حضره الملك حسين ومنظمة التحرير وسوريا ومصر وأكد الملك اعترافه بالمنظمة ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني لكنه رفض إعادة الفدائيين للعمل من الأردن خوفاً من عمليات اسرائيل الانتقامية . كما حدث تحسن في العلاقات سنة ١٩٧٥ بين سوريا والأردن وحصلت زيارات متبادلة رسمية بين الحسين والاسد . كما أيد الملك حسين الرئيس الاسد في موقفه من الحرب الأهلية اللبنانية في سنة ١٩٧٥ وسنة ١٩٧٦ .

ولكن ما أن جاء خريف سنة ١٩٧٧ حتى أخذت سحب العاصفة تتجمع ثانية في آفاق الشرق الأوسط ولا سيما في جنوب لبنان . فقد كانت الدول العربية واسرائيل مسلحة إلى الأذقان بأحدث الأسلحة . وقفز الجيش الاسرائيلي قفزة كمية واسعة فارتفع عدد جنوده من ٣٧٥ ألف سنة ١٩٧٣ إلى ٤٨٠ ألف سنة ١٩٧٧ وعدد ما يملكه من دبابات وناقلات مدرعة من ٢٠٤٥ إلى ٦٢٢٥ ومن الطائرات من ٤٠٦ إلى ٥٩٠ إضافة إلى القفزة النوعية المتمثلة في طائرات ف ١٥ و ف ١٦ ، وصواريخ لانس وطائرات هليكوبتر هجومية وقنابل ذكية . ومقابل ذلك كان في وسع الجيش المصري أن يزج في المعركة بنحو ٣٥٠ ألف جندي و ٥٩٠ طائرة مقاتلة و ٤٣٠٠ دبابة وناقلة مدرعة

والسوري بحوالي ٢٣٠ ألف جندي و ٤٥٠ طائرة و ٤٠٠٠ دبابة وناقلة مدرعة وبينما كان عدد الجيش الأردني نحو ٧٣ ألفا ويملك ٩٠ طائرة قديمة الطراز من نوع ف/٥ و ف/١٠٤ وحوالي ١٠٠٠ دبابة وناقلة مدرعة .

وهكذا إذا جاءت الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة فإن الأردن وجيشه الهاشمي سيكونان في وسط المعمعة كما حدث مع القوات الشريفية سنة ١٩١٦ . ومن ناحية استراتيجية وسياسية فإن الجيش العربي الهاشمي سيجد نفسه يواجه مشكلات عسيرة كالتي واجهها الجيش الهاشمي في عهد الثورة الكبرى ويفصل بين الجيشين فترة تقارب ثلثي القرن ولكن يربطهما رابط واحد وهو قيادة عليا قوية الشكيمة . وقد يدخل الجيش العربي الاردني الهاشمي وبقية القوات العربية أقسى تجربة منذ الثورة العربية الكبرى مع أن الجيش العربي يشغل رغم ضعف تسليحه أطول خط للقتال يمتد مسافة ٣٠٠ ميل من بحيرة طبريا إلى خليج العقبة وبالمقابل فإن الجيش السوري بعدده وعدته الهائلة يرابط على طول ٣٥ ميلاً فقط من خط وقف إطلاق النار في الجولان كما يقف الجيش المصري بقواته البالغة ٣٥٠ ألف على خط في سيناء طوله ١٠٠ ميل فقط (وهذا قبل معاهدة كامب ديفيد التي أخرجت الجيش المصري من ساحة الصراع العربي الاسرائيلي ـ المترجم) .

وهكذا انتهت ملحمة الهاشميين وملحمة الجيش العربي الهاشمي الذي يرابط في خط الدفاع الأول من دنيا العرب يقوده الآن الملك حسين بن طلال بينما كان يقوده قبل ثلثي قرن جده الكبير الحسين بن علي الذي رفع راية الثورة ضد الأتراك بعد ٤٠٠ سنة من الحكم العثماني المستبد .

لقد كان الجيش العربي الهاشمي في صميم الأحداث منذ الثورة العربية الكبرى في حزيران سنة ١٩١٦ مروراً بالحروب العربية الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ . وعماد الجهد العسكري العربي في عامي ١٩١٦ و ١٩٤٨ . كما مني بخسائر فادحة في حرب سنة ١٩٦٧ وأسهم بفرقة مدرعة في حرب سنة ١٩٧٣ .

كانت معركة طويلة خاضها الهاشميون في سبيل الكرامة العربية والشرف العربي ولم تقدم أية أسرة حاكمة عربية ما قدمه الهاشميون من العون من تضحيات . فقد كان الحسين بن علي موقظ العرب من سباتهم الذي امتد ٤٠٠ عام وانتقلت الراية إلى يد ابنه عبدالله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية الذي سلمها بدوره لابنه طلال بن عبدالله الذي كان يتأجج حماساً ووطنية ثم استقرت الراية في يد الحسين بن طلال الذي وطد البناء وجعل مملكته عنصراً هاماً في السياسة العربية والدولية .

هو الملك حسين بقوة إرادته وصلابة عزيمته وشجاعته وتواضعه وديمقراطيته يواصل المسيرة ولا عجب أن يكون على رأس مملكته الصغيرة متمتعاً باحترام الرأي العام العالمي والمحلي .

الفصل الأخير (الخاتمة)

٣٥ - اتفاقية كامب ديفيد وما بعدها : سنة ١٩٨٠

كان مقررا أن ينتهي هذا الكتاب في تشرين الثاني سنة ١٩٧٧ . ولكن جدت أمور كثيرة على مسرح السياسة الدولي والمحلي (الشرق الأوسط) دعت إلى إضافة هذا الفصل إلى الكتاب .

فقد عادت قضية فلسطين إلى جو الركود ، خلافاً لما أراد لها الرئيس المصري أنور السادات ، رغم أن تحريكها كان الهدف الرئيسي من حرب تشرين الأول سنة ١٩٧٣ . وفشلت جميع الجهود الدولية ـ ابتداءً بمؤتمر جنيف وانتهاءً بسياسة كيسنجر وزير الخارجية الامريكي المرحلية ـ في الوصول إلى حل عادل ومشرف للصراع العربي الاسرائيلي بسبب تعنت اسرائيل ودعم الولايات المتحدة الأمريكية لها .

وحيث كان الرئيس المصري يعتبر فشل حرب تشرين في إعادة القضية للمسرح السياسي ، فشلاً شخصياً له ، فقد قرر أن يلجأ إلى أي أسلوب يغطي به هذا الفشل . ولم يطل الوقت حتى خرج الرئيس المصري يعلن (أمام مجلس الشعب المصري يوم ١٩٧٧/١١/٩) عن استعداده للذهاب إلى آخر العالم من أجل قضية فلسطين . ومما قاله في خطابه ذاك :

« ... إنني مستعد أن أسافر إلى آخر هذا العالم ، إذا كان في هذا ما يحمي أن يجرح عسكري أو ضابط من أولادي ... وستدهش اسرائيل عندما تسمعني الآن أقول أمامكم إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاتها ومناقشتهم . ولن تستطيع اسرائيل ولا أي قوة أن تمنعني من أن أطالب بالحقوق المشروعة وحق تقرير المصير وحق الفلسطينيين في إقامة دولتهم » .

جاءت دعوة الرئيس المصري مفاجأة مذهلة للعالم بصورة عامة وللعرب بصورة خاصة . وما أن سمعها رئيس وزراء الكيان الصهيوني (مناحيم بيجين) حتى سارع في ١٩٧٧/١١/١٥ إلى توجيه الدعوة للرئيس أنور السادات لزيارة اسرائيل . وتقررت الزيارة ووصل الرئيس السادات ـ وسط دهشة مستقبليه ـ القدس يوم ١٩٧٧/١١/١٩ .

ومما قاله الرئيس المصري أنه أراد من مبادرته تلك هدم الحاجز النفسي القائم بين العرب واليهود . ولكنه بدلاً من ذلك هدم النفسية العربية وخذلها . وزاد من غرور العدو وعناده ، واستمراره في أعمال القمع الوحشية التي يمارسها ضد المواطنين في الأرض المغتصبة . وليس استمرار العدو في الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وبناء المستوطنات وضرب الجنوب اللبناني إلا بعض نتائج اتفاقية (كامب ديفيد) التي كانت ثمرة جهود الرئيس السادات .

وللرد على آثار المعاهدة الاستسلامية وتخلي مصر عن دورها الطليعي في النضال العربي

وانسحاب القوات المصرية من حلبة الصراع العربي الاسرائيلي ، عقدت الدول العربية عدة مؤتمرات نددت فيها بمبادرة السادات ودعت إلى تجميد العلاقات مع مصر .

ولما تم التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد في ١٩٧٨/٩/١٨ ، عقد مؤتمر الصمود العربي في دمشق في ١٩٧٨/٩/٢٠ ، وتلاه مؤتمر بغداد في ١٩٧٨/١١/٢ . وتلخصت قرارات مؤتمر دمشق وبغداد وتونس في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك حسين في مؤتمر بغداد وطالب فيه بالعمل من أجل التغلب على آثار اتفاقية كامب ديفيد الفاشلة . ومما ورد في خطاب جلالته قوله :

« إن تجربتنا التاريخية مع اسرائيل تبين لنا أنها تهدف ـ إذا لم تواجه بحاجز متين من حولها ـ إلى تفكيك المحيط العربي بمختلف وسائل الضغط العسكري والعمل التخريبي والحرب النفسية والسياسية حتى تتفتت الكيانات المتجانسة ، ويتهاوى الحاجز البشري والقومي من حولها ، وفرض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط ، بحيث تصبح اسرائيل الدولة الأولى في المنطقة . »

وقال جلالته ... « إننا نؤيد برنامجاً متكاملاً لبناء القوة العربية وتعزيز الحاجز الطبيعي المحيط بالعدو والذي تكونه الشعوب المحيطة باسرائيل . ونـؤيد التنسيق العسكري العربـي في أعلى مراحله ، وقيام مؤسسات دفاعية عربية مشتركة . كما نؤيد تنفيذ برنامج لتثبيت السكان العرب في الأرض المحتلة على أرضهم ، وتقوية صمودهم ونطالب بإنشاء مؤسسـات اقتصـادية وعسـكرية مشتركة تسير جنباً إلى جنب مع العمل الدبلوماسي المنظم . »

كان من نتائج اتفاقية كامب ديفيد انهيار الاستراتيجية العربية التي تعتمد على عدم السماح لاسرائيل بالانفراد بجبهة واحدة لذلك أصبح من الضروري إعادة النظر في هذه الاستراتيجية التي فقدت عصرها الرئيسي (الجبهة الغربية) .

فمن ناحية طبوغرافية يجب تحديد أبعاد الجبهة الشرقية وعمقها الاستراتيجي وإعادة توزيع المناطق الحيوية والقواعد الجوية والبحرية فيها على طول امتدادها من الحدود التركية السورية (شمال اللاذقية) في الشمال إلى مضائق تيران وباب المندب في الجنوب وشرقاً إلى الخليج العربي .
ومع بقاء سوريا ولبنان والأردن دول مواجهة مباشرة مع العدو ، أصبحت الدول العربية في المشرق العربي عمقاً استراتيجياً واحتياطاً مباشراً وخطاً دفاعياً تالياً للخط الأول .

ومما يزيد الأمر تعقيداً الحرب الأهلية في لبنان وانحياز ميليشيا سعد حداد إلى جانب العدو ، واستمرار قصف المدن اللبنانية والمخيمات الفلسطينية في لبنان . حيث يشكل ذلك ثغرة في خط الجبهة الشرقية .

ولكن عمق الجبهة الشرقية واتساعها يساعد على إنشاء قواعد جوية في المناطق الواقعة بين الأردن والسعودية والعراق ويدعو لإعداد القواعد البحرية في الموانىء السعودية واليمنية ففي هذا المجال يمكن اعتبار الأزرق والجوف وكاف وتبوك أمكنة مناسبة للقواعد الجوية ، وميناء المويلح

والوجه وطرطوس واللاذقية وطرابلس قواعد بحرية جيدة . وفي مجال الإمداد والتموين والمواصلات لابد من تحديد عقد المواصلات المهمة على شبكة الطرق العربية البرية والبحرية والتركيز على الطرق البرية خاصة في حركة القطعات العسكرية من منطقة لأخرى . وهنا تبرز الحاجة إلى صواريخ أرض أرض متوسطة وبعيدة المدى ، وشبكة دفاع جوي متكاملة لتغطية الجبهة الأمامية وحتى حدودها الخلفية .

ولم تحقق اتفاقية كامب ديفيد فائدة تذكر لمصر بينما حققت لاسرائيل نجاحاً لم تحلم به من قبل . فعلى المستوى السياسي أدت الاتفاقية إلى تفكك الدول العربية وانهيار القيادة العربية الموحدة التي كانت تمثل الجبهتين الغربية والشرقية ، وعلى المستوى العسكري أخرجت كامب ديفيد القوات المسلحة المصرية (٣٥٣,٠٠٠) من الصراع العربي الاسرائيلي . وبفضل تعاون السادات مع اسرائيل تمكنت من احتلال جنوب لبنان وخلق ميليشيا سعد حداد والاستمرار في بناء المستوطنات وتشريد المواطنين العرب واضطهادهم .

ومع أنه لم يجر وضع استراتيجية مفصلة للجبهة الشرقية ، إلا أنه من الضروري إنشاء قيادة عربية موحدة يكون مقرها في سوريا ولها ممثلون في الأردن والعراق والسعودية ودول المواجهة العربية الأخرى .

وفي مجال استخدام القطعات العسكرية يمكن توجيه القوات التي تستخدم الأسلحة الشرقية والعقيدة القتالية السوفيتية ـ كالعراق ـ لتعمل على الجبهة السورية . بينما توجه القوات التي تستخدم الأسلحة الغربية ـ كالسعودية ودول الخليج العربي لتعمل على الجبهة الأردنية .

ومن خلال الاستراتيجية المشتركة يمكن نقل قطعات عسكرية من دول المغرب العربي إلى الجبهة الشرقية وتكليف اليمن الديموقراطية واليمن الشمالي بإغلاق وحماية مضيق باب المندب . وقد أصبحت الحاجة ملحة لايجاد قيادة عسكرية محترفة تتمتع بكفاءة عالية للتخطيط للعمليات العسكرية المقبلة .

وعند رسم الاستراتيجية العليا للجبهة الشرقية يمكن البدء بكسب التأييد السياسي لمطالب العرب العادلة في حل دائم وعادل ومشرف لقضية فلسطين وإعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير وتكوين دولتهم المستقلة على أرض فلسطين . وتستطيع كل من الأردن والسعودية أن تلعب دوراً مهماً في هذا المجال والضغط على الولايات المتحدة والدول الأوروبية لتأييد الحق العربي . وإذا فشلت هذه المساعي تلجأ الدول العربية النفطية إلى استخدام سلاح البترول والمقاطعة الاقتصادية . فإذا لم يؤد سلاح البترول والمقاطعة الاقتصادية إلى إجبار الدول الغربية على الضغط على اسرائيل لقبول المطالب العربية ، فإنه سيقود إلى حرب جديدة ، حيث تضطر اسرائيل إلى شن حرب وقائية والقيام بالضربة الأولى ـ على أمل أن تكون الجبهة الشرقية قد خططت لهذه المرحلة ـ حيث

الخاتمة

يساعد التفوق في القوات والإمكانات البشرية والمادية والعمق الاستراتيجي للجبهة الشرقية على امتصاص الضربة الاسرائيلية الأولى وايقاع الخسائر في القوات الصهيونية .

وكما نعلم بأن الخسائر في الأرواح هي نقطة ضعف اسرائيل ، فلو خسرت ٥٠٠٠ قتيل في الضربة الأولى فلن تجرؤ على مواصلة القتال خشية ازدياد حجم الخسائر ، ناهيك عما ستوقعه بها ضربة عربية معاكسة تشنها قوات الجبهة الشرقية .

أما التعرض داخل فلسطين فسوف تقوم به دول المواجهة الشرقية ، ولكن الدور الحاسم والفعال ستقوم به حركة المقاومة الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية . فحركة المقاومة ـ بمساعدة السكان العرب في فلسطين ـ قادرة على تدمير عقد المواصلات والقيادات ومراكز الاتصالات والأماكن الحيوية الأخرى . وبقول آخر ستكون الحرب القادمة فرصة لحركة المقاومة لشن حرب تحرير شعبية ضد العدو بعد أن تكون منظمة التحرير قد خططت لهذه الحرب .

يتساءل الكثيرون عن مدى استمرار العلاقة القوية بين أمريكا واسرائيل ، وهناك مواطنون اسرائيليون يشكون في ذلك كما ورد في مذكرات أبا إيبان وزير الخارجية اسرائيل الأسبق . ومما قاله أبا إيبان :

« تبدو العلاقات الأمريكية الاسرائيلية غريبة وغير منسجمة ومختلفة عن أي علاقة دولية في العصر الحديث ، والسبب الظاهر لعدم تكافؤ هذه العلاقة ، يكمن في الاختلاف الكبير بين حجم وقوة كل من أمريكا واسرائيل . ولكن هذه العلاقة ترجع في قوتها إلى التشابه في القيم والذكريات والروابط الروحية والولاءات الديمقراطية . فاسرائيل وأمريكا يؤمنان بالمجتمعات الحرة والقدرة الخلاقة التي تقف وراء نشوء كل منهما .

ومع ذلك نجد أن هاجس الخوف من انهيار هذه العلاقة يلازم اسرائيل عبر السنين خاصة عندما تنظر إلى نفسها وهي تعيش في محيط عربي غني بموارده البشرية والمادية ومصمم ـ على تدميرها . ويتساءل الاسرائيليون أحياناً ، لماذا يجب أن تزعج أمريكا نفسها بمصيرهم ؟ وقد سمعت مواطني يقولون : (لو كنا محل أمريكا لما اهتممنا بمصير اسرائيل بقيت أم زالت) .

والغريب أن من النادر أن يقول الأمريكيون ذلك ، فرغم وجود بعض الشكوك حول سياسة اسرائيل المتعلقة بالاستيطان وضم الأراضي العربية ، إلا أنه لا حدود لالتزامات أمريكا نحوها ، فهي ثابتة ومطلقة . وتعتقد أمريكا أنه إذا انهارت اسرائيل نتيجة فقدان الدعم الأمريكي لها ، فسيضعف ذلك ثقة الدول الصديقة بأمريكا . كما أن أمن أمريكا والحفاظ على مصالحها في الشرق الأوسط ـ خلافاً للحقيقة ـ يعتمد إلى درجة كبيرة على الوجود الاسرائيلي .

وهناك شعور عام بأن أية هزيمة لاسرائيل ستعني هزيمة لهيبة أمريكا وانتصاراً للاتحاد السوفيتي في المنطقة . من هنا نجد أن علاقة أمريكا باسرائيل مبنية على أسس متينة تتمثل في اعتبار الأخيرة دولة متحضرة وحليفاً قوياً في الشرق ومرتكزاً للديمقراطية والحرية ، وليست علاقة مبنية على

العواطف والشعور المعنوي فقط . ولإضفاء طابع الشرف على هذه العلاقة نقول إنه ليس من الضروري إخلاص الأمريكيين لاسرائيل بل من الضروري إخلاصهم لأمريكا التي تعتمد في مصالحها على الاسرائيليين ... » .

ويضيف وزير الخارجية الأسبق قائلاً :

« جاءت إدارة الرئيس كارتر لتؤكد الأسس التي بنيت عليها السياسة الأمريكية تجاه اسرائيل خلال عقود من الزمن . ففي أواخر عام ١٩٦٦ زارني في منزلي في هرتسيليا (زبيغنيو بريجنيسكي) الذي أصبح مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي ، وأثناء حديثنا عن العلاقات الأمريكية الاسرائيلية ، قلت له أنه سيكون هناك العديد من الخلافات ومزيداً من التوتر بيننا وبين واشنطن ، ولكنها ليست خلافات خطيرة ... » .

أما المواطن العربي (من المحيط إلى الخليج) فلا يرى في اسرائيل سوى قلعة صهيونية غاشمة فرضها الاستعمار في قلب الوطن العربي ، فاغتصبت الأرض وشردت السكان . وستبقى كذلك طالما بقيت محافظة على مصالح الدول الاستعمارية في الوطن العربي .

ولا تستطيع كلمات أبا إيبان المعسولة أن تخفي حقيقة اسرائيل وحلفائها الذين غدروا بالأمة العربية في معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور ونكلوا بالشعوب العربية في العقود الماضية بعد أن ساعدهم العرب وساهموا في انتصاراتهم . ولم تنته إساءات الدول الغربية للعرب ، حيث كانت آخرها وليست الأخيرة ، اتفاقية كامب ديفيد التي تجاهلت حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه . وقد علق أبا إيبان على تلك الاتفاقية بعد اجتماع عقد في خريف سنة ١٩٧٨ قائلاً :

« حسب المفهوم السياسي المطروح ، لابد وأن نتساءل عن المدى الذي يبقى فيه تعبير « الدولة اليهودية » صحيحاً مع وجود الأغلبية العربية والبناء السياسي الحالي . فالمفهوم الأساسي لحزب الليكود (حزب مناحيم بيجين) يرتكز على قدرة اسرائيل في السيطرة على مليون عربي أصبحوا تحت الاحتلال بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ إلى أجل غير محدود » ويضيف إيبان قائلاً :

« أنني لا أصدق هذا المفهوم . فالنصر العسكري في حزيران سنة ١٩٦٧ لم ينه الازدواجية في الحكم (في فلسطين) بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط ، فالانتقال من منطقة القانون الاسرائيلي ــ المنطقة المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ــ إلى المنطقة (المدارة عسكرياً) بعد عام ١٩٦٧ يؤدي إلى تغير كبير . ففي المنطقة الأولى تجد مجتمعاً يهودياً مشبعاً بالروح اليهودية ويتكلم اللغة العبرية ، ويعيش حياة حرة في ظل نظام برلماني ديمقراطي ، بينما لا نجد في الجانب الآخر حكومة أو برلماناً أو لغة عبرية أو روابط صهيونية .

ورغم أن المنطقة التي يسكنها مليون عربي ، هي يهودا والسامرة وغزة ، إلا أن هؤلاء العرب ــ بما فيهم سكان غزة ــ لا يشاركون الاسرائيليين أمانيهم القومية وتطلعاتهم للمستقبل . ولا أعتقد أنه

الخاتمة

يوجد وضع سياسي مشابه في العالم الحديث من حيث الانفصال الحاد بين العرب والاسرائيلين الذين يعيشون في ظل القانون الاسرائيلي ومناطق الحكم العسكري في فلسطين . لذلك لابد من ايجاد كيان مستقل للعرب عن اسرائيل مع النظر إلى ضرورة إحداث تغيرات أقليمية تحقق أمن أسرائيل . وقصارى القول أن أمن اسرائيل يعتمد على سكان من النوع الغيور المتماسك أكثر من اعتماده على توسع اقليمي » . ويتفق الجميع مع أبا إيبان في عدم تجاهل حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، خاصة بعد أن أدرك العالم أنه لا حل لقضية فلسطين إلا بوجود منظمة التحرير الفلسطينية (الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين) ، كما أدركت الدول الغربية بالذات أنه لا فائدة ترجى من استمرار هذا التجاهل .

وعلى اسرائيل وحليفتها (أمريكا) أن تدرك أن وسائل القمع والإرهاب وحشد الجيوش غير قادرة على أن تجعل الشعب العربي الفلسطيني ينسى وطنه خاصة بعد أن فشلت الجيوش الأمريكية الضخمة المسلحة بأحدث الأسلحة والمعدات في البقاء في الهند الصينية أمام إصرار الشعب الفيتنامي البطل . وسيأتي يوم تدرك فيه أمريكا أن مساعداتها لاسرائيل ـ التي تبلغ نحو ملياري دولار سنوياً ـ لن تجدي شيئاً إذا اتحدت إرادة الأمة العربية وهبت لتحرير الوطن من الغاصبين .

وإذا نظرنا إلى قوة اسرائيل في آخر الثمانينات سنجد أنها قادرة على تجنيد نحو ٤٥٠,٠٠٠ مقاتل يستخدمون نحو ٣٠٠٠-٥٠٠٠ دبابة ، ١٠,٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة (AFV) و ٦٥٠-٧٥٠ طائرة قاذفة ومقاتلة أمريكية ، في مقابل قوات الجبهة الشرقية (سوريا والأردن) فقط المؤلفة من ٣١٠,٠٠٠ مقاتل ، ٣٢٥٠ دبابة ، ٢٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٩٣٠ طائرة قاذفة ومقاتلة ، من هذا العدد يستطيع الأردن تقديم نحو ٦٧٠٠٠ مقاتل ، ٥٠٠ دبابة و ١٨٠ طائرة مقاتلة . ويدرك العالم خطر اندلاع حرب شاملة في الشرق الأوسط من ضخامة الأسلحة والمعدات التي تمتلكها دول المنطقة . فإذا جمعت جيوش مصر وسوريا والأردن واسرائيل تصبح نحو مليون جندي مجهزين بنحو ١٠,٠٠٠ دبابة ، ١٥,٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٢٢٠٠ طائرة منها طائرة ف ١٥ الأمريكية التي يبلغ ثمنها ٢١ مليون دولار . ومن الواضح أن سباق التسلح في الشرق الأوسط لن يؤدي إلا إلى الدمار . وقد برهنت أربعة حروب عربية اسرائيلية وحرب فيتنام بصورة قاطعة على أن المهم في المعركة هو الانسان بإرادته وتحديه وصموده وإصراره على انتزاع حقه مهما كان الثمن . وقد سبق أن قال الشريف الحسين بن علي هذا الكلام إلى جورج انطونيوس (مؤلف كتاب يقظة العرب) الذي قال : « بأن كل إنسان قادر على امتلاك السلاح ، وإذا ما تعادلت قوة السلاح كان العامل النفسي والارادة هما الغالبان » .

ماذا كانت نتيجة اتفاقية كامب ديفيد وجهود الرئيس كارتر من أجل السلام ؟ لا شيء في الحقيقة . فرغم مساعي السلام الأمريكية والمؤتمرات العربية المتتالية ، مازالت اسرائيل مستمرة في تمردها على العالم ، مندفعة في بناء المستوطنات الصهيونية على الأرض العربية ، وما فتئت تقتل

وتعذب وتشرد أبناء فلسطين وترفض الاعتراف بحقهم في إنشاء دولة فلسطينية خاصة بهم على أرضهم .

من هنا كان لابد للدول العربية من الإعداد لحرب خامسة مع اسرائيل . ويجب أن يكون هذا الإعداد دقيقاً ومفصلاً وكاملاً إذ لا مجال لتكرار أخطاء الماضي وتحمل الهزائم المتلاحقة .

وفي ضوء تعنت اسرائيل ورفضها الاعتراف بالحق العربي فليس من وسيلة غير الحرب ، تردها إلى صوابها وتجبرها على قبول المطالب العربية العادلة والتخلي عن أهدافها التوسعية .

وقد قال الشاعر العربي (أبو تمام) :

« السيف أصدق أنباء من الكتب　　　في حده الحد بين الجد واللعب »

إنها حقيقة قاسية لكنها بديهية وقد تعلمها الشريف الحسين بن علي أمير مكة والعرب الأحرار في جمعيتي الفتاة والعهد السريتين في مدرسة الحرب القاسية قبل ما يزيد على ستين عاماً .

الخرائط

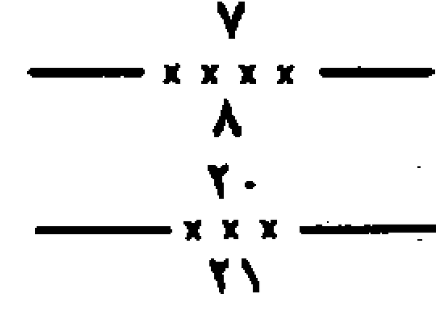
الخـرائــط

لمساعدة القاريء (غير العسكري) على فهم المصطلحات العسكرية والخرائط الواردة في الكتاب جرى توضيح هذه الرموز كما هو مبين تالياً :

١	التشكيـلات		أمثلـة
XXXXX	قيادة عليا/قيادة عامة/مجموعة جيوش	م ج ب XXXXX اللنبي	مجموعة الجيوش البريطانية في الشرق الاوسط بقيادة الجنرال اللنبي
XXXX	قيادة أو جيش	ق م ج XXXX جونين	قيادة المنطقة الجنوبية (الاسرائيلية) بقيادة الجنرال جونين
XXX	فيلق	XX ٥ هندية	فرقة الخيالة ٥ (هندية)
XX	فرقة مشاة	٣ X ٤٠	اللواء المدرع ٤٠ من الفرقة المدرعة ٣
XX	فرقة مدرعة/دبابات	٤٠ ١١ ١١	كتيبة المشاة ١١ من اللواء ٤٠
XX	فرقة فرسان	٩ ٣	السرية الآلية ٣ من الكتيبة الآلية ٩
XX	فرقة آلية		
X	لواء مشاة		
X	لواء مدرع	١	حجم يدل على سرية يوضع فوق المربع
X	لواء فرسان	١١	حجم يدل على كتيبة يوضع فوق المربع
X	لواء آلي		
	مجموعة قتال		
	الاجندة المتقاطعة رمز أساسي للمشاة		
	جنزير داخل مربع رمز أساسي للدبابات		
X	لواء مظلي/محمول جواً		
XX (+)	فرقة (مدعمة)		
XX (−)	فرقة مدرعة (ناقصة)		
	كتيبة دبابات		
	سرية مدفعية		

(١) وقع راسم الخرائط في خطأ اذ وضع رقم الوحدة الأصلية على اليسار والوحدة الفرعية على اليمين متقيداً بالأصل الانجليزي هكذا X لذا اقتضى التنويه

٢ - الحدود بين التشكيلات العسكرية وتعني حدود منطقة المسؤولية وهي كما يلي :



الحدود الداخلية بين الجيشين السابع والثامن

الحدود الداخلية بين الفيلقين ٢٠ و ٢١

٣ - حجم القوات : يعين حجم القوات في بعض الحالات على الشكل التالي :

ق ق ح ث (١٤,٠٠٠) XXX فخري قوة قتال الحجاز (تركية) بقيادة فخري بك وعددها (١٤,٠٠٠ مقاتل)

ج ع ش (٨٠٠٠) XXXX فيصل الجيش العربي (الهاشمي) الشمالي بقيادة الامير فيصل بن الحسين وعدده (٨٠٠٠ نظامي)

(٨٠٠٠) ٤ جمال الجيش التركي ٤ بقيادة جمال باشا (كوتشوك) وعدده (٨٠٠٠ مقاتل)

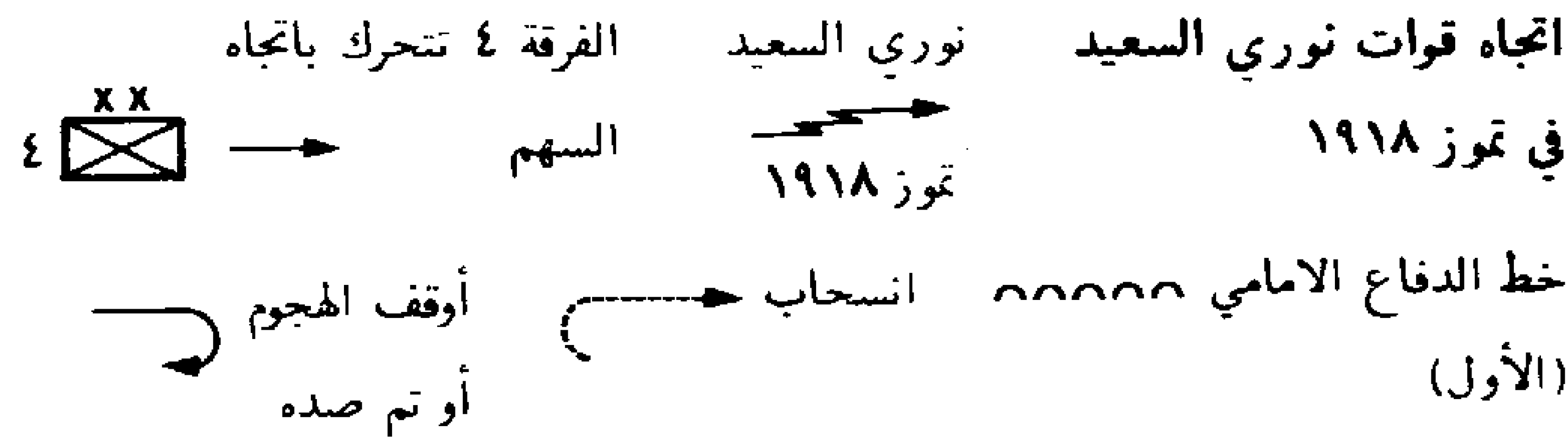
٤ - مواقع (مراكز) التشكيلات العسكرية وقياداتها في الشرق الاوسط .

م ج ب XXXXX اللنبي قيادة مجموعة الجيوش البريطانية (بقيادة اللنبي) في الرملة وفلسطين

ج ع ش XXXX فيصل (العقبة) قيادة الجيش العربي (الهاشمي) الشمالي بقيادة الامير فيصل بن الحسين في العقبة .

(يمن) ٧ XXX (صنعاء) علي سعيد قيادة الفيلق التركي ٧ (يمن) بقيادة علي سعيد في صنعاء

٥ - محاور (طرق) التقدم/الهجوم/الدفاع والانسحاب الاسهم تشير إلى اتجاه حركة القطعات العسكرية .



٦ - **الرموز وهي اختصار للمصطلحات الواردة في الكتاب ومؤشره على الخرائط ويجدر لفت انتباه القاريء إلى أن الرموز الواردة باللغة الانجليزية متعارف عليها بين الدول الغربية وقد وردت في أكثر من كتاب . بينا تم وضع رموز عربية توافق الرموز الانجليزية الواردة في هذا الكتاب علما أن بعضها (متعارف عليه) وورد في غير هذا الموضع .**

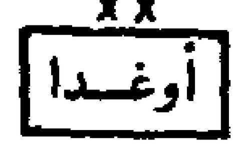
ق ق ب	قوة قتال البحر الابيض المتوسط البريطانية في معركة (غاليولي)
ق ق م	قوة القتال المصريه وهي القوات البريطانية في مصر .
ق ق ع	قوة قتال (بريطانية) في العراق
ج ع شم	الجيش العربي الشمالي بقيادة الامير فيصل بن الحسين
ج ع شق	الجيش العربي الشرقي بقيادة الامير عبد الله بن الحسين
ج ع ج	الجيش العربي الجنوبي بقيادة الامير علي بن الحسين
ق ق ح ت	قوة قتال الحجاز . وهي قوات تركية بقيادة فخري باشا تحتل الحجاز من تبوك حتى مكة المكرمة
ف ص ر	فيلق الصحراء الراكب . أحد فيالق الجنرال اللنبي البريطانية
ف خ س	فرقة الخياله الاسترالية
ف خ س ن	فرقة الخيالة الاسترالية النيوزلندية
ق ف س ن	قوات الفيلق الاسترالي النيوزلندي
ل خ س خ	لواء الخيالة الاسترالي الخفيف
ج ت ف	جيش التحرير الفلسطيني
م ت ف	منظمة التحرير الفلسطينية
ق ش	القيادة الشمالية
ق ج	القيادة الجنوبية
اليوشوف	اسم اطلق على المهاجرين اليهود في فلسطين (القيادة)
جحال (زحال)	جيش الدفاع الاسرائيلي
الهاغانا	المجتمع المسلح ، وهي القوات اليهودية غير النظامية قبل تأسيس الجيش الاسرائيلي النظامي .
هستدروت	اتحاد عمال اسرائيل
كيبوتس	مستعمرات جماعية (اشتراكية)
موشاف	قرى تعاونية أو مستعمرات زراعية
الحارس (هاشوير)	حراس الحدود الذي يعينون في المستعمرات الأمامية المتاخمة لحدود الدول العربية . أول اسم أطلق على حراس المستعمرات .
منظمة الأرغون	منظمة صهيونية ارهابية تدعى « المنظمة الوطنية العسكرية »
منظمة ليهي	منظمة صهيونية ارهابية تدعى « المقاتلون من أجل حرية اسرائيل »
البالماخ	سرايا يهودية ضاربة أصل القوات الاسرائيلية في حرب ١٩٤٨ (صاعقة)
بوليس المستعمرات	شرطة حدود زمن الانتداب البريطاني
قوات الميدان	وهي قوة من المتطوعين الذين لا يتقاضون راتب ومستعدين للعمل عند الحاجة شكلت عام ١٩٤٠ بعد حل شرطة الحدود (بوليس المستعمرات)
حرس المستعمرات	قوات تشبة قوات الميدان ولكنها ثابتة تدافع عن المستعمرات الامامية
ح س ج ب	حامية سلاح الجو البريطاني في الحبانية .

٧ - رموز متفرقــة

(ــ) ناقص اذا وضعت بجانب رمز وحدة عسكرية تعني أن الوحدة ليست كاملة ، أو قوتها ضعيفة . مثال ١١ (ــ)

(+) زائــد تعني الوحدة مضافاً اليها وحدة فرعية مثال ١١ + (٤)


لواء يفتاح (يهودي)



قيادة فرقة تعبوية يجمع لها ألوية حسب الواجب المطلوب كما هي في النظام الامريكي

٠٧١٥٠٠ مجموعة التوقيت العسكرية حيث يوجد ٦ خانات من اليسار أول خانتين للتاريخ وثاني خانتين للساعات وثالث خانتين للدقائق . وتحسب الساعات من ٢٤ ساعة . مثال التاريخ المقابل يبين اليوم السابع والساعة الثالثة بعد الظهر (١٥-١٢=٣) والدقائق صفر .

تعرض تعني عمليات عسكرية هجومية . ولكن التعرض أوسع وأكبر من الهجوم

تعبوي تنفيذ العمليات العسكرية بحركة التشكيلات الفعلية

جبهوي الهجوم على دفاعات العدو الامامية (من الأمام)

التفاف يتم في عمق العدو ، بعيداً عن الهدف

احاطة احتواء العدو والاحاطة به على الهدف

ساعة الصفر ساعة بدء الهجوم

يوم ي وهو اليوم المقرر للهجوم أو التعرض (يوم بدء العملية)

مجابهة أو مواجهة مثال الاردن احدى دول الجابهة مع اسرائيل .

٨ - استعمال الألوان ، استعملت الألوان التالية في الكتاب (عموماً) لتمييز الجيوش المختلفة .

وتستعمل الدول الغربية اللون الأزرق لتمثيل قواتها والقوات الحليفة والصديقة . واللون الأحمر لتمثيل القوات المعادية (الشيوعية) . وقد استعملت الألوان للدلالة على القوات المتحاربة في فترات مختلفة وكما يلي :

أ - فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) والثورة العربية الكبرى (١٩١٦-١٩١٨) :

أحمر الجيوش الالمانية والعثمانية

أزرق جيوش الحلفاء والقوات الصديقة

أخضر الجيش العربي الهاشمي (جيش الثورة العربية)

ب - الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥

أحمر قوات المحور وقوات حكومة (فيشي) الفرنسية

أزرق الحلفاء (بريطانيا والقوات التي تحارب إلى جانبها)

أخضر الجيش العربي الاردني

ج - فترة الحروب العربية ـ الاسرائيلية (١٩٤٧-١٩٧٣)

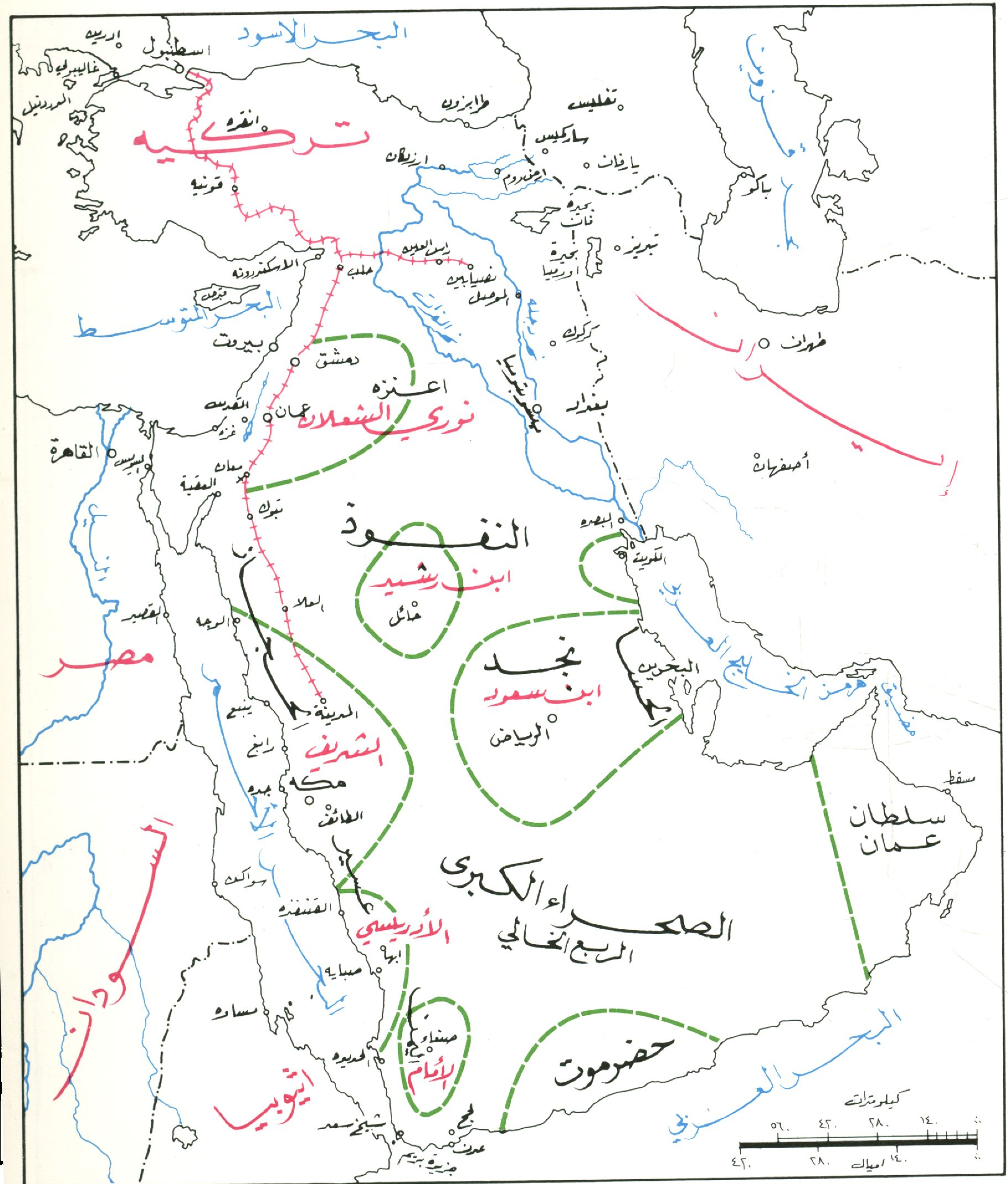
الأزرق جيوش الدول العربية

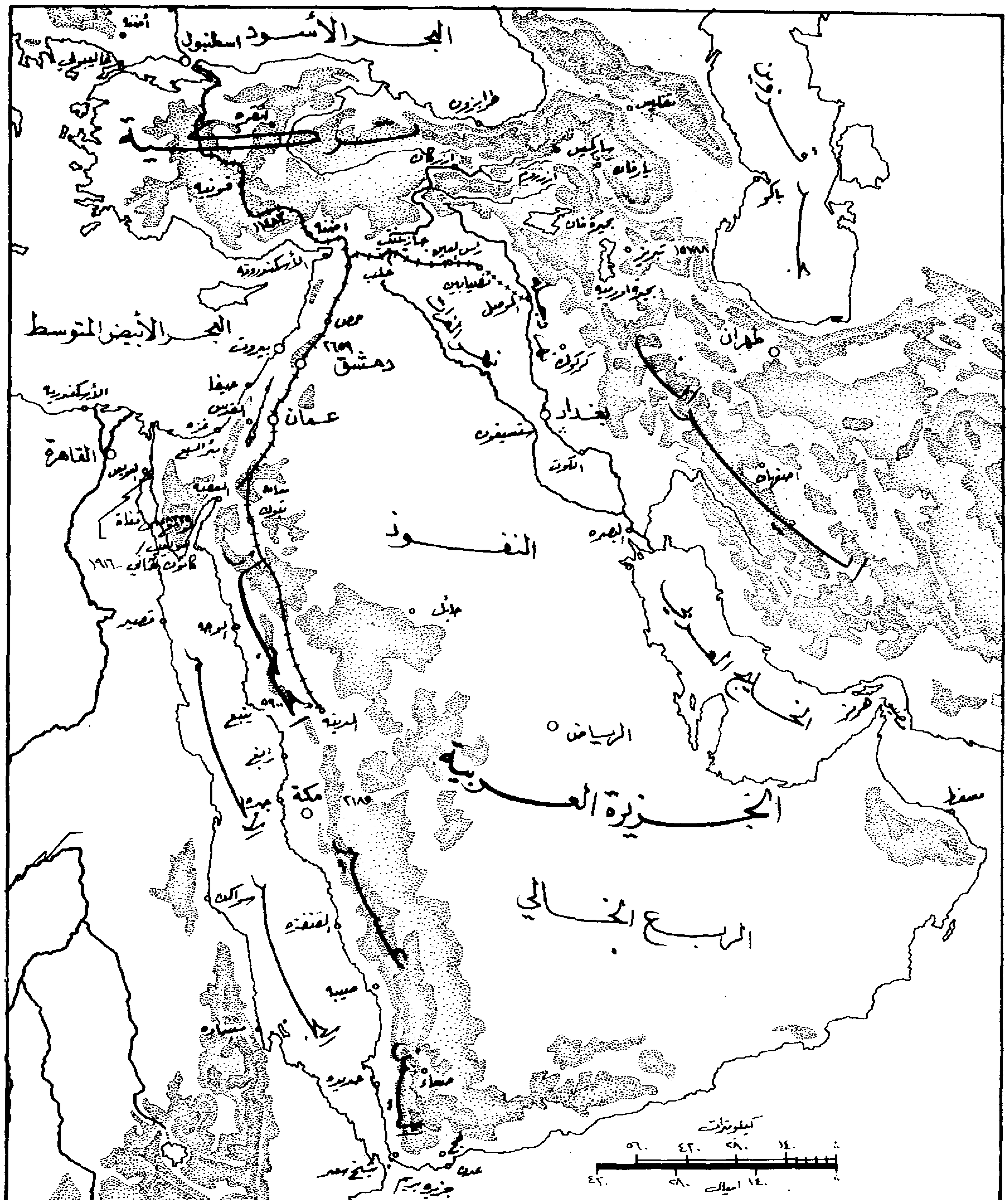
الأخضر الجيش العربي الاردني (لاغراض هذا الكتاب فقط)

الأحمر القوات الاسرائيلية

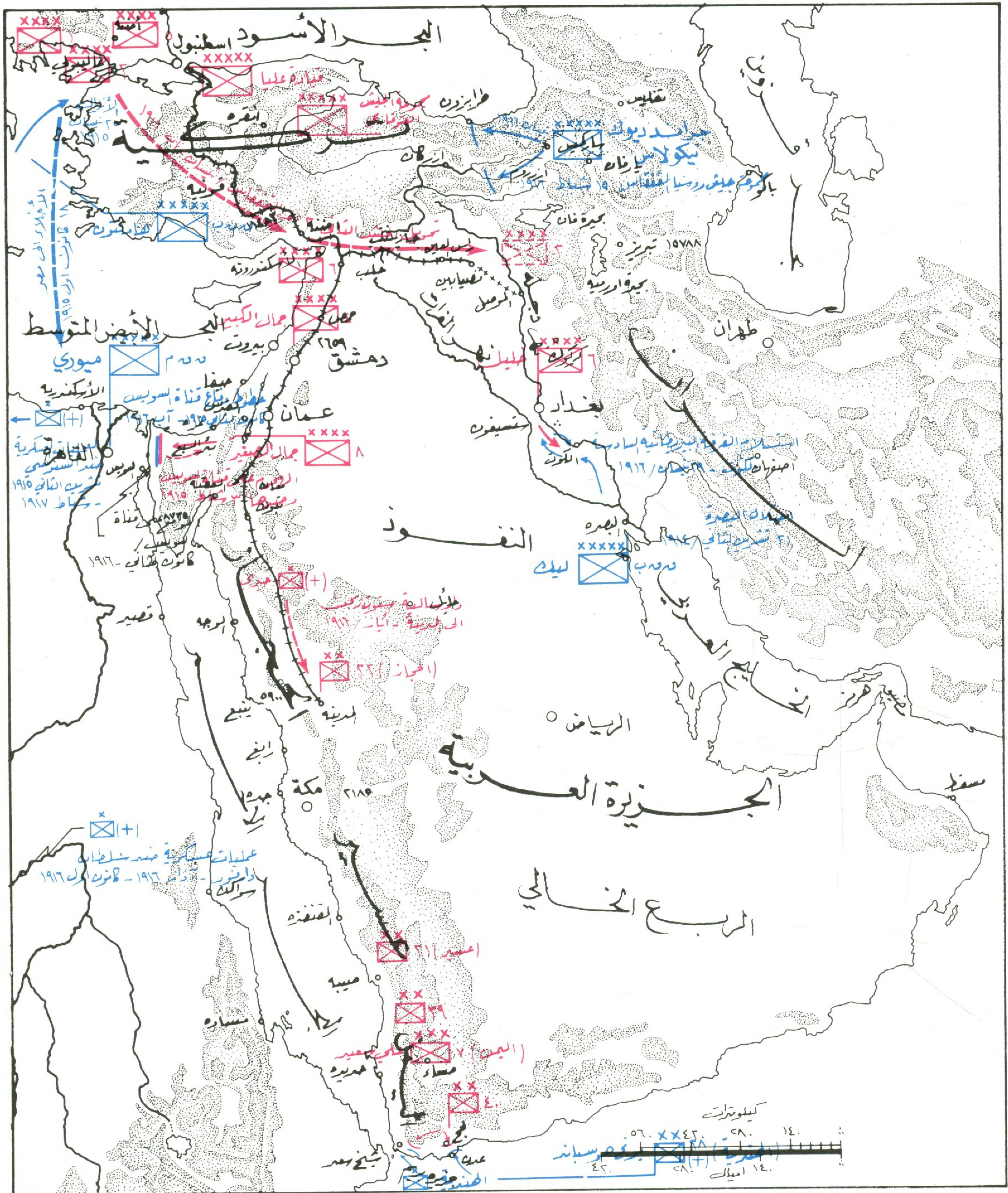
الأزرق الجيش العربي الأردني (مستقلاً)

الجزيرة العربية وسوريا ابان الحكم العثماني : ١٩١٤

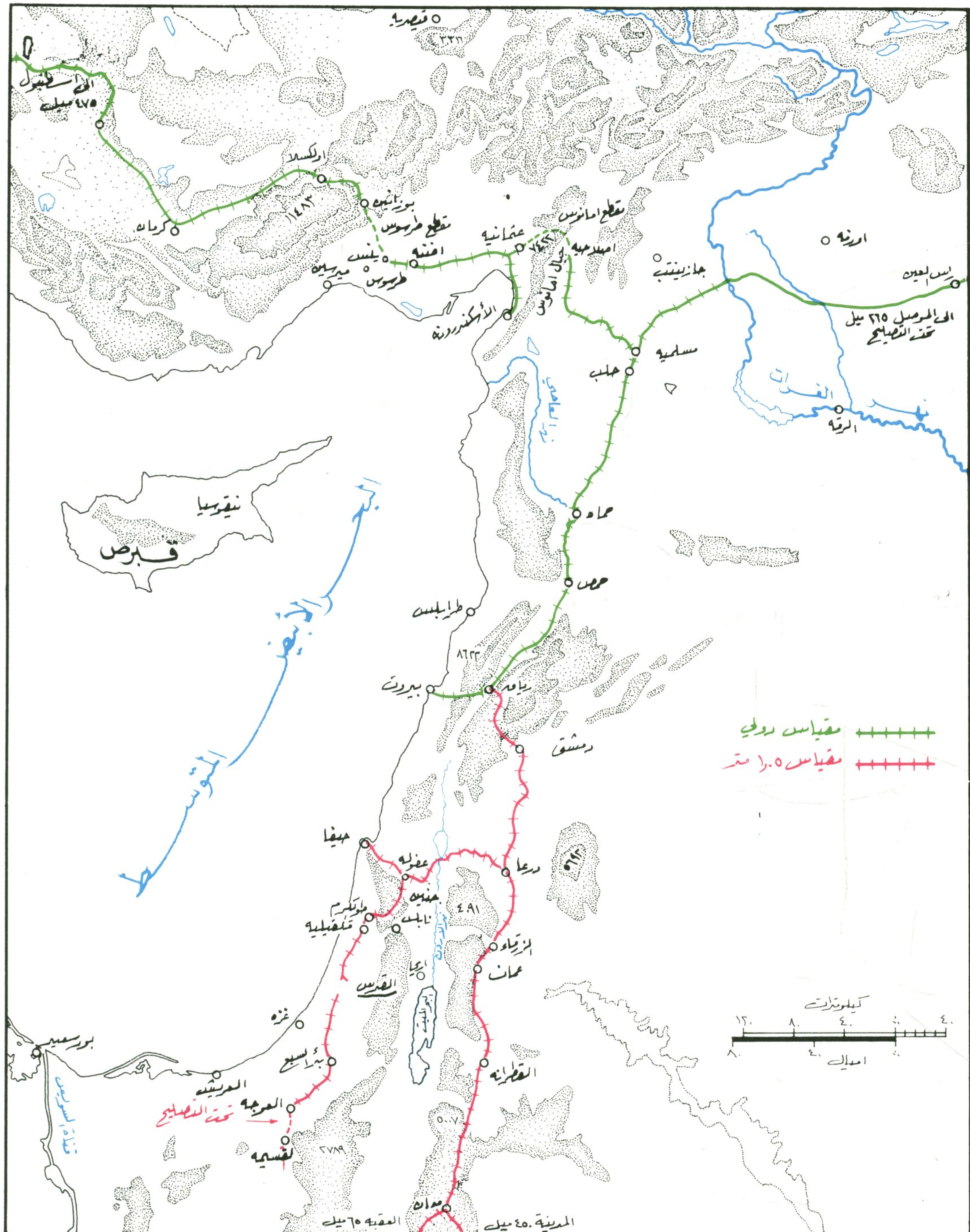


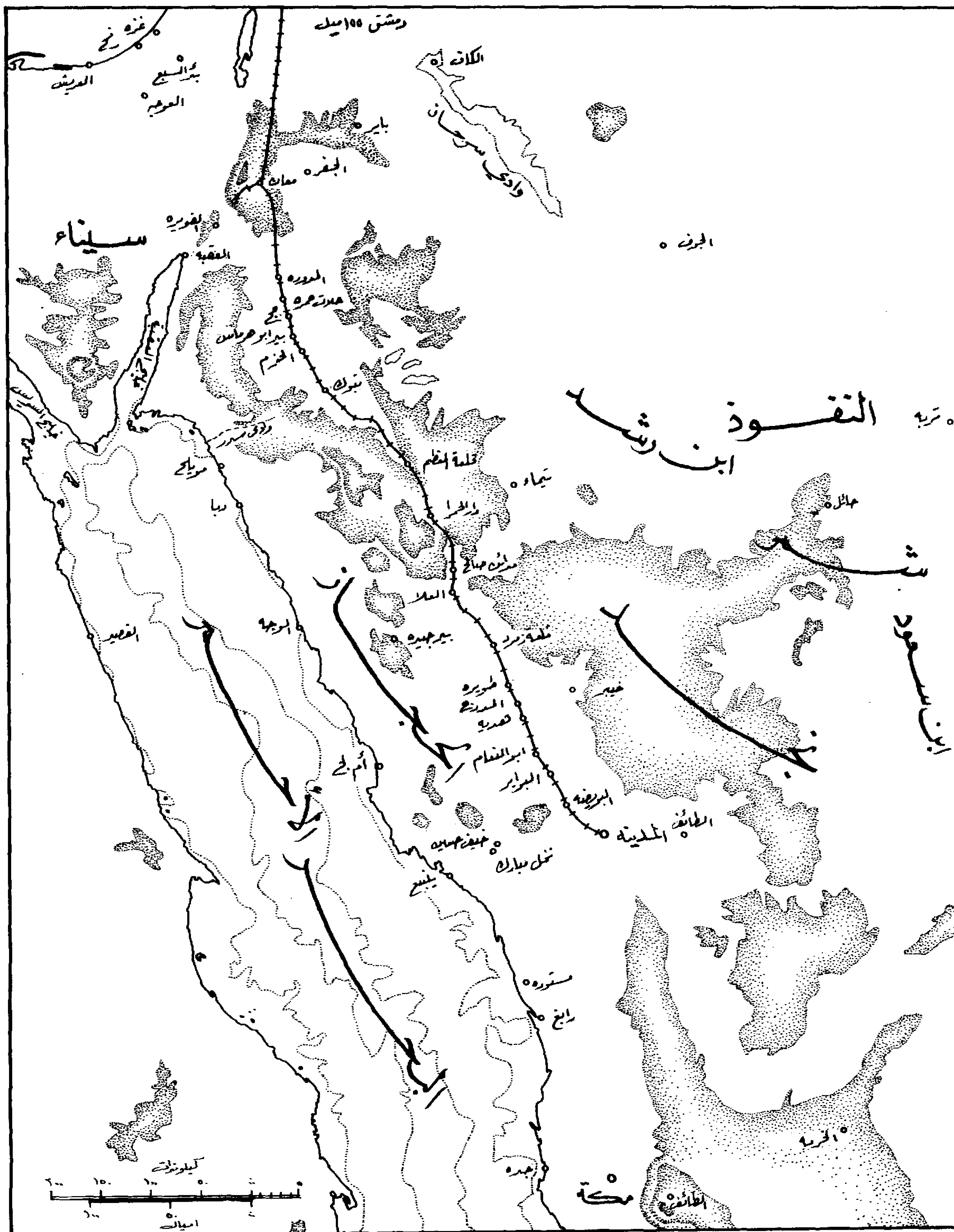

البحر الأسود
اسطنبول
طرابزون
أنقرة
تركية
قونية
أرضروم
الاسكندرونة
البحر الأبيض المتوسط
حلب
الموصل
حمص
بيروت
دمشق
حيفا
عمان
الاسكندرية
القاهرة
السويس
العقبة
معان
تبوك
كركوك
بغداد
الكويت
البصرة
النفود
حائل
الوجه
القصير
المدينة
ينبع
رابغ
مكة
جدة
الرياض
الجزيرة العربية
الخليج العربي
الربع الخالي
القنفذة
صبيه
سواكن
مصوع
صنعاء
حديدة
عدن
مسقط
طهران
تبريز
باكو
اصفهان
كيلومترات
اميال

مواقع الجيوش العثمانية عشية الثورة العربية الكبرى : ١٩١٦



٣ خطوط المواصلات التركية الحديدية (بما فيها الخط الحديدي الحجازي)



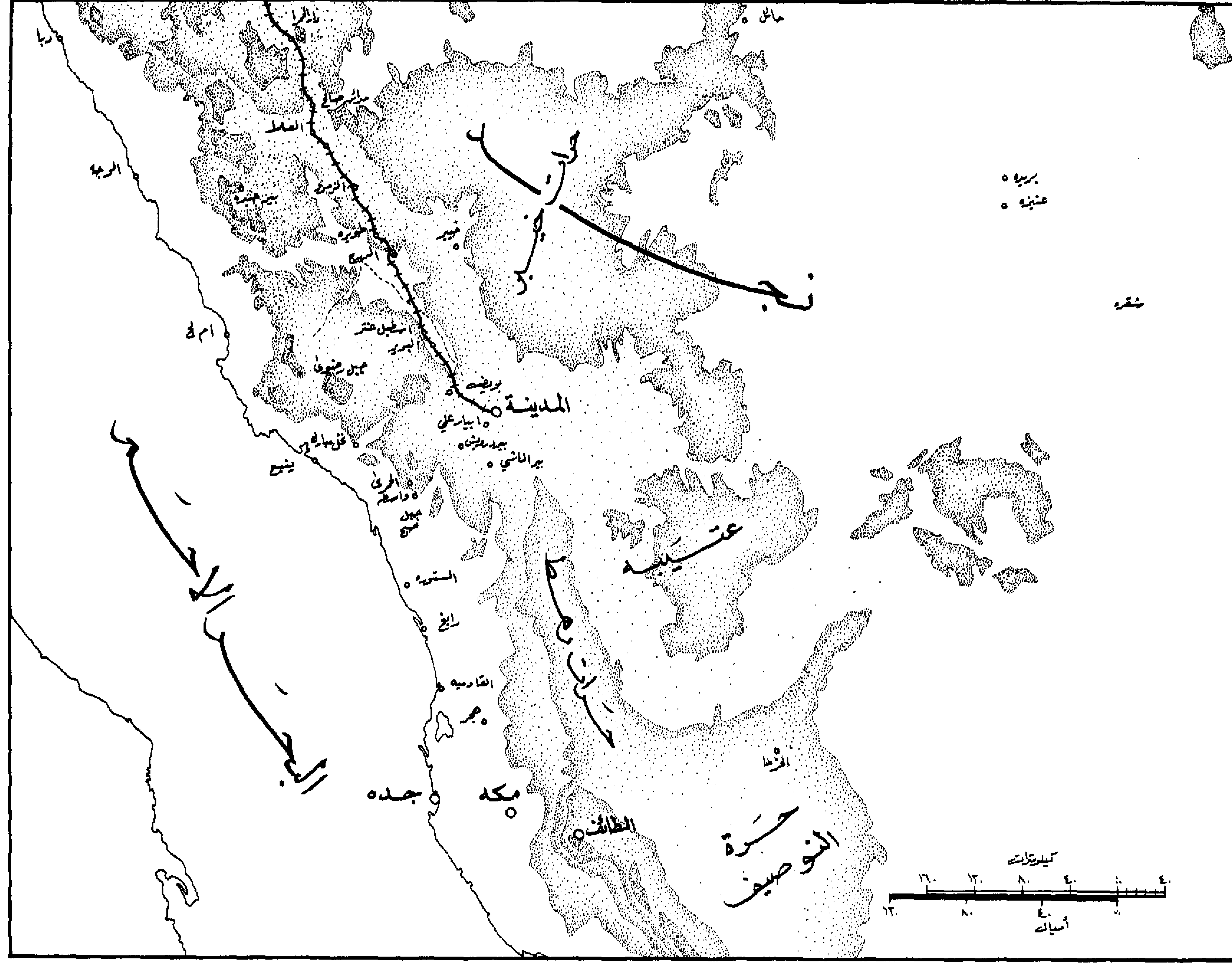


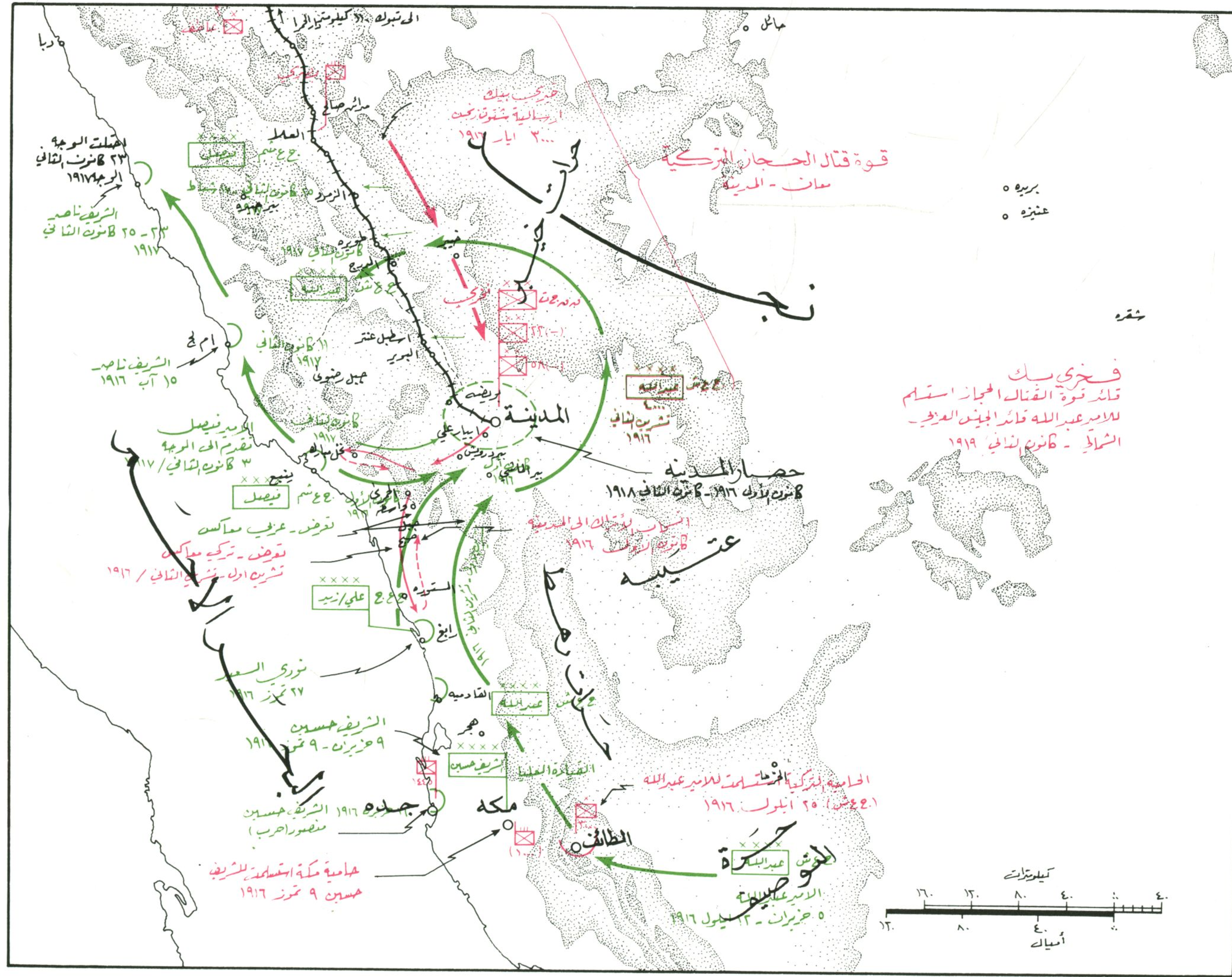
دمشق ١٥٥ ميل
غزة
بئر السبع
العريش
العوجة
الكاف
باير
وادي سرحان
الجفر
معان
الجوف
سيناء
العقبة
المدورة
بئر ابو هرماس
الحزم
تبوك
النفوذ
ابن رشيد
تربة
قلعة المعظم
تيماء
مويلح
ضبا
دار الحمرا
حائل
شمر
مدائن صالح
العلا
ابن سعود
الوجه
بئر جهيرة
القصير
خيبر
نجد
المدينة
البرابر
أم لج
ينبع
نخل مبارك
مستورة
رابغ
جدة
مكة
الطائف
الخرمة
كيلومترات
اميال

٤

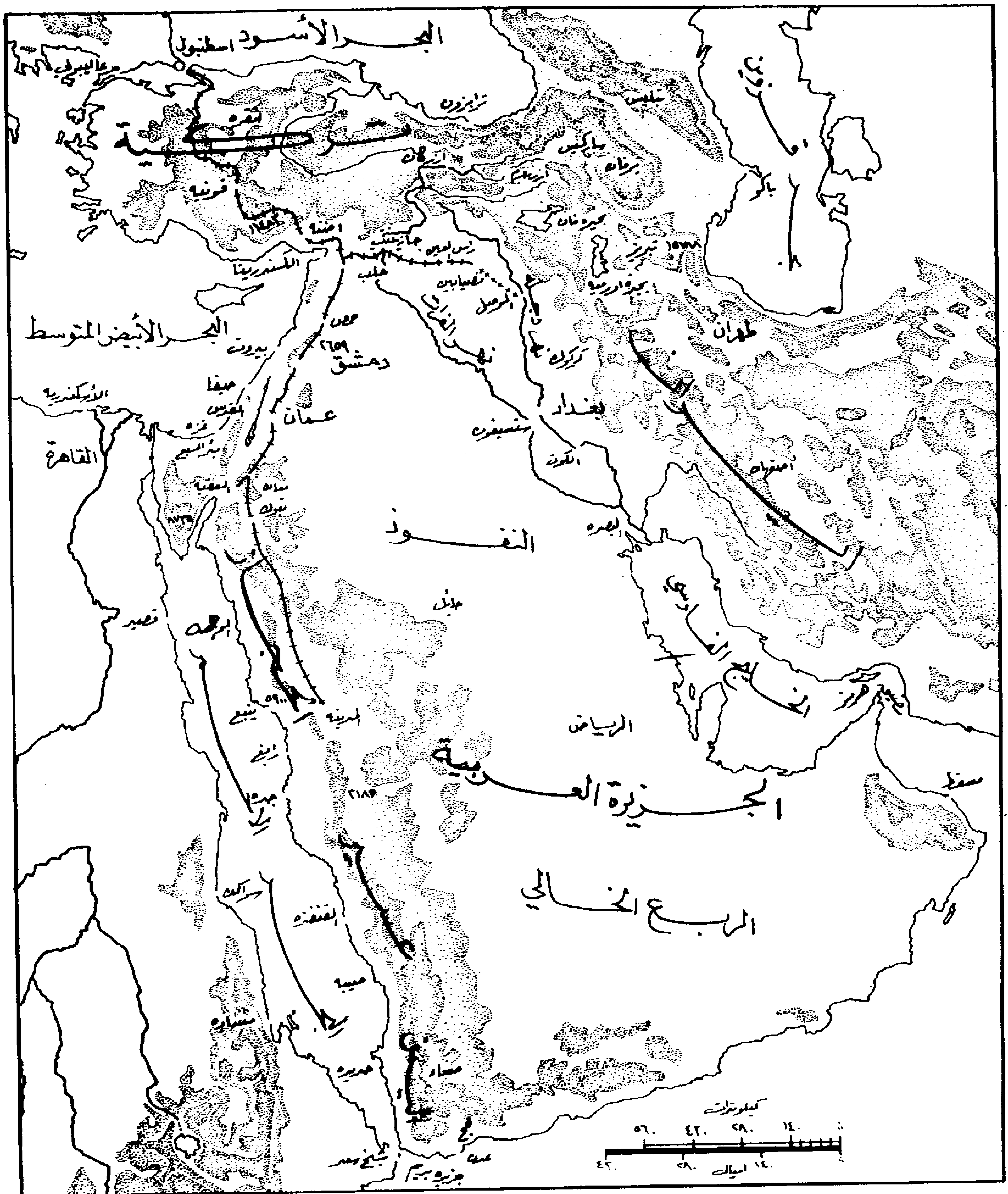
عمليات الجيش الهاشمي في الحجاز (الحرب المتحركة)

من حزيران ١٩١٦ الى تموز ١٩١٧


المدينة
مكة
جده
الطائف
ينبع
رابغ
المستوره
القادمية
حائل
بريدة
عنيزة
شقراء
الوجه
ام لج
العلا
عتيبة
نجد
حرة النوصيف
كيلومترات
أميال

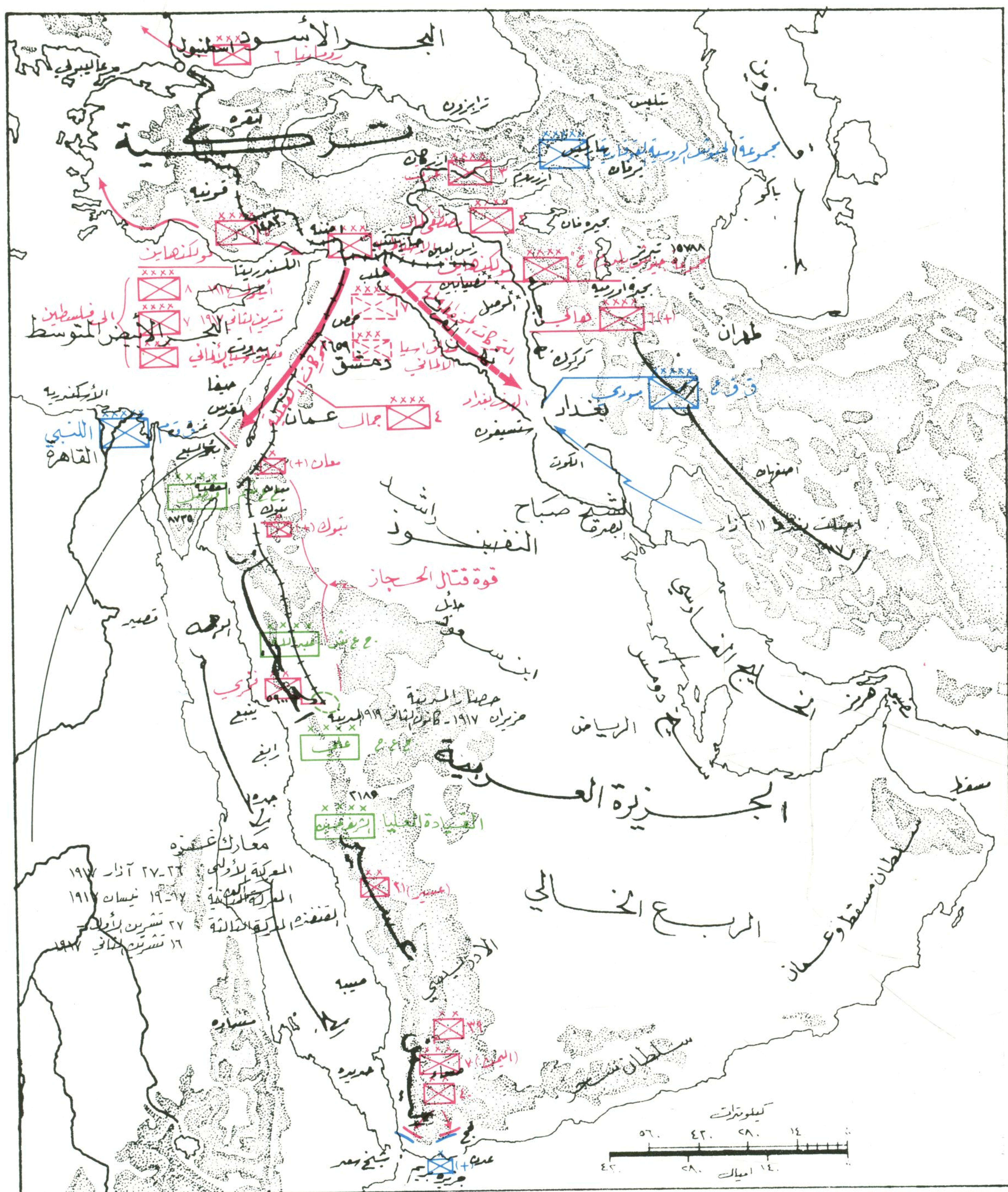


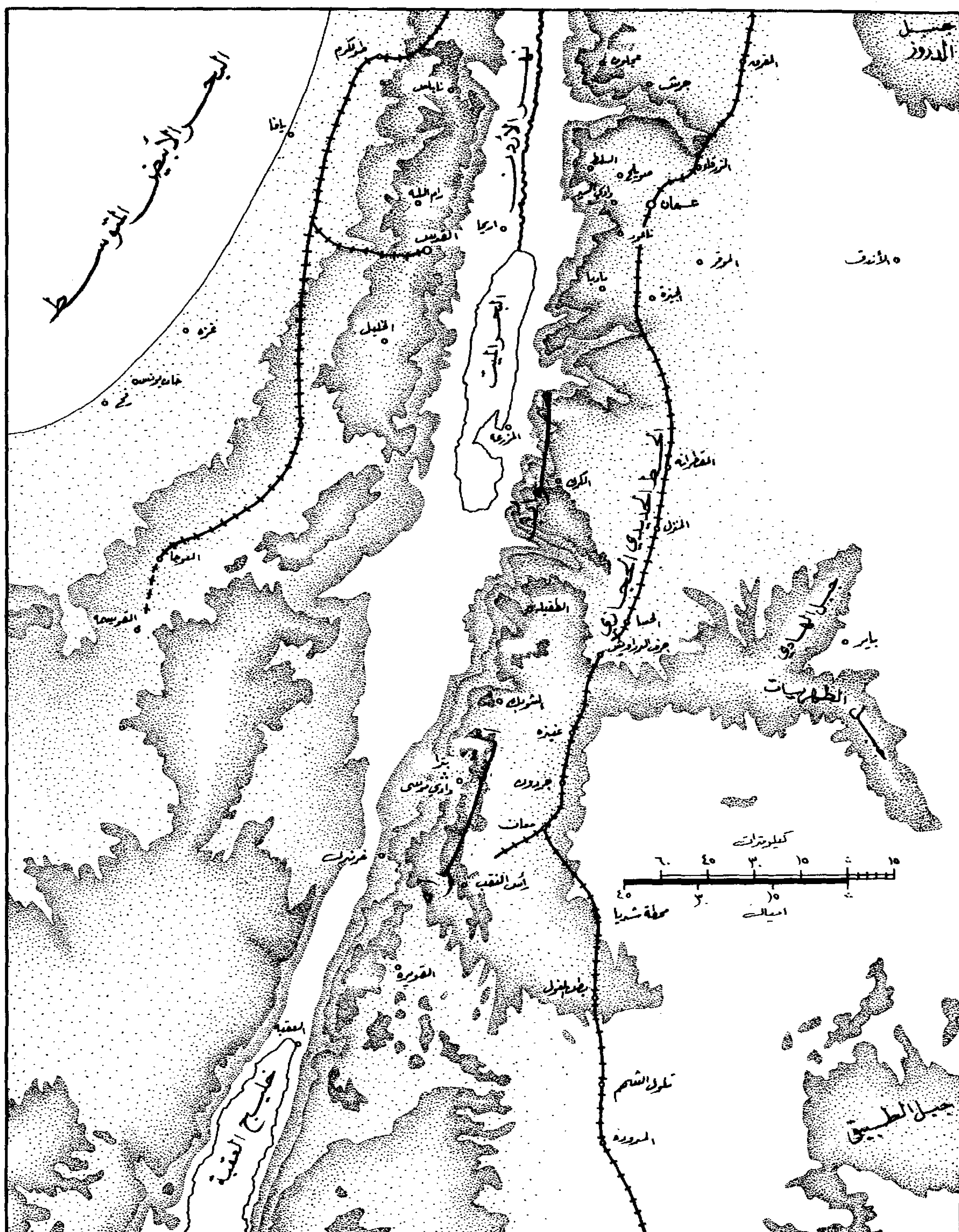
حصار المدينة المنورة : حزيران ١٩١٦ - كانون الثاني ١٩١٩



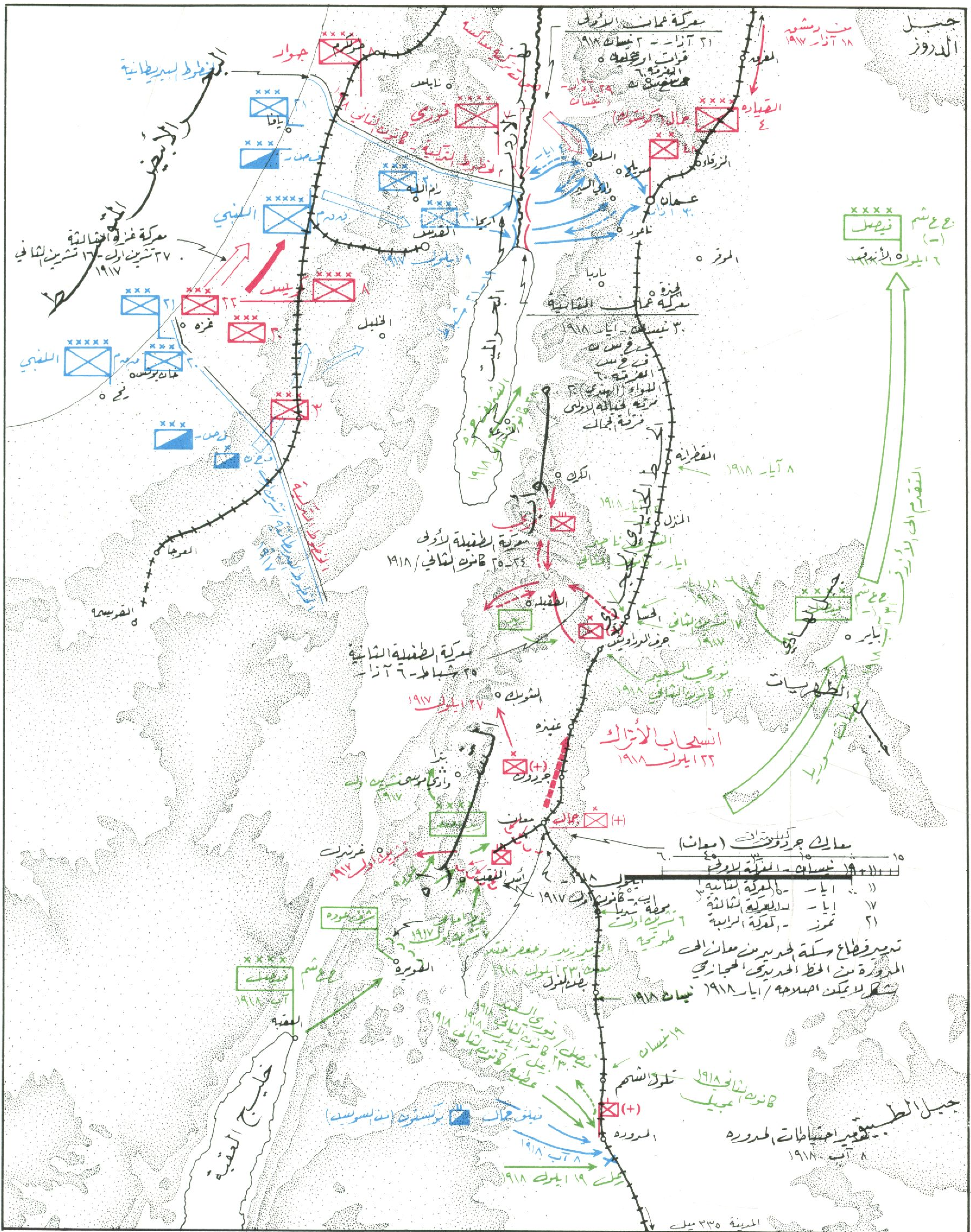
البحر الأسود
اسطنبول
تركية
أنقرة
قونية
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
حيفا
القاهرة
حلب
حمص
دمشق
عمان
بغداد
تبريز
طهران
باكو
الموصل
البصرة
النفوذ
الرياض
الجزيرة العربية
الربع الخالي
المدينة
صنعاء
مسقط
كيلومترات
أميال

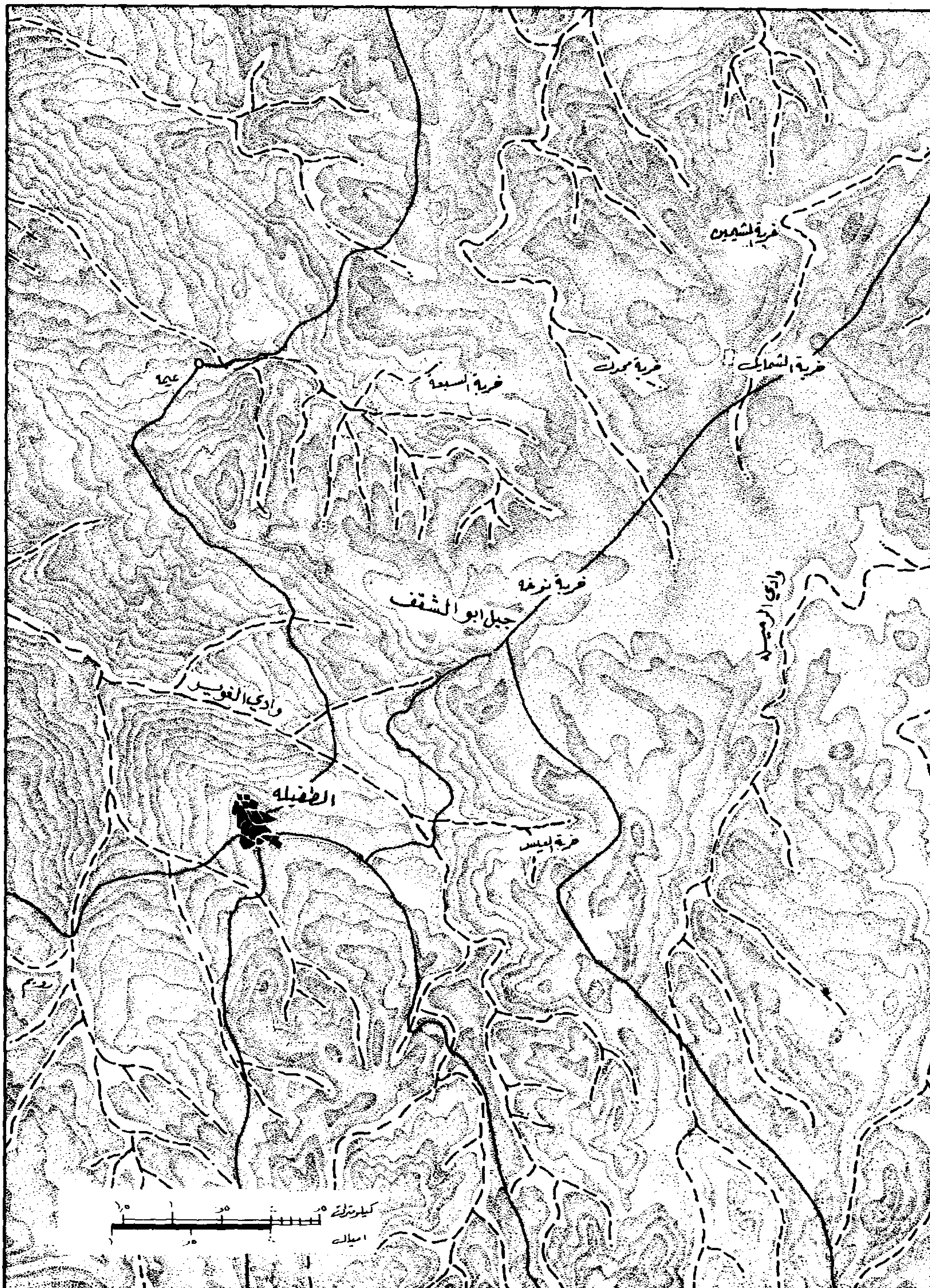
٦ « يلدرم » المواقع والأهداف : آب ١٩١٧




البحر الأبيض المتوسط
طولكرم
نابلس
يافا
رام الله
اريحا
القدس
الأردن
البحر الميت
غزة
خان يونس
رفح
الخليل
المزرعة
العوجا
العريش
جبل الدروز
المفرق
جرش
عجلون
السلط
صويلح
الزرقاء
عمان
الموقر
الأزرق
مادبا
الجيزة
القطرانة
الكرك
المنزل
الطفيلة
الحسا
جرف الدراويش
باير
الطبيات
الشوبك
عنيزة
بترا
وادي موسى
جردون
معان
غرندل
رأس النقب
كيلومترات
٦٠ ٤٥ ٣٠ ١٥ ٠ ١٥
٤٥ ٣٠ ١٥ ٠
اميال
القويرة
بطن الغول
العقبة
خليج العقبة
تلول الشحم
المدورة
جبل الطبيق

٧ عمليات الجيش الهاشمي في شرق الاردن (حرب الاستنزاف) :
من تموز ١٩١٧ الى تشرين الاول ١٩١٨



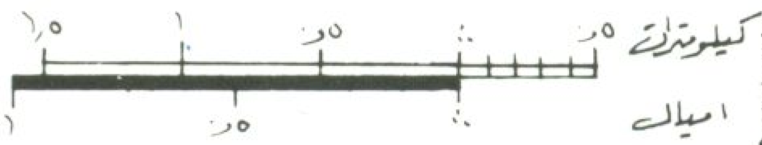

عيمة
خربة السبعة
جبل ابو الشقف
وادي الغوير
الطفيلة
كيلومترات
اميال

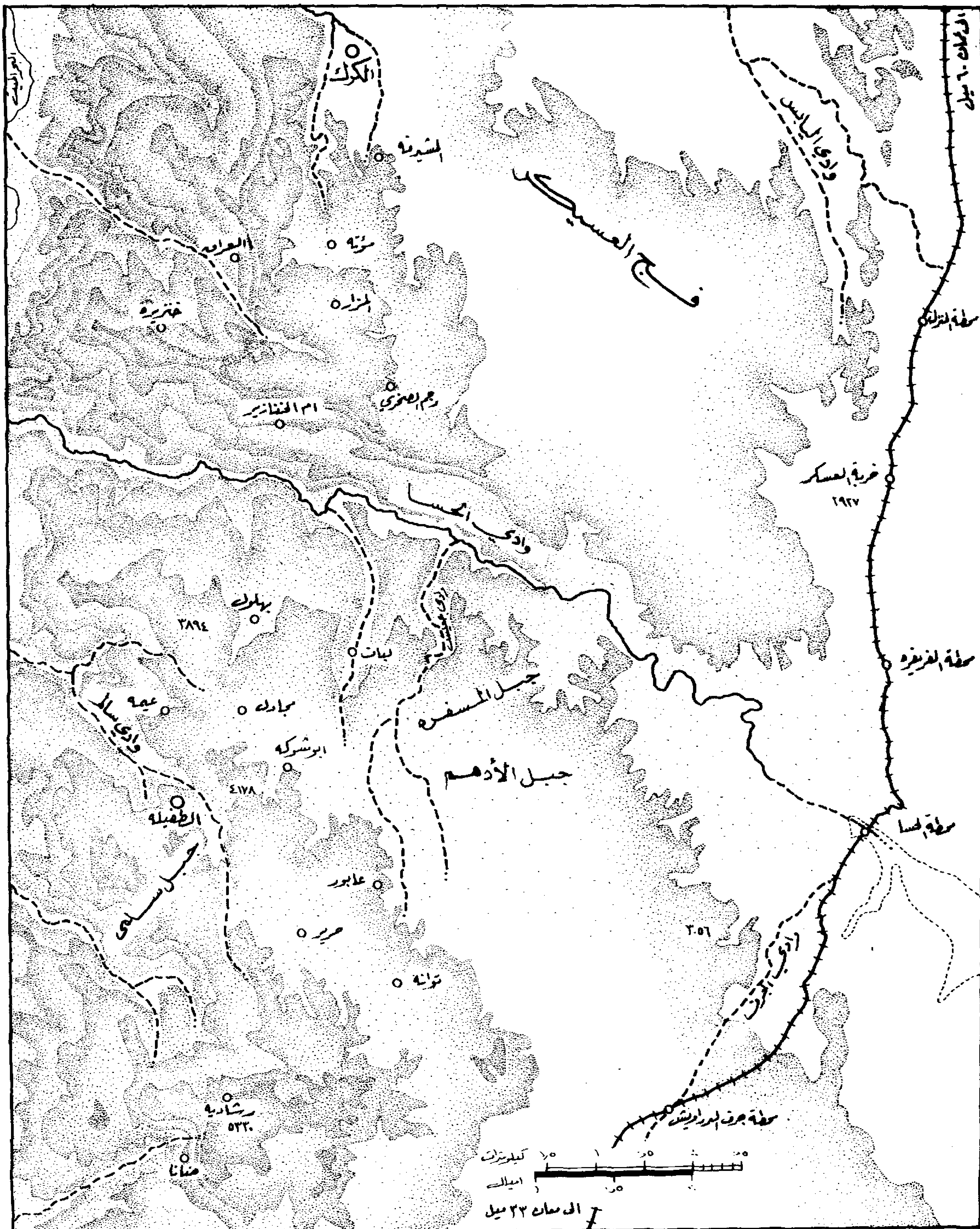
٨ معركة الطفيلة الأولى : ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨

القوات التركية
حامد فخري بك
الكتيبة ١٥١/٣ ٣٠٠
الكتيبة ١٥٢/٣ ٣٠٠
سرية فرسان ١٠٠
مدفعين جبليين (اسبت الهاون)
٢٣ رشاش

خربة الشيعين
خربة السبعة
خربة مجدل
جبل ابو الشقف
وادي الغوير
الطفيلة

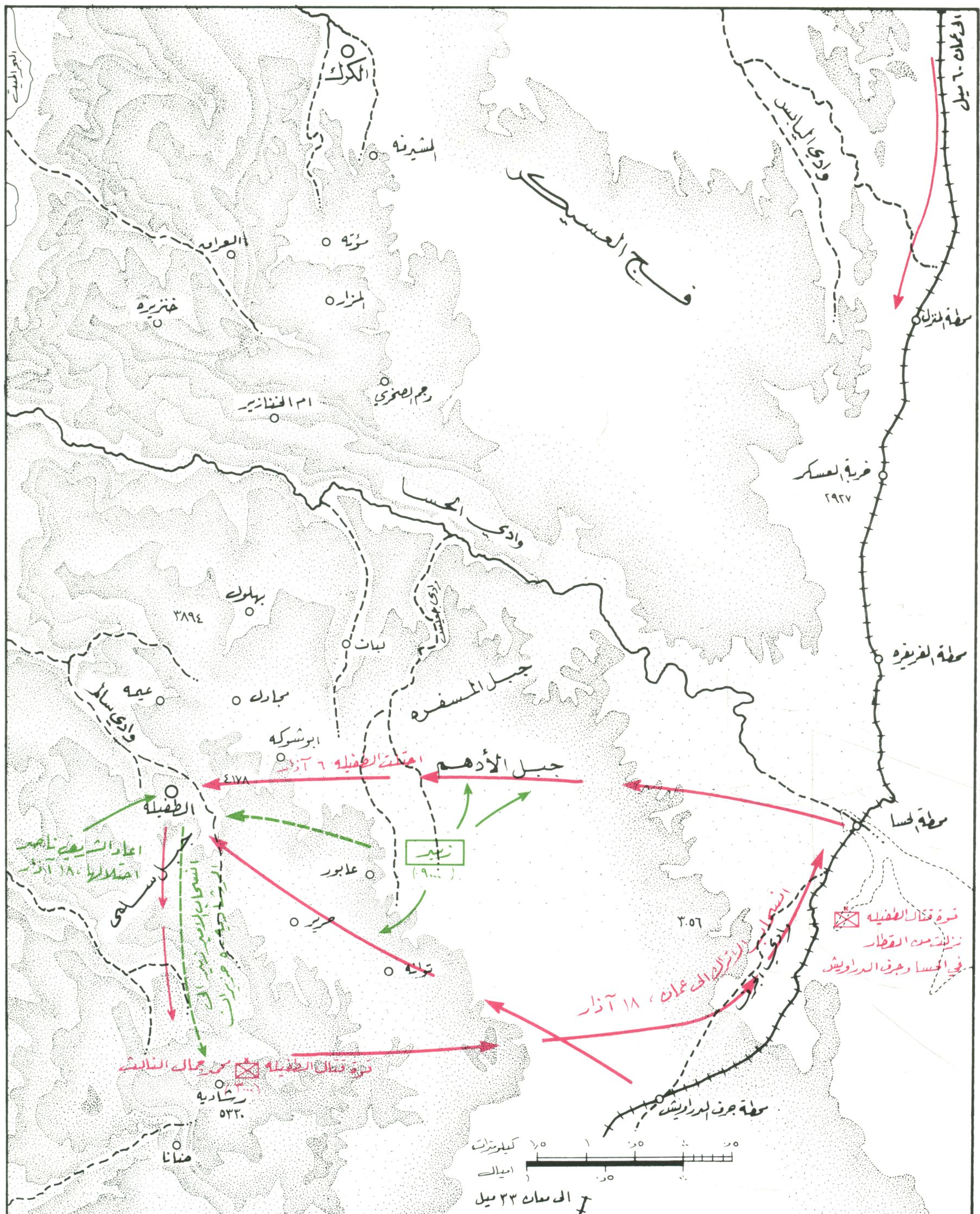
قوات الأمير زيد
قوات نظامية ١٠٠
مدفعي جبال
اربعة رشاشات
٥٠ متطوعا
٢٠٠ محاربين غير نظاميين

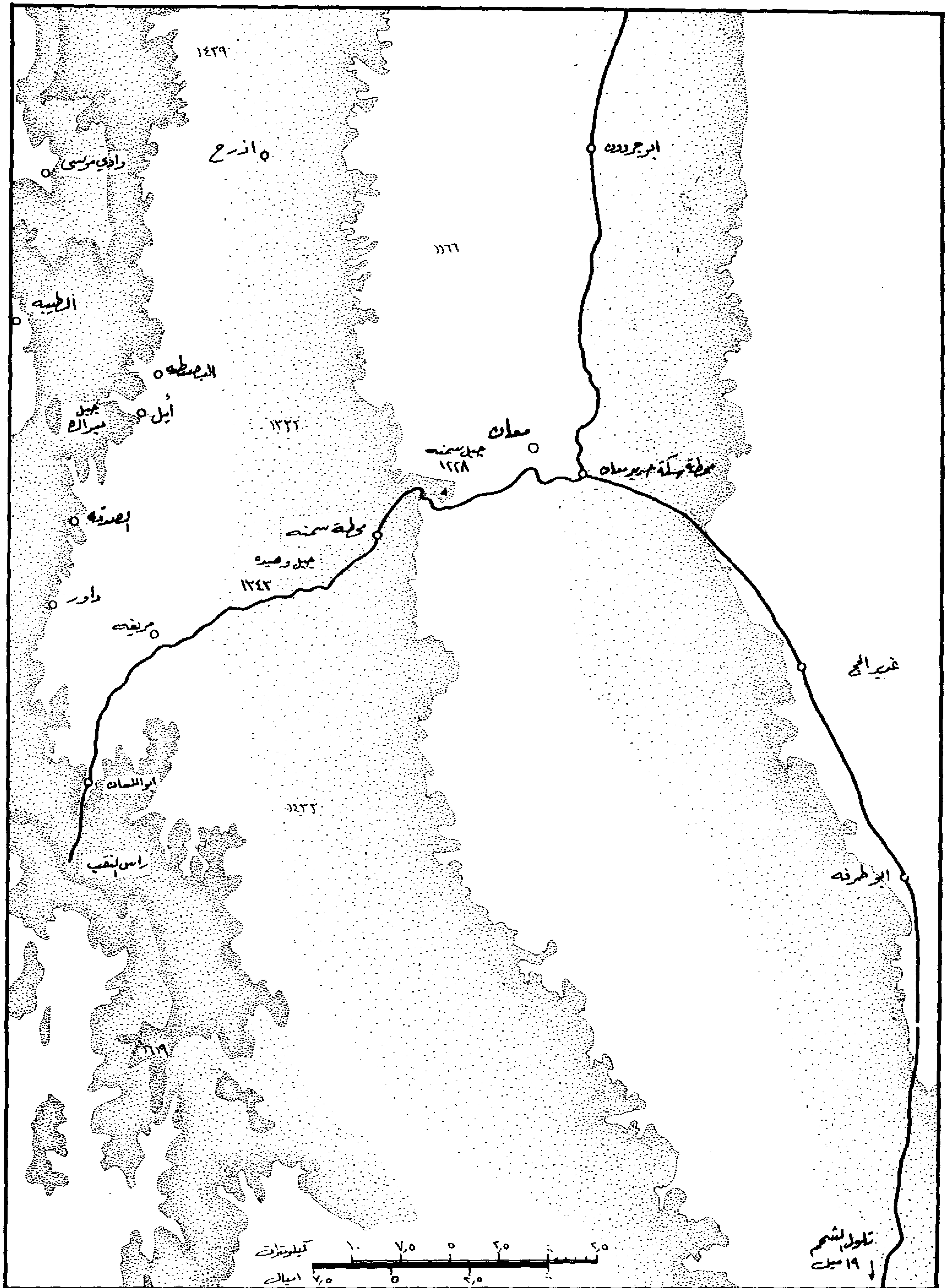




الكرك
المشيرفه
مؤتة
العراق
خنزيره
المزار
رجم الصوحي
ام الخنازير
وادي اليابس
الى عمان ٦٠ ميل
محطة القطرانة
خربة العسكر
٢٩٢٧
محطة الفريفره
وادي الحسا
جبل المسفره
جبل الأدهم
بهلول
٣٨٩٤
لبات
مجادل
عيمه
وادي سالد
ابوشوكه
٤١٧٨
الطفيله
جبل سلمى
علابور
حرير
توانه
رشاديه
٥٣٣٠
ضانا
محطة الحسا
٣٠٥٦
محطة جرف الدراويش
كيلومترات
اميال
الى معان ٣٢ ميل

٩ معركة الطفيلة الثانيه : ٢٥ شباط الى ٦ آذار ١٩١٨




١٤٣٩
اذرح
وادي موسى
١١٦٦
ابو جردون
الطيبه
البسطه
أيل
جبل مبراك
١٣٢٢
معان
جبل سمنه
١٢٢٨
محطة سكة حديد معان
محطة سمنه
الصدقه
جبل وهيده
١٣٤٣
داور
مريغه
غدير الحج
ابو اللسان
١٤٣٣
راس النقب
ابو طرفه
١٦١٩
كيلومترات
١٠ ٧٫٥ ٥ ٢٫٥ ٠ ٢٫٥
اميال
٧٫٥ ٥ ٢٫٥ ٠
تلول الشحم
١٩ ميل

١٠. معارك معان : ١١ نيسان الى ٢٢ ايلول ١٩١٨

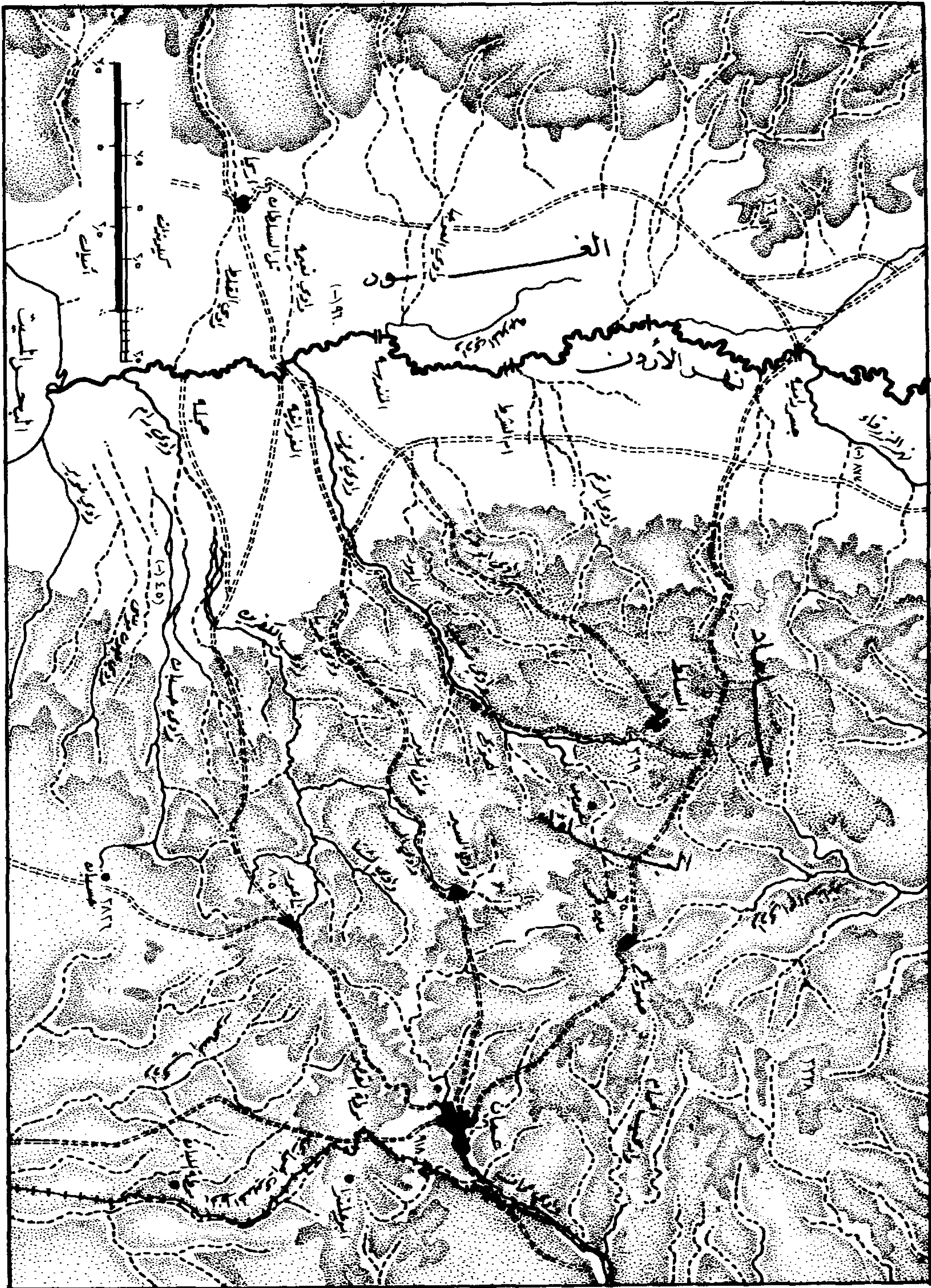
معركة معان الاولى
١١ نيسان - ١٩ نيسان ١٩١٨
المرحلة ١ :- الأهداف ،
غدير الحج — ١١ نيسان
جبل سمنه — ١٣ نيسان
المرحلة ٢ :- الأهداف ،
جردون — ١٢ نيسان
معان — ١٦ نيسان
المرحلة ٣ :- الأهداف ،
تل الشهم — ١٩ نيسان

معركة معان الثانية (جردون)
الأمير زيد / نوري السعيد
جردون احتلت — ١١ أيار
الأنسحاب — ١٤ أيار

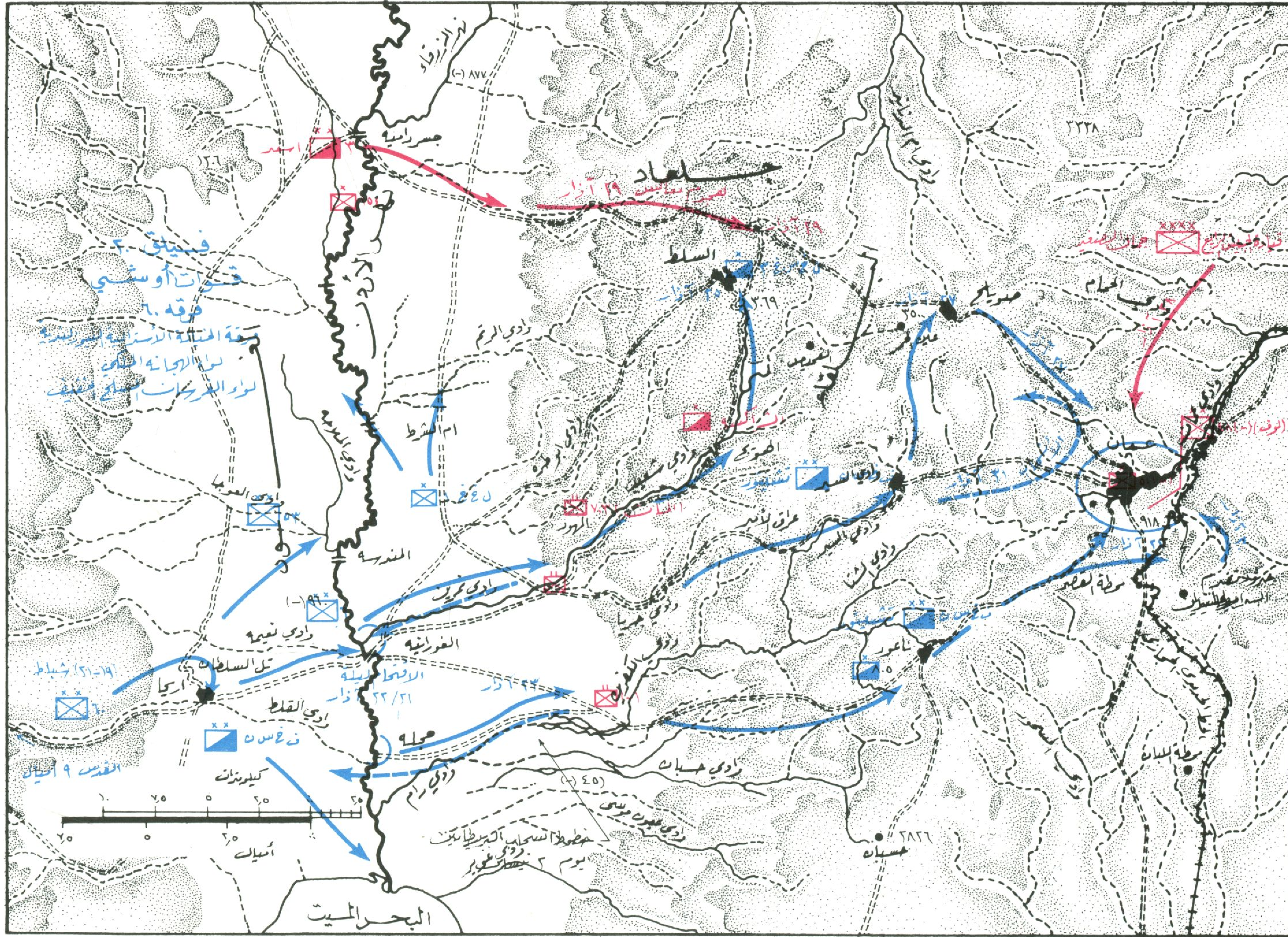
معركة معان الثالثة (جردون)
١٧ أيار ١٩١٨
هجوم الجنود العرب النظاميين وصدهم

معركة معان الرابعة (جردون)
٢١ تموز ١٩١٨

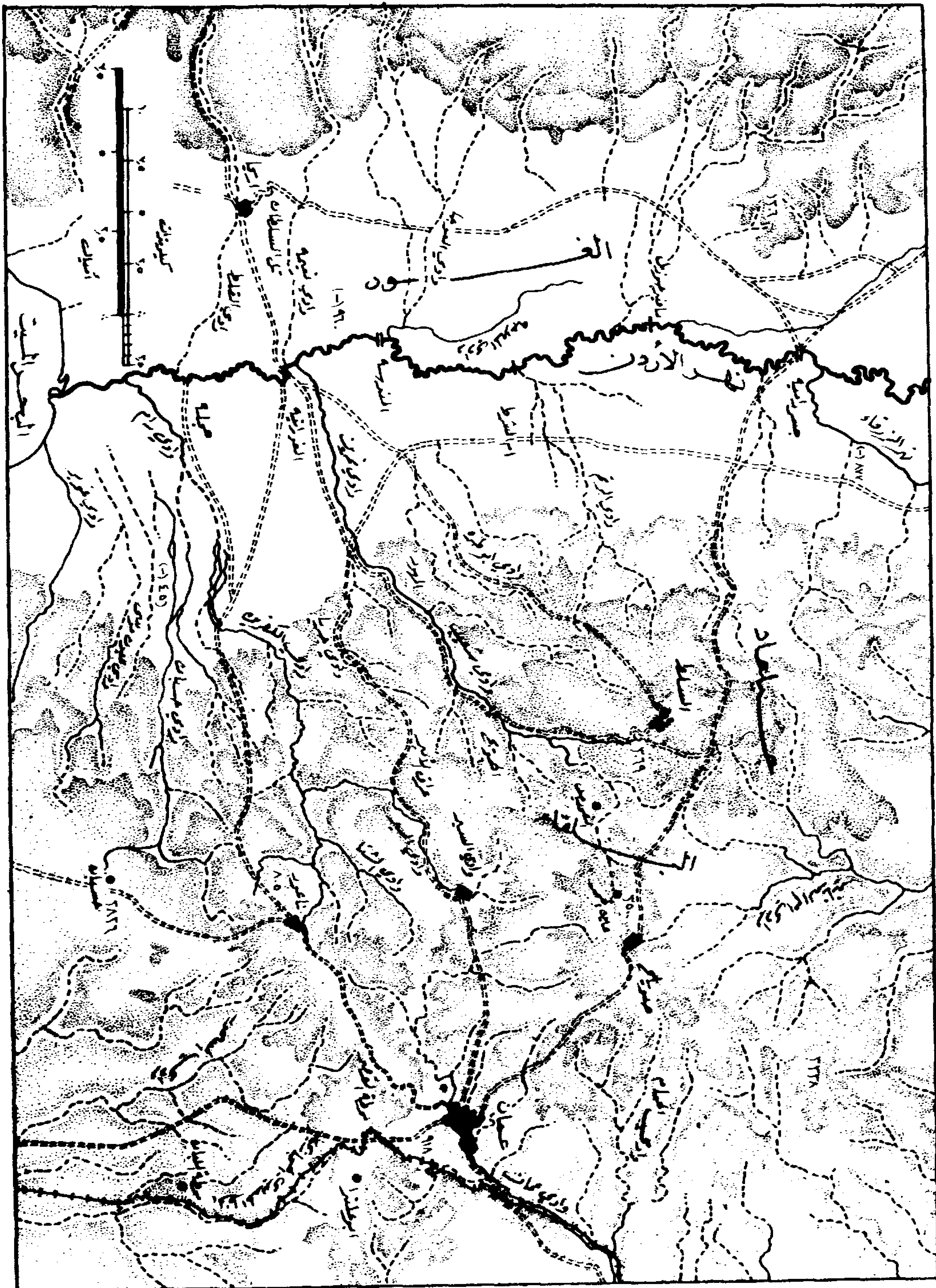
امدادات تركية من عنيزة الى معان / ١٨ نيسان
الانسحاب الى الفجيج ١٤ ايار
احتلال جردون ١١ ايار
المرحلة ٢ ، الهدف ٢ / ١٢ نيسان
ابو جردون
اذرح
وادي موسى
قيادة عليا
زيد
مفرزة متقدمة
جعفر
(فرنسيين)
الجيش الشمالي
الطيبه
البسطه
أيل
جبل مبراك
فيلق معان
محمد جمال
هجوم معاكس تركي ١٧ نيسان
معان
جبل سمنه
١٣٢٨
محطة سكة حديد معان
احتلال معان ١٧ نيسان
محطة سمنه
جبل وهيده
١٣٤٣
مولود مخلص
(فرنسيين)
عودة ابوتايه
الصدقه
داور
مريغه
فيصل
ابو اللسان
احتلت ١١ نيسان
غدير الحج
المرحلة ١ ، الهدف ١ ، ١١ نيسان
نوري السعيد
(فرنسيين)
بيسافي
الرتل الأوسط
ابو طرفه
الشريف حسان
دراف
الجيش الجنوبي
تل الشهم
المرحلة ٣ ، الهدف أم الشهم ١٩ نيسان
١٩ ميل
كيلومترات



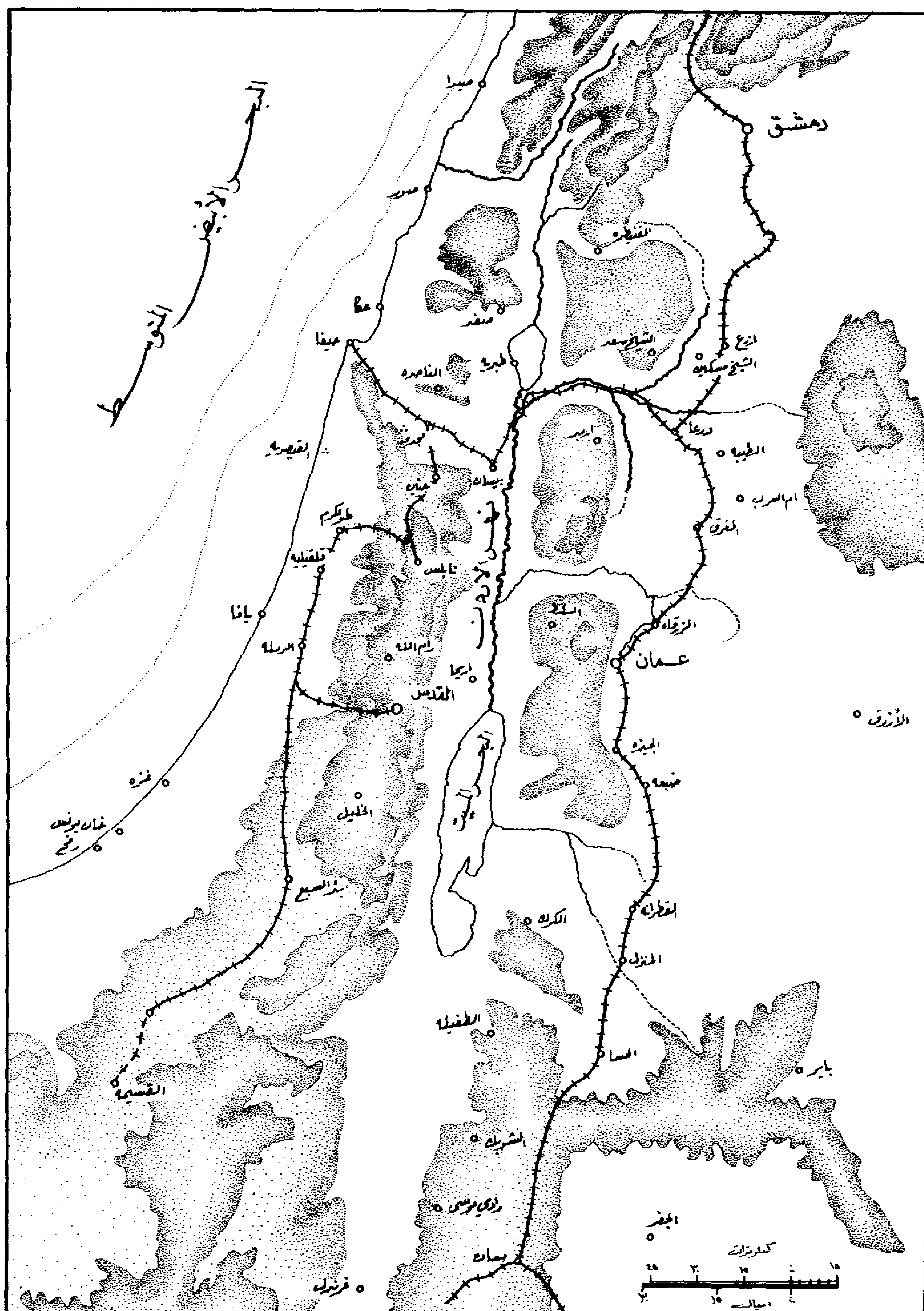
نهر الأردن



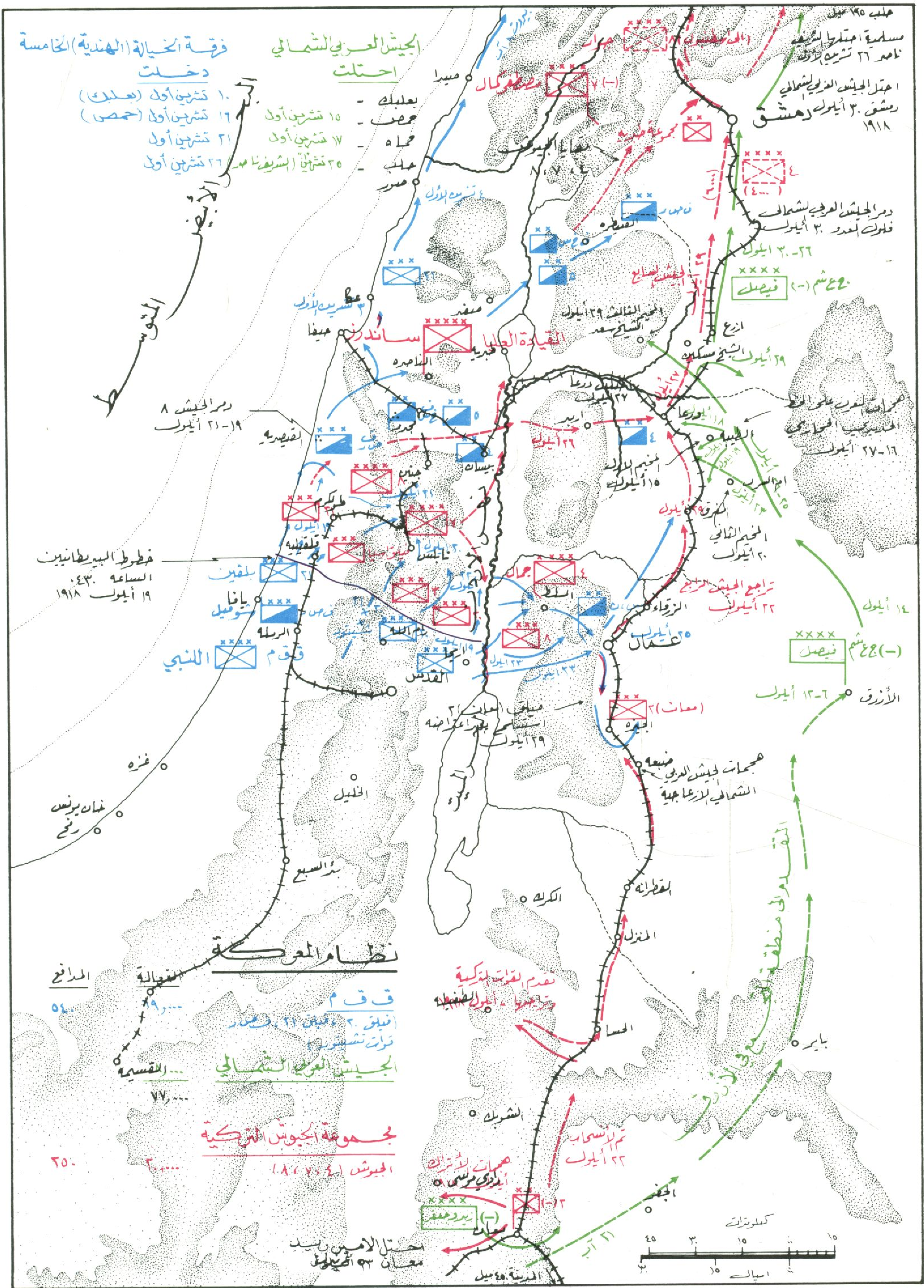
١١ معركة عمان الأولى : ٢١ آذار الى ٢ نيسان ١٩١٨

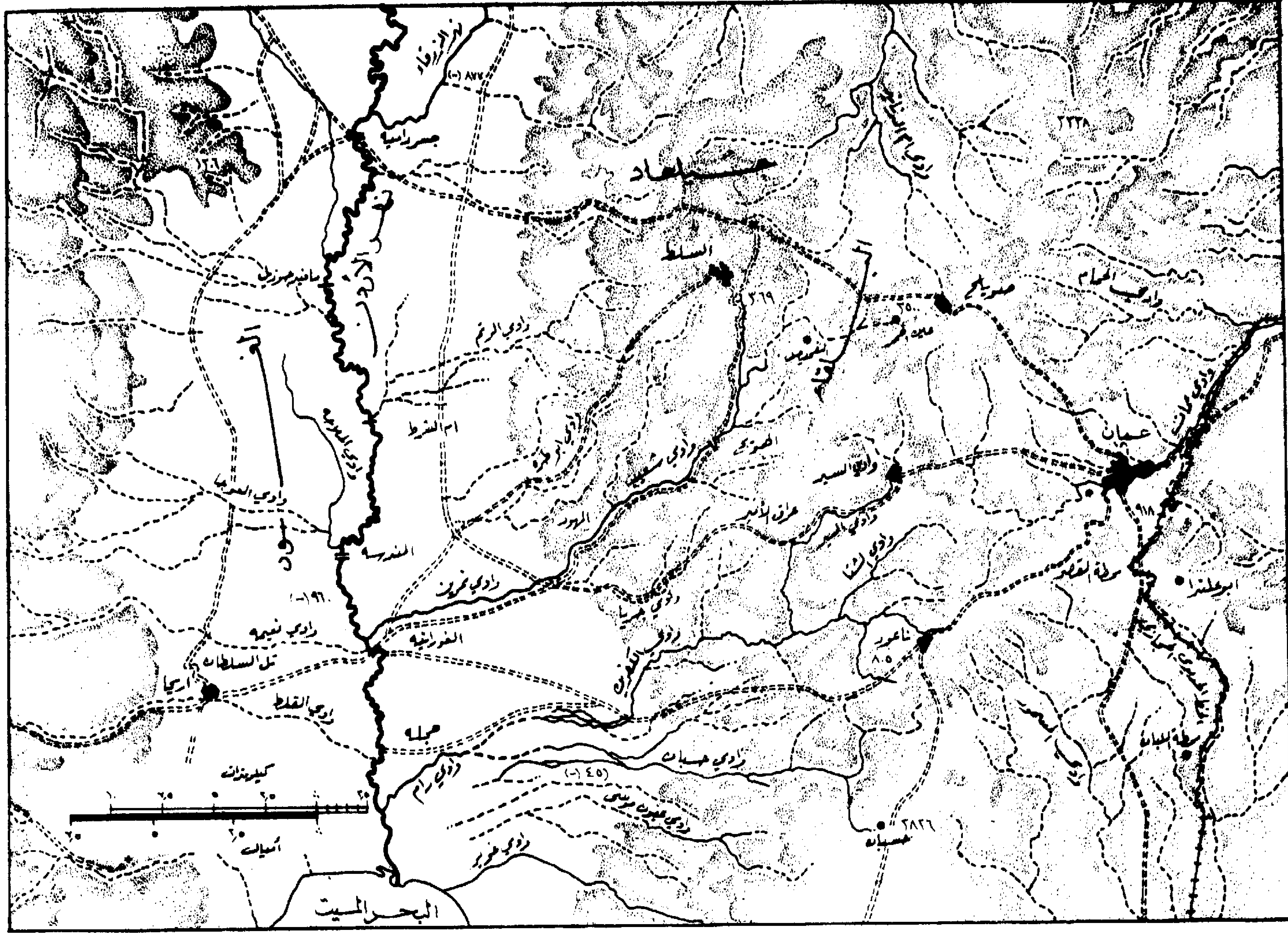

الغور
نهر الأردن

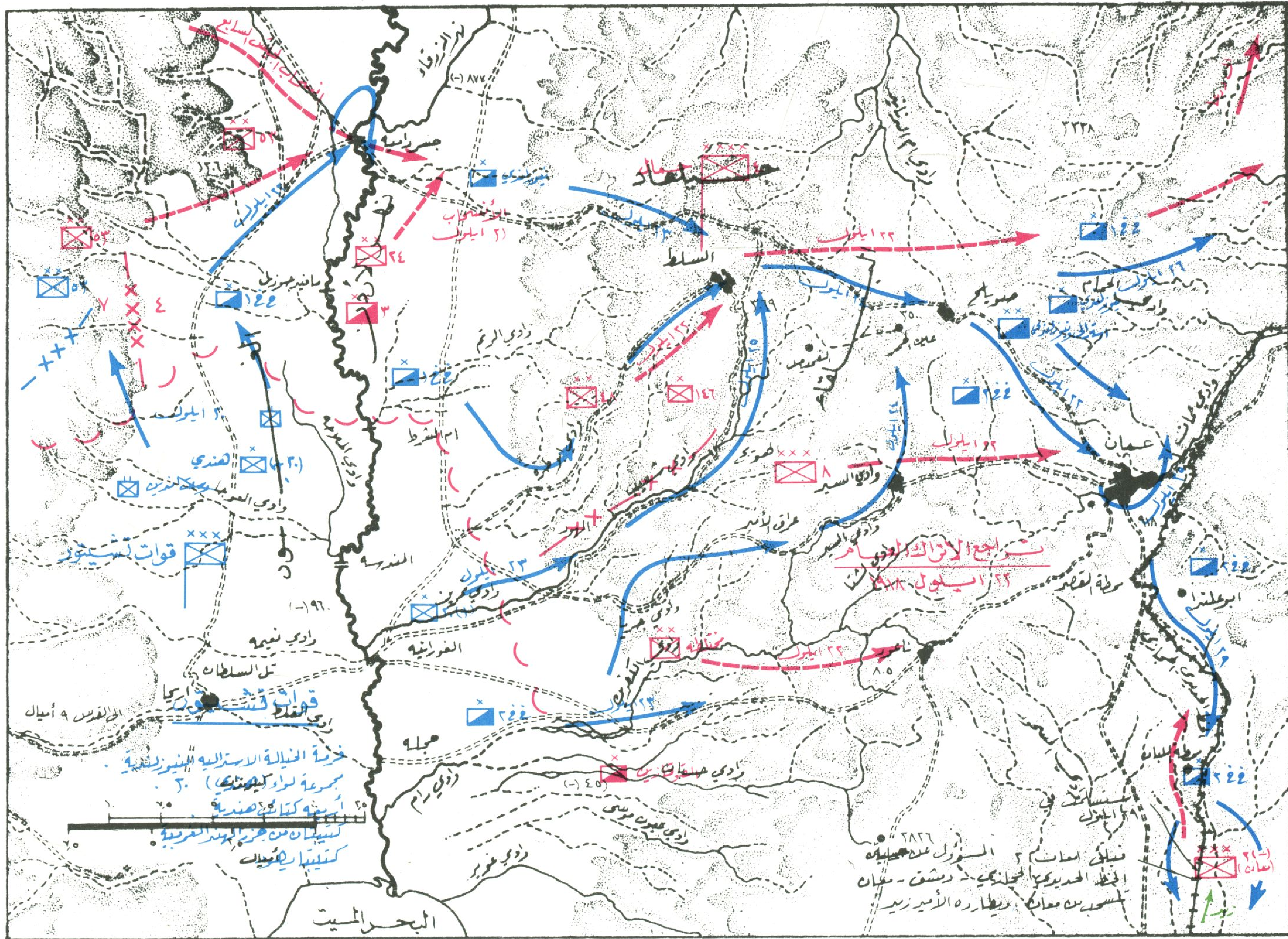
١٢ معركة عمان الثانيه : ٣٠ نيسان - ٤ ايار ١٩١٨


دمشق
صيدا
صور
البحر الأبيض المتوسط
عكا
حيفا
صفد
القنيطرة
الشيخ سعد
ازرع
الشيخ مسكين
طبريه
الناصره
القيصريه
جنين
بيسان
اربد
درعا
الطيبه
المفرق
طولكرم
قلقيليه
نابلس
نهر الأردن
يافا
الرمله
رام الله
اريحا
القدس
السلط
الزرقاء
عمان
الأزرق
الجيزه
ضبعه
البحر الميت
غزه
خان يونس
رفح
الخليل
بئر السبع
الكرك
القطرانه
المنزل
الطفيله
الحسا
باير
القسيمه
الشوبك
وادي موسى
الجفر
معان
غرندل
كيلومترات
اميال

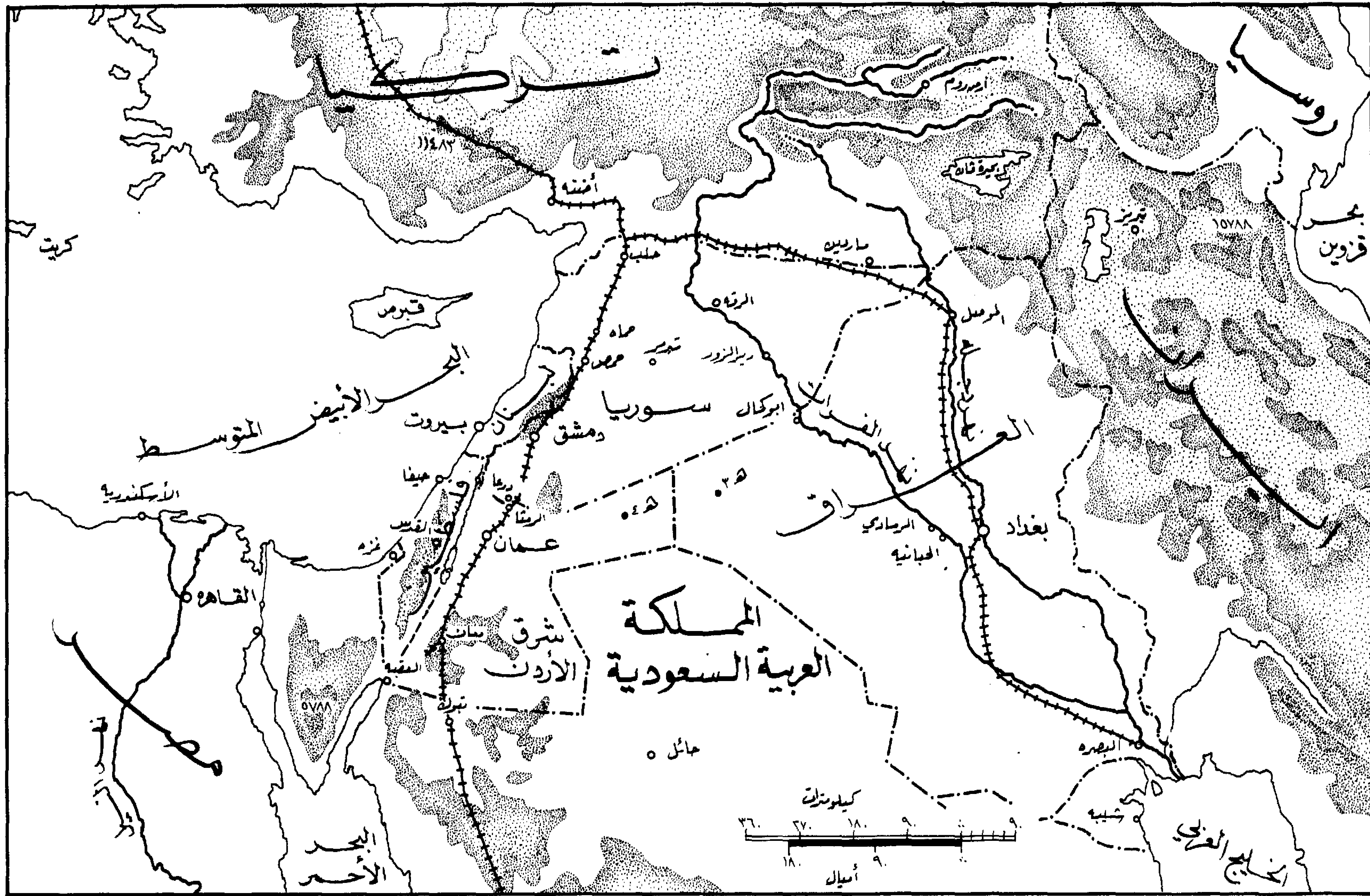
١٢ عمليات الجيش الهاشمي في سوريا: التعرض النهائي وحرب الإبادة وتقدم الجيش العربي الشمالي بقيادة الامير فيصل، وقوات اللنبي: ١٦ ايلول - ٣١ تشرين الاول ١٩١٨

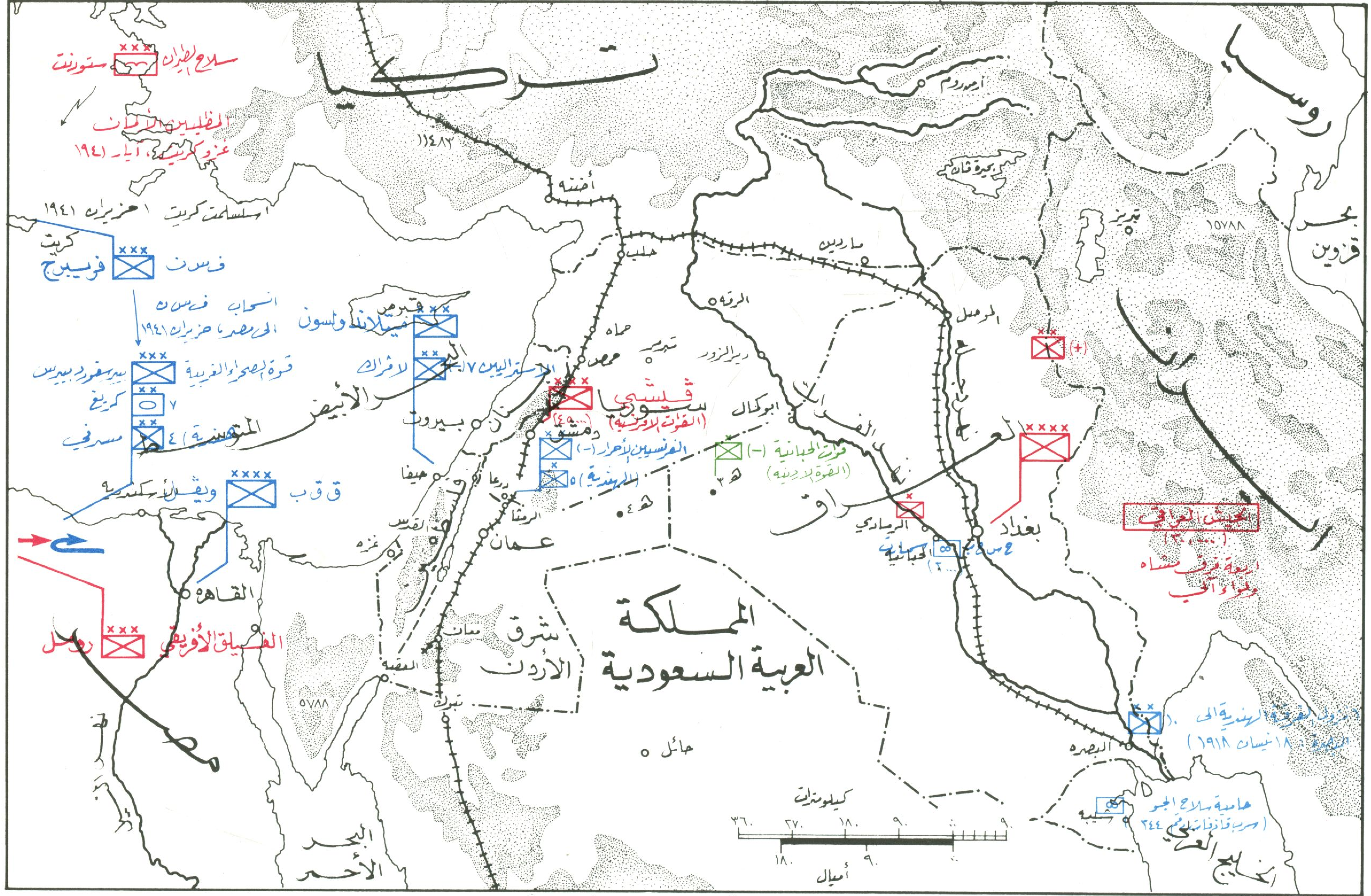


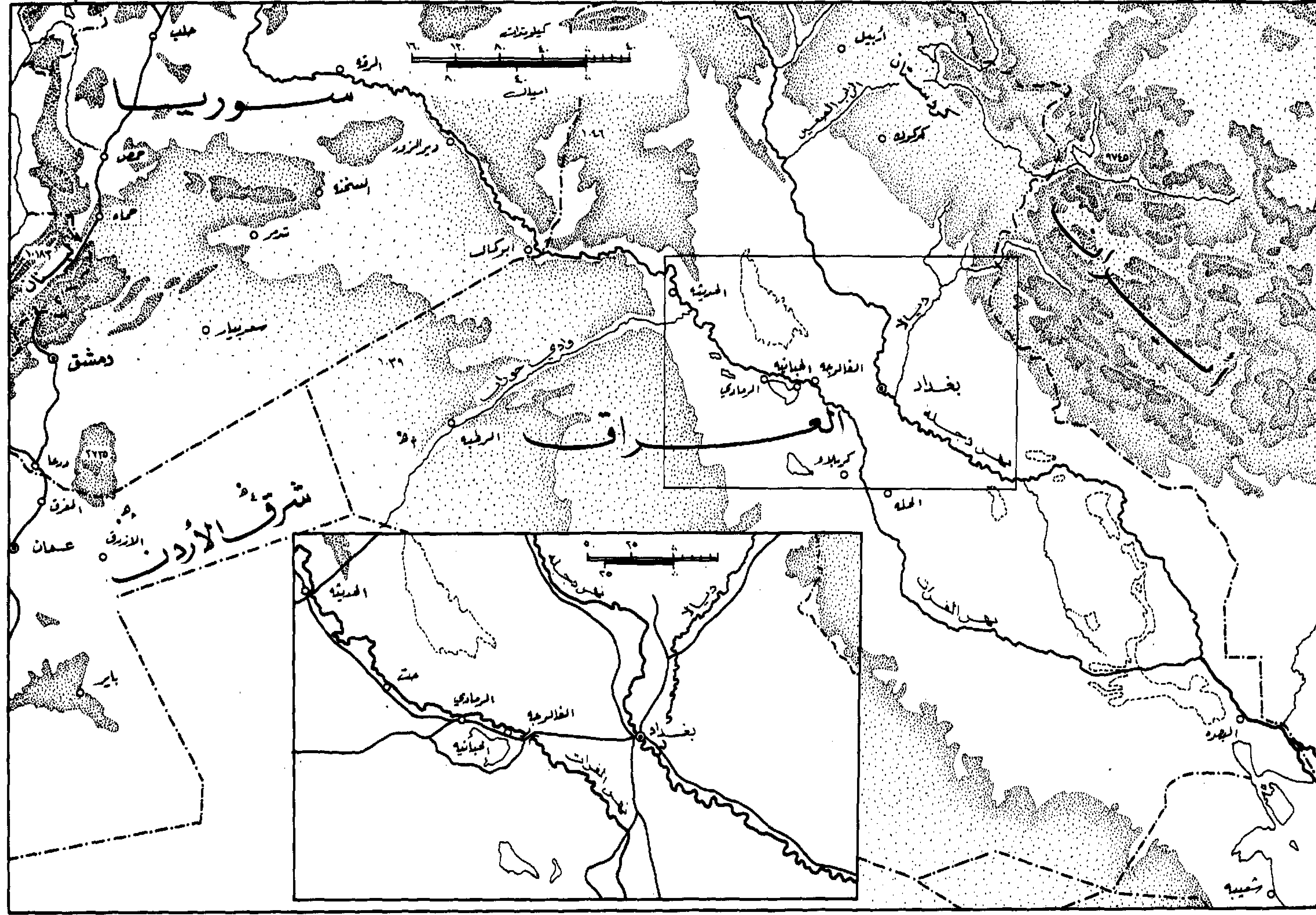

البحر الميت
عمان
السلط
صويلح
ناعور
أريحا
تل السلطان
وادي القلط
وادي نعيمه
وادي العوجا
وادي الرامة
وادي حسبان
وادي شعيب
وادي نمرين
الغورانية
عراق الأمير
وادي السير
جسر دامية
كيلومترات
أميال



١٤ الاستيلاء على عمان: ٢٠-٣٠ ايلول ١٩١٨


تركيا
روسيا
بحر قزوين
كريت
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
العراق
المملكة العربية السعودية
شرق الأردن
مصر
البحر الأحمر
الخليج العربي
دمشق
بيروت
حيفا
عمان
غزه
القاهره
الأسكندريه
بغداد
البصره
الموصل
حماه
حمص
ماردين
أرضروم
تبريز
أضنه
حلب
تدمر
ديرالزور
الرقه
ابوكمال
الرمادي
الحبانيه
العقبة
معان
تبوك
حائل
شعيبه
نهر الفرات
كيلومترات
أميال


تركيا
روسيا
بحر قزوين
سوريا
العراق
المملكة العربية السعودية
شرق الأردن
مصر
فلسطين
البحر الأحمر
الخليج العربي
البحر الأبيض المتوسط
أضنة
حلب
حماه
حمص
تدمر
دير الزور
الرقة
ماردين
الموصل
أبو كمال
بغداد
الرمادي
الحبانية
البصرة
الشعيبة
بيروت
دمشق
حيفا
القدس
غزة
عمان
العقبة
تبوك
حائل
القاهرة
تبريز
بحيرة فان
أرضروم
كيلومترات
أميال
سلاح الطيران ستودنت
المظليين الألمان
غزو كريت ٢٠ أيار ١٩٤١
استسلمت كريت ١ حزيران ١٩٤١
كريت
فرسن فريبرج
قوة الصحراء الغربية
بيرسفورد بيرس
كريغ
مسردي
قوق ب
ويفل
ويلسون
الأستراليين ٧
لافراك
فيشي
الفرنسيين الأحرار (−)
الهندية ٥
قوات الحبانية (−)
الفيلق الأفريقي رومل
الجيش العراقي
(+)
حامية سلاح الجو



سوريا
العراق
شرق الأردن
حلب
الرقة
دير الزور
حمص
حماه
السخنة
تدمر
ابو كمال
دمشق
درعا
المفرق
عمان
الأزرق
باير
وادي حوران
الرطبة
الحديثة
الحبانية
الفلوجة
الرمادي
بغداد
كربلاء
الحلة
ديالى
نهر دجلة
نهر الفرات
اربيل
كركوك
الزاب الصغير
البصرة
شعيبة
كيلومترات
اميال
هيت

سوريا

العراق

شرق الأردن

التقدم واحتلال بغداد

٢٨ - ٣٠ ١٩٤١

حصار الحبانية

٢٩ نيسان - ٦ أيار

هجوم عراقي معاكس

صد في ٢٢ أيار

الفالوجه ١٩ أيار

قوات الحبانية من الرطبة

الرتل الشمالي (٧٠٠)

(هاروسفورد) مجموعة كتيبة الخيالة

قوة الصحراء السيارة (الجيش العربي)

المحاور :-

الحبانية ، الجزيرة ، خان المشاهدة

بغداد .

الرتل الجنوبي (٧٥٠)

سكوادرن ، خيالة الرها وسهولتو

سريتين ، كتيبة اسكس .

المحاور :-

الفالوجه ، بغداد

مساء ٢٨ أيار

- الرتل الجنوبي ١٢ ميل من بغداد

الرتل الشمالي - ٣ اميال من تاسي

٣٠ أيار احتلت بغداد

حامية سلاح الجو الملكي

أقيم سمارت

٢٠٠٠ من جميع الرتب

سرية مدرسة تدريب الطيران رقم ٤

حامية سلاح الجو الملكي المدرع .

كتيبة الحرس الآشوري

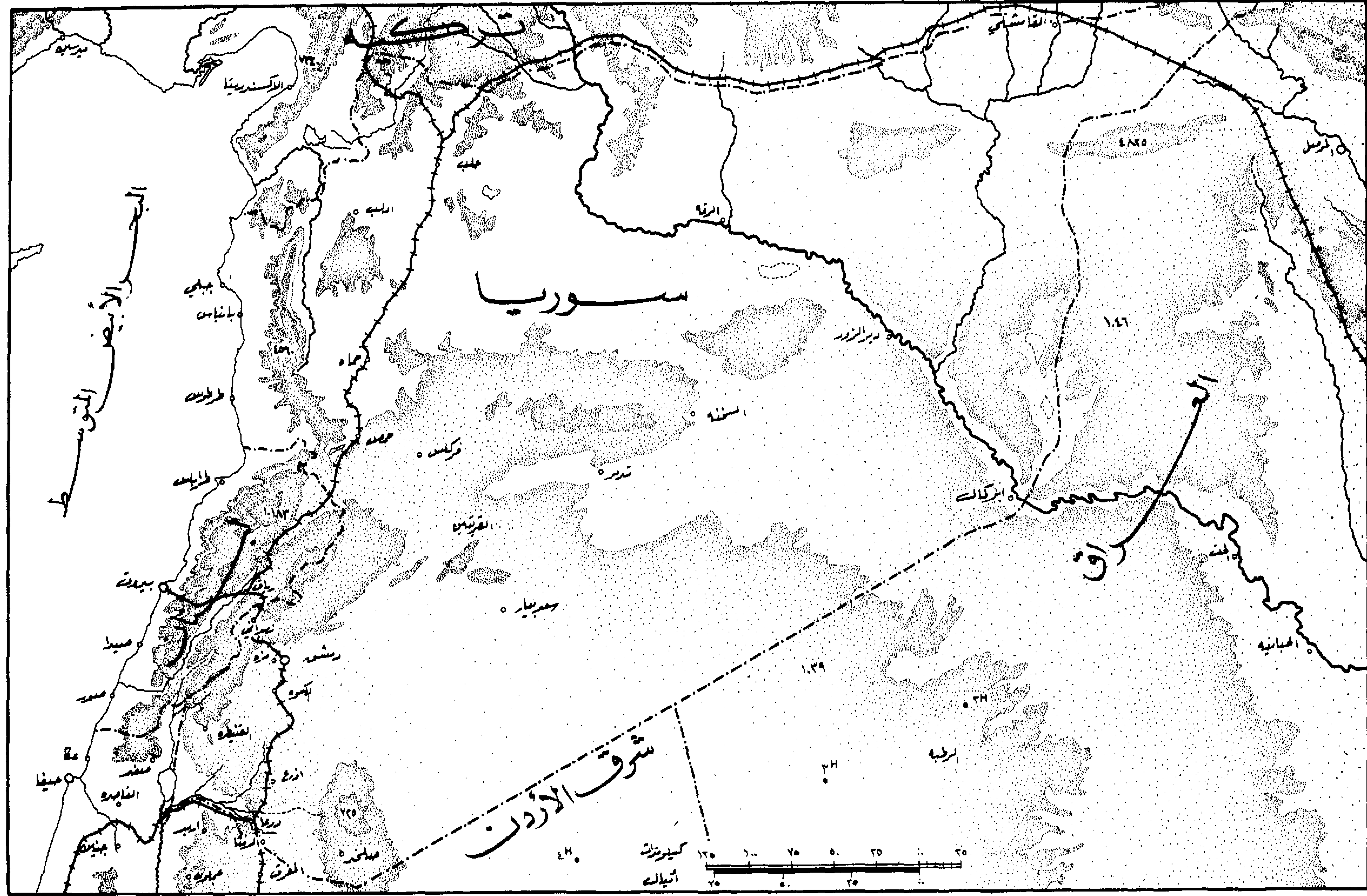
سريتين من كتيبة الملك أون الأول

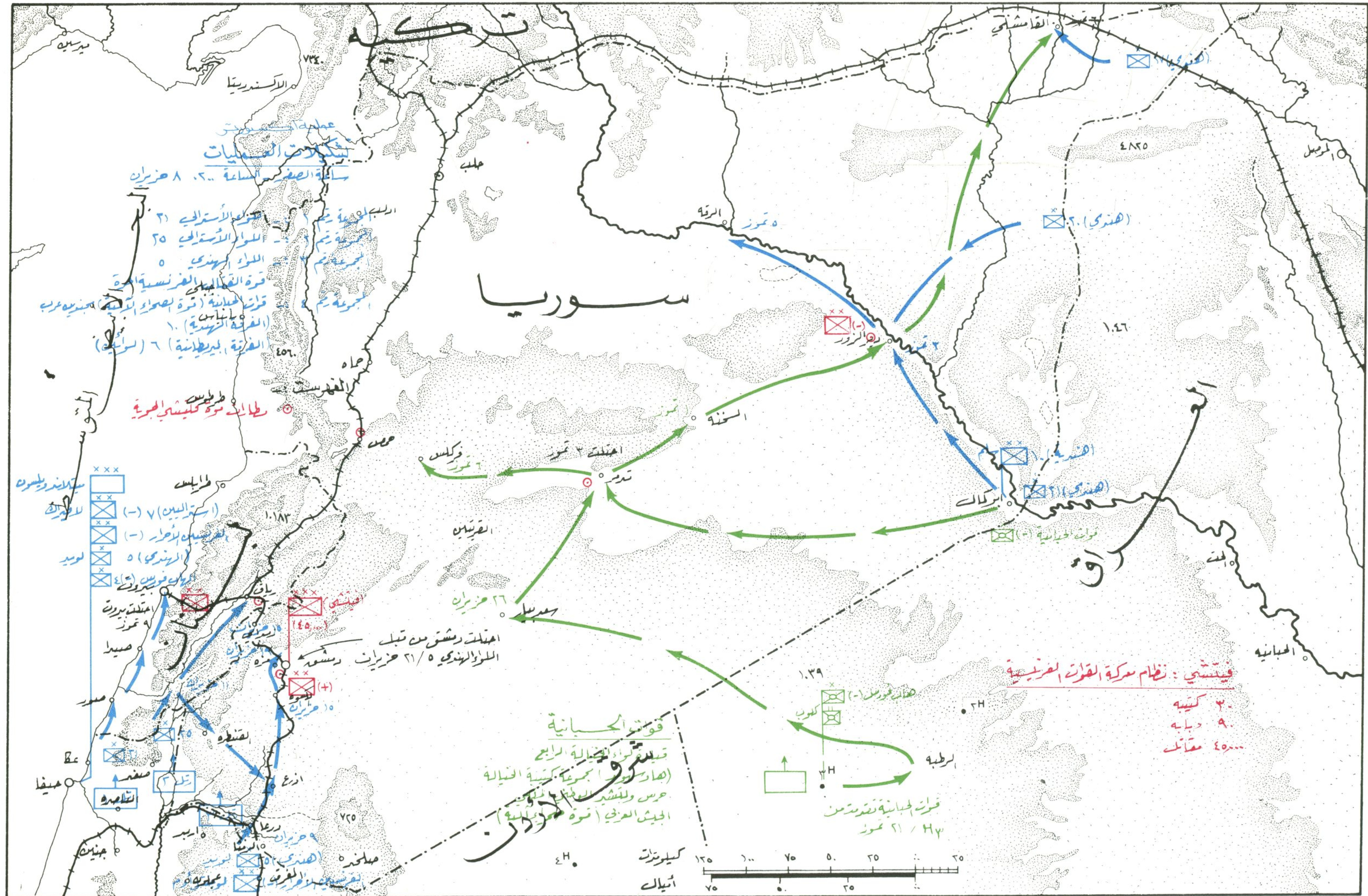
٤/٢ كتيبة بنادق جوركا .

احتلت بغداد

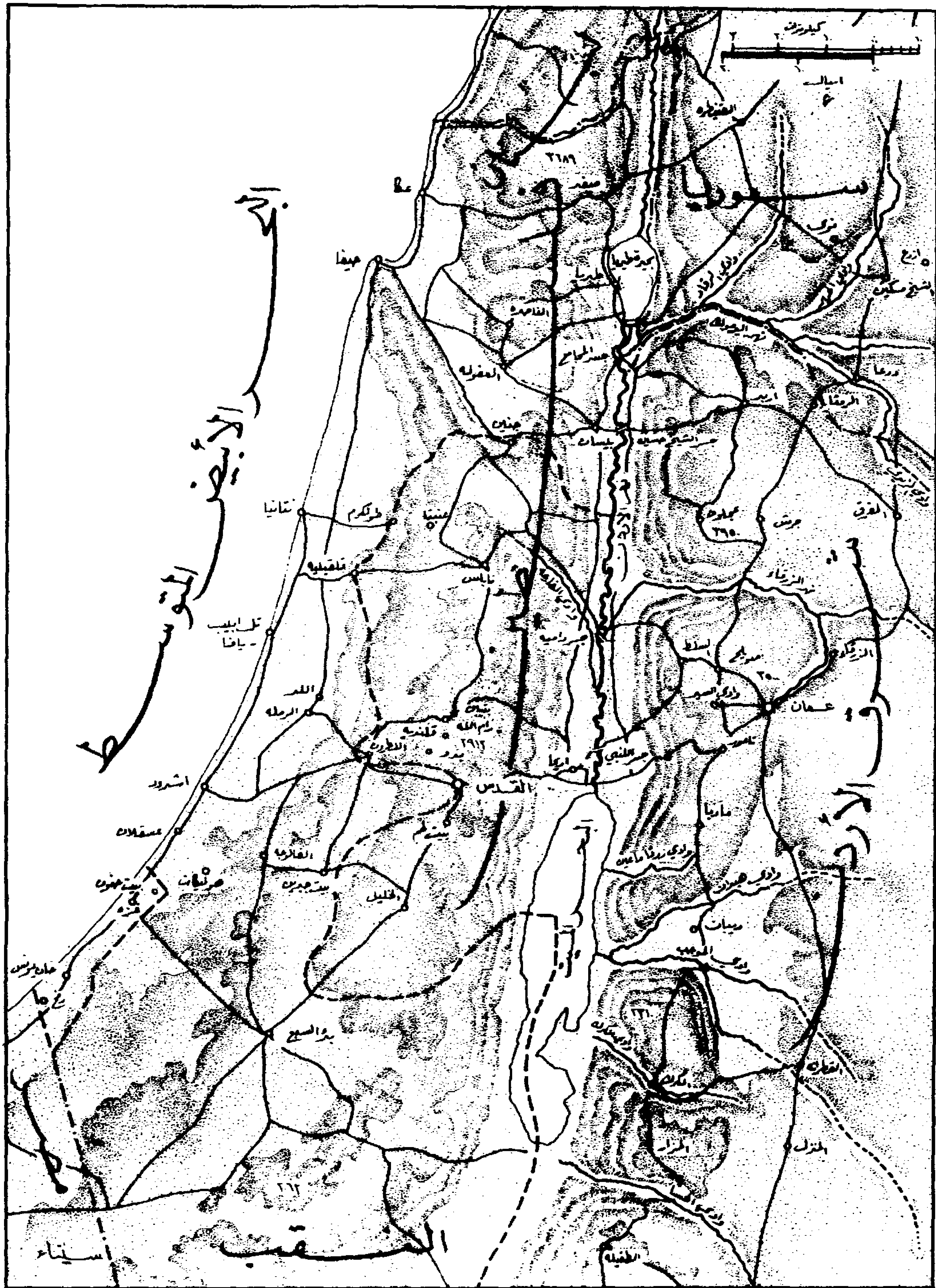
٣٠ أيار

١٦ الحرب في العراق : ٢٩ نيسان - ٣٠ ايار ١٩٤١

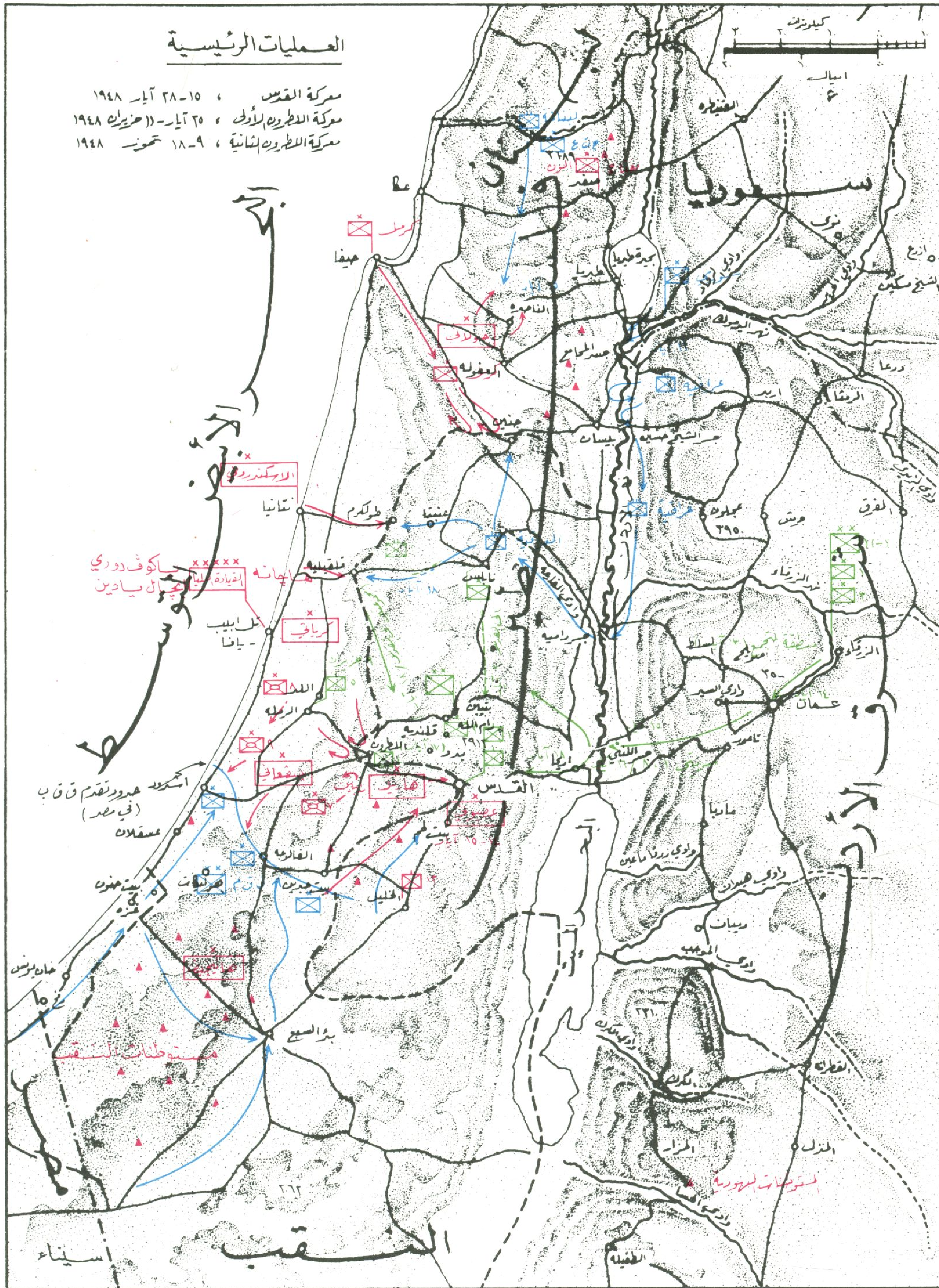

البحر الأبيض المتوسط
سوريا
شرق الأردن
العراق
تركيا
حلب
حماه
حمص
دمشق
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
جنين
القنيطرة
درعا
السويداء
اللاذقية
طرطوس
بانياس
جبلة
اسكندرونة
الرقة
دير الزور
البوكمال
القامشلي
الموصل
تدمر
السخنة
القريتين
الرطبة
الحبانية
كيلومترات
أميال



١٧ الحرب في سوريا : ٨ حزيران - ١٢ تموز ١٩٤١


البحر الأبيض المتوسط
سوريا
النقب
سيناء
حيفا
عكا
صفد
نتانيا
طولكرم
نابلس
جنين
العفولة
الناصرة
تل ابيب
يافا
اللد
الرملة
اشدود
عسقلان
القدس
اريحا
بيت لحم
الخليل
بئر السبع
عمان
السلط
جرش
الرمثا
مادبا
الطفيلة

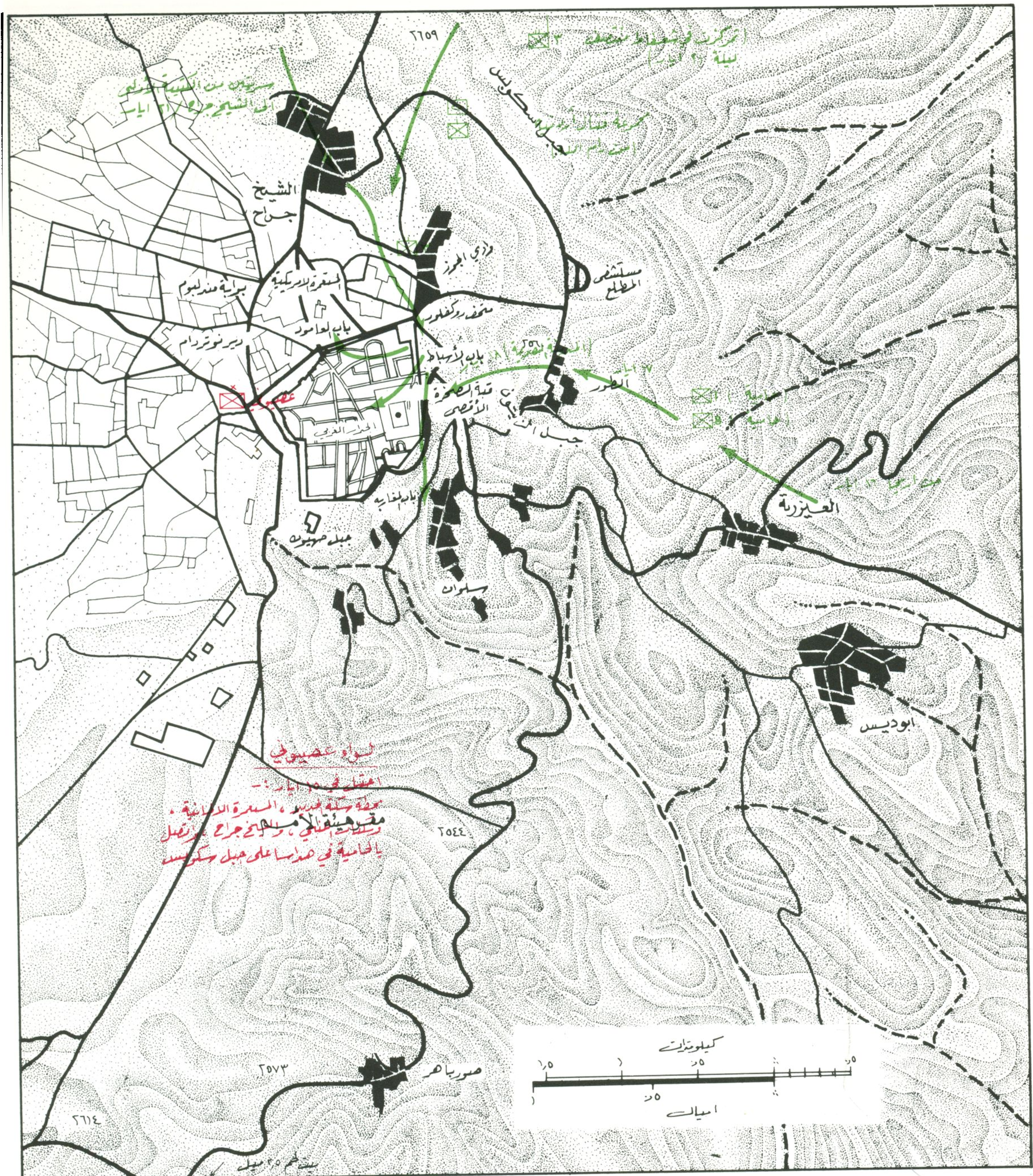
١٨ الحرب العربية الاسرائيلية الاولى، محاور التقدم العربية ومواقع القوات اليهودية : ١٥ ايار ١٩٤٨

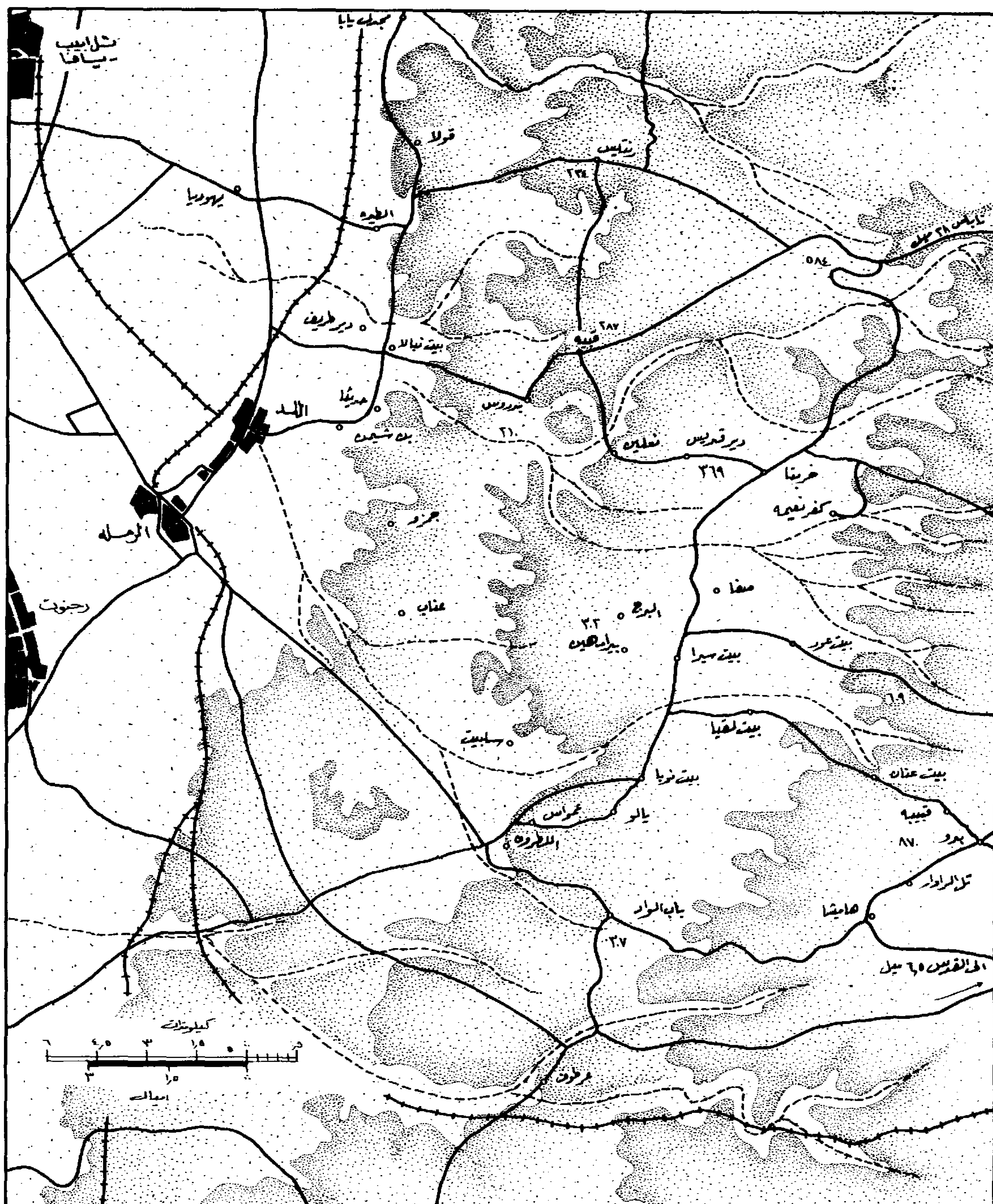




٢٦٥٩
جبل اسكوبس
الشيخ جراح
وادي الجوز
مستشفى المطلع
المستعمرة الامريكية
بوابة مندلبوم
متحف روكفلر
باب العامود
دير نوتردام
باب الأسباط
٢٥٦٠
قبة الصخرة
الأقصى
الطور
باب المغاربة
جبل صهيون
سلوان
العيزرية
ابوديس
مقر هيئة الأمم
٢٥٤٤
صور باهر
٢٥٧٣
٢٦١٤
كيلومترات
اميال

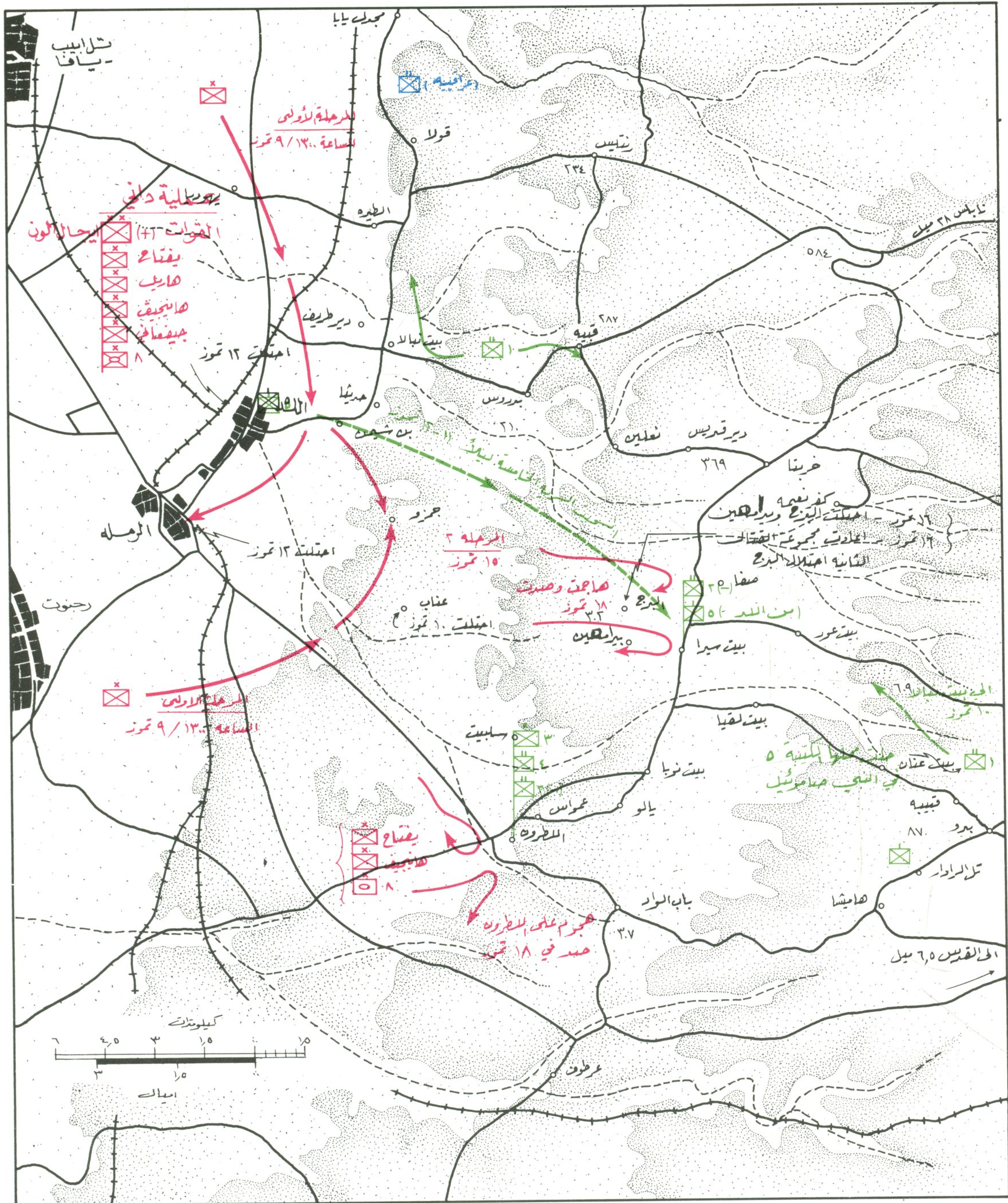
١٩ معركة القدس : ١٥ ايار - ١١ حزيران ١٩٤٨

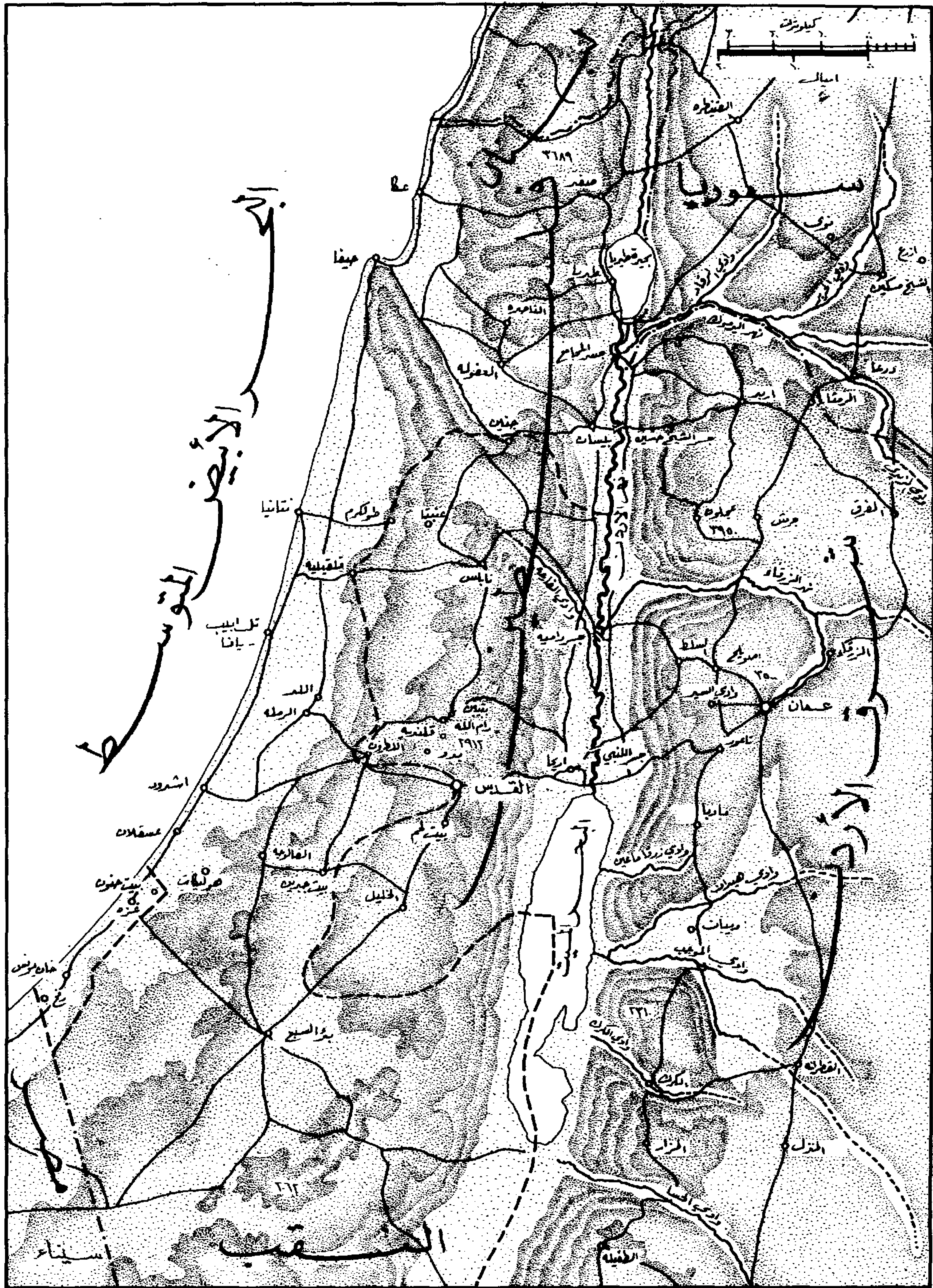




تل ابيب
يافا
مجدل يابا
قولا
رنتيس
٢٣٤
يهوديا
الطيره
نابلس ٢٨ ميل
٥٨٤
دير طريف
بيت نبالا
٢٨٧
قبيه
اللد
حديثا
بن شيمن
بدرس
٢١٠
دير قديس
نعلين
٣٦٩
خربثا
كفر نعمه
الرمله
جمزو
صفا
رحبوت
عناب
البرج
٣٠٣
بيرماعين
بيت سيرا
بيت عور
٦٩
سلبيت
بيت لقيا
بيت عنان
بيت نوبا
عمواس
يالو
قبيبه
اللطرون
بدو
٨٧٠
تل الزوار
باب الواد
القسطل
٣٠٧
الى القدس ٦،٥ ميل
كيلومترات
٦ ٤،٥ ٣ ١،٥ ٠
٣ ١،٥ ٠
اميال

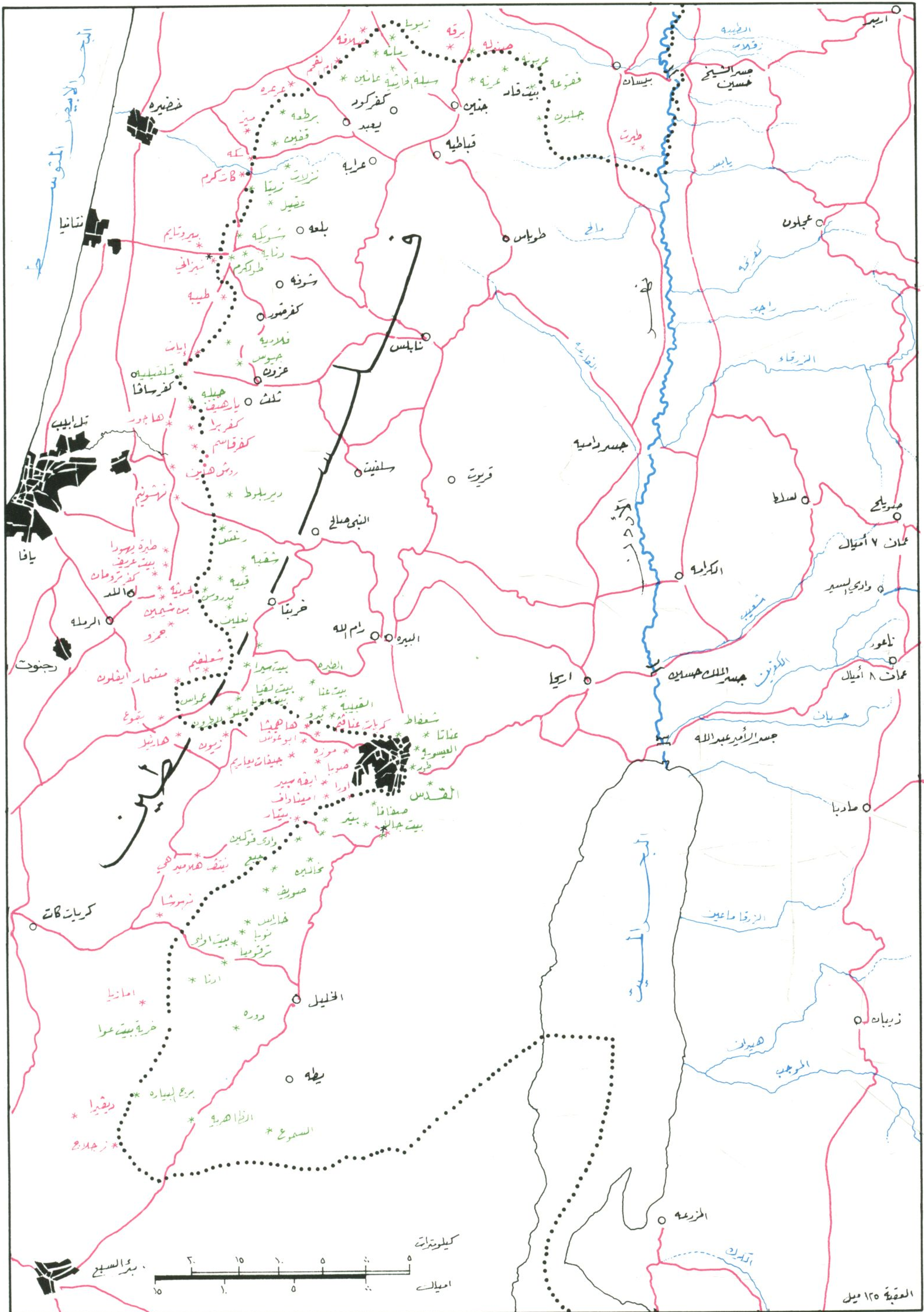
٢٠ عملية (داني) ومعركة اللطرون الثانية : ٩ - ١٨ تموز ١٩٤٨

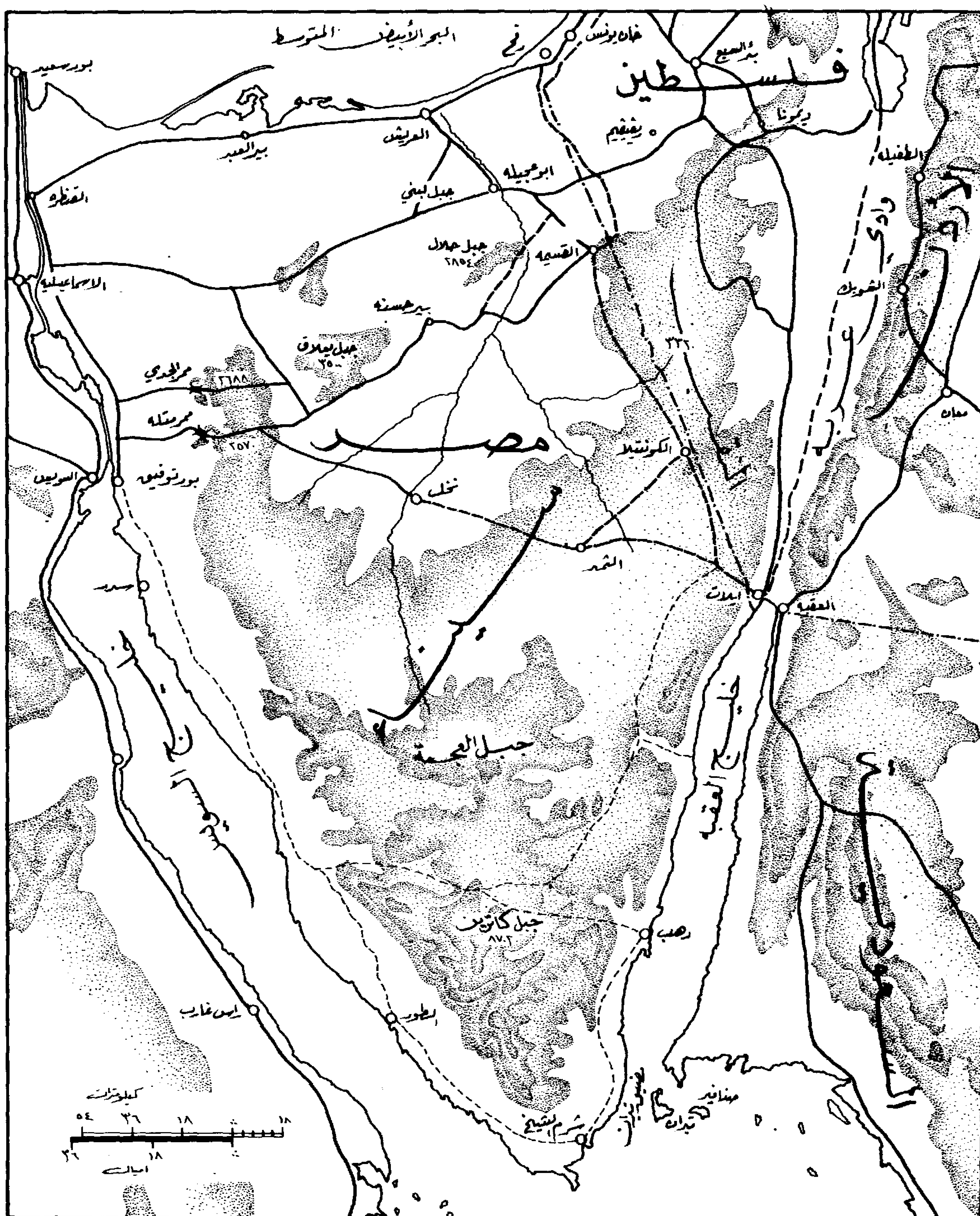




٢١ عمليات التعرض الاسرائيلي : ٩ تموز ١٩٤٨ - ١٠ آذار ١٩٤٩

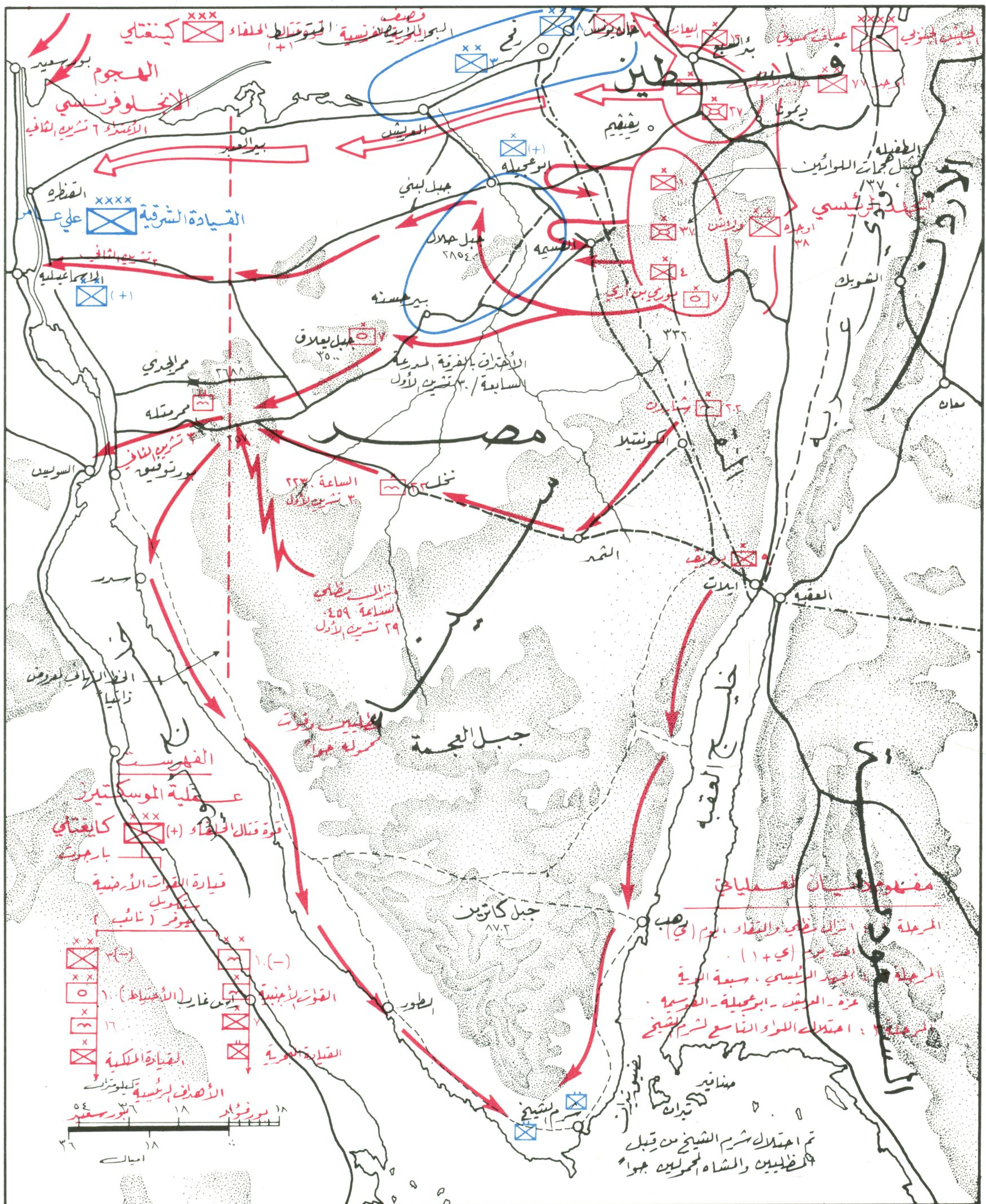
٢٢ حرب الحدود : ١٩٥١ - ١٩٥٦.

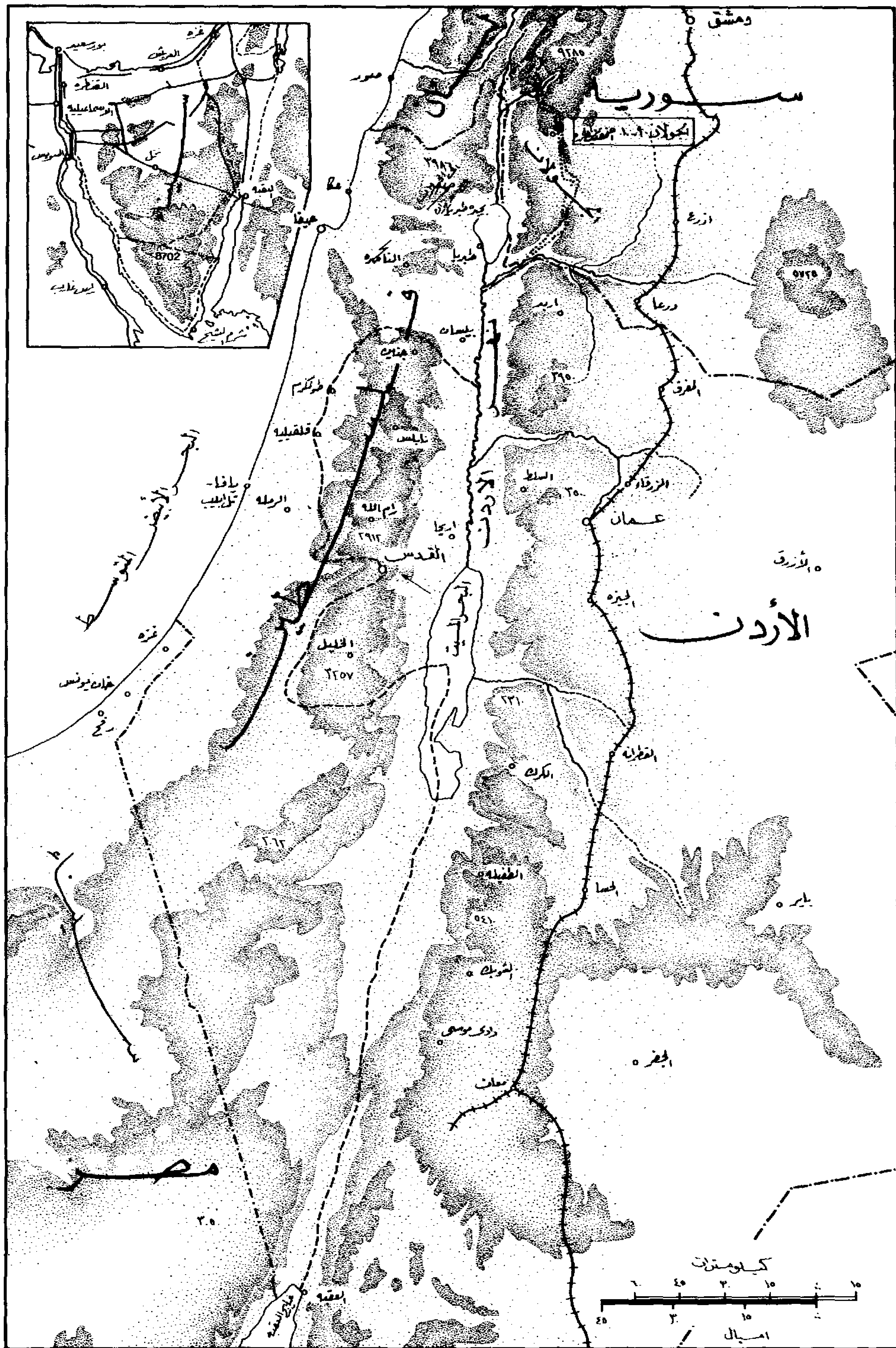




البحر الأبيض المتوسط
رفح
خان يونس
بير السبع
فلسطين
ديمونا
بورسعيد
العريش
بير العبد
القنطرة
ابو عجيله
جبل لبني
الطفيله
جبل حلال
٢٨٥٤
القسيمه
الاسماعيلية
الشوبك
بير حسنه
جبل يعلاق
٣٥٠
٣٣٦
ممر الجدي
٢٦٨٨
معان
ممر متله
٢٥٧٠
مصر
الكونتيلا
السويس
بورتوفيق
نخل
الثمد
ايلات
العقبه
جبل العجمة
جبل كاترين
٨٧٠٢
دهب
راس غارب
الطور
شرم الشيخ
كيلومترات
٥٤ ٣٦ ١٨ ٠ ١٨
٣٦ ١٨ ٠
اميال

٢٣ العدوان الثلاثي على مصر : معارك سيناء ١٩٥٦

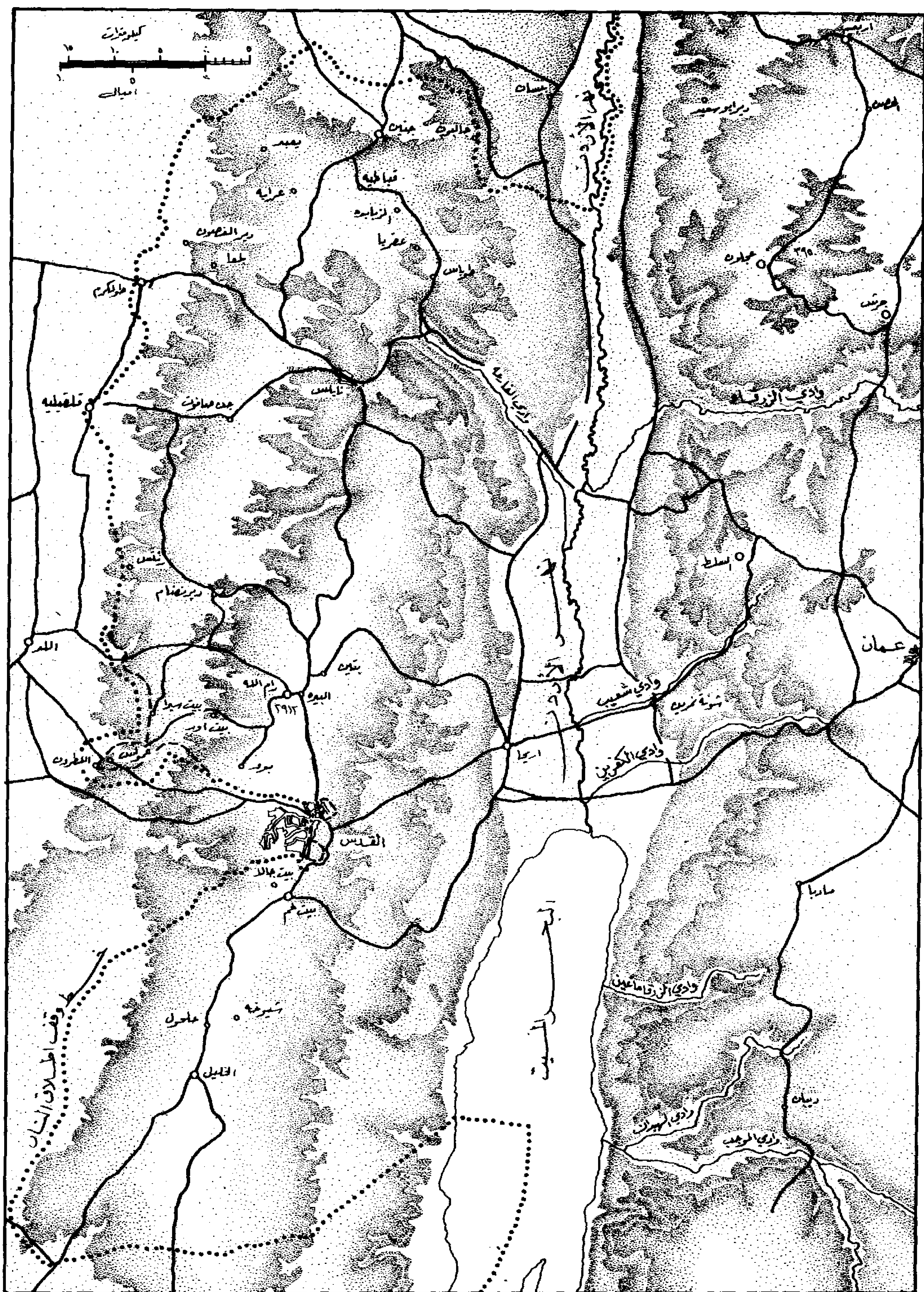




دمشق
سوريا
الأردن
مصر
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
بيسان
جنين
طولكرم
قلقيلية
نابلس
يافا - تل أبيب
الرملة
رام الله
أريحا
القدس
الخليل
غزة
خان يونس
رفح
البحر الأبيض المتوسط
البحر الميت
إربد
درعا
المفرق
السلط
الزرقاء
عمان
الأزرق
الجيزة
القطرانة
الكرك
الطفيلة
الحسا
باير
الشوبك
وادي موسى
معان
الجفر
العقبة
كيلومترات
أميال

الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة على الجبهات المصرية والأردنية والسورية

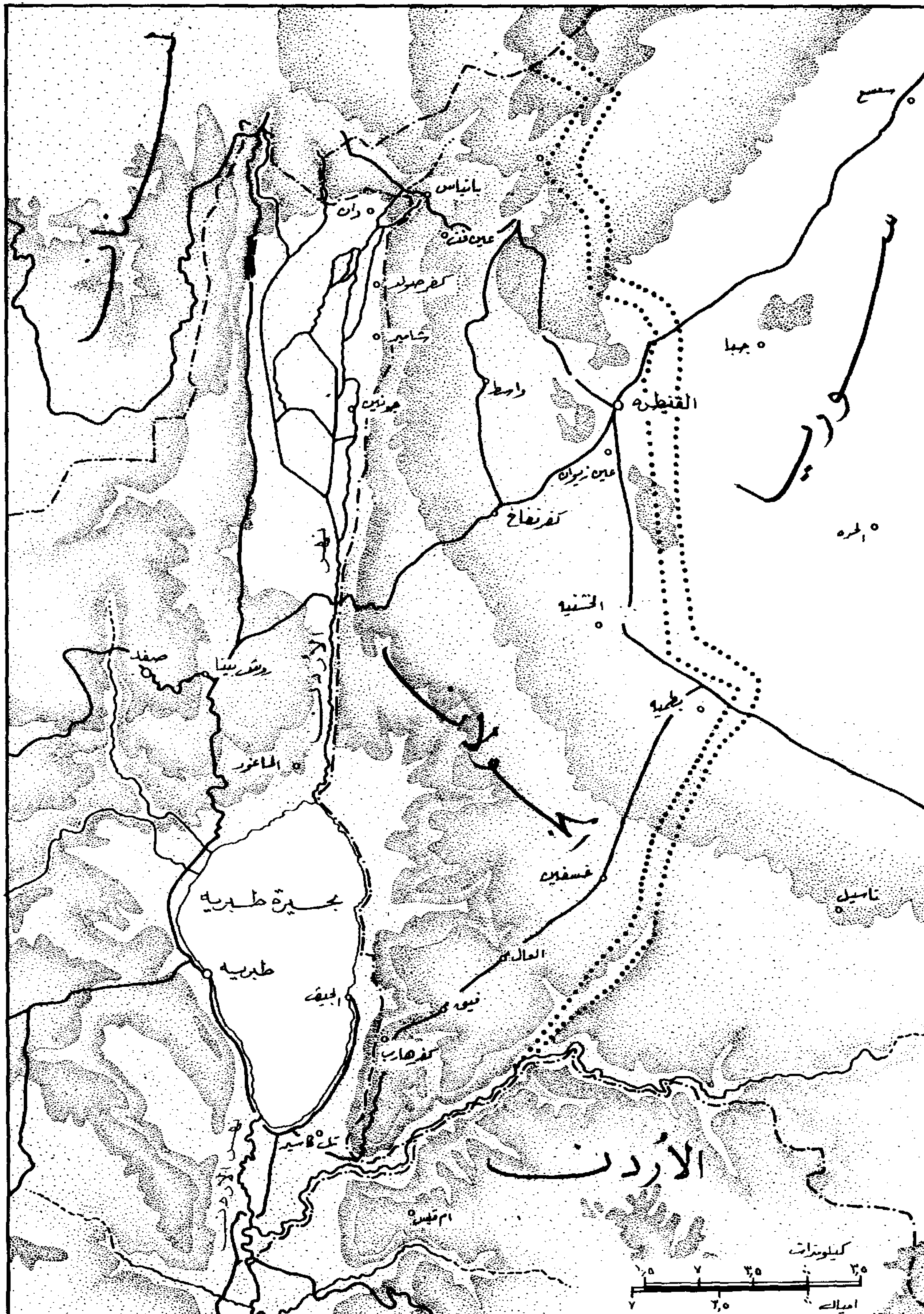
الساعة ٠٧٤٥ يوم ٦/٥ الى الساعة ١٨٠٠ يوم ١٠/٦/١٩٦٧



كيلومترات
أميال
جنين
يعبد
عرابة
قباطية
الزبابدة
عقربا
طوباس
بيسان
طولكرم
قلقيلية
نابلس
اللد
رام الله
البيرة
٢٩١٢
بيتين
اللطرون
القدس
بيت جالا
بيت لحم
حلحول
الخليل
اريحا
اربد
الحصن
عجلون
٣٩٥٠
جرش
وادي الزرقاء
السلط
عمان
وادي شعيب
شونة نمرين
وادي الكفرين
مادبا
ديبان
وادي الموجب

الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة : الجبهة الأردنية

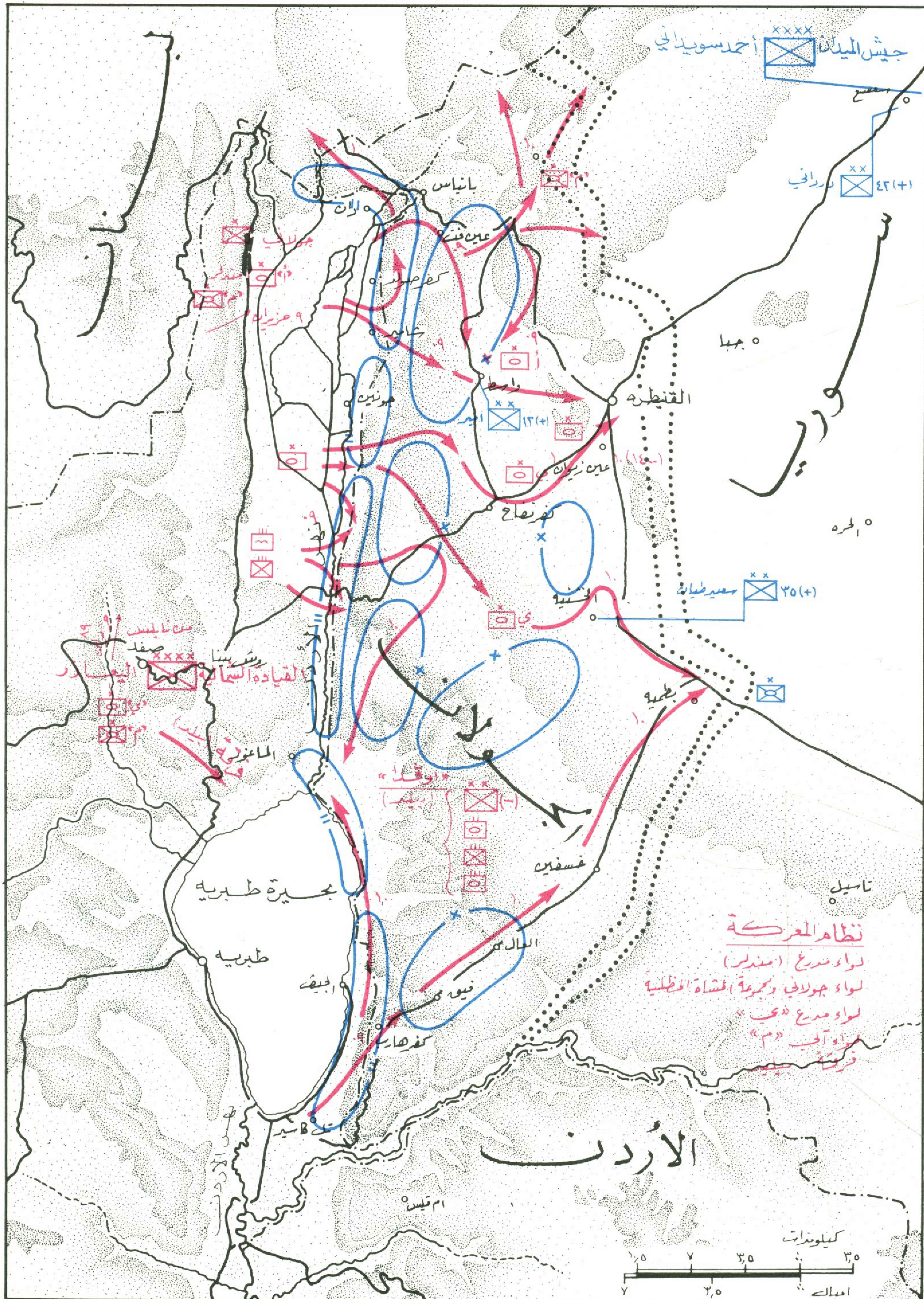
من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ الى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧

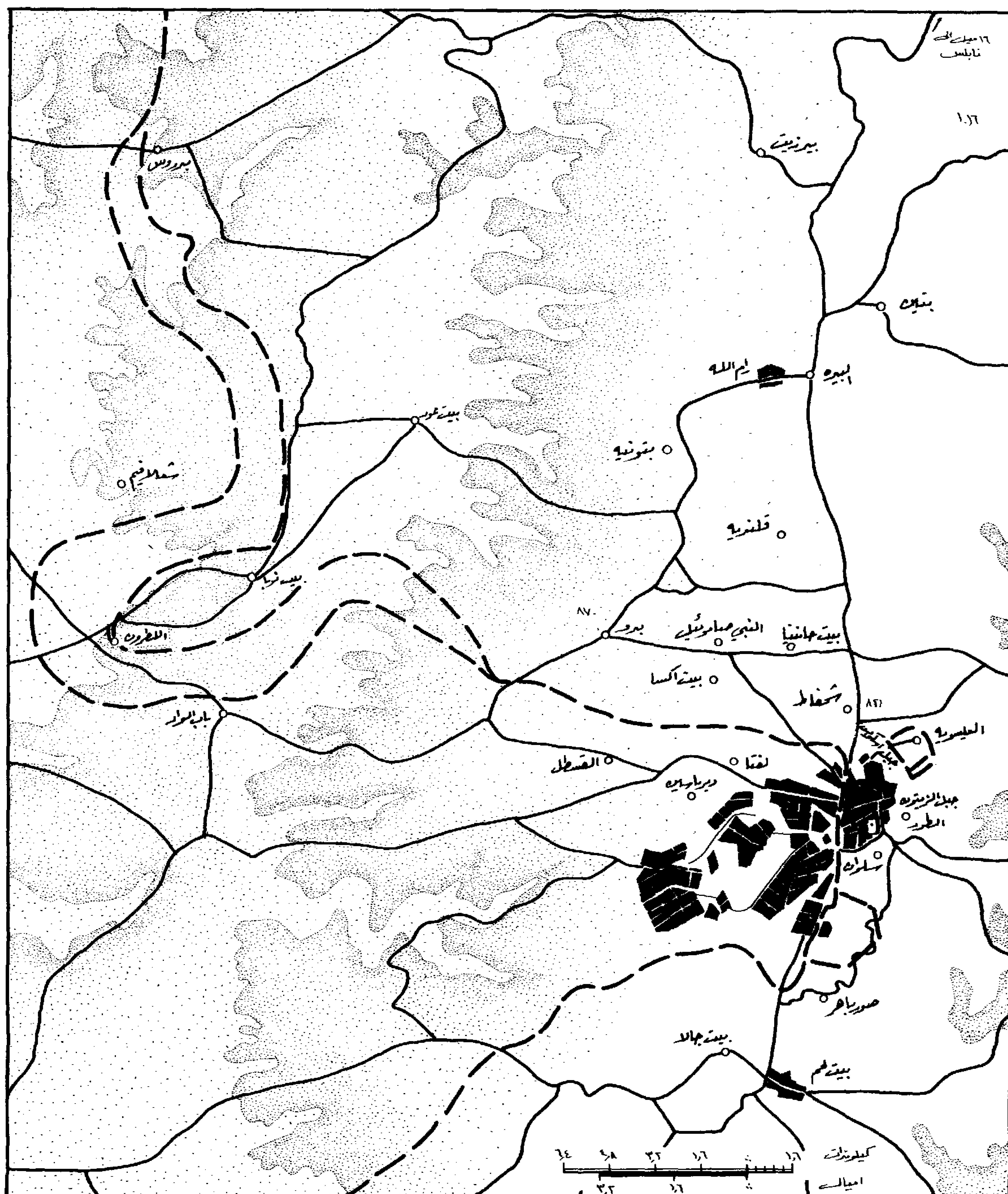


بانياس
دان
عين فيت
كفر صولد
واسط
القنيطره
عين زيوان
كفر نفاخ
سوريا
جبا
الحره
صفد
الخاعور
بحيرة طبريه
طبريه
الجيف
العال
كفر هارب
ام قيس
الأردن
تاسيل
كيلومترات
اميال

الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة : الجبهة السورية

من الساعة ١١٣٠ يوم ٦/٩ الى الساعة ١٨٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/١٠



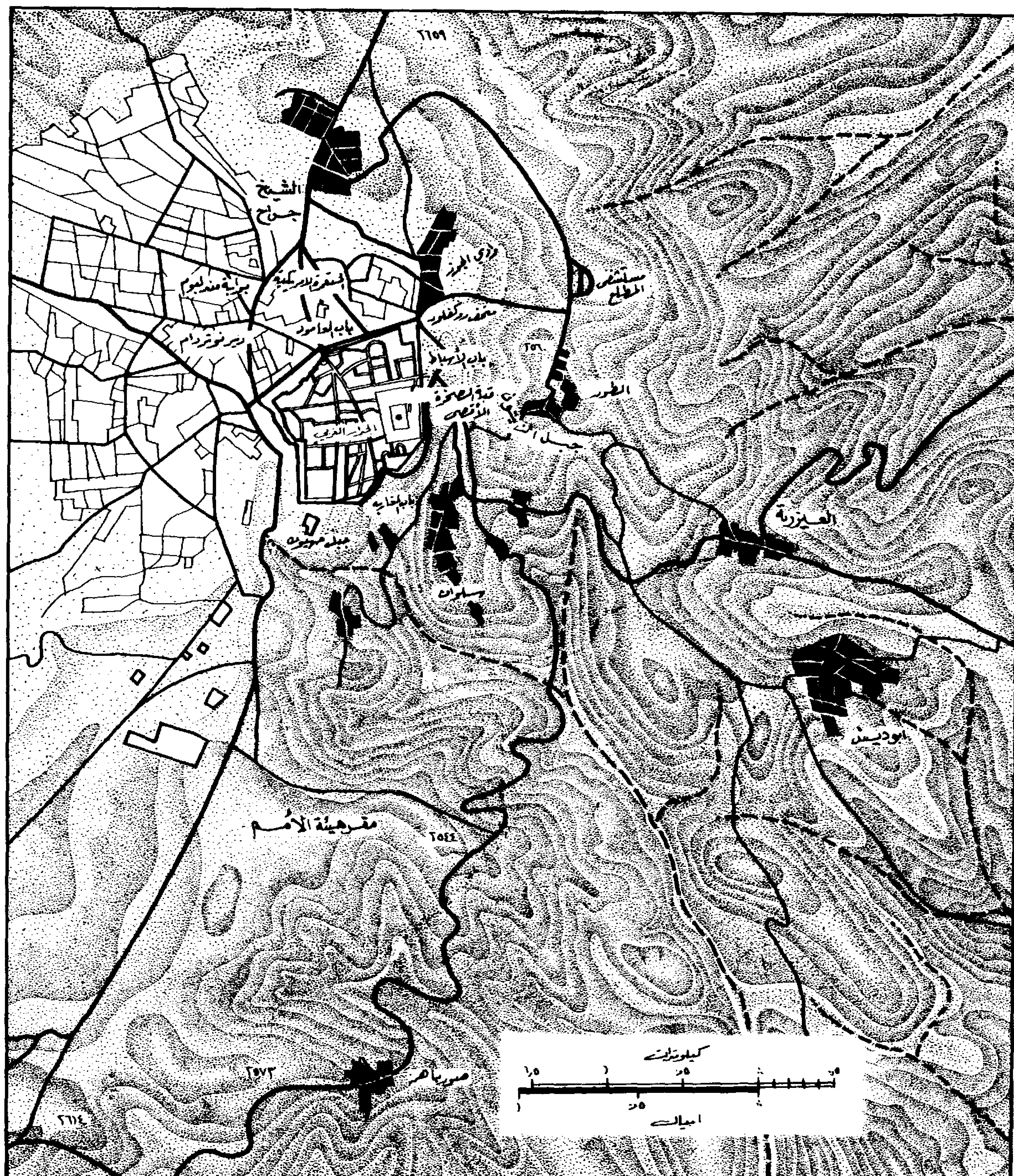


١٦ ميل الى
نابلس
١٠٦
بيرزيت
بتين
البيرة
رام الله
بيتونيا
قلنديه
بيرنبالا
النبي صموئيل
بيت حانينا
بيت اكسا
شعفاط
٨٤١
٨٧٠
العيسوية
جبل الزيتون
الطور
سلوان
لفتا
القسطل
دير ياسين
صور باهر
بيت جالا
بيت لحم
بيت عور
بيت نوبا
بيت سيرا
اللطرون
باب الواد
كيلومترات
١٫٦
٠
١٫٦
٣٫٢
٤٫٨
٦٫٤
اميال
٠
١٫٦
٣٫٢

معركة قطاع القدس

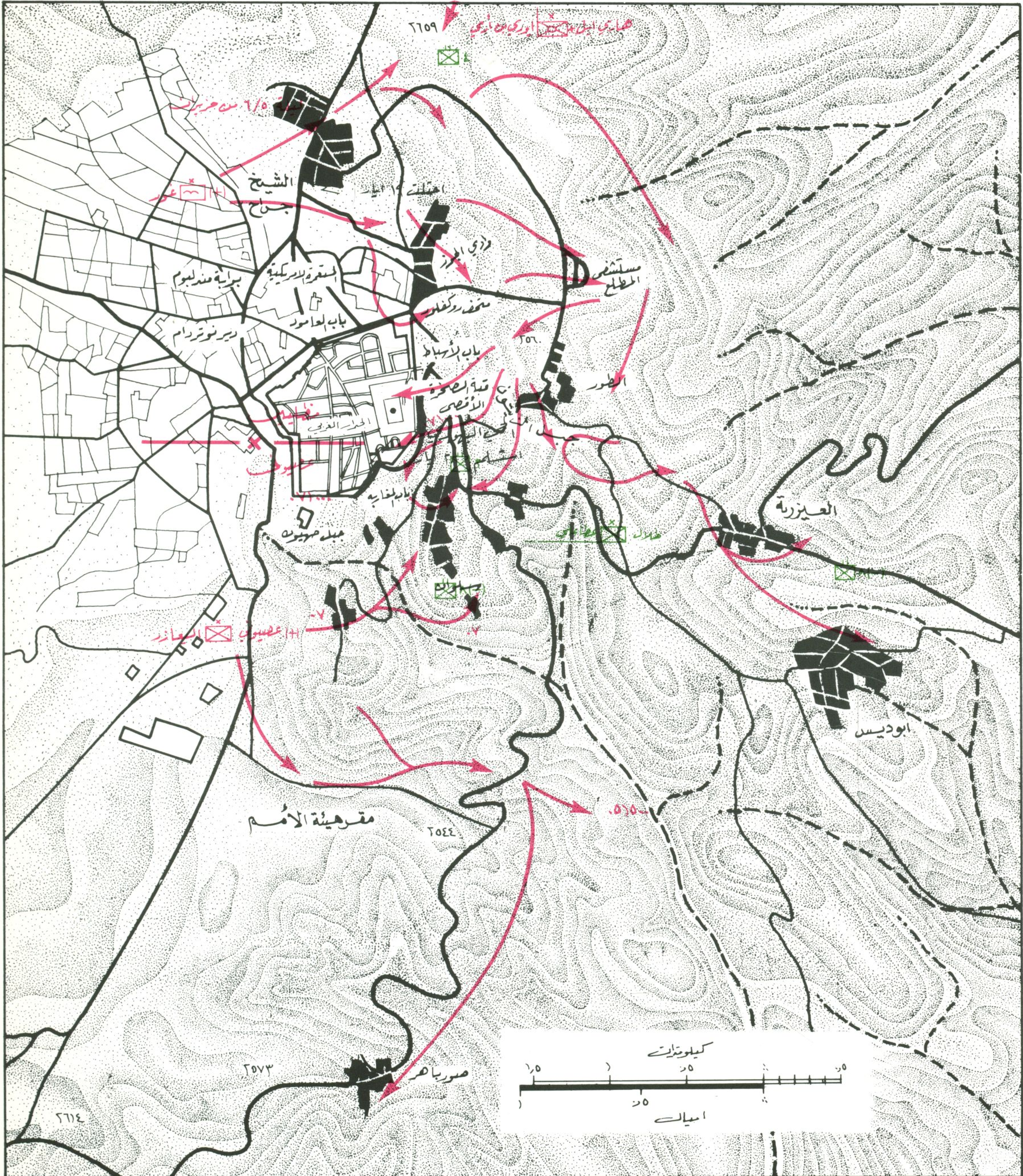
من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ الى الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧

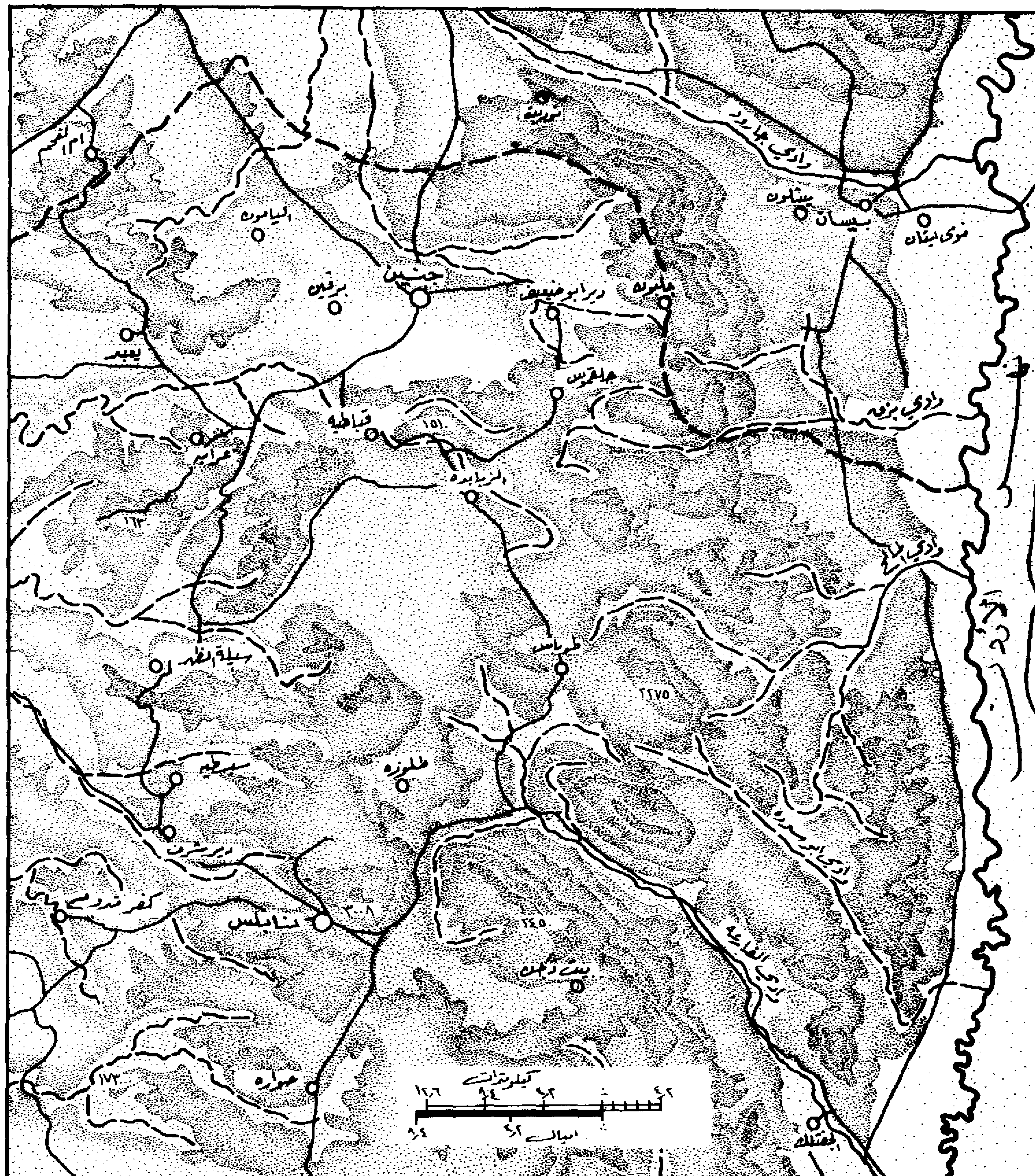
الى نابلس ١٦ ميل
بيرزيت
بيتين
القيادة الغربية سليم
البيرة
رام الله
بيتونيا
قلنديا
بيت عور
الهاشمي
شعلابيم
بيت نوبا
اللطرون
باب الواد
النبي صموئيل
بيت حنينا
شعفاط
بيت اكسا
القسطل
العيسوية
طلال
جبل الزيتون
الطور
صور باهر
بيت جالا
بيت لحم
حطين
الخليل
كيلومترات
اميال


٦٥٩
الشيخ جراح
وادي الجوز
مستشفى المطلع
باب العامود
دير نوتردام
باب الأسباط
قبة الصخرة
الأقصى
الطور
جبل الزيتون
باب المغاربة
جبل صهيون
سلوان
العيزرية
ابوديس
مقر هيئة الأمم
٢٥٤٤
صور باهر
٢٥٧٣
٢٦١٤
كيلومترات
اميال

معركة مدينة القدس

من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ الى الساعة ٢٢٠٠ يوم ٧/٦/١٩٦٧

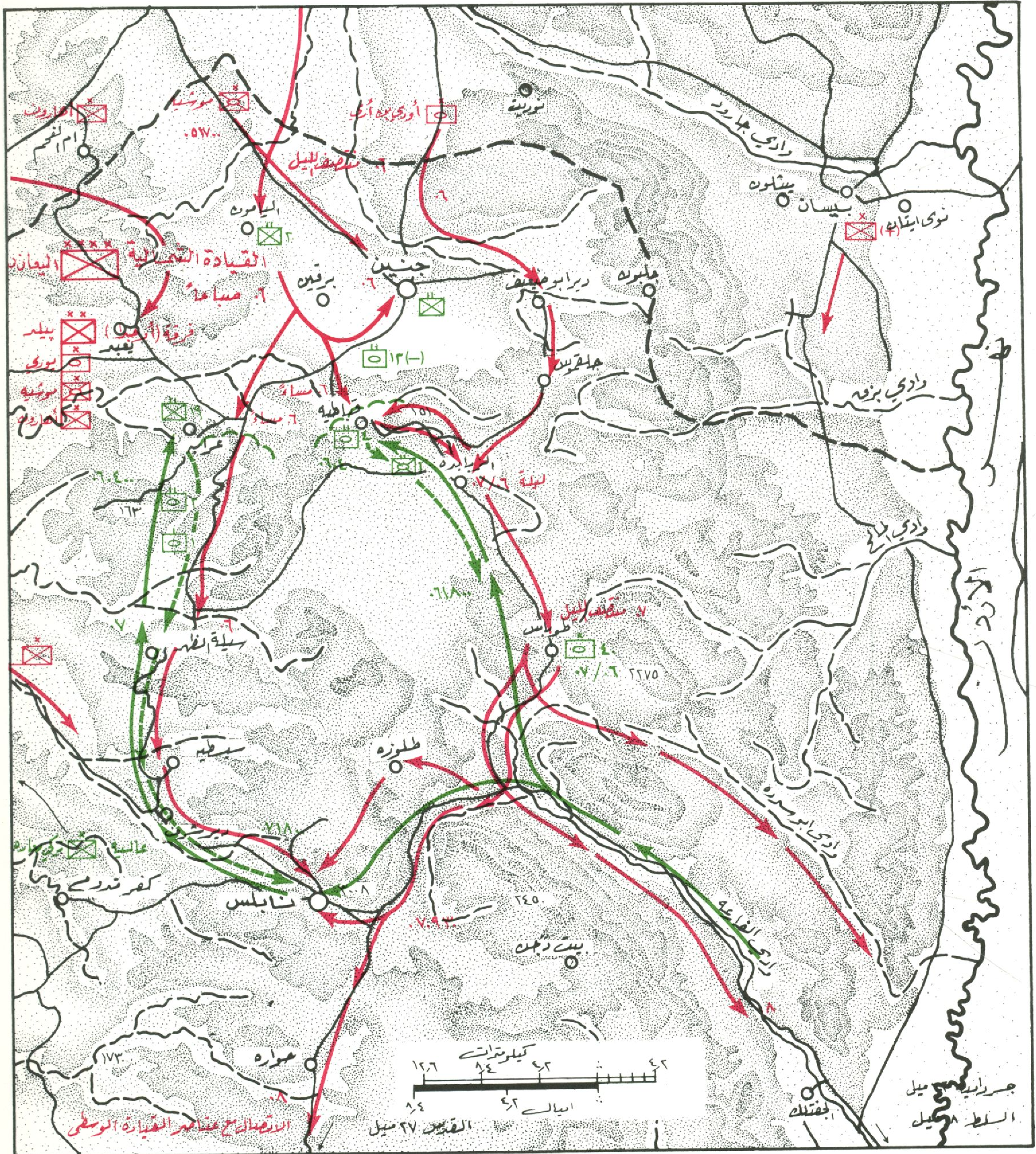


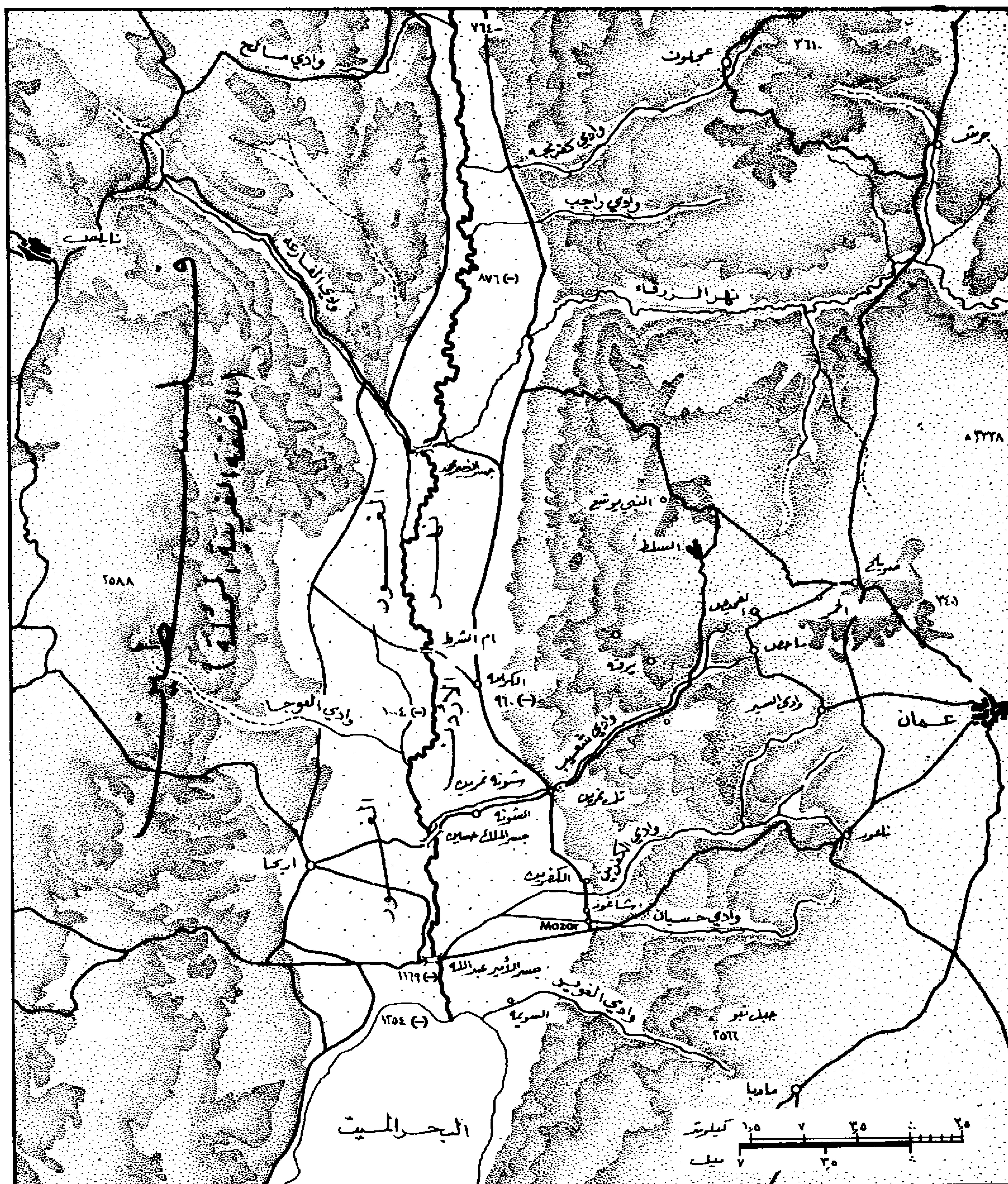


ام الفحم
اليامون
جنين
برقين
يعبد
قباطية
عرابة
١٥١
١٦٣
الزبابدة
دير ابو ضعيف
جلبون
جلقموس
بيسان
وادي جالود
وادي برقه
طوباس
٢٢٧٥
سيلة الظهر
سبسطية
طلوزة
دير شرف
كفر قدوم
نابلس
٣٠٨
٢٤٥
بيت دجن
وادي الفارعة
حوارة
١٧٣
الجفتلك
كيلومترات
اميال

معارك القطاع الشمالي « نابلس »

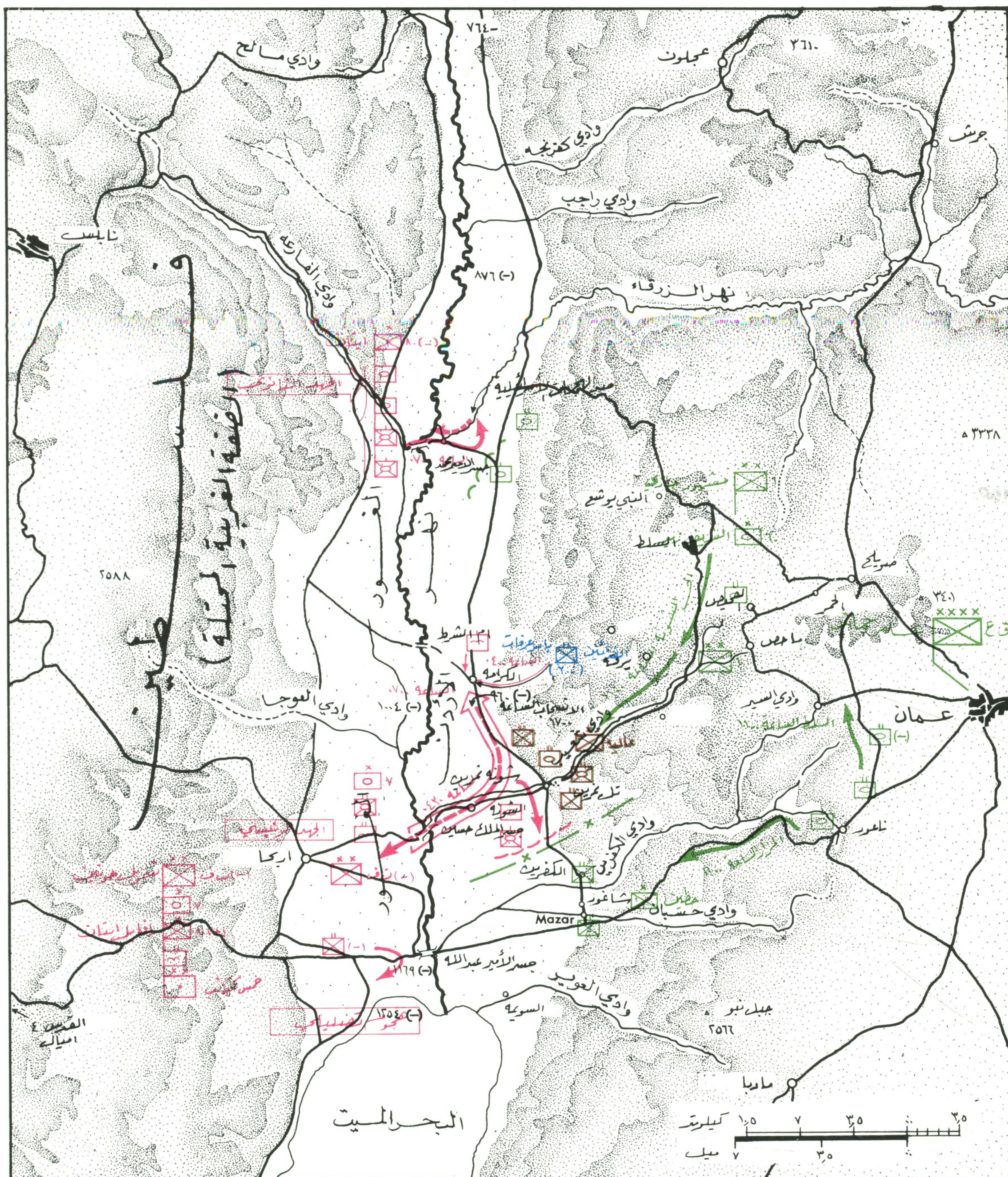
من الساعة ١٧٠٠ يوم ٦/٥ الى الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧

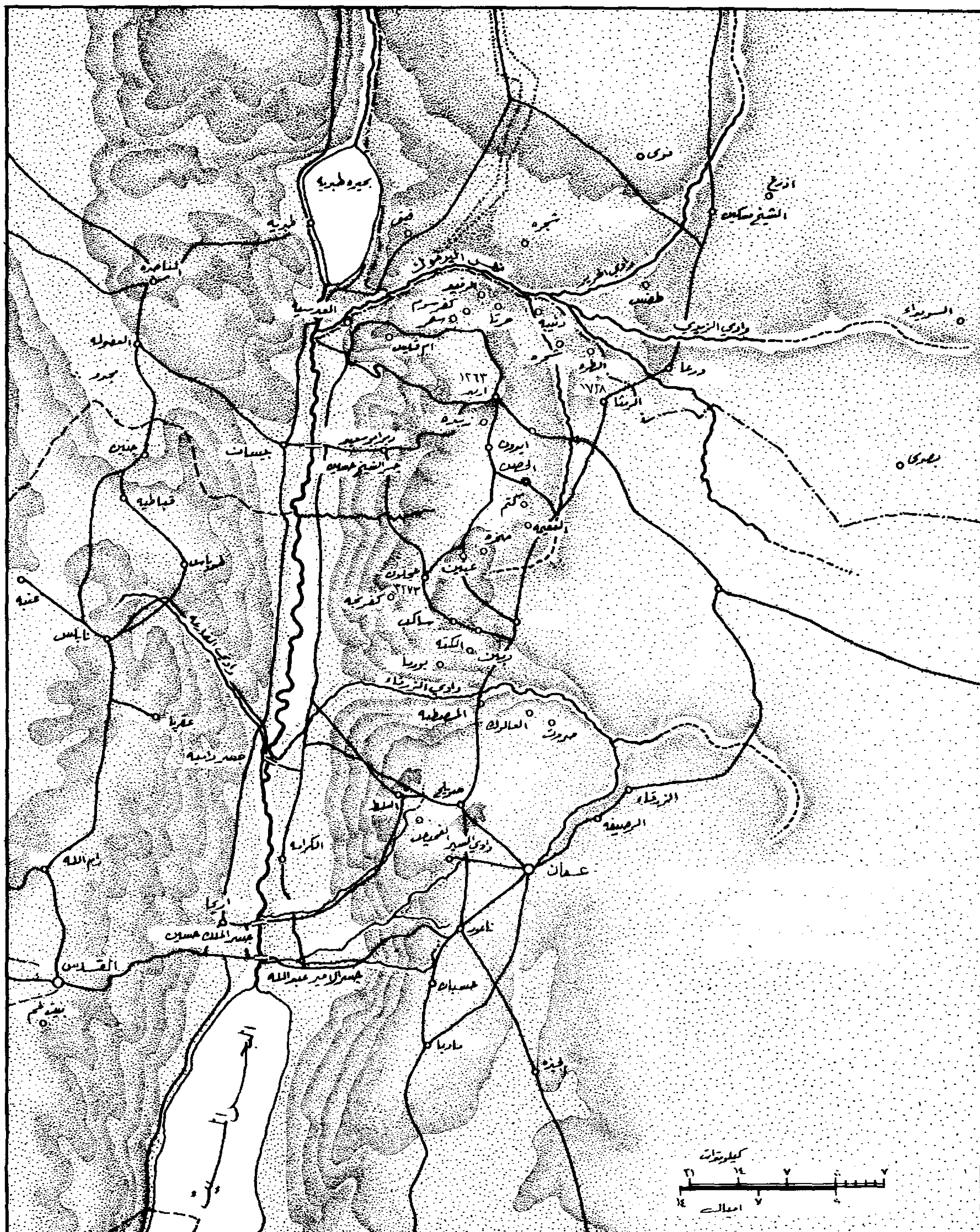




وادي مالح
٧٦٤-
عجلون
٣٦١٠
جرش
وادي كفرنجه
وادي راجب
نابلس
وادي الفارعة
(-) ٨٧٦
نهر الزرقاء
٣٢٣٨
جسر الأمير محمد
النبي يوشع
السلط
٢٥٨٨
صويلح
٣٤٠١
الحمر
ام الشرط
الكرامة
(-) ٩٦٠
يرقه
ناعور
وادي السير
عمان
وادي العوجا
(-) ١٠٠٤
وادي شعيب
شونه نمرين
تل نمرين
الشونة
جسر الملك حسين
ناعور
وادي الكفرين
اريحا
الكفرين
شاغور
Mazar
وادي حسبان
جسر الأمير عبد الله
(-) ١١٦٩
وادي الغويبة
السويمة
(-) ١٣٥٤
جبل نبو
٢٥٦٦
مادبا
البحر الميت
كيلومتر
ميل

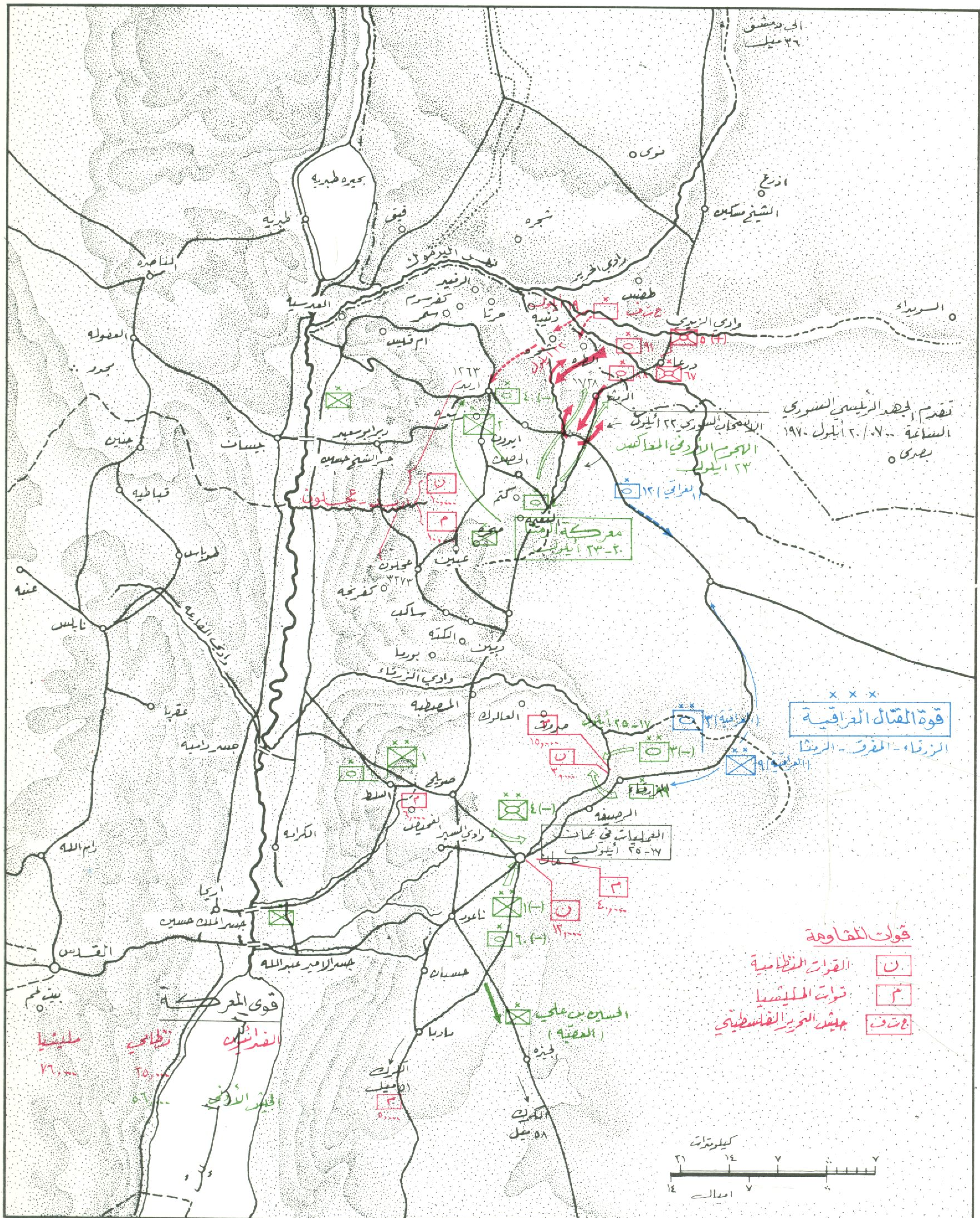
معركة الكرامة : ٢١ آذار ١٩٦٨





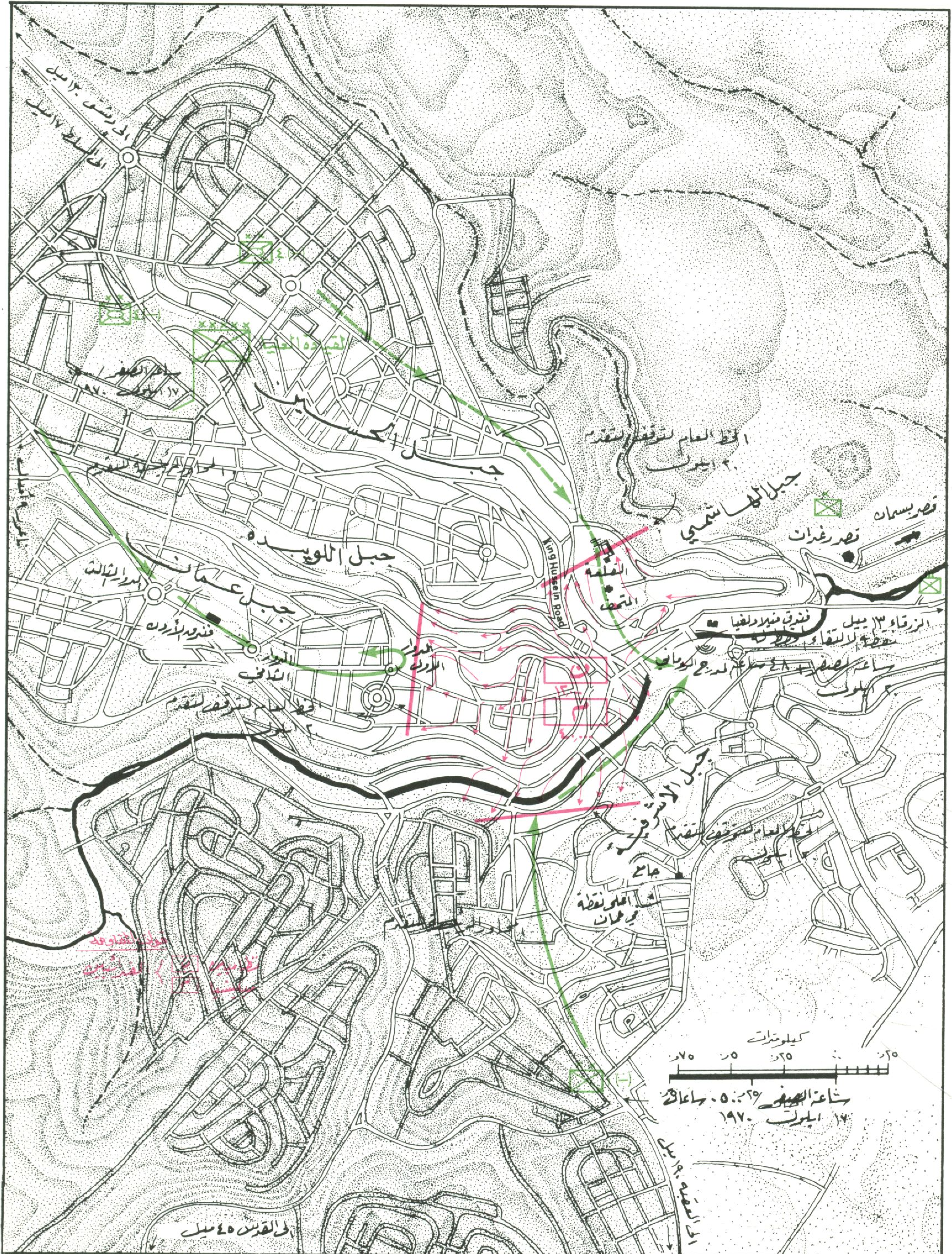
بحيرة طبرية
طبرية
الناصرة
العفولة
جنين
نابلس
القدس
رام الله
أريحا
جسر الملك حسين
جسر الأمير عبدالله
عمان
الزرقاء
الرصيفة
صويلح
السلط
مادبا
حسبان
ناعور
الكرامة
عجلون
جرش
اربد
الحصن
المفرق
الرمثا
درعا
نوى
الشيخ مسكين
طفس
السويداء
بصرى
نهر اليرموك
وادي الزرقاء
كيلومترات
أميال

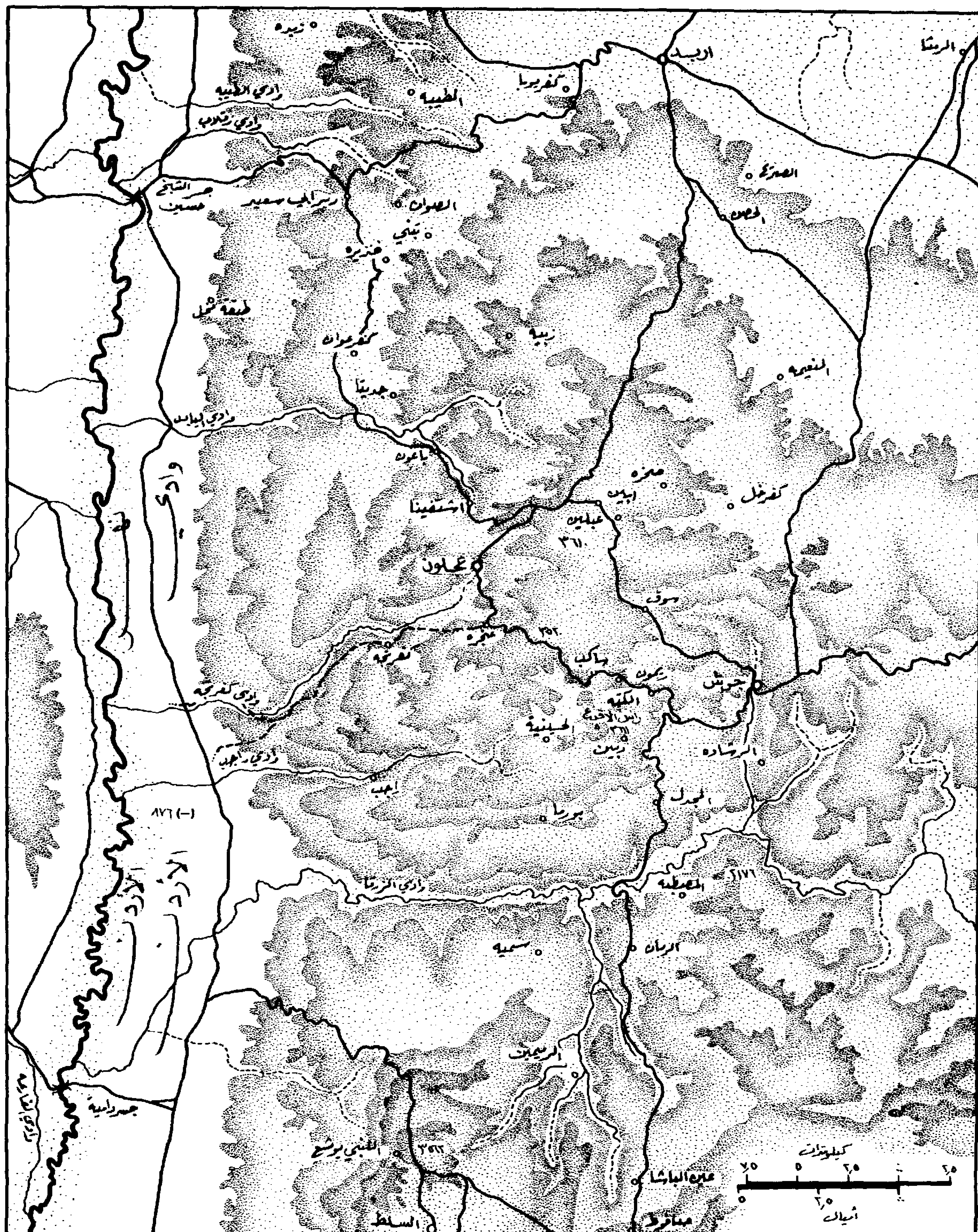
٣٠ حوادث الأمن الداخلي : ١٧ - ٢٥ ايلول ١٩٧٠



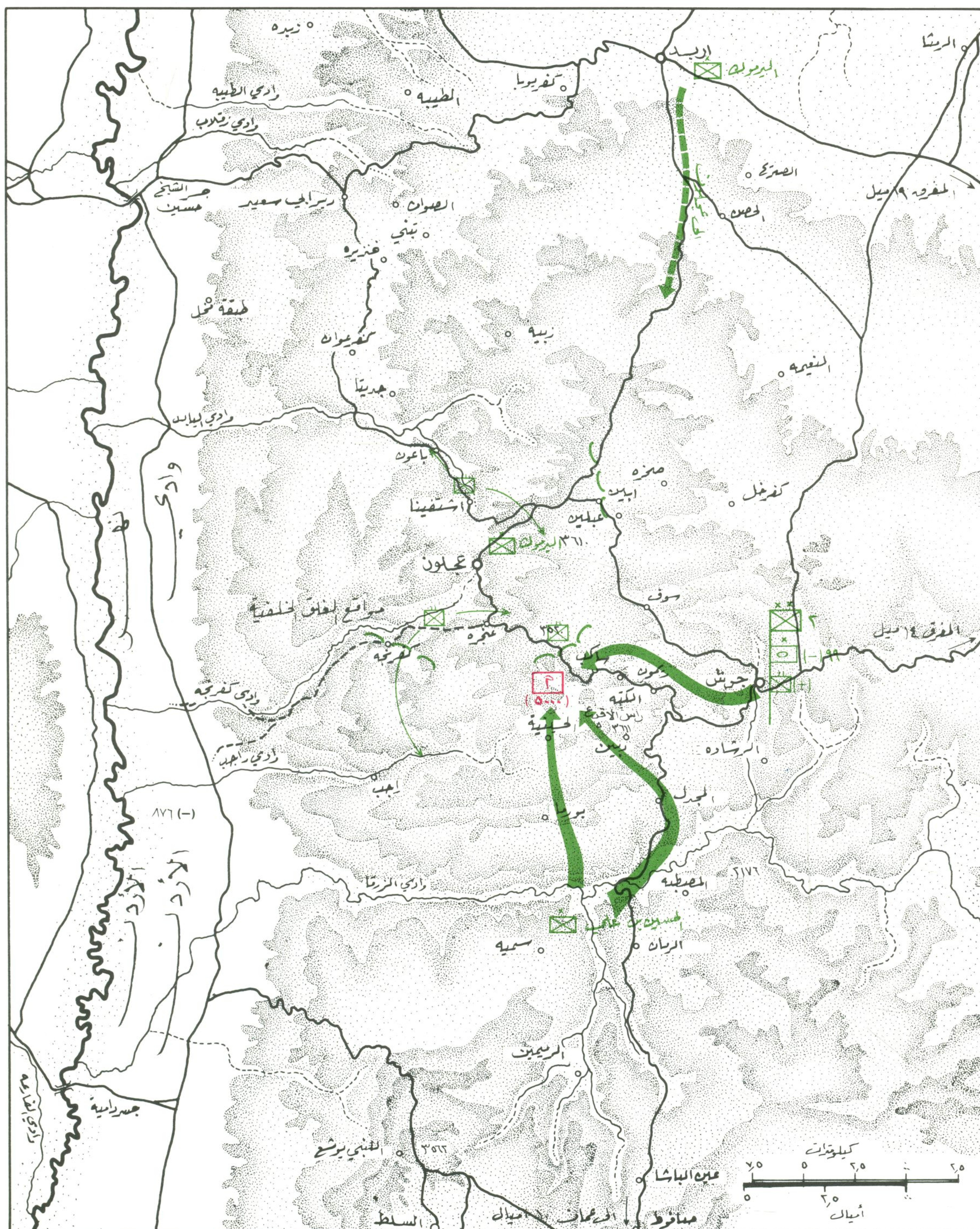


جبل الهاشمي
قصر بسمان
قصر رغدان
القلعة
المتحف
King Hussein Road
فندق فيلادلفيا
الزرقاء ١٣ ميل
المدرج الروماني
جبل اللويبدة
جبل عمان
الدوار الثالث
فندق الأردن
الدوار الثاني
الدوار الأول
جبل الأشرفية
جامع
كيلومترات
أميال
إلى القدس ٥٤ ميل

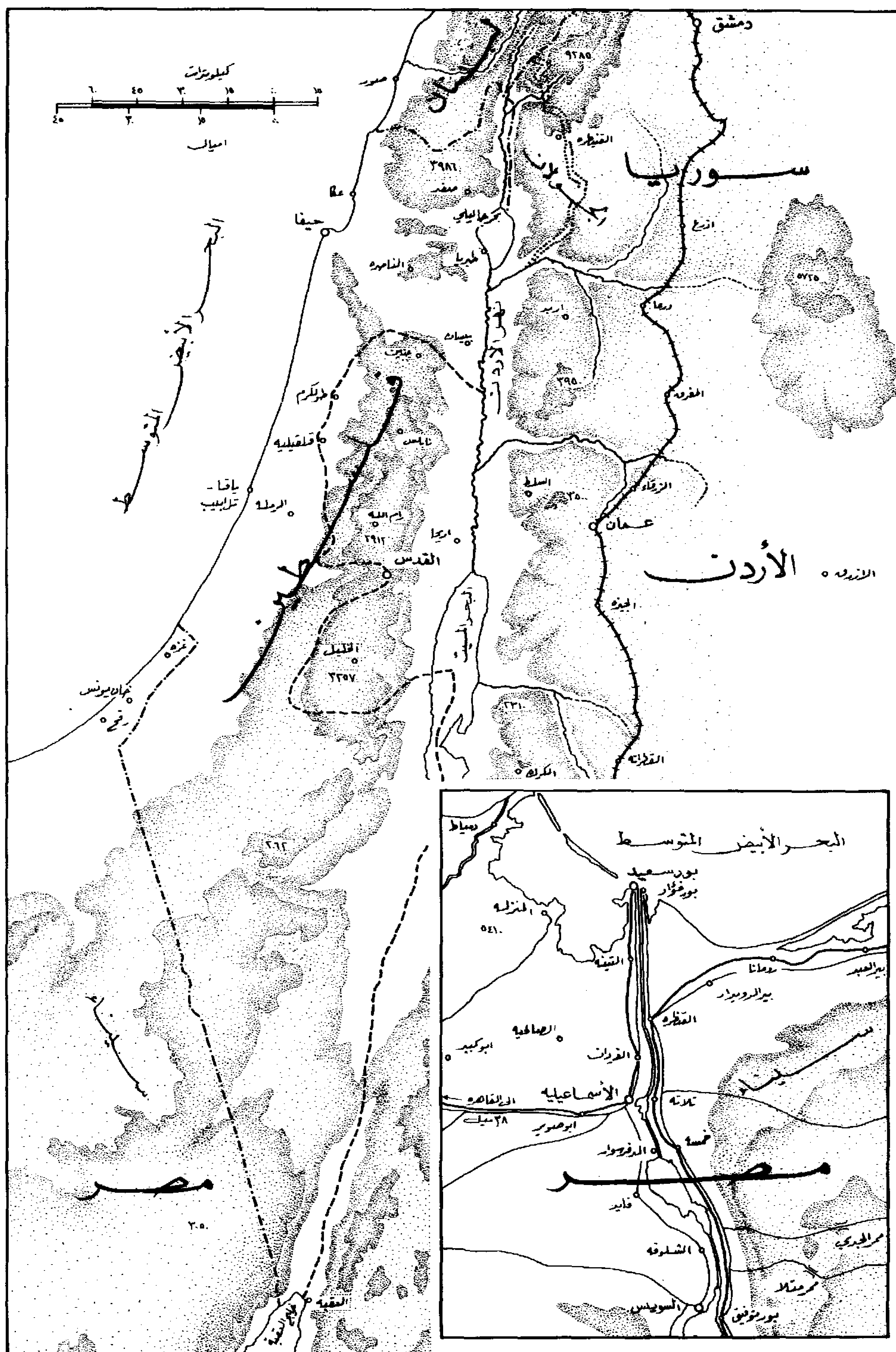

الى دمشق ١٢٠ ميل
القيادة العامة
جبل الحسين
جبل الهاشمي
قصر بسمان
قصر رغدان
جبل اللويبدة
King Hussein Road
القلعة
المتحف
جبل عمان
الدوار الثالث
فندق الأردن
الدوار الثاني
الدوار الأول
الزرقاء ١٣ ميل
فندق فيلادلفيا
المدرج الروماني
جبل الأشرفية
جامع
كيلومترات
الى القدس ٤٥ ميل



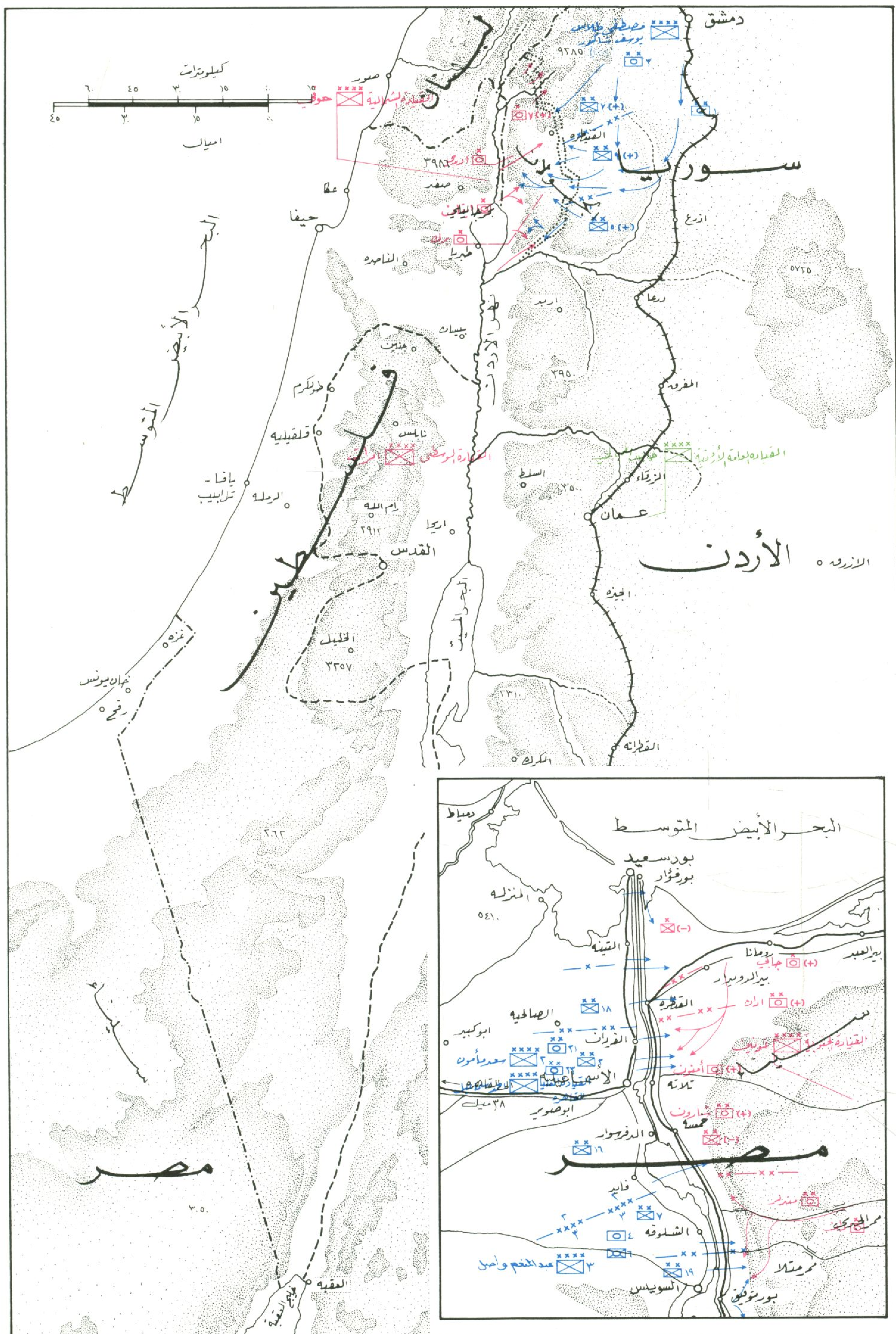
زيره
كفريوبا
اربد
الرمثا
الطيبه
وادي الطيبه
وادي زقلاب
جسر الشيخ حسين
دير ابي سعيد
تبني
الصريح
الحصن
زبيه
كفرعوان
جديتا
وادي اليابس
باعون
اشتفينا
النعيمه
حمزه
ابين
كفرخل
عبلين
٣٦١٠
عجلون
سوف
عنجره
٣٥٢
ساكب
جرش
الكتة
الحسينية
ريمون
وادي كفرنجه
وادي راجب
راجب
بورما
الرشاده
الجبل
(–) ٨٧٦
وادي الزرقا
المصطبه
٢١٧٦
سميه
الرمان
الربيعيث
جسر دامية
النبي يوشع
٣٥٦٢
السلط
عين الباشا
كيلومترات
٧٫٥
٥
٢٫٥
٢٫٥
٥
٢٫٥
أميال

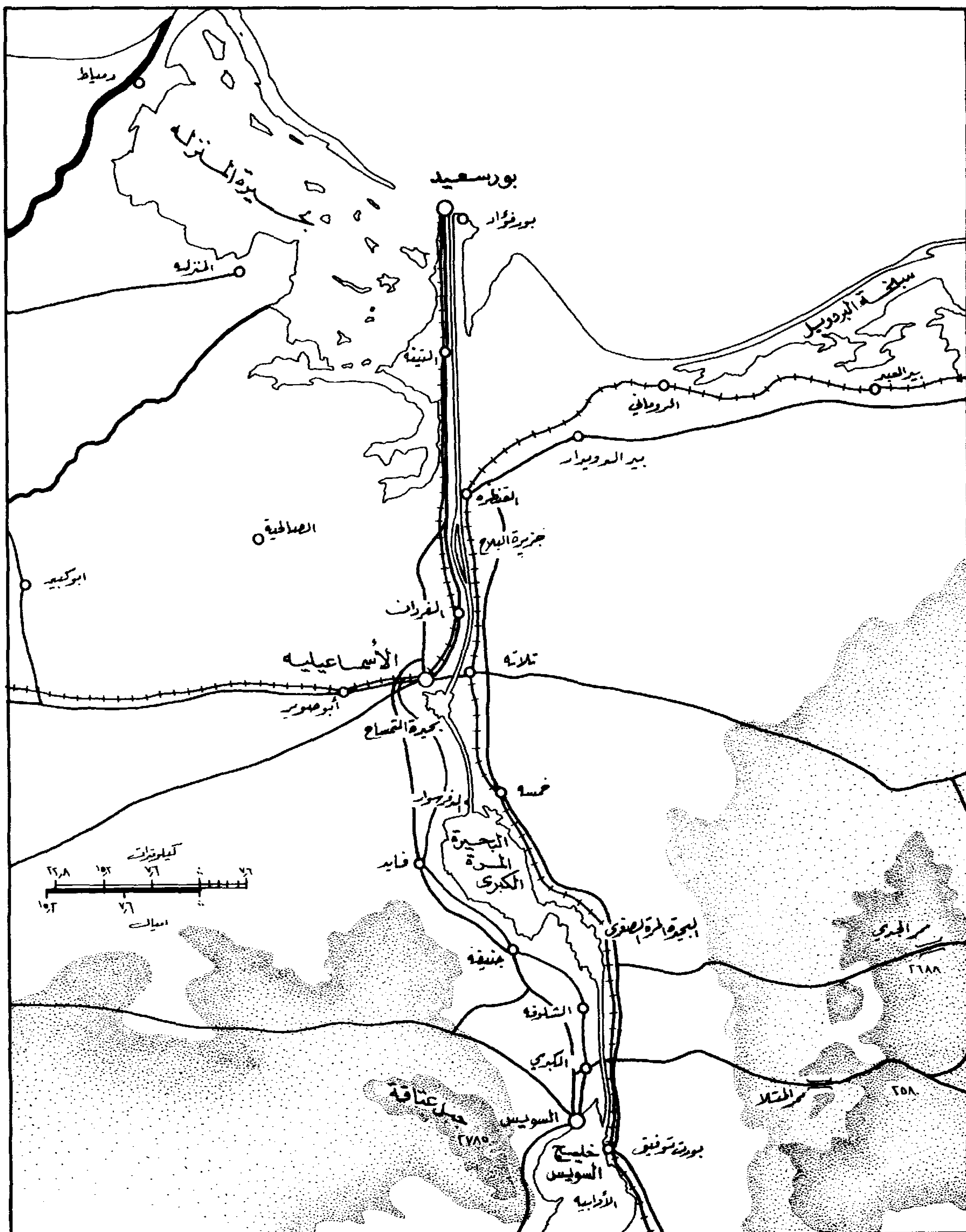


اربد
اليرموك
الرمثا
زبده
كفريوبا
الطيبه
وادي الطيبة
وادي زقلاب
الصريح
المفرق ١٩ ميل
الحصن
الصوان
تبني
عنزيه
جسر الشيخ حسين
دير ابي سعيد
طبقة فحل
كفرعوان
زبيه
النعيمه
جديتا
وادي اليابس
باعون
صخره
ابلين
كفرخل
اشتفينا
عبلين
عجلون
سوف
عنجره
كفرنجه
وادي كفرنجه
جرش
المفرق ١٤ ميل
ساكب
الكتيبه
ريمون
الرشاده
وادي راجب
راجب
وادي الزرقاء
المصطبه
سميه
الريان
الرميمين
النبي يوشع
السلط
عين الباشا
صافوط
كيلومترات
أميال


كيلومترات
أميال
دمشق
لبنان
صور
سوريا
القنيطرة
الجولان
صفد
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
بيسان
جنين
اربد
درعا
المفرق
البحر الأبيض المتوسط
طولكرم
قلقيلية
نابلس
يافا - تل ابيب
الرملة
رام الله
اريحا
القدس
السلط
الزرقاء
عمان
الأردن
الأزرق
الخليل
غزة
خان يونس
رفح
الكرك
القطرانة
مصر
العقبة
دمياط
البحر الأبيض المتوسط
بورسعيد
بورفؤاد
المنزلة
القنطرة
رومانة
بئر العبد
الصالحية
أبوكبير
القاهرة
الإسماعيلية
فايد
الشلوفة
السويس
بورتوفيق
مصر

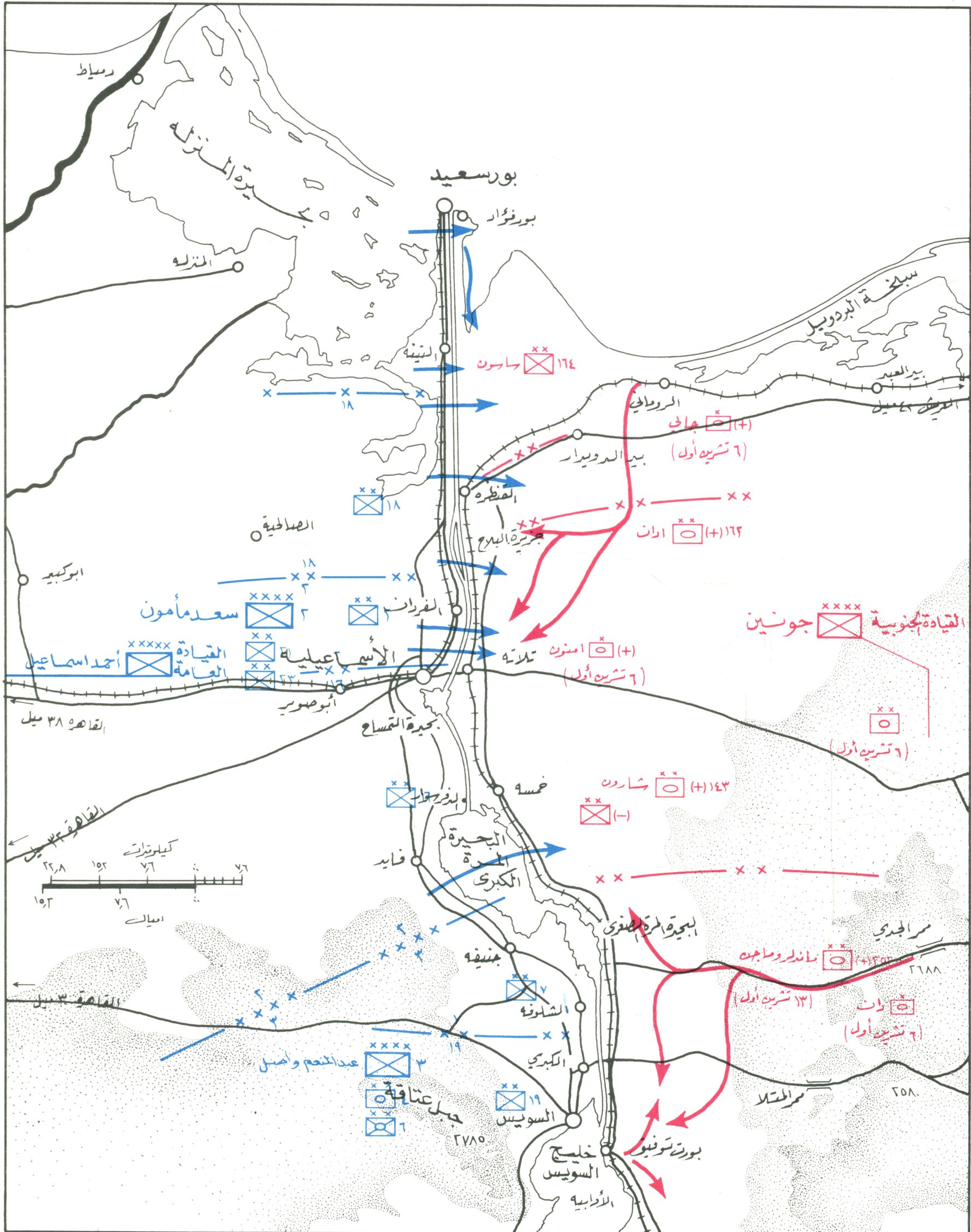
الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : على جبهتي الجولان وقناة السويس
٦ - ٧ تشرين الاول ١٩٧٣

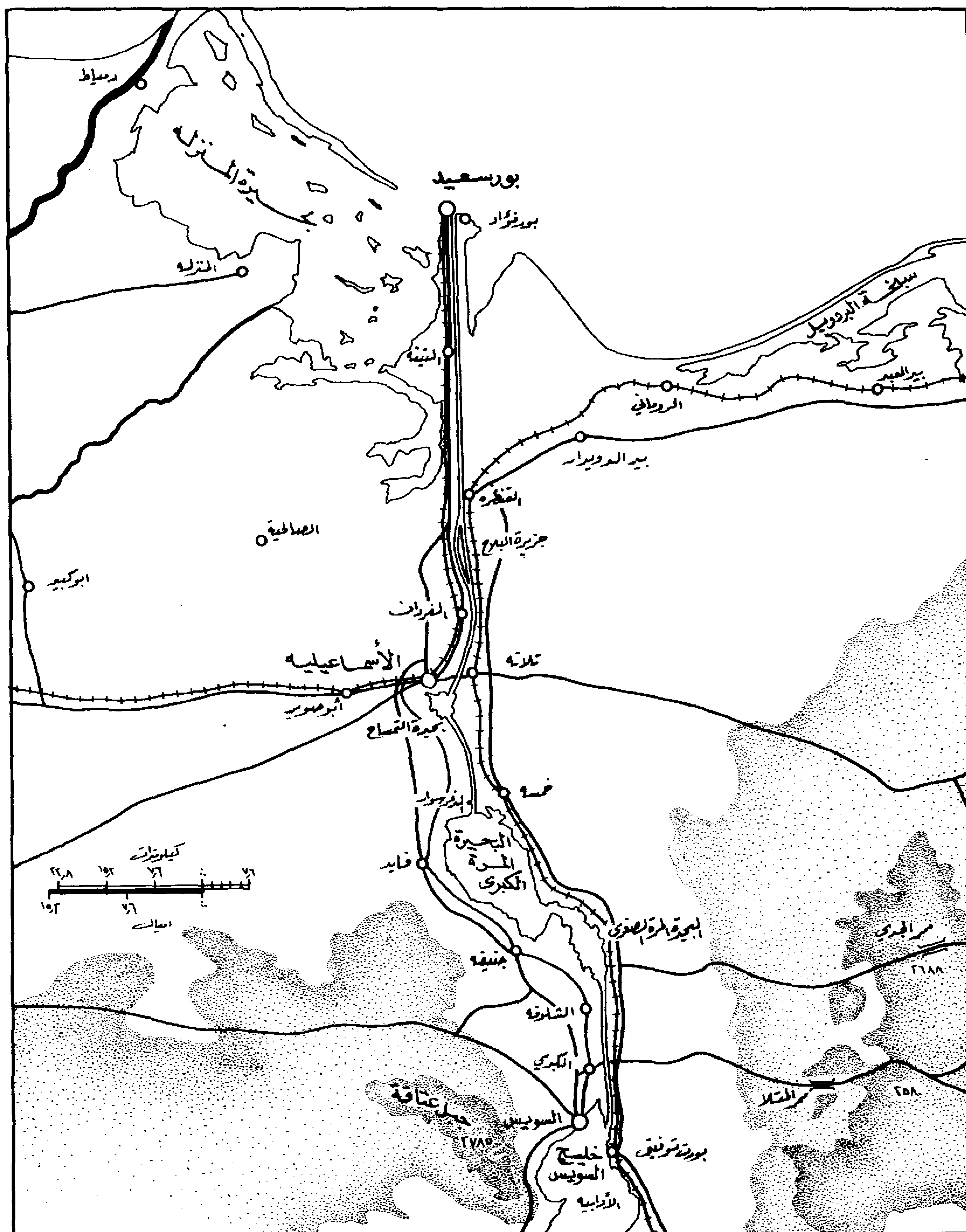




دمياط
بحيرة المنزلة
بورسعيد
بورفؤاد
المنزلة
سبخة البردويل
بير العبد
الرومانى
بير الدويدار
التينة
القنطرة
جزيرة البلاح
الصالحية
ابوكبير
الفردان
الأسماعيليه
تلاته
أبوصوير
بحيرة التمساح
الدفرسوار
خمسه
البحيرة المرة الكبرى
فايد
كيلومترات
٢٢٫٨
١٥٫٢
٧٫٦
٠
٧٫٦
١٥٫٢
٧٫٦
٠
اميال
البحيرة المرة الصغرى
جنيفه
الشلوفه
الكبريت
السويس
جبل عتاقة
٢٧٨٥
خليج السويس
بورتوفيق
الأدبيه
ممر الجدي
٢٦٨٩
ممر المتلا
٢٥٨

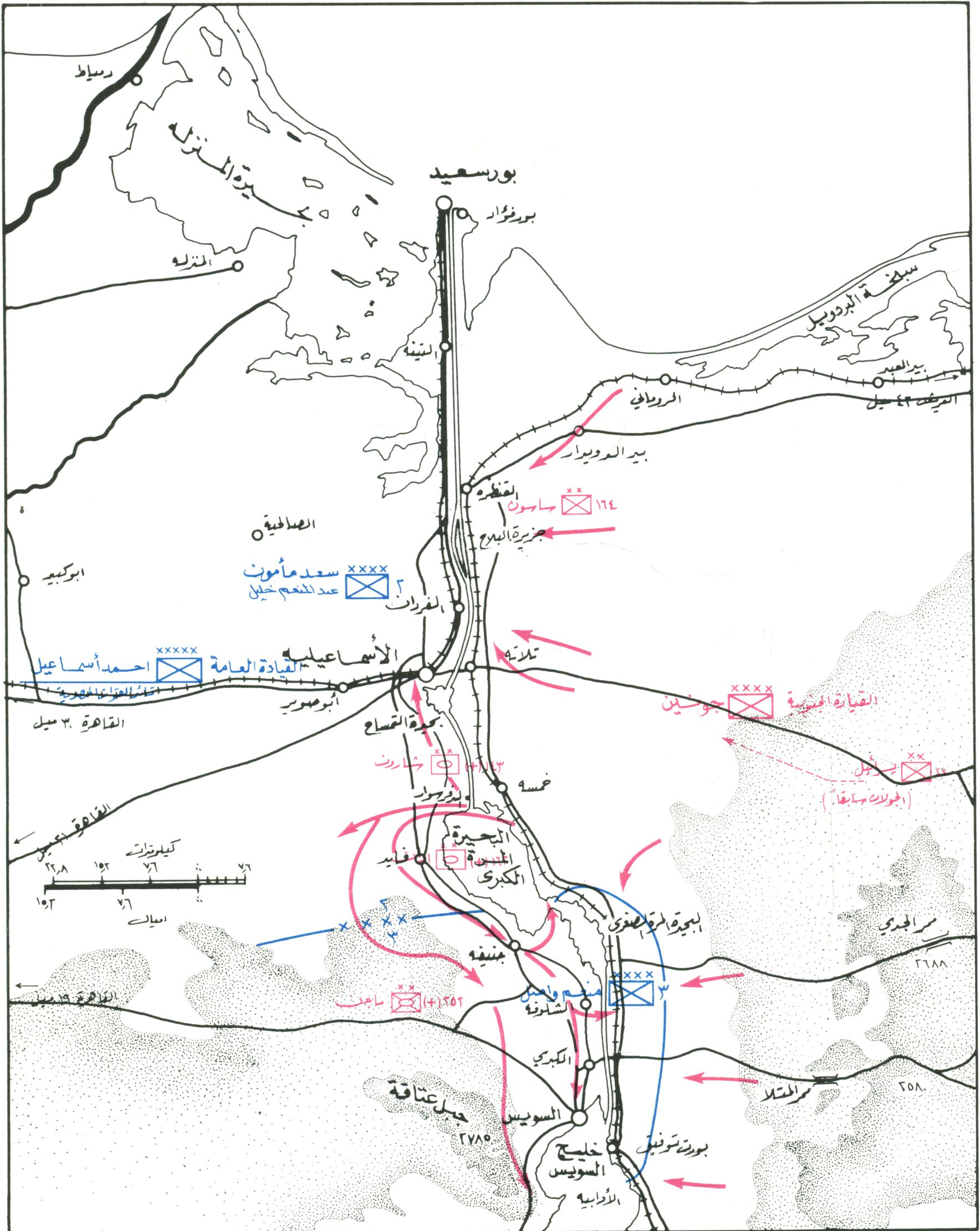
الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : مواقع القوات المصرية والتعرض على : جبهة قناة السويس ، ٦ - ٨ تشرين الاول ١٩٧٣

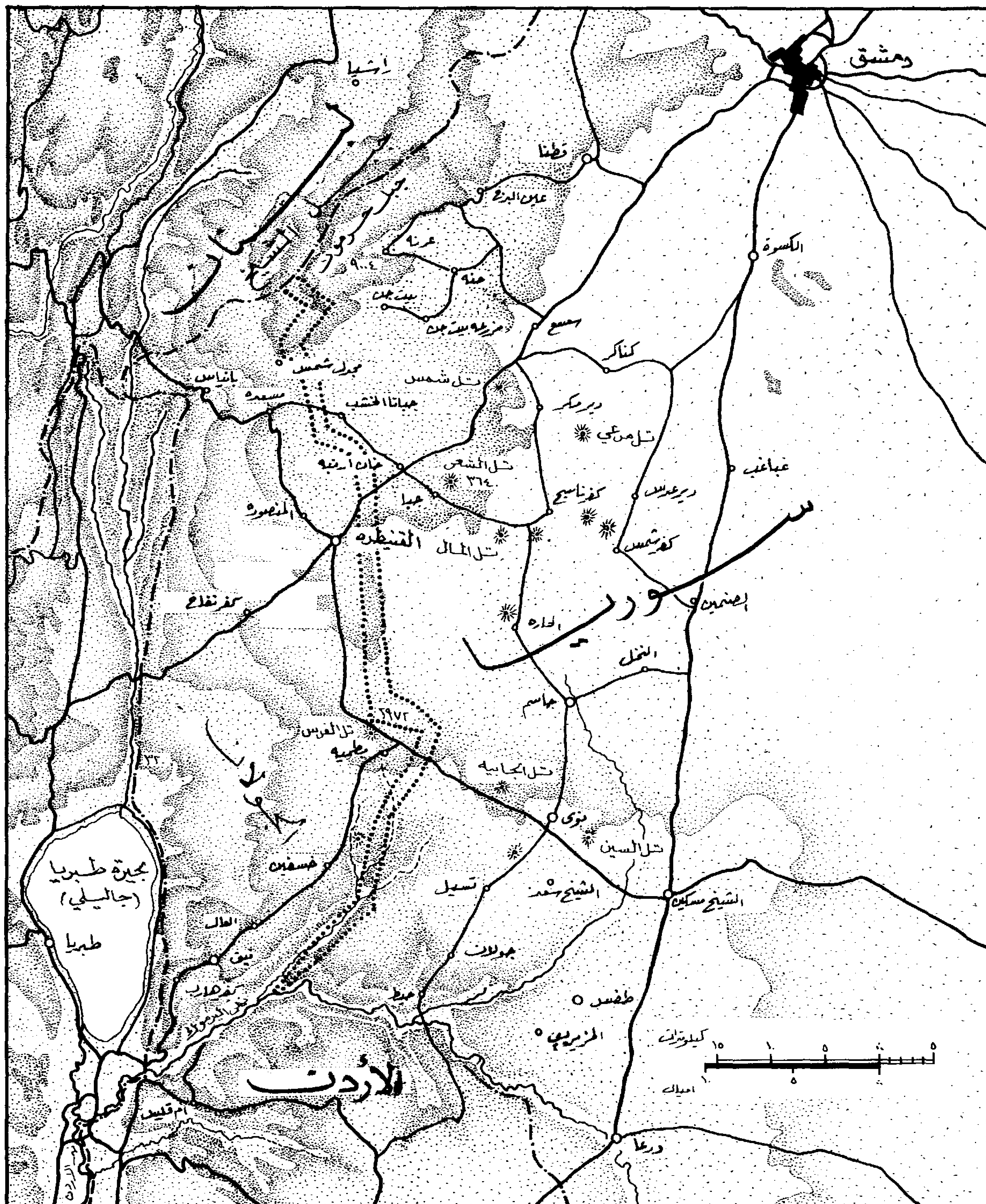




بورسعيد
بورفؤاد
دمياط
بحيرة المنزلة
المنزلة
القنطرة
الصالحية
ابو كبير
القرداف
الأسماعيليه
تلاته
أبو صوير
بحيرة التمساح
خمسه
البحيرة
المرة
الكبرى
فايد
جنيفه
الشلوفه
الكبريت
السويس
خليج
السويس
بور توفيق
الأدبيه
جبل عتاقة
٢٧٨٥
ممر الجدي
٢٦٨٨
ممر المتلا
٢٥٨٠
البحيرة المرة الصغرى
بير العبد
الرومانى
بير الدويدار
سبخة البردويل
كيلومترات
اميال

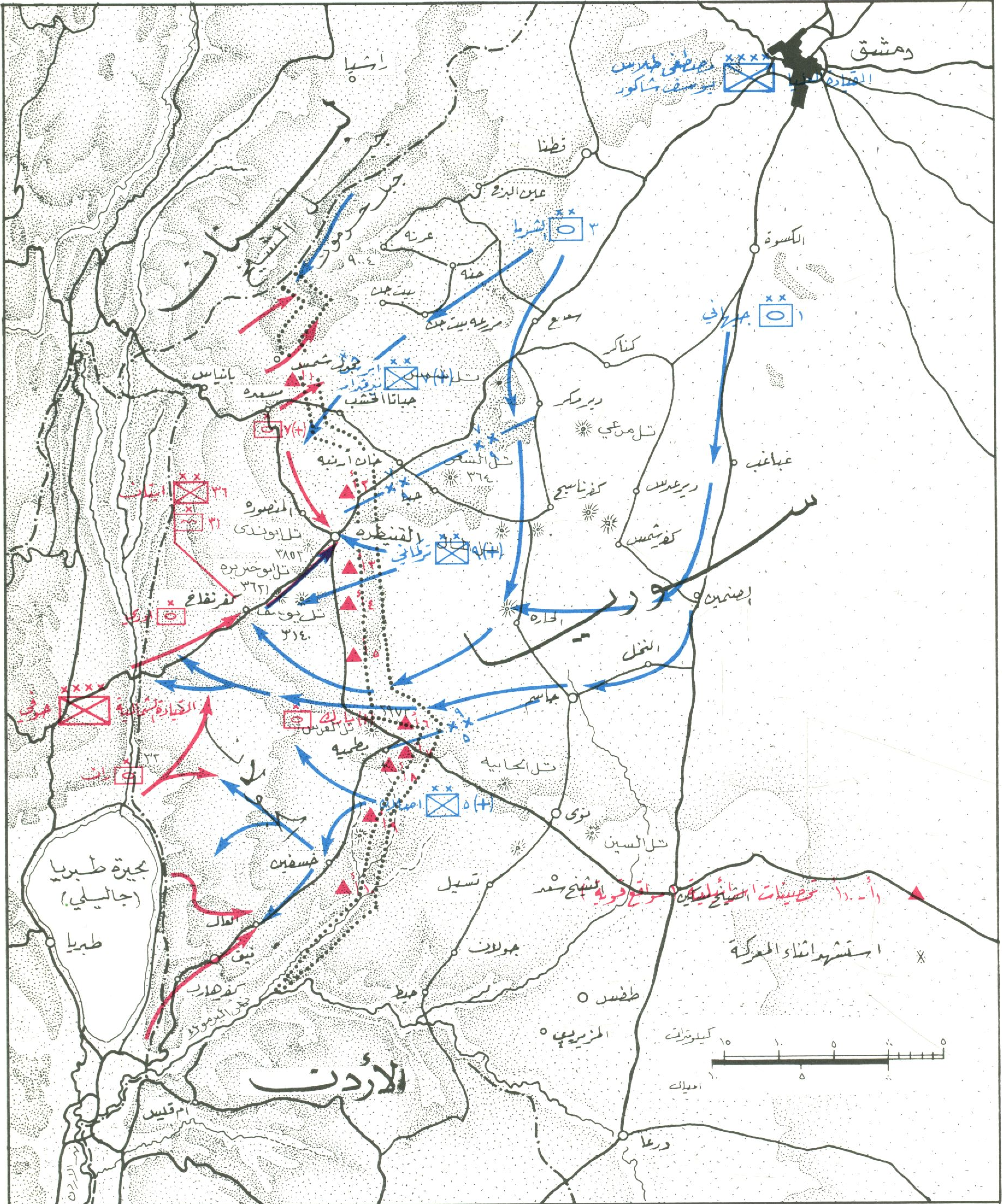
الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة :
الهجوم المعاكس : ١٦ - ٢٢/١٠/٧٣ «(جبهة السويس)

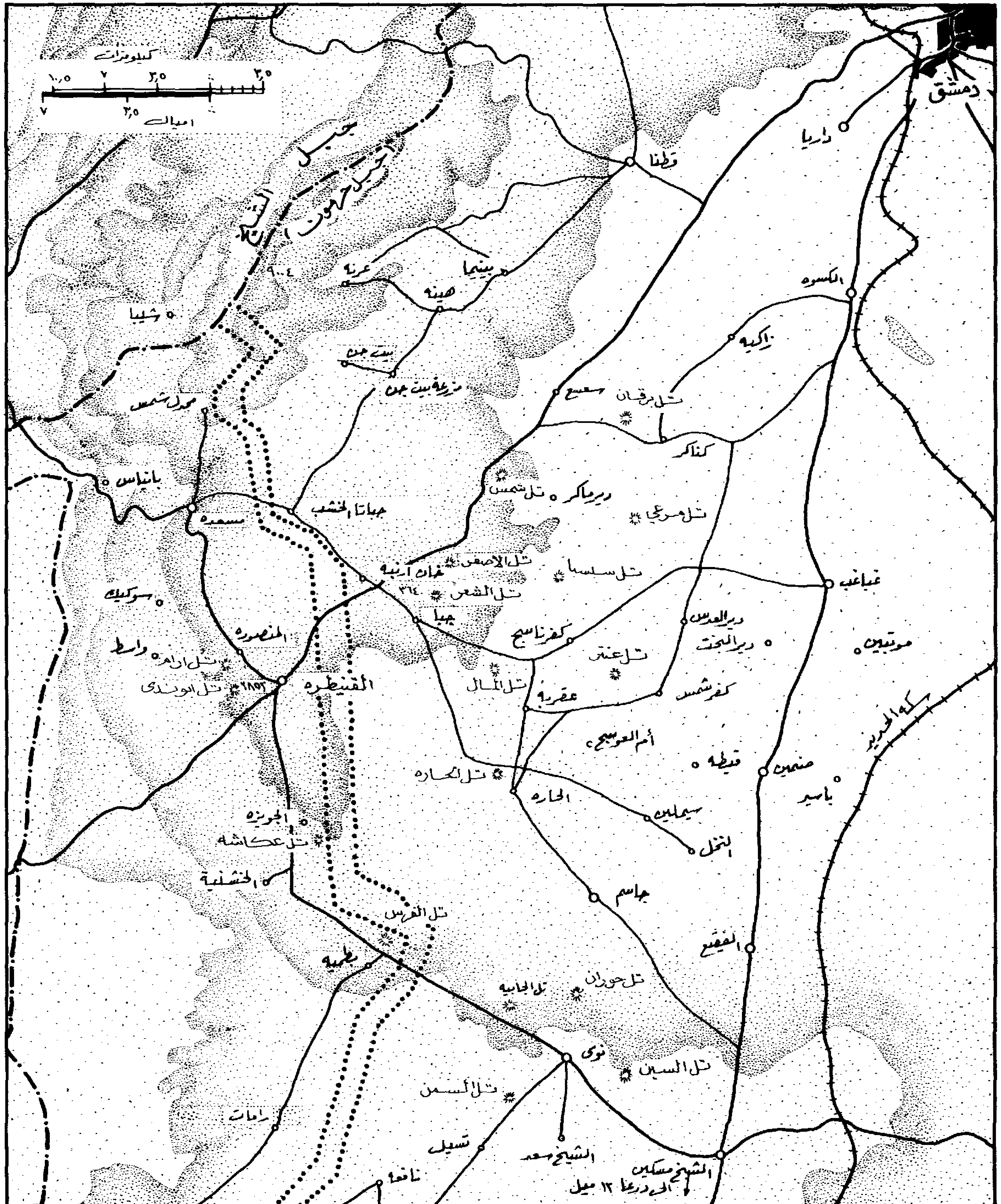




دمشق
إشيا
قطنا
عين البرج
عرنه
٩٠٠٤
حنه
بيت جن
مزرعة بيت جن
سعسع
كناكر
الكسوة
مجدل شمس
بانياس
مسعدة
تل شمس
جباتا الخشب
دير مكر
تل مرعي
خان أرنبة
تل الشعر
٣٦٤
جبا
كفرناسيج
دير عدس
غباغب
المنصورة
القنيطرة
تل المال
كفرشمس
الصنمين
سوريا
كفرنفاخ
الحارة
النخل
جاسم
١٩٧٢
تل العرس
رفيد
تل الجابية
٣٢
نوى
تل السين
بحيرة طبريا
(جاليلي)
خسفين
تسيل
الشيخ سعد
الشيخ مسكين
العال
طبريا
فيق
جولان
طفس
المزيريب
الأردن
كيلومترات
أميال
ام قيس
درعا

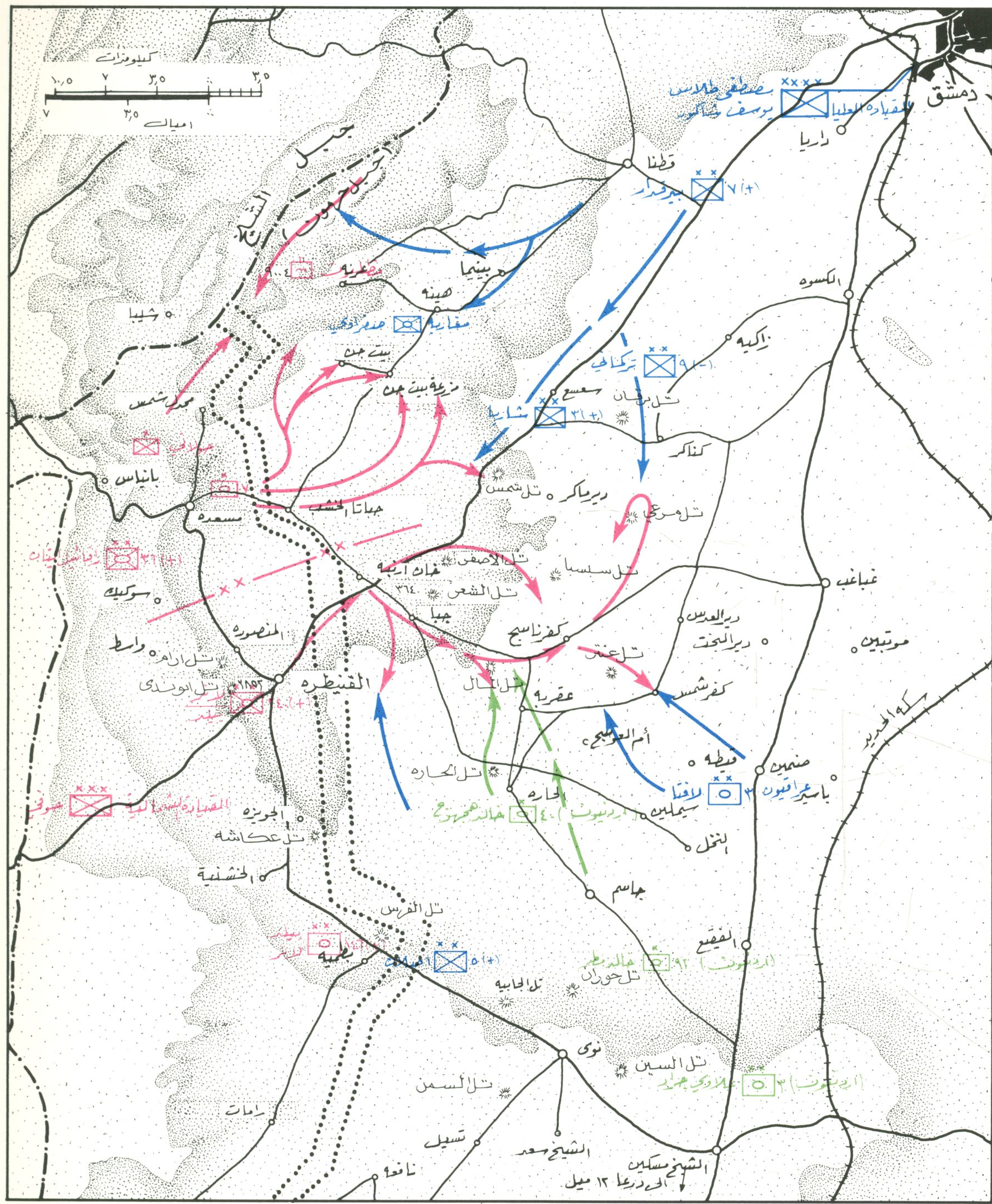
الحرب العربية الاسرائيلية : الساعة ٢٢٠٠ يوم ٦/١٠/٧٣
(جبهة الجولان: المواقع والتعرض السوري والتعرض الاسرائيلي المعاكس)

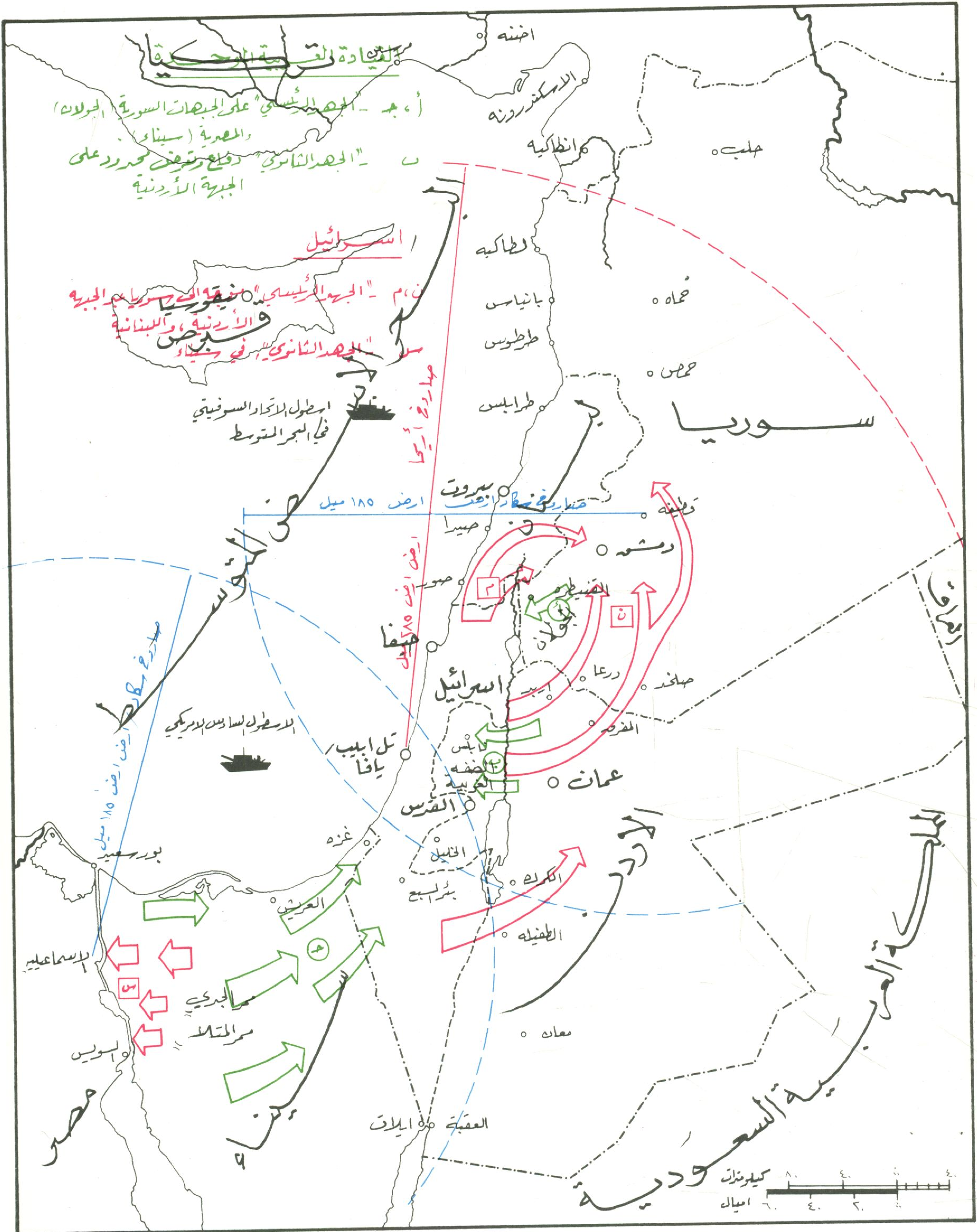




كيلومترات
١٠,٥ ٧ ٣,٥ ٠ ٣,٥
٧ ٣,٥ ٠
اميال
دمشق
داريا
قطنا
جبل الشيخ (حرمون)
٩٠٠٤
عرنة
بقعسم
هينة
بيت جن
مزرعة بيت جن
شبعا
مجدل شمس
بانياس
مسعدة
جباتا الخشب
سعسع
تل برقان
الكسوة
اكيبه
كناكر
تل شمس
دير ماكر
تل مرعي
تل الاحمر
خان ارنبه
تل سلسلة
تل الشعر
٣٦٤
غباغب
جبا
كفرناسج
دير العدس
دير البخت
موثبين
سوكيك
المنصوره
واسط
تل ارام
القنيطره
تل ابو الندى
٢٨٥٣
تل المال
تل عنتر
عقربه
كفرشمس
أم العوسج
قيطه
صنمين
باسير
سكة الحديد
تل الحاره
الحاره
سملين
انخل
الجويزه
تل عكاشه
الخشنية
جاسم
تل الفرس
بطميه
الفقيع
تل الجابيه
تل حوران
نوى
تل السين
تل السمن
رامات
تسيل
الشيخ سعد
الشيخ مسكين
الى درعا ١٢ ميل
نافعة

العمليات على جبهة الجولان (بما فيها عمليات اللواء المدرع ٤٠ والفرقة المدرعة الثالثة الاردنية ١٢-٢٢/١٠/١٩٧٣




القيادة العربية الموحدة
أ، جـ - "الجهد الرئيسي" على الجبهات السورية (الجولان) والمصرية (سيناء)
ب - "الجهد الثانوي" دفاع وتعرض محدود على الجبهة الأردنية
اسرائيل
ن، م - "الجهد الرئيسي" ضد سوريا مع الجبهة الأردنية، واللبنانية
س - "الجهد الثانوي" في سيناء
تركيا
نيقوسيا
قبرص
اسطول الاتحاد السوفييتي في البحر المتوسط
الاسطول السادس الامريكي
البحر الأبيض المتوسط
اضنه
الاسكندرونه
انطاكيه
حلب
اللاذقيه
بانياس
طرطوس
حماه
حمص
طرابلس
سوريا
بيروت
صيدا
دمشق
القنيطره
الجولان
حيفا
اسرائيل
درعا
صلخد
المفرق
تل ابيب / يافا
نابلس
الضفه الغربيه
عمان
القدس
غزه
الخليل
الكرك
بئر السبع
العريش
بور سعيد
الطفيله
الاسماعيليه
ممر الجدي
ممر متلا
السويس
معان
سيناء
مصر
العقبة
ايلات
الأردن
العراق
المملكة العربية السعودية
ارض ١٨٥ ميل
كيلومترات
اميال

الملحق « ١ »

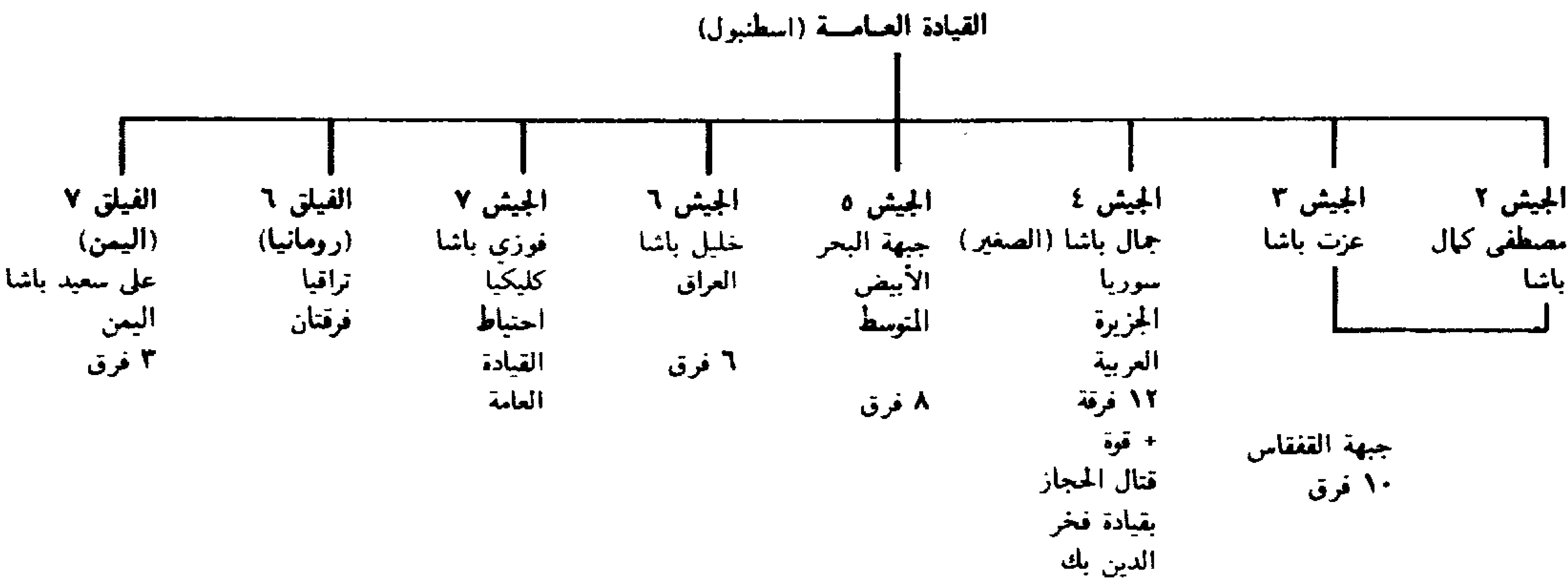
نظام معركة الجيش الهاشمي : أيلول ١٩١٦



* اختلفت المصادر في رتبة عزيز علي المصري فذكرت : مقدم في بعضها ورائد في بعض آخر .

الملحـق « ٢ »

نظام معركة الجيوش العثمانية : آب ١٩١٧

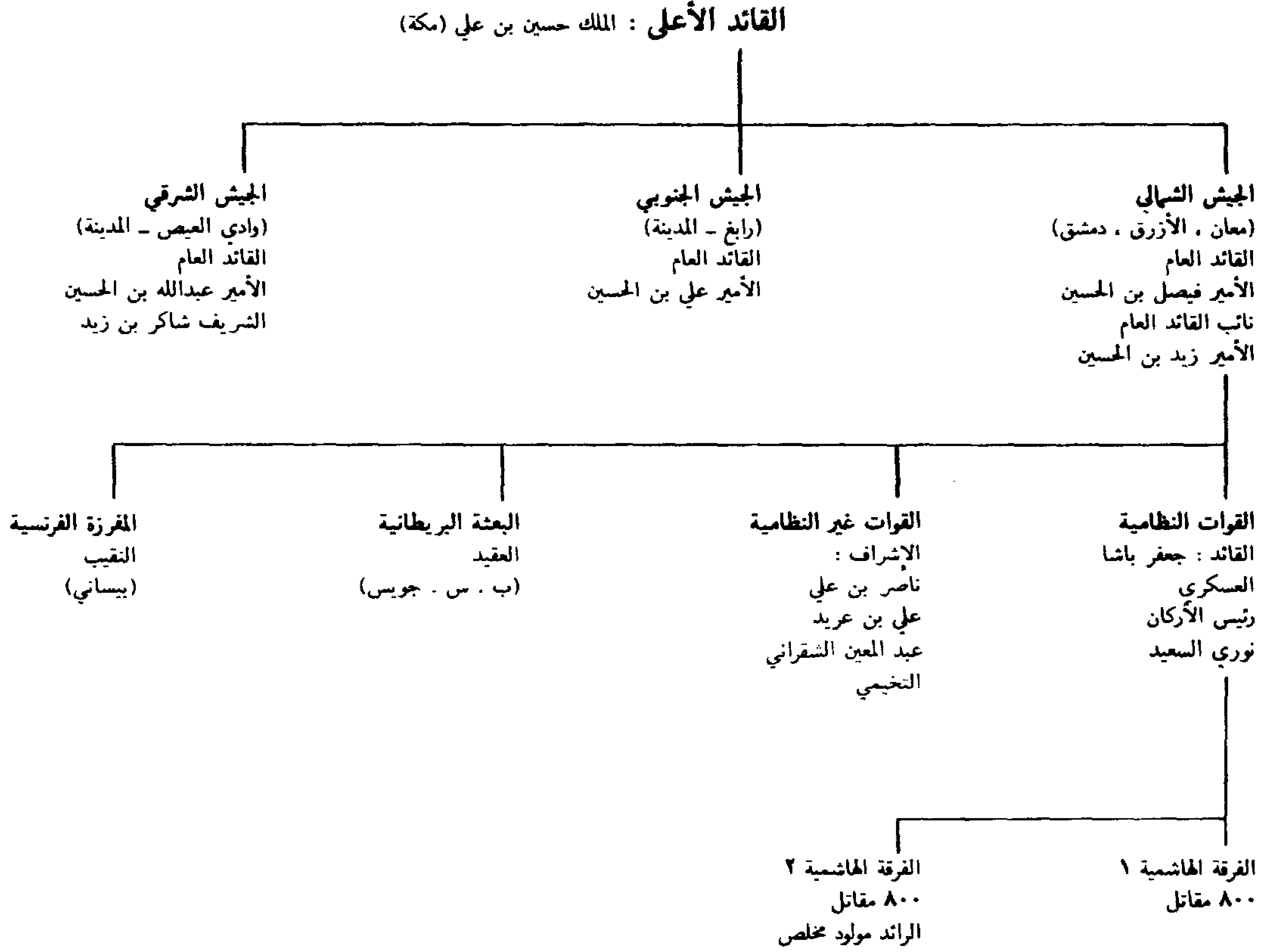


قوة الجيش العثماني عام ١٩١٧

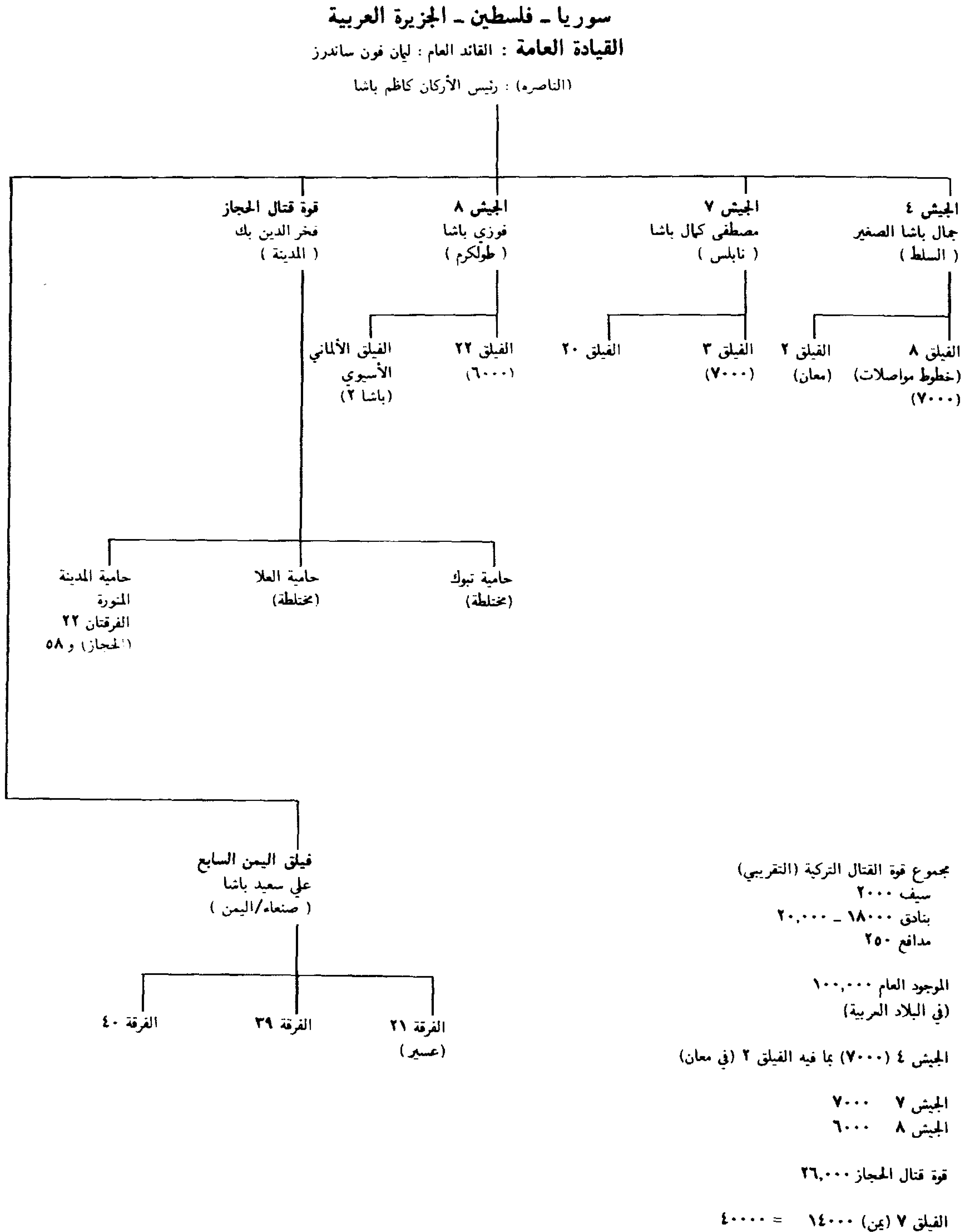
أ - العدد بعد اعلان التعبئة العامة مليون جندي
ب - القوات التركية المقاتلة جنوب جبال طوروس
(سوريا والجزيرة العربية) ١٠٠,٠٠٠ جندي

الملحق « ٣ »

نظام معركة الجيش العربي الهاشمي : أيلول ١٩١٨



نظام معركة الجيوش العثمانية في معركة مجدو : أيلول ١٩١٨



مجموع قوة القتال التركية (التقريبي)
سيف ٢٠٠٠
بنادق ١٨٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠
مدافع ٢٥٠

الموجود العام ١٠٠,٠٠٠
(في البلاد العربية)

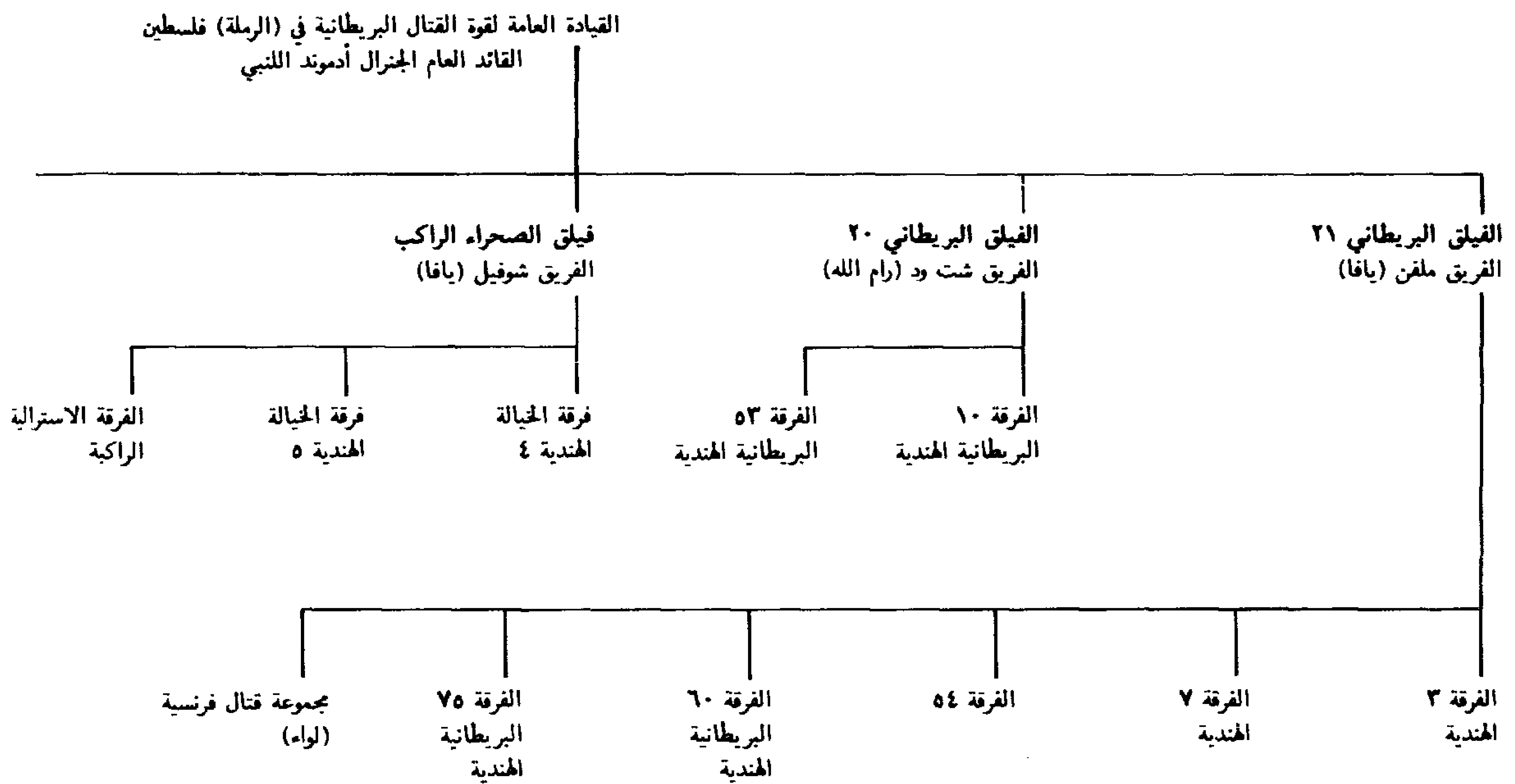
الجيش ٤ (٧٠٠٠) بما فيه الفيلق ٢ (في معان)

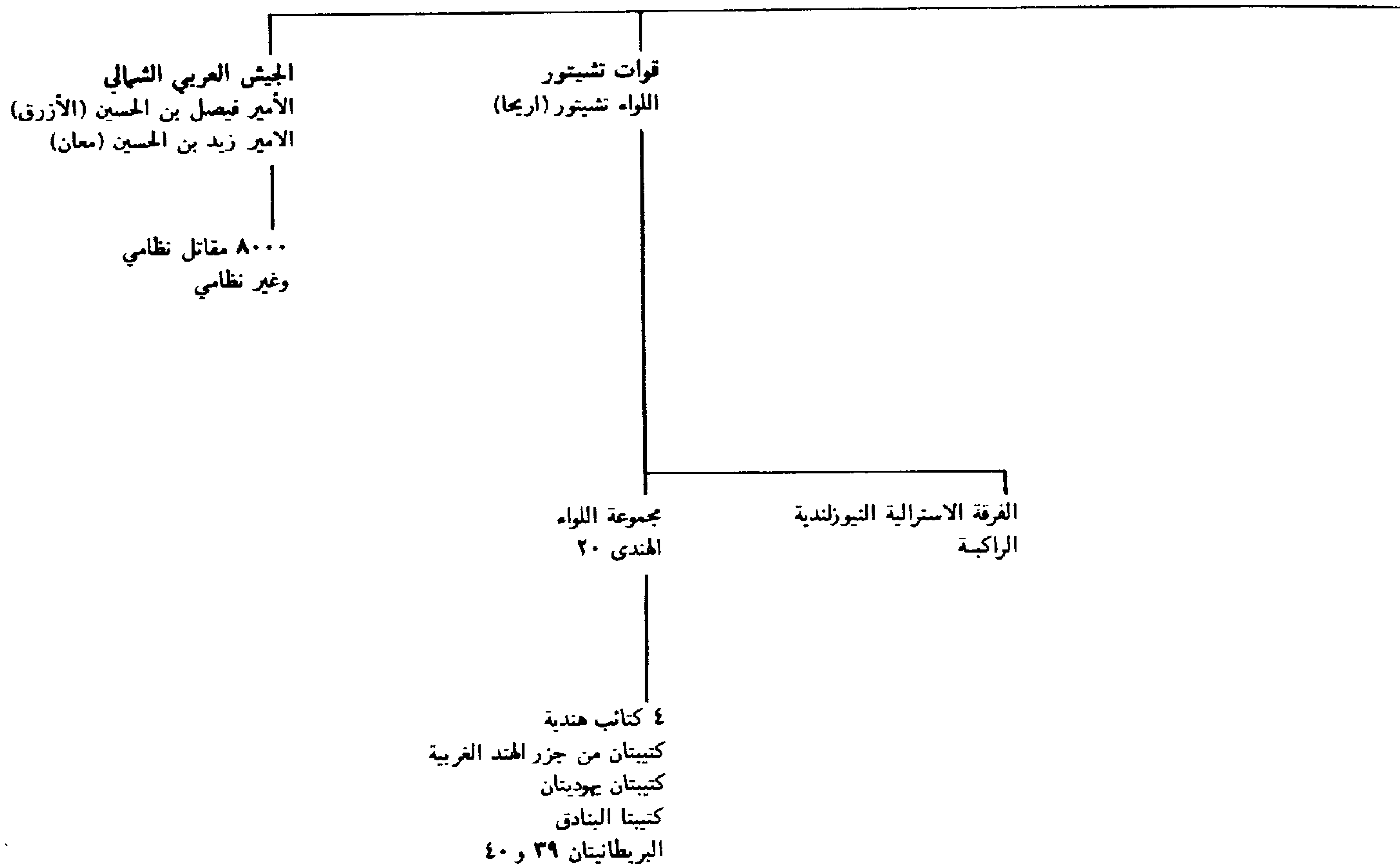
الجيش ٧ ٧٠٠٠
الجيش ٨ ٦٠٠٠

قوة قتال الحجاز ٢٦,٠٠٠

الفيلق ٧ (يمن) ١٤٠٠٠ = ٤٠٠٠٠

نظام معركة قوة القتال البريطانية (مصر) والجيش العربي الشمالي ، معركة مجدو : أيلول ١٩١٨





المجموع العام للقوات ٣٤٠,٠٠٠
القوات المقاتلة : ١٢٠٠٠ سيف
٥٧٠٠٠ بنادق
٥٤٠ مدفع

الملحـق « ٦ »

نظام معركة

القوات اليهودية (الهاغانا) في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨

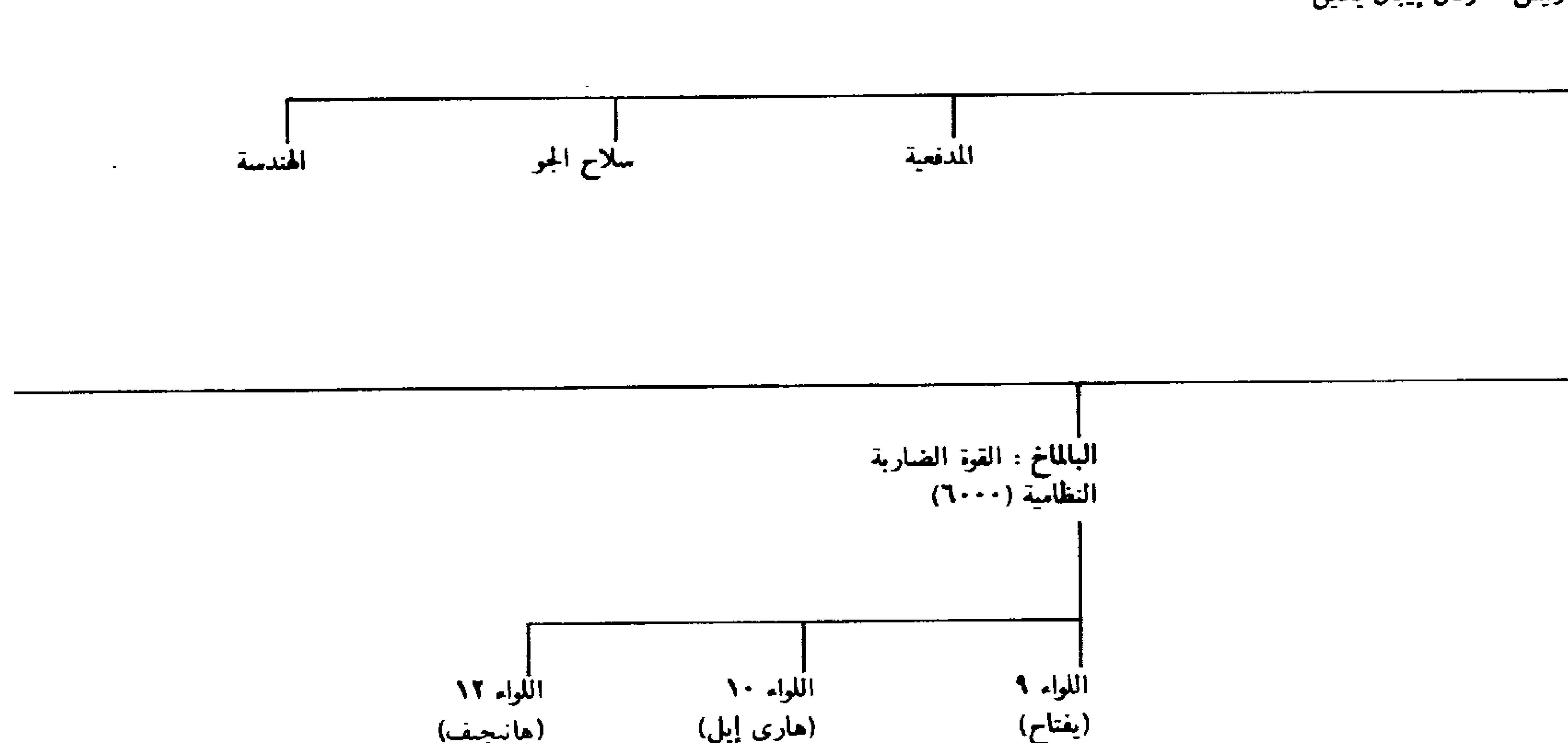
الهاغانا ٣٠,٠٠٠

حرس المستعمرات (الثابت ٢٥٠٠٠ = ٣٥,٠٠٠)

القيادة العامة

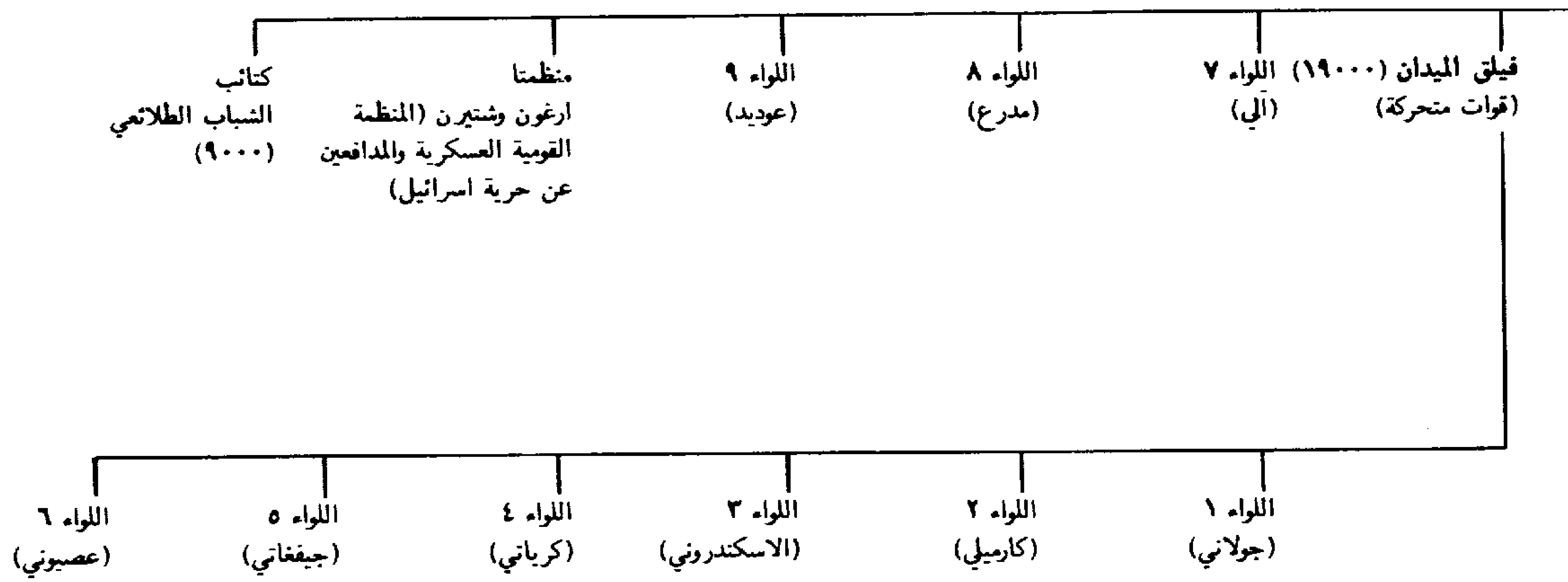
رئيس الأركان ياكوف دوري

نائب رئيس الأركان إيجال يادين



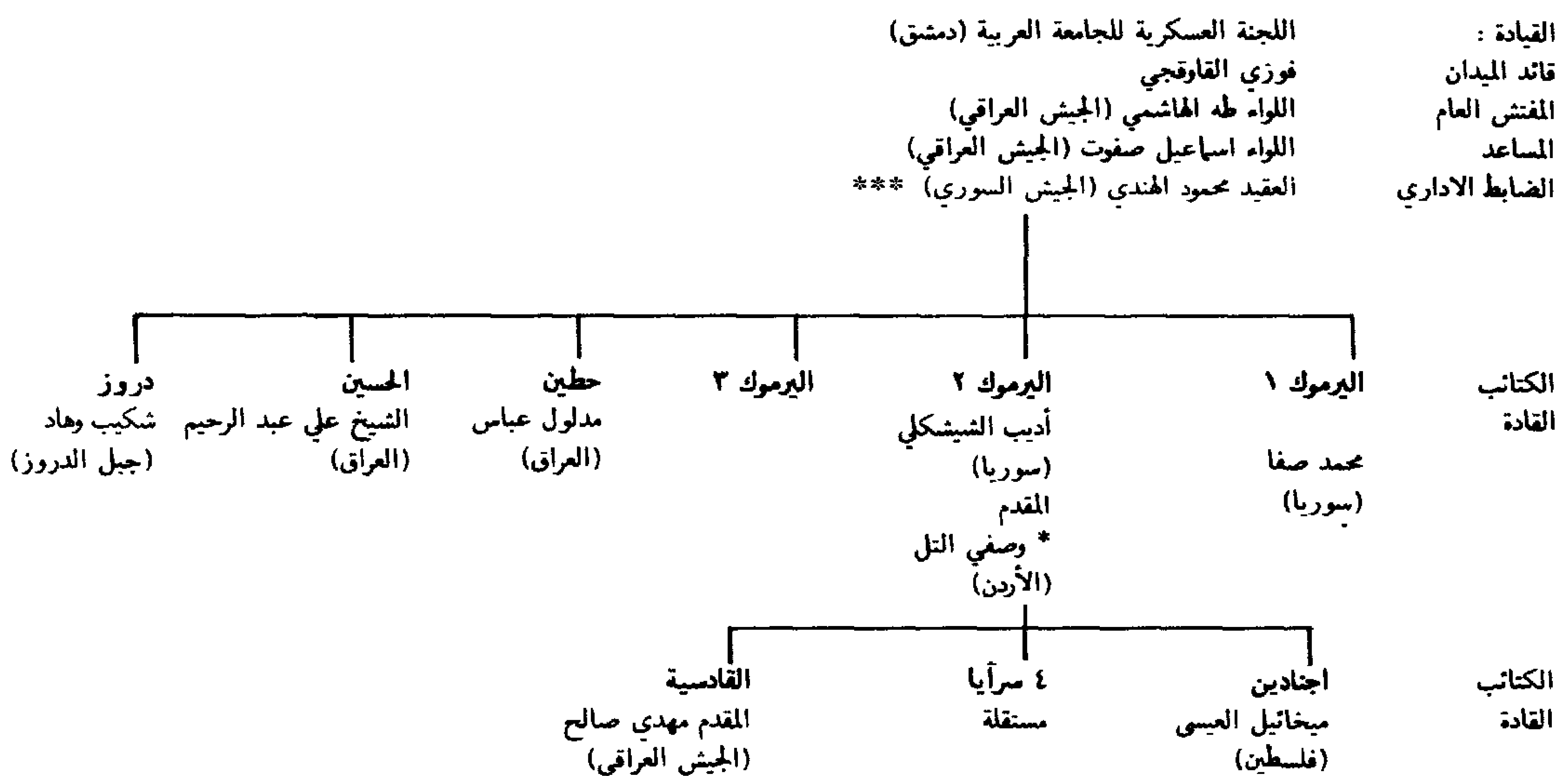
القوة المقاتلة ، عدد السكان ٦٥٠,٠٠٠

أ	قوات الخط الأول (البالماخ وقوات الميدان المتحركة)	٣٠,٠٠٠
ب	قوات الخط الثاني (حرس المستعمرات والقوات الثابتة)	٣٠,٠٠٠
جـ	شرطة المستعمرات والحدود	١٥,٥٠٠
د	المنظمة القومية العسكرية (الارغون)	٣,٠٠٠
هـ	منظمة المدافعين عن حرية اسرائيل (شتيرن)	٥٠٠
و	الشباب الطلائعي	٩,٠٠٠
	المجـموع	٨٨,٠٠٠

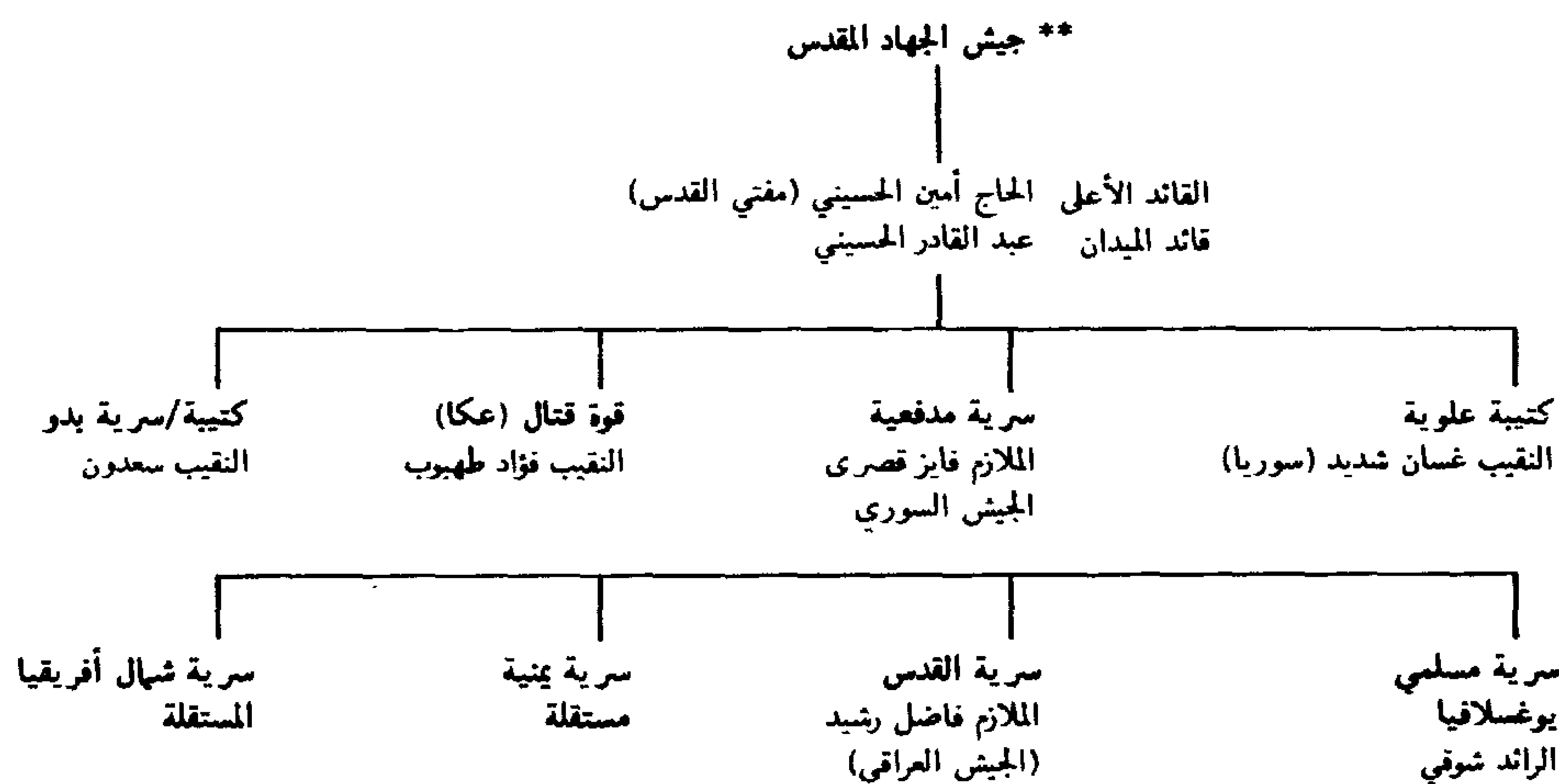

فيلق الميدان (١٩٠٠٠)
(قوات متحركة)
اللواء ٧
(آلي)
اللواء ٨
(مدرع)
اللواء ٩
(عوديد)
منظمتا
ارغون وشتيرن (المنظمة
القومية العسكرية والمدافعين
عن حرية اسرائيل)
كتائب
الشباب الطلائعي
(٩٠٠٠)
اللواء ١
(جولاني)
اللواء ٢
(كارميلي)
اللواء ٣
(الاسكندروني)
اللواء ٤
(كرياتي)
اللواء ٥
(جيفغاتي)
اللواء ٦
(عصيوني)

نظام معركة جيش الانقاذ العربي وجيش الجهاد المقدس
الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨

جيش الانقاذ العربـي



القوة القتالية ٣٨٣٠ متطوع منهم (١٠٠٠ فلسطيني)

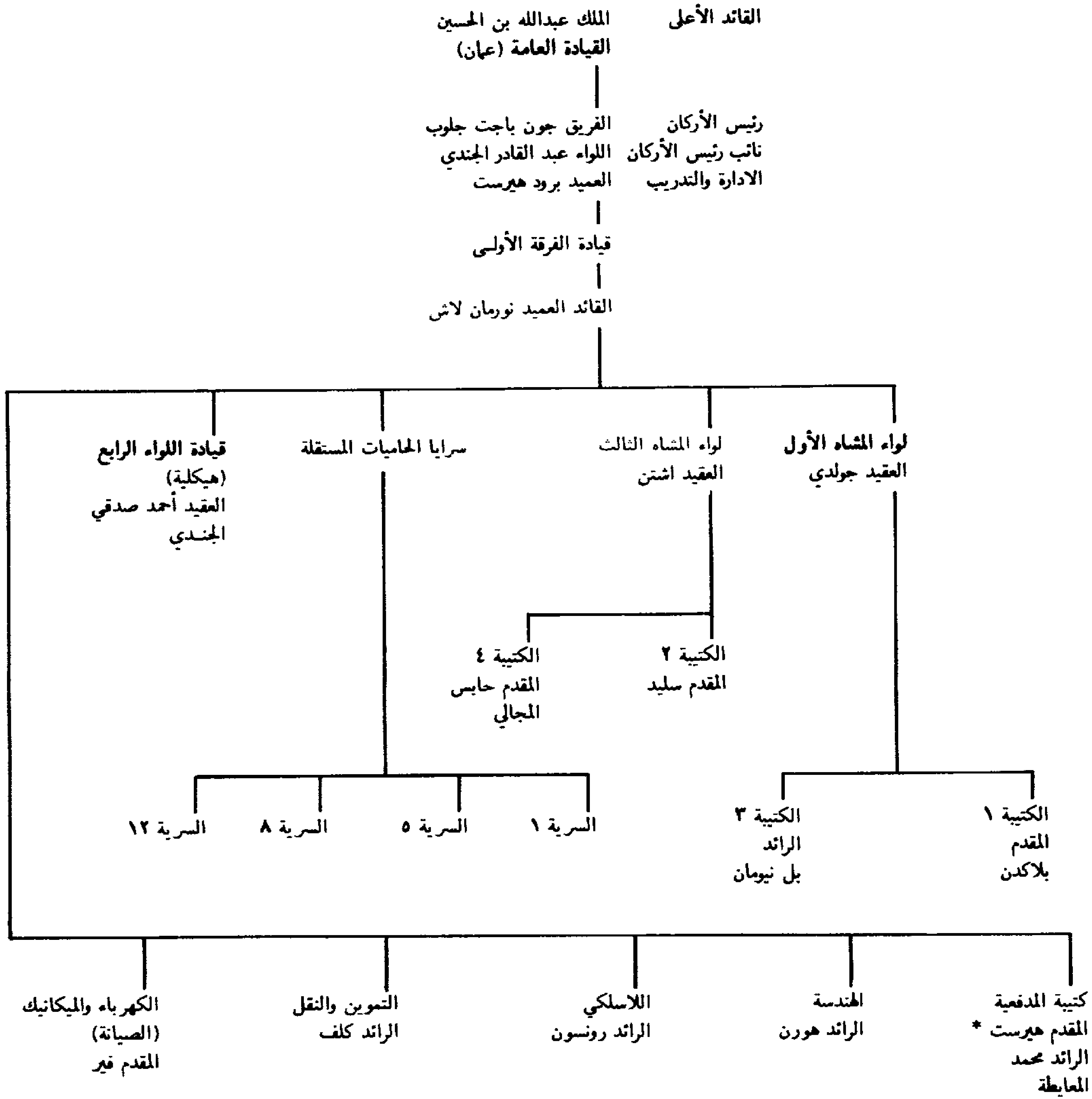


* أصبح رئيس وزراء الأردن عدة مرات كانت آخر مرة بعد حوادث الأمن الداخلي في أيلول ١٩٧٠ واغتيل في القاهرة في تشرين ثاني ١٩٧١

** يتألف جيش الجهاد المقدس من الفلسطينيين وبلغت قوته القتالية من ٥٠٠٠ - ٧٠٠٠ مجاهد . برئاسة المفتي الحاج ابن الحسيني .

*** العقيد محمود الهندي أورده المؤلف (الهريدي) .

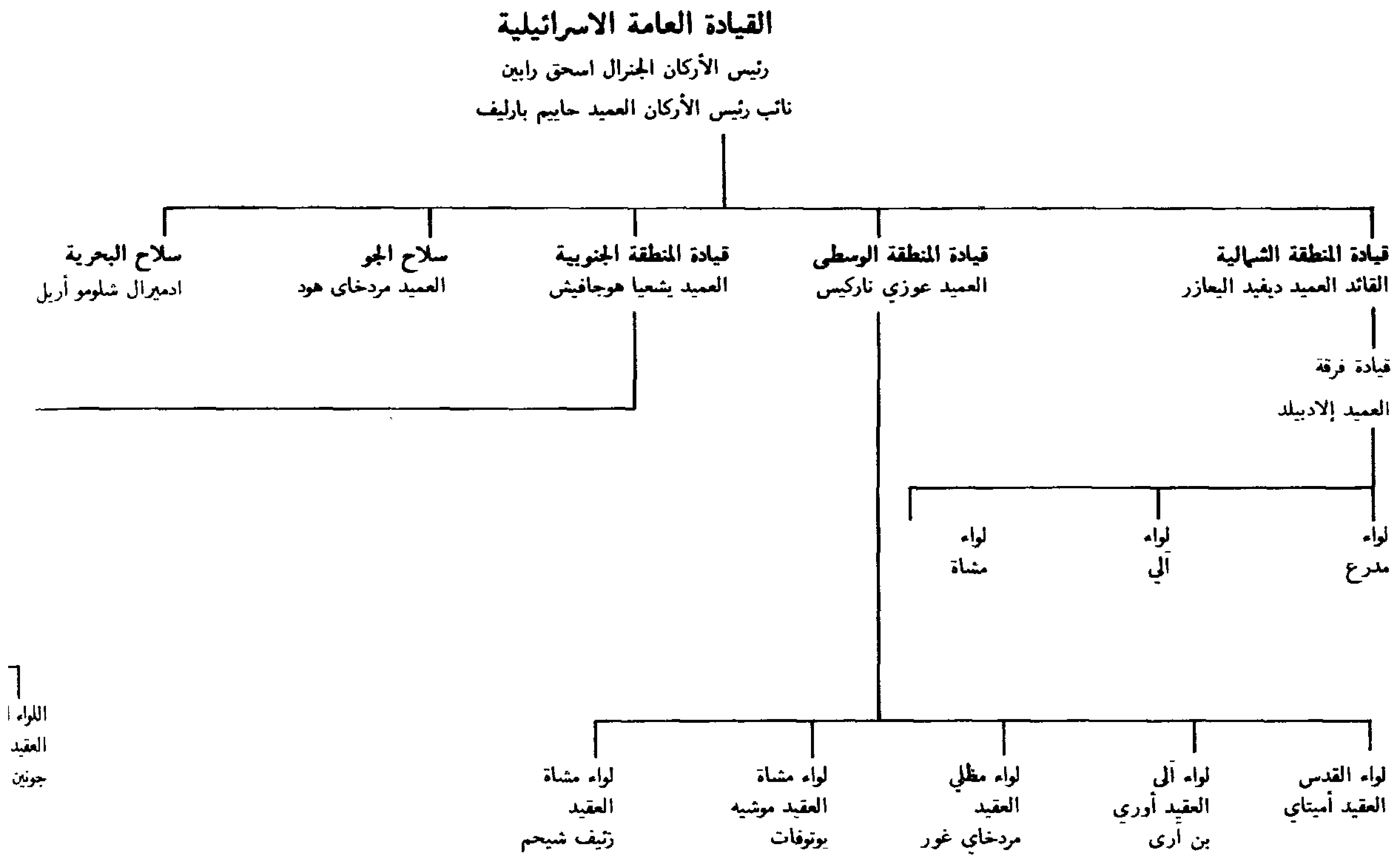
نظام معركة
الجيش العربي الأردني في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى ١٩٤٨



ملاحظة : شكلت الكتيبتان الخامسة والسادسة في حزيران ١٩٤٨
من سرايا الحاميات المستقلة والمجندين الجدد الذين التحقوا بالخدمة الفعلية

* كان المقدم هيرست يعمل مستشاراً مدفعيًا لقائد الفرقة .

نظام معركة
القوات الاسرائيلية في الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة : حزيران ١٩٦٧



القوة القتالية

أ) مجمل الجيش الاسرائيلي ٢٧٥,٠٠٠ - ٣٠٠,٠٠٠ بعد اعلان التعبئة العامة

ب) الألوية : مدرعة ١١

مظلية ٤

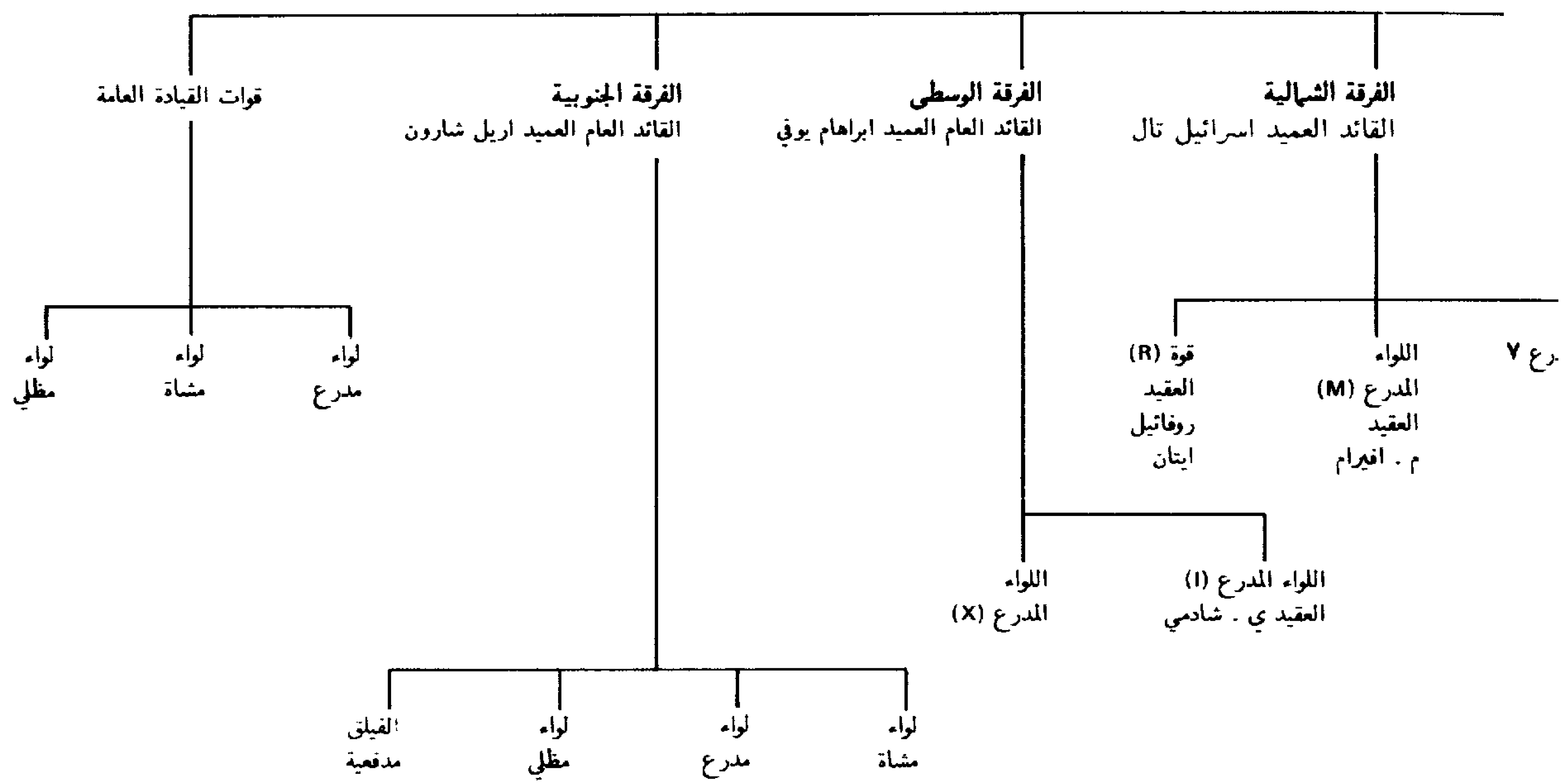
مشاة ١١ ٢٦

جـ) الطائرات المقاتلة ١٩٧

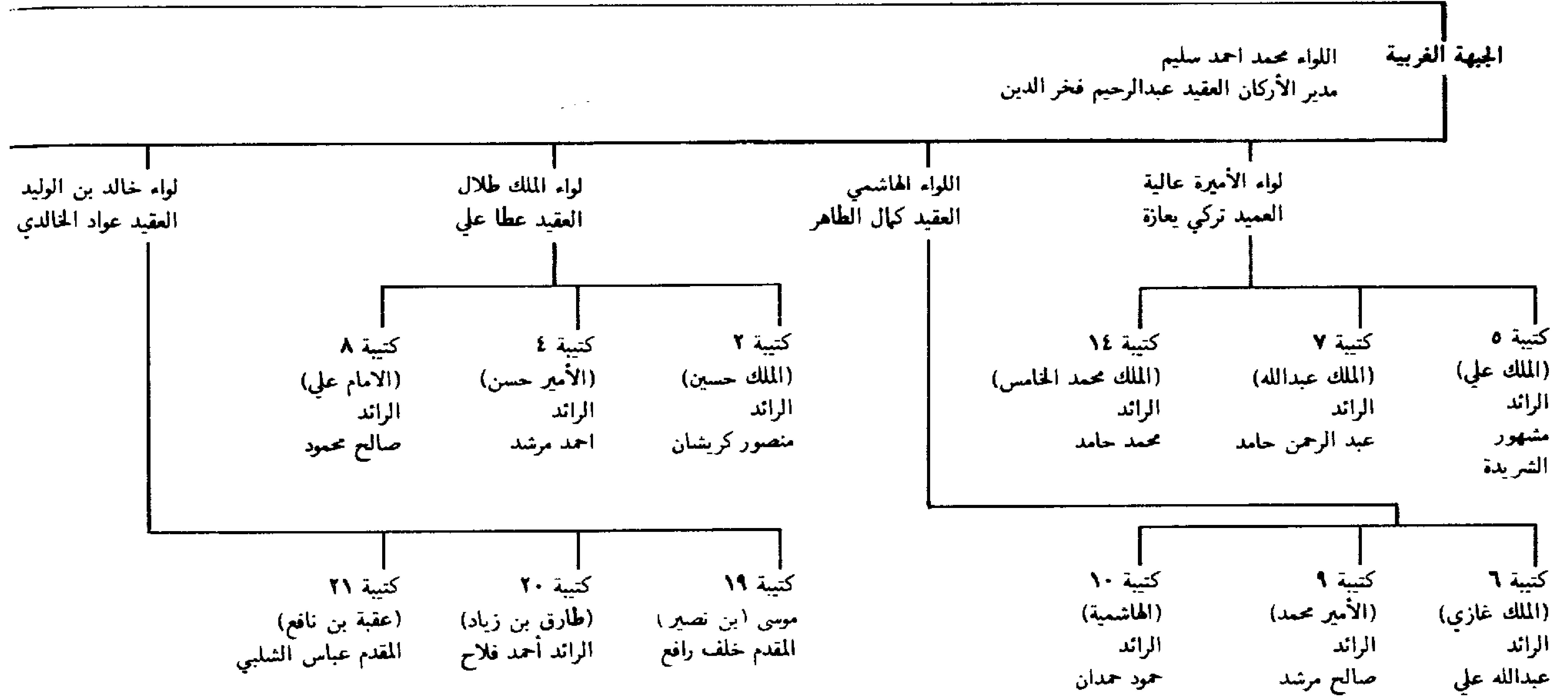
مناطق العمليات

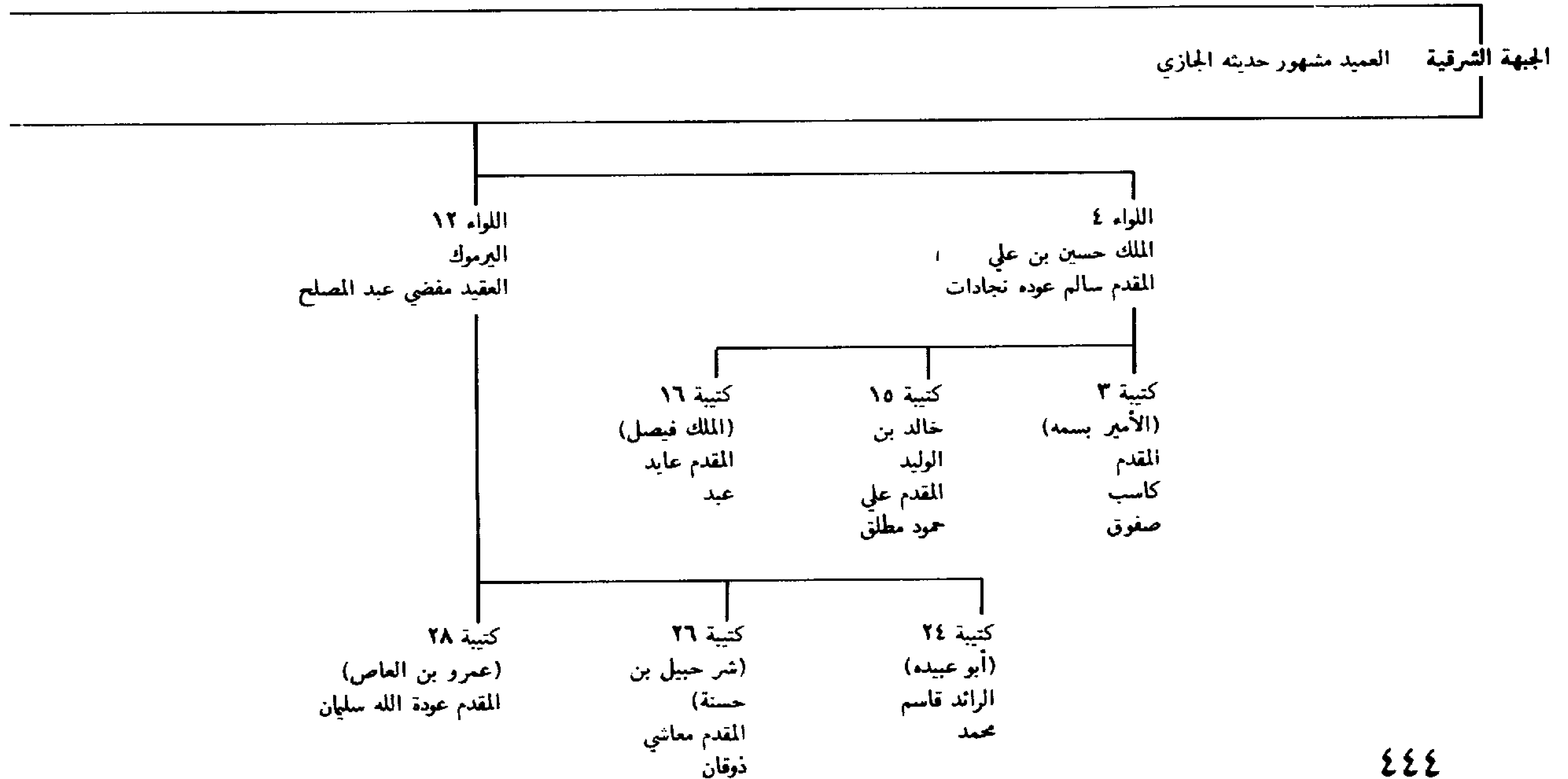
أ) المنطقتان الشمالية والوسطى : الأردن وسوريا

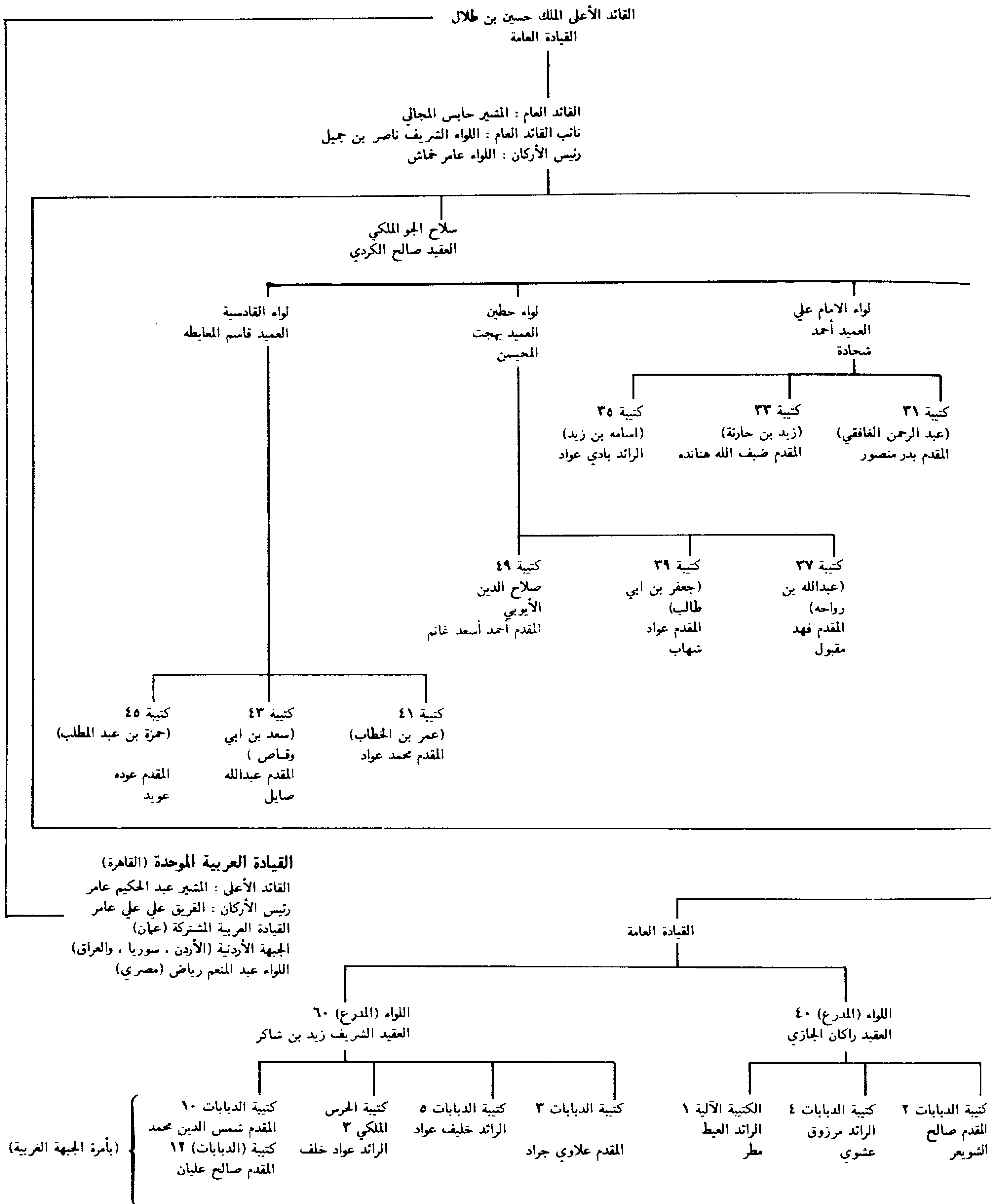
ب) المنطقة الجنوبية : مصـــر


الفرقة الشمالية
القائد العميد اسرائيل تال
رع ٧
اللواء
المدرع (M)
العقيد
م . افيرام
قوة (R)
العقيد
روفائيل
ايتان
الفرقة الوسطى
القائد العام العميد ابراهام يوفي
اللواء المدرع (I)
العقيد ي . شادمي
اللواء
المدرع (X)
الفرقة الجنوبية
القائد العام العميد اريل شارون
لواء
مشاة
لواء
مدرع
لواء
مظلي
الفيلق
مدفعية
قوات القيادة العامة
لواء
مدرع
لواء
مشاة
لواء
مظلي

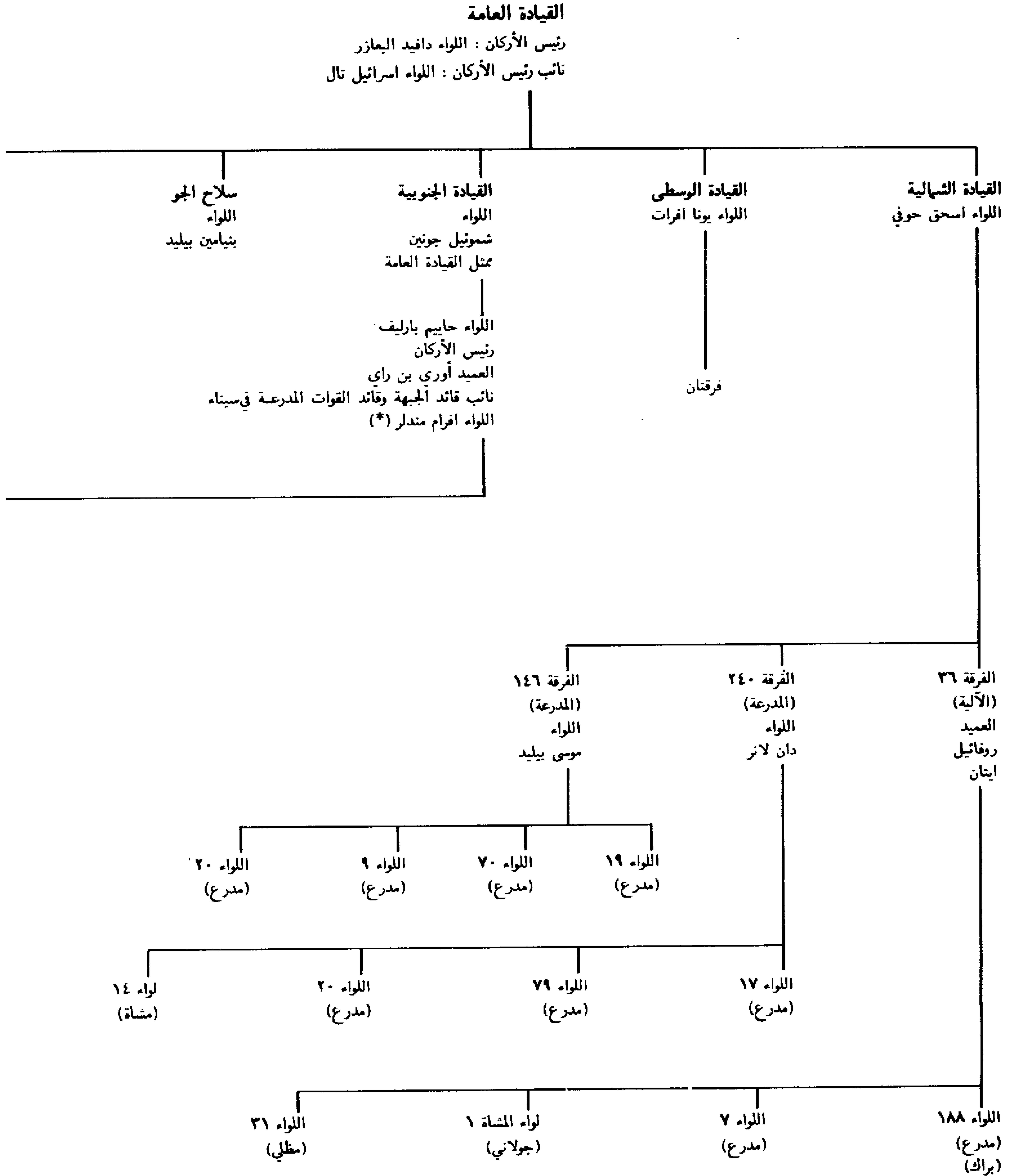
نظام معركة
الجيش العربي الأردني في الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة حزيران ١٩٦٧






القائد الأعلى الملك حسين بن طلال
القيادة العامة
القائد العام : المشير حابس المجالي
نائب القائد العام : اللواء الشريف ناصر بن جميل
رئيس الأركان : اللواء عامر خماش
سلاح الجو الملكي
العقيد صالح الكردي
لواء الامام علي
العميد أحمد
شحادة
لواء حطين
العميد بهجت
المحيسن
لواء القادسية
العميد قاسم المعايطه
كتيبة ٣١
(عبد الرحمن الغافقي)
المقدم بدر منصور
كتيبة ٣٣
(زيد بن حارثة)
المقدم ضيف الله هنانده
كتيبة ٣٥
(اسامه بن زيد)
الرائد بادي عواد
كتيبة ٣٧
(عبدالله بن
رواحه)
المقدم فهد
مقبول
كتيبة ٣٩
(جعفر بن ابي
طالب)
المقدم عواد
شهاب
كتيبة ٤٩
صلاح الدين
الأيوبي
المقدم أحمد أسعد غانم
كتيبة ٤١
(عمر بن الخطاب)
المقدم محمد عواد
كتيبة ٤٣
(سعد بن ابي
وقاص)
المقدم عبدالله
صايل
كتيبة ٤٥
(حمزة بن عبد المطلب)
المقدم عوده
عويد
القيادة العربية الموحدة (القاهرة)
القائد الأعلى : المشير عبد الحكيم عامر
رئيس الأركان : الفريق علي علي عامر
القيادة العربية المشتركة (عمان)
الجبهة الأردنية (الأردن ، سوريا ، والعراق)
اللواء عبد المنعم رياض (مصري)
القيادة العامة
اللواء (المدرع) ٤٠
العقيد راكان الجازي
اللواء (المدرع) ٦٠
العقيد الشريف زيد بن شاكر
كتيبة الدبابات ٢
المقدم صالح
الشويعر
كتيبة الدبابات ٤
الرائد مرزوق
عشوي
الكتيبة الآلية ١
الرائد العبط
مطر
كتيبة الدبابات ٣
المقدم علاوي جراد
كتيبة الدبابات ٥
الرائد خليف عواد
كتيبة الحرس
الملكي ٣
الرائد عواد خلف
كتيبة الدبابات ١٠
المقدم شمس الدين محمد
كتيبة (الدبابات) ١٢
المقدم صالح عليان
(بأمرة الجبهة الغربية)

نظام معركة الجيش الاسرائيلي ، الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٣



سلاح البحرية
اللواء
(ب . تيم)

الفرقة (المختلطة) ١٤٦	الفرقة (المدرعة) ١٦٢	الفرقة (المدرعة) ١٤٣	الفرقة (المدرعة) ٢٥٢	الفرقة (المختلطة) ٤٤٠
عدد من الألوية **	٥ ألوية مدرعة	٣ ألوية مدرعة	٤ ألوية مدرعة	٣ ألوية مشاة
لواء مشاة	١ لواء مظلي	١ لواء مظلي	١ لواء مشاة	(من الجولان ؟)
لواء آلي	١ لواء مشاة	١ لواء مشاة	العميد (كالمان ماجن)	
	العميد (افرام ادان)	اللواء اربل شارون		

قيـادة سينـاء

اللواء يشعيا هوجافيش
لواء مشاة عدد ٢

مناطق العمليات
١- القيادة الشمالية : سوريا والأردن
٢- القيادة الوسطى : الأردن
٣- القيادة الجنوبية : سيناء والسويس

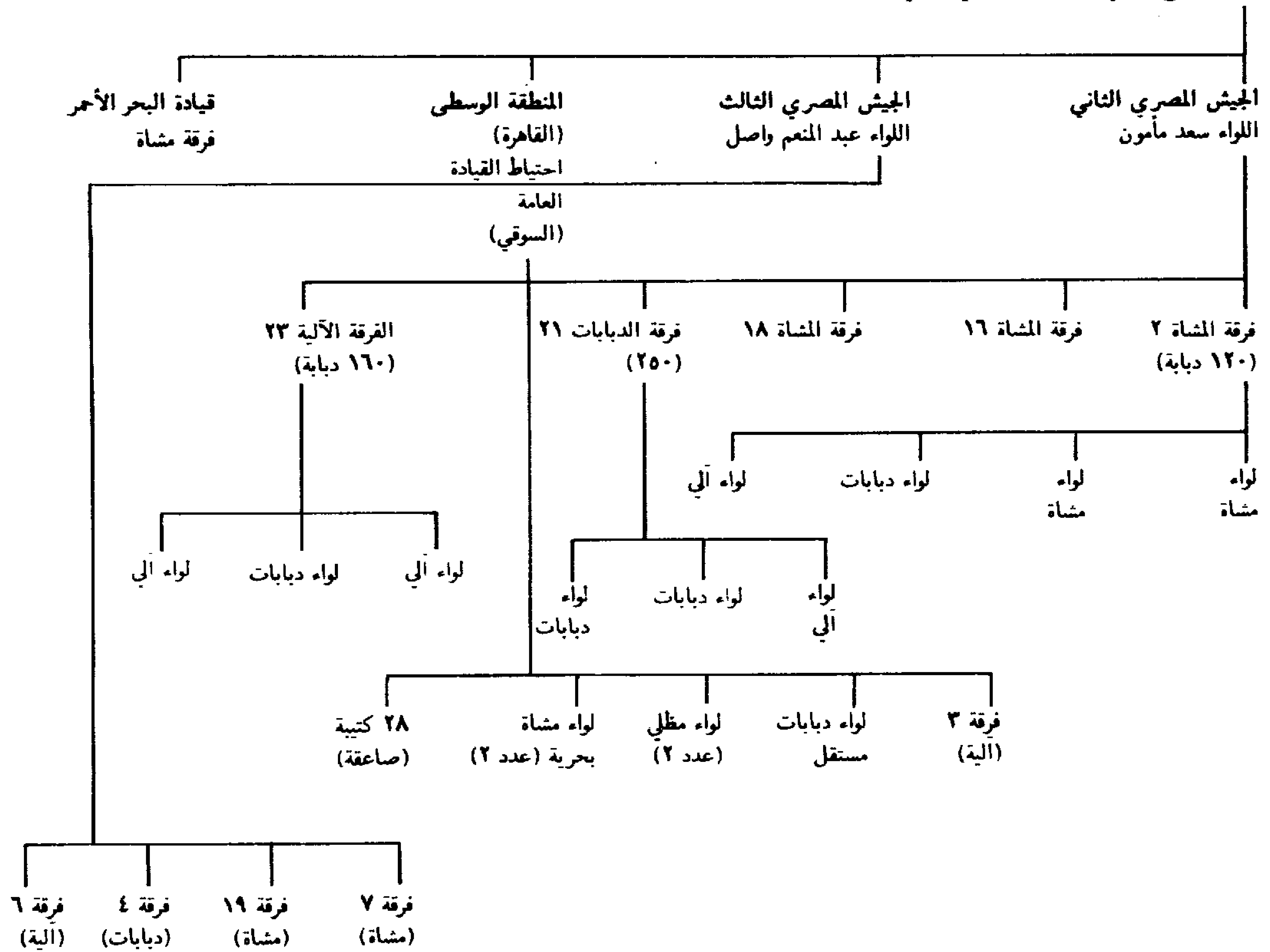
مجمل القوات الاسرائيلية
أ - بعد التعبئة العامة ـ ٣٧٥,٠٠٠
ب - عدد الألوية ـ ٣٠ (١٨ مدرع ، و ١٢ مشاة ، آلي ومظلي)
جـ - عدد الطائرات المقاتلة ٤٠٦

* اللواء مندلر قتل في الحرب
** تتبدل الألوية في الجبهات بين القيادات حسب ظروف القتال

الملحق « ١٢ »

نظام معركة
القيادة العربية الموحدة ، الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة تشرين الأول ١٩٧٣

جبهة السويس (الجنوبية) . أ
القائد الأعلى : الرئيس أنور السادات
القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية (القاهرة)
وزير الحربية/القائد العام : المشير أحمد اسماعيل علي
رئيس الأركان : اللواء سعد الدين الشاذلي
مدير العمليات الحربية : اللواء محمد عبد الغني الجمصي
قائد سلاح الجو : اللواء حسني مبارك
قائد سلاح البحرية : اللواء احمد فؤاد ذكري
قائد الدفاع الجوي : اللواء محمد علي فهمي



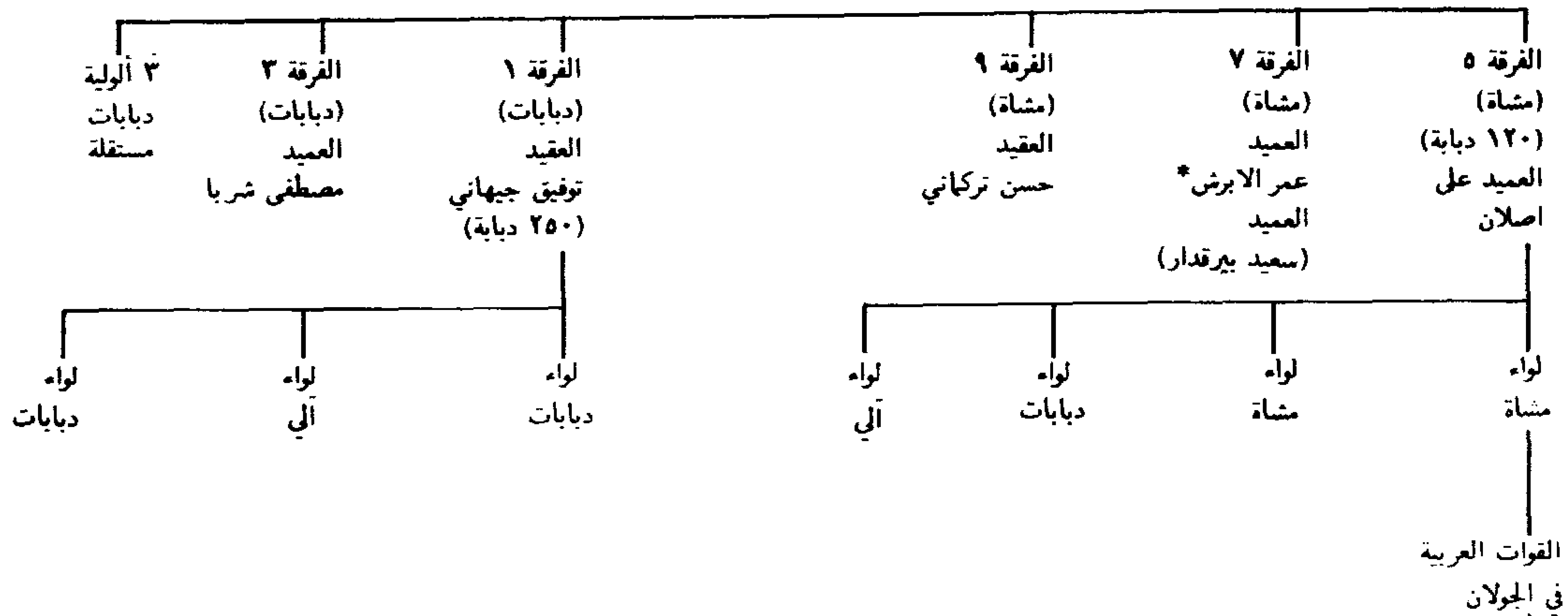
قوات دول المواجهة :	الاجمالي	دبابات	مدفعية	دفاع جوي	صواريخ	طائرات مقاتلة
١- القوات المسلحة المصرية	٣٣٠,٠٠٠	٢٢٠٠	٢٣٠٠	سام ٢ ، ٣ ، ٦	أرض ـ أرض سكاد وفروق	٤٥٠
٢- القوات المسلحة السورية	١٣٥٠٠٠	١٥٠٠	١٢٠٠	سام ٢ ، ٣ ، ٦	سكاد وفروق	٣٥٠
٣- القوات المسلحة الأردنية	٧٥٠٠٠	٥٠٠	*	—	—	٥٠
القوات المسلحة الاسرائيلية	٣٧٥٠٠٠	١٧٠٠	٥٥٠	هوك/شبرال فولكان	لانس أريحا	٤٠٦

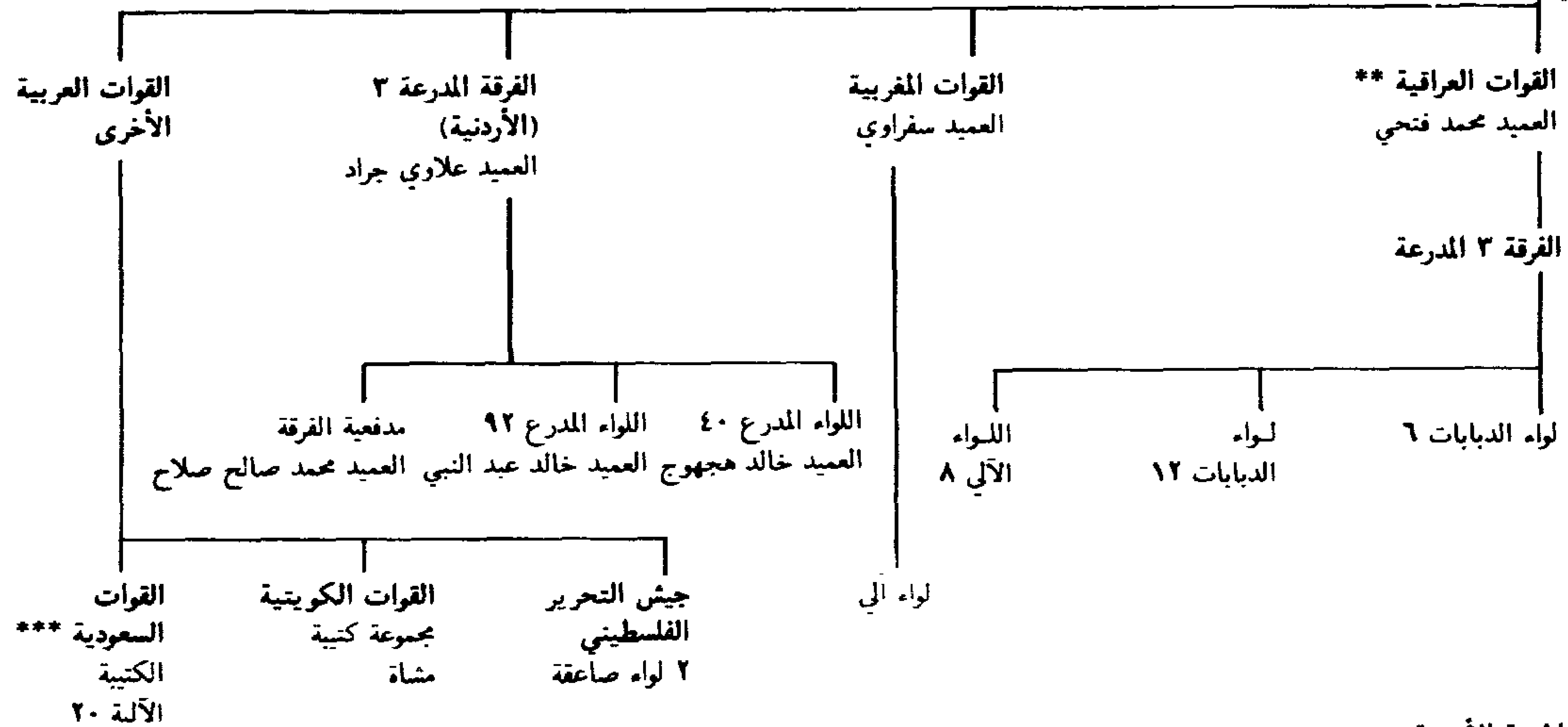
* كان لدى الأردن نحو ٢٥٠ مدفع مختلف العيارات ـ المعرب .

هيئة العمليات المشتركة (القاهرة)
رئيس هيئة الأركان : اللواء بهاء الدين نوفل

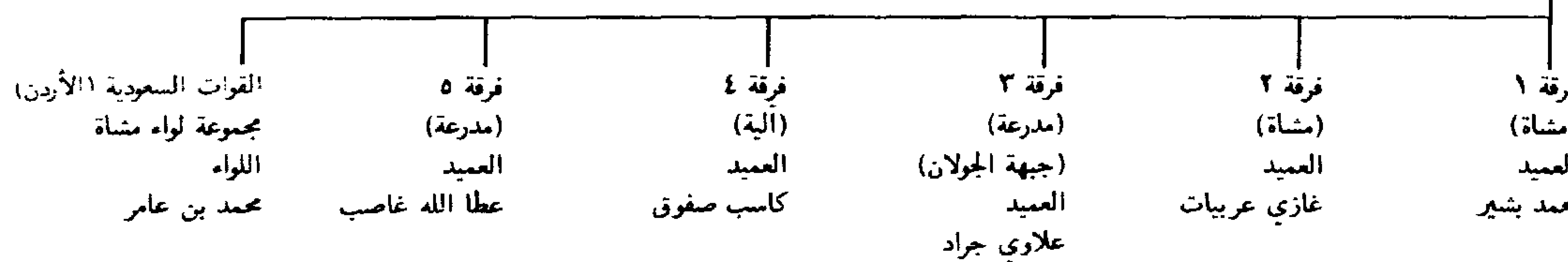
جبهة الجولان
القائد الأعلى : الرئيس حافظ الاسد

القيادة العامة للقوات المسلحة السورية : (دمشق)
وزير الدفاع : العماد مصطفى طلاس
رئيس الأركان : اللواء يوسف شكور
قائد سلاح الجو : اللواء ناجي جميل
قائد سلاح البحرية : العميد فضل حسين





الجبهة الأردنية
القائد الأعلى : الملك حسين بن طلال
القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية : (عمان)
القائد العام : المشير حابس المجالي
رئيس الأركان : اللواء الشريف زيد بن شاكر
مساعد رئيس هيئة الأركان للعمليات : اللواء سليمان قندح
مساعد رئيس هيئة الأركان للادارة : اللواء ماجد الحاج حسن
قائد سلاح الجو الملكي : العميد عبود سالم



* استشهد في المعركة   ** عززت بالفرقة المدرعة ٦ العراقية   *** عززت بكتيبة استطلاع وكتيبتي مشاة

نظام معركة الفرقة ٣ المدرعة الأردنية : جبهة الجولان في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٣

القيادة العامة

القائد العام : المشير حابس المجالي
رئيس الأركان : اللواء الشريف زيد بن شاكر

الفرقة ٣ المدرعة
القائد : العميد علاوي جراد
مدير الأركان : المقدم غالب عبد النبي

اللواء المدرع ٤٠
العميد خالد هجهوج

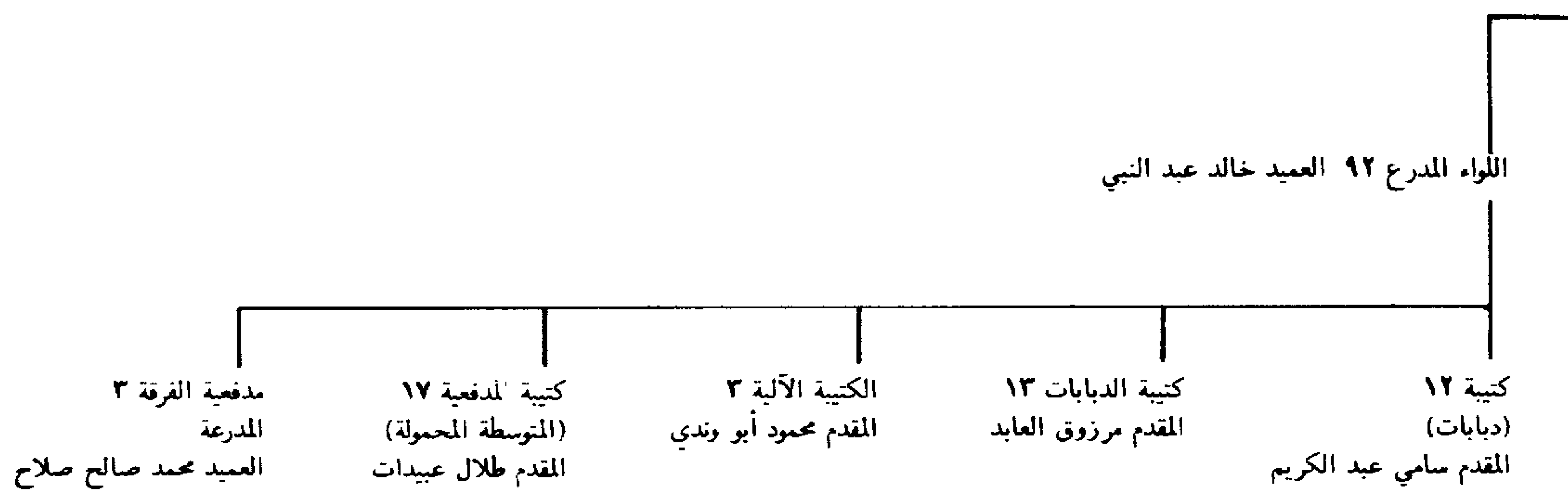
كتيبة ٢
(دبابات)
المقدم حامد محمد

كتيبة ٤
(دبابات)
المقدم محمود حماد

كتيبة ١
(آلية)
المقدم صالح حسين *
المقدم مفرح المعايطة

كتيبة المدفعية ٧
(المحمولة)
المقدم عبد الحليم شاكر

سرية هندسة
النقيب نصري نجيب



قوات الفرقة

كتيبة الهندسة ٥	المقدم حكم الروسان
كتيبة اللاسلكي	المقدم ناصر الطويل
كتيبة تموين ونقل الفرقة	المقدم صبري عبد القادر
الكتيبة الطبية	المقدم الطبيب عدنان قسوس
كتيبة الصيانة	الرائد : زهير قاقيش/بشارة قعوار

* جرح المقدم صالح في المعركة واستلم قيادة الكتيبة المقدم مفرح المعايطه

الملحق « ١٤ »

قادة القوات المسلحة الأردنية : ١٩١٦ ـ ١٩٧٧

القائد الأعلى

الشريف الحسين بن علي	١٩١٦ ـ ٢٤
الأمير عبدالله بن الحسين	١٩٢١ ـ ٥١
الملك طلال بن عبدالله	١٩٥١ ـ ٥٢
الملك حسين بن طلال	١٩٥٢ ـ

قادة جيوش الثورة العربية الكبرى في حرب التحرير : ١٩١٦-١٩ (الحرب العالمية الأولى)

الجيش العربي الشمالي	الأمير فيصل بن الحسين
نائب قائد الجيش العربي الشمالي	الأمير زيد بن الحسين
الجيش العربي الجنوبي	الأمير علي بن الحسين
الجيش العربي الشرقي	الأمير عبدالله بن الحسين

قادة/رؤساء أركان الجيش العربي الأردني : ١٩٢٣ ـ ٧٧

اللواء ف . ج بيك	رئيس أركان : كانون الثاني ١٩٢٣ ـ أيار ١٩٣٩
الفريق جون باجت جلوب	رئيس أركان : حزيران ١٩٣٩ ـ آذار ١٩٥٦
اللواء راضي حسن عناب	رئيس أركان : آذار ١٩٥٦ ـ أيار ١٩٥٦
اللواء علي عبد القادر أبو نوار	رئيس أركان : أيار ١٩٥٦ ـ نيسان ١٩٥٧
الفريق علي أحمد الحياري	رئيس أركان : نيسان ١٩٥٧ ، ١٩٦٩
الفريق عامر خماش	رئيس أركان : تشرين الأول ١٩٦٧ ـ حزيران ١٩٦٩
الفريق مشهور حديثه الجازي	رئيس أركان : حزيران ١٩٧٠ ـ أيلول ١٩٧٠
الفريق محمد خليل عبد الدايم	رئيس أركان : تشرين الأول ١٩٧٠ ـ آذار ١٩٧٢
الفريق محمد أدريس	رئيس أركان : كانون الثاني ١٩٧٦ ـ ١٩٧٩
الفريق قاسم المعايطة	نائب القائد العام : تشرين الأول ١٩٧٠ ـ حزيران ١٩٧٣
اللواء الشريف ناصر بن جميل	نائب قائد عام/قائد عام ٦٧ : حزيران ١٩٦٩ ـ حزيران ١٩٧٠
المشير حابس المجالي	رئيس أركان/قائد عام ١٩٥٧ ـ ٦٧ ، ١٩٧٠ـ ١٩٧٦
الفريق الشريف زيد بن شاكر	رئيس أركان/قائد عام ١٩٧٢ ـ ٧٦ ، ١٩٧٦ ـ

قادة سلاح الجو الملكي الأردني

قائد الجناح جون ديفريل	١٩٤٨
الرائد ـ ف . ج بيكري	١٩٤٨ ـ ٥٠
المقدم ـ و . هـ . فشر	١٩٥٠ ـ ٥٣
المقدم ـ جون دلاقليش	١٩٥٣ ـ ٥٦
المقدم ـ دوبري ـ بل	١٩٥٦
الرائد (اللواء) ـ ابراهيم عثمان	١٩٥٦ ـ ٦٢
الرائد ـ جريس مشربش	١٩٦٢
الرائد ـ سهل حمزه	١٩٦٢
الرائد (الفريق) صالح الكردي	١٩٦٢ ـ ٧١ و ١٩٧٦ ـ ٨٠
العميد ـ وليد شرف الدين	١٩٧١ ـ ٧٣
العميد ـ عبود سالم حسن	١٩٧٣ ـ ٧٦

قادة البحرية الملكية الأردنية (خفر السواحل)*

المقدم سليمان هلال الجلامدة	١٩٥٤ ـ ٦٤
الرائد فؤاد سلامة حداد	١٩٦٤ ـ ٦٧
المقدم كمال اسلام	١٩٦٧ ـ

* التسمية الرسمية : خفر السواحل (المترجم)

كلمة شكر من المؤلف

في سبيل إعداد هذا الكتاب وإخراجه إلى حيز الوجود وما يشتمل عليه من تأكيد على تاريخ الهاشميين السياسي والعسكري . أشعر أنني مدين بالشكر لعدد من الأشخاص والمؤسسات الذين ساعدوا بطرق مختلفة في مادة البحث أو الاطلاع على ما يتوفر لديهم من مجموعات (صور ومخطوطات) أو بتوجيه النصيحة . وبدون هذه النصيحة وتعاونهم كنت سأواجه صعوبة في كتابة هذا الكتاب . وإنني أتحمل شخصياً مسؤولية سوء تفسير أو فهم أي شيء قدموه في هذا المجال .

من الذين ساهموا في فهمي للدوافع والحوافز الرئيسية التي فجرت الثورة العربية وأيقظت الأمة العربية من سباتها ونمو وتطور الجيش العربي الهاشمي كان ، الأمير رعد بن زيد (نجل الأمير زيد بن الحسين) كبير الأمناء في البلاط الملكي الهاشمي ، الفريق الركن عامر خماش (وزير البلاط الملكي الهاشمي ورئيس أركان القوات المسلحة الأردنية (١٩٦٧ ـ ١٩٦٩) ، الفريق الركن الشريف زيد بن شاكر (القائد العام للقوات المسلحة الأردنية) ، اللواء راضي عناب رئيس أركان القوات المسلحة الأردنية (١٩٥٦) ، اللواء ماجد الحاج حسن مساعد رئيس هيئة الأركان للادارة (١٩٧٢ ـ ١٩٧٥) ، العقيد محمود القضاه ، العقيد عدنان الداغستاني مدير التوجيه المعنوي في القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية ، الدكتور عدنان البخيت من دائرة التاريخ في الجامعة الأردنية والسيد سليمان موسى من وزارة الاعلام الأردنية .

وأشكر أيضاً وهيب بك من موظفي السفارة الأردنية في أنقرة ـ تركيا الذي رافقني في رحلة ميدانية عبر تركيا من غاليبولي إلى الأسكندرونة وغازي عينتاب على الحدود السورية . وقد كان دليلاً جيداً لي وكان لتعليقاته الأناضولية اللاذعة على معارك غاليبولي وفلسطين وسوريا والعراق وقعها العظيم والمباشر ، ولكنها للأسف غير قابلة للنشر .

وأشكر بشكل خاص العقيد المتقاعد عبد المجيد الجزازي (مدير صرح الشهيد سابقاً) الذي عمل معي عن كثب وكان المستشار والمترجم لجميع المعلومات والمستمدة من مصادر ووثائق عربية رسمية . ولمحمود آدم من الجامعة الأردنية الذي رسم خرائط الكتاب متحلياً بالصبر والمثابرة ، والرقيب محمود خليفة (بني صخر) من الجيش العربي الذي قاد السيارة التي اجتزنا بها آلاف الأميال عبر سوريا والأردن والحجاز من المسلمية في الشمال إلى أبها وعسير في الجنوب ، والوكيل محمد إقبال من الجيش الباكستاني على طباعته مئات الصفحات المكتوبة بخط اليد متحلياً بالصبر وروح المرح ، وقد وصلت في مجموعها إلى ما يزيد عن (٤٥٠,٠٠٠) كلمة .

وكلمة شكر خاصة أوجهها إلى صهري (زوج ابنتي) السيد طاهر عصفور من الأردن لوصفه حالة الأردن خلال سنوات الاضطراب في الخمسينات كما بدت في عيني طالب عربي شاب ، وكذلك لوصفه كشاهد عيان لحوادث الأمن الداخلي في الأردن سنة ١٩٧٠ ، كان السيد عصفور قد

عاد إلى الأردن بعد أن أمضى ثماني سنوات في بريطانيا يدرس في (شلتنهام وجامعة نوتنغهام (NOTTINGHAM)) في أيلول ١٩٧٠ ليجد أن منزلهم في وسط عمان محاصر من قبل الجيش العربي نهاراً وحركة المقاومة ليلاً .

ومن المؤسسات الأردنية والدوائر الحكومية التي ساعدتني في مشروعي أود أن أشكر : الديوان الملكي الهاشمي ـ عمان ، والجمعية العلمية الملكية وذلك للتسهيلات المكتبية الممتازة ، كما أشكر القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية ، وسفارات المملكة الأردنية الهاشمية في أنقرة ، وفي دمشق ، وفي جدة ـ بالمملكة العربية السعودية وفي لندن ـ المملكة المتحدة .

ومن غير المؤسسات الأردنية أود أن أشكر القيادة العامة للقوات المسلحة السورية في دمشق لكرم الضيافة ومساعدتي في زيارة أرض المعركة في قطاع الجولان التي جرت عليها بعض معارك ـ رمضان (تشرين الأول ١٩٧٣) .

وفي بريطانيا أود أن أقدم شكري للدكتور س . هرودس النائب السابق لمدير المتحف الحربي الامبراطوري البريطاني ، للمساعدة والارشاد والنصح القيم الذي قدمه لي .

وأشكر بشكل خاص السيد سمكنز المؤرخ في مكتب البحث والمعلومات في المتحف الحربي الامبراطوري ـ لندن ، وزميله المؤرخ السيد مارتن هـ . برايس لقراءته مسودة الكتاب .

ولا يتم اعترافي بفضل المساعدة دون تقديم كلمة شكر خاص للمصمم الاستاذ الدكتور هربرت سبنسر والسيد جون تيلر مدير دار لند همفريز للنشر المحدودة ـ لندن لتعاونهم وتفهمهم لموقفي أثناء عملية طباعة وتصميم الكتاب . وأشكر السيد مايكل أوكيف الذي قرأ البروفات (الطبقات الأولية للكتاب) وغني عن القول أن الأفكار التي تم التعبير عنها في هذا الكتاب تخصني وحدي .

وأخيراً أود أن أقدم خالص شكري لسمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال لاهتمامه العميق وتشجيعه ومساندته التي لولاها لما خرج كتاب تاريخ الجيش العربي الهاشمي إلى النور . فبرغم مشاغله الرسمية الكثيرة كان سموه يجد الوقت من حين لآخر لمناقشة بعض الأمور المتعلقة بالكتاب .

كلمة شكر على الصور :

لقد احتوى هذا الكتاب العديد من الصور ذات العلاقة بمختلف الأحداث والمواضيع التي وردت فيه . وأود أن أتقدم بالشكر لمصادر هذه الصور وهي القصر الملكي العامر بعمان والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمان . ودار كاميرا برس والمتحف الحربي الامبراطوري وبوبر فوتو في لندن . والسيد باسيل مافرو ميخايلس واستوديو سميراميس واستوديو زهران بعمان وكذلك مديرية العلاقات العامة بالقيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية والمجموعة الشخصية من الصور الخاصة باللواء المتقاعد السيد راضي عناب ومديرية التوجيه المعنوي في القيادة العامة/عمان .

قائمة الصور :

الجزء الأول : بين صفحتي ٦٤ و ٦٥

٢١ - الأمير فيصل قائد الجيش العربي الشمالي . بدمشق في عام ١٩١٨ بعد لقائه مع الجنرال اللنبي .
٢٢ - قوة عربية نظامية بقيادة الشريف ناصر بن علي تمثل حرس المقدمة للجيش العربي الشمالي ولواء الخيالة الهندي ١٤ في محطة المسلمية .
٢٣ - قوات من لواء الخيالة الهندي ١٥ أثناء مرورها بشوارع حيفا بعد احتلالها يوم ٢٣ أيلول عام ١٩١٨ .
٢٤ - الجنرال اللنبي في حفل استقبال صهيوني في القدس يوم ٢٤ آيار عام ١٩١٨ .
٢٥ - مجموعة من الوطنيين السوريين مع ضباط من الجيش العربي الهاشمي ابان الحكم الفيصلي في دمشق عام ١٩١٩ .
٢٥ أ - الأمير عبدالله بن الحسين (جالساً) ومعه يونج ورونالد ستور واللواء عزيز المصري وولسون المعتمد البريطاني واللواء سيد علي باشا .
٢٥ب - الأمير فيصل جالساً في الوسط بين الكولونيل جويس (بريطاني) وجعفر باشا العسكري .
٢٥ج - الجيش الهاشمي الشرقي بقيادة الأمير عبدالله بن الحسين .

الجزء الثاني : بين صفحتي ١٢٨ و ١٢٩

٢٦ - الملك الحسين بن علي أثناء زيارته إلى عمان عام ١٩٢٤ .
٢٧ - الأمير عبدالله بن الحسين يستعرض بعض القوات الأردنية في عمان في أوائل عام ١٩٣٠ .
٢٨ - بعض ضباط الجيش العربي ، عام ١٩٢٩ .
٢٩ - سمو الأمير عبدالله بن الحسين أثناء افتتاح المجلس التشريعي يوم ١٩٤٠/١١/٢٣ .
٣٠ - مفرزة من قوات البادية قرب قصر الخرانة في الصحراء .
٣١ - رشاش مع حضيرته في سيارة من قوة البادية .
٣٢ - سرية خيالة (فرسان) أثناء قيامها بأعمال الدورية في الصحراء ، عام ١٩٤٠ .
٣٣ - سيارة مدرعة تتقدم مجموعة من دورية الصحراء .
٣٤ - مجموعة من ضباط الجيش العربي في عمان ، عام ١٩٤١ .
٣٥ - الأمير عبدالله بن الحسين والمندوب السامي هربرت صموئيل والشريف شاكر بن زيد .
٣٦ - الأمير عبدالله يستعرض بعض القوات العراقية أثناء زيارته للعراق ، عام ١٩٤١ .
٣٧ - بعض المجاهدين الفلسطينيين في مدينة القدس أثناء معركة أيار ، عام ١٩٤٨ .
٣٨ - بعض ضباط وأفراد الكتيبة ٥ من الجيش العربي في القدس في تموز ، عام ١٩٤٨ .
٣٩ - منظر بعد معركة اللطرون الثانية في تموز عام ١٩٤٨ .

٤٠ - الأمير عبدالله بن الحسين أثناء زيارته القدس ، عام ١٩٤٨ .
٤٠ أ - الأمير عبدالله بن الحسين وجلوب باشا .

الجزء الثالث : بين صفحتي ١٩٢ و ١٩٣

٤١ - الملك غازي بن فيصل ملك العراق . الملك طلال بن عبدالله ملك الأردن والأمير عبد الاله بن علي الوصي على عرش العراق .
٤٢ - الملك طلال بن عبدالله يستعرض ثلة من حرس الشرف من الجيش العربي في مطار عمان ، سنة ١٩٥١ .
٤٣ - الملك طلال بن عبدالله في مطار عمان ، سنة ١٩٥٢ .

الجزء الرابع : بين صفحتي ٢٨٨ و ٢٨٩

٤٤ - جلالة الملك حسين يتفقد حرس الشرف في عمان ، عام ١٩٥٦ .
٤٥ - الملك حسين يلقي كلمة في بعض الوفود التي أمت القصر الملكي لتعبر عن ولائها للعرش الهاشمي بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في نيسان عام ١٩٥٧ .
٤٦ - الفريق علي علي عامر أثناء زيارته التفقدية لأحد المواقع العسكرية في الضفة الغربية ، عام ١٩٦٦ .
٤٧ - رتل دبابات (م ـ ٤٧) من اللواء المدرع ٦٠ تتحرك إلى مواقعها في منطقة أريحا يوم ٢ حزيران ، عام ١٩٦٧ .
٤٨ - اللواء عامر خماش يتفقد مركز تدريب المجندين في الزرقاء .
٤٩ - جلالة الملك حسين يتفقد مواقع الفرقة الأولى (مشاة) بعد معركة الكرامة في آذار عام ١٩٦٨ .
٥٠ - الملك حسين يتفقد دبابة اسرائيلية على أرض معركة الكرامة في آذار عام ١٩٦٨ .
٥١ - سمو ولي العهد الأمير حسن يتفقد صاروخ « تو » ضد الدبابات في أحد مراكز التدريب .
٥٢ - قرية في محافظة أربد بعد تعرضها لغارة اسرائيلية أثناء حرب الاستنزاف (من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٠) .
٥٣ - الملك حسين يلقي كلمة في جنود وضباط الفرقة الآلية الرابعة أثناء حرب الحدود .
٥٤ - مجندو خدمة العلم (الأردنيون) في معسكر التدريب بالزرقاء عام ١٩٧٦ .

٥٥ - الملك حسين وبرفقته رئيس الوزراء وصفي التل وقائد الفرقة ٢ العميد عطا الله غاصب .
٥٦ - الملك حسين يتحدث إلى أفراد لواء الأمن بعد الحرب الأهلية عام ١٩٧٠ .
٥٧ - الملك حسين أثناء زيارته لقيادة الفرقة المدرعة الثالثة (الأردنية) في الجولان ، عام ١٩٧٣ .
٥٨ - قائد اللواء المدرع ٤٠ العميد خالد هجهوج قبل عملية الهجوم في الجولان .
٥٩ - الأمير رعد بن زيد بن الحسين يزور الكلية العسكرية الملكية في الزرقاء .
٦٠ - سمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال يتسلم هدية تذكارية عبارة عن نموذج لدبابة م - ٦٠ الأمريكية من العقيد صالح عليان .
٦١ - الملك حسين أثناء لقائه بالملك فيصل بن عبد العزيز بالرياض في السعودية .
٦٢ - قادة/رؤساء أركان الجيش العربي الأردني : من عام ١٩٢٣ إلى عام ١٩٧٩ .
٦٣ - جلالة الملك حسين لدى استقباله للمغفور له جلالة الملك فيصل الثاني - ملك العراق - عام ١٩٥٢ .
٦٤ - الملك حسين يرحب بالرئيس حافظ الأسد في أول زيارة رسمية له للأردن في ٢٠ حزيران عام ١٩٧٥ .
٦٥ - الملك حسين في لقاء عربي - قبل مؤتمر بغداد - في المفرق مع العقيد القذافي وياسر عرفات في تشرين عام ١٩٧٨ .
٦٦ - سمو ولي العهد الأمير حسن بن طلال في زيارة لفرقة المشاه الآلية الرابعة (١٩٧٨) .

جدول الخرائط

الجزء الأول : الشريف حسين بن علي (باعث النهضة العربية) ١٩٠٨-١٩٢٤ .

١ - الجزيرة العربية وسوريا إبان الحكم العثماني : ١٩١٤ .

٢ - مواقع الجيوش العثمانية عشية الثورة العربية الكبرى : ١٩١٦ .

٣ - خطوط المواصلات التركية (بما فيها الخط الحديدي الحجازي) .

٤ - عمليات الجيش الهاشمي في الحجاز (الحرب المتحركة) : حزيران ١٩١٦ ـ تموز ١٩١٧ .

٥ - حصار المدينة المنورة : حزيران ١٩١٦ ـ كانون الثاني ١٩١٧ .

٦ - عملية « يلدرم » المواقع والأهداف : آب ١٩١٧ .

٧ - عمليات الجيش الهاشمي في شرق الأردن (حرب الاستنزاف) :
تموز ١٩١٧ - تشرين الثاني ١٩١٨ .

٨ - معركة الطفيلة الأولى : ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨ .

٩ - معركة الطفيلة الثانية : ٢٥ شباط ـ ٦ آذار ١٩١٨ .

١٠ - معارك معان : ١١ نيسان ـ ٢٢ أيلول ١٩١٨ .

١١ - معركة عمان الأولى : ٢١ آذار ـ ٢ نيسان ١٩١٨ .

١٢ - معركة عمان الثانية : ٣٠ نيسان ـ ٤ أيار ١٩١٨ .

١٣ - عمليات الجيش الهاشمي في سوريا : التعرض النهائي وحرب الابادة وتقدم الجيش العربي الشمالي بقيادة الامير فيصل ، وقوات اللنبي : ١٦ أيلول ـ ٣١ تشرين الأول ١٩١٨ .

١٤ - الاستيلاء على عمان : ٢٠ ـ ٣٠ أيلول ١٩١٨ .

الجزء الثاني : عبدالله بن الحسين (المؤسس) ١٩٢٠ - ١٩٥١ .

١٥ - الموقف في مسرح عمليات الشرق الأوسط : الحرب في سوريا والعراق :
نيسان ـ تموز ١٩٤١ .

١٦ - الحرب في العراق ٢٩ نيسان ـ ٣٠ أيار ١٩٤١ .

١٧ - الحرب في سوريا : ٨ حزيران ـ ١٢ تموز ١٩٤١ .

١٨ - الحرب العربية الاسرائيلية الأولى ، محاور التقدم العربية ومواقع القوات اليهودية .

١٩ - معركة القدس ١٥ أيار ـ ٢٨ تموز ١٩٤٨ .

٢٠ - عملية «داني» ومعركة اللطرون الثانية ٩-١٨ تموز ١٩٤٨ .

٢١ - التعرض الاسرائيلي ٩ تموز ١٩٤٨-١٠ آذار ١٩٤٩ .

الجـزء الثالث : الملك طلال بن عبدالله (البطل الوطني) : ١٩٥١ - ١٩٥٢ .

٢٢ - حرب الحدود : ١٩٥١-١٩٥٦ .

٢٣ - العدوان الثلاثي على مصر : معارك سيناء : ١٩٥٦ .

الجـزء الرابع : الملك حسين بن طلال الباني : سنة ١٩٥٢ .

٢٤ - الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة على الجبهات المصرية والأردنية والسورية : من الساعة ٧٤٥ . يوم ٦/٥ إلى الساعة ١٨٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/١٠ .

٢٥ أ - الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (الجبهة الأردنية) : من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ إلى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧ .

٢٥ب - الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (الجبهة السورية) : من الساعة ١١٣٠ يوم ٦/٩ إلى الساعة ١٨٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/١٠ .

٢٦ - معركة قطاع القدس : من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ إلى الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧ .

٢٧ - معركة مدينة القدس : من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦/٥ إلى الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧ .

٢٨ - معارك القطاع الشمالي « نابلس » : من الساعة ١٧٠٠ يوم ٦/٥ إلى الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٧ .

٢٩ - معركة الكرامة : ٢١ آذار ١٩٦٨ .

٣٠ - الحرب الأهلية ١٧ - ٢٥ أيلول ١٩٧٠ .

٣١ - معركة عمان : ١٧ - ٢٥ أيلول ١٩٧٠ .

٣٢ - العمليات في القطاع الشمالي « أربد ـ جرش وعجلون » ١٩٧٠ .

٣٣ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة (جبهتي الجولان وقناة السويس) :
٦-٧ تشرين الأول ١٩٧٣ .

٣٤ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : مواقع القوات المصرية والتعرض على جبهة قناة السويس ٨/٦ تشرين الأول ١٩٧٣ .

٣٥ - الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ـ التعرض الاسرائيلي المعاكس (جبهة السويس) ١٦-١٩٧٣/١٠/٢٢ .

٣٦ - الحرب العربية الاسرائيلية : الساعة ٢٢٠٠ يوم ١٩٧٣/١٠/٦ (جبهة الجولان ـ المواقع والتعرض السوري والتعرض الاسرائيلي المعاكس) .

٣٧ - العمليات على جبهة الجولان بما فيها عمليات اللواء المدرع ٤٠ والفرقة المدرعة الثالثة الأردنية ١٢-١٩٧٣/١٠/٢٢ .

٣٨ - الخيارات العسكرية : القيادة العربية الموحدة والدفاع الاسرائيلي ١٩٧٧ .

جدول الملاحق

الجزء الأول

الملحق ١ - نظام معركة الجيش الهاشمي ، أيلول ١٩١٦ .
٢ - نظام معركة الجيوش العثمانية ، آب ١٩١٧ .
٣ - نظام معركة الجيش العربي الهاشمي ، أيلول ١٩١٨ .
٤ - نظام معركة الجيوش العثمانية في معركة مجدو ، أيلول ١٩١٨ .
٥ - نظام معركة قوة القتال البريطانية (مصر) والجيش العربي الشمالي ، معركة مجدو ، أيلول ١٩١٨ .

الجزء الثاني

٦ - نظام معركة القوات اليهودية (الهاغانا) في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ .
٧ - نظام معركة جيش الانقاذ العربي وجيش الجهاد المقدس ، الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ .
٨ - نظام معركة الجيش العربي الأردني في الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ .

الجزء الرابع

٩ - نظام معركة القوات الاسرائيلية في الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ، حزيران ١٩٦٧ .
١٠ - نظام معركة الجيش العربي الأردني في الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ، حزيران ١٩٦٧ .
١١ - نظام معركة الجيش الاسرائيلي ، الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٣ .
١٢ - نظام معركة القيادة العربية الموحدة ، الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٣ .
١٣ - نظام معركة الفرقة ٣ المدرعة الأردنية : جبهة الجولان في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، تشرين الأول ١٩٧٣ .
١٤ - قادة القوات المسلحة الأردنية : ١٩١٦ - ١٩٧٩ .

المحتـويـات | الصفحـة

THE HASHEMITE ARAB ARMY 1908-1979

An Appreciation and Analysis of Military Operations

BRIGADIER SYED ALI EL-EDROOS
(Retd), Pakistan Army

Translated by
Colonel Abdel Aziz Suleiman Ma'aita
(Retd), Jordan Armed Forces

The Publishing Committee
AMMAN, JORDAN
1983